downloaded from: lib.ommolketab.ir

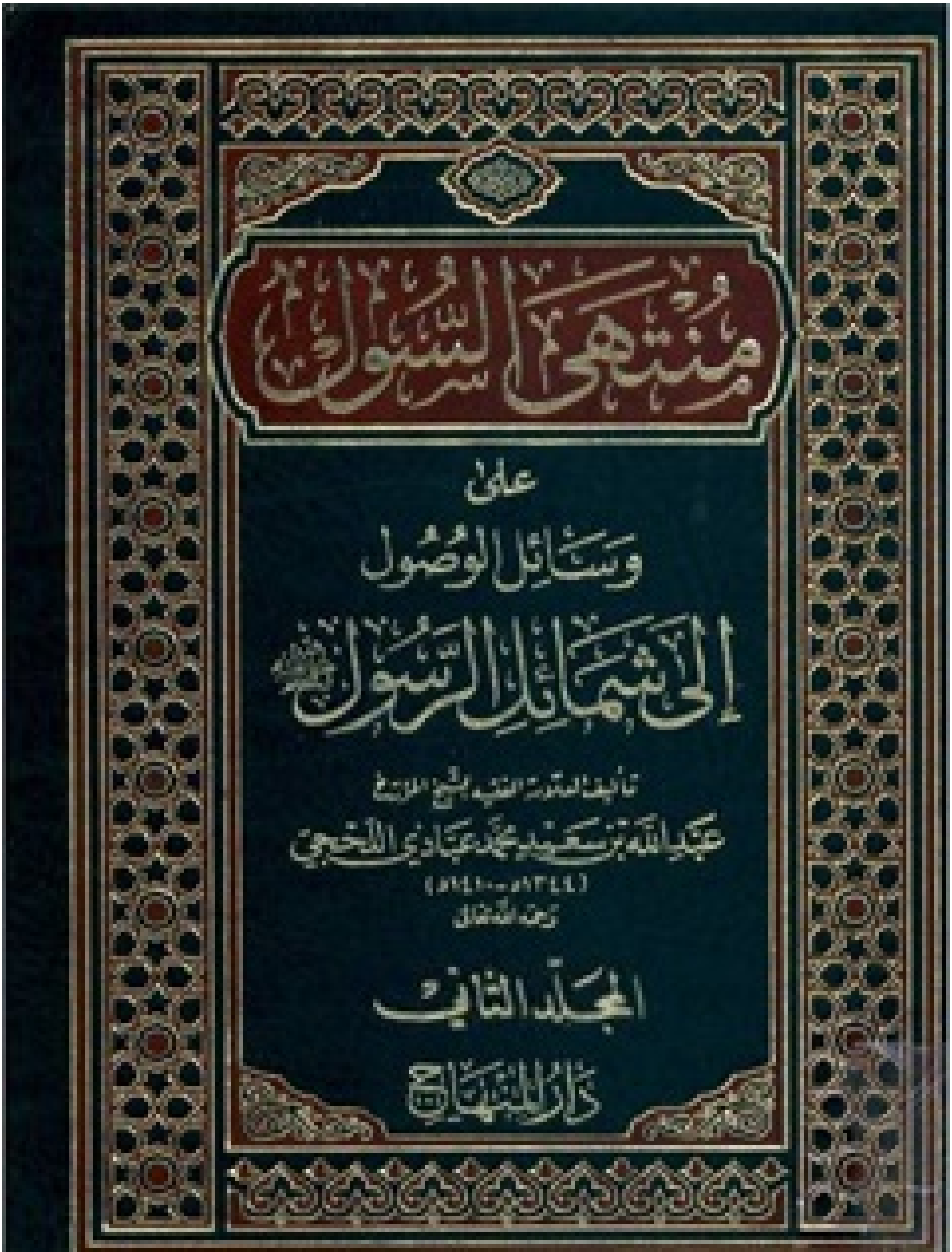

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

بسم الله الرحمن الرحیم

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

كتاب منتهى السول على وسائل الوصول الى شمائل الرسول صلى الله على و سلم

كاتب:

عبدالله لحجى

نشرت فى الطباعة:

دارالحماوى

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

الفهرس

الفهرس ----- ۵
کتاب منتهی السول علی وسائل الوصول الی شمائل الرسول صلی الله علی و سلم المجلد۲ ----- ۶
اشارهٔ ----- ۶
[الباب الرّابع فی صفهٔ أکل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و شربه،] ----- ۶
اشارهٔ ----- ۶
[الفصل الأوّل فی صفهٔ عیشه صلّی اللّه علیه و سلّم و خبزه] ----- ۷
[الفصل الثّانی فی صفهٔ أکله صلّی اللّه علیه و سلّم و إدامه] ----- ۴۹
[الفصل الثّالث فی ما کان یقوله صلّی اللّه علیه و سلّم قبل الطّعام و بعده] ----- ۱۰۹
[الفصل الرّابع فی صفهٔ فاکهته صلّی اللّه علیه و سلّم] ----- ۱۲۲
[الفصل الخامس فی صفهٔ شرابه صلّی اللّه علیه و سلّم و قدحه] ----- ۱۳۲
[الفصل السّادس فی صفهٔ نومه صلّی اللّه علیه و سلّم] ----- ۱۵۵
[الباب الخامس فی صفهٔ خلق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و حلمه، و عشرته مع نسائه، و أمانته، و صدقه، و حیائه، و مزاحه، و تواضعه، و جلوسه، و کره
اشارهٔ ----- ۱۶۵
[الفصل الأوّل فی صفهٔ خلقه صلّی اللّه علیه و سلّم و حلمه] ----- ۱۶۶
[الفصل الثّانی فی صفهٔ عشرته صلّی اللّه علیه و سلّم مع نسائه رضی اللّه تعالی عنهنّ] ----- ۲۷۳
[الفصل الثّالث فی صفهٔ أمانته صلّی اللّه علیه و سلّم و صدقه] ----- ۲۸۳
[الفصل الرّابع فی صفهٔ حیائه صلّی اللّه علیه و سلم و مزاحه] ----- ۲۸۷
[الفصل الخامس فی صفهٔ تواضعه صلّی اللّه علیه و سلّم و جلوسه و اتّکائه] ----- ۳۰۳
[الفصل السّادس فی صفهٔ کرمه صلّی اللّه علیه و سلّم و شجاعته] ----- ۳۴۹
[فهرسهٔ الجزء الثانی من کتاب منتهی السّول إلی شمائل الرسول صلّی اللّه علیه و سلم] ----- ۳۸۱

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

کتاب منتهی السول علی وسائل الوصول الی شمائل الرسول صلی الله علی و سلم المجلد۲

اشارهٔ

سرشناسه : لحجی، عبدالله، ۱۹۸۹ - ۱۹۲۵

عنوان و نام پدیدآور : کتاب منتهی السول علی وسائل الوصول الی شمائل الرسول صلی الله علی و سلم/ تالیف عبدالله بن سعید محمد عبادی اللحجی

مشخصات نشر : دارالحماوی للطباعه والتوزیع والنشر، ق۱۴۱۹ = م۱۹۹۸. = ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری : ج ۴

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

موضوع : محمد(ص)، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ق ۱۱ -- .شمایل

موضوع : محمد(ص)، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ق ۱۱ -- .اخلاق

رده بندی کنگره : BP۲۴/۴۶/الف۲۵ک۲

شماره کتابشناسی ملی : م۸۰-۳۵۱۹۳

[الباب الرّابع فی صفهٔ أکل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و شربه،]

اشارهٔ

الباب الرّابع فی صفهٔ أکل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و شربه، بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیمِ

و به نستعین علی أمور الدّنیا و الدّین.

(الباب الرّابع) من الکتاب المشتمل علی ثمانیهٔ أبواب و مقدّمهٔ و خاتمهٔ.

(فی) بیان ما ورد فی (صفهٔ أکل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم) و إدامه.

و الأکل- بفتح الهمزهٔ-: إدخال الطّعام الجامد من الفم إلی البطن، سواء کان بقصد التغذّی، أو غیره، کالتفکّه، فمن قال الأکل إدخال شیء من الفم إلی البطن بقصد «الاغتذاء»! لم یصب، لأنه یخرج من کلامه أکل الفاکهة، و خرج بالجامد المائع، فإدخاله لیس بأکل بل شرب، و أما الأکل بضمّ الهمزهٔ فاسم لما یؤکل.

(و) فی بیان ما ورد فی صفهٔ (شربه)

بالضمّ، مصدر و الفاعل شارب و الجمع شاربون، و شرب کصاحب و صحب، و شربهٔ ککافر و کفرهٔ، قال فی «المصباح»: و الشّرب مخصوص بالمص حقیقهٔ، و یطلق علی غیره مجازا، و القصد هنا بیان کیفیهٔ شربه صلّی اللّه علیه و سلم، و فیه ذکر شرابه و هو ما یشرب من المائعات.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶

و نومه و فیه ستّهٔ فصول

(و) فی بیان ما ورد فی صفهٔ (نومه) صلی اللّه علیه و سلم؛

و النّوم: حالهٔ طبیعیهٔ تتعطل معها القوی تسیر فی البخار إلی الدماغ، و قیل:

غشیهٔ ثقیلهٔ تهجم علی القلب فتقطعه عن المعرفهٔ بالأشیاء، فهو آفهٔ، و من ثمّ قیل (إنّ النّوم أخو الموت)، و أما السّنهٔ ففی الرأس، و

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

النّعاس فى العين، و قيل السّنة هى النّعاس، و قيل السّنة ريح النّوم يبدو فى الوجه ثم ينبعث إلى القلب فيحصل النعاس ثم النوم

(و فيه ستّة فصول) يأتى بيانها.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۷

[الفصل الأوّل فى صفة عيشه صلّى اللّه عليه و سلّم و خبزه]

الفصل الأوّل فى صفة عيشه صلّى اللّه عليه و سلّم و خبزه عن سماك بن حرب [رحمه اللّه تعالى] قال: سمعت النّعمان بن بشير

(الفصل الأوّل) من (الباب الرابع) (فى) بيان ما ورد فى (صفة عيشه صلّى اللّه عليه و سلم) أى: كيفية معيشته حال حياته، إلى وقت مماته، لأن العيش يطلق على الحياة و على ما يكون به الحياة.

و المراد بالعيش هنا الحياة، و المبوّب له هنا بيان صفة حياته صلّى اللّه عليه و سلّم هو و أصحابه و ما اشتملت عليه حياتهم من الضيق و الفقر.

(و) فى بيان ما ورد فى صفة (خبزه) الخبز- بضم الخاء المعجمة و إسكان الباء-: الشىء المخبوز أى: اسم ما يؤكل من نحو برّ، و بفتح الخاء المعجمة مع إسكان الباء مصدر، بمعنى اصطناع الخبز بالضمّ.

(عن) أبى المغيرة (سماك) بكسر السين المهملة (ابن حرب) بن أوس بن خالد البكرى الذهلى الكوفى، أحد الأعلام التابعين.

أدرك ثمانين صحابيا، و روى عن جابر بن سمرة و النعمان بن بشير و غيرهما، و روى له مسلم و أبو داود و الترمذى و النّسائى و ابن ماجه و البخارى فى «التاريخ»، و فى المحدثين من يضعّفه، و كان ذهب بصره ثم شفى و عاد إليه، و مات سنة:

ثلاث و عشرين و مائة هجرية رحمه اللّه تعالى (قال:

سمعت) أبا عبد اللّه (النّعمان)- بضم النون- (بن بشير)- بالباء الموحدة

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۸

رضى اللّه تعالى عنهما يقول: أ لستم فى طعام و شراب ما شئتم؟ لقد رأيت نبيّكم صلّى اللّه عليه و سلّم و ما يجد من الدّقل ما يملأ بطنه.

و الشين المعجمة- بزنة «نذير» ابن سعد بن ثعلبة الأنصارى الخزرجى، هو و أبوه و أمّه صحابيون، اسم أمّه: عمرة بنت رواحة.

و ولد النّعمان على رأس أربعة عشر شهرا من الهجرة على الأصح، و هو أوّل مولود من الأنصار بعد الهجرة، استعمله معاوية على حمص ثم على الكوفة، و استعمله عليها بعده يزيد بن معاوية، و كان كريما جوادا شاعرا.

و روى له عن النّبى صلّى اللّه عليه و سلم مائة حديث و أربعة عشر حديثا؛ اتفق البخارى و مسلم منها على خمسة، و انفرد البخارى بحديث، و انفرد مسلم بأربعة.

و روى عنه ابناه محمد و بشير، و عروة بن الزّبير و الشعبى و آخرون.

قتل بالشام بقرية من قرى حمص فى ذى الحجة سنة أربع و ستين، و قيل سنة ستين (رضى اللّه تعالى عنهما؛ يقول:

(أ لستم فى طعام و شراب ما شئتم) أى: أ لستم متنعمين؟! فى طعام و شراب الذى شئتموه من التوسعة و الإفراط! ف «ما» موصولة، و هى بدل مما قبله، و القصد التقريع و التوبيخ، و لذلك أتبعه بقوله:

(لقد رأيت نبيّكم صلّى اللّه عليه و سلم) أضاف النبىّ إلى المخاطبين؛ للإشارة إلى أنّه يلزمهم الاقتداء به و المشى على طريقته، و عدم التطلع إلى الدنيا- أى: إلى نعيم الدّنيا و زخارفها- و الرغبة فى القناعة، و المعنى: و اللّه لقد رأيت نبيّكم صلّى اللّه عليه و سلم (و) الحال أنه (ما يجد من الدّقل)- بفتحتين- و هو ردىء التمر (ما يملأ بطنه) لإعراضه عن الدّنيا و ما فيها، و إقباله على الآخرة، و هو مع ذلك نضير الجسم، محفوظ القوة، حتى إن رأيته لا تقول «به جوع»!.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و فى «مسند» الحارث بن أبى أسامة عن أنس رضى اللّه تعالى عنه أنّ فاطمة رضى اللّه تعالى عنها جاءت بكسرة خبز إلى المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم، فقال: «ما هذه؟»

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۹

و (الدّقل): ردىء التّمر.

و كان أكثر طعام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: التّمر و الماء.

قالت: قرص خبزته فلم تطب نفسى حتى أتيتك بهذه. فقال: «أما إنّه أوّل طعم دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيّام».

و روى عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها أنها قالت: لم يشبع صلّى اللّه عليه و سلم قط، و ما كان يسأل أهله طعاما و لا يشتهى؛ إن أطعموه أكل، و ما أطعموه قبل، و ما سقوه شرب. و ذلك كله رفعة فى مقامه الشريف، و زيادة فى علو قدره المنيف.

و اعلم أن فقره صلّى اللّه عليه و سلم كان اختياريا؛ لا كرها و اضطراريا!! و قد استمر عليه حتى مات و درعه مرهونة عند يهودى، فلا يحتاج إلى ما قاله بعضهم من «أن هذا كان فى ابتداء الحال». و اللّه أعلم.

و قد انقسم النّاس بعده عليه الصّلاة و السّلام أربعة أقسام:

قسم لم يرد الدّنيا و لم ترده؛ كالصّدّيق الأكبر رضى اللّه تعالى عنه.

و قسم لم يرد الدّنيا و أرادته؛ كالفاروق.

و قسم أرادها و أرادته؛ كخلفاء بنى أمية، و بنى العباس؛ إلّا عمر بن عبد العزيز.

و قسم أرادها و لم ترده؛ كمن أفقره اللّه تعالى، و امتحنه بجمعها و حبّها.

(و الدّقل)- بفتح الدال و القاف؛ بوزن «دخل» و «فرس»،- هو: (ردىء التّمر) و يابسه، و ما ليس له اسم خاص.

(و) قال حجة الإسلام الغزالى، و الشعرانى فى «كشف الغمة»:

(كان أكثر طعام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم التّمر و الماء).

قال العراقى: روى البخارى من حديث عائشة رضى اللّه تعالى عنها: توفّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و قد شبعنا من الأسودين؛ التّمر و الماء».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۰

و عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت: كنّا آل محمّد نمكث شهرا ما نستوقد بنار، إن هو إلّا التّمر و الماء.

و فى رواية البخارىّ ...

(و) روى الترمذى و غيره فى «الشمائل» و غيرها؛ (عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها؛ قالت: كنّا)، و فى نسخة من «الشمائل»: إن كنا؛ بزيادة «إن» المخفّفة من الثقيلة، و المعنى: إنّا كنّا (آل محمّد)؛ بالرفع بدل من الضمير فى «كنا»، و بالنصب على تقدير «أعنى» أو «أخص»، و جعله خبر «كنا» بعيد لأنّ القصد ليس كونهم آله، بل المقصود بالإفادة ما بعده، و هو قولها:

(نمكث شهرا) لا يشكل عليه رواية «الصحيحين» الآتية عنها؛ شهرين!! لأن الأكثر لا ينفى الأقل، و لا يشكل عليه اتفاق النحاة على لزوم اللّام فى الفعل الواقع فى خبر «إن» المخففة؛ لأنّه محمول على الغالب، فعائشة من فصحاء العرب و قد نطقت به بلا لام!!

(ما نستوقد)- حال، و جعله خبرا بعد خبر!! بعيد- (بنار) أى: لا نهيّئ شيئا نطبخه بها (إن هو) أى: الذى نتناوله (إلّا التّمر و الماء) أى: ما طعامنا إلا التّمر و الماء، و فى رواية: «إلّا التّمر و الملح»، و فى أخرى: «إلا الأسودان»، و الجملة مستأنفة جوابا لنحو: ما كنتم تتقوتون.

(و فى رواية) الإمام أبى عبد اللّه محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفى مولاهم (البخارىّ) أمير المؤمنين فى الحديث مؤلف «الصحيح» و «التاريخ» و غير ذلك، ولد فى ثالث شوال سنة:- ۱۹۴- أربع و تسعين و مائة.

و ألهم حفظ الحديث فى الكتّاب و هو ابن عشر سنين، و حفظ «كتب» ابن المبارك و وكيع و هو ابن ست عشرة سنة، و خرج مع أمّه

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و أخيه أحمد إلى مكّة و تخلّف بها يطلب، و كتب بخراسان و الجبال و العراق و الشام و مصر.
و روى عن مكّى بن إبراهيم، و أبى نعيم الفضل بن دكين و خلائق من هذه الطّبقة

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۱

و مسلم: كانت عائشة رضى اللّه تعالى عنها تقول لعروة: و اللّه يا ابن أختى؛ ...
و من بعدهم، حتى كتب عن أقرانه و عن أصغر منه حتى زاد عدد شيوخه على ألف!!.
روى عنه مسلم خارج «الصحيح» و الترمذى و أبو زرعة و ابن خزيمة و ابن حبان و محمد بن يوسف الفربرى و هو آخر من روى «الصّحيح»، و آخر من زعم أنّه سمع منه عبد اللّه بن فارس البلخى.
و روى الفربرى عنه «ما وضعت فى «الصحيح» حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك و صليت ركعتين». و قال جماعة من المشايخ: حول البخارى تراجم «جامعه» بين قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلم و منبره، «و كان يصلى لكل ترجمة ركعتين». قال البخارى: صنفت «كتاب الصحيح» لستّ عشرة سنة، خرجته من ستمائة ألف حديث، و جعلته حجة بينى و بين اللّه تعالى!.
و توفى ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة عيد الفطر سنة- ۲۵۶- ست و خمسين و مائتين، و دفن ب «خرتنك» قرية على فرسخين من سمرقند رحمه اللّه تعالى رحمة الأبرار آمين.
(و) رواية أبى الحسين (مسلم) بن الحجاج بن مسلم القشيرى النّيسابورى الإمام المشهور صاحب «الصحيح» رحمه اللّه تعالى.
(كانت عائشة) أم المؤمنين الصّدّيقة بنت الصّدّيق (رضى اللّه تعالى عنها) و عن أبيها (تقول لعروة) بن الزبير ترغيبا للمسلمين، و تذكيرا للنّعم الطارئة عليهم بعده ببركته عليه الصّلاة و السّلام، و حملا على التأسى به فى التقلل من الدنيا.
(و اللّه يا ابن أختى) أسماء ذات النطاقين و هذا لفظ مسلم، و لفظ البخارى أنها قالت لعروة: ابن أختى، قال القسطلانى: بوصل الهمزة و تكسر فى الابتداء و فتح النون على النداء و أداته محذوفة.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۲

إن كنّا لننظر إلى الهلال ثمّ الهلال ثمّ الهلال؛ ثلاثة أهلّة فى شهرين و ما أوقد فى أبيات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم نار.
قال: قلت يا خالة؛ فما كان يعيّشكم؟ قالت: الأسودان؛ التّمر و الماء، إلّا أنّه كان لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم جيران من الأنصار،
(إن كنّا) إن مخففة من الثّقيلة دخلت على الفعل الماضى الناسخ، و اللّام فى (لننظر) فارقة بينها و بين «إن» النافية عند البصريين قاله القسطلانىّ.
(إلى الهلال ثمّ الهلال ثمّ الهلال؛ ثلاثة أهلّة) بجرّ ثلاثة و نصبه بتقدير لننظر (فى شهرين) باعتبار رؤية الهلال أول الشهر الأول و الثانى و آخره ليلة الثالث، فالمدة ستون يوما و المرئى ثلاثة أهلة، (و ما أوقد) بضم الهمزة و كسر القاف (فى أبيات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم نار) بالرفع نائب عن الفاعل، لا لطبخ و لا لغيره، فعند ابن جرير عنها: أهدى لنا أبو بكر رضى اللّه تعالى عنه رجل شاة فإنى لأقطّعها فى ظلمة البيت، فقيل لها: أ ما كان لكم سراج؟! فقالت: لو كان لنا ما نسرج به أكلناه.
(قال) أى: عروة (قلت: يا خالة) بضم التاء منادى مفرد، و فى رواية خالتى (فما كان يعيّشكم) بضم أوله من أعاشه اللّه يعيشه، و ضبطه النّووى بتشديد الياء الثّانية، أى: مع فتح العين؛ قاله الحافظ ابن حجر و غيره، أى: يدفع عنكم ألم الجوع و يكون سببا فى الحياة.
(قالت: الأسودان؛ التّمر و الماء) هو على التغليب، فالماء لا لون له، و كذا قالوا: الأبيضان اللبن و الماء، و إنما أطلق على التمر أسود لأن غالب تمر المدينة أسود.
(إلّا أنّه كان لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم جيران) بكسر الجيم جمع جار؛ و هو المجاور فى السكن (من الأنصار) سعد بن عبادة و عبد اللّه بن عمرو بن حرام و أبو أيوب خالد بن زيد و سعد بن زرارة و غيرهم؛ قاله الحافظ ابن حجر و تبعه القسطلانى فى باب الهبة.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۳

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و كانت لهم منائح، فكانوا يرسلون إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم من ألبانها، فيسقيناه.

و عن أبى طلحة ...

(و كانت لهم منائح) بنون و مهملة جمع منيحة و هى العطيّة لفظا و معنى، أى غنم فيها لبن، و أصلها عطيّة الناقة أو الشّاة. و قيل: لا يقال منيحة إلّا للنّاقة و تستعار للشاة.

قال الحربى: يقولون منحتك الناقة، و أعرتك النخلة، و أعمرتك الدار، و أخدمتك العبد، و كل ذلك هبة منافع؛ لا رقبة! انتهى «زرقانى».

و المعتمد عند الشافعية: أن أعمرتك الدار كوهبتك الدار فى كون كل منهما هبة للرقبة حيث وجد باقى شروط الهبة. و اللّه أعلم.

(فكانوا يرسلون إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم من ألبانها فيسقيناه) أى: منه لا يخصهم بجميعه، بحيث لا يتناول منه شيئا، ففى رواية الإسماعيلى: فيسقينا منه.

(و) أخرج الترمذى من طريق أنس بن مالك، (عن أبى طلحة) زيد بن سهل بن الأسود بن حزام،- بالزاى- ابن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصارى المدنى.

شهد العقبة و بدرا و أحدا و الخندق، و المشاهد كلها مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم.

و هو أحد النقباء رضى اللّه عنهم، روى له عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم اثنان و تسعون حديثا؛ اتّفق البخارى و مسلم منها على حديثين و انفرد البخارى بحديث و انفرد مسلم بآخر.

روى عنه جماعة من الصحابة منهم ابن عباس و أنس و آخرون و جماعات من التابعين. توفى بالمدينة المنورة سنة:- ٣٢- اثنتين و ثلاثين. و قيل أربع و ثلاثين، و هو ابن سبعين سنة كذا قال الأكثرون بأنّه توفى بالمدينة.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:١۴

رضى اللّه تعالى عنه قال: شكونا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم الجوع، و رفعنا عن بطوننا عن حجر حجر، فرفع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم عن بطنه عن حجرين.

و قال الإمام التّرمذىّ: و معنى قوله (و رفعنا عن بطوننا عن حجر حجر): و كان أحدهم يشدّ فى بطنه الحجر من الجهد و الضّعف الّذى به من الجوع.

و صلّى عليه عثمان بن عفان رضى اللّه تعالى عنهما و عن سائر أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم آمين (رضى اللّه تعالى عنه) و أرضاه.

(قال: شكونا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم الجوع، و رفعنا) أى: كشفنا (عن بطوننا عن حجر حجر) بدل اشتمال بإعادة الجار، أى: رفع كل واحد عن حجر مشدود عن بطنه، كعادة العرب أو أهل المدينة إذا خلت أجوافهم لئلا تسترخى، فالتكرير باعتبار تعدد المخبر.

(فرفع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم عن بطنه عن حجرين) ليعلم أصحابه أن ليس عنده ما يستأثر به عليهم، و تسلية لهم؛ لا شكاية أن ما بهم من الجوع أصابه فوقه حتى احتاج إلى حجرين!! (و قال الإمام التّرمذىّ: و معنى قوله: و رفعنا عن بطوننا عن حجر حجر!! و كان أحدهم يشدّ فى بطنه) أى عليه (الحجر من الجهد) أى: من أجله، ف «من» تعليلية، و الجهد- بضمّ الجيم و فتحها-: المشقة (و الضّعف)- بفتح الضاد، و يجوز ضمها- و هو كالتفسير لما قبله.

و قوله: (الّذى به) صفة للجهد و الضعف، و إنما أفرد الموصول!! لما علمت من أن الضعف كالتفسير للجهد.

و قوله (من الجوع) أى: الناشىء من الجوع، و فى تعبيره ب «معنى» تجوّز إذ معنى اللفظ ما دلّ عليه، و إنما هذا بيان لحكمة وضع الحجر!!

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۵

و فى كتاب «المواهب»: عن ابن بجير [رضى اللّه تعالى عنه] قال: أصاب النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم جوع يوما، فعمد إلى حجر، فوضعه على بطنه، ثمّ قال: «ألا ربّ نفس طاعمة ناعمة فى الدّنيا .. جائعة عارية يوم القيامة، ...

(و فى كتاب «المواهب) اللدنية» للعلامة القسطلانىّ (عن ابن بجير):

بموحّدة و جيم، صحابى يعدّ فى الشاميين، روى عنه جبير بن نفير هكذا أورده الذهبى فى «التجريد فيمن عرف بأبيه و لم يسمّ» تبعا لأبى نعيم، و كذا تبعه الحافظ فى «أطراف الفردوس» و المنذرى فى «الترغيب».

و أورده الذهبى أيضا فى باب الكنى فقال: أبو البجير صحابى روى عنه جبير بن نفير ثم ترجم له أبو بجير، روى عنه ابنه بجير حديثا. و فى «الإصابة» أبو بجير غير منسوب. ذكره ابن منده.

و أخرج من طريق عثمان بن عبد الرحمن عن عبد اللّه بن بجير عن أبيه عن جده عن النّبى صلّى اللّه عليه و سلم قال: «القرآن كلام ربى» .. الحديث و سنده ضعيف. و ترجم عقبه أبو البجير، استدركه ابن الأمين و عزاه لابن العرضى فى «المؤتلف»، و لعله ابن البجير الآتى فى المبهمات. انتهى.

فيجوز أن ابن بجير يكنى بأبى البجير فلا خلف، ثم هما شخصان كلّ يكنى بأبى البجير، و راوى هذا الحديث ليس هو الذى روى عنه ابنه، بل الثانى الذى روى عنه جبير بن نفير كما بيّنه فى «الجامع الكبير». و أما الذى روى عنه ابنه فإنما له حديث: «القرآن كلام ربى» انتهى «زرقانى».

(قال: أصاب النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم جوع يوما، فعمد)- بفتح الميم- (إلى حجر، فوضعه على بطنه، ثمّ قال: «ألا)- حرف تنبيه تؤكّد بها الجملة المصدرة بها- (ربّ نفس) و فى رواية: «ألا يا ربّ نفس» بأداة النداء و حذف المنادى؛ أى:

ألا يا قوم ربّ. و هى للتقليل، و المقام مقام تخويف و تهويل (طاعمة ناعمة فى الدّنيا)؛ أى: مشغولة بلذات المطاعم و الملابس، غافلة عن أعمال الآخرة (جائعة عارية)- بالرفع خبر مبتدأ- أى: هى لأنّه إخبار عن حالها (يوم القيامة)

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۶

ألا ربّ مكرم لنفسه .. و هو لها مهين، ألا ربّ مهين لنفسه .. و هو لها مكرم».

و عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه ...

لا فى الدّنيا لوصفها فيها بضد ذلك، أى: تحشر و هى كذلك، يوم الموقف الأعظم، زاد فى رواية ابن سعد و البيهقى: «ألا يا رب نفس جائعة عارية فى الدّنيا طاعمة ناعمة يوم القيامة».

(ألا- ربّ مكرم لنفسه) بمتابعة هواها و تبليغها مناها بتبسطه بألوان طعام الدنيا و شهواتها، و تزينه بملابسها و مراكبها، و تقلبه فى مبانيها، و زخارفها، (و هو لها مهين) أن ذلك يبعده عن اللّه، و يوجب حرمانه من مثال حظ المتقين فى الآخرة.

(ألا ربّ مهين لنفسه) بمخالفتها و إذلالها، و إلزامها بعدم التطاول، و الاقتصار على الأخذ من الدّنيا بقدر الحاجة، (و هو لها مكرم») يوم العرض الأكبر لسعيه لها، فيما يوصلها إلى السعادة الأبدية و الراحة السرمدية.

رواه ابن أبى الدنيا و ضعّفه المنذرى، و أخرجه ابن سعد و البيهقى بزيادة:

«ألا يا ربّ متخوض و متنعم فيما أفاء اللّه على رسوله!؟ ما له عند اللّه من خلاق.

ألا و إنّ عمل الجنة حزن بربوة، ألا و إنّ عمل النار سهل بشهوة!! ألا ربّ شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا».

و روى ابن أبى الدّنيا و غيره عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه:

دخلت على النبى صلّى اللّه عليه و سلم و هو يصلى جالسا، فقلت: ما أصابك: قال:

«الجوع». فبكيت، فقال: «لا تبك فإنّ شدّة الجوع لا تصيب الجائع- أى: فى يوم القيامة- إذا احتسبت فى دار الدّنيا».

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و) روى مسلم و أصحاب «السنن الأربعة» و الترمذى أيضا فى «الشمائل»:

كلهم (عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه).

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۷

قال: خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى ساعة لا يخرج فيها و لا يلقاه فيها أحد، فأتاه أبو بكر، فقال: «ما جاء بك يا أبا بكر؟»، قال: خرجت ألقى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و أنظر فى وجهه، و التّسليم عليه، ...

و رواه مالك عنه فى «الموطأ» بلاغا و البزار و ابن المنذر و ابن أبى حاتم و الحاكم؛ عن عمر بن الخطاب، و ابن حبان عن ابن عباس، و ابن مردويه عن ابن عمر، و الطبرانى عن عبد اللّه بن مسعود، و فى سياقهم اختلاف بالزيادة و النقص.

(قال)- أى- أبو هريرة رضى اللّه تعالى عنه؛ كما «فى الشمائل»:

(خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم) أى: من بيته إلى المسجد، أو إلى غيره (فى ساعة لا يخرج فيها)؛ أى: لم تكن عادته الخروج فيها، (و لا يلقاه فيها أحد) أى:

باعتبارها عادته.

و هذه الساعة يحتمل أن تكون من الليل و أن تكون من النهار!!

و يعيّن الأول ما فى مسلم أنه صلّى اللّه عليه و سلم خرج ذات ليلة فإذا هو بأبى بكر و عمر؛ فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه السّاعة؟». قالا: الجوع يا رسول اللّه.

قال: «و أنا و الّذى نفسى بيده أخرجنى الّذى أخرجكما!! قوما». فقاما معه، فأتوا رجلا من الأنصار، و هو أبو الهيثم بن التّيهان. انتهى.

و فى شرح ملّا على قارى على «الشمائل» ما يعيّن الثانى، و هو ما روى عن جابر: أصبح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ذات يوم جائعا فلم يجد عند أهله شيئا يأكله، و أصبح أبو بكر جائعا ... الحديث.

و لعل ذلك تعدّد فمرة كان ليلا و مرة كان نهارا!.

(فأتاه أبو بكر، فقال: «ما جاء بك يا أبا بكر؟!») أى: ما حملك على المجىء؟

(قال: خرجت ألقى رسول اللّه) أى: حال كونى أريد أن ألقى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم و أنظر فى وجهه) أى: و أريد أن أنظر فى وجهه الشريف، (و التّسليم عليه)

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۸

فلم يلبث أن جاء عمر فقال: «ما جاء بك يا عمر؟»، قال: الجوع يا رسول اللّه، قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «و أنا قد وجدت بعض ذلك».

فانطلقوا إلى منزل أبى الهيثم ...

- بالنصب- على أن التقدير: و أريد التسليم عليه (فلم يلبث أن جاء عمر) أى:

فلم يلبث مجىء عمر، ف «أن» و ما بعدها فى تأويل مصدر فاعل، و المعنى لم يتأخّر مجىء عمر، بل حصل سريعا بعد مجىء أبى بكر.

(فقال) أى: النبى صلّى اللّه عليه و سلم (: «ما جاء بك يا عمر؟!» أى: ما حملك على المجىء؟.

(قال: الجوع يا رسول اللّه!) كأنه جاء ليتسلّى عنه بالنظر إلى وجهه المكرم، و كان ذلك بعد كثرة الفتوحات، و كثرتها لا تنافى ضيق الحال فى بعض الأوقات! لا سيما بعد ما تصدّق أبو بكر بماله.

(قال) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم: «و أنا قد وجدت بعض ذلك») الجوع الذى أدرككا! قاله تسليا و إيناسا لهما لما علم من شدّة جوعهما، ([فانطلقوا]) أى:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

ذهبوا و توجهوا (إلى منزل أبى الهيثم)- بمثلاثة- هكذا صرّح به فى «الموطأ»؛ و الترمذى، و كذا البزار، و أبو يعلى، و الطبرانى؛ عن ابن عباس، و الطبرانى أيضا عن ابن عمر.

و فى رواية عند الطبرانى و ابن حبان «فى صحيحه» عن ابن عباس أنّه أبو أيوب، و الظاهر أن القضية اتفقت مرة مع أبى الهيثم، كما صرّح به فى أكثر الروايات، و مرة مع أبى أيوب.

و فى رواية مسلم: رجلا- من الأنصار. و هى محتملة لهما، و على كل ففيه منقبة عظيمة لكلّ منهما إذ أهّله صلّى اللّه عليه و سلم لذلك، و جعله ممن قال اللّه فيهم:

أَوْ صَدِيقِكُمْ [۶۱/ النور]. انتهى «زرقانى».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۹

ابن التّيهان الأنصارىّ- و كان رجلا كثير النّخل و الشّاء، و لم يكن له خدم- فلم يجدوه، فقالوا لامرأته: «أين صاحبك؟»، فقالت: انطلق يستعذب لنا الماء.

و اسم أبى الهيثم: مالك (بن التّيهان)- بفتح التاء المثناة فوق، و تشديد الياء المثناة، تحت مكسورة- و هو لقب، و اسمه عامر بن الحارث، و قيل: عتيك بن عمرو (الأنصارىّ) أى: المنسوب للأنصار لأنه حليفهم، و إلّا! فهو قضاعى ترهّب قبل الهجرة، و أسلم و حسن إسلامه.

و انطلاقهم إلى منزله لا ينافى كمال شرفهم، فقد استطعم موسى و الخضر عليهما الصلاة و السلام قبلهم، و كان للمصطفى مندوحة عن ذلك؛ و لو شاء لكانت جبال تهامة تمشى معه ذهبا؛ لكن اللّه سبحانه و تعالى، أراد أن يهتدى الخلائق بهم، و أن يستنّ بهم السنن، ففعلوا ذلك تشريعا للأمة.

و هل خرج صلّى اللّه عليه و سلم قاصدا من أوّل خروجه إنسانا معينا، أو جاء التعيين بالاتفاق؟! احتمالان، قال بعضهم: الأصحّ أن أوّل خاطر حركه للخروج لم يكن إلى جهة معينة، لأن الكمّل لا يعتمدون إلّا على اللّه تعالى.

(و كان) أى: أبو الهيثم (رجلا) من أشراف الصحابة و أكابرهم، (كثير النّخل)؛ واحده نخلة، (و الشّاء) بالهمز؛ جمع شاة بالتاء، و تجمع أيضا على شياه.

(و لم يكن له خدم)- بفتحتين- جمع خادم، يقع على الذكر و الأنثى.

و ليس المراد نفى الجمع، بل نفى جميع الأفراد، إذ لم يكن له خادم لا ذكر و لا أنثى، و المقصود من ذكر ذلك بيان سبب خروجه بنفسه لحاجته، فهو توطئة لقوله:

(فلم يجدوه) أى: فى البيت لاحتياجه إلى خروجه، بسبب خدمة عياله (فقالوا لامرأته: «أين صاحبك؟»)؛ و هو أحسن عبارة من «زوجك».

(فقالت: انطلق) أى: ذهب (يستعذب لنا الماء)؛ أى: يأتى لنا بماء عذب، من بئر، و كان أكثر مياه المدينة مالحة.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۰

فلم يلبثوا أن جاء أبو الهيثم بقربة يزعبها- أى: يملؤها- فوضعها، ثمّ جاء يلتزم النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم و يفدّيه بأبيه و أمّه.

ثم إن هذه المرأة تلقّتهم أحسن التلقّى، و أنزلتهم أكرم الإنزال، و فعلت ما يليق بذلك الجناب الأفخم، و الملاذ الأعظم.

و يؤخذ من ذلك حلّ تكليم الأجنبيّة، و سماع كلامها مع أمن الفتنة؛ و إن وقعت فيه مراجعة.

و يؤخذ منه جواز إذن المرأة فى دخول منزل زوجها؛ إذا علمت رضاه، و جواز دخول الضيف منزل الشخص، بإذن زوجته؛ مع علم رضاه، حيث لا خلوة محرّمة.

و يؤخذ منه حلّ استعذاب الماء، و جواز الميل إلى المستطاب طبعا من ماء و غيره و أن ذلك لا ينافى الزهد.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(فلم يلبثوا أن جاء أبو الهيثم) أى: فلم يمكثوا زمنا طويلا- إلى أن جاء أبو الهيثم، بل مكثوا يسيرا لقرب مجيئه لهم، و المعنى أنه لم يكن لهم انتظار كثير إلى مجيئه (بقربة) أى: متلبسا بقربة، و حاملا لها (يزعبها)- بتحتية مفتوحة، فزاى ساكنة، فمهملة، فموحّدة-؛ من زعب القربة كنفخ إذا ملأها فلذلك قال المصنف:

(أى: يملؤها) و قيل: حملها ممتلئة.

و يؤخذ منه أن خدمة الإنسان بنفسه لأهله، لا تنافى المروءة، بل هى من التواضع، و كمال الخلق،

(فوضعها) أى: القربة

(ثمّ جاء يلتزم النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم): يعانقه، و يلصق صدره به؛ تبركا به.

(و يفدّيه)- بضم ففتح فتشديد- (بأبيه و أمّه) أى: يقول: فداك أبى و أمى.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۱

ثمّ انطلق بهم إلى حديقته، فبسط لهم بساطا، ثمّ انطلق إلى نخلة فجاء بقنو فوضعه، فقال النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم: «أ فلا تنقّيت لنا من رطبه؟!»، فقال: يا رسول اللّه؛ إنّى أردت أن تختاروا (ثمّ انطلق بهم إلى حديقته) أى: ثمّ انطلق مصاحبا لهم إلى بستانه، فالباء للمصاحبة، و الحديقة: البستان، سمى بذلك! لأنهم فى الغالب يجعلون عليه حائطا؛ يحدق به، أى: يحيط به، يقال: أحدق القوم بالبلد، إذا أحاطوا به.

(فبسط لهم بساطا)- بكسر أوّله-؛ أى: مدّ لهم فراشا، و نشره للجلوس عليه، و هو فعال بمعنى مفعول، كفراش بمعنى مفروش.

(ثمّ انطلق إلى نخلة) من نخيله (فجاء بقنو)- بكسر القاف و سكون النون-؛ بوزن حمل،- أى: عذق، كما فى مسلم و هو: الغصن من النخلة المسمّى بالعرجون؛ فيه بسر و تمر و رطب؛ بمنزلة العنقود من الكرم. منتهى السؤل، اللحجى ج۲ ۲۱ الفصل الأول فى صفة عيشه صلى الله عليه و سلم و خبزه ..... ص : ۷

(فوضعه) أى: بين أيديهم، ليتفكّهوا منه قبل الطعام، لأن الابتداء بما يتفكّه من الحلاوة أولى، فإنّه مقوّ للمعدة لأنه أسرع هضما.

و قال القرطبى: إنما قدّم لهم هذا العرجون!! لأنّه الذى تيسر فورا، من غير كلفة، و لأن فيه أنواعا من التمر و البسر و الرطب.

(فقال النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم: «أ فلا- تنقّيت) من التنقّى، بمعنى التخيّر، أى: أ فلا- تخيرات؟ (لنا من رطبه») و تركت باقيه! حتى يترطّب فينتفعون به.

فالتنقّى: التخيّر، و التنقية: التنظيف، و الرّطب- بضم الراء و فتح الطّاء-:

تمر النّخل؛ إذا أدرك و نضج، الواحدة رطبة.

و هو نوعان: نوع لا يتتمّر، بل إذا تأخر أكله أسرع إليه الفساد، و نوع يتتمر؛ أى: يصير تمرا.

و يؤخذ من الحديث أنه ينبغى للمضيف أن يقدّم إلى الضيف أحسن ما عنده.

(فقال: يا رسول اللّه؛ إنّى أردت أن تختاروا) أى: تتخيروا أنتم بأنفسكم،

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۲

من رطبه و بسره. فأكلوا و شربوا من ذلك الماء.

فقال النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم: «هذا- و الّذى نفسى بيده- من النّعيم الّذى تسألون عنه يوم القيامة؛ ...

فتأخذوا الخير (من رطبه و بسره) أى: تارة من رطبه، و أخرى من بسره، بحسب اشتهاء الطبع، أو بحسب اختلاف الأمزجة فى الميل إلى أحدهما، أو إليهما جميعا.

(فأكلوا) أى من ذلك القنو، (و شربوا من ذلك الماء). زاد فى رواية مسلم: «حتى شبعوا»، و هو دليل على جواز الشبع، و محلّ كراهته فى الشبع المثقّل للمعدة، المبطّئ بصاحبه عن العبادة.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(فقال) أى: (النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم: «هذا) أى المقدّم لنا (و) اللّه (الّذى نفسى بيده) أى: بقدرته فيتصرّف فيها كيف يشاء، و وسّط القسم بين المبتدأ و الخبر!! لتأكيد الحكم (من النّعيم)؛ أى: التنعم (الّذى تسألون عنه)- بالبناء للمجهول-، و هذا ناظر لقوله عليه الصلاة و السلام فى موضع آخر: «حلالها حساب، و حرامها عقاب» (يوم القيامة)، ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨) [التكاثر] أى: عن القيام بحقّ شكره، أو تعداد النّعم و الامتنان بها، و إظهار الكرامة بإسباغها، لا سؤال تقريع و توبيخ و محاسبة.

و المراد أن كلّ أحد ليسأل عن نعيمه الذى كان فيه: هل ناله من حلّه و وجهه أم لا؟! فإذا خلص من هذا سئل: هل قام بواجب الشّكر، فاستعان به على الطّاعة أم لا؟. فالأول سؤال عن سبب استخراجه، و الثانى عن محل صرفه؛ ذكره ابن القيم.

و إنما ذكر صلّى اللّه عليه و سلم ذلك فى ذلك المقام!! إرشادا للآكلين و الشاربين، إلى حفظ أنفسهم فى الشبع من الغافلة؛ باشتغال أحدهم بحديقته، و نعيمه عن تدبّر الآخرة، و النعيم: كلّ ما يتنعّم به؛ أى: يستطاب و يتلذذ به.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۳

ظلّ بارد، و رطب طيّب، و ماء بارد».

فانطلق أبو الهيثم ليصنع لهم طعاما، فقال النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم: «لا تذبحنّ لنا ذات درّ»، فذبح لهم عناقا؛ أو جديا، ..

ثم عدد صلّى اللّه عليه و سلم أوجه النّعيم الذى هم فيه بقوله: (ظلّ بارد، و رطب طيّب، و ماء بارد»). و هو خبر لمبتدإ محذوف، و الجملة بيان لكون ذلك من النّعيم.

(فانطلق أبو الهيثم ليصنع لهم طعاما)؛ أى: مطبوخا، على ما هو معروف فى العرف العام؛ و إن كان قد يطلق الطّعام على الفاكهة لغة.

و بهذا الحديث استدلّ الشافعى على أن نحو الرطب فاكهة؛ لا طعام.

و قال أبو حنيفة: إنّ الرّطب و الرّمّان ليسا بفاكهة، بل الرطب غذاء، و الرمان دواء، و أما الفاكهة، فهو ما يتفكه به تلذّذا.

(فقال النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم: «لا تذبحنّ لنا) شاة (ذات درّ»)- بفتح الدال و تشديد الراء المهملتين- أى: لبن، و فى المستقبل بأن تكون حاملا.

و لعله صلّى اللّه عليه و سلم فهم من قرائن الأحوال أنّه أراد أن يذبح لهم شاة؛ فقال له ذلك، و هذا نهى إرشاد، و ملاطفة، لا كراهة فى مخالفته، فالمقصود الشفقة عليه؛ و على أهله، لأنهم ينتفعون باللبن مع حصول المقصود بغيرها.

و فى رواية مسلم: أنّه أخذ المدية، فقال له صلّى اللّه عليه و سلم: «إيّاك و الحلوب».

(فذبح لهم عناقا)- بفتح العين كسحاب-: أنثى المعز لها أربعة أشهر.

(أو) شك (جديا)- بفتح فسكون- كفلس: ذكر المعز ما لم يبلغ سنة، و هذا ليس من التكلف للضيف؛ المكروه عند السّلف، لأنّ محلّ الكراهة إذا شقّ ذلك على المضيف، و أما إذا لم يشقّ عليه! فهو مطلوب، لقوله صلّى اللّه عليه و سلم: «من كان يؤمن باللّه و اليوم الآخر فليكرم ضيفه» لا سيما هؤلاء الأضياف، الذين فيهم سيد ولد عدنان!! صلى اللّه عليه و سلم.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۴

فأتاهم بها فأكلوا.

فقال صلّى اللّه عليه و سلّم: «هل لك خادم؟»

قال: لا. قال: «فإذا أتانا سبى .. فأتنا».

فأتى صلّى اللّه عليه و سلّم برأسين ليس معهما ثالث، فأتاه أبو الهيثم، فقال النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم: «اختر منهما».

قال: يا رسول اللّه؛ اختر لى.

(فأتاهم بها) أى: بالعناق، و هذا ظاهر على الشق الأول من الشك.

(فأكلوا) أى: منها، و فى رواية: فشوى نصفه، و طبخ نصفه، و أتاهم به، فلما وضع بين يديه صلّى اللّه عليه و سلم أخذ من الجدى؛

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

فجعله فى رغيف، و قال للأنصارى:

«أبلغ بهذا فاطمة، لم تصب مثله منذ أيّام» فذهب به إليها.

(فقال): أى النّبى (صلى اللّه عليه و سلم) لما رآه يتولى خدمة بيته بنفسه، (: «هل لك خادم؟») يقع على الذكر و الأنثى، لإجرائه مجرى الأسماء غير المأخوذة من الأفعال؛ كحائض.

(قال: لا) أى: ليس لى خادم، (قال: «فإذا أتانا سبى)- بفتح السين المهملة فسكون الموحدة-؛ أى: سبى من الأسارى عبد أو جارية (فأتنا») لنعطيك خادما، مكافأة على إحسانك إلينا.

و فى هذا إشارة إلى كمال جوده و كرمه صلّى اللّه عليه و سلم (فأتى)- بصيغة المجهول- أى:

فجىء النبى (صلى اللّه عليه و سلم برأسين) أى: بأسيرين اثنين، (ليس معهما ثالث) تأكيدا لما قبله، (فأتاه أبو الهيثم) امتثالا لقوله صلّى اللّه عليه و سلم: «فأتنا».

(فقال النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم «اختر») واحدا (منهما».

قال)؛ أى أبو الهيثم: (يا رسول اللّه؛ اختر لى) أى: أنت، فإن اختيارك لى خير من اختيارى لنفسى، و هذا من كمال عقله، و حسن أدبه و فضله.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۵

فقال النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم: «إنّ المستشار مؤتمن، خذ هذا فإنّى رأيته يصلّى، ...

(فقال النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم: «إنّ المستشار مؤتمن»)- بصيغة المفعول-.

و هو حديث صحيح كاد أن يكون متواترا. ففى «الجامع الصغير» «المستشار مؤتمن» رواه الأربعة عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه، و الترمذى عن أم سلمة، و ابن ماجه عن ابن مسعود، و الطبرانىّ فى «الكبير» عن سمرة، و زاد: «إن شاء أشار، و إن شاء لم يشر».

و فى «الأوسط» عن علىّ كرّم اللّه وجهه؛ و زاد: «فإذا استشير فليشر بما هو صانع لنفسه».

ثمّ الاستشارة: استخراج الرأى، من قولهم شرت العسل إذا أخرجتها من خلاياها، و الاسم المشورة. و فيها لغتان: [مشورة] سكون الشّين و فتح الواو، و الثانية [مشورة] ضم الشين و سكون الواو، وزان معونة.

و معنى الحديث: أن من استشار ذا رأى فى أمر اشتبه عليه وجه صلاحه فقد ائتمنه و استشفى برأيه، فعليه أن يشير عليه بما يرى النّصح فيه، و لو أشار عليه بغيره! فقد خانه و يبتلى بخلل فى عقله.

و الحاصل: أن المستشار أمين فيما يسأل من الأمور، فلا ينبغى أن يخون المستشير بكتمان مصلحته، و امتناع نصيحته. و سيأتى الكلام على ذلك مطولا فى «الفصل الثالث»؛ من «الباب السابع فى جوامع كلمه صلّى اللّه عليه و سلم».

و إنما قال عليه الصلاة و السلام ذلك! إعلاما أو تعليما لأبى الهيثم («خذ هذا) إشارة إلى أحد الرأسين، (فإنّى) تعليل لاختياره (رأيته يصلّى).

و يؤخذ منه أنّه يستدل على خيريّة الإنسان بصلاته، قال تعالى إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ [۴۵/ العنكبوت].

و يؤخذ منه أيضا أنه ينبغى للمستشار أن يبيّن سبب إشارته بأحد الأمرين؛ ليكون أعون للمستشير على الامتثال.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۶

و استوص به معروفا». فانطلق أبو الهيثم إلى امرأته فأخبرها بقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم؛ فقالت امرأته: ما أنت ببالغ حقّ ما قال فيه النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم .. إلّا أن تعتقه. قال: فهو عتيق.

فقال صلّى اللّه عليه و سلّم: «إنّ اللّه لم يبعث نبيّا و لا خليفة ..

إلّا و له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف و تنهاه عن المنكر، ...

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و استوص به معروفا»)؛ أی: اقبل وصیتی به، و کافئه بالمعروف، ف «معروفا» لیس منصوبا ب «استوص»، بل مفعولا لمحذوف، أو افعل فی حقه معروفا؛ وصیهٔ منی، فهو منصوب ب «استوص» بتضمین «افعل».

(فانطلق أبو الهیثم) أی: فذهب به (إلی امرأته فأخبرها بقول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، فقالت امرأته: ما أنت) أی: لو صنعت ما صنعت من المعروف به ما أنت (ببالغ) أی: بواصل (حقّ ما قال فیه)؛ أی: فی حقه (النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم) أی من المعروف (إلّا أن تعتقه) أی: ما أنت ببالغ حق المعروف الذی وصّاک به النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم إلّا بعتقه، فلو فعلت به ما فعلت ما عدا العتق لم تبلغ ذلک المعروف؟.

(قال) أی: أبو الهیثم: (فهو) أی: فبسبب ما قلت الذی هو الحق؛ هو (عتیق) أی: معتوق؛ فعیل بمعنی مفعول، فتسبّبت فی عتقه لیحصل لها ثوابه، فقد صحّ فی الحدیث: «إنّ الدّالّ علی الخیر کفاعله».

(فقال) أی: فأخبره أبو الهیثم بمقالهٔ امرأته التی تسبّب عنها العتق؛ فقال (صلی اللّه علیه و سلم:

«إنّ اللّه لم یبعث نبیّا و لا خلیفهٔ)؛ فضلا عن غیرهما؛ (إلّا و له بطانتان)- بکسر أوله، تثنیهٔ بطانهٔ- و هو المحب الخالص للرجل؛ مستعار من بطانهٔ الثوب و هی خلاف الظّهارهٔ، و منه قوله تعالی یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِکُمْ [۱۱۸/ آل عمران]. و بطانهٔ الرجل: صاحب سره، الذی یستشیره فی أموره، و یطلعه علی خفایا أحواله؛ ثقهٔ به.

(بطانهٔ تأمره بالمعروف و تنهاه عن المنکر)، یعلم منه أن بطانهٔ الخیر لا تکتفی

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۲۷

و بطانهٔ لا تألوه خبالا، و من یوق بطانهٔ السّوء فقد وقی، و المعصوم من عصمه اللّه تعالی».

بالسکوت، بل لا بد من الأمر بالمعروف و الحثّ علیه، و النّهی عن المنکر و الزجر عنه، و قد علم أن زوجهٔ أبی الهیثم من هذا القسم الّذی یأمر بالمعروف، و ینهی عن المنکر، فهی بطانهٔ خیر.

(و بطانهٔ لا تألوه) أی: لا تمنعه (خبالا)- بخاء معجمهٔ، فموحدهٔ مفتوحتین-: أی: فسادا، أی: لا تقصر فی فساد حاله و لا تمنعه منه.

فالألو: التقصیر، و قد تضمن معنی المنع فلذلک تعدّی إلی مفعولین.

و عبّر هنا بهذا!! تنبیها علی أن بطانهٔ السوء یکفی فیها السکوت علی الشر، و عدم النّهی عن الفساد. و هذا ظاهر فی الخلیفهٔ، و لا یجیء فی الأنبیاء.

فالمراد ببطانهٔ الخیر فی حق النبی الملک، و ببطانهٔ السّوء الشیطان، بل هذا عامّ فی کلّ أحد کما یصرح به قوله صلّی اللّه علیه و سلم: «ما منکم من أحد، إلّا و قد وکّل به قرینه من الجنّ، و قرینه من الملائکهٔ» قالوا: و إیاک؛ یا رسول اللّه؟ قال: «و إیّای إلّا أنّ اللّه أعاننی علیه فأسلم، فلا یأمرنی إلّا بخیر».

(و من یوق)- بصیغهٔ المجهول-؛ من وقی یقی- أی یحفظ (بطانهٔ السّوء)- بفتح السین، و یجوز ضمّه، ففیه لغتان؛ قرئ بهما فی السبع «۱»، کما فی الکره و الضّعف، إلا أن المفتوحهٔ غلبت فی أن یضاف إلیها ما یراد ذمّه من کلّ شیء.

(فقد وقی) ماض مجهول، أی: من یحفظ من بطانهٔ السوء و أتباعها فقد حفظ من الفساد، أی من جمیع الأسواء و المکاره؛ فی الدنیا و الآخرهٔ.

و جاء فی روایهٔ: (و المعصوم من عصمه اللّه تعالی») و فیه الإحسان للضیف بالفعل إن وجد، و إلّا فالوعد، و أنه لا بأس أن یطالبه بما وعد به؛ و تخییر الموعود

---

(۱) قرأ ابن کثیر المکی و أبو عمرو البصری: بضمّ السین. و قرأ الباقون: بفتحها.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۲۸

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و عن عتبة بن غزوان رضى اللّه تعالى عنه ...

له حين الوفاء بين أشياء متعدّدة؛ زيادة فى إكرامه و تأكّد النّصح لا سيما للمستشير، و الوصيّة بالضّعفاء، و جواز مشى الصّاحب إلى صاحبه الموسر من غير طلب و غير ذلك.

(و) أخرج مسلم و التّرمذى و غيرهما (عن عتبة)- بضمّ العين المهملة، و إسكان المثناة الفوقية، و موحدة- (بن غزوان)- بفتح المعجمة و سكون الزاى- ابن جابر بن وهب المازنى «حليف بنى عبد شمس؛ أو بنى نوفل».

من السابقين الأولين، و هاجر إلى الحبشة، ثم رجع مهاجرا إلى المدينة.

و شهد بدرا و ما بعدها، و روى له مسلم و أصحاب السنن، و ولاه عمر فى الفتوح؛ فاختط البصرة و فتح فتوحا، و كان طوالا جميلا.

قال ابن سعد و غيره: قدم على عمر يستعفيه من الإمارة فأبى، فرجع فى الطريق ب «معدن بنى سليم» فدعا اللّه فمات سنة:- ١٧- سبع عشرة، و قيل: ستّ و عشرين، و قيل قبل ذلك. و عاش سبعا و خمسين- ٥٧- سنة (رضى اللّه تعالى عنه).

لمّا بعثه عمر بن الخطاب و قال: انطلق أنت و من معك حتى إذا كنتم فى أقصى بلاد العرب، و أدنى بلاد العجم- أى: للمرابطة هنالك لحفظ بلاد العرب من العجم-.

فأقبلوا، حتى إذا كان بالمربد، وجدوا هذا الكذّان؛ فقالوا: ما هذه؟ قال بعضهم: هذه البصرة، فساروا حتى بلغوا حيال الجسر الصغير، فقالوا: هاهنا أمرتم.

فنزلوا، و لما حلّوا هناك استمد عتبة من بعض الدهاقين من أهل خوزستان، فجاؤوا فوافوا ضعفه و قلة رجاله؛ و كان معه ثلاثمائة رجل فنقضوا العهد و قاتلوه، فنصره اللّه عليهم.

ثم شرع عتبة فى بناء البصرة لمشقّة الإقامة من غير بناء.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٢٩

قال: لقد رأيتنى و إنّى لسابع سبعة مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، ما لنا طعام إلّا ورق الشّجر، حتّى تقرّحت أشداقنا، فالتقطت بردة فقسمتها بينى و بين سعد بن مالك؛ فاتّزرت بنصفها و أتزر سعد بنصفها، ...

(قال) أى عتبة (: لقد رأيتنى) أى: و اللّه لقد أبصرت نفسى (و إنّى)- بكسر الهمزة- أى: و الحال أنّى (لسابع سبعة) أى: فى الإسلام (مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم)، لأنه أسلم مع ستة فصار متمّما لهم سبعة، فهو من السّابقين الأولين.

و اعلم أن سابع و نحوه له استعمالان:

أحدهما: أن يضاف إلى العدد الذى أخذ منه؛ فيقال «سابع سبعة» كما هنا، و هو حينئذ بمعنى الواحد من السبعة، و مثله فى التنزيل ثانِيَ اثْنَيْنِ [التوبة: ٤٠].

و ثانيهما: أن يضاف إلى العدد الذى أخذ منه؛ فيقال «سابع ستة» و هو حينئذ بمعنى مصيّر الستة سبعة.

(ما لنا طعام إلّا ورق الشّجر) بالرفع على البدل، جعله طعاما لقيامه مقام الطّعام فى حقّهم (حتّى تقرّحت)- بالقاف و تشديد الرّاء بعدها حاء مهملة- (أشداقنا) جمع شدق- بالكسر- و هو جانب الفم، أى: ظهر فى جوانب أفواهنا قروح من خشونة ذلك الورق و حرارته.

(فالتقطت بردة) أى: عثرت عليها بغير قصد و طلب، و البردة: شملة مخطّطة، أو كساء أسود مربّع فيه خطوط يلبسه الأعراب، و اللّقط أخذ الشىء من الأرض، و قيل: أخذ الشىء بغير طلب.

(فقسمتها)- بتخفيف السين؛ و يجوز تشديدها- (بينى و بين سعد بن مالك) هو سعد بن أبى وقّاص القرشى الزّهرى المكّى المدنى، أحد العشرة الذين شهد لهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم بالجنّة، و توفى و هو عنهم راض،- و قد مرت ترجمته، و ترجمة ولده عامر-.

(فاتّزرت بنصفها و أتزر سعد بنصفها) دليل لضيق عيشهم؛ و عيش

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۳۰
فما منّا من أولئك السّبعة أحد .. إلّا و هو أمير مصر من الأمصار، و ستجرّبون الأمراء بعدنا.
المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم، و ذلك أنّ أهل المدينة كانوا فى شظف من العيش، عند ما قدم عليهم المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم مع المهاجرين، و كان المهاجرون فرّوا بدينهم، و تركوا أموالهم و ديارهم، فقدموا فقراء على أهل شدّة و حاجة، مع أن الأنصار واسوهم، و أشركوهم فيما بيدهم، غير أن ذلك ما سدّ خلّتهم و لا دفع فاقتهم، مع إيثارهم الضراء على السراء؛ و الفقر على الغنى، و لم يزل ذلك دأبهم حتى فتح عليهم الفتوح كخيبر و غيرها، و مع ذلك لم يزل عيشهم شديدا، و جهدهم جهيدا، حتى لقوا اللّه صابرين على شدّة العيش؛ معرضين عن الدنيا و زهرتها و لذّتها، مقبلين على الآخرة و نعيمها، فحماهم اللّه ما رغبوا عنه، و أوصلهم إلى ما رغبوا فيه، حشرنا اللّه فى زمرتهم. آمين.
(فما منّا من أولئك السّبعة أحد؛ إلّا و هو أمير مصر) بالتنوين (من الأمصار)، و هذا جزاء الأبرار فى هذه الدار، و هو خير و أبقى فى دار القرار.
(و ستجرّبون الأمراء بعدنا!) إخبار بأن من بعدهم من الأمراء، ليسوا مثل الصّحابة فى العدالة و الديانة و الإعراض عن الدنيا الدنية و الأغراض النفسية، و كان الأمر كذلك. فهو من الكرامات بالخبر عن الأمور الغيبية، و ذلك لأنهم رأوا منه صلّى اللّه عليه و سلم ما كان سببا لرياضتهم و مجاهدتهم و تقلّلهم فى أمر معيشتهم، فمضوا بعده على ذلك و استمروا على ما هنالك، و أما غيرهم ممن بعدهم! فليسوا كذلك، فلا يكونون إلا على قضية طباعهم المجبولة على الأخلاق القبيحة، فلا يستقيمون مع الحق على الصدق، و لا مع الخلق على حسن الخلق.
و هذا الّذى ذكره المصنف بعض من خطبة عتبة بن غزوان العظيمة التى رواها مسلم فى أواخر «صحيحه».
و رواها الترمذى فى «جامعه» و «شمائله»؛ مقتصرا منها على ما ذكره المصنف هنا.
منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۳۱
و عن أنس رضى اللّه تعالى عنه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «لقد أخفت فى اللّه و ما يخاف أحد، ...
و رواها النسائى فى «الرقاق»، و ابن ماجه فى «الزهد» مختصرة.
و ذكرها الإمام النووى فى «رياض الصالحين» منقولة عن «صحيح مسلم» و لفظها- كما فى مسلم-: عن خالد بن عمير العدوى قال: خطبنا عتبة بن غزوان فحمد اللّه و أثنى عليه ثم قال: أما بعد؛ فإن الدنيا قد آذنت بصرم و ولّت حذّاء، و لم يبق منها إلّا صبابة كصبابة الإناء يتصابّها صاحبها، و إنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم، فإنه قد ذكر لنا أنّ الحجر يلقى من شقّة جهنّم، فيهوى فيها سبعين عاما لا يدرك لها قعرا، و و اللّه لتملأنّ. أ فعجبتم؟! و لقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة، و ليأتين عليها يوم و هو كظيظ من الزّحام!.
و لقد رأيتنى سابع سبعة مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم؛ ما لنا طعام إلّا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا، فالتقطت بردة فشققتها بينى و بين سعد بن مالك، فاتّزرت بنصفها و اتّزر سعد بنصفها؛ فما أصبح اليوم منا أحد إلّا أصبح أميرا على مصر من الأمصار، و إنى أعوذ باللّه أن أكون فى نفسى عظيما؛ و عند اللّه صغيرا، و إنّها لم تكن نبوّة إلا تناسخت حتى يكون آخر عاقبتها ملكا، فستخبرون و تجرّبون الأمراء بعدنا. انتهى.
(و) روى الإمام أحمد، و الترمذى فى «الزهد» من «جامعه» و فى «شمائله»- و قال: حسن صحيح- و صححه ابن حبان، و رواه ابن ماجه أيضا:
كلهم (عن أنس) بن مالك (رضى اللّه تعالى عنه؛ قال:
قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم «لقد أخفت)- ماض مجهول؛ من الإخافة- (فى) إظهار دين (اللّه) أى: أخافنى المشركون

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

بالتهدید و الإیذاء الشدید، فی أمر اللّه؛ أو للّه، کما فی حدیث «دخلت امرأة النّار فی هرّة»؛ أی: بهرة

(و ما یخاف)- بضمّ أوّله- أی: و الحال أنّه لا یخاف (أحد) غیری مثل

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۳۲

و لقد أوذیت فی اللّه و ما یؤذی أحد، و لقد أتت علیّ ثلاثون من بین لیلة و یوم ما لی و لبلال طعام یأکله ذو کبد إلّا شیء یواریه إبط بلال».

ما أخفت، لأنهم فی حال الأمن، و کنت وحیدا فی إظهار دینی، و لم یکن أحد یوافقنی فی تحمل أذیّة الکفار، أو هو دعاء، أی: حفظ اللّه المسلمین عن الإخافة، أو مبالغة فی الإخافة، و ذلک معروف لغة، یقال: لی بلیّة لا یبلی بها أحد.

(و لقد أوذیت)- ماض مجهول؛ من الإیذاء- (فی اللّه) بقولهم ساحر، شاعر، مجنون، و غیر ذلک، (و ما یؤذی أحد) غیری بشیء من ذلک، بل کنت المخصوص بالإیذاء، لنهیی إیّاهم عن عبادة الأوثان، و أمری لهم بعبادة الرحمن.

و قال ابن القیّم: قوله فی کثیر من الأحادیث «فی اللّه» یحتمل معنیین:

أحدهما أن ذلک فی مرضاة اللّه و طاعته، و هذا فیما یصیبه باختیاره.

و الثانی: أنّه بسببه و من جهته حصل ذلک، و هذا فیما یصیبه بغیر اختیاره، و غالب ما یجیء من الثانی، و لیست «فی» للظرفیة، و لا لمجرّد السببیة؛ و إن کانت السببیة أصلها.

أ لا تری إلی خبر: «دخلت النّار امرأة فی هرّة»، فإن فیه معنی زائدا علی السببیة، فقولک «فعلت کذا فی مرضاتک» فیه معنی زائد علی فعلته لرضاک. و إن قلت: أوذیت فی اللّه لا تقوم مقامه بسببه. انتهی.

(و لقد أتت) أی: مرّت، و مضت (علیّ)- بتشدید الیاء- (ثلاثون من بین لیلة و یوم) أی: ثلاثون متوالیات غیر متفرقات لا ینقص منها شیء.

قال الطیبی: و هو للتأکید الشمولی. و وجه إفادة الشّمول أنّه یفید أنه لم یتکلم بالتسامح و التساهل، بل ضبط أول الثلاثین و آخرها، و أحصی أیامها و لیالیها.

(ما لی و لبلال طعام یأکله ذو کبد)؛ أی: حیوان عاقل أو دابة (إلّا شیء) أی: قلیل، و لقلّته جدّا کان (یواریه)؛ أی: یستره (إبط بلال»)- بالکسر-:

ما تحت الجناح یذکّر و یؤنّث، یعنی کان ذلک الوقت بلال رفیقی، و لم یکن لنا من

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۳۳

قال المصنّف فی «جامعه»: معنی هذا الحدیث: أنّه إنّما کان مع بلال حین خرج النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم من مکّة هاربا؛ و مع بلال من الطّعام ما یواریه تحت إبطه.

و عن أنس أیضا: أنّ النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم لم یجتمع عنده غداء و لا عشاء من خبز و لحم إلّا علی ضفف.

و (الضّفف): کثرة أیدی الأضیاف.

الطّعام إلّا شیء قلیل بقدر ما یأخذه بلال تحت إبطه، و لم یکن لنا ظرف نضع الطعام فیه؛ کنایة عن کمال القلّة.

(قال المصنّف) یعنی الترمذی (فی «جامعه»):

الذی قیل فیه: من کان عنده «جامع» الترمذی؛ فکأنما فی بیته نبی یتکلّم

(معنی هذا الحدیث: أنّه إنّما کان مع بلال حین خرج النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم من مکّة هاربا؛ و مع بلال من الطّعام ما یواریه تحت إبطه) و اعترضه العصام؛ بأن بلالا لم یکن معه حین الهجرة.

و ردّ بأن الترمذی لم یرد خروجه مهاجرا، بل خروجه قبل الهجرة إلی الطائف و غیره.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و) أخرج الترمذى فى «الشمائل» (عن أنس أيضا) رضى اللّه تعالى عنه (أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم لم يجتمع عنده غداء)- بفتح المعجمة فمهملة- و هو الذى يؤكل أوّل النّهار، و يسمّى السّحور غداء، لأنه بمنزلة غداء المفطر. (و لا عشاء)- بفتح العين المهملة- هو: ما يؤكل آخر النهار (من خبز و لحم)؛ أى: من هذين الجنسين (إلّا على ضفف)- بفتح الضاد المعجمة و الفاء الأولى- أى: حال نادر و هو تناوله مع الضيف.

(و) قال المصنف كما فى «الشمائل» نقلا عن بعضهم:

(الضّفف)- ك: فرس- (: كثرة أيدى الأضياف). و هذا المعنى هو المراد

منتهى السؤل، اللحجى ،ج ٢،ص:٣۴

فكان صلّى اللّه عليه و سلّم لا يجتمع عنده الخبز و اللّحم فى الغداء و العشاء؛ إلّا إذا كان عنده الأضياف فيجمعهما لأجلهم.

و عن نوفل بن إياس الهذلىّ قال: كان عبد الرّحمن ابن عوف هنا، و إن كان الضّفف له معان أخر أكثرها لا يناسب هنا.

و فى «النهاية»: الضفف الضيق و الشدّة، و منه ما يشبع منها إلّا عن ضيق و قلة.

و قيل: هو اجتماع النّاس، أى: لم يأكلهما وحده؛ و لكن مع النّاس.

و قيل: الضّفف أن تكون الأكلة أكثر من مقدار الطّعام، و الحفف أن يكونوا بمقداره. انتهى.

قال الباجورى فى «حاشية الشمائل»: (فكان صلّى اللّه عليه و سلم لا يجتمع عنده الخبز و اللّحم فى الغداء و العشاء؛ إلّا إذا كان عنده الأضياف فيجمعهما) و لو يتكلف (لأجلهم).

(و) أخرج الترمذى فى «الشمائل» (عن نوفل)- بفتح الفاء- (بن إياس)- بكسر الهمزة- (الهذلىّ)- بضمّ الهاء و فتح الذال المعجمة- المدنى، يروى عن عبد الرحمن بن عوف، و عنه مسلم بن جندب؛ وثّقه ابن حبّان. (قال:

كان) أبو محمد (عبد الرّحمن بن عوف) القرشى الزهرى المدنى، أحد الثّمانية السّابقين إلى الإسلام، و أحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبى بكر، و أحد العشرة الذين شهد لهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم بالجنة، و أحد الستة الّذين هم أهل الشّورى.

و كان من المهاجرين الأولين، و هاجر الهجرتين إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، و آخى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم بينه و بين سعد بن الربيع.

و شهد مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم بدرا، و أحدا، و الخندق، و بيعة الرضوان، و سائر المشاهد.

و من مناقبه التى لا توجد لغيره من الناس أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم صلّى وراءه فى غزوة تبوك!! حين أدركه و قد صلى بالنّاس ركعة، و حديثه هذا فى «صحيح مسلم» و غيره.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج ٢،ص:٣۵

رضى اللّه تعالى عنه لنا جليسا، و كان نعم الجليس، و إنّه انقلب بنا ذات يوم حتّى إذا دخلنا بيته .. دخل فاغتسل، ثمّ خرج و أتينا بصحفة فيها خبز و لحم، فلمّا وضعت .. بكى عبد الرّحمن.

فقلت: يا أبا محمّد؛ ما يبكيك؟.

قال بعضهم:

و لم يصلّ المصطفى خلف أحدإلّا ابن عوف فله الفضل أبد روى له عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم خمسة و ستون حديثا؛ اتفقا منها على حديثين، و انفرد البخارى بخمسة. و توفى سنة:- ٣٢- اثنتين و ثلاثين. و قيل: إحدى و ثلاثين. و عمره اثنان و سبعون سنة، و دفن بالبقيع (رضى اللّه تعالى عنه

لنا جليسا) أى: مجالسا؛ (و كان) مقولا فى حقه: (نعم الجليس) هو، (و إنّه) بكسر الهمزة (انقلب) أى: رجع (بنا)؛ أى: انقلب معنا من السوق، أو غيرها فالباء بمعنى «مع»، و يحتمل أنها للتعدية؛ أى: قلبنا و ردّنا من الجهة الّتى كنّا ذاهبين إليها إلى بيته (ذات يوم)؛ أى:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

ساعة ذات يوم؛ أى: فى ساعة من يوم، و يحتمل أن «ذات» مقحمة، و المعنى: فى يوم.

(حتّى إذا دخلنا بيته دخل) يغتسل (فاغتسل) لكونه محتاجا للغسل، و لم يكن ليأكل طعاما بدون الغسل؛ لأنه خلاف الكمال، و هذا من مؤكّدات أنّه «نعم الجليس».

(ثمّ خرج) أى: من مغتسله إلينا، (و أتينا)- بالبناء للمجهول- أى: أتانا غلامه أو خادمه (بصحفة) هى إناء كالقصعة، و قيل: إناء مبسوط كالصّحيفة؛ (فيها) أى: فى تلك الصّحفة (خبز و لحم، فلمّا وضعت)؛ أى: الصّحفة الّتى فيها خبز و لحم (بكى عبد الرّحمن) بن عوف؛ خوفا مما يترتب على السّعة فى الدّنيا.

(فقلت) له (: يا أبا محمّد) هذه كنية عبد الرحمن (ما يبكيك؟) أى أىّ شىء يجعلك باكيا؟.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٣٦

فقال: توفّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و لم يشبع هو و أهل بيته من خبز الشّعير، فلا أرانا أخّرنا لما هو خير لنا.

و عن أنس رضى اللّه تعالى عنه: أنّه أتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بتمر؛ فرأيته يأكل و هو مقع من الجوع.

و معنى (الإقعاء): التّساند إلى وراء.

(فقال: توفّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و لم يشبع) أى يومين متواليين!! فى خبر عائشة رضى اللّه تعالى عنها (هو و أهل بيته من خبز الشّعير).

و فى رواية عن أبى هريرة أنه قال: خرج النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم من الدّنيا؛ و لم يشبع من خبز الشّعير» رواه البخارى. و لعل ما فى الصّحفة كان مشبعا لهم؛ فلذلك بكى.

(فلا أرانا)- بضمّ الهمزة- أى: لا أظنّنا (أخّرنا)- بصيغة المجهول- أى:

أبقينا بعده موسّعا علينا و قد ضيّق عليه (لما هو خير لنا!)، لأنّه إذا كان خير النّاس حاله كذلك؛ فما صرنا إليه من السّعة يخاف عاقبته، و من ثمّ كان الصدر الأول يخافون على من هو كذلك أنّه إنّما عجّلت له طيباته فى حياته الدنيا.

(و) أخرج الترمذى فى «الشمائل» (عن أنس رضى اللّه تعالى عنه؛ أنّه أتى) أى: جىء. و لفظ «الشمائل»: حدثنا أحمد بن منيع قال: حدثنا الفضل بن دكين قال: حدثنا مصعب بن سليم قال: سمعت أنس بن مالك رضى اللّه تعالى عنه يقول: أتى (رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم [بتمر فرأيته يأكل]) حال من مفعول «رأيت»؛ (و هو مقع)؛ أى: متساند إلى ما وراءه (من) الضّعف الحاصل له بسبب (الجوع)، فلذلك قال المصنف:

(و معنى الإقعاء) هنا (: التّساند إلى وراء) و جملة «و هو مقع» حال من فاعل «يأكل».

و فى «القاموس»: أقعى فى جلوسه تساند إلى ما وراءه، و ليس فى هذا

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٣٧

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم لا يأخذ ممّا آتاه اللّه تعالى إلّا قوت عامه فقط، من أيسر ما يجد من التّمر و الشّعير، و يضع سائر ذلك فى سبيل اللّه عزّ و جلّ.

و روى البخارىّ و مسلم: ...

ما يفيد أن الاستناد من آداب الأكل، لأنّه إنّما فعله لضرورة الضعف، و ليس المراد بالإقعاء هنا النّوع المسنون فى الجلوس بين السجدتين؛ و هو أن يبسط ساقيه و يجلس على عقبيه، و لا النّوع المكروه فى الصّلاة؛ و هو أن يجلس على أليتيه ناصبا ساقيه. قاله الباجورى كالمناوى.

(و) فى «الإحياء»: (كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم لا يأخذ ممّا آتاه اللّه تعالى إلّا قوت عامه فقط؛ من أيسر ما يجد من التّمر و الشّعير، و يضع سائر ذلك فى سبيل اللّه عزّ و جلّ)

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

قال العراقی: متفق علیه، بنحوه من حدیث عمر بن الخطاب، و قد تقدّم فی «الزّکاة»، و قال فی «الزّکاة»: أخرجاه من حدیث عمر: کان یعزل نفقة أهله سنة.

و للطبرانی فی «الأوسط» من حدیث أنس: کان إذا ادّخر لأهله قوت سنة تصدّق بما بقی. قال الذّهبی: حدیث منکر. انتهی.

قلت: و فی حدیث عمر بن الخطاب و مخاصمة علی بن أبی طالب و العباس فی أموال بنی النضیر ما نصه: قال: فإنّی سأخبرکم عن هذا الفیء. ثم ساق، و فیه:

و لقد قسّمها بینکم و بثّها فیکم حتّی بقی منها هذا المال، فکان ینفق منه علی أهله رزق سنة، ثمّ یجمع ما بقی منه مجمع مال اللّه عزّ و جلّ .. الحدیث.

و فی روایة: و کان ینفق منها علی أهله ... فهذا یؤیّد ما أخرجه الطبرانی.

فتأمل. انتهی. «شرح الإحیاء».

(و روی) الإمام أبو عبد اللّه محمد بن إسماعیل (البخاریّ)- و قد تقدمت ترجمته- (و) الإمام أبو الحسین (مسلم) بن الحجّاج القشیری النیسابوری فی

أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم کان یعزل نفقة أهله سنة.

و عن عائشة رضی اللّه تعالی عنها قالت: ما رفع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم غداء لعشاء، و لا عشاء لغداء.

و روی التّرمذیّ عن أنس: أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم کان لا یدّخر شیئا لغد.

«صحیحیهما»؛ من حدیث عمر بن الخطاب رضی اللّه تعالی عنه کما تقدم آنفا (أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم کان یعزل نفقة أهله سنة).

و لا تعارض بینه و بین ما روی عنه أنه صلّی اللّه علیه و سلم کان لا یدّخر قوت غد، کما سیأتی فإنّ معناه لا یدخر لنفسه، و أمّا لعیاله فقد کان یدخر لهم قوت سنة، علی أنّه مع ذلک کان تنوبه أشیاء یخرج فیها ما ادّخره لهم، فلا تنافی بین ادخاره و مضی الزمن الطویل علیه؛ و لیس عنده شیء له و لا لهم. انتهی (شرح «الإحیاء»).

(و عن عائشة رضی اللّه تعالی عنها؛ قالت: ما رفع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم غداء لعشاء، و لا عشاء لغداء) لمزید ثقته بربّه.

(و روی) الإمام الحافظ أبو عیسی محمد بن عیسی بن سورة (التّرمذیّ) فی «جامعه» فی «کتاب الزهد»؛ من حدیث قطن بن بشیر عن جعفر بن سلیمان عن ثابت (عن أنس) رضی اللّه تعالی عنه (أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم کان لا یدّخر شیئا لغد) أی: لا یدّخره ملکا؛ بل تملیکا، فلا ینافی أنه ادّخر قوت سنة لعیاله، فإنّه کان خازنا، فلما وقع المال بیده قسم لعیاله؛ کما قسم لغیرهم، فإن لهم حقّا فی الفیء.

قال بعض الصوفیة: و لا بأس بادخار القوت لأمثالنا، لأن النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت.

و حقق بعضهم فقال: من کانت نفسه مطمئنة بربّها کانت عیناه و سکونه إلیه،

و کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم إذا تغدّی .. لم یتعشّ، و إذا تعشّی .. لم یتغدّ.

قال القسطلانیّ فی «المواهب اللّدنّیّة»: (قد استشکل کونه علیه الصّلاة و السّلام و أصحابه کانوا یطوون الأیّام جوعا؛ مع ما ثبت: فلا یلتفت لذلک. انتهی «عزیزی». قال الشیخ: حدیث صحیح. انتهی «منه».

(و) أخرج أبو نعیم فی «الحلیة» بإسناد ضعیف؛ عن أبی سعید الخدری رضی اللّه تعالی عنه قال:

(کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم إذا تغدّی)- بالدال المهملة- بدلیل مقابلته بالعشاء، إذ هو بالذال المعجمة شامل للغداء و العشاء،

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و الغداء- بالمهملة-: من طلوع الشمس إلى الزوال، و بعد الزوال يسمّى عشاء؛ قاله الحفنى على «الجامع الصغير».

(لم يتعشّ، و إذا تعشّى لم يتغدّ) أى: لا يأكل فى يوم مرتين؛ تنزّها عن الدنيا، و تقوّيا على العبادة، و تقديما للمحتاج على نفسه.

و فى قلة الأكل فوائد. منها: رقة القلب، و قوة الفهم و الإدراك، و صحّة البدن و دفع الأمراض؛ فإن سببها كثرة الأكل.

و منها: خفّة المئونة، فإن من تعوّد قلّة الأكل كفاه من المال قدر يسير.

و منها: التمكّن من التصدق بما فضل من الأطعمة على الفقراء و المساكين. و ليس للعبد من ماله إلّا ما تصدق فأبقى أو أكل فأفنى أو لبس فأبلى. انتهى «عزيزى».

(قال) العلامة الحافظ شهاب الدين: أبو العباس أحمد بن محمد (القسطلانىّ) رحمه اللّه تعالى (فى) كتاب («المواهب اللّدنّيّة»)؛ فى النّوع الأول من «الفصل الثالث»، الكائن فى المقصد الثالث:

(قد استشكل كونه عليه الصّلاة و السّلام و) كون (أصحابه)- فهو بالجر؛ عطفا على الضمير، و يجوز نصبه مفعولا معه- (كانوا يطوون الأيّام جوعا؛ مع ما ثبت:

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۰

أنّه كان يرفع لأهله قوت سنة. و أنّه قسم بين أربعة أنفس من أصحابه ألف بعير ممّا أفاء اللّه عليه. و أنّه ساق فى عمرته مائة بدنة؛ فنحرها و أطعمها المساكين. و أنّه أمر لأعرابىّ بقطيع من الغنم ..

و غير ذلك. مع من كان معه من أصحاب الأموال؛ كأبى بكر و عمر و عثمان و طلحة و غيرهم، مع بذلهم أنفسهم و أموالهم بين يديه.

و قد أمر بالصّدقة فجاء أبو بكر بجميع ماله، و عمر بنصفه.

و حثّ على تجهيز جيش العسرة؛ فجهّزهم عثمان بألف بعير ...

إلى غير ذلك؟. و أجاب عنه الطّبرىّ ...

۱- أنّه كان يرفع) أى يدّخر (لأهله قوت سنة) و سماه «رفعا» تجوّزا.

(و ۲- أنّه قسم بين أربعة أنفس من أصحابه ألف بعير ممّا أفاء اللّه عليه.

و ۳- أنّه ساق فى عمرته مائة بدنة؛ فنحرها و أطعمها المساكين.

و ۴- أنّه أمر لأعرابىّ بقطيع من الغنم ... و غير ذلك)؛ كإعطائه جماعة كثيرة من أموال خيبر، و فدك، و قريظة، و النضير، و كانت خالصة له!!

(مع) وجود (من كان معه من أصحاب الأموال؛ كأبى بكر و عمر و عثمان و طلحة) بن عبيد اللّه (و غيرهم)؛ كالزبير، و عبد الرحمن بن عوف، و سعد بن عبادة (مع بذلهم أنفسهم و أموالهم بين يديه!

و قد أمر بالصّدقة فجاء أبو بكر بجميع ماله)؛ و قال: أبقيت اللّه و رسوله لعيالى.

(و) جاء (عمر بنصفه، و حثّ على تجهيز جيش العسرة) [فى] غزوة تبوك، حين أراد السير إليها (فجهّزهم عثمان بألف بعير)، و جاء بعشرة آلاف درهم، إلى النّبى صلّى اللّه عليه و سلم فوضعها بين يديه (إلى غير ذلك!؟

و أجاب عنه) أى: عن هذا الإشكال؟! الإمام البارع فى أنواع العلوم:

أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب (الطّبرىّ).

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۱

- كما حكاه فى «فتح البارى»-: بأنّ ذلك كان منهم فى حالة دون حالة؛ لا لعوز ...

كان أحد أئمة الدنيا يحكم بقوله، و يرجع إلى رأيه لمعرفته و فضله.

و كان قد جمع من العلوم؛ ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و كان حافظا لكتاب اللّه تعالى؛ عارفا بالقراءات؛ بصيرا بالمعانى، فقيها فى أحكام القرآن، عالما بالسنن و طرقها؛ صحيحها و سقيمها، ناسخها و منسوخها، عارفا بأقوال الصحابة و التابعين فمن بعدهم فى الأحكام، عارفا بأيام الناس و أخبارهم.

قال محمد بن إسحاق بن خزيمة: ما أعلم تحت أديم السّماء أعلم من محمد بن جرير. و تفرّد بمسائل حفظت عنه.

قال الرافعى: تفرّد ابن جرير لا يعدّ وجها فى مذهبنا؛ و إن كان معدودا من طبقات أصحاب الشافعى!! و أخذ فقه الشافعى عن الربيع المرادى، و الحسن الزعفرانىّ.

و هو فى طبقة الترمذى و النّسائى، سمع أحمد بن منيع، و أبا كريب:

محمد بن العلاء، و محمد بن المثنى و غيرهم من شيوخ البخارى و مسلم.

و حدّث عنه خلائق؛ منهم أحمد بن كامل و مخلد بن جعفر،

و توفى ابن جرير وقت المغرب؛ ليلة الاثنين ليومين بقيا من شهر شوال، سنة:- ٣١٠- عشر و ثلاثمائة هجرية. و دفن ضحوة يوم الاثنين فى داره، و كان مولده فى آخر سنة- ٢٢٤- أربع- أو أول سنة:- ٢٢٥- خمس- و عشرين و مائتين. فعمره يقارب: خمسا و ثمانين- ٨٥- سنة رحمه اللّه تعالى. آمين.

(كما حكاه) أى الحافظ الحجة شهاب الملة و الدين: أحمد بن على بن حجر العسقلانى رحمه اللّه تعالى (فى «فتح البارى») شرح «صحيح البخارى» (بأنّ ذلك كان منهم فى حالة دون حالة؛ لا لعوز)- بفتح العين المهملة، و فتح الواو

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٤٢

و ضيق، بل تارة للإيثار، و تارة لكراهة الشّبع و كثرة الأكل.

قال الحافظ ابن حجر: و الحقّ أنّ الكثير منهم كانوا فى حال ضيق قبل الهجرة حيث كانوا بمكّة، ثمّ لمّا هاجروا إلى المدينة كان أكثرهم كذلك، فواساهم الأنصار بالمنازل ...

و إسكانها-؛ يقال عوز؛ من باب تعب: عزّ فلم يوجد؛ و عزت الشّىء أعوزه؛ من باب قال: احتجت إليه فلم أجده، كما فى «المصباح». فإن أخذ من الأول فتحت الواو، أى لا لعدم وجدان، أو من الثانى سكّنت؛ أى لا للاحتياج (و ضيق) تفسير.

و لا يرد على ذا الجواب أنه لم يعرج على قول الإشكال «كان يرفع لأهله قوت سنة»! لأنه أشار للجواب عنه بقوله: (بل تارة للإيثار)؛ فقد كان يدّخر قوت عام، ثمّ يجد المحاويج فيدفعه إليهم؛ و يترك أهله، (و تارة لكراهة الشّبع) لأنهم لم يكونوا يشبعون، إذ الشبع بدعة ظهرت بعد القرن الأول.

قال بعضهم: الشّبع نهر فى النفس يرده الشيطان، و الجوع نهر فى الروح ترده الملائكة.

(و) لكراهة (كثرة الأكل). انتهى جواب الطبرى ..

و تعقّب بأنّ ما نفاه مطلقا فى قوله «لا لعوز و ضيق» فيه نظر؛ لما تقدم من الأحاديث الدالة على أنه للعوز.

و أخرج ابن حبان فى «صحيحه» عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها:

من حدّثكم أنّا كنّا نشبع من التّمر؛ فقد كذبكم، فلما افتتحت قريظة أصبنا شيئا من التّمر و الودك. إلى غير ذلك.

(قال الحافظ ابن حجر) العسقلانى رحمه اللّه تعالى

(: و الحقّ أنّ الكثير منهم كانوا فى حال ضيق قبل الهجرة؛ حيث كانوا بمكّة، ثمّ لمّا هاجروا إلى المدينة كان أكثرهم كذلك؛ فواساهم الأنصار بالمنازل

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٤٣

و المنائح، فلمّا فتحت لهم النّضير و ما بعدها .. ردّوا عليهم منائحهم.

نعم .. كان صلّى اللّه عليه و سلّم يختار ذلك مع إمكان حصول التّوسّع و التّبسّط فى الدّنيا له؛ كما أخرج التّرمذىّ من حديث أبى

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

أمامة: أنّ النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «عرض علیّ ربّی لیجعل لی بطحاء مکّة ذهبا، ...
و المنائح) تملیکا للمنافع، لا للرقاب.
و ذکر البیضاوی: أنّ من کان عنده امرأتان نزل عن واحدة؛ و زوّجها من أحدهم، (فلمّا فتحت لهم النّضیر و ما بعدها؛ ردّوا علیهم منائحهم) و منازلهم.
(نعم؛ کان صلّی اللّه علیه و سلم یختار ذلک مع إمکان حصول التّوسّع و التّبسّط فی الدّنیا له، کما أخرج) الإمام أحمد و (التّرمذیّ) و حسّنه و نوزع؛ (من حدیث أبی أمامة) الباهلی: صدیّ- بضمّ الصاد و فتح الدال المهملتین و تشدید الیاء- ابن عجلان بن والبة- بالموحدة- ابن ریاح- بکسر الراء- ابن الحارث بن معن بن مالک بن أعصر بن سعد بن قیس عیلان- بالمهملة- ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.
و قیل غیر ذلک فی نسبه، و هو من مشهوری الصّحابة رضوان اللّه علیهم.
روی له عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم مائتا حدیث و خمسون حدیثا؛ انفرد البخاری بخمسة، و مسلم بثلاثة.
سکن مصر، ثم حمص؛ و بها توفی، سنة:- ۸۱- إحدی و ثمانین هجریة، و قیل: سنة ست و ثمانین. قیل: هو آخر الصحابة موتا بالشام، رضی اللّه تعالی عنه و عامّة حدیثه عند الشامیین (أنّ النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم قال:
«عرض علیّ ربّی لیجعل لی بطحاء مکّة)؛ أی: حصباءها.
قال الطیبی: تنازع فیه «عرض» و «لیجعل»؛ أی: عرض علی بطحاء مکّة لیجعلها لی (ذهبا)، فلا حاجة لتقدیر مفعول «عرض» محذوفا، أی: أسباب الغنی؛ کما قاله بعضهم.
منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۴۴
فقلت: لا یا ربّ، و لکن أشبع یوما و أجوع یوما، فإذا جعت ..
تضرّعت إلیک و ذکرتک، و إذا شبعت .. شکرتک و حمدتک».
و عن ابن عبّاس رضی اللّه تعالی عنهما قال: کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم ذات یوم و جبریل علی الصّفا، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «یا جبریل؛ و الّذی بعثک بالحقّ ما أمسی لآل محمّد سفّة من دقیق، و لا کفّ من سویق».
فلم یکن کلامه بأسرع من أن سمع هدّة ...
فقلت: لا) أریدها (یا ربّ؛ و لکن أشبع یوما و أجوع یوما).
هذا ورد علی منهج التقسیم، و هو ذکر متعدد، ثم إضافة ما لکلّ علی التعیین، فذکر أولا الشّبع و الجوع فی أیامهما، ثم أضاف لکلّ ما یناسبه بقوله:
(فإذا جعت تضرّعت إلیک) بذلّة و خضوع، (و ذکرتک) فی نفسی، و بلسانی، (و إذا شبعت شکرتک و حمدتک») عطفه علی سابقه!! لما بینهما من عموم الحمد موردا، و خصوصه متعلّقا، و خصوص الشّکر موردا و عمومه متعلقا.
و حکمة هذا التفصیل: الاستلذاذ بالخطاب، و إلا فاللّه تعالی أعلم بالأشیاء جملة و تفصیلا.
(و عن ابن عبّاس رضی اللّه تعالی عنهما؛ قال:
کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم ذات یوم و جبریل علی الصّفا) بمکّة؛ (فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم: «یا جبریل؛ و الّذی بعثک بالحقّ) رسولا إلی أنبیائه، (ما أمسی لآل محمّد سفّة)- بضم السین المهملة-: قبضة (من دقیق، و لا کفّ من سویق») کأمیر هو دقیق الشعیر المقلو، و یکون من القمح، و الأکثر جعله من الشعیر. قال أعرابی یصفه: هو عدة المسافر، و طعام العجلان، و بلغة المریض.
(فلم یکن کلامه بأسرع من أن سمع هدّة)- بفتح الهاء و تشدید الدال المهملة-

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۵

من السّماء أفزعته، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «أمر اللّه القيامة أن تقوم؟».

قال: لا، و لكن أمر إسرافيل فنزل إليك حين سمع كلامك.

فأتاه إسرافيل، فقال: إنّ اللّه تعالى قد سمع ما ذكرت فبعثنى إليك بمفاتيح خزائن الأرض، و أمرنى أن أعرض عليك: إن أردت أن أسيّر معك جبال تهامة زمرّذا ...

أى: صوتا قويا (من السّماء أفزعته): خوّفته.

(فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم) لجبريل مستفهما.- بحذف همزته- (: «أمر اللّه القيامة أن تقوم»؟! قال: لا، و لكن أمر إسرافيل فنزل إليك حين سمع كلامك) لى!

و لعل حكمة نزوله بتلك الهدة، الإشارة إلى قدرته على فعل ما يعرضه عليه!!

(فأتاه إسرافيل، فقال): (إنّ اللّه تعالى قد سمع ما ذكرت) لجبريل، (فبعثنى إليك بمفاتيح خزائن الأرض) المعادن، أو البلاد التى فيها، أو الممالك التى فتحت لأمته بعده، و ظاهر الحديث أنّها مفاتيح و خزائن حقيقية، و هو الأصل.

و ذكر الزمخشرى فيه و ما أشبهه أنه من قبيل التمثيل و الاستعارة حيث قال فى قوله وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ [۲۱/ الحجر]. ذكر الخزائن تمثيل، و المعنى:

و ما من شىء ينتفع به العباد إلّا و نحن قادرون على إيجاده و تكوينه و الإنعام به؛ فضرب الخزائن مثلا.

(و أمرنى أن أعرض عليك؛ إن أردت أن أسيّر معك جبال تهامة زمرّذا)- بزاى أوله و ذال معجمة آخره وراء قبل آخره مشدّدة؛ مضمومات الأوائل.

هو أربعة أضرب: الأول: الذّبابىّ.

الثّانى: الرّيحانى؛ و هو أخضر مفتوح اللون شبيه بلون ورق الرّيحان.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۶

....

الثالث: السّلقى؛ و خضرته أشبه شىء بلون السّلق.

الرابع: الصّابونى؛ و لونه كلون الصابون الأخضر.

و أفضل أنواعه و أشرفها الذّبابىّ، و هو شديد الخضرة لا يشوب خضرته شىء آخر من الألوان؛ من صفرة و لا سواد و لا غيرهما، حسن الصبغ، جيد المائية، شديد الشعاع؛ و يسمى ذبابيا!! لمشابهة لونه فى الخضرة لون كبار الذباب الأخضر الربيعى، و هو من أحسن الألوان خضرة و بصيصا، و يزداد حسنه بكبر الجرم، و استواء القصبة، و عدم الاعوجاج فيها.

و من عيوب الذبابى اختلاف الصبغ، بحيث يكون موضع منه مخالفا للموضع الآخر، و عدم الاستواء فى الشكل، و التشعير و هو شبه شقوق خفية؛ إلّا أنه لا يكاد يخلو منه.

و من عيوبه: الرخاوة، و خفة الوزن، و شدة الملاسة، و الصقال، و النعومة، و زيادة الخضرة، و المائية، إذا ركّب على البطانة.

و من خاصّيّة الذبابى التى امتاز بها عن سائر الأحجار: أنّ الأفاعى إذا نظرت إليه، و وقع بصرها عليه؛ انفقأت عيونها. و بهذه الخاصّيّة يمتحن الزمرّد الخالص من غيره، كما يمتحن الياقوت بالصبر على النار.

و من منافع الزمرّد الذبابى: أنّ من أدمن نظره أذهب عن بصره الكلال، و من تختّم به دفع عنه داء الصرع؛ إذا كان قد لبسه قبل ذلك.

و إذا كان فى موضع لم تقربه ذوات السموم، و إذا سحل منه وزن ثمان شعيرات و سقيته شارب السّمّ قبل أن يعمل السّم فيه خلّصته منه.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و إذا تختّم به من به نفث الدّم؛ أو إسهاله! منع من ذلك، و إذا علق على المعدة من خارج نفع من وجعها، و شرب حكاكته ينفع من الجذام.

و هذه الخواصّ توجد فى الصغير منه و الكبير و المعوجّ و المستقيم.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۷

و ياقوتا، ...

أما بقية أصناف الزمرد! فإنّه لا قيمة لها يعتدّ بها، لعدم المنافع الموجودة فى الذبابى، انتهى ملخصا من «صبح الأعشى».

(و ياقوتا) هو ثلاثة أضرب:

الضرب الأول: الأحمر و منه البهرمان، و لونه كلون العصفر الشّديد الحمرة؛ النّاصع فى القوّة الذى لا يشوب حمرته شائبة، و يسمّى «الرّمّانى» لمشابهته حب الرمان الرائق الحب، و هو أعلى أصناف الياقوت، و أفضلها، و أغلاها ثمنا.

و أردأ ألوانه الوردى الذى يضرب إلى البياض.

الضرب الثانى: الأصفر، و أعلاه الجلّنارى، و هو أشدّه صفرة، و أكثره شعاعا، و مائية. و دونه الخلوقى؛ و هو أقلّ صفرة منه؛ و دونه الرّقيق؛ و هو قليل الصفرة كثير الماء ساطع الشعاع. و أردأ الأصفر ما نقص لونه؛ و مال إلى البياض.

الضرب الثالث: الأبيض، و منه المهانى و هو أشدّها و أكثرها ماء، و أقواها شعاعا، و أصلب حجرا، و هو أدون أصناف الياقوت و أقلها ثمنا.

و أجود الياقوت الأحمر: البهرمانى و الرّمّانى و الوردى النيّر المشرق اللّون الشفّاف الذى لا ينفذه البصر بسرعة.

و عيوب الياقوت: الشعرة؛ و هى شبه تشقيق يرى فيه. و السوس؛ و هو خروق توجد فى باطنه، و يعلوها شىء من ترابية المعدن.

و من خواصّ الياقوت بأنواعه: أنه يقطع كل الحجارة كما يقطعها الماس.

و ليس يقطعه هو- على أى لون كان- غير الماس.

و من خواصّه: أنه ليس لشىء من الأحجار المشعة شعاع مثله، و أنه أثقل من سائر الأحجار المساوية له فى المقدار، و أنه يصبر على النار؛ فلا يتكلّس بها كما يتكلس غيره من الحجارة النفيسة، و إذا أخرج من النار برد بسرعة؛ حتى أن الإنسان يضعه فى فيه عقب إخراجه من النار فلا يتأثّر به، إلّا أن لون غير الأحمر منه؛

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۸

و ذهبا و فضة .. فعلت، فإن شئت: نبيّا ملكا، و إن شئت نبيّا عبدا؟

فأومأ إليه جبريل أن تواضع.

فقال: «بل نبيّا عبدا» (ثلاثا). رواه الطّبرانىّ بإسناد حسن.

كالصفرة و غيرها يتحول إلى البياض، أما الحمرة فإنها تقوى بالنار، فما ذهبت حمرته بالنار، فليس بياقوت أحمر بل ياقوت أبيض مصبوغ، أو حجر يشبه الياقوت.

و من منافعه: أنّ التختّم به يمنع صاحبه أن يصيبه الطّاعون؛ إذا ظهر فى بلد هو فيه، و أنّه يعظّم لابسه فى عيون الناس، و يسهل عليه قضاء الحوائج، و تتيسر له أسباب المعاش، و يقوّى قلبه و يشجعه، و أن الصاعقة لا تقع على من تختم به.

و إذا وضع تحت اللسان قطع العطش؛ قاله أرسطاطاليس.

قال: و امتحانه أن يحك به ما يشبهه من الأحجار فإنه يجرحها بأسرها و لا تؤثر هى فيه. انتهى ملخصا من «صبح الأعشى».

(و ذهبا و فضّة) لفظ «المواهب»: و أمرنى أن أعرض عليك؛ أسيّر معك جبال تهامة زمرّذا و ياقوتا و ذهبا و فضة (فعلت، فإن شئت نبيّا ملكا، و إن شئت نبيّا عبدا!! فأومأ إليه جبريل) لما استشاره (أن تواضع.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

فقال: «بل نبيّا عبدا». قالها (ثلاثا. رواه الطّبرانىّ بإسناد حسن)

كما قال المنذرى و غيره، و لا يعارضه قوله صلّى اللّه عليه و سلم أتيت بمقاليد الدّنيا على فرس أبلق جاءنى به جبريل» رواه الإمام أحمد برجال الصحيح، و صححه ابن حبّان عن جابر رضى اللّه تعالى عنه! لأنّ هذا بعد ذاك للإشارة إلى ما ستملكه أمته من بعده.

فانظر إلى همته العليّة صلّى اللّه عليه و سلم كيف عرضت عليه مفاتيح كنوز الأرض فأباها؟!

و معلوم أنّه لو أخذها لأنفقها فى طاعة ربه، فأبى ذلك مع أن النّبوة معطاة له على كلا التقديرين. فيا لها من همّة شريفة رفيعة ما أسناها! و نفس زكيّة ما أبهاها! و قد عوّضه اللّه تعالى بالتصرف فى خزائن السماء: ردّ الشمس بعد غروبها، و شقّ

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۹

و للّه درّ الأبوصيرىّ حيث قال:

و راودته الجبال الشّمّ من ذهبعن نفسه فأراها أيّما شمم) القمر، و رجم النجوم، و اختراق السموات، و حبس المطر و إرساله، و إرسال الريح و إمساكها و غير ذلك

(و للّه درّ الأبوصيرىّ حيث قال) فى «بردة المديح»:

(و راودته) أى: طلبت منه (الجبال الشّمّ)- بضم الشين-: المرتفعة (من ذهب

عن نفسه) و نسبة المراودة إليها مجاز، (فأراها)- بفتحتين- (أيّما شمم)

بفتح المعجمة و الميم، و بعد هذا البيت قوله:

فأكّدت زهده فيها ضرورتهإنّ الضّرورة لا تعدو على العصم

و كيف تدعو إلى الدّنيا ضرورة منلولاه لم تخرج الدّنيا من العدم و لعل المصنف حذف هذين البيتين من كلام القسطلانى، لمّا أورده فى «المواهب»؛ من أنّ فى البيتين شيئا! قال: لأنه فى مقام المدح فلا يليق منه الوصف بالزهد و لا بالضرورة. قال الزرقانى: لأن الزهد يقتضى رغبته فيما زهد فيه و الضرورة تقتضى الحاجة. انتهى.

قال الحليمى فى «شعب الإيمان»: من تعظيم النبى صلّى اللّه عليه و سلم أن لا يوصف بما هو عند النّاس من أوصاف الضّعة، فلا يقال كان فقيرا. و أنكر بعضهم إطلاق الزهد فى حقّه صلّى اللّه عليه و سلم. إذ لا قدر للدّنيا عنده. و قد حكى صاحب كتاب «نثر الدر»؛ و هو أبو سعيد منصور بن الحسين الآبى- بالمد- عن محمد بن واسع، أنّه قيل له: فلان زاهد. فقال: و ما قدر الدنيا حتى يزهد فيها!!. فإذا قيل هذا فى حقّ غير المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم فما بالك به؟!.

و قد ذكر القاضى عياض فى «الشفاء»؛ و نقله عنه الشيخ تقى الدين السبكى فى كتابه «السيف المسلول»: أن فقهاء الأندلس أفتوا بقتل حاتم المتفقه الطليطلىّ

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۰

و أمّا خبز رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم:

فعن ابن عبّاس رضى اللّه تعالى عنهما قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يبيت اللّيالى المتتابعة طاويا هو و أهله؛ لا يجدون ...

و صلبه لاستخفافه بحق النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، و تسميته إياه أثناء مناظرته ب «اليتيم»، و زعمه أنّ زهده لم يكن قصدا!! و لو قدر على الطيبات أكلها!. انتهى.

و كلّ واحدة من هذه الثلاث كافية فى القتل؛ بلا استتابة عند مالك رحمه اللّه تعالى.

و ذكر الشيخ بدر الدين الزركشى عن بعض الفقهاء المتأخرين؛ أنّه كان يقول:

لم يكن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم فقيرا من المال، و لا حاله حال فقير، بل كان أغنى النّاس، فقد كفى أمر دنياه فى نفسه و عياله.

و كان يقول فى قوله صلّى اللّه عليه و سلم «اللّهم أحينى مسكينا» أنّ المراد به استكانة القلب، لا المسكنة الّتى هى أن لا يجد ما يقع

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

موقعا من كفايته. و كان يشدّد النكير على من يعتقد خلاف ذلك. انتهى. و هو حسن نفيس. انتهى كلام «المواهب»؛ مع شى‌ء من «شرح الزرقانى» رحمهما اللّه تعالى.

(و أمّا خبز رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم!) و الخبز- بالضمّ-: الشّى‌ء المخبوز من نحو برّ.

و هو المراد هنا، فقد جاء بيانه فى أحاديث كثيرة.

أخرج الإمام أحمد و التّرمذىّ فى «جامعه» و «شمائله» و صححه، و ابن سعد فى «طبقاته»- و اللفظ ل «الشمائل»- (فعن ابن عبّاس رضى اللّه تعالى عنهما؛ قال:

كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يبيت اللّيالى المتتابعة) أى المتوالية، يعنى كان فى تلك الليالى على الاتصال (طاويا) أى: خالى البطن جائعا (هو) تأكيد فاعل «طاويا»، لتصحيح عطف (و أهله) عليه، (لا يجدون) أى: النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم و أهله فأفرد «طاويا» نظرا لمطابقة الفاعل، و جمع «لا يجدون»! نظرا لمشاركتهم له فى

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۱

عشاء، و كان أكثر خبزهم خبز الشّعير.

و عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت: ما شبع آل محمّد صلّى اللّه عليه و سلّم من خبز الشّعير يومين متتابعين ...

عدم وجدانهم، (عشاء)- بفتح العين المهملة و الشين المعجمة و المدّ- هو:

ما يؤكل آخر النّهار الصادق؛ بما بعد الزوال.

و المراد بأهله عياله الذين فى نفقته.

و فى «المغرب»: أهل الرّجل؛ امرأته و ولده، و الذين فى عياله، و نفقته، و كذا كل أخ و أخت، و عمّ و ابن عمّ و صبىّ يقوته فى منزله. انتهى.

و كان صلّى اللّه عليه و سلم لشرف نفسه، و فخامة منصبه؛ يبالغ فى ستر ذلك عن أصحابه؛ و إلّا فكيف يظنّ عاقل أنه يبلغهم أنه يبيت طاويا، هو و أهل بيته اللّيالى المتتابعة، مع ما عليه طائفة منهم من الغنى؛ بل لو علم فقراؤهم- فضلا عن أغنيائهم- ذلك لبذلوا الجهد فى تقديمه، هو و أهل بيته، على أنفسهم و استبقوا على إيثاره!!؟

و هذا يدلّ على فضل الفقر و التجنّب عن السؤال مع الجوع.

(و كان أكثر خبزهم خبز الشّعير) أى: و قد يكون خبزهم خبز البرّ مثلا.

(و) أخرج الترمذى فى «الشمائل»؛ (عن) أمّ المؤمنين (عائشة رضى اللّه تعالى عنها؛ أنها قالت: ما شبع آل محمّد صلّى اللّه عليه و سلم)- هم هنا: عياله الّذين فى مؤونته، لا من تحرم عليهم الصّدقة. و ما يأكله عياله يسمّى خبزه، و منسوب له؛ فالخبر مطابق للترجمة.

و يحتمل أن لفظ «آل» مقحم، و المراد هو!! و يؤيده الرواية الآتية: ما شبع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم الخ (من خبز الشّعير يومين متتابعين). خرج بقوله «خبز الشعير» خبز البر. ففى رواية البخارى عن عائشة: ما شبع آل محمّد صلّى اللّه عليه و سلم منذ قدم المدينة، من طعام برّ ثلاث ليال تباعا حتّى قبض!!

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۲

حتّى قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم.

و عن سليم بن عامر [رحمه اللّه تعالى] قال: سمعت أبا أمامة [الباهلىّ] رضى اللّه تعالى عنه يقول: ما كان يفضل عن أهل بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم خبز الشّعير.

و عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها: ما رفع عن مائدته صلّى اللّه عليه و سلّم كسرة خبز حتّى قبض.

و قد ورد عنها أيضا أنّها ...

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و أخذ منه أن المراد هنا اليومان بلياليهما، كما أنّ المراد اللّيالى بأيامهما.

و قولها (حتّى قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم) إشارة إلى استمرار تلك الحالة مدة إقامته بالمدينة، و هى عشر سنين؛ بما فيها من أيام حجّه و غزوه.

(و) أخرج التّرمذى فى «الشمائل» (عن سليم)- بالتصغير- (بن عامر) الرّحبى المشرفى الحمصى- و رحبة: بطن من حمير-.

له نحو مائتى حديث، و كان ثبتا ناصبيا. مات سنة ثلاث و ستين و مائة. و غلا من قال (له رؤية). خرّج له مسلم و الأربعة

(قال: سمعت أبا أمامة)- بضم الهمزة- ([الباهلىّ]) اسمه: صدى بن عجلان- تقدمت ترجمته- (رضى اللّه تعالى عنه؛ يقول:

(ما كان يفضل)- بضم الضاد المعجمة؛ أى: يزيد- (عن أهل بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم خبز الشّعير). أى: ما كان يزيد عن كفايتهم، بل كان ما يجدونه لا يشبعهم فى الأكثر، كما تدلّ عليه الرواية السابقة.

(و) فى الباجورى على «الشمائل»: روى (عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها) أنها قالت: (ما رفع عن مائدته صلّى اللّه عليه و سلم كسرة خبز حتّى قبض.

و قد ورد عنها) أى: عائشة (أيضا)؛ فيما رواه البخارى و مسلم؛ (أنّها

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۳

قالت: توفّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و ليس عندى شىء يأكله ذو كبد إلّا شطر شعير فى رفّ لى- أى: نصف وسق- فأكلت منه حتّى طال علىّ فكلته ففنى.

قالت: توفّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم؛ و ليس عندى شىء يأكله ذو كبد) شامل لكل حيوان، (إلّا شطر شعير) قال التّرمذى: أى: شىء من شعير.

و قال ابن الأثير: قيل: نصف مكوك، و قيل: نصف وسق. و يقال: شطر و شطير؛ مثل نصف و نصيف؛ انتهى ذكره الشّمنىّ فى «حواشى الشفاء»

([فى رفّ لى])- بفتح الراء و شد الفاء مكسورة-: خشب يرفع عن الأرض فى البيت، يوضع فيه ما يراد حفظه؛ قاله القاضى عياض.

و فى «الصّحاح»: الرفّ شبه الطاق فى الحائط. قيل: و هو أقرب هاهنا، لأن الخشب لا يحتمل وضع هذا المقدار عليه، و فيه نظر لقلّته؛ ذكره الزرقانى.

و قال المصنف تبعا للباجورى؛ فى تفسير قوله شطر شعير: (أى: نصف وسق).

قالت عائشة: (فأكلت منه حتّى طال علىّ)- بتشديد الياء- (فكلته)- بكسر الكاف- (ففنى). زادت فى رواية: «فيا ليتنى لم أكله».

فإن قيل: مقتضى هذا أنّ الكيل سبب لعدم البركة، فيعارض قوله صلّى اللّه عليه و سلم:

«كيلوا طعامكم؛ يبارك لكم فيه» رواه البخارى و أحمد عن المقدام بن معدى كرب؟ و فى الباب غيره!؟

أجيب: بأن البركة عند البيع، و دخوله البيت، و عدمها عند النفقة، و بأن المراد أن يكيله بشرط بقاء الباقى مجهولا، أو لأن الكيل عند الشراء مطلوب لتعلّق حق المتبايعين؛ فلذا ندب، و حصلت البركة فيه!! لامتثال أمر الشارع، بخلاف كيله عند الإنفاق للاختبار، فقد يبعث عليه الشح؛ فلذا كره و ذهبت بركته.

و الحاصل: أنّ مجرد الكيل إنما يحصّل البركة بقصد الامتثال فيما شرع كيله،

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۴

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يأكل خبز الشّعير غير منخول، و ربّما وقف فى حلقه فلا يسيغه إلّا بجرعة من ماء.

و عن سهل بن سعد رضى اللّه تعالى عنهما أنّه قيل له: أكل ...

و مجرد عدمه إنما ينزعها إذا انضم إليه الاختبار و المعارضة، و لذا قال القرطبى:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

سبب رفع النّما الالتفات بعين الحرص مع معاينة إدرار نعم اللّه و مواهب كراماته و كثرة بركاته، و الغافلة عن الشّكر عليها، و الثّقة بالذى وهبها، و الميل إلى الأسباب المعتادة عند مشاهدة خرق العادة. انتهى «زرقانى على «المواهب»».

(و) فى «الإحياء» مع الشرح: (كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يأكل خبز الشّعير غير منخول) من نخالته.

و فى هذا تركه صلّى اللّه عليه و سلم التكلّف و الاعتناء بشأن الطّعام، فإنّه لا يعتنى به إلّا أهل البطالة و الغافلة.

قال العراقى: رواه البخارى من حديث سهل بن سعد. انتهى.

قلت: و رواه مسلم و الترمذى نحوه. انتهى كلام «شرح الإحياء».

(و ربّما وقف فى حلقه؛ فلا يسيغه إلّا بجرعة من ماء).

هذه الزيادة غير موجودة فى «الإحياء»!.

(و) أخرج البخارى و الترمذى فى «الشمائل»- و اللفظ لهما-.

(عن سهل)- بفتح السين المهملة و سكون الهاء- (بن سعد) بن مالك بن خالد الأنصارى الخزرجى الساعدى: أبى العباس.

له و لأبيه صحبة و هو آخر من مات من الصحب بالمدينة المنورة، مات سنة:

- ٨٨- ثمان و ثمانين أو إحدى و تسعين و عمره جاوز المائة (رضى اللّه تعالى عنهما أنّه) أى: الشأن (قيل له) أى لسهل (: أكل) هو استفهام بحذف الهمزة،

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٥٥

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم النّقىّ يعنى: الحوّارى؟

فقال سهل: ما رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم النّقىّ حتّى لقى اللّه عزّ و جلّ.

فقيل له: هل كانت لكم مناخل على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم؟ قال: ما كانت لنا مناخل.

أى: قال بعضهم له على وجه الاستفهام: أ أكل (رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم النّقىّ؟)- بفتح النون و كسر القاف و تشديد الياء- أى: الخبز المنقّى من النّخالة، أى: المنخول دقيقه.

و أما النّفى بالفاء: فهو ما ترامت به الرحى؛ كما قاله الزمخشرى.

(يعنى) أى: يريد سهل بالنقى (الحوّارى) تفسير من الراوى أدرجه فى الخبر. و هو- بضمّ الحاء المهملة و تشديد الواو و فتح الراء، و فى آخره ألف تأنيث مقصور-: ما حوّر من الدّقيق بنخله مرارا، فهو خلاصة الدقيق و أبيضه، و كل ما بيض من الطعام كالأرز. و قصره على الأول تقصير.

(فقال سهل: ما رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم النّقىّ)، أجابه بنفى الرؤية مع أن السؤال عن الأكل! لأنّه يلزم من نفى رؤيته نفى أكله. و إنما عدل عن نفى الأكل!! لأن نفى الرؤية أبلغ. أى: ما رآه فضلا عن أكله (حتّى لقى اللّه عزّ و جلّ) أى: حتى فارق الدّنيا، لأن الميت بمجرّد خروج روحه تأهّل للقاء ربه، إذ الحائل بين اللّه و بين العبد هو التعلقات الجسمانية، فبعد قطعها يلاقيه؛ إمّا بصفاته الجلالية، أو الجمالية.

(فقيل له) أى لسهل (: هل كانت لكم) معشر الصحابة من المهاجرين و الأنصار (مناخل) جمع منخل- بضم الميم و الخاء المعجمة- و هو: اسم آلة على غير قياس، إذ القياس كسر الميم و فتح الخاء (على عهد) أى: فى زمن (رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم؟)

(قال) أى سهل (: ما كانت لنا مناخل) أى: فى عهده صلّى اللّه عليه و سلم و زمانه ليطابق

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٥٦

قيل: كيف كنتم تصنعون بالشّعير؟

قال: كنّا ننفخه فيطير منه ما طار، ثمّ نعجنه.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و فی روایة له: هل کانت لکم فی عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم مناخل؟ فقال: ما رأی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم منخلا من حین ابتعثه اللّه تعالی حتّی قبضه اللّه تعالی.

الجواب السؤال، و لیوافق ما فی الواقع. إذ بعده صلّی اللّه علیه و سلم کانت لهم و لغیرهم مناخل ممن لم یثبت علی حاله. و لذا قیل: المنخل أوّل بدعة فی الإسلام.

و فی «صحیح مسلم» عن الحسن أنّ عائذ بن عمرو- و کان من أصحاب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم- دخل علی عبید اللّه بن زیاد الأمیر الظالم. فقال:- أی: عائذ بن عمرو-:

أی بنی؛ إنّی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم یقول: «إنّ شرّ الرّعاء الحطمة فإیّاک أن تکون منهم».

فقال له: اجلس فإنما أنت من نخالة أصحاب محمّد صلّی اللّه علیه و سلم.

فقال: هل کانت لهم نخالة؟ إنما کانت النخالة بعدهم و فی غیرهم!!.

(قیل: کیف کنتم تصنعون بالشّعیر؟) أی: بدقیقه مع ما فیه من النخالة، و لا بد من نخلها لیسهل بلعه!!. (قال: کنّا ننفخه) بضمّ الفاء أی: نطیّره، و الاستعمال الأشیع: ننفخ فیه (فیطیر منه ما طار) من القشر، (ثمّ نعجنه)- بفتح النون و کسر الجیم؛ من باب ضرب-.

(و فی روایة له) أی: لسهل فی البخاری؛ بعد «باب الأطعمة»: (هل کانت لکم فی عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم مناخل؟ فقال: ما رأی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم منخلا من حین ابتعثه اللّه تعالی حتّی قبضه اللّه تعالی).

و بقیة الحدیث: قلت: کیف کنتم تأکلون الشّعیر غیر منخول؟ قال: کنّا نطحنه و ننفخه فیطیر ما طار، و ما بقی ثرّیناه فأکلناه.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۵۷

و قال أنس رضی اللّه تعالی عنه: ما أعلم أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم رأی رغیفا مرقّقا حتّی لحق باللّه، ...

و قوله ثرّیناه- بمثلاثة وراء ثقیلة مفتوحتین- أی: ندّیناه و لتّناه بالماء.

قال الحافظ ابن حجر فی «فتح الباری»: قوله «من حین ابتعثه اللّه» أظنّه احتراز عما قبل البعثة، لأنه صلّی اللّه علیه و سلم توجّه فی أیام الفترة مرتین، إلی جانب الشام تاجرا، و وصل إلی بصری، و حضر فی ضیافة بحیرا الراهب، و کانت الشام إذ ذاک مع الروم، و الخبز النقی عندهم کثیر، و الظاهر أنه صلّی اللّه علیه و سلم رأی ذلک عندهم.

و أما بعد ظهور النّبوة! فلا شک أنّه فی مکة و الطائف و المدینة المنورة.

و قد اشتهر أنّ سبیل العیش صار مضیّقا علیه و علی أکثر أصحابه؛ اضطرارا أو اختیارا. انتهی؛ ذکره فی «جمع الوسائل».

و روی الإمام أحمد عن عائشة رضی اللّه تعالی عنها أنّها قالت: و اللّه الذی بعث محمدا بالحق؛ ما رأی منخلا و لا أکل خبزا منخولا منذ بعثه اللّه تعالی إلی أن قبض.

قلت: کیف کنتم تصنعون بالشعیر؟ قالت: کنا نقول: أف.

قال الغزالی: و هذا لا یقتضی أنّ اتّخاذ المناخل لنخل الطعام منهیّ عنه، و إن کان أبدع بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم!! لأنّ المنهی عنه بدعة تضادّ سنة، و ترفع أمرا من الشرع مع بقاء علّته، و لیس نخل الطعام کذلک!! لأن القصد منه تطییب الطّعام، و ذلک مباح ما لم ینته إلی التّنعّم المفرط. انتهی.

(و قال أنس رضی اللّه تعالی عنه: ما أعلم أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم رأی رغیفا مرقّقا)- براء مهملة فقافین- و هو: الملیّن المحسّن کخبز الحوّاری و شبهه. و الترقیق:

التلیین.

و فی روایة فی «الأطعمة»؛ عن أنس: ما أکل خبزا مرقّقا (حتّی لحق باللّه) عزّ و جلّ.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۵۸

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و لا رأى شاة سميطا بعينه حتّى لحق باللّه. رواه البخاريّ.

و (الشّاة السّـميط): هى الّتى أزيل شعرها بالماء المسخّن، و شويت و المعنى لم يأكل خبزا مليّنا؛ أى: متّخذا من دقيق ناعم، بحيث إذا عجن يلين عجينه، بل كان أكله من نحو الشّعير، الذى يغلب على عجينه اليبس، و لم يكن عندهم مناخل، و ذلك سبب لعدم لين خبزهم.

(و لا رأى شاة سميطا)- بمهملتين- من سمط الشاة إذا نتف صوفه؛ بعد إدخاله فى الماء الحار.

فإن قلت: القياس سميطة.

قلت: لا؛ إذ الفرق فى الشاة و نحوها بين المذكر و المؤنث بالصّفة نحو شاة وحشى و وحشية. أو أن الفعيل بمعنى المفعول؛ يستوى فيه المذكر و المؤنث.

و غرضه أنّه صلّى اللّه عليه و سلم ما كان متنعّما فى المأكولات؛ قاله الكرمانى.

(بعينه)- بالإفراد قاله القسطلانىّ- (حتّى لحق باللّه) تعالى.

و فى رواية: حتّى لقى اللّه تعالى.

قال القسطلانىّ: و هذا يعارضه ما ثبت أنّه صلّى اللّه عليه و سلم أكل الكراع؛ و هو لا يؤكل إلّا مسموطا. انتهى.

و لا معارضة، إذ نفى رؤية الشاة بتمامها سميطا؛ لا ينفى رؤية الأكارع؛ كما هو بيّن!!

(رواه البخاريّ) فى «الرقاق» بلفظه، و «الأطعمة» بنحوه؛

عن قتادة قال: «كنّا عند أنس و عنده خبّاز له، فقال: كلوا، ما أعلم ...»

الحديث. و لم يعرف الحافظ ابن حجر اسم الخباز.

و فى الطّبرانى: «كان لأنس غلام يخبز له الحوّارى و يعجنه بالسمن، فقال:

كلوا ...» الحديث.

(و الشّاة السّميط: هى الّتى أزيل شعرها بالماء المسخّن؛ و شويت

بجلدها، و هو من فعل المترفّهين.

و عن قتادة، عن أنس رضى اللّه تعالى عنه قال: ما أكل نبىّ اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم على خوان، و لا فى سكرّجة، ...

بجلدها) و إنما يصنع ذلك فى الصغير السّن، (و هو من فعل المترفّهين)، أى الأغنياء المتنعّمين. و إنما كان هذا من فعلهم! لأنهم لا يفوت غرضهم لزيادة ثمن مثل هذا، و لأن المسلوخ ينتفع بجلده فى اللّبس و غيره، و السّمط يفسده. و المترفّه لا يبالى بفوات ذلك.

(و) أخرج البخارى و النسائى و ابن ماجه و الترمذى فى «الشمائل»- و اللفظ له- (عن قتادة) بن دعامة السدوسى رحمه اللّه تعالى (عن أنس رضى اللّه تعالى عنه؛ قال: ما أكل نبىّ اللّه صلّى اللّه عليه و سلم على خوان) لما فيه من الترفّه و التكبر، و الخوان- بكسر أوله المعجم و يضم-: و هو مرتفع يهيّأ ليؤكل الطّعام عليه كالكراسى المعتادة عند أهل الأمصار، و هو فارسىّ معرّب. يعتاد المتكبرون من العجم الأكل عليه كيلا تنخفض رءوسهم. فالأكل عليه بدعة، لكنه جائز؛ إن خلا عن قصد التكبر.

(و لا فى سكرّجة)- بضمّ السين المهملة و الكاف و الراء مع التشديد-، و هى كما قال ابن العربى: إناء صغير يوضع فيه الشىء القليل المشهّى للطّعام الهاضم له؛ كالسّلطة و المخلّل.

و إنما لم يأكل النبى صلّى اللّه عليه و سلم فى السّكرّجة!! لأنّه لم يأكل حتّى يشبع فيحتاج لاستعمال الهاضم و المشهّى، بل كان لا يأكل إلّا لشدّة الجوع، و لأنها أوعية الألوان؛ و لم تكن الألوان من شأن العرب، إنما كان طعامهم الثّريد عليه مقطّعات اللّحم. قاله الباجورى.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

قال فى «جمع الوسائل»: و الأكل فى السّكرّجة من دأب المترفين، و عادة الحريصين على الأكل المفرطين. انتهى.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۰

و لا خبز له مرقّق. قال قتادة: كانوا يأكلون على هذه السّفر.

و (الخوان): هو مرتفع يهيّأ ليؤكل الطّعام عليه.

(و لا ـ خبز)- ماض مجهول- (له) أى: لأجله صلّى اللّه عليه و سلم (مرقّق)- بصيغة اسم المفعول؛ مرفوع على أنه نائب الفاعل، و هو بتشديد القاف الأولى-:

ما رقّقه الصانع أى جعله رقيقا، و هو الرّقاق- بالضم- يعنى لم يكن يخبز له خبز مليّن محسّن مبيّض كالحوّارى، لأنّ عامة خبزهم إنّما كان من الشّعير، و الرّقاق إنما يتّخذ من دقيق البرّ، و ليس ذا من شأن العرب.

و هذا الحديث إنما يفيد نفى خبزه له، و حديث البخارى يفيد نفى رؤيته له؛ سواء خبز له أو لغيره.

(قال قتادة:) لسائله؛ و هو يونس بن أبى الفرات عبيد البصرى- و لفظ الترمذى فى «الشمائل» فقلت لقتادة-: فعلام (كانوا يأكلون؟).

قال: (على هذه السّفر) أى: كانوا يأكلون على هذه السّفر- بضمّ السين المهملة المشددة و فتح الفاء؛ جمع سفرة- و هى: ما يتّخذ من جلد مستدير ليؤكل عليه الطعام كما سيأتى.

و السفرة أخصّ من المائدة؛ و هى ما يمد و يبسط ليؤكل عليه؛ سواء كان من الجلد، أو من الثياب. و ممّا يحقّق أنّ المائدة ما يمدّ و يبسط ما جاء فى تفسير المائدة حيث قالوا: نزلت سفرة حمراء مدورة.

و قال ابن العربى: رفع الطّعام على الخوان من الترفّه، و وضعه على الأرض إفساد له، فتوسّط الشارع حيث طلب أن يكون على السفرة و المائدة.

و قال الحسن البصرى: الأكل على الخوان فعل الملوك، و على المنديل فعل العجم، و على السفرة فعل العرب، و هو سنة. انتهى (باجورى؛ على «الشمائل»).

(و الخوان)- المشهور فيه كسر الخاء المعجمة، و يجوز ضمها- و (هو مرتفع) عن الأرض (يهيّأ ليؤكل الطّعام عليه)، و استعماله لم يزل دأب المترفين،

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۱

و (السّكرّجة): إناء صغير يوضع فيه الشّىء القليل المشهّى للطّعام؛ كالسّلطة.

و (السّفر)- جمع سفرة- و هى: ما يتّخذ من جلد مستدير ليؤكل عليه الطّعام.

و عن مسروق ...

و فيه لغة ثالثة، و هى: إخوان؛ بكسر الهمزة و سكون الخاء المعجمة، و لعله سمى بذلك! لاجتماع الإخوان و الأصحاب عنده و حوله. و الصحيح أنّه اسم أعجمىّ معرب.

(و السّكرّجة)- بضم أحرفه الثلاثة مع تشديد الراء و قد تفتح الراء-

(: إناء صغير يوضع فيه الشّىء القليل المشهّى للطّعام) الهاضم له؛ حول الطعام على المائدة (كالسّلطة)- بفتحات، و يقال لها الزلطة؛ بالزّاى- و كالمخلل و ما أشبههما من الجوارش.

(و السّفر)- بضمّ السين المهملة و فتح الفاء- (جمع سفرة؛ و هى: ما يتّخذ من جلد مستدير ليؤكل عليه الطّعام).

و أصل السّفرة: طعام يتّخذ للمسافر، و الغالب حمله فى جلد مستدير. فنقل اسمه لذلك الجلد؛ فسمّى به لذلك، كما سميت المزادة راوية. فهو مجاز مرسل علاقته المجاورة.

و لأن للجلد المذكور معاليق تنضمّ و تنفرج، فللانفراج سمّى سفرة، لأنها إذا حلّت معاليقها انفرجت فأسفرت عما فيها. و سمى السّفر

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

سفرا!! لإسفاره عن أخلاق الرّجال.

(و) أخرج الترمذى فى «الشمائل» (عن) أبى عائشة (مسروق) بن الأجدع- بالجيم و الدّال المهملة- ابن مالك بن أميّة بن عبد اللّه الهمذانى الكوفى التابعى المخضرم، يقال أنه سرق صغيرا ثم وجد؛ فسمى مسروقا.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۲

قال: دخلت على عائشة رضى اللّه تعالى عنها، فدعت لى بطعام، و قالت: ما أشبع من طعام فأشاء أن أبكى إلّا بكيت.

قال: قلت: لم؟

قالت: أذكر الحال الّتى فارق عليها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم الدّنيا، ...

أسلم قبل وفاة النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، و أدرك الصدر الأول من الصحابة؛ كأبى بكر و عمر و عثمان و على و ابن مسعود. و روى عنهم؛ و عن خبّاب بن الأرتّ، و زيد بن ثابت، و ابن عمرو، و المغيرة، و عائشة، رضى اللّه تعالى عنهم.

روى عنه أبو وائل؛ و هو أكبر منه، و سليم بن أسود و الشّعبى و النّخعى و السّبيعى و عبد اللّه بن مرّة، و عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة «أحد الفقهاء السبعة» و آخرون.

اتفقوا على جلالته، و توثيقه، و فضيلته، و إمامته. و كان يصلّى حتى تورّمت قدماه. و توفى سنة:- ۶۲- اثنتين و ستين. و قيل سنة:- ۶۳- ثلاث و ستين هجرية كما فى «تهذيب الأسماء و اللغات» للنّووى.

(قال: دخلت على عائشة رضى اللّه تعالى عنها؛ فدعت لى بطعام) أى:

طلبت من خادمها طعاما لأجلى، (و قالت: ما أشبع من طعام فأشاء أن أبكى إلّا بكيت) أى: ما أشبع من مطلق الطعام، فأريد البكاء؛ إلّا بكيت تأسّفا و حزنا على فوات تلك الحالة العليّة، و المرتبة المرضيّة، و هى ما كان عليها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و كأنها ذكرت هذا اعتذارا، عن عدم اهتمامها بالأكل، كما هو سنة المضياف! ليأكل الضيف بلا خجل.

و مرادها أنه ما يحصل من شبع، إلّا تسبب عنه مشيئتى للبكاء؛ فيوجد منى فورا.

(قال) أى مسروق (: قلت: لم؟) أى: لم تسبّب عن الشبع تلك المشيئة المسبب عنها وجود البكاء فورا.

(قالت: أذكر الحال الّتى فارق) مستقرا (عليها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم الدّنيا).

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۳

و اللّه ما شبع من خبز و لا لحم مرّتين فى يوم.

و عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه قال: ما شبع آل محمّد صلّى اللّه عليه و سلّم من طعام ثلاثة أيّام تباعا حتّى قبض. رواه البخارىّ و مسلم. و روى مسلم: ما شبع آل محمّد يومين من خبز البرّ إلّا و أحدهما تمر.

و حاصله أنّها قالت: كلما شبعت بكيت لتذكّر الحال الّتى فارقت عليها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و بيّنت تلك الحالة بقولها:

(و اللّه ما شبع من خبز؛ و لا لحم؛ مرّتين فى يوم) واحد من أيام عمره، فلم يوجد [يوم] قط شبع فيه مرتين منهما؛ و لا من أحدهما.

قال ابن العربى: الاتساع فى الشهوات من المكروهات، و قد نهى اللّه تعالى قوما عن ذلك فى كتابه العزيز فقال أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ فِى حَياتِكُمُ الدُّنْيا [۲۰/ الأحقاف]، و كذا التبسّط فى المأكول و الموائد و التّجمّع بالألوان، و الفواكه، و التقلّل هو المحبوب، و التّواضع هو المحمود المطلوب.

(و عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه؛ قال: ما شبع آل محمّد صلّى اللّه عليه و سلّم) و المراد ب «آله»: هو و آله. ففى رواية لمسلم «ما شبع محمد و أهله» (من طعام ثلاثة أيّام).

و لمسلم «ثلاث ليال»، فالمراد هنا الأيام بلياليها، كما أنّ المراد اللّيالى بأيّامها؛ كما فى «الفتح» (تباعا)- بكسر الفوقية و خفّة الموحدة- أى: متتابعة متتالية، (حتّى قبض. رواه البخارىّ و مسلم) فى «الأطعمة» و غيرها.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و روى مسلم) فى «صحيحه» من حديث مسعر بن كدام الهلالى، عن هلال بن حميد، عن عروة، عن عائشة، رضى اللّه تعالى عنها قالت:

(ما شبع آل محمّد يومين من خبز البرّ) القمح (إلّا و أحدهما) أى اليومين (تمر) لقلة خبز البرّ. و أخرجه البخارى من هذا الطريق عنها بلفظ «ما أكل آل

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۴

و روى مسلم أيضا: عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت: لقد مات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و ما شبع من خبز و زيت فى يوم واحد مرّتين. و عنها رضى اللّه تعالى عنها قالت: ما شبع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم من خبز الشّعير يومين متتابعين حتّى قبض.

و فى رواية عنها أيضا: ما شبع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم من خبز شعير يومين متواليين، و لو شاء .. لأعطاه اللّه عزّ و جلّ ما لا يخطر ببال.

محمّد أكلتين فى يوم إلّا و إحداهما تمر». و لأبى ذر «تمرا» بالنصب. إما على تقدير إلّا كانت إحداهما تمرا؛ و إما جعل إحداهما تمرا!!

(و روى مسلم أيضا عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها؛ قالت: لقد مات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم؛ و ما شبع من خبز و زيت فى يوم واحد مرّتين). خصّت الزيت! لأنهم كانوا يأتدمونه كثيرا، و مع ذلك لم يأكله فى اليوم إلّا مرة زهدا فى الدنيا.

(و) أخرج الترمذى فى «الشمائل»؛ (عنها) أى: عائشة (رضى اللّه تعالى عنها؛ قالت: ما شبع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم من خبز الشّعير يومين متتابعين حتّى قبض)، لاجتنابه الشّبع و إيثاره الجوع.

و لا يناقضه خبر أبى الهيثم «فلمّا أن شبعوا»! لأن ذلك الشّبع كان من الشاة.

و لا قوله فى خبر آخر حين عرضت عليه الدّنيا و اختار الفاقة؛ و قال: «أريد أن أجوع يوما فأصبر، و أشبع يوما فأشكر»! لأنها بيّنت جنس ما لم يشبع منه؛ و هو خبز الشعير.

(و فى رواية عنها أيضا) رواها البخارى (: ما شبع)- بكسر الموحدة- أى ما أكل حتى شبع (رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم من خبز شعير يومين متواليين، و لو شاء) الدنيا و ترفها و نعيمها (لأعطاه اللّه عزّ و جلّ ما لا يخطر)- بضم الطاء المهملة و كسرها- يقال خطر يخطر خطورا: إذا ذكر و تصوّر- (ببال) البال: القلب و العقل و الفكر،

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۵

قال القسطلانى فى «المواهب»: (و قد تتبعت هل كانت أقراص خبزه صلّى اللّه عليه و سلّم صغارا أم كبارا؟ فلم أجد فى ذلك شيئا بعد التّفتيش. نعم .. روى أمره بتصغيرها فى حديث عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها، رفعته بلفظ: «صغّروا الخبز، و أكثروا عدده .. يبارك لكم فيه».

و كان شيخى العارف الرّبّانىّ ...

أى: يعطيه منها كل أمر نفيس لم يتصوّره أحد من الناس، لجلالته و عظمته، و كونه لم يعهد مثله حتى يعرف قدره.

(قال) العلامة أبو العباس أحمد بن محمد شهاب الدين (القسطلانى) رحمه اللّه تعالى (فى) كتابه («المواهب» اللّدنيّة» فى النوع الأول؛ من الفصل الثالث فى المقصد الثالث:

(و قد تتبعت! هل كانت أقراص خبزه صلّى اللّه عليه و سلم صغارا؛ أم كبارا؟ فلم أجد فى ذلك شيئا بعد التّفتيش.

نعم؛ روى أمره بتصغيرها فى حديث) عند الديلمى، من طريق عبد اللّه بن إبراهيم قال: حدثنا جابر بن سليم الأنصارى عن يحيى بن سعيد عن عمرة (عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها؛ رفعته بلفظ: «صغّروا الخبز، و أكثروا عدده؛ يبارك لكم فيه») و هو واه جدا بحيث ذكره ابن الجوزى فى «الموضوعات». و قال: إنّ المتّهم بوضعه جابر بن سليم الأنصارى.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و كان شيخى) و قدوتى (العارف الرّبّانى) هو العالم المعلّم، الذى يغذو النّاس بصغار العلوم قبل كبارها. و قال محمد بن الحنفية- لما مات عبد اللّه بن عبّاس- اليوم مات ربانىّ هذه الأمّة.

و روى عن على أنّه قال: الناس ثلاثة: عالم ربّانى، و متعلم على سبيل نجاة،

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۶

إبراهيم المتبولىّ ...

و همج رعاع أتباع كلّ ناعق. و الربّانى، العالم الرّاسخ فى العلم و الدّين، أو العالم العامل المعلّم، أو العالى الدّرجة فى العلم.

و قيل: الرّبانى المتألّه العارف باللّه تعالى برهان العارفين: أبو إسحاق (إبراهيم) بن على بن عمر (المتبولىّ) الأنصارى الأحمدى.

و المتبولى نسبة إلى محلة «متبول»: قرية بالجيزة؛ من مصر. و كان إمام الأولياء فى عصره، و هو أحد شيوخ سيدى على الخوّاص.

و له كرامات كثيرة؛ منها أنّه كان يرى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم فى المنام، فيخبر بذلك أمه؛ فتقول له: يا ولدى؛ إنّما الرجل من يجتمع به فى اليقظة. فلمّا صار يجتمع به فى اليقظة، و يشاوره فى أموره؛ قالت له: الآن قد شرعت فى مقام الرّجولية.

و كان إذا جاءه رجل يطلب تسكين شهوته؛ يقول: تطلب مرة أو دائما؟ فإن قال مرة، شدّ وسطه بخيط فما دام كذلك لا تتحرك شهوته، و إن قال أبدا، مسح ظهره فلا يشتهى النّساء حتى يموت. و كراماته كثيرة؛ ذكرها المصنف فى «جامع كرامات الأولياء».

و كان متعبّده فى بركة الحاج مشهور، و خرج إلى القدس؛ فمات فى الطريق، فدفن بقرية سدود من أرض فلسطين؛ عند سلمان الفارسى سنة: نيف و ثمانين و ثمانمائة هجرية.

و ذكر الشعرانى فى «الأخلاق المتبولية» أنه عاش مائة و تسع سنين- بتقديم المثنّاة على المهملة-. قال المناوى: و ذكر «شارح القاموس»: أنّ من ولده الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن محمد المتبولى «۱». أخذ عن السيوطى و ابن حجر المكى و شرح «الجامع الصغير». انتهى كلام شارح القاموس.

---

(۱) توفى سنة: ألف و ثلاث، رحمه اللّه تعالى «هامش الأصل».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۷

يصغّر أرغفة سماطه، كالشيخ أبى العبّاس أحمد البدوىّ ...

و فيه نظر؟ فإن الشّعرانى صرّح فى «الطّبقات» بأنّ إبراهيم المتبولى لم يتزوّج. و كان يقول: ما فى ظهرى أولاد! حتى أتزوّج بقصدهم! فالظاهر أنّ أحمد المتبولى شارح «الجامع الصغير» رجل منسوب إلى «متبولة»، المحلّة المذكورة، و ليس هو من ذرية القطب البرهان المتبولى. و اللّه أعلم!؟

(يصغّر أرغفة)- جمع رغيف- من الخبز؛ مشتق من الرّغف كالمنع جمعك العجين تكتله بيدك. أى: يأمر بجعل أقراص الخبز صغارا يقدّمها على (سماطه) يمدّ عليه الطعام.

(كالشّيخ) أى: مثل فعل الشيخ العارف باللّه تعالى السيد الشريف الحسيب النسيب سيدى (أبى العبّاس أحمد) بن على (البدوىّ) الغوث الكبير، و القطب الشهير.

أحد أركان الولاية الذين اجتمعت الأمة على اعتقادهم و محبتهم. و شهرته فى جميع الأقطار تغنى عن تعريفه، و لقب ب «البدوى» لكثرة ما كان يتلثّم.

و كانت ولادته بمدينة فاس؛ من أرض المغرب، فلما بلغ سبع سنين انتقل والده بعائلته إلى مكّة المشرّفة، و كان ذلك سنة: ثلاث و ستمائة.

فقرأ القرآن بمكّة و حفظه غيبا، ثم انتقل إلى مصر، و اشتغل بالعلم على مذهب الإمام الشّافعى مدة، حتى حدث له حادث الوله،

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

فترک ذلک.

و له کرامات کثیرة؛

منها قصة المرأة التی أسر ابنها الفرنج فلاذت به، فأحضره فی قیوده.

و مرّ به رجل یحمل قربة لبن، فأشار بإصبعه إلیها، فانفذت فخرجت منها حیة انتفخت. و کراماته تتجاوز العدّ و الحدّ. و هو إمام الأولیاء و أحد أفراد العالم.

قال المتبولی: قال لی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم: ما فی أولیاء مصر بعد محمد بن إدریس [الشافعی]؟! أکبر فتوّة من أحمد البدوی! ثم نفیسة، ثم شرف الدین الکردی، ثم المنوفی.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶۸

و السّادات بنی الوفاء. أعاد اللّه تعالی علینا من برکاتهم).

و عن عائشة رضی اللّه تعالی عنها قالت: خرج- تعنی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم- من الدّنیا و لم یملأ بطنه فی یوم من طعامین، کان إذا شبع من التّمر .. لم یشبع من الشّعیر، و إذا شبع من الشّعیر .. لم یشبع من التّمر.

و کانت وفاة صاحب الترجمة سنة:- ۶۷۵- خمس و سبعین و ستمائة هجریة رحمه اللّه تعالی.

(و السّادات) إکسیر معارف السعادات، أولی المواهب العلیّة و الحقائق المحمّدیّة (بنی الوفاء) الذین لم یشتهر ب «السّادات» فی مصر أحد سواهم؛ کسیدی محمد بن محمد وفاء السکندری الأصل، ثم المغربی ثم المصری؛ الشاذلی المالکی الصّوفی الکبیر الشهیر، و ولده سیدی علی بن محمد وفاء الصّوفی الولی الکبیر الشّهیر أحد أفراد الزّمان، و بحور العرفان.

قال الإمام الشعرانی فی حقه: طالعت کثیرا و قلیلا من کلام الأولیاء! فما رأیت أکثر علما؛ و لا أرقی مشهدا من کلام سیدی علی وفاء!!

قال الشعرانی: و سمی والده «وفاء»!! لأن بحر النیل توقف، فلم یزد إلی أوان الوفاء، فعزم أهل مصر علی الرحیل، فجاء إلی البحر و قال: اطلع بإذن اللّه تعالی. فطلع ذلک الیوم سبعة عشر ذراعا، و أوفی فسمّوه «وفاء». انتهی.

و تراجمهم مذکورة فی «طبقات» الشّعرانی و المناوی، «و جامع کرامات الأولیاء». (أعاد اللّه تعالی علینا من برکاتهم) و واصل إمداداتهم إلینا. آمین

(و) أخرج ابن سعد فی «الطبقات» من طریق عمران بن زید المدنی قال:

حدثنی والدی (عن عائشة رضی اللّه تعالی عنها؛ قالت:

خرج- تعنی) أی: ترید (النّبی- صلی اللّه علیه و سلم- من الدّنیا) أی: مات (و لم یملأ بطنه فی یوم من طعامین؛ کان إذا شبع من التّمر لم یشبع من الشّعیر، و إذا شبع من الشّعیر لم یشبع من التّمر)

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶۹

قال القسطلانی: (و اعلم أنّ الشّبع بدعة ظهرت بعد القرن الأوّل.

و قد روی النّسائیّ ... منتهی السؤل، اللحجی ج۲ ۶۹ الفصل الأول فی صفة عیشه صلی الله علیه و سلم و خبزه ..... ص : ۷

لیس فی هذا ما یدلّ علی ترک الجمع بین نوعین من الطّعام، إذ صریحه عدم امتلائه منهما، أما الجمع فقدر آخر، فقد جمع صلّی اللّه علیه و سلم القثاء بالرّطب.

ثم هذه الأحادیث السابقة لا تنافی أنّه کان فی آخر حیاته یدّخر قوت عیاله سنة، لأنّه کان یعرض له حاجة المحتاج فیخرج فیها ما کان ادّخره؛ و لا یبقی منه بقیة.

فصدق أنّه لم یشبع، و أنّ أصحابه لم یشبعوا، و أنّه ادّخر قوت سنة. کذا قاله المناوی و غیره؛ أخذا من کلام النووی فی «شرح مسلم».

و قال فی «جمع الوسائل»: و فیه أنّه یلزم منه أنّ تضییق الحال کان فی أواخر السنة، و الحال أن الأحادیث تعمّ الأحوال، فالأحسن فی

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

الجواب أن يقال: إنّما كان يدّخر قوتهم؛ لا على وجه الشّبع، أو أنّه كان لا يدّخر لنفسه. فما كانوا يشبعون معه صلّى اللّه عليه و سلم فى بعض الأوقات، مع أنّه لا تصريح فى الحديث أنّهم كانوا لا يشبعون من القلة، و إنما كان عادتهم عدم الشّبع. نعم؛ ما كانوا يجدون من لذيذ الأطعمة المؤدية إلى الشّبع غالبا. و اللّه أعلم. انتهى.

(قال) العلامة الشهاب (القسطلانىّ) فى «المواهب»:

(و اعلم أنّ الشّبع بدعة ظهرت بعد القرن الأوّل). قال بعضهم: الشّبع نهر فى النفس يرده الشيطان، و الجوع نهر فى الروح ترده الملائكة.

(و قد روى) الترمذى و (النّسائىّ)- بفتح النّون و السّين المهملة المخففة بعدها ألف ممدودة؛ منسوب إلى «نسا» مدينة بخراسان، و يقال فى النسب إليها نسوى أيضا. انتهى. و قال بعضهم:

و النّسئىّ نسبة لنسإمدينة فى الوزن مثل سبأ و النّسائى هو: أحمد بن شعيب بن على بن سنان بن بحر بن دينار.

أبو عبد الرحمن، الحافظ مصنف السنن، و أحد الأئمة المبرزين.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٧٠

و ابن ماجه ...

قال الدارقطنى: كان النّسائى أفقه مشايخ مصر فى عصره، و أعرفهم بالصحيح و السّقيم، و أعلمهم بالرّجال و لم يكن مثله، و لا أقدّم عليه أحدا!. و لم يكن فى الورع مثله، يقدّم على كل من يذكر بهذا العلم من أهل عصره.

و قال ابن يونس: كان إماما فى الحديث ثقة، ثبتا حافظا، و كان مولده سنة:

- ٢١۴- أربع عشرة و مائتين، و كان خروجه من مصر فى ذى القعدة سنة:- ٣٠٢- اثنتين و ثلاثمائة إلى دمشق فوقعت له بها كائنة، ثم حمل إلى مكّة و مات بها فى شعبان سنة:- ٣٠٣- ثلاث و ثلاثمائة؛ قاله الدارقطنى، و ابن منده. رحمهم اللّه تعالى.

آمين

(و) الحافظ أبو عبد اللّه محمد بن يزيد (ابن ماجه) القزوينى- بفتح القاف و سكون الزاى المعجمة و كسر الواو و سكون التحتية ثم نون- نسبة لقزوين: أشهر مدن عراق العجم

قال العراقى: الربعى نسبة إلى ربيعة «مولاهم»، و «ماجه» بالهاء وصلا و وقفا، و هو لقب لأبيه يزيد.

و ابن ماجه: الحافظ إمام كبير من أئمة المسلمين، متقن مقبول بالاتفاق، صنف «التفسير»، و «التاريخ»، و «السنن» و تقرن سننه بالكتب الخمسة.

و أوّل من قرنه بها الحافظ أبو الفضل بن طاهر، و تبعه عليه من بعده، فصار أحد الكتب السّتّة، و جرى على ذلك أصحاب الأطراف، و أسماء الرجال.

و من نظر فى كتابه علم منزلته من حسن الترتيب و غزارة الأبواب و قلّة الأحاديث الزائدة على القصد، بالتبويب و ترك التكرار- إلا نادرا جدا- و المقاطيع و المراسيل و الموقوفات، و نحو ذلك.

و كانت ولادة ابن ماجه سنة:- ٢٠٩- تسع و مائتين، و رحل إلى البلدان، و سمع بمكة، و المدينة، و مصر، و الشام، و العراق، و الرّى، و نيسابور، و البصرة.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٧١

و صحّحه الحاكم ...

قال السخاوى: و لم أر أحدا ذكره فى طبقات الشافعية، و إن كان الميل فى غالب أئمة الحديث لعدم التقليد.

و كانت وفاته سنة:- ٢٧٣- ثلاث و سبعين و مائتين، فعمره: أربع و ستون سنة تقريبا رحمه اللّه تعالى.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و صحّحه الحاكم)، قال فى «الفتح»: و إسناده حسن.

و الحاكم هو أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه النيسابورى المعروف ب «ابن البيع».

ولد بنيسابور فى شهر ربيع الأول سنة:- ۳۲۱- إحدى و عشرين و ثلاثمائة.

و توفى بها فى يوم الأربعاء ثالث صفر سنة:- ۴۰۵- خمس و أربعمائة.

طلب العلم من الصغر باعتناء والده و خاله، و أول سماعه سنة ثلاثين، و أكثر من الشيوخ أكثرهم من نيسابور، و له فيها نحو ألف شيخ و فى غيرها نحو ألف شيخ أيضا.

روى عنه خلق كثير؛ من أجلّهم البيهقى و الدارقطنى؛ و هو من شيوخه، و رحل إليه من البلاد الشاسعة لسعة علمه و روايته و اتفاق العلماء على أنّه من أعلام الأمّة الذين حفظ اللّه بهم هذا الدين، و حدّث عنه فى حياته، و كان يرجع إلى قوله حفاظ عصره.

و كتابه «المستدرك»- بفتح الراء- سمى به! لأنه استدرك فيه الزائد على «الصحيحين» من الصحيح مما هو على شرطهما؛ أو شرط أحدهما؛ أو ما ليس على شرط واحد منهما، و ربّما أورد فيه ما هو فيهما؛ أو فى أحدهما سهوا، و ربما أورد فيه ما لم يصحّ عنده منبّها على ذلك. و هو متساهل فى التصحيح.

قال النووى فى «شرح المهذب»: اتفق الحفاظ على أن تلميذه البيهقى أشدّ تحرّيا منه. و قد لخّص الذهبى «المستدرك» و تعقب كثيرا منه بالضعف و النكارة،

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۷۲

من حديث المقدام بن معدى كرب: أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «ما ملأ ابن آدم وعاء شرّا من بطنه، حسب ابن آدم لقيمات ...

و جمع جزءا فيه الأحاديث التى هى فيه و هى موضوعة؛ فذكر نحو مائة حديث.

قال أبو موسى المدينى: إنّ الحاكم اغتسل فى الحمام و خرج؛ و قال: آه.

و قبضت روحه و هو متّزر لم يلبس قميصه بعد رحمه اللّه تعالى.

(من حديث المقدام)- بالميم أوله و آخره- (بن معدى كرب)- بفتح الكاف و كسر الراء، أما الباء الموحدة! فيجوز كسرها مع التنوين، و يجوز فتحها على البناء- و هو أبو كريمة المقدام بن معدى كرب بن عمرو بن يزيد بن معدى كرب الكندى.

وفد على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فى وفد كندة، عداده فى أهل الشّام سكن حمص.

روى له عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم سبعة و أربعون حديثا.

و توفى بالشّام سنة: سبع و ثمانين؛ و هو ابن إحدى و تسعين سنة رضى اللّه تعالى عنه.

(أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قال: «ما ملأ ابن آدم)- و فى رواية: آدمى- (وعاء شرّا من بطنه) لما فاته من الخير الكثير، حيث جعل بطنه كالأوعية، التى تجعل ظروفا، و توهينا لشأنه، ثم جعله شرّ الأوعية، لأنها تستعمل فى غير ما هى له، و البطن خلق ليتقوّم به الصلب بالطّعام، و امتلاؤه يفضى إلى إفساد الدين و الدنيا؛ فيكون شرّا منها.

و وجه ثبوت الوصف فى المفضّل عليه!! أنّ ملء الأوعية لا يخلو عن طمع أو حرص، و كلاهما شرّ، و الشّبع يوقع فى مداحض فيزيغ عن الحق، و يغلب عليه الكسل، فيمنعه التعبّد، و تكثر فيه موادّ الفضول؛ فيكثر غضبه، و شهوته، و يزيد حرصه، فيطلب الزائد عن الحاجة.

(حسب ابن آدم) أى: يكفيه (لقيمات) جمع قلة؛ فهو لما دون العشرة.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۷۳

يقمن صلبه، فإن غلبت الآدمىّ نفسه .. فثلث للطّعام، و ثلث للشّراب، و ثلث للنّفس».

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

قال القرطبیّ: ...

قاله الغزالی. و فی روایة: «أکلات» بفتح الهمزة و الکاف؛ جمع أکلة- بالضمّ- و هی: اللّقمة. أی: یکفیه هذا القدر فی سدّ الرّمق، و إمساک القوّة، و لذا قال:

(یقمن صلبه) أی: ظهره! تسمیة للکلّ باسم جزئه، إذ کلّ شیء من الظهر فیه فقار، فهو صلب کنایة عن أنّه لا یتجاوز ما یحفظه من السقوط، و یتقوّی به علی الطّاعة.

(فإن غلبت الآدمیّ نفسه) و فی روایة «فإن کان لا محالة»؛ (فثلث للطّعام، و ثلث) یجعله (للشّراب)؛ أی: المشروب (و ثلث للنّفس»)- بفتحتین- و فی روایة: لطعامه .. لشرابه .. لنفسه. بالضمیر فی الثلاثة، و هذا غایة ما اختیر للأکل، و هو أنفع للبدن و القلب، فإن البدن إذا امتلأ طعاما؛ ضاق عن الشّراب، فإذا ورد علیه الشّراب ضاق عن النّفس، و عرض الکرب و الثّقل.

و قسم إلی الثلاثة!! لأن الإنسان فیه أرضی، و مائی، و هوائی، و ترک الناری! لأنّه لیس فی البدن جزء ناری، کما قاله جمع من الأطباء؛ قاله ابن القیّم الحنبلی رحمه اللّه تعالی.

(قال) العلامة الإمام الشّیخ محمد بن أحمد بن أبی بکر بن فرح- بإسکان الراء و الحاء المهملة- الأنصاری الأندلسی أبو عبد اللّه (القرطبیّ) المفسّر:

کان من عباد اللّه الصّالحین، و العلماء العارفین الورعین؛ الزاهدین فی الدنیا، المشغولین بما یعنیهم من أمور الآخرة، أوقاته معمورة ما بین توجّه، و عبادة، و تصنیف؛

جمع فی تفسیر القرآن کتابا کبیرا فی اثنی عشر مجلدا؛ سماه کتاب «جامع أحکام القرآن المبیّن لما تضمن من السنّة و آی القرآن» و هو من أجلّ التفاسیر!

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۷۴

لو سمع بقراط هذه القسمة لعجب من هذه الحکمة) ...

و أعظمها نفعا! أسقط منه القصص و التواریخ، و أثبت عوضها أحکام القرآن، و استنباط الأدلّة، و ذکر القراءات و الإعراب، و الناسخ و المنسوخ.

و له کتاب «شرح أسماء اللّه الحسنی»، و کتاب «التذکار فی أفضل الأذکار» وضعه علی طریقة «التبیان» للنووی؛ لکن هذا أتمّ منه، و أکثر علما.

و کتاب «التذکرة بأمور الآخرة» مجلدین، و کتاب «شرح التقصّی»، و کتاب «قمع الحرص بالزهد و القناعة ورد ذلّ السؤال بالکتب و الشفاعة». و له أرجوزة؛ جمع فیها أسماء النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم. و له تالیف و تعالیق مفیدة غیر هذه.

و کان قد طرح التکلّف، یمشی بثوب واحد؛ و علی رأسه طاقیة.

سمع من الشیخ أبی العباس: أحمد بن عمر القرطبی، مؤلف کتاب «المفهم شرح صحیح مسلم» بعض هذا الشرح، و حدّث عن أبی علی: الحسن بن محمد بن محمد البکری و غیرهما.

و کان مستقرا بمصر، ب «منیة بنی خصیب»، و توفی بها و دفن بها؛ فی شوال سنة:- ۶۷۱- إحدی و سبعین و ستمائة رحمه اللّه تعالی.

قال فی کتابه «شرح أسماء اللّه الحسنی» کما نقله عنه شیخ الإسلام الحافظ ابن حجر فی «فتح الباری»: (لو سمع بقراط)- بضم الباء- (هذه القسمة لعجب من هذه الحکمة!!)، لأنها أرجح و أتمّ ممّا یتخیّلونه فی نفوسهم، إذ هو بالحدس و التخمین، و هذا ممّن لا ینطق عن الهوی.

و قال الغزالی: ذکر هذا الحدیث لبعض الفلاسفة؛ فقال: ما سمعت کلاما فی قلة الأکل أحکم منه. و إنّما خصّ الثلاثة: الطّعام و الشّراب و النّفس بالذکر!! لأنها أسباب حیاة الحیوان، إذ لا بدّ له من الثلاثة، و لأنه لا یدخل البطن سواها.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و هل المراد بالثلث المساوى حقيقة على ظاهر الخبر؟ و الطريق إليه غلبة الظّن!! أو المراد التقسيم إلى ثلاثة أقسام متقاربة؟؛ و إن لم يغلب ظنّه بالثلث

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۷۵

و عن الحسن رضى اللّه تعالى عنه ...

الحقيقى!؟ محلّ احتمال. قال الحافظ ابن حجر: و الأول أولى.

و يحتمل أنّه لمّح بذكر الثّلث إلى قوله فى الحديث الآخر «و الثّلث كثير».

انتهى.

و قال غيره: أرجح الاحتمالين الأول، إذ هو المتبادر، و الثّانى يحتاج لدليل.

(و) روى الدمياطى فى السيرة له- كما فى «المواهب»- (عن الحسن رضى اللّه تعالى عنه) أى: البصرى، لأنّه المراد عند الإطلاق مرسلا.

و هو الإمام المشهور، المجمع على جلالته فى كلّ فنّ، أبو سعيد الحسن بن [أبى الحسن] يسار التابعى، البصرى- بفتح الباء و كسرها- الأنصارى «مولاهم»، مولى زيد بن ثابت. و قيل: مولى جميل بن قطبة.

و أمّه اسمها خيرة، مولاة لأم المؤمنين أمّ سلمة رضى اللّه تعالى عنها.

ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضى اللّه تعالى عنه، قالوا: فربما خرجت أمّه فى شغل فيبكى؛ فتعطيه أمّ سلمة رضى اللّه تعالى عنها ثديها فيدر عليه، فيرون أن تلك الفصاحة و الحكم من ذلك.

و نشأ الحسن بوادى القرى، و كان فصيحا، رأى طلحة بن عبيد اللّه و عائشة رضى اللّه تعالى عنها، و لم يصح له سماع منها!! و قيل: إنّه لقى على بن أبى طالب رضى اللّه تعالى عنه. و لم يصح!

و سمع ابن عمر، و أنسا، و سمرة، و أبا بكرة، و قيس بن عاصم، و جندب بن عبد اللّه، و معقل بن يسار، و عمرو بن تغلب- بالمثناة و الغين المعجمة- و عبد الرحمن بن سمرة، و أبا برزة الأسلمى، و عمران بن الحصين، و عبد اللّه بن المغافل، و أحمد بن جزء، و عائذ بن عمرو المزنى الصحابيين رضى اللّه تعالى عنهم. و سمع خلائق من كبار التابعين و غيرهم.

قال ابن سعد: كان الحسن جامعا، عالما، رفيعا، فقيها، ثقة، مأمونا،

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۷۶

قال: خطب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فقال: «و اللّه ما أمسى فى آل محمّد صاع من طعام، و إنّها لتسعة أبيات». و اللّه ما قالها استقلالا لرزق اللّه سبحانه و تعالى، و لكن أراد أن تتأسّى به أمّته.

و فى «الشّفا» للقاضى عياض رحمه اللّه تعالى: ...

عابدا، ناسكا، كثير العلم، فصيحا، جميلا، وسيما.

قدم مكّة، فأجلسوه على سرير و اجتمع النّاس إليه؛ فيهم طاوس، و عطاء، و مجاهد، و عمرو بن شعيب، فحدّثهم فقالوا- أو قال بعضهم-: لم ير مثل هذا قط.

و توفى سنة:- ۱۱۰- عشر و مائة رحمه اللّه تعالى عليه. آمين. (قال:

خطب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم؛ فقال: «و اللّه؛ ما أمسى فى آل محمّد صاع من طعام، و إنّها) أى: آل محمد (لتسعة) أى: أهل تسعة (أبيات») هى أبيات زوجاته.

(و اللّه ما قالها) أى: هذه الكلمة (استقلالا لرزق اللّه سبحانه و تعالى)، إذ لا يتأتّى ذلك منه، (و لكن أراد أن تتأسّى): تقتدى (به أمّته) فى القناعة، و الرّضا بالمقسوم.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

قال الزرقانى: جزم شيخنا بأن القسم من الحسن راوى الحديث، و الأصل أنّه من المرفوع، لأن الإدراج إنما يكون بورود رواية تبيّن القدر المدرج، أو استحالة أنّ المصطفى يقوله!! و لا استحالة هنا، فقد يكون قال ذلك خوفا على بعض أمّته اعتقاد أنّه قاله استقلالا فيهلك بذلك؛ كما قال لرجل مرّ عليه و معه زوجته صفية:

«إنّها صفيّة؟!». فقال الرّجل: أ فيك يا رسول اللّه؟! فقال: «خشيت عليك الشّيطان».

(و فى) كتاب («الشّفا) بتعريف حقوق المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم» (للقاضى) أبى الفضل (عياض) بن موسى اليحصبى- و قد تقدمت ترجمته فى أول الكتاب- (رحمه اللّه تعالى) فى (الباب الثانى) فى فصل زهده صلّى اللّه عليه و سلم «١»:

(١) بل وردت فى بداية الكتاب، عند ذكر المصنف للكتب التى جمع منها كتابه.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٧٧

عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت: لم يمتلئ جوف النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم شبعا قطّ، و لم يبثّ شكوى إلى أحد، و كانت الفاقة أحبّ إليه من الغنى، ...

و: (عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها؛ قالت: لم يمتلئ)- بهمز- و هو الصحيح (جوف النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم شبعا)- بكسر الشّين المعجمة و فتح الموحدة- (قطّ)؛ أى: أبدا، و لعلّ مرادها غالب أحواله، أو شبعا مفرطا غير مناسب لكماله، فإنّ المطلوب تقليل الطّعام، و الاقتصار على ما يقوم به الأود، ثم ملء ثلث البطن، فإنّ ثلثا للزاد، و ثلثا للماء، و ثلثا للنفس- كما مرّ- فإن زاد! فنصفها، و ما زاد على ذلك حرص و بطنة غير ممدوحة، و قد يحرم، إن وصّله للضرورة، و التّخمة قصدا، كما أنّ أول مراتبه واجب.

(و لم يبثّ)- بفتح الياء التحتية؛ و ضمّ الباء الموحدة و تشديد المثلّثة- أى:

لم يذكر و لم يظهر (شكوى)؛ أى: شكايته، و لا بطريق حكايته، فى جميع حالاته (إلى أحد) من أصحابه و زوجاته، لقوله تعالى فى ضمن آياته؛ حكاية عن يعقوب، فى شدة ما ابتلاه قال إِنَّما أَشْكُوا بَثِّي وَ حُزْنِي إِلَى اللَّهِ [٨٦/ يوسف].

فالشكوى إلى الخلق مذمومة، و الّذى يليق بمقام العارفين الصبر و كتم ما بهم؛ لا سيما و النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم كان يسرّ بكلّ ما يأتيه من اللّه، و لا يعدّه مؤلما؛ بل يتلذّذ به، فكيف يتصور شكواه؟!.

و إلى هذا أشار بقوله: (و كانت الفاقة): و هى الحاجة الملازمة، المقتضية للصبر (أحبّ إليه من الغنى) المقتضى للشّكر.

و هذا صريح فى تفضيل الصبر على الشكر؛ كما ذهب إليه أجلّاء الصوفية، و أكثر علماء الفقه و قد ورد: «لو تعلمون ما لكم عند اللّه؛ لأحببتم أن تزدادوا فاقة و حاجة» على ما رواه الترمذى؛ عن فضالة بن عبيد رضى اللّه تعالى عنه. كذا قاله القارى رحمه اللّه تعالى.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٧٨

و إن كان ليظلّ جائعا يلتوى طول ليلته من الجوع ...

و قد اختلف هل الغنىّ الشّاكر خير أم الفقير الصابر؟!

فذهب إلى كلّ منهما قوم من العلماء، و لكلّ منهم أدلّة مبسوطة فى محلّها.

و للعلامة الحافظ محمد بن أبى بكر بن قيّم الجوزية الحنبلى رحمه اللّه تعالى كتاب «عدة الصابرين» ذكر فيه هذه المسألة بأدلّتها من الجانبين. فليراجع.

و قال الإمام حجّة الإسلام الغزالى رحمه اللّه تعالى: قد انكشف أنّ الفقر هو الأفضل لكافّة الخلق؛ إلا فى موضعين:

١-: غنى يستوى فيه الوجود و العدم، و يستفاد به دعاء المساكين و قضاء حوائجهم، كغنى بعض الصحابة رضى اللّه تعالى عنهم.

و ٢- فقر يكون مع الضرورة حتى يكاد يكون كفرا؛ فالأول خير محض، و هذا لا خير فيه بوجه من الوجوه.

و الممدوح غنى النّفس؛ لا غنى المال من حيث هو، و الفضل كلّه فى الكفاف، و الاقتصار على مقدار الحاجة، و لذا طلبه صلّى اللّه

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

عليه و سلم له و لآله. انتهى. نقله الخفاجيّ رحمه اللّه تعالى.

(و إن) مخفّفة من الثقيلة، أى: و إنّه (كان ليظلّ)- بفتح الظاء المعجمة و تشديد اللام- أى: يكون فى طول النّهار (جائعا)- بهمزة مكسورة- (يلتوى)- بتقديم اللّام على التاء الفوقية، و واو مخففة مكسورة- و فى نسخة من «الشّفاء»:

و يتلوّى- بياء مثنّاة مفتوحة و فوقية مفتوحة، و لام كذلك، و واو مشددة مفتوحة، يليها ألف- أى: حال كونه يتقلب و يضطرب (طول ليلته من الجوع)؛ أى: من أجل حرارة لذعته، و لذا ورد «اللّهم؛ إنّى أعوذ بك من الجوع، فإنّه بئس الضّجيع» كما رواه الحاكم فى «مستدركه» عن ابن مسعود مرفوعا، و هذا كله لكمال زهده فى الدّنيا، و صبره على مشاقّها، و إقبال قلبه على الأخرى؛ لرضى المولى و ليرشد أمّته لذلك.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۷۹

فلا يمنعه صيام يومه، و لو شاء .. سأل ربّه جميع كنوز الأرض و ثمارها، و رغد عيشها، و لقد كنت أبكى رحمة له ممّا أرى به و أمسح بيدى على بطنه ممّا به من الجوع، و أقول: نفسى لك الفداء؛ ...

(فلا يمنعه) أى: جوعه (صيام يومه)؛ أى: الذى فيه، و لو كان نفلا، أو صيام يوم عادته فى مستقبله. و هذا بيان بعض شدّة حاله.

(و لو شاء) صلى اللّه عليه و سلم الغنى، و ما يترتب عليه من التنعّم و حصول المنى.

و «شاء» كثيرا ما يحذف مفعولها بعد «لو» لدلالة جوابها عليه.

(سأل ربّه جميع كنوز الأرض)؛ لا سيما و قد عرضها عليه مولاه (و ثمارها) يجوز نصبه عطفا على «جميع»، و جرّه عطفا على «كنوز»، و مثله ما بعده، و الثّمار جمع ثمرة، و هى ما يحصل من الأشجار و نحوها؛ و قد يراد به كلّ ما يستفاد من غيره؛ كما يقال ثمرة العلم العمل.

(و رغد)- بفتحتين؛ و قد يسكن ثانيه-، و أصل معنى الرغد: الواسع، يقال: أرغد فلان إذا أصاب رغدا؛ أى: سعة و خصبا و غيره.

(عيشها) أى: سعة معيشتها و طيب منفعتها.

(و لقد كنت أبكى رحمة له ممّا أرى به)، أى: ممّا أشاهده به، أو ممّا أعلمه به، (و أمسح بيدى على بطنه) كأنه بمسحه يستريح بذلك، كما كان يضع الحجر عليه ليبرّده، و يشدّ صلبه؛

و هذا للشفقة (ممّا به من الجوع)، أى: من ألمه.

ثم بينت أنّ ذلك شفقة؛ بقولها: (و أقول: نفسى لك الفداء). الفداء- بالكسر و الفتح؛ و القصر و المد-: هو ما يفدى به الأسير و نحوه، فيجعل عوضا عنه، و يقال: أفديه بنفسى، و بأمى، و بأبى، و بمالى، و قد يقال: بنفسى؛ من

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۸۰

لو تبلّغت من الدّنيا بما يقوتك؟ فيقول: «يا عائشة؛ ما لى و للدّنيا؟! ...

غير ذكر للفداء، و تسمّى الباء باء التفدية- بالفاء-.

و هذا جائز بل مستحبّ لصدوره منه صلّى اللّه عليه و سلم، فيقال لمن شرف؛ كالحكام، و العلماء، و الصلحاء، و أعزة الإخوان، قصدا لتوقيره و استعطافه، و لو كان محظورا- كما قيل- لما قاله صلّى اللّه عليه و سلم، و لكان نهى عنه من قاله له، و قد قال له أبو بكر رضى اللّه تعالى عنه: فديناك بآبائنا و أمهاتنا. و قال صلّى اللّه عليه و سلم لسعد: «إرم فداك أبى و أمّى».

و منعه قوم، لحديث مالك بن فضالة؛ أنّ الزبير رضى اللّه تعالى عنه دخل عليه صلّى اللّه عليه و سلم و هو شاك؛ فقال: كيف تجدك جعلنى اللّه فداك؟، فقال له صلّى اللّه عليه و سلم «ما زلت على أعرابيّتك بعد»؟! قيل: و لا حجّة فيه لما ادّعوه، لأن الحديث الواحد لا يقاوم الأحاديث الصحيحة الكثيرة الواردة بخلافه، و لاحتمال أنّه إنّما نهاه عنه لوروده فى غير محلّه، لأنّه لا ينبغى أن يقال ذلك للمريض، بل يتوجّع له، و يقال «لا بأس عليك»، و «عافاك اللّه و شفاك» و نحوه، و لكل مقام مقال، لا لأن القائل له كان أبواه

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

مشركين، و لا لأنه من خصوصياته، لأنّ من قائليه من ليس كذلك، و الأصل عدم الخصوصية.

(لو تبلّغت) التبلغ من البلاغ؛ و هو مقدار الكفاية، يقال: تزود من دنياك بالبلاغ؛ مأخوذ من الزّاد الّذى يبلغ به المسافر منزله، و ضمّنه هنا معنى «اكتفيت» (من الدّنيا بما يقوتك)- بضم القاف- أى: لو اكتفيت منها بالكفاف من القوت، من غير ضرورة و مخمصة، و «لو» للتمنى.

(فيقول) صلى اللّه عليه و سلم (: «يا عائشة ما لى و للدّنيا؟!) قيل: «ما» نافية، أى:

ليس لى ألفة و محبة مع الدنيا، حتى أرغب فيها، أو استفهامية أى: أىّ ألفة و محبّة و رغبة لى فى الدنيا؟.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٨١

إخوانى من أولى العزم من الرّسل صبروا على ما هو أشدّ من هذا، فمضوا على حالهم، فقدموا على ربّهم، فأكرم مآبهم، و أجزل ثوابهم، فأجدنى أستحيى إن ترفّهت فى معيشتى أن يقصّر بى ...

و هذا من إيثاره صلّى اللّه عليه و سلم الزّهد، و إظهاره لغنى القلب، و محبّة تركه لها.

ثم بيّن أنّه مقام عظيم سبق به الرسل عليهم الصّلاة و السّلام، فجرى على طريقهم، فقال: (إخوانى من أولى العزم من الرّسل)؛ و هم نوح، و إبراهيم، و موسى، و عيسى، عليهم الصّلاة و السّلام، على خلاف فيهم. و قد نظم هؤلاء الخمسة بعضهم فقال:

محمّد إبراهيم موسى كليمهفعيسى فنوح هم أولو العزم فاعلم (صبروا على ما هو أشدّ من هذا)؛ أى: ممّا أنا صابر عليه، لما روى أنّ بعضهم مات من الجوع، و بعضهم من شدّة أذى القمل، و بعضهم من كثرة الجراحات، و شدة الأمراض و العاهات، و قد خصّنى اللّه تعالى فيما حثّنى و حضّنى على الاقتداء بهم، بقوله سبحانه و تعالى فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ [٣٥/ الأحقاف]؛ كذا قال القارى فى «شرح الشفاء».

(فمضوا) أى: استمرّوا (على حالهم) الّتى كانوا عليها، راضين بقضاء اللّه تعالى لهم، صابرين على بلائه، شاكرين على نعمائه؛ إلى أن ماتوا، و لم يطلبوا من ربّهم السّعة، و لا دفع المضرّة؛ نظرا إلى كمال حسن مالهم.

(فقدموا على ربّهم) لاقوه (فأكرم مآبهم) أى: أكرمهم اللّه تعالى فى مرجعهم إليه، يقال: آب يؤوب إذا رجع، فهو اسم مكان أو مصدر ميمى (و أجزل ثوابهم)؛ أى: كثّر لهم العطاء و الجزاء فى دار المقام، (فأجدنى أستحيى)- بياءين، و فى نسخة من «الشفاء» بياء واحدة؛ أى: من اللّه تعالى عند لقائه، (إن ترفّهت) أى: إن تنعّمت (فى معيشتى)، و قد كان اللّه تعالى خيّره صلّى اللّه عليه و سلّم قبيل موته؛ بين الخلد فى الدنيا و لقائه؟ فاختار لقاءه (أن يقصّر بى)- بتشديد الصاد

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٨٢

غدا دونهم، و ما من شىء هو أحبّ إلىّ من اللّحوق بإخوانى و أخلّائى».

قالت: فما أقام بعد شهرا حتى توفّى صلوات اللّه و سلامه عليه.

ثمّ قال رحمه اللّه تعالى بعد ثلاث ورقات: ...

المفتوحة؛ مبنيا للمجهول- (غدا) بالمعجمة؛ اليوم الذى بعد يومك، و المراد به الآخرة، جعل الدنيا بمنزلة اليوم الحاضر، و الآخرة لكونها بعدها بمنزلة غد.

(دونهم) أى: دون مرتبتهم، و تحت درجتهم، فيكون مقامى دون مقامهم، و همّتى أن أكون فوق جملتهم. (و ما من شىء هو أحبّ إلىّ من اللّحوق بإخوانى) أى: فى الجملة، (و أخلّائى») أى: أحبائى فى الملّة؛ و المراد بالإخوان و الأخلّاء الأنبياء عليهم الصّلاة و السّلام، و اللّحوق بهم كونه معهم.

(قالت)؛ أى: عائشة رضى اللّه تعالى عنها: (فما أقام بعد)- بالبناء على الضمّ- أى: بعد مقالته هذه (شهرا حتّى توفّى صلوات اللّه و سلامه عليه) غاية لاقامته أى: إلى أن مات و انتقل إلى رحمة ربه و استوفى أيام عمره، و هذا يدل على اختياره الفقر فى جميع أمره

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

إلى آخر عمره.

قال الدلجى رحمه اللّه تعالى: لم أدر من روى هذا الحديث!! لكن روى ابن أبى حاتم؛ فى تفسيره عنها قالت: ظلّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم صائما ثم طواه، ثم ظلّ صائما ثمّ طواه، ثم ظل صائما!! قال: «يا عائشة؛ إنّ الدّنيا لا تنبغى لمحمّد و لا لآل محمّد، يا عائشة؛ إنّ اللّه تعالى لم يرض من أولى العزم من الرّسل إلّا بالصّبر على مكروهها، و الصّبر عن محبوبها، و لم يرض منّى إلّا أن يكلّفنى ما كلّفهم فقال فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ [۳۵/ الأحقاف]، و إنّى و اللّه لأصبرنّ كما صبروا جهدى و لا قوّة إلّا باللّه». انتهى.

(ثمّ قال)؛ أى: القاضى عياض (رحمه اللّه تعالى) فى «الشفاء» (بعد) نحو (ثلاث ورقات) من الكلام السابق، و ذلك قبل فصلين من «الباب الثالث»:

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۸۳

كان داود عليه الصّلاة و السّلام يلبس الصّوف، و يفترش الشّعر، و يأكل خبز الشّعير بالملح و الرّماد، و يمزج شرابه بالدّموع.

و قيل لعيسى عليه الصّلاة و السّلام: لو اتّخذت حمارا؟

فقال: أنا أكرم على اللّه من أن يشغلنى بحمار.

و كان يلبس الشّعر ...

(كان داود) على نبينا و (عليه) الصّلاة و (السّلام يلبس الصّوف، و يفترش الشّعر) أى: ما نسج منه، لأنه خشن يمنعه لذة النّوم و الاستغراق فيه، المانع له عن ورده، و هذا شعار الأنبياء عليهم الصّلاة و السّلام و الصّلحاء، و لذا اختاره السّادة الصّوفية.

(و يأكل خبز الشّعير بالملح) لأنّه إدام، (و الرّماد) قال ملا على قارى: لعله أراد به ما اختلط بالخبز و استهلك فيه! و إلّا فأكل الرّماد حرام لما فيه من الضرر.

([و يمزج شرابه بالدّموع]) لكثرة بكائه و عدم خلوّه منه.

و هذا رواه ابن أبى حاتم عن أنس مرفوعا، و عن مجاهد و غيره موقوفا.

(و قيل لعيسى) على نبيّنا و (عليه) الصّلاة و (السّلام)- كما أخرجه الإمام أحمد فى «الزهد»، و ابن أبى شيبة فى «مصنفه» عن ثابت- (لو اتّخذت حمارا) لتركبه لتستريح من المشى؟!

(فقال: أنا أكرم على اللّه من أن يشغلنى بحمار!!) أى: بأن يتعلّق قلبى به و بكلفته و خدمته. و يشغلنى- بفتح الغين- من شغله يشغله؛ كسأله يسأله، و أشغله لغة رديئة.

(و كان) كما روى أحمد فى «الزهد»؛ عن عبيد بن عمير، و مجاهد و الشعبى و ابن عساكر فى «تاريخه» أنّه كان (يلبس الشّعر) أى: ما نسج منه؛ زيادة فى تقشفه.

و إنما كره مالك لبس الصوف لمن يتخذه شعارا له؛ إظهارا لزهده، فإن إخفاءه

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۸۴

و يأكل الشّجر؛ و لم يكن له بيت، أينما أدركه النّوم .. نام. و كان أحبّ الأسامى إليه أن يقال له: (يا مسكين).

و قيل: إنّ موسى لمّا ورد ماء مدين كانت ترى خضرة البقل فى بطنه من الهزال.

و قال صلّى اللّه عليه و سلّم: ...

أفضل، لما فيه من الرّياء (و يأكل الشّجر) أى: ورقه، (و لم يكن له بيت) يأوى إليه؛ (أينما أدركه النّوم) أى: وقت (نام). أى: ينام فى أىّ مكان يجنّ عليه اللّيل فيه.

(و كان أحبّ الأسامى) جمع الأسماء (إليه) أى: الألفاظ التى ينادى بها (أن يقال له «يا مسكين») رغبة فى التواضع لعظمة اللّه عز و جل.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و قد رواه أحمد فى «الزهد» عن سعيد بن عبد العزيز بلفظ: بلغنى أنه ما من كلمة كانت تقال لعيسى بن مريم أحبّ إليه من أن يقال «هذا المسكين».

(و قيل)- كما رواه الإمام أحمد أيضا فى «الزهد»، و ابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما، موقوفا-:

(إنّ موسى) على نبينا و عليه الصّلاة و السّلام (لمّا ورد ماء مدين)، سمى باسم مدين بن إبراهيم الخليل، و كان ورود موسى صلّى اللّه عليه و سلم لماء مدين لمّا فرّ من قبط مصر؛ فلقى ابنتى شعيب على ذلك الماء، و بينه و بين مصر ثمانى مراحل أو أكثر؛ فى قصته المذكورة فى القرآن، و كان موسى صلّى اللّه عليه و سلم حافيا؛ من غير زاد و به جوع شديد، حتّى كانت ترى أمعاؤه،

و (كانت ترى خضرة البقل) الذى كان يأكله موسى صلّى اللّه عليه و سلم إذ لم يجد غيره.

و البقل: ما ليس بشجر؛ من النّبات الّذى لا تبقى أرومته و أصوله بعد أخذه، و هو معروف (فى بطنه من الهزال)- بضم الهاء و زاى معجمة- ضدّ السّمن.

(و قال صلّى اللّه عليه و سلم) كما رواه الحاكم و صححه؛ عن أبى سعيد الخدرى رضى اللّه

منتهى السؤل، اللحجى، ج۲، ص:۸۵

«لقد كان الأنبياء قبلى يبتلى أحدهم بالفقر و القمل، و كان ذلك أحبّ إليهم من العطاء إليكم».

تعالى عنه مرفوعا:

(«لقد كان الأنبياء قبلى يبتلى)- بالبناء للمفعول و نائبه- (أحدهم بالفقر) أى: بشدة الحاجة فى مطعمه، (و القمل)؛ أى بكثرته فى ثوبه و بدنه.

(و كان ذلك) الابتلاء (أحبّ إليهم من العطاء إليكم»)؛ رضا بقضاء المولى، و علما بأنّ ما أعده اللّه لهم خير و أبقى، و لفظ الحديث ليس كما ذكره المصنف رحمه اللّه تعالى.

و هو ما قاله أبو سعيد الخدرى رضى اللّه تعالى عنه:

قلت: يا رسول اللّه؛ من أشدّ النّاس بلاء؟ قال: «الأنبياء». قلت: ثمّ من؟ قال: «العلماء». قلت: ثمّ من؟ قال: «الصّالحون؛ كان أحدهم يبتلى بالقمل حتّى يقتله، و يبتلى بالفقر حتّى لا يجد إلّا العباءة يلبسها، و لأحدهم أشدّ فرحا بالبلاء من أحدنا بالعطاء». و هو صحيح على شرط مسلم.

قيل: و هو يدلّ على أنّ الأنبياء عليهم الصّلاة و السّلام يتسلّط عليهم القمل، و يعرض لهم، لأنه من الأعراض البشرية، إلّا أنّ ابن الملقن رحمه اللّه تعالى نقل عن ابن سبع أنّ القمل لم يكن يؤذيه صلّى اللّه عليه و سلم؛ تكريما له.

و نقل ابن عبد البرّ رحمه اللّه تعالى فى «التمهيد» أنّ نعيم بن حماد ذكر عن ابن المبارك [عن مبارك] بن فضالة عن الحسن رضى اللّه تعالى عنه أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم كان يقتل القمل فى الصّلاة

و الظّاهر أن جسده الشّريف لا يتولّد منه القمل، لاعتدال مزاجه الشّريف، و إنّما كان يوجد فى ثيابه؛ من الفقراء المجالسين له، و كذا سائر الأنبياء عليهم الصّلاة و السّلام، و لو قيل: «إنّ ضمير «يبتلى» فى حديث الحاكم للصّالحين»! كان أقرب. انتهى.

منتهى السؤل، اللحجى، ج۲، ص:۸۶

و قال مجاهد: كان طعام يحيى: العشب، و كان يبكى من خشية اللّه تعالى عزّ و جلّ، حتّى اتّخذ الدّمع مجرى فى خدّه.

و حكى الطّبرىّ عن وهب: ...

و هذا ينافيه ما نقله عن «التمهيد»؛ و قد تقدّم. و فيما قاله دليل على صبر الأنبياء عليهم الصّلاة و السّلام، و علو همّتهم فى النّظر للآخرة. انتهى؛ من شرح الخفاجى على «الشفاء».

(و قال مجاهد:) رواه الإمام أحمد فى «الزهد»، و ابن أبى حاتم عنه:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(كان طعام) النّبىّ (يحيى) على نبينا و عليه الصّلاة و السّلام (العشب)- بضمّ العين المهملة- هو النبت الذى يخرج بغير زرع.

(و كان) مع ذلك (يبكى من خشيةِ اللّه تعالى عزّ و جلّ). و الخشية: خوف مع تعظيم؛ مع أنّه ما همّ بمعصية (حتّى اتّخذ الدّمع مجرى فى خدّه)؛ أى: صار محلّ جريانه منخفضا متميزا عن غيره، لتأثيره بدوام جريانه فيه و ذلك لشدة معرفته بربه، لقوله سبحانه و تعالى إِنَّما يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ [۲۸/ فاطر].

(و حكى) الإمام الحافظ المجتهد المطلق محمد بن جرير (الطّبرى) رحمه اللّه تعالى- و تقدمت ترجمته- (عن) أبى عبد اللّه (وهب) بن منبّه التابعى الأنباوى اليمانى؛ أخو همام بن منبّه.

و هو تابعى جليل، من المشهورين بمعرفة الكتب الماضية.

سمع جابر بن عبد اللّه و ابن عباس و ابن عمرو بن العاصى و أبا سعيد الخدرى و أبا هريرة و أنسا و النّعمان بن بشير.

روى عنه عمرو بن دينار و عوف الأعرابى و المغيرة بن حكيم و آخرون.

و اتفقوا على توثيقه، توفى سنة:- ۱۱۴- أربع عشرة و مائة.

و قال ابن سعد: سنة عشر و مائة رحمه اللّه تعالى؛ قاله النّووى رحمه اللّه تعالى.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۸۷

أنّ موسى عليه الصّلاة و السّلام كان يستظلّ بعريش، و يأكل فى نقرة من حجر، و يكرع فيها إذا أراد أن يشرب كما تكرع الدّابّة؛ تواضعا للّه تعالى بما أكرمه من كلامه) انتهى.

(أنّ موسى) على نبينا و (عليه) الصّلاة و (السّلام كان يستظلّ بعريش) هو:

كلّ ما يستظلّ به؛ خيمة كان أو خشبا أو نباتا مثلا.

(و يأكل فى نقرة)- بضمّ النّون و سكون القاف- أى: حفرة (من حجر) بدلا من ظرف خشب أو خزف، و لا يأكل فى آنية، و يضع طعامه فى الأرض.

(و يكرع)- بفتح الراء- (فيها) أى: النقرة؛ أى: يأخذ الماء بفيه بأن يكب عليها و يشرب منها بفيه من غير كف و لا إناء؛ (إذا أراد أن يشرب كما تكرع الدّابّة) أى: تشرب بفمها بلا آنية؛ (تواضعا للّه تعالى بما أكرمه من كلامه) إذ كلّمه بلا واسطة، كما قال وَ كَلَّمَ اللّهُ مُوسى تَكْلِيماً (۱۶۴) [النساء] و أخبارهم فى هذا المعنى مسطورة، و صفاتهم فى الكمال و حسن الأخلاق، و حسن الصورة؛ و الشمائل معروفة مشهورة، (انتهى). أى: كلام القاضى عياض رحمه اللّه تعالى فى «الشفاء».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۸۸

[الفصل الثّانى فى صفة أكله صلّى اللّه عليه و سلّم و إدامه]

الفصل الثّانى فى صفة أكله صلّى اللّه عليه و سلّم و إدامه عن كعب بن عجرة (الفصل الثانى) من الباب الرّابع (فى) بيان ما ورد فى (صفة أكله صلّى اللّه عليه و سلم) من الأخبار.

و الأكل- بفتح الهمزة-: إدخال الطعام الجامد من الفم إلى البطن؛ سواء كان بقصد التغذّى، أو غيره؛ كالتفكّه، و قد تقدّم الكلام على ذلك.

(و) فى بيان ما ورد فى (إدامه) صلّى اللّه عليه و سلم.

و الإدام- بكسر الهمزة-: ما يساغ به الخبز، و يصلح به الطعام.

فيشمل الجامد؛ كاللحم. و فى «النهاية»: الإدام- بالكسر-؛ و الإدام- بالضم-: ما يؤكل مع الخبز أىّ شىء كان مائعا أو غيره. انتهى.

و كون اللحم إداما!! إنما هو بحسب اللغة، أما بحسب العرف؛ فلا يسمى «إداما»، و لهذا لو حلف (لا يأكل إداما)؛ لم يحنث بأكل

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

اللحم.

أخرج الطبرانی فی «الأوسط»؛ (عن) أبی محمد- و قیل: أبی عبد اللّه، و قیل: أبی إسحاق- (کعب بن عجرة)- بضم العین المهملة، و إسکان الجیم، ثم راء مهملة مفتوحة- ابن أمیّة بن عدی بن عبید بن الحارث بن عمرو بن عوف بن غنم بن سواد- بالتخفیف- البلوی المدنی؛ الصحابی الجلیل المشهور.

حلیف الأنصار- و قال الواقدی: لیس حلیفا لهم، و إنما هو من أنفسهم.

و تعقّبه ابن سعد کاتبه؛ بأنّ المشهور أنّه بلوی حالف الأنصاری. و لم نجده فی نسب الأنصار-.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۸۹

رضی اللّه تعالی عنه قال: رأیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم یأکل بأصابعه الثّلاث؛ بالإبهام، و الّتی تلیها، و الوسطی ...

تأخّر إسلامه، و کان له صنم فی بیته، فجاءه صدیقه عبادة بن الصامت یوما؛ فلم یجده، فدخل البیت فکسر الصنم بالقدوم، فلما جاء کعب و رآه؛ خرج مغضبا یرید الانتقام من عبادة، ثم فکّر فی نفسه؛ فقال: لو کان هذا الصنم ینفع لنفع نفسه. فأسلم. و شهد بیعة الرضوان و ما بعدها من المشاهد، و فیه نزل قوله تعالی فَفِدْیَةٌ مِنْ صِیامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُکٍ [۱۹۶/ البقرة].

روی له عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم فیما قیل: سبعة و أربعون حدیثا، فی «الکتب الستة» و غیرها، منها؛ فی «الصحیحین» أربعة؛ اتّفقا منها علی حدیثین، و انفرد مسلم بآخرین.

روی عنه ابن عمر، و ابن عبّاس، و جابر بن عبد اللّه، و عبد اللّه بن عمرو بن العاصی، و غیرهم.

سکن الکوفة مدّة، و مات بها. و قیل: مات بالمدینة بعد الخمسین من الهجرة، و له سبع و سبعون سنة. و قیل: خمس و سبعون سنة (رضی اللّه تعالی عنه.

قال: رأیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم یأکل بأصابعه الثّلاث، بالإبهام و الّتی تلیها) السّبابة (و الوسطی). و هذا بیان للأصابع التی کان یأکل بها، فتفسّر به الروایات المطلقة، التی منها ما رواه الترمذیّ فی «الشمائل» من حدیث کعب بن مالک:

کان علیه الصلاة و السلام یأکل بأصابعه الثلاث و یلعقهنّ.

و أخرجه أحمد، و مسلم، و أبو داود عنه؛ قال: کان صلّی اللّه علیه و سلم یأکل بثلاث أصابع، و یلعق یده قبل أن یمسحها. و لذا تورّع بعض السّلف عن الأکل بالملاعق؛ لأن الوارد إنّما هو الأکل بالأصابع.

و فی «الکشاف»: أحضر الرّشید طعاما فدعا بالملاعق، و عنده أبو یوسف

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۹۰

ثمّ رأیته یلعق أصابعه الثّلاث قبل أن یمسحها؛ الوسطی، ثمّ الّتی تلیها، ثمّ الإبهام.

فقال: جاء فی تفسیر جدّک ابن عباس فی قوله تعالی. وَ لَقَدْ کَرَّمْنا بَنِی آدَمَ [۷۰/ الإسراء]: جعلنا لهم أصابع یأکلون بها. فأحضرت الملاعق فردّها و أکل بأصابعه.

و کذلک وقع من بعض الصالحین القریبین من عصرنا؛ فإنّه لمّا عرضت علیه الملاعق حین دخوله مصر؛ و کان أهل مصر إذ ذاک قد دخلت عندهم الحضارة الغربیة ردّها؛ و لم یأکل بها، و أنشد قول ابن مالک فی «الألفیّة»:

فما لنا إلّا اتّباع أحمدا

و بعضهم أنشد قوله:

و فی اختیار لا یجیء المنفصلإذا تأتّی أن یجیء المتّصل و هو ظریف جدا.

فیستحب الأکل بالثّلاث فقط؛ إن کفت، و إلّا زاد بقدر الحاجة، لقول عامر بن ربیعة: کان صلّی اللّه علیه و سلم یأکل بثلاث أصابع، و یستعین بالرابعة. أخرجه الطبرانیّ فی «الکبیر».

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

قال ابن العربى: إن شاء أحد أن يأكل بخمس فليأكل، فقد كان صلّى اللّه عليه و سلّم يتعرّق العظم، و ينهش اللحم، و لا يمكن عادة إلّا بالخمس.

قال الحافظ العراقىّ: و فيه نظر، لأنّه يمكن بالثلاث، سلّمنا، لكنه ممسك بكلّها، لا آكل بها، فسلمنا، لكنّ المحلّ محلّ ضرورة لا يدل على عموم الأحوال، فهو كمن لا يمين له؛ يأكل بشماله.

(ثمّ رأيته يلعق أصابعه الثّلاث) المذكورة (قبل أن يمسحها؛) محافظة على بركة الطّعام، فيستحبّ ذلك، كما يستحبّ الاقتصار على الأكل بالثلاث.

ثم بيّن كيفية لعقه؛ فقال: (الوسطى) أى: يلعق أصبعه الوسطى، (ثمّ) يلعق الأصبع (الّتى تليها) و هى: السّبابة، (ثمّ) يلعق (الإبهام).

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۹۱

....

قال الحافظ زين الدّين العراقىّ فى «شرح الترمذى»: كأنّ السرّ فيه أنّ الوسطى أكثر تلويثا؛ لأنّها أطول، فيبقى فيها الطّعام أكثر من غيرها، و لأنّها لطولها أوّل ما ينزل فيها الطّعام، و هى أقرب إلى الفم حين يرتفع، فزعم أنّ نسبة الأصابع إلى الفم على السواء ساقط.

و وقع فى مرسل ابن شهاب الزهرىّ؛ عن سعيد بن منصور الخراسانى: أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم كان إذا أكل أكل بخمس. فيجمع بينه و بين ما تقدّم من أكله بثلاث، باختلاف الحال، فأكثر الأحوال بالثلاث؛ و بعضها بالخمس. و حمل على ما إذا كان الطّعام مائعا.

و قد جاءت علّة اللّعق مبيّنة فى بعض روايات مسلم: بأنّه لا يدرى فى أىّ طعامه البركة، هل فى الباقى فى الإناء؛ أو على الأصابع؟

قال ابن دقيق العيد: و قد يعلّل بأنّ مسحها قبل لعقها فيه زيادة تلويث لما يمسح به، مع الاستغناء عنه بالرّيق!! لكن إذا صحّ الحديث بالتّعليل لم يتعدّ عنه.

قال الحافظ ابن حجر: العلّة المذكورة لا تمنع ما ذكره الشيخ، فقد يكون للحكم علّتان؛ أو أكثر، و النّصّ على واحدة لا ينفى الزيادة.

قال: و أبدى القاضى عياض علّة أخرى: و هى أنّه لا يتهاون بقليل الطعام.

انتهى.

و فى الحديث ردّ على من كره لعق الأصابع استقذارا؛ ممّن ينسب إلى الرّئاسة و الإمرة فى الدنيا. نعم يحصل ذلك الاستقذار لو فعل اللّعق فى أثناء الأكل، لأنّه يعيد أصابعه فى الطّعام و عليها أثر ريقه، و المصطفى إنّما كان يلعق بعد الفراغ من الأكل، و بذلك أمر.

و قال الخطّابى: عاب قوم- أفسد عقولهم الترفّه- لعق الأصابع، و زعموا أنّه مستقبح، كأنّهم لم يعلموا أنّ الطعام الذى علق بالأصابع و الصّحفة جزء من أجزاء

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۹۲

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يكره أن يأكل الطّعام الحارّ حتّى تذهب فورة دخانه. و كان صلّى اللّه عليه و سلّم لا يأكل الطّعام الحارّ، و يقول: «إنّه غير ذى بركة، فأبردوه؛ فإنّ اللّه لم يطعمنا نارا».

ما أكلوه، و إذا لم يكن سائر أجزائه مستقذرا لم يكن الجزء اليسير منه مستقذرا!! و ليس فى ذلك أكثر من مصّه أصابعه ببطن شفتيه، و لا يشكّ عاقل أنّه لا بأس بذلك، فكيف يزعمون قبحه؟! فقد يتمضمض الإنسان فيدخل أصابعه فى فيه؛ فيدلك أسنانه و باطن فمه، ثم لم يقل أحد: إنّ ذلك قذارة و سوء أدب!!. انتهى.

و لا ريب أنّ من استقذر ما نسب إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم سيّئ الأدب يخشى عليه أمر عظيم، فنسأل اللّه تعالى بوجاهة وجهه الكريم: أن لا يسلك [بنا] غير سبيل سنّته، و أن يديم لنا حلاوة محبّته، بمنّه و كرمه. آمين.

(و) أخرج الطبرانىّ فى «الكبير» بإسناد- قال الهيثمى: فيه راو لم يسمّ، و بقيّة إسناده حسن- عن جويرية رضى اللّه تعالى عنه- و هو أحد وفد عبد القيس رضى اللّه تعالى عنهم- قال:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يكره أن يأكل الطّعام الحارّ حتّى تذهب فورة دخانه) أى:
حدّته و غليانه، لأنّ الحارّ لا بركة فيه، كما جاء مصرّحا به فى عدّة أخبار.
(و) فى «الإحياء»: (كان) رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و سلّم لا يأكل الطّعام الحارّ، و يقول: «إنّه غير ذى بركة فأبردوه، فإنّ اللّه لم يطعمنا نارا!»).
روى الطبرانىّ فى «الصغير»، و «الأوسط»؛ من حديث بلال بن أبى هريرة عن أبيه: أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم أتى بصحفة تفور، فرفع يده منها- و فى لفظ: فأشرع يده فيها، ثمّ رفع يده عنها- فقال: «إنّ اللّه لم يطعمنا نارا». و فى إسناده عبد اللّه بن يزيد البكرى؛ ضعّفه أبو حاتم.
و للطبرانىّ فى «الأوسط»؛ من حديث أبى هريرة: «أبردوا الطّعام، فإنّ الطّعام الحارّ غير ذى بركة» و كلاهما ضعيف.
منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۹۳
و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يأكل بأصابعه الثّلاث، ...
و عند أبى نعيم فى «الحلية»؛ من حديث أنس مرفوعا: كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم يكره الكىّ، و الطعام الحارّ، و يقول: عليكم بالبارد؛ فإنّه ذو بركة، ألا و إنّ الحارّ لا بركة فيه»، و كان له مكحلة يكتحل بها عند النّوم ... ثلاثا ثلاثا.
و روى الدّيلمىّ؛ عن ابن عمر مرفوعا: «أبردوا بالطّعام؛ فإنّ الحارّ لا بركة فيه».
و لأحمد، و أبى نعيم؛ من حديث ابن لهيعة عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزّبير؛ عن أسماء بنت الصّدّيق؛ أنّها كانت إذا ثرّدت غطّته بشىء حتى يذهب فوره، ثمّ تقول: إنّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: «هو أعظم بركة»- يعنى: الطّعام البارد أعظم بركة-.
و قد علمت أنّ فى إسناده ابن لهيعة؛ و فيه ضعف، و كذا فى أسانيد الأحاديث التى ذكرناها مقال؛ فلا تصلح للحجّية فى أنّه لم يأكل طعاما حارّا؛ لضعف مفرداتها.
نعم؛ روى البيهقىّ بسند صحيح؛ عن أبى هريرة قال: أتى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم يوما بطعام سخن؛ فقال: «ما دخل بطنى طعام سخن منذ كذا و كذا قبل اليوم».
و هو عند ابن ماجه من وجه آخر؛ عن أبى هريرة بلفظ: أتى يوما بطعام سخن فأكل منه، فلمّا فرغ قال: «الحمد للّه؛ ما دخل ...». و ذكره.
و لأحمد بإسناد جيّد، و الطبرانىّ، و البيهقىّ فى «الشعب»؛ من حديث خولة بنت قيس، و قدّمت له حريرة، فوضع يده فيها؛ فوجد حرّها فقبضها. هذا لفظ الطّبرانى، و البيهقى، و قال أحمد: فأحرقت أصابعه.
و رواه ابن منده فى «معرفة الصحابة»؛ و فيه بعد قوله «فقبضها»: و قال:
«يا خولة لا نصبر على حرّ و لا برد ...» الحديث.
(و) فى «الإحياء»: (كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلّم يأكل بأصابعه الثّلاث):
منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۹۴
و ربّما استعان بالرّابعة، و لم يكن يأكل قطّ بإصبعين، و يخبر أنّ ذلك من فعل الشّيطان.
الإبهام و السّبّابة و الوسطى. قال العراقىّ: رواه مسلم؛ من حديث كعب بن مالك. انتهى.
قلت: و كذلك رواه أحمد، و أبو داود، و الترمذىّ فى «الشمائل» و لفظهم جميعا: كان يأكل بثلاث أصابع و يلعق يده قبل أن يمسحها. ذكره فى «شرح الإحياء»، و قد تقدّم.
(و ربّما استعان بالرّابعة) قال العراقىّ: رويناه فى «الغيلانيّات»؛ من حديث عامر بن ربيعة، و فيه القاسم بن عبد اللّه العمرى: هالك. و فى

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

«مصنّف ابن أبى شيبة»؛ من رواية الزّهرى مرسلا: كان النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم يأكل بالخمس». انتهى.

قلت: حديث عامر بن ربيعة رواه أيضا الطبرانىّ فى «الكبير»؛ و لفظه: كان يأكل بثلاث أصابع و يستعين بالرّابعة. و أمّا مرسل الزهرى! فمحمول على المائع، و ذلك لأنّ الاقتصار على الثلاث محلّه إن كفت، و إلّا! فكما فى المائع؛ زاد بحسب الحاجة. انتهى شرح «الإحياء». و قد سبق قريبا الكلام على ذلك بأوسع ممّا هنا.

(و لم يكن) النبى صلّى اللّه عليه و سلّم (يأكل قطّ بإصبعين، و يخبر أنّ ذلك من فعل الشّيطان).

روى الدارقطنىّ فى «الأفراد»؛ عن ابن عبّاس رضى اللّه تعالى عنهما: أنّه صلّى اللّه عليه و سلّم لم يأكل بإصبعين، و قال: «إنّه أكل الشّياطين». و أخرج أيضا عنه بسند ضعيف:

«لا تأكل بإصبع فإنّه أكل الملوك، و لا تأكل بإصبعين، فإنّه أكل الشّياطين».

و رواه الحكيم الترمذىّ فى «نوادر الأصول» بلفظ: «لا تأكلوا بهاتين»- و أشار بالإبهام و المشيرة- كلوا بثلاث فإنّها سنّة، و لا تأكلوا بالخمس فإنّها أكلة الأعراب».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۹۵

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يلعق الصّحفة بأصابعه، و يقول:

«آخر الطّعام أكثر بركة».

و كان يلعق أصابعه من الطّعام ...

و روى الحافظ أبو أحمد محمد بن أحمد بن الحسن الغطريف، و ابن النّجار؛ عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه: الأكل بإصبع أكل الشيطان، و بالإصبعين أكل الجبابرة، و بالثلاث أكل الأنبياء.

و فى «الإحياء»: الأكل بالإصبع من المقت، و بإصبعين من الكبر، و بثلاث من السنّة، و بأربع أو خمس من الشّره.

(و) فى «الإحياء»: (كان) رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و سلّم يلعق)- بفتح العين المهملة- أى: يلحس (الصّحفة) الّتى فيها الطعام (بأصابعه) إذا فرغ من الأكل؛ لا فى أثنائه، لأنّه يقذر الطّعام، (و يقول: «آخر الطّعام أكثر بركة»).

قال العراقىّ: روى البيهقىّ فى «الشعب»؛ من حديث جابر فى حديث قال فيه: و لا يرفع القصعة حتى يلعقها، أو يلعقها؛ فإنّ آخر الطّعام فيه البركة.

و لمسلم؛ من حديث أنس: أمرنا أن نسلت الصّحفة؛ قال: إنّ أحدكم لا يدرى فى أىّ طعامه يبارك له فيه؟. انتهى.

قلت: و فى بعض روايات مسلم من حديث جابر: فإنّكم لا تدرون فى أىّ طعامكم البركة. و أمّا حديث جابر الذى رواه البيهقىّ! فقد رواه أيضا ابن حبّان بلفظ: و لا ترفع الصحفة حتى تلعقها، فإنّ فى آخر الطعام البركة.

و روى الإمام أحمد، و الترمذىّ، و ابن ماجه، و البغوىّ، و الدارمىّ، و ابن أبى خيثمة، و ابن السّكن، و ابن شاهين، و ابن قانع، و الدارقطنى؛ من حديث نبيشة الخير الهذلى مرفوعا:

«من أكل فى قصعة و لحسها استغفرت له». قال الترمذىّ، و الدارقطنىّ:

غريب. و أورده بعضهم: «تستغفر القصعة للاحسها». انتهى (شرح «الإحياء»).

(و كان يلعق أصابعه من الطّعام) أى: ثلاثا إذا فرغ من الأكل؛ لا فى أثنائه،

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۹۶

حتّى تحمّر. و كان لا يمسح يده بالمنديل حتّى يلعق أصابعه واحدة واحدة، و يقول: «إنّه لا يدرى فى أىّ الطّعام البركة».

لأنّه يقذر الطعام، و تعاف منه نفس الآكلين (حتّى تحمرّ).

قال العراقىّ: رواه مسلم من حديث كعب بن مالك دون قوله «حتى تحمرّ»؛ فلم أقف له على أصل.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

قلت: و المعنى: يبالغ فى لعقها، و كأنّه أخذ ذلك من رواية الترمذىّ فى «الشمائل»: كان يلعق أصابعه ثلاثا، أى: يلعق كلّ أصبع ثلاث مرات. انتهى شرح «الإحياء».

(و كان) صلى اللّه عليه و سلم (لا يمسح يده بالمنديل حتّى يلعق أصابعه واحدة واحدة، و يقول: «إنّه لا يدرى فى أىّ الطّعام البركة»).

قال العراقىّ: روى مسلم من حديث كعب بن مالك: أن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم كان لا يمسح يده بالمنديل حتّى يلعقها. و له من حديث جابر:

فإذا فرغ فليلعق أصابعه، فإنّه لا يدرى فى أىّ طعامه تكون البركة!!.

و للبيهقى فى «الشعب» من حديثه: «لا يمسح أحدكم يده بالمنديل حتّى يلعق يده، فإنّ الرّجل لا يدرى فى أىّ طعامه يبارك له». انتهى.

قلت: روى فى هذا عن ابن عباس، و جابر، و أبى هريرة، و زيد بن ثابت، و أنس بلفظ حديث ابن عباس: «إذا أكل أحدكم طعاما فلا يمسح يده بالمنديل حتّى يلعقها، أو يلعقها». رواه كذلك أحمد، و الشيخان، و أبو داود، و ابن ماجه.

و حديث جابر مثله؛ بزيادة: «فإنّه لا يدرى فى أىّ طعامه البركة». رواه كذلك أحمد، و مسلم، و النسائىّ، و ابن ماجه.

و أمّا حديث أبى هريرة! فلفظه: إذا أكل أحدكم طعاما فليلعق أصابعه، فإنّه لا يدرى فى أىّ طعامه تكون البركة. رواه كذلك أحمد، و مسلم، و الترمذىّ.

و رواه كذلك الطبرانىّ فى «الكبير»؛ عن زيد بن ثابت. و رواه كذلك الطبرانىّ فى

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا أكل الخبز و اللّحم خاصّة .. غسل يديه غسلا جيّدا، ...

«الأوسط»؛ عن أنس.

قال ابن حجر فى «شرح الشمائل»: الأكمل أن يلعق كلّ أصبع ثلاثا متوالية، لاستقلال كلّ؛ فناسب كمال تنظيفها قبل الانتقال إلى البقية، فيبدأ بالوسطى لكونها أكثر تلوّثا، إذ هى أطول فيبقى فيها من الطعام أكثر من غيرها، و لأنّها لطولها أوّل ما ينزل الطّعام، ثمّ بالسّبابة، ثم بالإبهام، لما روى الطبرانىّ فى «الأوسط»:

رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يأكل بأصابعه الثلاث بالإبهام و التى تليها و الوسطى، ثم رأيته يلعق أصابعه الثلاث قبل أن يمسحها؛ الوسطى ثمّ التى تليها، ثم الإبهام.

و عند مسلم من حديث جابر، و أنس مرفوعا: «إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها، و ليمط ما كان بها من أذى، و لا يدعها للشّيطان، و لا يمسح يده بالمنديل حتّى يلعق أصابعه، لأنّه لا يدرى فى أىّ طعامه البركة».

و فى هذه الأخبار الردّ على من كره اللّعق استقذارا، و قد مرّ كلام الخطّابى المشتمل على تقريع المستقذرين للعق الأصابع، و الكلام فيمن استقذر ذلك من حيث هو؛ لا مع نسبته للنّبى صلّى اللّه عليه و سلم، و إلّا! خشى عليه الكفر، إذ من استقذر شيئا من أحواله صلّى اللّه عليه و سلم مع علمه بنسبته إليه كفر. انتهى شرح «الإحياء» مع حذف منه.

(و) فى «الإحياء»: (كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم إذا أكل الخبز و اللّحم خاصّة؛ غسل يديه غسلا جيّدا). قال العراقىّ: روى أبو يعلى من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف: «من أكل من هذه اللحوم شيئا فليغسل يده من ريح و ضره، و لا يؤذى من حذاءه». انتهى.

قلت: و رواه ابن عدىّ فى «الكامل»؛ بلفظ: «إذا أكل أحدكم طعاما فليغسل يده من وضر اللّحم» و إسناده ضعيف أيضا، و عليه يحمل ما رواه أحمد، و الطحاوى، و الطبرانىّ، و ابن عساكر من حديث سهل بن الحنظليّة رفعه:

«من أكل لحما فليتوضّأ». أى: فليغسل يده من وضره، أى: زهومته و دسمه.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

ثمّ يمسح بفضل الماء على وجهه.

و عن ابن عمر رضى اللّه تعالى عنهما قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «من أكل من هذه اللّحوم شيئا .. فليغسل يده من ريح و ضره، و لا يؤذى من حذاءه».

و كان أكثر جلوسه صلّى اللّه عليه و سلّم ...

و روى النّسائىّ، و الحاكم، و ابن حبّان فى «صحيحيهما» «۱»- و قال الحاكم:

صحيح على شرط مسلم- عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه قال:

دعانا رجل من الأنصار من أهل قباء- يعنى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم- فانطلقنا معه، فلما طعم و غسل يده- أو يديه-؛ قال: «الحمد للّه الّذى يطعم؛ و لا يطعم» ... الحديث.

انتهى شرح «الإحياء».

(ثمّ يمسح بفضل الماء على وجهه). لم يتكلّم على هذه الجملة فى شرح «الإحياء»!!

(و) أخرج أبو يعلى بإسناد ضعيف؛ (عن) أبى عبد الرحمن عبد اللّه (ابن عمر) بن الخطّاب- و قد تقدّمت ترجمته- (رضى اللّه تعالى عنهما؛ قال:

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «من أكل من هذه اللّحوم شيئا فليغسل يده من ريح و ضره)- بفتح الواو و الضّاد المعجمة-: وسخ الدّسم و اللّبن، يعنى: يزيل ذلك بالغسل بالماء أو بغيره؛ لكن بعد لعق أصابعه؛ حيازة لبركة الطعام، كما تقدّم.

(و لا يؤذى من حذاءه)- بكسر الحاء المهملة، و ذال معجمة ممدودة- أى:

عنده، من آدمى، أو ملك. فترك غسل اليد من الطّعام الدّسم مكروه، لتأذّى الحافظين به و غيرهم.

(و) فى «كشف الغمّة»- و نحوه فى «الإحياء»-: (كان أكثر جلوسه صلّى اللّه عليه و سلم

---

(۱) غلّب اسم الصحيحين على صحيح ابن حبّان علما، و «مستدرك» الحاكم إلحاقا.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۹۹

للأكل أن يجمع بين ركبتيه و بين قدميه؛ كما يجلس المصلّى، إلّا أنّ الرّكبة تكون فوق الرّكبة، و القدم فوق القدم.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: ...

للأكل أن يجمع بين ركبتيه و بين قدميه؛ كما يجلس المصلّى) فى حال صلاته، (إلّا أنّ الرّكبة تكون فوق الرّكبة، و القدم فوق القدم).

قال العراقىّ: رواه عبد الرزاق فى «المصنف»؛ من رواية أيوب معضلا: أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم كان إذا أكل احتفز؛ و قال: «آكل كما يأكل العبد، و أجلس كما يجلس العبد».

و روى ابن الضّحّاك فى «الشمائل»؛ من حديث أنس- بسند ضعيف-:

كان إذا قعد على الطّعام استوفز على ركبته اليسرى، و أقام اليمنى؛ ثمّ قال:

«إنّما أنا عبد؛ أجلس كما يجلس العبد، و أفعل كما يفعل العبد».

و روى أبو الشّيخ فى «الأخلاق»- بسند جيد-؛ من حديث أبىّ بن كعب: أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم كان يجثو على ركبتيه، و كان لا يتّكئ.

أورده فى صفة أكل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و إنّما فعل ذلك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم تواضعا للّه تعالى، فالسنّة أن يجلس جاثيا على ركبتيه و ظهور قدميه، أو ينصب رجله اليمنى و يجلس على اليسرى.

قال ابن القيّم: و يذكر عنه صلّى اللّه عليه و سلم: أنّه كان يجلس للأكل متورّكا على ركبتيه، و يضع ظهر اليمنى على بطن قدمه

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

اليسرى؛ تواضعا للّه عزّ و جلّ، و أدبا بين يديه.

قال: و هذه الهيئة أنفع الهيئات للأكل و أفضلها، لأنّ الأعضاء كلّها تكون على وضعها الطبيعى الذى خلقها اللّه تعالى عليه. انتهى شرح «الإحياء» بتصرّف.

(و) فى «كشف الغمة»- و نحوه فى «الإحياء»-: (كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم يقول)؛ كما رواه أبو داود، و ابن ماجه، عن أبى أمامة رضى اللّه تعالى عنه قال:

خرج علينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم متوكّئا على عصا؛ فقمنا له. فقال: «لا تقوموا كما تقوم

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۰۰

«إنّما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، و أجلس كما يجلس العبد».

و عن أبى جحيفة ...

الأعاجم يعظّم بعضهم بعضا! (إنّما أنا عبد)، حصر إضافىّ؛ أى: لست بملك، فإن أريد به الرّقيق فهو استعارة، شبّه نفسه تواضعا للّه تعالى بالرّقيق؛ فقوله: (آكل كما يأكل العبد، و أجلس كما يجلس العبد») بيان لوجه الشبه، و إن أريد عبد اللّه، و كلّ الخلق عبيده؛ الملوك و غيرهم!! فالمراد أنّه متمحّض لهذه العبودية؛ لا يشوبها بشىء من أمور الدنيا، و لا يتخلّق بشىء من أخلاق أهلها؛ فى جلوس و أكل و غيرهما، بل كان يجلس على الأرض، و لا يأكل على خوان، و لا يغلق عليه باب، و ليس له بوّاب، و يأكل مستوفزا.

و أخرج البزّار من حديث ابن عمر رضى اللّه تعالى عنهما: «إنّما أنا عبد آكل كما يأكل العبد». و لأبى يعلى؛ من حديث عائشة: «آكل كما يأكل العبد، و أجلس كما يجلس العبد». و إسنادهما ضعيف.

(و) أخرج البخارىّ و الترمذىّ (عن أبى جحيفة)- بجيم مضمومة ثمّ حاء مهملة مفتوحة؛ مصغّرا- وهب بن عبد اللّه، و يقال: وهب بن وهب السّوائى- بضمّ السّين المهملة، و تخفيف الواو، و بالمد- منسوب إلى سواءة بن عامر بن صعصعة:

صحابىّ كوفىّ، توفى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم؛ و هو صبى لم يبلغ.

و كان علىّ بن أبى طالب يكرم أبا جحيفة و يسمّيه «وهب الخير»، و «وهب اللّه»، و كان يحبّه و يثق به، و جعله على بيت المال بالكوفة، و شهد معه مشاهده كلّها، و نزل الكوفة؛ و ابتنى بها دارا.

روى له عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم خمسة و أربعون حديثا؛ اتفق البخارىّ و مسلم على حديثين، و انفرد البخارى بحديثين، و مسلم بثلاثة.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۰۱

رضى اللّه تعالى عنه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «أمّا أنا فلا آكل متّكئا».

روى عنه ابنه عون، و إسماعيل بن أبى خالد، و أبو إسحاق السّبيعى، و علىّ بن الأقمر، و الحكم بن عتيبة- بالمثناة فوقا-.

و كانت وفاته سنة: اثنتين و سبعين؛ (رضى اللّه تعالى عنه؛ قال:

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «أمّا)- هى لتفصيل ما أجمل، و لتأكيد الحكم غالبا، نحو جاء القوم؛ أمّا زيد فراكب، و أمّا عمرو فماش، و قد تجىء لمجرّد التّأكيد.

ذكره الرّضىّ. و الثانى هو المراد هنا.

(أنا) قال ابن حجر: خصّص نفسه الشريفة بذلك!! لأنّ من خصائصه كراهته له دون أمّته؛ على ما زعمه ابن القاصّ من أئمّتنا، و الأصحّ: كراهته لهم أيضا، فوجه ذلك أنّ قضية كماله صلّى اللّه عليه و سلم عدم الاتّكاء فى الأكل؛ إذ مقامه الشريف يأباه من كلّ وجه، فامتاز عليهم بذلك. انتهى.

قال فى «جمع الوسائل»: و الأظهر أن يراد به تعريض غيره من أهل الجاهلية و الأعجام؛ بأنّهم يفعلون ذلك إظهارا للعظمة و الكبرياء، و

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

الافتخار و الخيلاء، و أمّا أنا فلا أفعل ذلك، و كـذلك من تبعنى، قال تعالى قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِى أَدْعُوا إِلَى اللّٰهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِى [۱۰۸/ يوسف]. و فيه إشارة خفيّة إلى أنّ امتناعه إنّما هو بالوحى الخفىّ؛ لا الجلىّ. انتهى كلام ملّا على قارى رحمه اللّه تعالى.

(فلا آكل)- بالمدّ؛ على أنّه متكلم- (متّكئا»)- بالهمز- و معنى المتّكئ:

المائل إلى أحد الشّقين؛ معتمدا عليه وحده.

و حكمة كراهة الأكل متّكئا: أنّه فعل المتكبرين، المكثرين من الأكل نهمة و شرها، المشغوفين من الاستكثار من الطعام. و الكراهة مع الاضطجاع أشدّ منها مع الاتّكاء.

نعم؛ لا بأس بأكل ما يتنقّل به مضطجعا، لما ورد عن علىّ كرم اللّه وجهه أنّه

و روى ابن ماجه: أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم نهى أن يأكل الرّجل و هو منبطح على وجهه.

أكل كعكا على برش، و هو منبطح على بطنه.

قال حجّة الإسلام: و العرب قد تفعله. و الأكل قاعدا أفضل، و لا يكره قائما بلا حاجة.

و اعلم أنّ الاتّكاء أربعة أنواع:

الأوّل: أن يضع جنبه على الأرض مثلا.

الثّانى: أن يتربّع على وطاء و يستوى عليه.

الثالث: أن يضع إحدى يديه على الأرض و يعتمدها.

الرّابع: أن يسند ظهره على وسادة و نحوها.

و كلّها مذمومة حالة الأكل، لكن الثانى لا ينتهى إلى الكراهة، و كذا الرّابع فيما يظهر، بل هما خلاف الأولى، و ما صار إليه بعضهم «من أنّ الاستناد من مندوبات الأكل؛ تمسّكا بأنّ المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم كان يأكل و هو مقع من الجوع، أى: مستند لما وراءه من الضّعف الحاصل له بسبب الجوع»!! عليه منع ظاهر لأنّه لم يفعله إلّا لتلك الضرورة، و الكلام فى حالة الاختيار.

و ما رواه ابن أبى شيبة عن مجاهد: أنّه أكل مرة متّكئا!! فلعلّه لبيان الجواز، أو كان قبل النهى. و يؤيد الثانى ما رواه ابن شاهين عن عطاء: أنّ جبريل رأى المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم يأكل متّكئا فنهاه.

و من حكم كراهة الأكل متّكئا: أنّه لا ينحدر الطعام سهلا، و لا يسيغه هيّنا، و ربّما تأذّى به. و اللّه أعلم.

(و روى) الحافظ أبو عبد اللّه محمّد بن يزيد (ابن ماجه)- بالهاء وصلا و وقفا- لقب يزيد والد أبى عبد اللّه- و قد مرّت ترجمته؛ رحمه اللّه تعالى-.

(أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم نهى أن يأكل الرّجل)- وصف أغلبى- (و هو منبطح)؛ أى: ملقى (على وجهه)، لأنّه مضرّ.

و أخرج ابن عدىّ: أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم زجر أن يعتمد الرّجل على يده اليسرى عند الأكل.

و أمّا إدام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم:

فقد كان صلّى اللّه عليه و سلّم لا يتورّع عن مطعم حلال؛ إن وجد تمرا دون خبز .. أكله، ...

(و أخرج) الحافظ أبو أحمد عبد اللّه (بن عدىّ) بن عبد اللّه بن محمّد بن مبارك بن القطان الجرجانى، أحد أئمة الحديث و رجاله.

ولد سنة:- ۲۷۷- سبع و سبعين و مائتين، و توفى سنة:- ۳۶۵- خمس و ستين و ثلاثمائة، و عمره: ثمان و ثمانون سنة تقريبا.

أخذ عن أكثر من ألف شيخ، و كان يعرف فى بلده ب «ابن القطّان»، و اشتهر بين علماء الحديث ب «ابن عدىّ»، و هو من الأئمة الثقات فى الحديث.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

له من التّصانيف: «الكامل فى معرفة الضعفاء و المتروكين من الرواة»، و كتاب «علل الحديث»، و «معجم فى أسماء شيوخه»، و له «كتاب الانتصار على مختصر المزنى» فى الفروع الشافعية. رحمه اللّه تعالى. آمين

(أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم زجر) أى: منع (أن يعتمد الرّجل على يده اليسرى عند الأكل)، و سنده ضعيف.

(و أمّا إدام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم؛ فقد كان صلّى اللّه عليه و سلم)- كما فى «كشف الغمّة» و «الإحياء»- (لا يتورّع عن مطعم حلال)؛ ففى الترمذىّ؛ من حديث أمّ هانئ قالت: دخل علىّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم؛ فقال: «أ عندك شىء؟» قلت: لا، إلّا خبز يابس و خلّ، فقال: «هاتى ...» الحديث.

و لمسلم؛ من حديث جابر: أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم سأل أهله الأدم!! فقالوا: ما عندنا إلّا خلّ، فدعا به ... الحديث.

(إن وجد تمرا دون خبز أكله). روى مسلم، و الترمذىّ، من حديث أنس

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۰۴

و إن وجد لحما مشويّا .. أكله، و إن وجد خبز برّ .. أكله، أو شعيرا .. أكله، و إن وجد حلوى، أو عسلا .. أكله، ...

قال: رأيته مقعيا يأكل تمرا. و روى أبو داود؛ من حديث أنس قال: كان يؤتى بالتمر فيه دود فيفتّشه يخرج السّوس منه.

(و إن وجد لحما مشويّا أكله) روى الترمذىّ فى «السنن»؛ و صحّحه، و كذا فى «الشمائل»؛ من حديث أمّ سلمة أنّها أخرجت إليه جنبا مشويا؛ فأكل منه ...

الحديث. و سيأتى فى المتن.

(و إن وجد خبز برّ): حنطة (أكله، أو) خبزا (شعيرا أكله).

روى الشّيخان؛ من حديث عائشة رضى اللّه تعالى عنها:

ما شبع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ثلاثة أيّام تباعا من خبز برّ، حتى مضى لسبيله. لفظ مسلم، و فى رواية له: ما شبع من خبز شعير يومين متتابعين.

و للطبرانى فى «الكبير»؛ من حديث ابن عبّاس: كان يجلس على الأرض، و يأكل على الأرض، و يعتقل الشّاة «۱»، و يجيب دعوة المملوك على خبز الشّعير.

و للترمذى و صحّحه، و ابن ماجه؛ من حديث ابن عباس: كان أكثر خبزهم الشعير.

و روى الترمذىّ فى «الشمائل»: كان يدعى إلى خبز الشّعير و الإهالة السّنخة».

(و إن وجد حلوى)- بالمد و القصر- (أو عسلا أكله).

روى الشيخان و الأربعة من حديث عائشة رضى اللّه تعالى عنها:

أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم كان يحبّ الحلواء و العسل.

و الحلواء: كلّ ما فيه حلاوة، فالعسل تخصيص بعد تعميم.

---

(۱) ليحلبها.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۰۵

و إن وجد لبنا دون خبز .. أكله و اكتفى به، و إن وجد بطّيخا، أو رطبا .. أكله.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يأكل ما حضر، و لا يردّ ما وجد.

و قال الخطابىّ: الحلواء يختصّ بما دخلته الصّنعة.

و قال ابن سيده: هى ما عولج من الطعام بحلو. و قد تطلق على الفاكهة.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و قال الثعالبیّ فی «فقه اللغة»: إنّ حلواءه صلّی اللّه علیه و سلم التی کان یحبّها هی المجیع، و هی تمر یعجن بلبن.

و قال الخطابیّ: لم تکن محبّته صلّی اللّه علیه و سلم للحلواء علی معنی کثرة التّشهّی لها، و شدّة نزوع النفس، و إنّما کان ینال منها إذا حضرت نیلا صالحا؛ فیعلم بذلک أنّها تعجبه.

(و إن وجد لبنا دون خبز؟ أکله و اکتفی به). روی الشیخان من حدیث ابن عباس: أنّ النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم شرب لبنا، فدعا بماء فمضمض.

(و إن وجد بطّیخا، أو رطبا أکله). روی الحاکم؛ من حدیث أنس قال:

کان یأکل الرّطب و یلقی النّوی فی الطّبق. و روی النّسائی؛ من حدیث عائشة رضی اللّه تعالی عنها قالت: کان یأکل الرّطب بالبطّیخ. و إسناده صحیح.

و لفظ الترمذیّ: کان یأکل البطّیخ بالرّطب. و هکذا رواه ابن ماجه؛ من حدیث سهل بن سعد، و الطّبرانیّ؛ من حدیث عبد اللّه بن جعفر.

و زاد أبو داود، و البیهقیّ فی حدیث عائشة رضی اللّه تعالی عنها: و یقول:

«یکسر حرّ هذا ببرد هذا، و برد هذا بحرّ هذا». و روی الطبرانیّ فی «الأوسط»، و الحاکم، و أبو نعیم فی «الطب»؛ من حدیث أنس قال: کان یأخذ الرّطب بیمینه، و البطّیخ بیساره، فیأکل الرّطب بالبطیخ، و کانا أحبّ الفاکهة إلیه.

(و) فی «کشف الغمّة» و «إحیاء علوم الدین»: (کان) رسول اللّه (صلی اللّه علیه و سلم یأکل ما حضر) لدیه، (و لا یردّ ما وجد). فی کتاب «الشمائل» لأبی الحسن بن

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۱۰۶

و عن زهدم الجرمیّ قال: کنّا عند أبی موسی الأشعریّ رضی اللّه تعالی عنه، فأتی بلحم دجاج، فتنحّی رجل من القوم، فقال: ما لک؟ ...

الضّحّاک بن المقری؛ من روایة الأوزاعیّ قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم: «ما أبالی ما رددت به عنّی الجوع»!. و هذا معضل؛ قاله العراقی.

قلت: و قد رواه ابن المبارک فی «الزهد»؛ عن الأوزاعیّ، کذلک. انتهی شرح «الإحیاء».

(و) أخرج الشّیخان، و التّرمذیّ فی «الشمائل»، و اللفظ له قال: حدّثنا هنّاد، قال: حدّثنا وکیع عن سفیان عن أیّوب عن أبی قلابة.

(عن زهدم)- بفتح الزّای، و سکون الهاء و فتح الدّال المهملة و آخره میم؛ بوزن جعفر- (الجرمیّ)- بالجیم المفتوحة و الرّاء السّاکنة-؛ نسبة لقبیلة جرم کفلس.

أبو مسلم البصریّ، ثقة من الثالثة، خرّج له البخاریّ و غیره.

(قال:) أی: زهدم الجرمیّ: (کنّا عند أبی موسی الأشعریّ)؛ نسبة إلی «أشعر» قبیلة بالیمن، و اسمه عبد اللّه بن قیس- و تقدّمت ترجمته- (رضی اللّه تعالی عنه).

و هذا یدلّ علی مشروعیة اجتماع القوم عند صدیقهم.

(فأتی)- بصیغة المجهول- أی: جیء (بلحم دجاج)، أی: فأتاه خادمه بطعام فیه لحم دجاج، و هو اسم جنس مثلّث الدّال، واحده دجاجة؛ مثلّثة الدال أیضا، سمّی به لإسراعه من دجّ یدجّ؛ إذا أسرع.

(فتنحّی)؛ أی: تباعد (رجل من القوم) عن الأکل، بمعنی أنّه لم یتقدّم له، و هذا الرّجل من بنی تیم اللّه أحمر، کأنّه من الموالی!! أی: العجم.

(فقال) أی أبو موسی (: ما لک) تنحّیت؟! فهو استفهام متضمّن للإنکار. أی:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

أيّ شیء باعث لک علی ما فعلت من التنحی؟! أو أیّ شیء مانع لک من التّقدّم؟!.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۱۰۷

فقال: إنّی رأیتها تأکل شیئا، فحلفت ألّا آکلها. قال: ادن، فإنّی رأیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم یأکل لحم الدّجاج.

و هذا یدلّ علی أنّه ینبغی لصاحب الطعام أن یسأل عن سبب امتناع من حضره من الأکل.

(فقال) أی الرّجل لأبی موسی (: إنّی رأیتها)، أی: أبصرت الدّجاجة حال کونها (تأکل شیئا) أی: قذرا. و أبهمه لئلّا یعاف الحاضرون أکله عند التصریح به. زاد فی بعض الروایات: فقذرتها، أی: کرهتها نفسی، (فحلفت)- بفتح اللّام- أی: أقسمت (ألّا آکلها)، و لعلّ حلفه لئلّا یکلّفه أحد أکله فیعذره بالحلف. (قال:) أی: أبو موسی للرّجل:

(ادن)؛ أی: اقرب؛ من الدّنوّ و هو القرب. و أمره بالقرب لیأکل من الدّجاج؛ (فإنّی رأیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم یأکل لحم الدّجاج). بیّن له أبو موسی أنّ ظنّه لیس فی محله؛ لما رأی من أکل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم لها، فینبغی أن یأکل هذا الرّجل منها؛ اقتداء بالمصطفی صلّی اللّه علیه و سلم و یکفّر عن یمینه، فإنّه خیر له من بقائه علی یمینه، لخبر: «لا یؤمن أحدکم حتّی یکون هواه تبعا لما جئت به».

و هذا یدلّ علی أنّه ینبغی لصاحب الطّعام أن یسعی فی حنث من حلف علی ترک شیء لأمر غیر مکروه شرعا، إلّا إذا کان الحلف بالطلاق، فلا ینبغی له أن یسعی فی حنثه فیه، و کذا لو حلف بالعتق؛ و هو محتاج لقنّه، لنحو خدمة أو منصب.

و یؤخذ منه جواز أکل الدّجاج، و هو إجماع، إلا ما شذّ به بعض المتعمّقین علی سبیل الورع، لکن استثنی بعضهم الجلّالة؛ فتحرم أو تکره- علی الخلاف المشهور فیها-.

و ما ورد من أنّه صلّی اللّه علیه و سلم کان إذا أراد أن یأکل دجاجة أمر بها فربطت أیّاما؛ ثمّ یأکلها بعد ذلک!! إنّما هو فی الجلّالة، فکان یقصرها حتّی یذهب اسم الجلّالة عنها.

قال ابن القیّم: و لحم الدّجاج حارّ رطب، خفیف علی المعدة، سریع

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۱۰۸

و عن إبراهیم بن عمر بن سفینة، عن أبیه، عن جدّه سفینة مولی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، قال: أکلت مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم لحم حباری.

الهضم، جید الخلط، یزید فی الدّماغ و المنیّ، و یصفّی الصّوت، و یحسّن اللّون، و یقوّی العقل.

و ما قیل من أنّ المداومة علیه تورث النّقرس- بکسر النّون و الرّاء بینهما قاف ساکنة، و آخره سین مهملة-؛ و هو: ورم یحدث فی مفاصل القدمین!! لم یثبت.

و لحم الدّیوک أسخن مزاجا، و أقلّ رطوبة. انتهی «باجوری رحمه اللّه تعالی».

(و) أخرج أبو داود، و الترمذیّ فی «الجامع»، و استغربه و فی «الشمائل»- و اللّفظ لها- قال: حدّثنا الفضل بن سهل الأعرج البغدادی؛ قال: حدّثنا إبراهیم بن عبد اللّه بن مهدی؛ (عن إبراهیم بن عمر بن سفینة) «مولی أمّ سلمة»، صدوق من الثالثة، خرّج له أبو داود.

قال الترمذیّ فی «الجامع»: هذا حدیث غریب لا یعرف إلّا من هذا الوجه، و إبراهیم روی عنه ابن أبی فدیک، و إبراهیم بن عبد الرحمن بن مهدی، و أبو الحجّاج النّضر بن طاهر البصریّ.

(عن أبیه)؛ أی: عمر بن سفینة (عن جدّه)؛ أی: (سفینة مولی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم)، یکنّی أبا عبد الرحمن، و یقال: کان اسمه «مهران» أو غیره.

و لقّب «سفینة»! لکونه حمل شیئا کثیرا فی سفر.

مات بعد السبعین، خرّج له مسلم، و الأربعة.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(قال: أكلت مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم لحم حبارى)- بضمّ الحاء المهملة، و تخفيف الموحدة، و فتح الرّاء، و فى آخره ألف تأنيث-: طائر طويل العنق، فى منقاره طول، رمادىّ اللون، شديد الطيران، و يسمّى عند بعض أهل اليمن «اللوام»، و لحمه بين لحم الدّجاج و البطّ.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۰۹

و (الحبارى): طائر طويل العنق، فى منقاره طول، رمادىّ اللّون، شديد الطّيران.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يأكل لحم الدّجاج ...

قال ابن القيّم: لحم الحبارى حارّ، يابس، بطىء الانهضام، نافع لأصحاب الرياضة و التعب.

و هذا الحديث يدلّ على جواز أكل الحبارى، و به صرّح أصحابنا الشافعيّة.

و فى ذلك الحديث و غيره ردّ على من حرّم أكل اللّحم من الفرق الزائغة.

و لم يذكر المصنّف- كالتّرمذىّ- فى الحبارى غير حديث سفينة هذا!!

و فيه عن أنس- رواه ابن عدىّ فى «الكامل»- قال: أتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم بطير حبارى؛ فقال: «اللّهمّ ائتنى برجل يحبّ اللّه و رسوله، و يحبّه اللّه و رسوله، فإذا علىّ يقرع الباب». فقال أنس رضى اللّه تعالى عنه: رسول اللّه مشغول. ثمّ أتى الثّانية؛ فقال: رسول اللّه مشغول. ثمّ أتى الثالثة؛ فقال: «يا أنس؛ أدخله فقد عنيته». انتهى. ذكره المناوى؛ نقلا عن الحافظ العراقىّ رحمهم اللّه تعالى.

(و الحبارى)؛ كسمانى ألفها للتّأنيث؛ يقال له فى بعض بلدان اليمن «اللوام» و صفته أنه (طائر طويل العنق؛ فى منقاره) بعض (طول)، و هو (رمادىّ اللّون) أى: على لون الرّماد؛ (شديد الطّيران)، و اسمه يقع على الذكر و الأنثى؛ و الواحد و الجمع.

و هو من أكثر الطّير حيلة فى تحصيل الرّزق، و مع ذلك يموت جوعا بهذا السبب!! و قيل: يوجد فى بطنه حجر إذا علق على شخص لم يحتلم ما دام عليه، و قيل: يضرب به المثل فى الحمق، و يقال «كلّ شىء يحبّ ولده؛ حتّى الحبارى». و ولدها يقال له «النّهار»، و فرخ الكروان «اللّيل». قال الشاعر:

و نهارا رأيت منتصف اللّيل و ليلا رأيت نصف النّهار (و) فى «كشف الغمّة»: (كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم يأكل لحم الدّجاج).

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۱۰

و الطّير الّذى يصاد، و كان لا يشتريه و لا يصيده، و يحبّ أن يصاد له، فيؤتى به فيأكله.

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول لعائشة رضى اللّه تعالى عنها: «إذا طبختم قدرا .. فأكثروا فيها من الدّباء؛ فإنّها تشدّ قلب الحزين».

رواه الشيخان و الترمذىّ، و غيرهم؛ عن أبى موسى الأشعرىّ فى حديث طويل قد تقدّم.

(و) فى «كشف الغمّة» ك «الإحياء»: كان يأكل لحم (الطّير الّذى يصاد).

قال العراقىّ: روى التّرمذىّ من حديث الحسن؛ قال: كان عند النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم طير، فقال: «اللّهمّ؛ ائتنى بأحبّ الخلق إليك يأكل معى هذا الطّير». فجاء علىّ فأكل معه. قال: حديث غريب. انتهى «شرح الإحياء».

(و كان لا يشتريه)، و فى «الإحياء»: لا يتبعه، (و لا يصيده، و يحبّ أن يصاد له فيؤتى به فيأكله).

قال العراقىّ: هذا هو الظّاهر من أحواله، فقد قال: «من اتّبع الصّيد غفل».

رواه أبو داود، و الترمذىّ، و النّسائىّ؛ من حديث ابن عباس، و قال الترمذىّ:

حسن غريب.

و أمّا حديث صفوان بن أميّة عند الطبرانىّ: «قد كانت قبلى للّه رسل كلّهم يصطاد» أو: «يطلب الصّيد»!! فهو ضعيف جدا. انتهى شرح

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

«الإحياء».

(و) فی «کشف الغمّة» ک «الإحياء»: (كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يقول لعائشة رضى اللّه تعالى عنها): «يا عائشة؛ (إذا طبختم قدرا) أى: طعاما فى قدر- بكسر القاف و سكون الدال المهملة؛ مؤنّثة-: آنية يطبخ فيها (فأكثروا فيها من الدّباء؛ فإنّها) أى: الدّباء (تشدّ قلب الحزين»).

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۱۱

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يأكل الثّريد باللّحم و القرع.

و كان يحبّ القرع، و يقول: «إنّها شجرة أخى يونس».

قال العراقىّ: رويناه فى «فوائد» أبى بكر الشافعى من حديثها، و لا يصحّ؛ قاله فى شرح «الإحياء». قال الزرقانى على «المواهب»: و لأحمد و غيره:

أنّه صلّى اللّه عليه و سلم قال لعائشة: «إذا طبخت قدرا فأكثرى فيها من الدّباء، فإنّها تشدّ قلب الحزين». انتهى.

(و) فی «کشف الغمّة» ک «الإحياء»: (كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يأكل الثّريد)- بفتح المثلّثة و كسر الرّاء؛ فعيل، بمعنى مفعول، و يقال أيضا: مثرود- و هو:

أن يثرد؛ أى: يفتّ ثمّ يبلّ بمرق اللّحم، و قد يكون معه لحم، أو يفتّ ثمّ يبلّ بأى مرق كان. و هو ظاهر «القاموس»، و «المصباح».

(باللّحم و القرع). رواه مسلم من حديث أنس.

و روى أبو داود، و الحاكم و صحّحه؛ من حديث ابن عبّاس: كان أحبّ الطّعام إليه الثّريد من الخبز، و الثّريد فى الحيس.

(و كان) صلى اللّه عليه و سلم (يحبّ القرع)- بسكون الراء و فتحها؛ لغتان- و هو: الدّباء، (و يقول: «إنّها شجرة أخى يونس») على نبيّنا و عليه الصّلاة و السّلام.

قال العراقىّ: روى النّسائىّ، و ابن ماجه؛ من حديث أنس: كان النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم يحبّ القرع. و قال النّسائىّ: الدّباء. و هو عند مسلم بلفظ: يعجبه الدّباء. و روى ابن مردويه فى تفسيره من حديث أبى هريرة فى قصة يونس فلفظته فى أصل شجرة و هى الدباء. انتهى.

قلت: و روى الترمذىّ فى «الشمائل»؛ من حديث أنس: كان يتتبع الدّباء من حوالى القصعة. و عند أحمد؛ كما عند مسلم: كان يعجبه القرع.

و قوله تعالى وَ أَنْبَتْنا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (۱۴۶) [الصافات]!! قالوا: هى الدّباء. انتهى شرح «الإحياء».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۱۲

و عن جابر بن طارق رضى اللّه تعالى عنه قال: دخلت على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم فرأيت عنده دبّاء يقطّع، فقلت: ما هذا؟ فقال: «نكثّر به طعامنا».

و عن أنس رضى اللّه تعالى عنه قال: إنّ خيّاطا ...

و سيأتى الكلام على حديث أنس رضى اللّه تعالى عنه.

(و) أخرج الترمذىّ فى «الشمائل»؛ (عن جابر بن طارق رضى اللّه تعالى عنه) صحابىّ مقلّ. روى له النّسائىّ، و ابن ماجه. و عنه ابنه حكم.

قال الترمذىّ: و لا نعرف له إلّا هذا الحديث؛ (قال:

دخلت على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم) أى: فى بيته، (فرأيت عنده دبّاء يقطّع)- بكسر الطّاء المهملة؛ بصيغة المعلوم، كما هو كذلك فى أكثر الأصول من «الشمائل»، و فى بعض النّسخ [يقطّع] بصيغة المجهول، فيكون بفتح الطّاء المهملة!! و على كلّ؛ فهو بضمّ الياء و

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

فتح القاف مع تشديد الطّاء؛ من التّقطيع، و هو جعل الشىء قطعا-.

(فقلت: ما هذا؟!) أى: ما فائدة هذا التقطيع؟!! فليس المراد السّؤال عن حقيقته، و إن كان هو الأصل فى «ما»!! لأنّه لا يجهل حقيقته،

(فقال: «نكثّر»)- بنون مضمومة و كاف مفتوحة و مثلّثة مشدّدة مكسورة؛- من التّكثير، و يجوز أن يكون: بسكون الكاف و تخفيف المثلّثة؛ من الإكثار، لكن الأصول على الأوّل- (به) أى: بالتّقطيع (طعامنا»).

و هذا يدلّ على أنّ الاعتناء بأمر الطّبخ لا ينافى الزّهد و التّوكل؛ بل يلائم الاقتصاد فى المعيشة، المؤدّى إلى القناعة.

(و) أخرج البخارىّ، و مسلم، و غيرهما- و اللّفظ ل «الشمائل»-

(عن أنس رضى اللّه تعالى عنه؛ قال: إنّ خيّاطا) لا يعرف له اسم، لكن فى

دعا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم لطعام صنعه.

قال أنس: فذهبت مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إلى ذلك الطّعام، فقرّب إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم خبزا من شعير، و مرقا فيه دبّاء، و قديد. قال أنس: فرأيت النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم يتتبّع الدّباء حوالى القصعة، ...

رواية: أنّه مولى للمصطفى صلّى اللّه عليه و سلم (دعا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم لطعام)؛ قيل: كان ثريدا (صنعه؛

قال أنس: فذهبت مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم إلى ذلك الطّعام)؛ تبعا له صلّى اللّه عليه و سلم لكونه خادما، أو بطلب مخصوص، (فقرّب)- بتشديد الرّاء المفتوحة؛ مبنىّ للفاعل- أى: فقدّم الخيّاط (إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم خبزا من شعير، و مرقا)- بفتحتين- (فيه دبّاء)،- بضم الدّال و تشديد الموحدة و بالمد و يقصر-: القرع، الواحدة دبّاءة، (و قديد) أى: لحم مملوح مجفّف فى الشمس؛ فعيل بمعنى مفعول. و فى «السنن»؛ عن رجل: ذبحت لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم شاة؛ و نحن مسافرون، فقال:

«أملح لحمها». فلم أزل أطعمه منه إلى المدينة.

(قال أنس: فرأيت النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم يتتبّع)؛ أى يتطلّب (الدّباء حوالى)- بفتح اللّام و سكون التّحتيّة؛ مفرد مثنّى الصورة- أى: جوانب.

و فى «الصحيح»: من حوالى (القصعة)- بفتح القاف فى الأشهر الأكثر- و هى: إناء يشبع منه عشرة، و أمّا الصّحفة: فهى الّتى تشبع الخمسة.

و من اللّطائف: لا تكسر القصعة و لا تفتح الخزانة.

ثمّ تتبعه من جوانبها؛ إمّا بالنّسبة لجانب؛ دون بقية الجوانب، بدليل أنّ أنس بن مالك كان يقرّبه إلى جهته عليه الصلاة و السلام، أو مطلقا.

و لا ينافيه النّهى عن ذلك!! لأنه للتّقذر و الإيذاء، و هو منتف فيه صلّى اللّه عليه و سلم؛ لأنّهم كانوا يودّون ذلك منه، لتبرّكهم بآثاره صلّى اللّه عليه و سلم، حتى أنّ نحو بصاقه، و مخاطه كانوا يدلكون به وجوههم، و يشربون بوله و دمه؛ فلا تناقض بين هذا و حديث: «كل

فلم أزل أحبّ الدّباء من يومئذ.

قال النّووىّ: (فيه أنّه يستحبّ أن يحبّ المرء الدّباء، و كذلك كلّ شىء كان يحبّه صلّى اللّه عليه و سلّم).

ممّا يليك».

على أنّ محلّ كراهة الأكل من غير ما يلى الآكل؛ إذا اتّحد لون ما فى الإناء، لا إن اختلف كما هنا، فإنّ الإناء فيه قديد، و دبّاء، و

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

مرق.

قال أنس رضى اللّه تعالى عنه: (فلم أزل أحبّ الدّباء من يومئذ)، أى: من يوم إذ رأيت النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم يتتبعه. و للترمذىّ من حديث طالوت الشامى: دخلت على أنس رضى اللّه تعالى عنه؛ و هو يأكل قرعا، و هو يقول: يا لك شجرة، ما أحبّك إلىّ بحبّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم إيّاك.

(قال) العلّامة الإمام ولىّ اللّه تعالى محيى الدّين يحيى (النّووىّ) رحمه اللّه تعالى:

(فيه أنّه يستحبّ أن يحبّ المرء الدّباء)، أى: يسعى فى الأسباب المحصّلة إلى محبّتها، (و كذلك كلّ شىء كان يحبّه صلّى اللّه عليه و سلم)؛ لأنّ من خالص الإيمان حبّ ما كان يحبّه، و اتباع ما كان يفعله، أ لا ترى إلى قول أنس: «فلم أزل أحبّ الدّباء ...» إلى آخره!!.

و لا شكّ أنّ محبّة المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم مؤدّية إلى محبّة ما كان يحبّه، حتى من مأكول و مشروب و ملبوس؛ فيسنّ محبّة الدّباء لمحبّته صلّى اللّه عليه و سلم له، و قد قال: «عليكم بالقرع؛ فإنّه يزيد فى الدّماغ». رواه الطبرانىّ؛ عن واثلة.

و للبيهقى: «فإنّه يزيد فى العقل و يكبّر الدّماغ». و روى الإمام أحمد؛ عن أنس: أنّ القرع كان أحبّ الطعام إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم. و لعلّه لما فيه من الرّطوبة فى البدن.

و فى الحديث أنّه يسنّ إجابة الدّعوة؛ و إن قلّ الطعام، أو كان المدعوّ شريفا

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۱۵

و عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت: كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم يحبّ الحلواء و العسل.

و الدّاعى دونه، و أنّ كسب الخيّاط ليس بخبيث، و محبّة ما يحبّه المصطفى و مؤاكلة الخادم، و جواز أكل الشّريف طعام من دون؛ من محترف و غيره، و مزيد تواضع المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم، و ملاطفة أصحابه و جبر خواطرهم، و تعاهدهم بالمجىء لمنازلهم.

(و) أخرج البخارىّ، و مسلم، و أصحاب «السنن الأربعة»، و «الشمائل»

(عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها؛ قالت: كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم يحبّ الحلواء)- بالمدّ على الأشهر فتكتب بالألف، و تقصر؛ فتكتب بالياء، و هى مؤنثة- قال الأزهرى، و ابن سيده: اسم طعام عولج بحلاوة، لكنّ المراد هنا- كما قال النووى-: كلّ حلو؛ و إن لم تدخله صنعة، و قد تطلق على الفاكهة.

(و العسل) النّحل، عطف خاصّ على عام لشرفه، كقوله تعالى وَ مَلائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكالَ [۹۸/ البقرة]، فما خلق لنا فى معناه أفضل منه، و لا مثله، و لا قريبا منه، إذ هو غذاء من الأغذية، شراب من الأشربة، دواء من الأدوية، حلو من الحلواء، طلاء من الأطلية، مفرح من المفرحات؛ قاله الزرقانى على «المواهب».

و حبّه صلّى اللّه عليه و سلم لذلك لم يكن للتّشهى، و شدّة نزوع النّفس له، و تأنّق الصّنعة فى اتّخاذها كفعل أهل التّرفّه المترفين الآن؛ بل معناه أنّه إذا قدّم له نال منه نيلا صالحا، فيعلم منه أنّه أعجبه.

و فيه حلّ اتّخاذ الحلاوات و الطّيّبات من الرّزق، و أنّه لا ينافى الزهد، و ردّ على من كره من الحلواء ما كان مصنوعا. كيف؛ و فى «فقه اللّغة»: أنّ حلواه التى كان يحبّها المجيع- كعظيم-: تمر يعجن بلبن.

و فيه ردّ على من زعم: «أنّ حلواه أنّه كان يشرب كلّ يوم قدح عسل بماء،

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۱۶

و كان أحبّ الشّراب إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم .. العسل.

و كان أحبّ الشّراب إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم .. اللّبن.

و أنّ الحلواء المصنوعة لا يعرفها».

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و لم يصحّ أنّه رأى السّكّر. و خبر: «أنّه حضر ملاك أنصارى و فيه سكر»!!.

قال السّهيلى: غير ثابت. و شنّع على من احتجّ به؛ كالطحاوى، لعدم كراهة النّثار.

و أوّل من خبص فى الإسلام عثمان؛ خلط بين دقيق و عسل و عصره على النّار حتّى نضج، أو كاد، و بعث به إلى المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم فاستطابه. رواه الطبرانىّ، و غيره، و سيأتى.

(و) أخرج ابن السّنّى، و أبو نعيم: كلاهما فى «الطبّ النبوىّ»؛ عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت: (كان أحبّ الشّراب)؛ أى: المشروب (إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم العسل)؛ أى: الممزوج بالماء، كما قيّده به فى رواية أخرى.

و فيه من حفظ الصّحّة ما لا يهتدى لمعرفته إلّا فضلاء الأطبّاء، فإنّ شربه و لعقه على الرّيق يذيب البلغم و يغسل خمل المعدة، و يجلو لزوجتها، و يدفع فضلاتها، و يفتح سددها، و يسخّنها باعتدال، و يفعل ذلك بالكبد و الكلى و المثانة.

و إنّما يضر بالعرض؛ لصاحب الصّفراء!! لحدّته و حدّة الصّفراء، فربّما هيّجها!! و دفع ضرره لهم بالخل.

(و) أخرج أبو نعيم فى «الطب»، عن ابن عبّاس رضى اللّه تعالى عنهما- و هو حديث حسن لغيره؛ كما فى العزيزى- قال: (كان أحبّ الشّراب إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم اللّبن)؛ لكثرة منافعه، و لكونه لا يقوم مقام الطّعام غيره، لتركّبه من الجبنيّة و السّمنيّة و المائيّة، فالجبنيّة باردة رطبة؛ مغذّية للبدن. و السّمنيّة معتدلة الحرارة و الرطوبة؛ ملائمة للبدن الإنسانىّ الصحيح، كثيرة المنافع. و المائيّة حارّة رطبة؛ مطلقة للطبيعة، مرطّبة للبدن،

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:١١٧

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا شرب اللّبن .. قال: «إنّ له دسما». و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يشرب اللّبن خالصا تارة، و تارة مشوبا بالماء البارد.

و ليس شىء من المائعات كذلك، كما قال عليه الصّلاة و السلام: «ليس شىء يجزئ من الطّعام و الشّراب إلّا اللّبن». رواه الإمام أحمد، و أبو داود، و الترمذىّ، و ابن ماجه؛ عن ابن عبّاس رضى اللّه تعالى عنهما.

لكن ينبغى أن لا يفرط فى استعماله، لأنّه ردىء للمحموم و المصروع، و إدامته تؤذى الدّماغ، و تحدث ظلمة البصر، و الغشى، و وجع المفاصل، و سدد الكبد، و نفخ المعدة، و يدفع ضرره إضافة العسل أو السّكر إليه.

قال فى «العارضة»: العسل و اللّبن مشروبان عظيمان، سيما لبن الإبل «١»، فإنّه أجود الألبان، فإنّها تأكل من كلّ الشجر، و كذا النّحل لا تبقى نورا إلّا أكلت منه، فهما مركّبان من أشجار مختلفة، و أنواع من النّبات متباينة، فكأنّهما شرابان مطبوخان مصعّدان؛ لو اجتمع الأوّلون و الآخرون على أن يركّبوا شيئين منهما ما أمكن؛ فسبحان جامعهما!!.

و اللّبن أفضل من العسل؛ على ما قاله السبكىّ، و قال غيره: العسل أفضل، و جمع بأنّ اللّبن أفضل من جهة التّغذّى و الرّى، و العسل أفضل من حيث عموم المنافع؛ كالشفاء للناس و الحلاوة. منتهى السؤل، اللحجى ج٢ ١١٧ الفصل الثانى فى صفة أكله صلى الله عليه و سلم و إدامه ..... ص : ٨٨

" قضيّة حديث ابن عباس: «ليس يجزئ من الطّعام و الشّراب إلّا اللّبن»: أنّ اللّبن أفضل من اللّحم!! و يعارضه ما ورد: «أفضل طعام الدّنيا و الآخرة اللّحم».

و هذه الثلاثة- أعنى الحلواء و العسل و اللّحم- من أفضل الأغذية، و أنفعها للبدن و الكبد و الأعضاء، و لا ينفر منها إلّا من به علّة و آفة.

(و كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم إذا شرب اللّبن؛ قال: «إنّ له دسما».

و) فى «المواهب»: (كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم يشرب اللّبن خالصا تارة، و تارة) أخرى (مشوبا) مخلوطا (بالماء البارد).

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(١) لعلها: البقر و اللّه أعلم.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:١١٨

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا أتى بلبن .. قال: «بركة».

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يتمجّع التّمر باللّبن، و يسمّيهما:

«الأطيبين».

و لا يرد أنّ اللّبن بارد؛ لأنّ اللّبن عند الحلب فيه حرارة بالنّسبة لما بعد الحلب بمدة، و تلك البلاد الحجازيّة فى الغالب حارّة، فكان يكسر حرّ اللّبن النّسبىّ بالماء البارد على عادته فى التعديل، و كان إذا شرب منه؛ قال: «اللّهم بارك لنا فيه و زدنا منه»، بخلاف غيره؛ فيقول: «و أبدلنا خيرا منه».

(و) أخرج ابن ماجه؛ عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها- قال العزيزىّ: و هو حديث صحيح- (كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم إذا أتى بلبن؛ قال «بركة»)، أى: هو بركة، يعنى شربه زيادة فى الخير.

(و) أخرج الإمام أحمد- بإسناد قوىّ- عن بعض الصّحابة قال:

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم [يتمجّع] التّمر باللّبن، و يسمّيهما: «الأطيبين»)؛ لأنّهما أطيب ما يؤكل. و فى رواية الإمام أحمد عن أبى خالد: دخلت على رجل و هو يتمجّع لبنا بتمر، فقال: ادن فإنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم سمّاهما «الأطيبين». و رجاله ثقات، و إبهام الصحابىّ لا يضرّ «١».

قال فى «شرح الإحياء»: المجيع- كأمير-: تمر يعجن بلبن. و قد جاء ذكره فى «فقه اللّغة» للثّعالبىّ، و أنّه صلّى اللّه عليه و سلم كان يحبّه، و تقدم.

قال المجد: تمجّع: أكل التّمر اليابس باللّبن معا، أو أكل التّمر و شرب عليه اللّبن.

و عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يسمّى التّمر و اللّبن: «الأطيبين». رواه الحاكم و صحّحه، و ردّه الذهبىّ بأن طلحة بن زيد

---

(١) لأن جميعهم ثقات عدول رضى اللّه عنهم أجمعين.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:١١٩

و أكل صلّى اللّه عليه و سلّم التّمر بالزّبد، و كان يحبّه.

و فى «الإحياء»: أنّه جاء عثمان بن عفّان رضى اللّه تعالى عنه بفالوذج، فأكل منه، و قال: «ما هذا يا أبا عبد اللّه؟».

- رواية عن هشام عن عروة عنها- ضعيف. انتهى «زرقانى».

(و) فى «المواهب»: (أكل صلّى اللّه عليه و سلم التّمر بالزّبد)- بالضم فسكون-:

ما يستخرج بالخضّ؛ من لبن البقر و الغنم، أمّا المستخرج من لبن الإبل! فلا يسمى زبدا، بل يقال «حباب»؛ «حبابى».

(و كان يحبّه)، يعنى الجمع بينهما فى الأكل، لأنّ الزّبد حارّ رطب، و التّمر يابس، ففيه إصلاح كلّ بالآخر.

أخرج أبو داود، و ابن ماجه- بإسناد حسن؛ كما قال بعض الحفّاظ- عن عبد اللّه، و عطيّة «ابنى بسر المازنىّ»؛ قالا: دخل علينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، فقدّمنا له زبدا و تمرا، و كان يحبّ الزّبد و التمر. و فيه جواز أكل شيئين من فاكهة و غيرها معا، و جواز أكل طعامين معا، و التوسّع فى المطاعم.

و ما روى عن السّلف من خلافه!! محمول على الكراهة فى التّوسّع، و الترفّه، و الإكثار؛ لغير مصلحة دينيّة.

قال القرطبىّ: و يؤخذ منه مراعاة صفة الأطعمة، و طبائعها، و استعمالها على الوجه اللّائق على قاعدة الطبّ. انتهى «زرقانى».

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و فى «الإحياء»): يروى (أنّه) صلى اللّه عليه و سلم (جاء) ه (عثمان بن عفّان)، ذو النّورين؛ أحد العشرة المبشّرين بالجنّة، و ثالث الخلفاء الراشدين. و تقدّمت ترجمته.

(رضى اللّه تعالى عنه؛ بفالوذج): و هو اسم أعجمىّ لنوع من الحلوى، (فأكل منه؛ و قال: «ما هذا يا أبا عبد اللّه؟»). قال ابن عبد البرّ: يكنى أبا عبد اللّه، و أبا عمرو؛ كنيتان مشهورتان، و أبو عمرو أشهرهما؛

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۲۰

قال: بأبى أنت و أمّى، نجعل السّمن و العسل فى البرمة، و نضعها على النّار، حتّى نغليه، ثمّ نأخذ مخّ الحنطة إذا طحنت، فنلقيه على السّمن و العسل فى البرمة، ثمّ نسوطه حتّى ينضج؛ فيأتى كما ترى.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «إنّ هذا الطّعام طيّب».

قيل: إنّه ولدت له رقيّة بنت النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم ابنا؛ فسماه عبد اللّه، و اكتنى به و مات.

ثمّ ولد له عمرو، فاكتنى به إلى أن مات. قال: و قد قيل: إنّه كان يكنى أبا ليلى.

(قال: بأبى أنت و أمّى، نجعل السّمن و العسل فى البرمة)- بالضمّ-: قدر من فخّار، و الجمع برم، كغرفة و غرف. (و نضعها على النّار، حتّى نغليه، ثمّ نأخذ مخّ الحنطة)؛ أى: لبابها (إذا طحنت، فنلقيه على السّمن و العسل فى البرمة، ثمّ نسوطه) أى: نحرّكه بالسّوط (حتّى ينضج)؛ أى: يستوى، (فيأتى كما ترى.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «إنّ هذا الطّعام طيّب»).

قال العراقىّ: المعروف أنّ الّذى صنعه عثمان: الخبيص.

رواه البيهقىّ فى «الشّعب» من حديث ليث بن أبى سليم؛ قال: أوّل من خبص الخبيص عثمان بن عفان، قدمت عليه عير تحمل الدّقيق و العسل، فخلط بينها، و بعث إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، فأكل فاستطابه. و قال العراقىّ: هذا منقطع.

و روى الطبرانىّ، و البيهقىّ فى «الشعب» من حديث عبد اللّه بن سلام: أقبل عثمان و معه راحلة، و عليها غرارتان. و فيه: فإذا دقيق و سمن و عسل. و فيه: ثمّ قال لأصحابه: كلوا هذا الّذى تسمّيه فارس «الخبيص».

و أمّا خبر الفالوذج!! فرواه ابن ماجه- بإسناد ضعيف- من حديث ابن عبّاس قال: أوّل ما سمعنا بالفالوذج: أنّ جبريل أتى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم فقال: إنّ أمّتك تفتح عليهم الأرض، و يفاض عليهم من الدنيا، حتّى أنّهم ليأكلون الفالوذج.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۲۱

و ذكر هذه القصّة فى «المواهب» عن عبد اللّه بن سلام بوجه آخر، مع تسمية هذا الطّعام: الخبيص.

قال النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم: «و ما الفالوذج؟!». قال: يخلطون السّمن و العسل جميعا.

قال ابن الجوزى فى «الموضوعات»: هذا حديث باطل لا أصل له. انتهى كلام العراقىّ نقله فى «شرح الإحياء» ثمّ قال: قلت: أخرجه ابن الجوزى من طريق ابن أبى الدنيا؛ قال: حدّثنى إبراهيم بن سعد الجوهرى؛ قال: حدّثنا أبو اليمان عن إسماعيل بن عيّاش؛ عن محمد بن طلحة عن عثمان بن يحيى عن ابن عبّاس ... فذكره.

و فى رواية أخرى بزيادة: فشهق النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم شهقة. قال: و هذا حديث باطل لا أصل له. و محمد بن طلحة: قد ضعّفه يحيى بن معين، و عثمان بن يحيى الحضرمىّ. قال الأزدىّ: لا يكتب حديثه عن ابن عباس. و قال النّسائىّ:

إسماعيل بن عيّاش ضعيف.

قلت: و هذا القدر الّذى ذكره لا يوجب أن يكون الحديث باطلا؛ لا أصل له.

كيف؛ و قد أخرجه ابن ماجه؟! و غاية ما يقال: إن إسماعيل بن عيّاش إذا روى عن غير الشّاميّين فلا يحتجّ بحديثه، و فرق بين أن يقال: ضعيف؛ و أن يقال:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

باطل. و العجب من الحافظ العراقىّ كيف سكت عن التّعقّب عليه؟!. انتهى.

(و ذكر هذه القصّة) القسطلانىّ (فى «المواهب»؛

عن عبد اللّه بن سلام)، بالتّخفيف- الإسرائيلىّ أبى يوسف،

حليف بنى الخزرج. قيل: كان اسمه الحصين، فسمّاه النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم عبد اللّه،

و هو صحابى جليل مشهور، مبشّر بالجنة، له أحاديث. مات بالمدينة المنوّرة سنة:- ۴۳- ثلاث و أربعين، رضى اللّه تعالى عنه (بوجه آخر) فيه مخالفة لما ساقه فى «الإحياء»؛ (مع تسمية هذا الطّعام) المتّخذ من العسل و الدقيق و السّمن (الخبيص)!! أى: الخليط، فعيل بمعنى مفعول، من الخبص بمعنى الخلط يقال: خبصت الشّىء خبصا- من باب ضرب-: خلطته.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۲۲

و كان أحبّ الطّعام إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم اللّحم،

قال فى «المواهب»: و عن عبد اللّه بن سلام قال: قدمت عير فيها جمل لعثمان رضى اللّه تعالى عنه، عليه دقيق حوّارى و سمن و عسل، فأتى بها النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، فدعا فيها بالبركة، ثمّ دعا صلّى اللّه عليه و سلم ببرمة فنصبت على النار، و جعل فيها من العسل و الدقيق و السمن، ثمّ عصد حتى نضج؛ أو كاد ينضج، ثمّ أنزل، فقال النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم: «كلوا؛ هذا شىء تسمّيه فارس: الخبيص».

قال المحبّ الطبرىّ: خرّجه تمّام فى «فوائده»، و الطبرانىّ فى «معاجيمه»، و رجاله ثقات. و فى الشّامىّ: رجال «الأوسط» و «الصغير» ثقات، و قد أخرجه الحاكم و صحّحه، و بقىّ بن مخلد. انتهى.

و مقتضى هذا الحديث أنّ أوّل من خبص فى الإسلام النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، فيخالف ما ذكره فى «شرح الإحياء» و غيره: أنّ أوّل من خبص عثمان بن عفان.

و يحتمل أنّ نسبته إلى عثمان؛ لكونه كان سببا فى فعله بإهدائه إليه.

لكن روى الحارث بسند منقطع: صنع عثمان خبيصا بالعسل و السّمن و البرّ، و أتى به فى قصعة إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، فقال: «ما هذا؟». قال: هذا شىء تصنعه الأعاجم، تسمّيه الخبيص. فأكل.

و يمكن الجمع أيضا بتكرّر ذلك، فيكون عثمان فعله أوّلا بنفسه، ثمّ عرضه على المصطفى فأمر بأن يصنع له منه ففعل. و اللّه أعلم. انتهى «زرقانى».

(و) أخرج أبو الشّيخ ابن حيّان؛ من رواية ابن سمعان «۱» قال: سمعت علماءنا «۲» يقولون: (كان أحبّ الطّعام إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم اللّحم).

(۱) هو محمد بن أبى يحيى و هو سمعان الأسلمى المدنى صدوق من الخامسة. مات سنة ۱۴۷؛ كما فى «التقريب». و ليس هو أبا منصور السمعانى محمد بن محمد بن سمعان بكسر السين المذكور فى «التبصرة». «هامش الأصل».

(۲) يعنى التابعين. «هامش الأصل».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۲۳

و يقول: «إنّه يزيد فى السّمع، و هو سيّد الطّعام فى الدّنيا و الآخرة،

و للتّرمذى فى «الشمائل»؛ من حديث جابر: أتانا النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم فى منزلنا، فذبحنا له شاة، فقال: «كأنّهم علموا أنّا نحبّ اللّحم»!. و إسناده صحيح.

و فى حديث قصة جابر فى الخندق؛ و هى طويلة: (و يقول: «إنّه)؛ أى:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

اللحم (يزيد فى السّمع).

قال الإمام الشافعىّ: إنّ أكله يزيد فى العقل. و قال الإمام الزهرىّ: أكل اللحم يزيد سبعين قوة، و لكن ينبغى أن لا يواظب على أكله؛ كما قال الغزالىّ، لما جاء عن علىّ رضى اللّه تعالى عنه: إنّه يصفّى اللّون، و يحسّن الخلق، و من تركه أربعين ليلة ساء خلقه، و من داوم عليه أربعين يوما قسا قلبه».

و قال ابن القيّم: ينبغى عدم المداومة على أكل اللّحم؛ فإنّه يورث الأمراض الدّمويّة و الامتلائيّة، و الحمّيات الحادّة.

و قال بقراط: لا تجعلوا بطونكم مقابر للحيوان. انتهى «زرقانى».

(و هو سيّد) أى: أفضل، إذ السّيّد الأفضل، كخبر: «قوموا إلى سيّدكم» أى: أفضلكم (الطّعام فى الدّنيا و الآخرة).

و لابن ماجه؛ من حديث أبى الدرداء- بإسناد ضعيف لا موضوع؛ كما زعم ابن الجوزى!-: «سيّد طعام أهل الدّنيا و أهل الجنّة اللّحم».

و روى أبو نعيم فى «الطب»؛ من حديث علىّ: «سيّد طعام الدّنيا اللّحم، ثمّ الأرزّ. و أورده ابن الجوزى فى «الموضوعات» أيضا ..

و روى الدّيلمىّ؛ عن صهيب رفعه: «سيّد الطّعام فى الدّنيا و الآخرة اللّحم، ثمّ الأرزّ، و سيّد الشّراب فى الدّنيا و الآخرة الماء».

و عن بريدة مرفوعا: «سيّد الإدام فى الدّنيا و الآخرة اللّحم، و سيّد الشّراب فى الدّنيا و الآخرة الماء، و سيّد الرّياحين فى الدّنيا و الآخرة الفاغية».

و لو سألت ربّى أن يطعمنيه كلّ يوم .. لفعل».

و عن عطاء بن يسار: أنّ أمّ سلمة ...

رواه الطّبرانىّ و غيره، و رواه أبو نعيم فى «الطب» بلفظ «خير».

و عن ربيعة بن كعب رفعه: «أفضل طعام الدّنيا و الآخرة اللّحم».

رواه العقيلى، و أبو نعيم فى «الحلية». و كلّها ضعيفة، لكن بانضمامها تقوى، كما أشار إليه السّخاوى رحمه اللّه تعالى.

(و لو سألت ربّى أن يطعمنيه كلّ يوم لفعل»)، لكنّى لم أسأله، و لذا كان لا يأكل اللّحم إلّا غبّا. كما رواه الترمذىّ فى «الجامع» و «الشمائل».

(و) أخرج الترمذىّ (عن عطاء بن يسار) الهلالىّ المدنىّ «مولى ميمونة بنت الحارث الهلاليّة أم المؤمنين رضى اللّه تعالى عنها»، أخى سليمان، و عبد اللّه، و عبد الملك، بنى يسار، و هو من كبار التابعين.

سمع ابن مسعود، و أبىّ بن كعب، و عبد اللّه بن سلام، و أبا أيّوب، و ابن عمر، و ابن عبّاس، و ابن عمرو بن العاصى، و أبا واقد اللّيثىّ، و أبا رافع، و أبا سعيد الخدرىّ، و أبا هريرة، و أبا ملك، و زيد بن ثابت، و زيد بن خالد، و مولاته ميمونة رضى اللّه تعالى عنهم. و قال أبو حاتم: لم يسمع ابن مسعود، و أثبت البخارى سماعه منه.

روى عنه جماعات من التابعين؛ منهم أبو سلمة بن عبد الرحمن، و عمرو بن دينار، و غيرهما. قال ابن سعد: كان ثقة؛ كثير الحديث، و اتّفقوا على توثيقه، و توفى سنة:- ١٠٣- ثلاث و مائة، و قيل غير ذلك رحمه اللّه تعالى.

(أنّ أمّ سلمة)، كنيت بابنها سلمة بن أبى سلمة، و اسمها: هند بنت أبى أمية،- و اسمه: حذيفة، أو سهيل، أو هشام- ابن المغيرة بن عبد اللّه بن عمرو بن مخزوم المخزومية كانت قبل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم عند أبى سلمة، عبد اللّه بن عبد الأسد، و هاجر بها أبو سلمة إلى أرض الحبشة فى الهجرتين جميعا، فولدت له

رضى اللّه تعالى عنها أخبرته أنّها قرّبت إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم جنبا مشويّا فأكل منه.

هناك زينب بنت أبى سلمة، و ولدت له بعد ذلك سلمة، و عمر، و درّة: بنى أبى سلمة؛ قاله ابن سعد.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و مات أبو سلمة سنة: أربع من الهجرة فى جمادى الأخرى فاعتدّت، و حلّت فى أواخر شوّال سنة: أربع، و تزوّجها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم سنة أربع فى أواخر شوال، و توفّيت فى ذى القعدة سنة:- ۵۹- تسع و خمسين.

و كانت من أجلّ النّساء، و اتّفقوا على أنّها دفنت بالبقيع، و هى آخر أمّهات المؤمنين وفاة، و كانت هى و زوجها أوّل من هاجر إلى الحبشة (رضى اللّه تعالى عنها)، و عن زوجها و أولادها. آمين.

(أخبرته أنّها قرّبت)- بتشديد الراء- أى: قدّمت (إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم جنبا)- بفتح الجيم و سكون النّون و موحدة-: شقّ الإنسان و غيره؛ كما فى «القاموس»، و لذا أطلق على الشّق الذى قدّمته له من شاة، كما قال بعض الشّرّاح، و زعم «أنّه لا دليل عليه»!! يدفعه أنّه الظّاهر من أحوالهم.

(مشويّا) بمطلق نار؛ أو بالحجارة المحماة، كما قيل فى قوله تعالى ف جاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (۶۹) [هود]: أى: مشوىّ بالرّضف، أى: الحجارة المحماة. و قال ابن عبّاس: أى: نضيج، و هو أخصّ منه.

قال العراقىّ: وقع الاصطلاح فى هذه الأعصار على أنّ المراد بالشّواء اللحم السّميط؛ و إنّما كان يطلق قبل هذا على المشوىّ، و لم يكن السّميط على عهده صلّى اللّه عليه و سلم، و لا رأى شاة سميطا قطّ.

(فأكل منه) ثمّ قام إلى الصّلاة و ما توضأ. قال الترمذىّ- بعد ما رواه-:

حديث صحيح.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۲۶

و عن عبد اللّه بن الحارث قال: أكلنا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم شواء فى المسجد.

و عن المغيرة بن شعبة رضى اللّه تعالى عنه قال: ضفت مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ذات ليلة، فأتى بجنب مشوىّ، ثمّ أخذ الشّفرة؛

(و) أخرج الترمذىّ أيضا (عن عبد اللّه بن الحارث؛ قال:

أكلنا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم شواء)- بكسر الشّين المعجمة أو ضمّها؛ مع المدّ، و يقال: شوى كغنى-: هو اللّحم المشوىّ بالنّار. فقول شارح «أى: لحما ذا شواء»!! ليس على ما ينبغى، لأنّ الشّواء ليس مصدرا كما يقتضيه كلامه، بل اسم اللّحم المشوىّ (فى المسجد).

زاد ابن ماجه: ثمّ قام فصلّى و صلّينا معه، و لم نزد أن مسحنا أيدينا بالحصباء.

و فيه دليل لجواز أكل الطّعام فى المسجد؛ جماعة و فرادى، و محلّه إن لم يحصل ما يقذر المسجد، و إلّا! فيكره أو يحرم، و يمكن حمل أكلهم على زمن الاعتكاف، فلا يرد أنّ الأكل فى المسجد خلاف الأولى عند أمن التّقذير، على أنّه يمكن أن يكون لبيان الجواز. و اللّه أعلم.

(و) أخرج الترمذىّ فى «الشمائل»؛ (عن المغيرة بن شعبة رضى اللّه تعالى عنه؛ قال: ضفت)- بكسر أوّل- (مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ذات ليلة)، أى: نزلت معه صلّى اللّه عليه و سلم ضيفين على إنسان فى ليلة من اللّيالى.

يقال: ضفت الرجل؛ إذا نزلت به فى ضيافة، و أضفته إذا أنزلته، فليس المراد جعلته ضيفا لى حال كونى معه، خلافا لمن زعمه.

و قد وقعت هذه الضّيافة فى بيت ضباعة بنت الزّبير بن عبد المطلب، «بنت عم النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم»؛ كما أفاده القاضى إسماعيل (فأتى بجنب مشوىّ، ثمّ أخذ)، أى:

النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم (الشّفرة)- بفتح الشّين المعجمة، و سكون الفاء؛ كطلحة-: و هى

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۲۷

فجعل يحزّ، فحزّ لى بها منه.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

قال: فجاء بلال يؤذنه بالصّلاة، فألقى ...

السّكين العريض العظيم، و جمعه شفار؛ ككلب و كلاب، و شفرات مثل سجدة و سجدات.

(فجعل) أى: شرع (يحزّ)- بضم الحاء؛ من باب ردّ- أى: يقطع من الحزّ- بحاء مهملة-: القطع (فحزّ)- بتشديد الزّاى- أى: فقطع (لى)؛ أى: لأجلى (بها)، أى: بالشّفرة (منه)، أى: من ذلك الجنب المشوىّ.

و فيه حلّ قطع اللّحم بالسّكين! و لا يشكل على ذلك خبر: «لا تقطعوا اللّحم بالسّكّين؛ فإنّه من وضع الأعاجم، و انهسوه، فإنّه أهنأ و امرأ».

رواه أبو داود؛ عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها!! لقول أبى داود- عقب روايته- فيه: ليس بالقوىّ.

و على التنزّل! فالنّهى وارد فى غير المشوىّ، أو محمول على ما إذا اتّخذه عادة. و يمكن أن يقال: النّهس محمول على النّضيج، و الحزّ على غير النّضيج، و بذلك عبّر البيهقىّ؛ فقال: النّهى عن قطع اللّحم بالسّكين فى لحم تكامل نضجه.

و ذهب بعضهم إلى أنّ الحزّ لبيان الجواز؛ تنبيها على أنّ النّهى للتّنزيه لا للتّحريم.

و فيه أنّه ينبغى للكبير أن يحزّ للصغير؛ إظهارا لمحبّته، و تألّفا له. قاله المناوى.

(قال) أى المغيرة (: فجاء بلال) أى: المؤذّن، أبو عبد الرّحمن.

كان يعذّب فى ذات اللّه، فاشتراه أبو بكر رضى اللّه تعالى عنه فأعتقه. و هو أوّل من أسلم من الموالى «۱»، شهد بدرا و ما بعدها، و مات بدمشق سنة:- ۱۸- ثمان عشرة، و له ثلاث و ستون سنة؛ من غير عقب، و دفن بباب الصغير رضى اللّه تعالى عنه.

(يؤذنه)- بسكون الهمزة و قد تبدل واوا؛ من الإيذان- و هو: الإعلام، و التّأذين مثله إلّا أنّه خصّ بالإعلام بوقت الصّلاة، أى: يعلمه (بالصّلاة، فألقى

---

(۱) لعل أول من أسلم من الموالى الصحابى زيد بن حارثة رضى اللّه عنه. و اللّه أعلم.

الشّفرة، فقال: «ما له؟! تربت يداه».

قال: و كان شاربه قد وفا، فقال له: «أقصّه لك على سواك؟

أو: قصّه على سواك».

الشّفرة)، أى: رماها النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم (فقال: «ما له)، أى: لبلال (تربت يداه؟!»)، أى: أىّ شىء ثبت له؛ يبعثه على الإعلام بالصلاة بحضرة الطعام، التصقت يداه بالتراب من شدة الفقر؟!. و هذا معناه بحسب الأصل.

و المقصود منه هنا: الزّجر عن ذلك؛ لا حقيقة الدّعاء عليه، فإنّه صلّى اللّه عليه و سلم كره منه إعلامه بالصّلاة بحضرة الطعام. و الصّلاة بحضرة طعام تتوق إليه النّفس مكروهة، مع ما فى ذلك من إيذاء المضيف و كسر خاطره!! هذا هو الأليق بالسّياق و قواعد الفقهاء. قاله الباجورىّ.

(قال)؛ أى المغيرة (: و كان شاربه) أى: بلال (قد وفا)، أى: طال.

أى: قال المغيرة: و كان شارب بلال قد طال و أشرف على فمه.

و الشّارب: هو الشّعر النّابت على الشّفة العليا، و الذى يقصّ منه هو الذى يسيل على الفم، و لا يكاد يثنّى؛ فلا يقال: شاربان، لأنّه مفرد، و بعضهم يثنّيه باعتبار الطّرفين، و جمعه: شوارب.

(فقال) أى: النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم (له) أى: لبلال (: «أقصّه) أنا (لك على سواك!)، بوضع السّواك تحت الشّارب، ثم قصّ ما فضل عن السواك (أو:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

قصّه) أنت (على سواك»)، بصيغة الفعل المضارع المسند للمتكلم وحده فى الأوّل، و بصيغة الأمر فى الثّانى.

و هذا شكّ من المغيرة، أو ممّن دونه من الرواة؛ فى أىّ اللّفظين صدر من النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم. و سبب القصّ على السّواك ألّا تتأذّى الشّفة بالقصّ.

و يؤخذ من هذا الحديث: ندب قصّ الشّارب إذا طال حتّى تظهر حمرة الشّفة، و جواز أن يقصّه لغيره، و أن يباشر القصّ بنفسه. و يندب الابتداء بقصّ الجهة اليمنى من الشارب.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۲۹

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يأكل من الكبد إذا شويت.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يحبّ من الشّاة الذّراع و الكتف.

و هل الأفضل قصّه؛ أو حلقه؟! و الأكثرون على الأوّل، بل قال مالك:

يؤدّب الحالق، و بعضهم على الثّانى، و جمع بأنّه يقصّ البعض و يحلق البعض.

و يكره إبقاء السّبال، لخبر ابن حبّان: ذكر لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم المجوس، فقال:

«إنّهم قوم يوفرون سبالهم و يحلقون لحاهم، فخالفوهم»، و كان يجزّ سباله كما يجزّ الشاة و البعير! و فى خبر عند أحمد: «قصّوا سبالكم و وفّروا لحاكم».

و فى «الجامع الصغير»: «وفّروا اللّحى، و خذوا من الشّوارب، و انتفوا الإبط، و قصّوا الأظافير». رواه الطبرانىّ فى «الأوسط»؛ عن أبى هريرة.

و روى البيهقىّ؛ عن أبى أمامة: «وفّروا عثانينكم و قصّوا سبالكم».

و العثنون: اللّحية.

لكن رأى الغزالىّ و غيره: أنّه لا بأس بترك السّبال؛ اتّباعا لعمر و غيره، فإنّه لا يستر الفم، و لا يصل إليه غمر الطعام. أى: دهنه.

(و) فى «كشف الغمة» للشّعرانىّ: (كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم يأكل من الكبد إذا شويت). روى الدّارقطنىّ: أنّه صلّى اللّه عليه و سلم لم يكن يفطر يوم النّحر حتى يرجع ليأكل من كبد أضحيته.

(و) فى «كشف الغمة» ك «الإحياء»: (كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم يحبّ من الشّاة الذّراع و الكتف). و فى رواية: «لحم الظّهر».

و الجمع: أنّه كان يحبّ ذلك كلّه، و ربّما قدّم بعضها على بعض؛ فى بعض الأحيان، فأخبر كلّ راو عما رآه يتعاطاه.

و روى الشّيخان؛ من حديث أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه قال:

وضعت بين يدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قصعة من ثريد و لحم، فتناول الذّراع، و كانت أحبّ الشاة إليه ... الحديث.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۳۰

و عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه قال: أتى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم بلحم، فرفع إليه الذّراع- و كانت تعجبه- فنهس منها.

و عن ابن مسعود ...

و روى أبو الشّيخ و غيره؛ من حديث ابن عبّاس رضى اللّه تعالى عنهما:

كان أحبّ اللّحم إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم الكتف. و إسناده ضعيف.

و من حديث أبى هريرة: لم يكن يعجبه من الشّاة إلّا الكتف.

و روى أبو داود؛ من حديث ابن مسعود بلفظ: كان يعجبه الذّراع.

و لابن السّنّى، و أبى نعيم فى «الطب»؛ من حديث أبى هريرة: كان يعجبه الذّراعان و الكتف.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و) أخرج البخاريّ، و مسلم، و الترمذيّ، و النسائيّ، و ابن ماجه؛

(عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه؛ قال: أتى) بصيغة المجهول (النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم بلحم، فرفع إليه الذّراع)- كحمار- هو اليد من كلّ حيوان، لكنّها من الإنسان من طرف المرفق إلى طرف الأصبع الوسطى؛ تؤنّث و قد تذكّر، و من البقر و الغنم ما فوق الكراع- بضم الكاف- الذى هو مستدقّ السّاق.

(و كانت تعجبه)!! لأنّها أحسن نضجا، و أعظم لينا، و أسرع استمراء، و أبعد عن مواضع الأذى، مع زيادة لذّتها و حلاوة مذاقها.

(فنهس منها)- بمهملة أو بمعجمة- أى: تناوله بأطراف أسنانه، و قيل: هو بالمهملة ما ذكر، و بالمعجمة: تناوله بجميع الأسنان، و هذا أولى و أحبّ من القطع بالسّكين، حيث كان اللّحم نضيجا- كما سبق-.

و يؤخذ من هذا منع الأكل بالشّره، فإنّه صلّى اللّه عليه و سلم مع محبّته للذّراع نهس منها، و لم يأكلها بتمامها؛ كما يدلّ عليه حرف التّبعيض!.

(و) أخرج الترمذيّ فى «الشمائل» (عن ابن مسعود): عبد اللّه بن

رضى اللّه تعالى عنه قال: كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم يعجبه الذّراع، و سمّ فى الذّراع، و كان يرى أنّ اليهود سمّوه.

عبد الرحمن الهذلىّ، حليف بنى زهرة، من السّابقين البدريّين، شهد المشاهد كلّها، و مات بالمدينة المنورة سنة:- ۳۲- اثنتين و ثلاثين، و تقدّمت ترجمته (رضى اللّه تعالى عنه؛ قال:

كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم يعجبه) بالتذكير، و فى نسخة صحيحة من «الشمائل» [تعجبه] بالتّأنيث (الذّراع)، و فى رواية: الكتف؛ بدل: الذراع.

(و سمّ فى الذّراع) فى فتح خيبر، أى: جعل فيه سمّا قاتلا لوقته، فأكل منه لقمة، فأخبره جبريل؛ أو الذراع- على الخلاف-، و جمع بأنّ الذّراع أخبرته أوّلا، ثمّ أخبره جبريل بذلك تصديقا لها، فتركه؛ و لم يضرّه السّم- ففى ذلك ما أظهره اللّه من معجزاته صلّى اللّه عليه و سلم من تكليم الذّراع له، و عدم تأثير السّمّ فيه حالا.

و فى رواية: «لم تزل أكلة خيبر تعاودنى حتّى قطعت أبهرى».

و معناه: أنّ سمّ أكلة خيبر- بضم الهمزة-: و هى اللّقمة التى أكلها من الشاة.

و بعض الرواة فتح الهمزة! و هو خطأ؛ كما قاله ابن الأثير- كان يعود عليه، و يرجع إليه حتّى قطعت أبهره! و هو: عرق مستبطن بالصّلب متّصل بالقلب، إذا انقطع مات صاحبه.

قال العلماء: فجمع اللّه له بين النّبوّة و الشهادة. و لا يرد على ذلك قوله تعالى وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ [۶۷/ المائدة]!! لأنّ الآية نزلت عام تبوك، و السّمّ كان بخيبر قبل ذلك.

(و كان) أى: ابن مسعود (يرى)- بصيغة المجهول، أو [يرى] المعلوم- أى: يظنّ (أنّ اليهود سمّوه)، أى: أطعموه السّمّ فى الذّراع.

و أسنده إلى اليهود!! لأنّه صدر على أمرهم و اتّفاقهم، و إلّا! فالمباشر لذلك زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم اليهودىّ، و قد أحضرها صلّى اللّه عليه و سلم، و قال:

و عن أبى عبيدة رضى اللّه تعالى عنه قال: طبخت للنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم قدرا، و كان يعجبه الذّراع، فناولته الذّراع، ثمّ قال: «ناولنى الذّراع»، فناولته، ثمّ قال: «ناولنى الذّراع»، فقلت: يا رسول اللّه؛ و كم للشّاة من ...

«ما حملك على ذلك»؟ فقالت: قلت: إن كان نبيّا لا يضرّه السّمّ، و إلّا! استرحنا منه.

فاحتجم على كاهله و عفا عنها، لأنّه كان لا ينتقم لنفسه.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

قال الزّهرىّ و غيره: أسلمت، فلمّا مات بشر بن البراء- و كان أكل مع النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم- من الذراع دفعها لورثته فقتلوها قودا.

و به جمع القرطبىّ و غيره بين الأخبار المتدافعة.

(و) أخرج الدارمىّ، و تلميذه الترمذىّ فى «الجامع» و «الشمائل»؛

(عن أبى عبيدة)- بالتصغير- مولى المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم، صحابىّ، له هذا الحديث فى هذا الكتاب، اسمه كنيدة (رضى اللّه تعالى عنه). قال زين الحفّاظ العراقىّ:

هكذا وقع فى سماعنا من كتاب «الشمائل»: أبى عبيدة، بزيادة تاء التّأنيث فى آخره.

و هكذا ذكره المؤلّف فى «الجامع»، و المعروف أنّه أبو عبيد!! و هكذا هو فى بعض نسخ «الشمائل»، بلا تاء تأنيث، و هكذا ذكره المزّىّ فى «أطرافه»؛ (قال:

طبخت)، أى: أنضجت (للنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم قدرا)؛ أى: شاة فى قدر، يقال:

طبخت اللّحم طبخا؛ أنضجته، قاله الزّهرىّ: و من ثمّ قال بعضهم: لا يسمّى طبيخا- فعيلا بمعنى مفعول- إلّا إذا كان يمرق، و يكون الطبخ فى غير اللّحم أيضا، فيقال: خبزة جيّدة الطبخ؛ كما فى «الصحاح» و غيره.

(و كان يعجبه الذّراع) ذكره توطئة لقوله: (فناولته الذّراع). ظاهره أنّه لم يطلبه منه أوّل مرّة، بل ناوله إيّاه لعلمه أنّه يعجبه، (ثمّ قال: «ناولنى الذّراع»، فناولته، ثمّ قال: «ناولنى الذّراع»، فقلت: يا رسول اللّه؛ و كم للشّاة من

ذراع؟! فقال: «و الذى نفسى بيده؛ لو سكتّ .. لناولتنى الذّراع ما دعوت».

ذراع؟!) استفهام، لكن فيه إساءة أدب، و عدم امتثال له صلّى اللّه عليه و سلم، فلذلك عاد عليه شؤم عدم الامتثال، بأن حرم مشاهدة المعجزة، و هى أن يخلق اللّه تعالى ذراعا بعد ذراع و هكذا؛ إكراما لخلاصة خلقه صلّى اللّه عليه و سلم.

(فقال) أى: النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم (: «و) اللّه (الّذى نفسى) أى: روحى أو جسدى أوهما (بيده): بقوّته و قدرته و إرادته، إن شاء أبقاه، و إن شاء أفناه.

و كان يقسم به كثيرا، و الظاهر أنّه يريد به: أنّ ذاته منقادة له لا يفعل إلّا ما يريد (لو سكتّ) عمّا قلت، ممّا فيه إساءة أدب، و امتثلت أمرى فى مناولة المراد (لناولتنى الذّراع) أى: واحدا بعد واحد (ما دعوت»)، أى: مدّة طلبى الذّراع؛ بأن يخلق اللّه تعالى فيها ذراعا بعد ذراع ... و هكذا؛ معجزة لى، لكنّك لم تسكت!! فمنعت تلك المعجزة التى فيها نوع تشريف لمشاهدها، لأنّه لا يليق إلّا بكامل التّسليم الذى لا يستفهم، فحملته عجلة نفسه على أن قال ما قال، فانقطع المدد.

فلو تلقّاه المناول بالأدب، و صمت مصغيا إلى ذلك العجب؛ لشرّفه اللّه بإجراء هذا المزيد عليه و لم ينقطع لديه، فلمّا عجل و عارض تلك المعجزة برأيه؛ منعه ذلك عن مشاهدة هذه المعجزة العظمى التى لا تناسب إلّا من كمل تسليمه.

و قد روى الحديث أيضا الإمام أحمد؛ عن أبى رافع القبطىّ «مولى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم»، و اسمه: أسلم، و مات فى أوّل خلافة علىّ- على الصحيح- و لفظه: أنّه أهديت له شاة؛ فجعلها فى قدر.

فدخل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فقال: «ما هذا؟». قال: شاة أهديت لنا فطبختها فى القدر، قال: «ناولنى الذّراع يا أبا رافع». فناولته الذّراع، ثمّ قال: «ناولنى الذّراع الآخر». فناولته الذّراع الآخر، فقال: «ناولنى الذّراع الآخر».

و عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت: ما كانت الذّراع أحبّ اللّحم إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و لكنّه كان لا يجد اللّحم إلّا غبّا، و كان يعجل إليها؛ لأنّها أعجلها نضجا.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

فقال: يا رسول اللّه؛ إنّما للشّاة ذراعان!!.

فقال له صلّى اللّه عليه و سلم: «أما إنّك لو سكتّ لناولتنى ذراعا فذراعا ما سكتّ». ثمّ دعا بماء فمضمض فاه، و غسل أطراف أصابعه، ثمّ قام فصلّى ... الحديث.

و الظّاهر أنّ القضيّة متعدّدة لاختلاف مخرج الحديث.

(و) أخرج الترمذىّ فى «الجامع» و «الشمائل» بإسناد فيه مقال؛

(عن عائشة) أمّ المؤمنين (رضى اللّه تعالى عنها؛ قالت:

ما كانت الذّراع أحبّ اللّحم إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم)- أى: على الإطلاق، لما سيأتى من قوله صلّى اللّه عليه و سلم: «إنّ أطيب اللّحم لحم الظّهر»!

(و لكنّه كان لا يجد اللّحم إلّا غبّا)- بكسر الغين المعجمة و تشديد الباء الموحدة- أى: وقتا دون وقت، لا يوما بعد يوم، لما ثبت فى «الصحيحين»؛ عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت: كان يأتى علينا الشهر، ما نوقد فيه نارا؛ إنّما هو التّمر و الماء، إلّا أن يؤتى باللّحم. قاله فى «جمع الوسائل».

(و كان يعجل)- بفتح الجيم- أى: يسرع (إليها)، أى: إلى الذّراع، (لأنّها)، أى: الذّراع، و تأنيثها باعتبار كونها قطعة من الشاة؛ قاله المناوى.

و قد تقدّم أنّ الذّراع تذكّر و تؤنّث، فلا معنى لهذا التأويل (أعجلها)؛ أى:

أعجل اللّحوم، أو أعجل الشّاة (نضجا)- بضمّ النّون- أى: طبخا، و معنى الحديث: أنّ الذّراع ما كان أحبّ إليه؛ و إنّما يعجل إليه لسرعة نضجه، لكونه كان لا يجد اللّحم إلّا غبّا.

قال الحافظ العراقىّ: و ليس فيه منافاة لبقيّة الأحاديث، أنّه كان يعجبه الذّراع،

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۳۵

و كان أحبّ الشّاة إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم مقدّمها.

إذ يجوز أن يعجبه و ليست بأحبّ اللّحم إليه، و يؤيّده تصريحه فى الحديث الآخر:

أنّ أطيب اللّحم لحم الظهر.

و قال ابن حجر الهيتمىّ: هذا بحسب ما فهمته عائشة رضى اللّه تعالى عنها، و إلّا فالذى دلّت عليه الأحاديث السابقة و غيرها: أنّه كان يحبّها محبّة غريزيّة طبيعيّة، سواء فقد اللّحم أم لا!!

و كأنّها أرادت بذلك تنزيه مقامه الشريف عن أن يكون له ميل إلى شىء من الملاذّ، و إنما سبب المحبّة سرعة نضجها، فيقلّ الزّمن للأكل، و يتفرّغ لمصالح المسلمين. و على الأوّل!! فلا محذور فى محبّة الملاذّ بالطبع، لأنّ هذا من كمال الخلقة؛ و إنما المحذور المنافى للكمال التفات النّفس و عناؤها فى تحصيل ذلك و تأثّرها لفقده.

و تعقّب بأنّ نسبة قصور الفهم لعائشة رضى اللّه تعالى عنها لا تليق.

(و) أخرج ابن السّنّى، و أبو نعيم فى «الطب النبوى»، و البيهقىّ فى «سننه»؛ عن مجاهد مرسلا- و هو حسن لغيره-، و الطبرانىّ؛ عن ابن عمر، و ابن عدىّ، و البيهقىّ- بسند ضعيف؛ كما قال العراقىّ- عن ابن عبّاس رضى اللّه تعالى عنهما قال:

(كان أحبّ الشّاة إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم مقدّمها)؛ لكونه أقرب إلى المرعى، و أبعد عن النجاسة، و أخفّ على المعدة، و أسرع انهضاما. و هذا لا يدركه إلّا أفاضل الأطباء؛ فإنهم شرطوا فى جودة الأغذية نفعها و تأثيرها فى القوى، و خفّتها على المعدة و سرعة هضمها.

و كان صلّى اللّه عليه و سلم أحبّ المقدم إليه الذّراع- كما سبق-.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و) أخرج الإمام أحمد، و الترمذیّ فی «الجامع» و «الشمائل»- و اللفظ لها-، و النّسائیّ، و ابن ماجه، و الحاکم، و البیهقیّ: کلهم؛

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۱۳۶

و عن عبد اللّه بن جعفر رضی اللّه تعالی عنهما قال: سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم یقول: «إنّ أطیب اللّحم لحم الظّهر».

و عن ضباعة بنت الزّبیر رضی اللّه تعالی عنها: ...

(عن عبد اللّه بن جعفر) بن أبی طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمیّ، أبو محمد، و أبو جعفر؛ و هی أشهر.

أمّه أسماء بنت عمیس، ولدته بأرض الحبشة، و هو أوّل مولود من المسلمین ولد بها، توفّی بالمدینة المنوّرة سنة: ثمانین، عن سبعین سنة.

و کان عبد اللّه کریما، جوادا، ظریفا، حلیما، عفیفا، سخیّا.

سمّی «بحر الجود»، و یقال: إنّه لم یکن فی الإسلام أسخی منه، و عوتب فی ذلک؛ فقال: إنّ اللّه عوّدنی عادة و عوّدت النّاس عادة، و أخاف إن قطعتها قطعت عنّی، و أخباره فی الجود شهیرة، و فضائله کثیرة.

روی له عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم خمسة و عشرون حدیثا، اتّفقا منها علی اثنین.

(رضی اللّه تعالی عنهما؛ قال: سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم یقول: «إنّ أطیب اللّحم) أی: ألذّه و أحسنه (لحم الظّهر»). و التفضیل نسبیّ إضافی، أو «من» مقدّرة، أی: من أطیب، فلا ینافی أنّ الذّراع أطیب منه؛ و من الرقبة! و وجه مناسبة هذا الحدیث للتّرجمة: أنّ أطیبیّته تقتضی أنّه صلّی اللّه علیه و سلم ربّما تناوله فی بعض الأحیان.

(و) أخرج الإمام أحمد، و النّسائیّ، و البیهقیّ (عن ضباعة)- بضاد معجمة مضمومة فموحدة فألف؛ فعین مهملة؛ فتاء تأنیث- (بنت الزّبیر) بن عبد المطّلب الهاشمیّة، بنت عمّه صلّی اللّه علیه و سلم، زوج المقداد بن الأسود، و ولدت له عبد اللّه و کریمة، و لیس للزبیر بن عبد المطّلب عقب إلّا منها.

روت عن النّبی صلّی اللّه علیه و سلم، و عن زوجها، و عنها ابن عبّاس، و عائشة، و بنتها کریمة و آخرون. (رضی اللّه تعالی عنها:

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۱۳۷

أنّها ذبحت فی بیتها شاة، فأرسل إلیهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم:

«أن أطعمینا «۱» من شاتکم». فقالت: ما بقی عندنا إلّا الرّقبة، و إنّی لأستحی أن أرسل إلی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم، فرجع الرّسول، فأخبره بقولها. فقال: «ارجع إلیها، فقل لها: أرسلی بها، فإنّها هادیة الشّاة، و أقرب الشّاة إلی الخیر، و أبعدها عن الأذی».

أنّها ذبحت فی بیتها شاة، فأرسل إلیهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم: «أن أطعمینا من شاتکم»)؛ یا أهل البیت، أو قصد تعظیمها، و إلّا! فالقیاس: من شاتک!!

(فقالت: ما بقی عندنا إلّا الرّقبة، و إنّی لأستحی أن أرسل إلی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم)؛ لحقارتها عند العرب، لکثرة عظمها. قال الشاعر:

أمّ الحلیس لعجوز شهر بهترضی من اللّحم بعظم الرّقبه (فرجع الرّسول؛ فأخبره بقولها، فقال: «ارجع إلیها؛ فقل لها: أرسلی بها) و لا تستحی؛ إذ هی عظیمة، فیها منافع؛ (فإنّها هادیة الشّاة، و أقرب الشّاة إلی الخیر، و أبعدها عن الأذی»): البول، و الرّجیع. و لذا قیل: إنّها أفضل الشاة، و الأصحّ: أنّ الأفضل الذّراع.

قال فی «المواهب»: و لا ریب أنّ أخفّ لحم الشاة لحم الرقبة، و لحم الذّراع، و العضل، و هو أخفّ علی المعدة و أسرع انهضاما.

و فی هذا دلیل علی أنّه ینبغی مراعاة الأغذیة التی تجمع ثلاث خواصّ:

أحدها: کثرة نفعها و تأثیرها فی القوی.

ثانیها: خفّتها علی المعدة و سرعة انحدارها عنها.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

ثالثها: سرعة هضمها. و هذا أفضل ما يكون من الغذاء؛ لاشتماله على النفع و عدم الضّرر.

---

(١) فى «وسائل الوصول»: أطعمونا.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:١٣٨

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إذا أكل اللّحم .. لم يطأطئ رأسه إليه، بل يرفعه إلى فيه، ثمّ ينهسه انتهاسا.

و أكل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم القديد؛ كما فى حديث «السّنن» ...

و قال الحافظ العراقىّ: و تفضيل لحم الرّقبة فى الحديث السابق و نحوه لا يقتضى تفضيله على لحم الظّهر، و لا على لحم الذراع؛ و إنّما فيه مدحه بالأوصاف المتقدّمة، أى: و مدحه إنّما فيه فضيلته؛ لا أفضليّته على غيره.

قال: و يجوز أن يكون صلّى اللّه عليه و سلم قال ذلك جبرا لمن أخبره أنّه ليس عنده إلّا الرقبة، فمدحه بما هو صادق عليها، كما قال: «نعم الإدام الخلّ»؛ حيث طلب إداما فلم يجد عندهم إلّا الخل.

(و) فى «كشف الغمّة» ك «الإحياء»: (كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم إذا أكل اللّحم لم يطأطئ رأسه)، أى: لم يخفضه (إليه، بل يرفعه إلى فيه، ثمّ ينهشه)- بالشّين المعجمة، و السين المهملة- (انتهاشا)، النّهش و الانتهاش؛ كلاهما بمعنى الأخذ بمقدّم الأسنان- كما مر-.

قال فى «شرح الإحياء»: روى أبو داود؛ من حديث صفوان بن أميّة قال:

كنت آكل مع النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، فاخذ اللّحم من العظم، فقال: «ادن العظم من فيك، فإنّه أهنأ و امرأ».

و للترمذىّ من حديثه: «انهس اللّحم نهسا، فإنّه أهنأ و امرأ». و هو و الذى قبله منقطع. و للشيخين من حديث أبى هريرة: فتناول الذّراع؛ فنهس منها نهسة ... الحديث؛ قاله العراقىّ. انتهى

(و أكل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم القديد)- بفتح القاف و كسر الدّال المهملة مكبّرا-: هو اللّحم [المملوح] المقدّد؛ أى: المجفّف فى الشّمس.

و فى «شرح البخارىّ» للقسطلانىّ: القديد لحم مشرر مقدّد، أو ما قطع منه طوالا- انتهى، و نحوه فى «القاموس»؛ (كما فى حديث «السّنن) الأربعة»؛

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:١٣٩

عن رجل قال: ذبحت لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم شاة و نحن مسافرون، فقال: «أصلح لحمها»، فلم أزل أطعمه منه إلى المدينة.

و أكل صلّى اللّه عليه و سلّم لحم حمار الوحش.

(عن رجل) من الصحابة، و لا ضير فى إبهامه لعدالة جميع الصّحابة رضوان اللّه عليهم.

(قال: ذبحت لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم شاة و نحن مسافرون، فقال: «أصلح لحمها)»؛ أى: اجعله قديدا على حالة يبقى معها؛ بحيث لا يسرع فساده، بدليل قوله (فلم أزل أطعمه منه إلى المدينة) المنوّرة. فظاهره طول المدّة، إذ هى التى يتمدّح بها فى مثل هذا المقام. و فى لفظ «أملح لحمها»- بالميم- أى: اجعل عليه ملحا، ليمنعه العفونة.

و فى «الصحيح»؛ عن أنس: رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم أتى بمرقة فيها دبّاء و قديد، فرأيته يتتبّع الدّباء يأكلها.

تنبيه: علم ممّا تقدّم أنّه صلّى اللّه عليه و سلم أكل القديد و الحنيذ؛ الذى هو المشوى، و الحنيذ أعجله و ألذّه، و هو كان قرى إبراهيم الخليل للملائكة.

و من الناس من يقدّم القديد على المشوىّ، و هذا كلّه فى حكم الشهوة.

أمّا فى حكم المنفعة! فالقديد أنفع، و هو الذى يدوم عليه المرء، و يصلح به الجسد، و عليه أثنى الشّرع لوجهين:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

أحدهما: أنّ المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم فى «الصحيحين» أمر بإكثار المرقة، ليقع بها عموم المنفعة فى أهل البيت. الثانى: أنّه يصنع به الثّريد، و هو أفضل الطعام الذى ضرب به المصطفى المثل فى التفضيل، حيث قال: «فضل عائشة على النّساء كفضل الثّريد» ... إلى آخره. و المرق من اللّحم هو لبّه. انتهى «مناوى».

(و أكل) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم لحم حمار الوحش). رواه الشّيخان؛ عن أبى قتادة رضى اللّه تعالى عنه فى حديث طويل.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۴۰

و أكل صلّى اللّه عليه و سلّم لحم الضّأن، و أكل صلّى اللّه عليه و سلّم لحم الجمال سفرا و حضرا. و أكل صلّى اللّه عليه و سلّم لحم الأرنب. و أكل صلّى اللّه عليه و سلّم من دوابّ البحر.

(و أكل صلّى اللّه عليه و سلم لحم الضّأن. و أكل) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم لحم الجمال)- جمع جمل-: و هو الذّكر من الإبل؛ كبيرا و صغيرا. و إن قالوا: لا يسمّى جملا إلّا إذا بزل، لكنّ المراد هنا ما هو أعمّ، (سفرا و حضرا)؛ أى: فى السّفر و الحضر.

روى النّسائىّ؛ عن جابر قال: قدم علىّ بهدى للنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم من اليمن، و قدم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم بهدى، فكان الجميع مائة بدنة، فنحر صلّى اللّه عليه و سلم ثلاثا و ستين، و نحر علىّ سبعا و ثلاثين، و أشرك عليا فى بدنه، ثمّ أخذ من كلّ بدنة بضعة، فجعلت فى قدر فطبخت، فأكل صلّى اللّه عليه و سلم و علىّ من لحمها، و شربا من مرقها.

(و أكل) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم لحم الأرنب). رواه الشيخان؛ عن أنس أنّه أصاب أرنبا بمرّ الظّهران، فأتى به أبا طلحة فذبحه بمروة و شواها، و بعث معى بعجزها.

و فى لفظ: بوركها. و فى لفظ: بفخذها إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فقبلها، و البخارىّ فى (الهبة): فأكلها. و فى رواية: أكله. قيل له: أكله!؟ قال: قبله.

(و أكل) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم من دوابّ البحر). رواه مسلم.

و ذكر القسطلانى فى «المواهب»؛ فى سرية الخبط: أنّه روى الأئمة السّتّة عن جابر:

بعثنا صلّى اللّه عليه و سلم ثلاثمائة راكب؛ أميرنا أبو عبيدة، فأقمنا على السّاحل حتّى فنى زادنا، حتّى أكلنا الخبط «۱»، ثمّ إنّ البحر ألقى لنا دابّة؛ يقال لها: العنبر، فأكلنا منها نصف شهر حتى صحّت أجسامنا، فأخذ أبو عبيدة ضلعا من أضلاعه فنصبه، و نظرنا إلى أطول بعير فجاز تحته.

(۱) الخبط: ورق يخبط بالمخابط و يجفّف و يطحن و يخلط بدقيق .. «القاموس».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۴۱

و أكل صلّى اللّه عليه و سلّم الثّريد؛ و هو أن يثرد الخبز بمرق اللّحم، و قد يكون معه لحم. و من أمثالهم: (الثّريد أحد اللّحمين).

و أكل صلّى اللّه عليه و سلّم الخبز بالزّيت.

و عن عمر بن الخطّاب ...

زاد الشّيخان فى رواية: فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك للنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم؛ فقال: «هو رزق أخرجه اللّه لكم، فهل معكم شىء من لحمه فتطعمونا؟»، فأرسلنا إليه منه فأكل.

(و أكل) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم الثّريد)- بفتح المثلّثة و كسر الراء؛ فعيل بمعنى مفعول، و يقال أيضا مثرود- (و هو أن يثرد الخبز) أى: يفتّ، ثمّ يبلّ (بمرق اللّحم، و قد يكون معه لحم) و قضيّته، أنّه إذا ثرد بمرق، غير اللّحم لا يسمّى «ثريدا». و ظاهر «القاموس» و «المصباح»: أىّ مرق كان. و كذا قول الزّمخشرىّ: ثردت الخبز أثرده؛ و هو أن تفتّه، ثم تبلّه بمرق و تشرفه فى وسط الصّحفة؛ و تجعل له وقبة «۱».

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و من أمثالهم: «الثّريـد أحـد اللّحمين»)، لأنّ المرق يطبـخ باللّحم، فتنزل خاصّـيۀ اللّحم فى المرق. و محلّ اللّـذّۀ و القوّۀ إذا كان اللحم نضيجا فى المرق أكثر مما فى اللّحم وحده. فإن كان معه لحم فهو الثّريد الكامل، و عليه قول الشاعر:

إذا ما الخبز تأدمه بلحمفذاك أمانۀ اللّه الثّريد (و أكل) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم الخبز بالزّيت)، و أمر بأكله.

روى أبو نعيم فى «الطّبّ» عن أبى هريرۀ رضى اللّه تعالى عنه: «كلوا الزّيت و ادّهنوا به، فإنّ فيه شفاء من سبعين داء؛ منها الجذام».

(و) أخرج التّرمذىّ فى «الجامع»، و «الشمائل» (عن عمر [بن الخطّاب])

---

(۱) الوقبۀ: منخفض ضمن القصعۀ يتجمع فيها المرق ليسر الاستفادۀ منه مع بقيۀ الطعام.

«عبد الجليل».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۴۲

رضى اللّه تعالى عنه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم:

«كلوا الزّيت و ادّهنوا به، فإنّه من شجرۀ مباركۀ».

الخليفۀ عشر سنين و نيّفا، و أوّل من سمّى «أمير المؤمنين»، و مات سنۀ: أربع و عشرين عن ثلاث و ستين، روى له الجماعۀ (رضى اللّه تعالى عنه؛ قال:

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «كلوا الزّيت): دهن الزّيتون، أى: مع الخبز، و اجعلوه إداما.

فلا يرد أنّ الزّيت مائع؛ فلا يكون تناوله أكلا، (و ادّهنوا به): أمر من الادّهان، و هو استعمال الدّهن، أى: ادهنوا به شعر رءوسكم. كما قيّد به فى روايۀ. و عادۀ العرب دهن شعر رءوسهم.

و قال الباجورىّ: ادّهنوا به فى سائر البـدن. و أمثال هـذا الأمر للإباحـۀ، أو النّـدب لمن وافق مزاجه و عادته، و قدر على استعماله؛ كما قاله ابن حجر.

قال الحافظ العراقىّ: لكنّ الأمر بالادهان به لا يحمل على الإكثار منه، و لا على التّقصير فيه؛ بل بحيث لا يشعـث رأسه، كما يرشد إليه الأمر بالادّهان غبّا.

و قال ابن القيّم: الـدّهن فى البلاد الحارّۀ كالحجاز من أسـباب حفظ الصّحۀ و إصـلاح البـدن، و هو كالضـرورى لهم. و أما فى البلاد الباردۀ! فضارّ، و كثرۀ دهن الرّأس به خطر بالبصر، (فإنّه) أى: لأنّه يخرج (من شجرۀ مباركۀ») يعنى:

زيتونۀ لا شرقيۀ و لا غربيۀ، يكاد زيتها يضىء؛ و لو لم تمسسه نار.

و وصـفها بالبركـۀ لكثرۀ منافعها، و لكونها تنبت فى الأرض المقدّسۀ التى بارك اللّه تعالى فيها للعالمين. قيل: بارك فيها سـبعون نبيّا؛ منهم إبراهيم عليه الصلاۀ و السلام.

و يلزم من بركـۀ هـذه الشّجرۀ بركـۀ ثمرتها؛ و هو الزّيتون، و بركـۀ ما يخرج منها من الزّيت، و كيف لا؛ و فيه التّأدّم و التّدهّن!! و هما نعمتان عظيمتان؟! و قد

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۴۳

و أكل صلّى اللّه عليه و سلّم السّلق مطبوخا.

ورد: «عليكم بهذه الشّجرۀ المباركۀ زيت الزّيتون فتداووا به؛ فإنّه مصحّۀ من الباسور» رواه الطبرانى، و أبو نعيم عن عقبۀ بن عامر.

و فى «الجامع الصغير»؛ بعد ذكر حديث الباب الذى أورده المصنّف:

رواه التّرمذىّ عن عمر. و رواه أحمد، و الترمذىّ، و الحاكم؛ عن أبى أسيد.

و رواه ابن مـاجه، و الحـاكم عن أبى هريرۀ؛ و لفظه: «كلـوا الزّيت و ادّهنوا به، فـإنّه طيّب مبـارك». و رواه أبو نعيم فى «الطب» عنه؛ و

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

قال:

«فإنّ فيه شفاء من سبعين داء منها الجذام» انتهى.

و مناسبة الحديث للباب: أنّ الأمر بأكله يستدعى أكله صلّى اللّه عليه و سلم منه. أو يقال:

المقصود من الترجمة معرفة ما أكل منه صلّى اللّه عليه و سلم؛ و ما أحبّ الأكل منه.

قال الترمذىّ؛ بعد ذكر حديث عمر المذكور فى الباب: و عبد الرزّاق كان مضطربا فى هذا الحديث؛ فربّما أسنده و ربما أرسله. انتهى.

و الاضطراب؛ تخالف روايتين أو أكثر؛ إسنادا أو متنا بحيث لا يمكن الجمع بينهما، لكنّه بيّن المراد بالاضطراب هنا بقوله: فربما أسنده و ربّما أرسله.

ففى بعض الطّرق أسنده حيث ذكر فيه عمر بن الخطّاب.

و فى بعضها أرسله؛ حيث أسقط عمر بن الخطّاب، و المضطرب ضعيف لإنبائه عن عدم إتقان ضبطه. فهذا الحديث ضعيف للاضطراب فى إسناده، لكن رجّح بعضهم عدم ضعفه، لأنّ طريق الإسناد فيها زيادة علم، و خصوصا و قد وافق إسناد غيره؛ كما فى بعض الروايات. و اللّه أعلم.

(و أكل) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم السّلق)- بكسر السّين المهملة، و إسكان اللام، و آخره قاف-: بقلة معروفة و هو نبت له ورق طوال، و أصل ذاهب فى الأرض، يقال له: السّلك- بالكاف آخره بدل القاف-. (مطبوخا) بالشعير، قال التّرمذىّ

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۴۴

و أكل صلّى اللّه عليه و سلّم الخزيرة؛ و هى: ما يتّخذ من الدّقيق على هيئة العصيدة، لكنّه أرقّ منها.

و أكل صلّى اللّه عليه و سلّم الأقط؛ ...

بعد ما رواه: حديث حسن غريب.

و فى «الصّحيحين»؛ عن سهل بن سعد: إن كنّا لنفرح بيوم الجمعة، كانت لنا عجوز تأخذ أصول السّلق فتجعله فى قدرها فتجعل عليه حبّات من شعير، إذا صلّينا الجمعة زرناها؛ فقرّبته إلينا، و اللّه ما فيه شحم؛ و لا ودك!!.

(و أكل) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم الخزيرة) كما فى «الصحيح»؛ من حديث عتبان بن مالك رضى اللّه تعالى عنه، (و هى)- بخاء معجمة مفتوحة، ثم زاى مكسورة، و بعد التّحتانية السّاكنة راء- (: ما يتّخذ من الدّقيق على هيئة العصيدة، لكنّه أرقّ منها)؛ قاله الطّبرى. و قال ابن فارس: دقيق يخلط بشحم.

و قال ابن قتيبة- و تبعه الجوهرىّ-: أن يؤخذ اللّحم فيقطع قطعا صغارا و يصبّ عليه ماء كثير، فإذا نضج ذرّ عليه الدّقيق، فإن لم يكن فيها لحم فهى عصيدة.

و فى «القاموس» مع «الشرح»: الخزير و الخزيرة شبه عصيدة، و هو: اللّحم الغابّ «۱» يقطع صغارا فى القدر، ثمّ يطبخ بالماء الكثير و الملح، فإذا أميت طبخا ذرّ عليه الدّقيق، فعصد به ثمّ أدم بأىّ إدام.

و لا تكون الخزيرة إلا بلحم، و إذا كانت بلا لحم؟ فهى عصيدة. انتهى.

(و أكل) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم الأقط)- قال بعضهم عن «القاموس»: هو بتثليث الهمزة مع سكون القاف، و [الأقط] بفتح الهمزة مع فتح القاف؛ أو كسرها. أو [الأقط] ضمّها، و [الإقط] بكسرها جميعا-: شىء يتّخذ من المخيض الغنمى.

روى البخارىّ عن ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما قال:

---

(۱) لعله الفاسد أو المنتن.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۴۵

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و هو: جبن اللّبن المستخرج زبده، و هو أشبه شىء بالكشك.

و أكل صلّى اللّه عليه و سلّم الرّطب و التّمر و البسر.

و أكل صلّى اللّه عليه و سلّم الكباث؛ ...

أهدت خالتى إلى النّبى صلّى اللّه عليه و سلم ضبابا و أقطا و لبنا، فوضع الضّبّ على مائدته، فلو كان حراما لم يوضع، و شرب اللّبن و أكل الأقط؛

(و هو: جبن اللّبن المستخرج زبده) لا الحليب.

و يوافق قول الأزهرى: الأقط يتّخذ من اللبن المخيض ثم يترك حتّى يمصل؛ أى: تسيل عصارته؛ و هى ماؤه الذى يخرج منه حين يطبخ، و هو كثير بالحرمين و غيرهما، و يقال له «المضير» عندهم.

(و هو أشبه شىء بالكشك) وزان فلس: ما يعمل من الحنطة، و ربّما عمل من الشّعير. قال المطرّزىّ: فارسىّ معرّب؛ قاله فى «المصباح».

(و أكل) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم الرّطب)- بضمّ الرّاء و فتح الطّاء المهملة-: هو ثمر النّخل إذا أدرك و نضج قبل أن يتتمّر، و الرّطب نوعان: نوع لا يتتمّر، و إذا تأخّر أكله أسرع إليه الفساد. و نوع يتتمّر و يصير عجوة و تمرا يابسا.

(و) أكل (التّمر و البسر)- بضمّ الباء- هو: البلح الطّرىّ، أكل الثلاثة النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم فى وقت واحد فى حديقة الأنصارىّ. رواه مسلم، و أصحاب «السّنن الأربعة»، و التّرمذىّ فى «الشمائل» كلّهم من حديث أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه، و قد مرّ الكلام على ذلك فى حديث أبى الهيثم بن التّيهان رضى اللّه تعالى عنه.

(و أكل) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم الكباث) رواه مسلم، و بوّب عليه البخارىّ فى؛ الأطعمة «باب الكباث».

و روى فيه و فى أحاديث الأنبياء حديث جابر: كنّا مع النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم بمرّ الظهران

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۴۶

و هو: ثمر الأراك. و أكل صلّى اللّه عليه و سلّم الجبن.

عن ابن عمر رضى اللّه تعالى عنهما قال: أتى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم بجبنة فى تبوك، فدعا بسكّين فسمّى و قطع.

نجنى الكباث، فقال: «عليكم بالأسود منه فإنّه أطيب». فقيل: أ كنت ترعى الغنم؟ قال: «نعم، و هل من نبىّ إلّا رعاها!!»

(و هو) أى: الكباث- بفتح الكاف، و تخفيف الموحّدة، و بعد الألف مثلاثة- (: ثمر الأراك)- بفتح الهمزة و خفّة الراء- أى: النّضيج من ثمر الأراك. و قيل:

ورق الأراك. و قيل: تمر الأراك- بالمثنّاة-؛ و هو البرير- بموحدة؛ بوزن الحرير- فإذا اسودّ فهو الكباث. و فى «المطالع»: الكباث تمر الأراك قبل نضجه. و قيل: بل هو حصرمه. و قيل: غضّه. و قيل: متزبّبه.

(و أكل) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم الجبن). فيه ثلاث لغات؛ رواها أبو عبيد عن يونس ابن حبيب؛ سماعا من العرب.

أجودها: إسكان الباء؛ مع ضمّ الجيم، و الثانية: ضمّ الباء للإتباع.

و الثالثة؛ و هى أقلّها: التّثقيل. و منهم من يجعل التّثقيل من ضرورة الشعر.

ففى «السّنن» لأبى داود (عن) عبد اللّه (بن عمر) بن الخطّاب (رضى اللّه تعالى عنهما؛ قال: أتى)- بالبناء للمجهول- (النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم بجبنة فى تبوك) من عمل النّصارى. فقيل: هذا طعام تصنعه المجوس! (فدعا بسكّين فسمّى و قطع).

رواه أبو داود و مسدّد و غيرهما.

و روى أبو داود الطيالسىّ عن ابن عباس أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم لما فتح مكّة رأى جبنة فقال: «ما هذا؟» فقالوا: طعام يصنع بأرض العجم. فقال: «ضعوا فيه السّكّين، و كلوا».

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و روى الإمام أحمد و البيهقىّ عنه: أتى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم بجبنة فى غزوة تبوك، فقال:

«أين صنعت هذه؟» قالوا: بفارس؛ و نحن نرى أن يجعل فيها ميتة!. فقال صلّى اللّه عليه و سلم:

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۴۷

و أمّا البصل: فروى أبو داود فى «سننه»: عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها أنّها سئلت عن البصل فقالت: إنّ آخر طعام أكله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فيه بصل.

و الظّاهر أنّ هذا البصل كان مطبوخا، حتّى لم يبق له رائحة كريهة.

و يدلّ على هذا قولها: (إنّ آخر طعام أكله فيه بصل)، و لم تقل أكل البصل.

«اطعموا». و فى رواية «ضعوا فيها السّكّين و اذكروا اسم اللّه تعالى و كلوا».

قال الخطّابىّ: أباحه صلّى اللّه عليه و سلم على ظاهر الحال؛ و لم يمتنع من أكله لأجل مشاركة المسلمين للكفّار فى عمله.

و تعقّبه المقريزىّ بتوقّفه على نقل، إذ لم يكن بفارس و الشّام حينئذ أحد من المسلمين.

قال الشّامى: و هو ظاهر لا شكّ فيه.

(و أمّا البصل) و الثّوم و الكرّاث!؟ (فروى أبو داود فى «سننه»)، و النّسائىّ، و التّرمذىّ فى «الشمائل»، و أحمد، و البيهقىّ (عن عائشة) «أمّ المؤمنين» الصّدّيقة بنت الصّديق (رضى اللّه تعالى عنها) و عن أبيها.

(أنّها سئلت عن البصل)، و السّائل لها أبو زياد خيار بن سلمة، قال: سألتها عن البصل، (فقالت: إنّ آخر طعام أكله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فيه بصل) أى: مطبوخ، كما قال: (و الظّاهر أنّ هذا البصل كان مطبوخا، حتّى لم يبق له رائحة كريهة.

و يدلّ على هذا) الاحتمال (قولها: إنّ آخر طعام أكله) صلى اللّه عليه و سلم (فيه بصل، و لم تقل أكل البصل!).

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۴۸

....

و قد صرّح البيهقىّ بذلك؛ فقال: كان مشويّا فى قدر، أى: مطبوخا. كما نقله الزّرقانى فى «شرح المواهب»، و كأن المصنّف لم يستحضر كلام الزّرقانى، فأبدى هذا الاحتمال.

و قد ثبت عنه صلّى اللّه عليه و سلم فى «الصّحيحين» أنّه منع آكله نيّا من دخول المسجد، لأنه يؤذى بريحه، فروى البخارىّ و مسلم، و غيرهما عن جابر: نهى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم عن أكل الثوم و البصل و الكرّاث فغلبتنا الحاجة فأكلنا منها، فقال: «من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا، و ليعتزل مسجدنا، و ليقعد فى بيته» و أنه أتى بقدر فيها خضراوات من بقول؛ فوجد لها ريحا، فسأل، فأخبر بما فيها من البقول، فقال: «قرّبوها» إلى بعض أصحابه كان معه، فلما رآه كره أكلها، قال: «كل، فإنّى أناجى من لا تناجى».

و كان عليه الصلاة و السلام يترك الثوم دائما، لأنه يتوقّع مجىء الملائكة و الوحى كلّ ساعة.

روى أبو نعيم فى «الحلية»، و الخطيب فى «التاريخ» عن أنس: كان لا يأكل الثّوم و لا البصل و لا الكرّاث؛ من أجل أن الملائكة تأتيه، و أنّه يكلّم جبريل.

و لمسلم من حديث أبى أيوب فى قصّة بعثه إليه بطعام فيه ثوم؛ فلم يأكل منه، و قال: «لكنّى أكرهه من أجل ريحه». و يقاس على هؤلاء الفجل و كلّ بقلة كريهة.

قال النّووىّ: اختلف أصحابنا فى حكم الثوم- بضمّ المثلّثة- فى حقّه صلّى اللّه عليه و سلم و كذلك البصل و الكرّاث و نحوها من كلّ ما له رائحة كريهة!!

فقال بعض أصحابنا: هى محرّمة عليه، و هو مذهب مالك. و الأصحّ عندنا أنّها مكروهة فى حقّه كراهة تنزيه؛ ليست محرّمة، لعموم قوله عليه الصلاة و السلام «لا» فى جواب قول السائل «أ حرام هى؟». و من قال بالأول يقول: معنى الحديث: ليس بحرام فى حقّكم

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

دونی، لأنی أناجی من لا تناجون. انتهی.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۱۴۹

و کان أحبّ الصّباغ إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم الخلّ.

و عن عائشة رضی اللّه تعالی عنها أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «نعم الإدام الخلّ».

قال فی «الفتح»: حجّة التحریم أنّ العلة فی المنع ملازمة الملک له، و أنّه ما من ساعة إلا و الملک یمکن أن یلقاه فیها صلّی اللّه علیه و سلم فینبغی لمحبّه موافقته علیه الصلاة و السلام فی ترک الثوم و نحوه و إن جاز له! و کراهة ما یکرهه، فإنّ من أوصاف المحبّ الصادق أن یحبّ ما یحبّه محبوبه، و یکره ما یکرهه لأجل الموافقة، و إن کانت الحکمة التی ترک المصطفی الأکل لأجلها لیست فی غیره. انتهی «زرقانی».

(و) أخرج أبو الشّیخ بإسناد ضعیف، و أبو نعیم فی «الطب»: کلاهما عن ابن عباس رضی اللّه تعالی عنهما قال:

(کان أحبّ الصّباغ إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم الخلّ) أی: هو أحبّ شیء یصبغ به الخبز، بأن تغمس اللقمة فیه و تؤکل؛ فیکون إداما للخبز، کما ورد: «نعم الإدام الخلّ» و سیأتی.

(و) أخرج مسلم، و الترمذیّ؛ فی «الجامع» و «الشمائل»، و ابن ماجه کلّهم

(عن عائشة رضی اللّه تعالی عنها؛ أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم قال: «نعم الإدام الخلّ»).

و رواه الإمام أحمد، و مسلم، و أصحاب «السّنن»، عن جابر رضی اللّه تعالی عنه.

قال العلقمیّ فی «شرح الجامع الصغیر»: و قد ورد حدیث: «نعم الإدام الخلّ» من روایة جمع من الصّحابة أفردوا بجزء. و هو حدیث مشهور کاد أن یکون متواترا.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص: ۱۵۰

و عن ابن عبّاس رضی اللّه تعالی عنهما قال: دخل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم یوم فتح مکّة علی أمّ هانئ رضی اللّه تعالی عنها و کان جائعا، فقال لها: «أ عندکم طعام آکله؟»، ...

قال ابن القیّم: هذا ثناء علیه بحسب مقتضی الحال الحاضر لتیسّره دون غیره؛ لا تفضیل له علی غیره کما ظنّه بعضهم، إذ المدح إنما یقتضی فضله فی نفسه؛ لا علی غیره.

قال: و سبب الحدیث یدلّ علی ذلک، و هو أنه دخل علی أهله یوما، فقدّموا له خبزا؛ فقال: «ما عندکم شیء من إدام؟» فقالوا: ما عندنا إلّا خلّ. فقال:

«نعم الإدام الخلّ».

و المقصود أنّ أکل الخبز مع الأدم من أسباب حفظ الصّحة، بخلاف الاقتصار علی أحدهما، فقد یتولّد منه أمراض!

و سمّی الأدم «إداما» لإصلاحه الخبز، و جعله ملائما لحفظ الصّحة.

و لیس فی هذا تفضیل للخلّ علی اللّحم و اللّبن و العسل و المرق. و لو حضر لحم أو لبن؛ لکان أولی بالمدح منه، فقال هذا جبرا لخاطر و تطییبا لقلب من قدّمه له، سواء التی سألها فقالت «إلّا خلّ»؛ أو غیرها، لا تفضیلا له علی سائر أنواع الإدام، فلا ینافی أحادیث مدح اللّحم و الثّرید و غیرهما.

(و) أخرج البیهقی فی «الشعب» (عن ابن عبّاس رضی اللّه تعالی عنهما؛ قال:

دخل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم یوم فتح مکّة علی أمّ هانئ)- بهمز فی آخره- بنت أبی طالب، أخت علیّ. و اسمها: فاختة، لها صحبة و أحادیث- و تقدمت ترجمتها- (رضی اللّه تعالی عنها؛ و کان جائعا؛

فقال لها: «أ عندکم طعام آکله؟»

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۵۱

فقالت: إنّ عندى لكسرا يابسة، و إنّى لأستحيى أن أقدّمها إليک.

فقال: «هلمّيها»، فكسّرها فى ماء، و جاءته بملح، فقال: «ما من إدام؟»، فقالت: ما عندى إلّا شىء من خلّ، فقال:

«هلمّيه». فلمّا جاءته به .. صبّه على طعامه؛ فأكل منه، ثمّ حمد اللّه عزّ و جلّ، و أثنى عليه، ثمّ قال: «نعم الإدام الخلّ، يا أمّ هانئ؛ لا يقفر بيت فيه خلّ».

فقالت: إنّ عندى، لكسرا)- بكسر الكاف، و فتح السّين المهملة، جمع كسرة؛ مثل سدرة و سدر، و هى: القطعة من الخبز (يابسة، و إنّى لأستحيى أن أقدّمها إليک)، لحقارتها فى جنب عظمة المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم.

(فقال) تطييبا لخاطرها (: «هلمّيها»)؛ أى أحضريها و هو فعل أمر على لغة تميم. (فكسّرها فى ماء) لإساغتها (و جاءته بملح؛

فقال): أى: النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم (ما من إدام؟».

فقالت: ما عندى إلّا شىء من خلّ. فقال: «هلمّيه») أى: أحضريه.

(فلمّا جاءته به صبّه على طعامه؛ فأكل منه، ثمّ حمد اللّه عزّ و جلّ، و أثنى عليه، ثمّ قال: «نعم الإدام الخلّ؛ يا أمّ هانئ لا يقفر) أى: لا يخلو (بيت فيه خلّ») صفة لبيت.

و الفصل بين الصفة و الموصوف بما يتعلّق بعامل الموصوف سائغ.

و فيه الحثّ على عدم النّظر للخبز و الخلّ بعين الحقارة، و أنّه لا بأس بسؤال الطعام ممّن لا يستحى السائل منه؛ لصدق المحبّة، و العلم بودّ المسئول.

و قد أخرج هذا الحديث التّرمذىّ، و الطّبرانىّ، و أبو نعيم عن أمّ هانئ رضى اللّه تعالى عنها قالت: دخل علىّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم؛ فقال: «أ عندک شىء؟». فقالت:

لا، إلا خبز يابس و خلّ. فقال «هاتى؛ ما أقفر بيت من أدم فيه خلّ».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۵۲

و عن أمّ سعد رضى اللّه تعالى عنها قالت: دخل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم على عائشة و أنا عندها، فقال: «هل من غداء؟»، فقالت: عندنا خبز و تمر و خلّ، فقال: «نعم الإدام الخلّ، اللّهمّ؛ بارک فى الخلّ؛ فإنّه كان إدام الأنبياء قبلى، و لم يقفر بيت فيه خلّ».

و هذا مدح للخلّ بحسب الوقت- كما قاله ابن القيّم- ...

(و) فى الباب عند ابن ماجه بسند ضعيف (عن أمّ سعد) بنت زيد بن ثابت الأنصاريّة (رضى اللّه تعالى عنها)، قال ابن عبد البرّ: لها أحاديث؛ منها الأمر بذمّ الحجامة، من رواية محمّد بن زاذان عنها. و قيل: لم يسمع منها، بل بينهما واسطة هو عبد اللّه بن خارجة عنها؛ عن النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم (قالت: دخل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم على عائشة؛ و أنا عندها، فقال: «هل من غداء؟») الغداء- بفتح الغين المعجمة، و الدّال المهملة و المدّ-: طعام الغداة.

(فقالت: عندنا خبز و تمر و خلّ. فقال: «نعم الإدام الخلّ؛ اللّهمّ) أى:

يا اللّه (بارک)، أى: ضع البركة التى هى فيض إلهىّ (فى الخلّ، فإنّه كان إدام الأنبياء قبلى، و لم يقفر) أى: لم يخل (بيت) من القفر، و هو الأرض الخالية من الماء، و المفازة لا ماء فيها و لا زاد، و دار قفر خالية من أهلها. و أقفرت الدّار:

خلت. و وهم من جعله بالفاء مع القاف «۱» (فيه خلّ») صفة بيت.

و فى الحديث الحثّ على عدم النّظر للخبز و الخلّ بعين الاحتقار. و اللّه أعلم.

(و هذا مدح للخلّ بحسب) بموحّدة (الوقت) الحاضر لتيسّره دون غيره؛ (كما قاله) الحافظ (ابن القيّم) الحنبلىّ رحمه اللّه تعالى؛ يعنى: أنّ المتيسّر حقيق بأن يوصف بالحسن ذلک الوقت، لا لأنه نفيس فى ذاته.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(۱) أی قبلها؛ يفقر!.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۵۳

لا لتفضيله على غيره، بل هو جبر لقلب من قدّمه له صلّى اللّه عليه و سلّم، و تطييبا لنفسه، لا تفضيلا له على غيره؛ إذ لو حضر نحو لحم أو عسل أو لبن .. لكان أحقّ بالمدح.

و بهذا علم أنّه لا تنافى بين هذا و بين قوله: «بئس الإدام الخلّ».

و عن أبى موسى الأشعرىّ رضى اللّه تعالى عنه، عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «فضل عائشة على النّساء ...

و (لا لتفضيله على غيره)؛ كما ظنّه بعضهم، إذ المدح إنّما يقتضى تفضيله فى نفسه؛ لا على غيره، أ لا ترى أنّ حديث «ركعتا الفجر خير من الدّنيا و ما فيها» مع أنّ الوتر أفضل منهما!!

(بل هو جبر لقلب من قدّمه له صلّى اللّه عليه و سلم، و تطييبا لنفسه)؛ سواء التى سألها فقالت «إلّا خلّ»؛ أو غيرها (لا تفضيلا له على غيره)؛ كاللّحم و اللّبن و العسل و المرق، (إذ لو حضر نحو لحم أو عسل أو لبن؛ لكان أحقّ بالمدح) منه.

(و بهذا) الجواب (علم أنّه لا تنافى بين هذا) المدح المذكور فى هذا الحديث.

(و بين) الذّمّ المذكور فى (قوله: «بئس الإدام الخلّ») قال فى «كشف الخفا»: و أمّا «بئس الإدام الخلّ»! فلا أصل له، و فى طلبه صلّى اللّه عليه و سلم الإدام إشارة إلى أنّ أكل الخبز مع الإدام من أسباب حفظ الصّحّة، بخلاف الاقتصار على أحدهما.

قال الحكيم التّرمذىّ فى «النوادر»: فى الخلّ منافع للدّين و الدّنيا. و ذكر أنّه بارد يقطع حرارة السّموم و يطفيها.

(و) أخرج التّرمذىّ فى «الشمائل» (عن أبى موسى الأشعرىّ): عبد اللّه بن قيس (رضى اللّه تعالى عنه، عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم قال:

«فضل عائشة) الصّديقة بنت الصّدّيق (على النّساء) أى: نساء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۵۴

....

اللاتى فى زمنها؛ فلا تكون أفضل من خديجة، بل خديجة أفضل على الأصحّ، لتصريحه صلّى اللّه عليه و سلم لعائشة بأنه لم يرزق خيرا من خديجة. و فاطمة أفضل منهما؛ أى من عائشة و خديجة!!

قال الباجورى: أفضل النّساء مريم بنت عمران، ثم فاطمة الزّهراء، ثمّ خديجة، ثم عائشة التى قد برّأها اللّه تعالى. و قد نظم بعضهم ذلك فقال:

فضلى النّسا بنت عمران ففاطمةخديجة ثمّ من قد برّأ اللّه و هذا هو الذى أفتى به الرّملىّ.

و قد قال جمع من الخلف و السّلف: لا يعدل ببضعة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم أحد!! و به يعلم أنّ بقية أولاده صلّى اللّه عليه و سلم كفاطمة، و أنّ سبب الأفضليّة ما فيهن من البضعة الشّريفة.

و من ثمّ حكى السّبكى عن بعض أئمة عصره أنّه فضّل الحسن و الحسين على الخلفاء الأربعة، أى: من حيث البضعة؛ لا مطلقا. فهم أفضل منهما علما و معرفة، و أكثر ثوابا و آثارا فى الإسلام.

قال فى «جمع الوسائل»: قلت: إذا لوحظت الحيثيّة؛ فما يوجد أفضل على الإطلاق مطلقا، و لذا قيل: إن عائشة أفضل من فاطمة، لأنّ كلا منهما تكون مع زوجها فى الجنّة، و لا شكّ فى تفاوت منزلتيهما!!

هذا و قد قال السيوطى: فى «إتمام الدراية شرح النقاية»: و نعتقد أن أفضل النساء مريم بنت عمران، و فاطمة بنت النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

روى الترمذىّ و صحّحه: «حسبک من نساء العالمين مريم بنت عمران، و خديجة بنت خويلد، و فاطمة بنت محمد، و آسية امرأة فرعون».

و فى «الصحيحين»؛ من حديث على: «خير نسائها مريم بنت عمران، و خير نسائها خديجة بنت خويلد. و فى «الصحيح»: «فاطمة سيّدة نساء هذه الأمّة»

و روى النّسائىّ عن حذيفة أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قال: «هذا ملک من الملائكة

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۵۵

....

استأذن ربّه ليسلّم علىّ، و بشّرنى أنّ حسنا و حسينا سيّدا شباب أهل الجنّة، و أمّهما سيّدة نساء أهل الجنّة».

و روى الطّبرانىّ عن علىّ مرفوعا: «إذا كان يوم القيامة قيل: يا أهل الجمع غضّوا أبصاركم حتّى تمرّ فاطمة بنت محمّد».

و فى هذه الأحاديث دلالة على تفضيلها على مريم؛ خصوصا إذا قلنا بالأصحّ «إنّ مريم ليست نبية»، و قد تقرّر أن هذه الأمة أفضل من غيرها!!.

و روى الحارث بن أبى أسامة فى «مسنده» بسند صحيح لكنّه مرسل: «مريم خير نساء عالمها، و فاطمة خير نساء عالمها».

و رواه الترمذىّ موصولا من حديث علىّ بلفظ: «خير نسائها مريم، و خير نسائها فاطمة». قال الحافظ ابن حجر: و المرسل يفسّر المتّصل.

قلت: يعكّر عليه ما أخرجه ابن عساكر عن ابن عباس مرفوعا؛ قال:

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «سيّدة نساء أهل الجنة مريم بنت عمران، ثم فاطمة، ثمّ خديجة، ثم آسية امرأة فرعون».

و أخرج ابن أبى شيبة عن عبد الرّحمن بن أبى ليلى؛ قال:

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «فاطمة سيّدة نساء العالمين بعد مريم بنت عمران».

و أخرج ابن أبى شيبة عن مكحول؛ قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم:

«خير نساء ركبن الإبل نساء قريش أحناه على ولد فى صغره، و أرعاه على بعل فى ذات يده، و لو علمت أنّ مريم بنت عمران ركبت بعيرا ما فضّلت عليها أحدا».

ثم قال: قال السّيوطى: إنّ أفضل أمّهات المؤمنين خديجة، و عائشة.

قال صلّى اللّه عليه و سلم: «كمل من الرّجال كثير، و لم يكمل من النّساء إلا مريم و آسية و خديجة، و فضل عائشة على النّساء كفضل الثّريد على سائر الطّعام».

و فى التفضيل بينهما أقوال؛ ثالثها الوقف.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۵۶

كفضل الثّريد على سائر الطّعام».

قلت: و قد صحّح العماد بن كثير أن خديجة أفضل، لما ثبت أنّه صلّى اللّه عليه و سلم قال لعائشة حين قالت: قد رزقک اللّه خيرا منها.

فقال لها: «لا؛ و اللّه ما رزقنى اللّه خيرا منها؛ آمنت بى حين كذّبنى الناس، و أعطتنى ما لها حين حرمنى النّاس».

و سئل ابن داود؛ فقال: عائشة أقرأها النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم السّلام من جبريل. و خديجة أقرأها السّلام جبريل من ربّها، فهى أفضل على لسان محمد صلّى اللّه عليه و سلم.

فقيل: فأىّ أفضل؛ فاطمة أم أمّها؟ قال: فاطمة بضعة النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم؛ فلا نعدل بها أحدا.

و سئل السّبكىّ، فقال: الذى نختاره و ندين اللّه به: أنّ فاطمة بنت محمد أفضل، ثمّ أمّها خديجة، ثم عائشة.

و عن ابن العماد أنّ خديجة إنما فضّلت باعتبار الأمومة؛ لا السّيادة. انتهى.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و الحاصل: أنّ الحيثيات مختلفة، و الروايات متعارضة و المسألة ظنية.

و التّوقف لا ضرر فيه قطعا. فالتسليم أسلم. و اللّه أعلم

(كفضل الثّريد)- بفتح الثاء المثلّثة؛ فعيل بمعنى مفعول-.

و هو الخبز المأدوم بالمرق، سواء كان مع اللّحم؛ أو لم يكن، لكنّ الأوّل ألذّ و أقوى، و هو الأغلب.

قال بعض الأطباء: الثّريد من كلّ طعام أفضل من المرق؛ فثريد اللّحم أفضل من مرقه، و ثريد ما لا لحم فيه أفضل من مرقه.

و فى «النهاية»: بل اللّذّة و القوة إذا كان اللحم نضيجا فى المرق أكثر مما فى نفس اللّحم. قال الأطبّاء: الثّريد يعيد الشّيخ إلى صباه.

(على سائر الطّعام») أى: باقى الأطعمة من جنسه بلا ثريد، لما فى الثّريد من النّفع، و سهولة مساغه و تيسّر تناوله، و بلوغ الكفاية منه بسرعة، و اللذّة و القوّة و قلّة المؤنة فى المضغ، فشبّهت به؛ لما أعطيت من حسن الخلق، و حسن

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:١٥٧

و عن أنس بن مالك رضى اللّه تعالى عنه قال: أو لم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ...

الخلق، و حلاوة المنطق، و فصاحة اللّهجة، و جودة القريحة، و رزانة الرأى، و رصانة العقل، و التّحبّب إلى البعل. فهى تصلح للتّبعّل و التحدّث و الاستئناس بها، و الإصغاء إليها. و حسبك أنها عقلت من النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم ما لم يعقل غيرها من النّساء، و روت ما لم يرو مثلها من الرّجال!!.

و فى الحديث إشارة إلى أنّ الفضائل التى اجتمعت فى عائشة لا توجد فى جميع النّساء؛ من كونها امرأة أفضل الأنبياء، و أحبّ النساء إليه، و أعلمهنّ و أنسبهنّ و أحسبهنّ، و إن كانت لخديجة و فاطمة وجوه أخر من الفضائل البهيّة، و الشمائل العليّة. و لكنّ الهيئة الجامعيّة فى الفضيلة المشبّهة بالثريد لم توجد فى غيرها. و اللّه أعلم.

و حديث أبى موسى الذى ذكره المصنّف! رواه الإمام أحمد، و البخارىّ، و مسلم، و التّرمذىّ، و ابن ماجه، بلفظ: «كمل من الرّجال كثير، و لم يكمل من النّساء إلّا آسية امرأة فرعون، و مريم بنت عمران. و إنّ فضل عائشة على النّساء كفضل الثّريد على سائر الطّعام».

و رواه البخارىّ، و مسلم؛ عن أنس بن مالك رضى اللّه تعالى عنه.

(و) أخرج أبو داود، و الترمذىّ فى «الجامع»، و «الشمائل»؛

(عن أنس بن مالك رضى اللّه تعالى عنه؛ قال: «أو لم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم) من الولم؛ و هو: الاجتماع، و الوليمة: كلّ طعام يتّخذ لحادث سرور أو حزن.

و وليمة النّكاح: طعام يصنع عند عقد النّكاح أو بعده، و هى سنّة مؤكّدة.

و الأفضل فعلها بعد الدّخول؛ اقتداء به صلّى اللّه عليه و سلم.

و نقل القاضى عياض اتفاق العلماء على وجوب الإجابة فى وليمة العرس، و قال: و اختلفوا فيما سواها؛ فقال مالك و الجمهور: لا تجب الإجابة إليها.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:١٥٨

على صفيّة بتمر و سويق؛ و هو: ما يعمل من الحنطة، أو الشّعير.

و عن سلمى زوج أبى رافع ...

و قال أهل الظّاهر: تجب الإجابة إلى كلّ دعوة من عرس و غيره.

و به قال بعض السّلف، لكن محلّه ما لم يكن هناك مانع شرعىّ؛ أو عرفىّ!!.

و معنى الحديث: أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم صنع وليمة (على صفيّة) بنت حيىّ بن أخطب اليهودىّ من نسل هارون أخى موسى عليهما الصلاة و السلام، زوجة سلام بن أبى الحقيق- بالتصغير- شريف خيبر، قتل يوم خيبر فسبيت صفيّة؛ فاصطفاها رسول اللّه صلّى

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

اللّه عليه و سلم لمّا ذكر له جمالها، و كانت عروسا فخرج حتى بلغ الصّهباء حلّت له؛ أى:

طهرت من الحيض فبنى بها، و صنع حيسا (بتمر و سويق.

و هو) أى: السّويق (: ما يعمل من الحنطة، أو الشّعير) و هو معروف عند العرب.

و فى «الصحيحين»: أولم عليها بحيس، و هو الطعام المتّخذ من التّمر و الأقط و السّمن، و قد يجعل عوض الأقط الدقيق؛ كذا فى «النهاية». وضعه فى نطع، ثم قال لأنس: «آذن من حولك»؛ فكانت وليمته عليها. قال: ثم خرجنا إلى المدينة؛ فرأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يحوّى لها وراءه بعباءة، ثم يجلس عند بعير فيضع ركبته، و تضع صفيّة رجلها على ركبته لتركب. و فى رواية: فأعتقها و تزوّجها.

و فى أخرى: قال له: «خذ جارية من السّبى غيرها»، و فى رواية: «أنّها صارت لدحية، ثم للنبىّ صلّى اللّه عليه و سلم اشتراها بسبعة أرؤس»، و لا تعارض، فلعلّه قال له أولا «خذ جارية» ... ثم أكمل له سبعة. و إنما أخذها منه! رعاية للمصلحة العامّة:

أنّها بنت ملكهم فخاف من اختصاص دحية بها تغيّر خواطر نظائره، و كانت رأت أنّ القمر سقط فى حجرها. فتؤوّل بذلك، و ماتت سنة: خمسين. و دفنت بالبقيع رضى اللّه تعالى عنها.

(و) أخرج التّرمذىّ فى «الجامع» و «الشمائل» و اللفظ لها؛

(عن) أمّ رافع (سلمى)- بفتح أوّله- (زوج أبى رافع)، و اسمه أسلم

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۵۹

- مولى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم-: أنّ الحسن بن علىّ، ...

(مولى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم)، يقال: إنها مولاة صفية بنت عبد المطلب، و يقال لها أيضا مولاة النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، و كانت تخدم النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم؛ قالت: ما كان يكون برسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قرحة إلّا أمرنى أن أضع عليها الحنّاء. و هى قابلة إبراهيم ابن المصطفى، و غاسلة فاطمة بنت عميس، و قابلة فاطمة بنت النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم فى ابنيها الحسنين، و غاسلتها مع علىّ رضى اللّه تعالى عنهم.

و زوجها أبو رافع؛ يقال: اسمه إبراهيم، و يقال: أسلم. و قيل: سنان.

و قيل غير ذلك. غلبت عليه كنيته؛ و كان قبطيّا، و كان للعبّاس فوهبه للنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، فلما بشّر النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم بإسلام العباس أعتقه. قال الحافظ ابن حجر:

و المحفوظ أنّه أسلم لما بشّر العبّاس بأن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم انتصر على أهل خيبر؛ و ذلك فى قصّة جرت، و كان إسلامه قبل بدر و لم يشهدها، و شهد أحدا و ما بعدها.

روى عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، و عن عبد اللّه بن مسعود، و روى عنه خلق؛ منهم أولاده رافع، و الحسن، و عبيد اللّه، و المغيرة، و أحفاده: الحسن و صالح و عبيد اللّه؛ أولاد علىّ بن أبى رافع، و الفضل بن عبيد اللّه بن أبى رافع.

و مات بالمدينة المنورة قبل قتل عثمان بيسير رضى اللّه تعالى عنه:

(أنّ الحسن بن علىّ) بن أبى طالب بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف القرشىّ الهاشمىّ

أبا محمد سبط رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و ريحانته.

أمير المؤمنين، خامس الخلفاء الراشدين، ولد فى نصف شهر رمضان؛ سنة:- ۳- ثلاث من الهجرة بالمدينة المنوّرة، و أمّه فاطمة الزهراء بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و هو أكبر أولادها و أوّلهم؛

و كان عاقلا حليما؛ محبا للخير، فصيحا و سيما من أحسن الناس منطقا و بديهة.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۶۰

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و ابن عبّاس و ابن جعفر رضى اللّه تعالى عنهم .. أتوها، فقالوا:

اصنعى لنا طعاما ممّا كان يعجب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ..

حجّ عشرين حجّة ماشيا، و دخل أصبهان غازيا مجتازا إلى غزاة جرجان؛ و معه عبد اللّه بن الزّبير.

و بايعه أهل العراق بالخلافة بعد مقتل أبيه سنة:- ۴۰- أربعين هجرية.

و أشاروا عليه بالمسير إلى الشام لمحاربة معاوية بن أبى سفيان، فأطاعهم و زحف بمن معه، و بلغ معاوية خبره؛ فقصده بجيشه و تقارب الجيشان.

فهال الحسن أن يقتتل المسلمون، و لم يستشعر الثّقة بمن معه، و طلب منه معاوية الصّلح، فكتب إلى معاوية يشترط شروطا للصّلح، و رضى معاوية، فخلع الحسن نفسه من الخلافة، و سلّم الأمر لمعاوية فى بيت المقدس سنة:- ۴۱- إحدى و أربعين هجريّة، و سمّى هذا العام «عام الجماعة» لاجتماع كلمة المسلمين فيه.

و انصرف الحسن إلى المدينة المنوّرة راجعا، حيث أقام بها إلى أن توفّى مسموما سنة:- ۵۰- خمسين من الهجرة، و مدّة خلافته ستة أشهر و خمسة أيام.

و ولد له أحد عشر ابنا و بنت واحدة! روى له عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم أحاديث، و دفن بالبقيع رضى اللّه تعالى عنه.

(و ابن عبّاس) عبد اللّه (و ابن جعفر) عبد اللّه بن جعفر بن أبى طالب؛ تقدمت ترجمته (رضى اللّه تعالى عنهم؛ أتوها) زائرين، لكونها خادمة المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم و طبّاخته (فقالوا: اصنعى لنا طعاما ممّا)؛ أى: من الطّعام الّذى (كان يعجب)- روى: بضمّ أوّله، و كسر ثالثه؛ من الإعجاب، و روى: بفتح الياء و الجيم؛ من العجب، من باب علم- (رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم) بنصبه على الأوّل، و رفعه على الثّانى. و قال فى «جمع الوسائل»: يعجب- على صيغة المعلوم؛ إما من الإعجاب، ف «رسول اللّه» مفعوله، و الضمير المستتر فيه للموصول. أو من

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۶۱

و يحسن أكله. فقالت: يا بنىّ؛ لا تشتهيه اليوم. قال: بلى، اصنعيه لنا. قال: فقامت، فأخذت شيئا من شعير، فطحنته، ثمّ

العجب- بفتحتين؛ من باب علم- فهو فاعله و ضمير الموصول فى الصّلة محذوف، أى مما كان يعجبه صلّى اللّه عليه و سلم.

و يمكن أن يكون الرسول فاعلا فى الوجه الأول؛ بناء على أنّ معناه يستحسنه.

و بالجملة إن كان يعجب من الإعجاب يمكن أن يكون الرسول مرفوعا و منصوبا؛ بناء على أن معنى الإعجاب الاستحسان، و إن كان من العجب! فهو مرفوع، و كذا الحال فيما وقع ثانيا فى قوله:

(و يحسن)؛ من الإحسان، أو التّحسين. فهو على الأول بسكون الحاء و تخفيف السّين، و على الثّانى بفتح الحاء و تشديد السّين؛ و على كلّ فهو بضمّ الياء. (أكله) بالنّصب؛ و هو بفتح الهمزة، و سكون الكاف مصدر.

(فقالت: يا بنىّ)- روى مصغّرا؛ للشّفقة، و أفردته مع أنّ الأحقّ الجمع؛ إمّا إيثارا لخطاب أعظمهم؛ و هو الحسن، أو لأنّهم لكمال الملاءمة و الارتباط و المناسبة بينهم و اتّحاد بغيتهم صاروا بمنزلة شخص واحد. و روى كما قال بعض الشّرّاح: يا بنىّ؛ مكبّرا.

و قال آخر: يدفعه (لا تشتهيه) بالإفراد، لكن حيث ثبت رواية فلا دفع.

فالمعنى: لا تشتهيه نفوسكم (اليوم) أى زمن اعتياد النّاس الأطعمة اللّذيذة التى تطبخها الأعاجم المختلطة بكم، فكلوا ما يوافق عادتكم و أبدانكم، و إن كان المختلط غير ما أكله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، فإن ذلك أمر يتفاوت بالأزمنة و تغيّر العادات، و استعينوا به على أداء العبادة.

(قال: بلى) نشتهيه على سبيل البركة (اصنعيه لنا.

قال) أى: الرّاوى عن سلمى، أو أحد الثّلاثة: (فقامت) أى: سلمى

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(فأخذت شيئا من شعير)- بالتّنكير، و روى بالتّعريف- (فطحنته، ثم

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۶۲

جعلته فى قدر، و صبّت عليه شيئا من زيت، و دقّت الفلفل و التّوابل، فقرّبته إليهم. فقالت: هذا ممّا كان يعجب النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم و يحسن أكله. قوله (التّوابل): هى أدوية حارّة يؤتى بها من الهند، و قيل: إنّها مركّبة من الكزبرة و الزّنجبيل و الكمّون. و يؤخذ من هذا: أنّه صلّى اللّه عليه و سلّم كان يحبّ تطييب الطّعام بما تيسّر و سهل، و أنّ ذلك لا ينافى الزّهد.

جعلته)؛ أى دقيقه (فى قدر)- بكسر أوّله، أى: برمة- (و صبّت عليه شيئا من زيت) زيت الزّيتون، أو غيره (و دقّت الفلفل)- بضمّ الفاءين و سكون اللّام الأولى؛ كهدهد- مصروف هذا هو الرواية، و الواحدة فلفلة، و فى «القاموس»: الفلفل كهدهد و زبرج: حبّ هندىّ، و الأبيض أصلح، و كلاهما نافع لأشياء ذكرها.

(و التّوابل)- بمثنّاة فوقيّة؛ بزنة المساجد-: أبزار الطّعام. و سيأتى، (فقرّبته) أى: فوضعته على الطّعام و قدّمته (إليهم.

فقالت: هذا ممّا كان يعجب النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم)- بالضبطين- (و يحسن أكله) بالوجهين.

(قوله: التّوابل) بالتّاء المثنّاة قبل الواو، و بالباء بعد الألف؛ جمع تابل- بفتح الباء، و قد تكسر- (: هى) أبزار الطّعام، و هى (أدوية حارّة يؤتى بها من الهند. و قيل: إنّها مركّبة من الكزبرة)- بضمّ الباء و فتحها-: نبات معروف (و الزّنجبيل): هو عروق تسرى فى الأرض حرّيفة تحذى اللّسان و هو ما ينبت فى بلاد العرب، له منافع كثيرة (و الكمّون)؛ كتنّور: حبّ معروف أدقّ من السّمسم، واحدته كمّونة، و هو عربىّ. قال الجواليقى: و عوامّ النّاس تفرق بين التوابل و الأبزار، و العرب لا تفرّق بينهما!!

(و يؤخذ من هذا) الحديث؛ كما فى الباجورىّ و غيره:

(أنّه صلّى اللّه عليه و سلم كان يحبّ تطييب الطّعام بما تيسّر و سهل) من أنواع الأبازير، (و أنّ ذلك لا ينافى الزّهد) فى الدّنيا و لذّاتها.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۶۳

و عن جابر بن عبد اللّه رضى اللّه تعالى عنهما قال فى غزوة الخندق: انكفيت- أى: انطلقت إلى امرأتى- فقلت: هل عندك شىء؟ فإنّى رأيت بالنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم جوعا شديدا.

فأخرجت جرابا فيه صاع من شعير و لنا بهيمة داجن، ...

(و عن جابر بن عبد اللّه) بن عمرو بن حرام الأنصارىّ- و تقدّمت ترجمته- (رضى اللّه تعالى عنهما؛ قال: فى غزوة الخندق) و هى الأحزاب؛ قال: لما حفر الخندق رأيت بالنبىّ صلّى اللّه عليه و سلم خمصا شديدا، ف (انكفيت) قال الحافظ ابن حجر: بفاء مفتوحة بعدها تحتيّة ساكنة، أى: انقلبت، و أصله انكفأت؛ بهمزة، و كأنه سهّلها.

و قال القسطلانىّ: بالهمز، و قد تبدل ياء. لكن قال الحافظ أبو ذرّ: صوابه:

فانكفأت بالهمز.

و قال فى «التنقيح»: أصله الهمزة؛ من كفأت الإناء، و تسهّل!

قال فى «المصابيح»: لكن ليس القياس فى تسهيل مثله إبدال الهمزة ياء، أى: انقلبت. و قال المصنّف تبعا للباجورىّ.

(أى: انطلقت إلى امرأتى): سهيلة بنت مسعود بن أوس بن مالك بن سوّاد الأنصارية الظفريّة، زوجة جابر، و أمّ ولده عبد اللّه، ذكرها ابن حبيب فى المبايعات؛ كما فى «الإصابة» رضى اللّه تعالى عنها. منتهى السؤل، اللحجى ج۲ ۱۶۳ الفصل الثانى فى صفة أكله صلى الله عليه و سلم و إدامه ..... ص : ۸۸

(فقلت) لها (: هل عندك شىء؟ فإنّى رأيت بالنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم) خمصا أى:

(جوعا شديدا!.

فأخرجت جرابا)- بكسر الجيم- (فيه صاع من شعير.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و لنا بهيمة)- بضمّ الموحّدة و فتح الهاء؛ مصغّر بهمة-: و هى الصّغيرة من أولاد الغنم. و فى رواية: عناق، و هى الأنثى من المعز، (داجن)- بكسر الجيم-: التى تترك فى البيت، و لا تخرج إلى المرعى، و من شأنها أن تسمن.

و قد زاد فى رواية أحمد: سمينة.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:١۶۴

فذبحتها، و طحنت الشّعير حتّى جعلنا اللّحم فى البرمة، ثمّ جئته صلّى اللّه عليه و سلّم، و أخبرته الخبر سرّا، و قلت له: تعال أنت و نفر معك.

(فذبحتها)- بسكون الحاء، و ضمّ التّاء- فالذابح جابر.

(و طحنت)- بسكون التّاء الفوقيّة، قبلها نون؛ فحاء مهملة، فطاء مهملة:

مفتوحات- أى: امرأتى (الشّعير).

و فى رواية أحمد: فأمرت امرأتى فطحنت لنا الشعير و صنعت لنا منه خبزا و فى رواية فى «الصحيح»؛ من طريق آخر عن جابر: إنّا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة، فجاؤوا إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، فقالوا: هذه كدية عرضت فى الخندق؛ فقال: «أنا نازل» ثم قام، و بطنه معصوب بحجر، و لبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا. فأخذ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم المعول فضرب؛ فعاد كثيبا أهيل أو أهيم.

فقلت: يا رسول اللّه؛ ائذن لى إلى البيت، فقلت لامرأتى: رأيت بالنبى صلّى اللّه عليه و سلم شيئا ما كان فى ذلك صبر، فعندك شىء؟ قالت: عندى شعير و عناق، فذبحت العناق، و طحنت الشعير (حتّى جعلنا)؛ أى: و شرعنا فى تهيئته حتى جعلنا- و للكشميهنى: جعلت، أى المرأة- (اللّحم فى البرمة)- بضمّ الموحّدة، و سكون الرّاء-: القدر مطلقا، أو من حجارة. و فى رواية: ففرغت إلى فراغى أى معه، و قطّعتها فى برمتها و غطتها.

(ثمّ جئته صلّى اللّه عليه و سلم) زاد فى رواية «الصحيح»: و العجين قد انكسر؛ أى:

اختمر. و البرمة بين الأثافىّ قد كادت أن تنضج، فقالت: لا تفضحنى برسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و بمن معه، فجئته (و أخبرته الخبر سرّا؛

و قلت له): يا رسول اللّه؛ ذبحنا بهيمة لنا، و طحنت المرأة صاعا من شعير كان عندنا؛ ف (تعال أنت و نفر معك) دون العشرة من الرّجال. و فى رواية:

فقلت: طعيم لى صنعته، فقم أنت يا رسول اللّه؛ و رجل أو رجلان.

و لأحمد: و كنت أريد أن ينصرف صلّى اللّه عليه و سلم وحده. قال: «كم هو؟» فذكرت له.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:١۶۵

فصاح: «يا أهل الخندق؛ إنّ جابرا صنع سورا فحيّهلا بكم»،

قال: «كثير طيّب، قل لها لا تنزع البرمة؛ و لا الخبز من التّنّور حتّى آتى».

(فصاح) أى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم: («يا أهل الخندق؛ إنّ جابرا صنع سورا)- بضمّ السّين المهملة، و سكون الواو بغير همز-: قال ابن الأثير: أى طعاما يدعو النّاس إليها، أو هو الطعام مطلقا. و أمّا الذى بالهمز!! فهو البقيّة، و ليس مرادا هنا.

و لفظة سور- بدون همز- فارسيّة، و لعله صلّى اللّه عليه و سلم عبّر بها دون «طعاما»!! لعمومه فى كلّ مأكول، بخلاف الطّعام فيختصّ بالحنطة عند أهل مكّة، فقد يفهم بعض السّامعين خلاف المراد، أو لبيان الجواز.

(فحىّ)- بحاء مهملة و شدّ التّحتيّة- (هلا)- بفتح الهاء و اللّام المنوّنة مخفّفة- و فى رواية: أهلا (بكم») بزيادة ألف، و الصواب حذفها؛ قاله الحافظ ابن حجر.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و هی کلمة استدعاء فیها حثّ علی سرعة الإجابة، أی: هلمّوا مسرعین.

و فی روایة فی «الصحیح»: فقال: «قوموا» فقام المهاجرون و الأنصار.

فلما دخل علی امرأته؛ قال: ویحک، جاء النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم بالمهاجرین و الأنصار و من معهم. قالت: هل سألک؟ قلت: نعم.

و فی سیاقه اختصار.

و بیانه فی روایة یونس بن بکیر فی «زیادات المغازی» قال:

فلقیت من الحیاء ما لا یعلمه إلا اللّه، و قلت جاء الخلق علی صاع من شعیر و عناق!! فدخلت علی امرأتی أقول: افتضحت؛ جاءک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم بالجند أجمعین!!.

فقالت: هل کان سألک کم طعامک؟ فقلت: نعم.

فقالت: اللّه و رسوله أعلم، نحن أخبرناه بما عندنا!! فکشفت عنی غمّا شدیدا.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۱۶۶

و قال: «لا تنزلنّ برمتکم، و لا تخبزنّ عجینتکم حتّی أجیء».

فلمّا جاء .. أخرجت له العجین؛ فبصق فیه، ...

و فی روایة فی «الصحیح»: فجئت امرأتی، فقالت: بک و بک. فقلت: قد فعلت الذی قلت!!

و یجمع بینهما بأنّها أوّلا أمرته أن یعلمه بالصورة، فلما قال لها «إنه جاء بالجمیع» ظنّت أنّه لم یعلمه؛ فخاصمته، فلما أعلمها أنّه أعلمه سکن ما عندها، لعلمها بإمکان خرق العادة. و دلّ ذلک علی وفور عقلها و کمال فضلها.

و قد وقع لها فی قصة التمر: أن جابرا أوصاها لمّا زارهم النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم أن لا تکلّمه. فلما أراد صلّی اللّه علیه و سلم الانصراف نادته: یا رسول اللّه؛ صلّ علیّ و علی زوجی.

فقال: «صلّی اللّه علیک و علی زوجک».

فعاتبها جابر، فقالت له: أ کنت تظنّ أنّ اللّه یورد رسوله بیتی، ثم یخرج؛ و لا أسأله الدعاء!! أخرجه أحمد بإسناد حسن؛ ذکره الحافظ ابن حجر.

(و قال): أی: النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم لجابر (: «لا تنزلنّ»)- بضم التّاء الفوقیّة و کسر الزّای، و ضمّ اللّام- (برمتکم) نصب علی المفعولیة، و لأبی ذرّ: «لا تنزلنّ»- بفتح اللام و الزای؛ مبنیّ للمفعول- برمتکم- بالرفع نائب الفاعل.

(و لا تخبزنّ)- بفتح المثنّاة الفوقیة، و کسر الموحّدة، و ضمّ الزّای و شدّ النون- (عجینتکم)- بالنّصب، و لأبی ذرّ بضمّ الفوقیّة و فتح الموحّدة و الزای؛ و رفع «عجینکم» (حتّی أجیء») إلی منزلکم.

(فلمّا جاء أخرجت)؛ أی المرأة (له العجین)

و لفظ البخاریّ: فجئت و جاء صلّی اللّه علیه و سلم یقدم الناس حتی جئت إلی امرأتی؛ فقالت:

بک و بک. فقلت: فعلت الذی قلت، فأخرجت له عجینا (فبصق فیه) بالصاد.

و لأبوی ذرّ و الوقت، و ابن عساکر: فبسق- بالسّین- و یقال بالزّای أیضا، لکن قال النّوویّ: بالصّاد فی أکثر الأصول، و فی بعضها بالسّین؛ و هی لغة قلیلة.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۱۶۷

و بارک، ثمّ عمد إلی برمتنا، فبصق، و بارک، ثمّ قال: «ادعی خابزة فلتخبز معک، و اغرفی من برمتکم، و لا تنزلوها».

و القوم ألف، فأقسم باللّه لقد أکلوا حتّی ترکوه، و انصرفوا، و إنّ برمتنا لتغطّ- أی: تغلی- کما هی، و إنّ عجیننا لیخبز کما هو.

(و بارک) فی العجین: أی دعا فیه بالبرکة، (ثمّ عمد)- بفتح المیم: قصد- (إلی برمتنا فبصق). زاد الکشمیهنی: فیها؛ أی البرمة (و

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

بارک) فی الطّعام، (ثمّ قال): أی صلّی اللّه علیه و سلم لجابر (: «أدع خابزة، فلتخبز) بسکون اللّام (معک) بکسر الکاف! خطابا لزوجة جابر. فخصّه بالأمر بالدّعاء، لأنه صاحب المنزل المشار إلیه بإذنه لمن شاء فی دخول منزله، و خاطب زوجته بأنه إذا أحضرها یأمرها بالخبز معها؛ أی مساعدتها فیه، ثم تباشر هی غرف الطعام.

و لا ینافیه أنّ لفظ البخاریّ: فلتخبز معی، لأنّ المراد: و قولی لها لتخبزی معی؛ أی تعاونینی فیه. و یدلّ علیه قوله: (و) اقدحی أی (اغرفی من برمتکم) و المغرفة: تسمّی المقدحة، و قدحة من المرق: غرفة منه (و لا تنزلوها»)- بضمّ المثنّاة الفوقیة، و کسر الزّای- أی: البرمة من فوق الأثافی- بفتح الهمزة، و المثلّثة فألف ففاء مکسورة، فتحتیّة مشددة-: حجارة ثلاثة یوضع علیها القدر.

(و) هم أی: (القوم) الذین أکلوا (ألف).

و فی «مستخرج أبی نعیم»: و هم سبعمائة، أو ثلاثمائة. و للإسماعیلی ثمانمائة، أو ثلاثمائة. و فی مسلم: ثلاثمائة.

قال الحافظ ابن حجر: و الحکم للزّائد، لمزید علمه، و لأنّ القصّة متّحدة.

و فی روایة أبی الزّبیر عن جابر: و أقعدهم عشرة عشرة یأکلون، (فأقسم باللّه، لقد أکلوا حتّی ترکوه، و)؛ انحرفوا أی: (انصرفوا) و مالوا عن الطعام؛ (و إنّ برمتنا لتغطّ)- بکسر الغین المعجمة، و شدّ الطّاء المهملة- (أی: تغلی) و تفور بحیث یسمع لها غطیط (کما هی، و إنّ عجیننا لیخبز کما هو) لم ینقص من ذلک

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۱۶۸

رواه البخاریّ و مسلم.

و عن جابر أیضا قال: خرج رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و أنا معه، فدخل علی امرأة من الأنصار، فذبحت له شاة؛ ...

شیء، و «ما» فی «کما» کافة، و هی مقحمة لدخول الکاف علی الجملة، و هی مبتدأ و الخبر محذوف، أی کما هی قبل ذلک. (رواه البخاریّ، و مسلم) فی «صحیحیهما» فی «کتاب المغازی» من حدیث سعید بن میناء عن جابر.

و أخرجه البخاریّ وحده من روایة أیمن عن جابر بنحوه: و فی آخره:

فقال صلّی اللّه علیه و سلم «ادخلوا و لا تضاغطوا» فجعل یکسر الخبز و یجعل علیه اللّحم و یخمر البرمة و التّنور إذا أخذ منه، و یقرب إلی أصحابه ثم ینزع، فلم یزل یکسر الخبز و یغرف حتی شبعوا و بقی بقیة، قال: «کلی هذا، و أهدی فإنّ النّاس أصابتهم مجاعة».

و فی روایة یونس بن بکیر: فما زال یقرّب إلی الناس حتی شبعوا أجمعین، و یعود التنور و القدر أملأ ما کانا. فقال: «کلی و أهدی»، فلم نزل نأکل و نهدی یومنا أجمع.

و فی روایة أبی الزّبیر عن جابر: فأکلنا نحن و أهدینا لجیراننا، فلما خرج صلّی اللّه علیه و سلم ذهب ذلک. انتهی.

و صریح هذا أنّ الذی باشر الغرف النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم، فیخالف ظاهر قوله «و اقدحی من برمتکم و لا تنزلوها»؛ أی: اغرفی من أن مباشرة المرأة!!.

و یمکن الجمع بینهما بأنّها کانت تساعده فی الغرف. و لم یتعرّض الحافظ ابن حجر، و لا القسطلانیّ لهذا. و اللّه أعلم.

و فی ذلک علم من أعلام نبوّته صلّی اللّه علیه و سلم.

(و) أخرج التّرمذیّ فی «الشمائل»؛ (عن جابر أیضا) بن عبد اللّه رضی اللّه تعالی عنهما (قال: خرج رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم)؛ أی: من بیته، أو من المسجد (و أنا معه، فدخل علی امرأة من الأنصار؛ فذبحت له شاة).

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۱۶۹

فأکل منها، و أتته بقناع- أی: طبق من رطب- فأکل منه، ثمّ توضّأ للظّهر، و صلّی، ثمّ انصرف، فأتته بعلالة من علالة الشّاة، فأکل، ثمّ صلّی العصر، و لم یتوضّأ.

یؤخذ منه حلّ ذبح المرأة، لأن الظاهر أنّها ذبحت بنفسها حقیقة، و یحتمل أنّها أمرت بذبحها. و الجزم به یحتاج إلی دلیل.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(فأكل منها) أى: من تلك الشّاة (و أتته) أى: المرأة الأنصاريّة (بقناع)- بقاف مكسورة، فنون، فعين مهملة- (أى: طبق) يعمل من سعف النّخل يؤكل عليه. هذا هو المراد هنا.

(من رطب فأكل منه)؛ أى: من الرّطب (ثمّ توضّأ للظّهر)، يحتمل أنّه كان محدثا، فلا دلالة فيه على وجوب الوضوء ممّا مسّته النّار، و لا على ندبه، (و صلّى، ثمّ انصرف) من صلاته، أو من محلّها؛ (فأتته بعلالة)- بضمّ العين المهملة- أى بقية (من علالة الشّاة) أى: من بقيّة لحمها.

و «من» تبعيضيّة، أو بيانيّة، بل جعلها بيانيّة له وجه وجيه؛ (فأكل).

فيه أنّه لا حرج فى الأكل بعد الأكل، بل يندب ذلك جبرا لخاطر المضيف و نحوه؛ كما كان يفعله شيخنا العلّامة السّيد علوى المالكى رحمه اللّه تعالى، و إن لم يطل فصل؛ و لا انهضم الأوّل، أى إن أمن التّخمة باعتبار عادته، أو قلّة المأكول، أو لم يتخلّل بينهما شرب، لأنه حينئذ أكل واحد، و إلا؛ فهو مضرّ طبّا.

و فيه أنّه أكل من لحم فى يوم مرّتين! لا- أنه شبع فى يوم مرّتين؛ كما و هم، إذ لا- يلزم من أكله مرّتين الشّبع فى كلّ منهما. فمن عارضه بقول عائشة رضى اللّه تعالى عنها السابق «ما شبع من لحم فى يوم مرّتين»!! لم يكن على بصيرة.

(ثمّ صلّى العصر؛ و لم يتوضّأ) أى: لكونه لم يحدث.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:١٧٠

و عن أمّ المنذر رضى اللّه تعالى عنها قالت: دخل علىّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و معه علىّ و لنا دوال معلّقة.

قالت: فجعل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يأكل، و علىّ معه يأكل. فقال صلّى اللّه عليه و سلّم لعلىّ: «مه يا علىّ، فإنّك ناقه».

و يعلم منه أنّ الوضوء لا يجب مما مسّته النار. و اللّه أعلم.

(و) أخرج أبو داود، و التّرمذىّ فى «الجامع» و «الشمائل» بإسناد حسن- كما قال العراقىّ- (عن أمّ المنذر) اسمها:

سلمى بنت قيس بن عمرو الأنصاريّة، من بنى النّجار، إحدى خالات النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم من جهة أبيه؛ بايعت و صلّت إلى القبلتين.

لها صحبة، خرّج لها أبو داود و النّسائى (رضى اللّه تعالى عنها؛ قالت:

دخل علىّ)- بتشديد الياء المثناة- (رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و معه علىّ و لنا دوال)- بفتح الدال المهملة، و تنوين اللام المكسورة-: أعذاق من بسر النّخل تعلّق، كلما أرطبت أكل منها على التّدريج، واحدتها: دالية.

(معلّقة)- بالرّفع، صفة مؤكّدة لدوال- (قالت:

فجعل) أى: شرع (رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يأكل، و علىّ معه يأكل) بالجملة عطف على «جعل» (فقال صلّى اللّه عليه و سلم لعلىّ: «مه)؛ أى: اكفف (يا علىّ، فإنّك ناقه») بكسر القاف بعده هاء. اسم فاعل. أى قريب برء من المرض لم تتقرّر صحّتك، نخاف عليك عود المرض؛ إن أكثرت. يقال نقه- بفتح القاف و كسرها- من بابى نفع و تعب؛ إذا برىء من المرض. فالنقاهة حالة بين الصّحة و المرض.

قال الأطباء: و أنفع ما يكون الحمية لناقه من المرض، فإنّ طبيعته لم ترجع بعد إلى قوّتها، و القوّة الهاضمة ضعيفة، و الطّبيعة قابلة، و الأعضاء مستعدّة، فتخليطه يوجب انتكاسا أصعب من ابتداء مرضه.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:١٧١

قالت: فجلس علىّ و النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم يأكل.

قالت: فجعلت لهم سلقا و شعيرا.

فقال النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم لعلىّ: «من هذا فأصب؛ ...

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و قد اشتهر على الألسنة: «الحمية رأس الدّواء، و المعدة بيت الدّاء، و عوّدا كلّ جسد ما اعتاد». و هو ليس بحديث، و إنّما هو من كلام الحارث بن كلدة، طبيب العرب.

و لا ينافى نهيه لعلىّ خبر ابن ماجه أنّه عاد رجلا فقال له: «ما تشتهى؟» قال:

كعكا. و فى لفظ: خبز برّ. فقال: «من عنده خبز فليبعث إلى أخيه، و إذا اشتهى مريض أحدكم شيئا؛ فليطعمه».

لأنّ العليل إذا اشتدّت شهوته لشىء و مالت إليه طبيعته، فتناول منه القليل لا يحصل له منه ضرر، لأنّ المعدة و الطّبيعة يتلقّيانه بالقبول؛ فيندفع عنه ضرره، بل ربّما كان ذلك أكثر نفعا من كثير من الأدوية التى تنفر منها الطّبيعة. و هذا سرّ طبىّ لطيف.

(قالت: فجلس علىّ) أى: و ترك أكل الرّطب (و النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم يأكل).

فيه جواز الأكل قائما بلا كراهة، لكنّ تركه أفضل كما فى «الأنوار» «١».

(قالت: فجعلت) أى: فبسبب أمره صلّى اللّه عليه و سلم عليا بالتّرك لكونه ناقها؛ جعلت (لهم) المراد بالجمع ما فوق الواحد، و قيل: كان معهما ثالث.

و اقتصر على ذكر على فيما سبق!! لداعى بيان ما جرى بينه و بين النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم.

(سلقا)- بكسر السّين المهملة، و سكون اللّام- و هو: النّبت المشهور و يقال له «سلك» بالكاف آخره. (و شعيرا) لأنّه نافع.

(فقال النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم لعلىّ: «من هذا فأصب) أى: كل.

فالفاء فى جواب شرط محذوف، أى: إذا حصل هذا فكل منه معنا.

---

(١) للأردبيلى.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:١٧٢

فإنّ هذا أوفق لك».

و عن عبد اللّه بن سلام ...

و تقديم الجار و المجرور يفيد الحصر أى: أصب من هذا؛ لا من غيره. أى:

خصّه بالإصابة و لا تتجاوزه. و فى التعبير ب «أصب» إشارة إلى أنّ أكله منه هو الصّواب.

(فإنّ هذا أوفق (لك») أى: موافق فأفعل التّفضيل ليس على بابه، و إنما كان موافقا له، لأن ماء الشّعير نافع للنّاقه جدا، لا سيّما إذا طبخ بأصول السّلق فإنّه من أوفق الأغذية لضعيف المعدة، بخلاف الرّطب و العنب فإنّ الفاكهة تضرّ بالنّاقه لسرعة استحالتها، و ضعف المعدة عن دفعها.

و فيه أنّ التّداوى مشروع، و لا ينافى التّوكّل اقتداء بسيّد المتوكّلين صلّى اللّه عليه و سلم.

(و) أخرج أبو داود و التّرمذىّ فى «الشمائل» بسند حسن أو صحيح

(عن عبد اللّه بن سلام) بن الحارث الإسرائيلىّ. و فى بعض النّسخ: عن يوسف بن عبد اللّه بن سلام عن أبيه. و هذه النّسخة أصحّ، فالحديث من مسند يوسف بن عبد اللّه بن سلام، لا من مسند أبيه، و كلّ منهما صحابىّ جليل.

أما يوسف! فولد فى حياة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و حمل إليه، و أقعده فى حجره، و سمّاه يوسف، و مسح رأسه.

و كنيته أبو يعقوب. روى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ثلاثة أحاديث، و روى عن أبيه، و عن عثمان و علىّ و أبى الدّرداء و غيرهم. و ذكره ابن سعد فى الطّبقة الخامسة من الصّحابة، و ذكره جمع ممّن ألّف فى الصّحابة.

و توفّى فى خلافة عمر بن عبد العزيز.

و قال بعضهم: بقى إلى سنة مائة من الهجرة رضى اللّه تعالى عنه

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و أما أبوه عبد اللّه بن سلام- بتخفيف اللام- فيكنّى أبا يوسف، أحد الأحبار و العلماء الأخيار، و أحد من شهد له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم بالجنّة.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۷۳

رضى اللّه تعالى عنه قال: رأيت النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم أخذ كسرة من خبز، فوضع عليها تمرة و قال: «هذه إدام هذه».

و عن أنس رضى اللّه تعالى عنه: أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم كان يعجبه الثّفل.

روى عنه ابناه يوسف و محمد و غيرهما، مات بالمدينة المنوّرة سنة ثلاث و أربعين هجرية (رضى اللّه تعالى عنه؛ قال:

رأيت النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم أخذ كسرة)- بكسر الكاف و سكون السّين- أى قطعة (من خبز فوضع عليها تمرة، و قال: «هذه) التمرة (إدام هذه») الكسرة، لأنّ التّمر كان طعاما مستقلا غير متعارف للائتدام، فأخبر أنّه يصلح له.

و فى نسخة من «الشمائل» زيادة: «فأكل» بالفاء. و فى نسخة بالواو.

و هذا الحديث يقوّى قول من ذهب من الأئمّة إلى أنّ التّمر إدام، كالإمام الشّافعى و من وافقه.

و يؤخذ منه أنّه صلّى اللّه عليه و سلم كان يدبّر الغذاء، فإنّ الشّعير بارد يابس، و التّمر حارّ رطب، فكان صلّى اللّه عليه و سلم لا يجمع بين حارّين و لا باردين، و لا مسهّلين و لا قابضين و لا غليظين، و لا بين مختلفين؛ كقابض و مسهّل.

و لم يأكل طعاما قطّ فى حال شدّة حرارته، و لا طبيخا بائتا مسخّنا، و لا شيئا من الأطعمة العفنة و المالحة، فإنّ ذلك كلّه ضارّ مولّد للخروج عن الصّحّة.

و بالجملة: فكان صلّى اللّه عليه و سلم يصلح ضرر بعض الأغذية ببعض ما وجد إليه سبيلا، و لم يشرب على طعامه لئلا يفسده، ذكره ابن القيّم.

(و) أخرج الإمام أحمد و التّرمذىّ فى «الشّمائل»، و الحاكم بسند جيّد؛

(عن أنس رضى اللّه تعالى عنه؛ أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم كان يعجبه الثّفل).

قال الزرقانىّ على «المواهب»: بضمّ الثّاء المثلّثة و كسرها، و قاف؛ فى

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۷۴

و (الثّفل): ما بقى من الطّعام فى أسافل القدر و القصعة و الصّحفة و نحوها. و كان أحبّ الطّعام إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم الثّريد من الخبز، ...

الأصل!!: ما يثقل من كلّ شىء، و فسّر فى خبر بالثّريد، و بما يقتات به، و بما يعلق بالقدر، و بطعام فيه شىء من حبّ أو دقيق.

قيل: و المراد هنا الثّريد. قال ابن الأثير: سمّى ثقلا لأنّه من الأقوات الثّقيلة، بخلاف المائعات.

(و) قال المصنّف تبعا لشرّاح «الشمائل»:

(الثّفل)- بضمّ المثلّثة و كسرها، و بسكون الفاء- (: ما بقى من الطّعام فى أسافل القدر، و) الظّروف ك (القصعة و الصّحفة و نحوها).

و قيل: الثّفل هو الثّريد. و هو مختار صاحب «النّهاية»، و ما فسّره به المصنّف هو الذى فسّره به شيخ التّرمذى: عبد اللّه بن عبد الرحمن الدارمىّ رحمه اللّه تعالى.

قال الباجورىّ كالمناوىّ، و غيره: و إنّما فسّره الراوى! حذرا من توهّم خلاف المعنى المراد. و لعلّ حكمة إعجابه صلّى اللّه عليه و سلم بالثّفل أنّه منضوج غاية النّضج القريب إلى الهضم، فهو أهنأ و امرأ و ألذّ.

و فيه إشارة إلى التّواضع و القناعة باليسير. و كثير من الأغنياء يتكبرون و يأنفون من أكل الثّفل، و اللّه جعل جميل حكمته فى أقواله و أفعاله و أحواله صلّى اللّه عليه و سلم، فطوبى لمن عرف قدره و اقتفى أثره.

و أخرج أبو داود، و قال فى بعض رواياته و هو حديث ضعيف. و الحاكم و صحّحه و أقرّه الذّهبىّ كلاهما عن ابن عبّاس رضى اللّه

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

عنهما قال (و كان أحبّ الطّعام إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم الثّريد من الخبز) لمزيد نفعه، و سهولة مساغه، و تيسّر تناوله، و بلوغ الكفاية منه بسرعة، و اللذة، و القوّة و قلة المئونة فى المضغ. و لذا قال عليه الصلاة و السلام: «أثردوا و لو بالماء» رواه الطّبرانىّ، و البيهقى مبالغة فى

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۷۵

و الثّريد من الحيس. و (الحيس): التّمر مع السّمن و الأقط، و قد يجعل عوض الأقط الدّقيق أو الفتيت، فيدلك الجميع حتّى يختلط.

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يحبّ من الشّاة الذّراع و الكتف، ...

تأكّد طلبه، و المراد و لو مرقا يقرب من الماء.

(و الثّريد من الحيس)- بفتح الحاء المهملة، و إسكان المثنّاة التّحتية و آخره سين مهملة-

(و) هو أى (الحيس: التّمر مع السّمن و الأقط) لبن مجفّف منزوع الزّبد- كما تقدّم-.

(و قد يجعل عوض) أى: بدل (الأقط الدّقيق؛ أو الفتيت)- بفاء و مثنّاتين فوقيّتين، بينهما مثنّاة تحتيّة؛ بوزن شتيت-: الخبز المفتوت، فعيل بمعنى مفعول. (فيدلك الجميع حتّى يختلط). و الأصل فيه الخلط. قال الرّاجز:

التّمر و السّمن جميعا و الأقطالحيس إلّا أنّه لم يختلط قال ابن رسلان: و صفته أن يؤخذ التّمر أو العجوة؛ فينزع منه النّوى، و يعجن بالسّمن أو نحوه، ثم يدلك باليد حتى يصير كالثّريد، و ربّما جعل معه سويق.

انتهى. ذكره العزيزىّ على «الجامع الصّغير».

(و) فى «كشف الغمّة» و «الإحياء»: (كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يحبّ من الشّاة الذّراع و الكتف). روى الشيخان من حديث أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه قال:

وضعت بين يدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قصعة من ثريد و لحم، فتناول الذّراع، و كان أحبّ الشّاة إليه ... الحديث.

و روى أبو الشّيخ من حديث ابن عباس: كان أحبّ اللّحم إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم الكتف، و إسناده ضعيف. و من حديث أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه: لم يكن

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۷۶

و من القدر الدّبّاء، و من التّمر العجوة. و دعا فى العجوة بالبركة، و كان يقول: «إنّها من الجنّة و هى شفاء من السّمّ و السّحر».

يعجبه من الشّاة إلا الكتف، و تقدّم الكلام على الكتف و الذّراع بزيادة عما هنا.

(و من القدر) أى: المطبوخ فى القدر (الدّبّاء) تقدّم حديث أنس: «كان يحبّ الدّبّاء». و لأبى الشّيخ من حديث أنس: «كان أعجب الطعام إليه الدّبّاء».

(و من التّمر العجوة) المراد بالعجوة عجوة المدينة المنوّرة.

قال الزّمخشرىّ: العجوة تمر بالمدينة من غرس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم. و هى أجود التّمر و ألينه و ألذّه، و أنواع تمر المدينة مائة و عشرون نوعا.

روى أبو الشيخ من حديث ابن عباس بسند ضعيف: كان أحبّ التّمر إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم العجوة. و كذا رواه أبو نعيم فى «الطّبّ» من حديث ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما (و دعا) صلى اللّه عليه و سلم (فى العجوة بالبركة.

و كان يقول: «إنّها من الجنّة) يريد المبالغة فى الاختصاص بالمنفعة و البركة، فكأنّها منها. و قال الحليمىّ: معنى كونها من الجنّة أنّ فيها شبها من ثمار الجنّة فى الطّبع. فلذلك صارت شفاء من السّمّ.

و قال السمهودى: لم يزل إطباق الناس على التّبرك بالعجوة، و هو النّوع المعروف الذى يأثره الخلف عن السّلف بالمدينة المنوّرة، و لا يرتابون فى ذلك.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و هی شفاء من السّمّ و السّحر») روى الإمام أحمد، و البخارىّ، و مسلم، و أبو داود من حديث سعد بن أبى وقاص رضى اللّه تعالى عنه:

«من تصبّح بسبع تمرات من عجوة؛ لم يضرّه فى ذلك اليوم سمّ و لا سحر».

و أخرج البزّار، و الطّبرانىّ فى «الكبير» من حديث عبد اللّه بن الأسود قال:

كنّا عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فى وفد سدوس، فأهدينا له تمرا ... الحديث.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۷۷

و كان أحبّ التّمر إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم العجوة.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يحبّ الزّبد ...

و فيه: حتّى ذكرنا له تمرا؛ فقلنا له: هذا الجذامىّ فقال: «بارك اللّه فى الجذامىّ، و فى حديقة خرج منها هذا» ... الحديث.

قال أبو موسى المدينىّ: قيل: هو تمر أحمر.

و لأحمد و الترمذىّ و النّسائىّ و ابن ماجه من حديث أبى هريرة:

«العجوة من الجنّة، و هى شفاء من السّمّ».

و روى أبو نعيم فى «الطب» بسند ضعيف من حديث بريدة: «العجوة من فاكهة الجنّة»،

و روى الإمام أحمد، و ابن ماجه، و الحاكم، و الديلمىّ من حديث رافع بن عمرو المزنىّ: «العجوة و الصّخرة و الشّجرة من الجنّة».

و لابن النّجار من حديث ابن عباس: «العجوة من الجنّة، و فيها شفاء من السّمّ ...» الحديث.

(و) أخرج أبو نعيم فى «الطّبّ»، و أبو الشّيخ بإسناد ضعيف: كلاهما عن ابن عبّاس رضى اللّه تعالى عنهما قال:

(كان أحبّ التّمر إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم العجوة): عجوة المدينة المنورة.

(و) أخرج أبو داود، و ابن ماجه بإسناد حسن- كما قال بعض الحفّاظ- كلاهما عن ابن بشر- بموحدة مكسورة، و شين معجمة-.

و ابن بشر فى الصحابة اثنان سلمانيان هما: عبد اللّه و عطية، فلا يعرف أيّهما المراد! قال:

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم يحبّ الزّبد)- بضمّ الزّاى، و سكون الموحّدة؛ كقفل-: ما يستخرج بالمخض من لبن بقر أو غنم، معز أو ضأن.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۷۸

و التّمر. و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يحبّ من البقول الهندباء، و الشّمر، و الرّجلة.

و أمّا لبن الإبل! فلا يسمّى ما يستخرج منه زبدا، بل يقال له «حباب»

(و التّمر)- بمثناة فوقيّة- يعنى: يحبّ الجمع بينهما فى الأكل، لأنّ الزّبد حارّ رطب، و التّمر بارد يابس.

و فى جمعه بينهما من الحكمة إصلاح كلّ منهما بالآخر.

قال النّووىّ: فيه جواز أكل شيئين من فاكهة و غيرها معا، و جواز أكل طعامين معا؛ و جواز التوسّع فى المطاعم. و لا خلاف بين العلماء فى جواز ذلك!!

و ما نقل عن السّلف من خلافه! محمول على الكراهة فى التّوسّع و الترفّه و الإكثار لغير مصلحة دينيّة.

و قال القرطبىّ: و يؤخذ منه مراعاة صفات الأطعمة و طبائعها، و استعمالها على الوجه اللائق على قاعدة الطّبّ.

(و) فى «كشف الغمّة» و «الإحياء»: (كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم يحبّ من البقول الهندباء)- بكسر الهاء و سكون النّون و فتح الدّال المهملة، و قد تكسر مقصورة و تمدّ-: بقلة معروفة، تسمى عند بعض الناس ب «السّالط» و بعضهم يسمّيها ...

روى أبو نعيم فى «الطّب» من حديث ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما «عليكم بالهندباء، فإنّه ما من يوم إلّا و هو يقطر عليه قطرة من

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

قطر الجنّة».

و فى سنده عمرو بن أبى سلمة. ضعّفه ابن معين و غيره!!

و لأبى نعيم، من حديث الحسن بن علىّ، و أنس بن مالك نحوه، و كلّها ضعيفة!

(و الشّمر)- بالشين المعجمة، و الميم المفتوحتين بغير ألف؛ هو: الشّمار- بألف؛ كسحاب- و هو الرازيانج، (و الرّجلة)- بكسر الرّاء، و إسكان الجيم- هى البقلة الحمقاء.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۷۹

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يحبّ القثّاء.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يحبّ الجذب.

و (الجذب): الجمّار؛ و هو: شحم النّخل، واحدته: جذبه.

سمّيت بذلك!! لأنّها تنبت على طرق النّاس فتداس، و فى مسيل الماء فيقتلعها ماء السّيل، و أصل الرّجلة: المسيل، فسمّيت به البقلة، و منه قولهم «أحمق من رجلة»؛ يعنون هذه البقلة.

روى أبو نعيم فى «الطب» من رواية ثوير قال: مرّ النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم بالرّجلة؛ و فى رجله قرحة فداواها بها فبرئت، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «بارك اللّه فيك، انبتى حيث شئت؛ أنت شفاء من سبعين داء، أدناها الصّداع» و هو مرسل ضعيف.

(و) أخرج الطّبرانىّ فى «الكبير» عن الرّبيّع- بضمّ الرّاء، و فتح الموحّدة و شدّ المثناة التحتيّة المكسورة مصغّرا مثقّلا- بنت معوّذ- بصيغة اسم الفاعل- الأنصاريّة النّجّاريّة؛ من صغار الصّحابة- بإسناد حسن- قالت:

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم يحبّ القثّاء)- بكسر القاف أكثر من ضمّها ممدودا-:

نوع من الخيار أخفّ منه. و قيل: هو اسم جنس لما يقول له الناس الخيار و العجّور و الفقّوس؛ واحدته قثاءة، و إنّما كان يحبّها!! لإنعاش ريحها للروح و إطفائها لحرارة المعدة الملتهبة؛ سيما فى أرض الحجاز، و لكونها بطيئة الانحدار عن المعدة، و كان كثيرا ما يعدّلها بنحو رطب أو تمر أو عسل كما سيأتى.

(و) فى «النهاية» لابن الأثير: (كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم يحبّ الجذب)؛ بالجيم و الذّال المعجمة المفتوحتين. (و الجذب: الجمّار)- بضم الجيم، و فتح الميم المشدّدة- (و هو: شحم النّخل) و هو قلبها، (واحدته جذبه)؛ بالهاء.

و رطبه الحلو بارد يابس فى الأولى، و قيل فى الثانية يعقل البطن.

و ينفع من المرّة الصّفراء، و الحرارة و الدم الحاد، و ينفع من الشّرى أكلا و ضمادا، و كذا من الطاعون، و يختم القروح، و ينفع من خشونة الحلق، نافع للسع

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۸۰

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يكره أكل الكليتين؛ لمكانهما من البول.

و كان لا يأكل من الشّاة سبعا: الذّكر، و الأنثيين، و الحيا- و هو الفرج-

الزّنبور ضمادا. انتهى «زرقانى».

و فى البخارىّ عن ابن عمر: كنت جالسا عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و هو يأكل جمّارة نخل ... الحديث.

(و) أخرج ابن السّنّى فى كتاب «الطبّ النبوىّ»، و فى جزء من حديث أبى بكر محمد بن عبد اللّه بن الشّخّير؛ من حديث ابن عباس بسند ضعيف، فيه أبو سعيد الحسن بن على العدولى «أحد الكذّابين؛ كما قال العراقىّ» قال:

(كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يكره أكل الكليتين)- تثنية كلية؛ و هى من الأحشاء معروفة، و الكلو و الكلوة- بالواو- لغة لأهل اليمن، و هما بضمّ الكاف و لا تكسر.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و قال الأزهریّ: الکلیتین للإنسان و لکلّ حیوان، و هما منبت زرع الولد (لمکانهما) أی: لقربهما (من البول) لأنّهما کما فی «التهذیب»: لحمتـان حمراوان لاصقتان بعظم الصّـلب عنـد الخاصـرتین، فهمـا مجاورتان لتکوّن البول، و تجمّعه فتعافهما النفس، و مع ذلک یحلّ أکلهما!.

(و) فی «کشف الغمة» و «الإحیاء»: (کان) صلی اللّه علیه و سلم (لا یأکل من الشّاة):

الواحـدة من الغنم؛ للـذکر و الأنثی و المعز و الضّأن (سـبعا) مع کونها حلالا: (الذّکر، و الأنثیین) أی: الخصـیتین (و الحیا) قال العزیزیّ بالقصـر (و هو الفرج). قال ابن الأثیر: الحیاء ممدود: الفرج من ذوات الخفّ و الظّلف؛ نقله عنه المناویّ فی «شـرح الجامع»، و الزّبیدیّ فی «شرح الإحیاء» ساکتین علیه، لکن قال الحفنیّ علی «الجامع» الحیا- بالقصر، و قول بعض الشرّاح بالمدّ غیر ظاهر.

و فی «القاموس»: ما یؤیّد کلامیهما، فإنه قال: الحیاء الفرج من ذوات

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۱۸۱

و الدّم، و المثانة، و المرارة، و الغدد. و یکره لغیره أکلها.

الخفّ و الظّلف و السّـباع، و قد یقصر. قال فی «شرحه»: قال الأزهریّ: و هو خطأ لا یجوز قصره إلا لشاعر ضرورة، و ما جاء عن العرب إلا ممدودا!!!

و إنّما سـمّی حیاء باسم الحیاء من الاستحیاء، لأنه یستر عن الآدمیّ من الحیوان و یسـتفحش التّصـریح بـذکره و اسـمه الموضوع له، و یستحی من ذلک و یکنّی عنه.

انتهی ملخصا

(و الدّم) غیر المسفوح کالکبد و الطّحال؛ و أکله من کبد أضـحیته؛ لبیان الجواز، و إشارة إلی طلب أکل شـیء من الأضحیة، أمّا الدّم المسفوح فحرام، و الکلام فی الحلال الّذی تعافه النّفس.

(و المثانـة) و هی: مجمع البول، (و المرارة) و هی: مـا فی جوف الحیوان، فیهـا ماء أخضـر، و کل حیوان له مرارة، إلّا الجمل فلا مرارة لـه، (و الغـدد) جمع غـدّة- بـالضّمّ- و هی: لحم یحـدث من داء بین الجلـد و اللّحم، یتحرّک بالتّحریـک، و الغـدّة للبعیر؛ کالطّاعون للإنسان.

و إنّما لم یأکل هذه المذکورات! لأنّ الطّبع السّلیم یعاف هذه الأشیاء، و لیس کلّ حلال تطیب النّفس لأکله.

(و یکره لغیره أکلها)، قال الخطابی: الـدّم حرام إجماعا، و عامّـة المـذکورات معه مکروهـة لا محرّمة، و قد یجوز أن یفرق بین القرائن التی جمعها نظم واحد؛ بدلیل یقوم علی بعضها، فیحکم له بخلاف حکم صواحباتها. انتهی.

و ردّه أبو شامة بأنّه لم یرد بالدّم هنا ما فهمه الخطّابی، فإنّ الدّم المحرّم بالإجماع قد انفصل من الشّاة و خلت منه عروقها، فکیف یقول الرّاوی: کان یکره من الشّاة.- یعنی: بعد ذبحها- سبعا، و السّبع موجودة فیها.

و أیضا؛ فمنصـبه صلّی اللّه علیه و سـلم یجلّ عن أن یوصف بأنّه کره شیئا هو منصوص علی تحریمه علی النّاس کافّة، و کان أکثرهم یکرهه قبل تحریمه، و لا یقدم علی أکله إلّا الجفاة فی شظف من العیش و جهد من القلّة.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۱۸۲

و کان صلّی اللّه علیه و سلّم لا یأکل الجراد، و لا الکلیتین.

و کان صلّی اللّه علیه و سلّم یعاف الضّبّ، ...

و إنّما وجه هـذا الحـدیث المنقطع الضـعیف: أنه کره من الشّاة ما کان من أجزائها دما منعقـدا مما یحلّ أکله، لکونه دما غیر مسـفوح، کما فی خبر: «أحلّ لنا میتتان و دمان». فکأنّه أشار بالکراهة إلی الکبد و الطّحال مما ثبت أنّه أکله!! و اللّه أعلم.

انتهی من شرح «الإحیاء»، و من شرح المناوی علی «الجامع الصغیر».

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و الحديث رواه الطّبرانى فى «الأوسط»؛ من حديث ابن عمر، و فيه يحيى الحمّانى، و هو ضعيف. و رواه البيهقى؛ عن مجاهد مرسلا. و رواه ابن عدى، و البيهقى؛ عن مجاهد، عن ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما. قال البيهقى:

و وصله لا يصحّ.

و لفظ الحديث: كان صلّى اللّه عليه و سلم يكره من الشّاة سبعا: المرارة و المثانة و الحيا و الذّكر و الأنثيين و الغدّة و الدّم؛ و كان أحبّ الشّاة إليه مقدّمها. انتهى.

(و) أخرج ابن صصرى فى «أماليه الحديثيّة»؛ عن ابن عبّاس رضى اللّه تعالى عنهما و هو حديث حسن لغيره؛ قال: (كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم لا يأكل الجراد، و لا الكليتين) - بضم الكاف- تثنية كلية، لقربهما من محل البول، و تمام الحديث: و لا الضّبّ؛ من غير أن يحرّمها. انتهى. أى: كان يعاف المذكورات من غير أن يحرّمها، و قد أكل الضّبّ على مائدته؛ و هو ينظر!!.

(و) فى «الإحياء»: (كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم يعاف الضّبّ) و هو دابّة من الحشرات، و هو أنواع، فمنها ما هو على قدر الجرذون، و منها أكبر منه، و منها دون العنز، و هو أعظمها.

و هو يعيش سبعمائة عام، و لا يشرب الماء، بل يكتفى بالنّسيم، و يبول فى كل أربعين يوما قطرة، و أسنانه قطعة واحدة معوجة، و إذا فارق جحره لم يعرفه، و يبيض كالطير، و من عجيب خلقه أن الذكر له زبّان، و الأنثى لها فرجان تبيض

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:١٨٣

و الطّحال، و لا يحرّمهما.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم لا يأكل الثّوم ...

منهما، و ذنب الضّبّ ذو عقد، و الضّبّ يتلوّن ألوانا نحو الشّمس؛ كما تتلوّن الحرباء، و هو أحرش الذّنب خشنه مفقّره، و لونه إلى الصحمة؛ و هو غبرة مشربة سوادا، و إذا سمن اصفرّ صدره، و لا يأكل إلّا الجنادب و الدّبا و العشب، و لا يأكل الهوام. انتهى «شرح القاموس» مع زيادة من «المصباح».

(و) يعاف (الطّحال) - بكسر الطّاء- معروف، و يقال: هو لكل ذى كرش، إلّا الفرس فلا طحال له، و الجمع طحالات، و أطحلة؛ مثل لسان و ألسنة، و طحل؛ مثل كتاب و كتب.

(و لا يحرّمهما)، أما الضّبّ!

ففى «الصّحيحين»؛ من حديث ابن عباس: «لم يكن بأرض قومى فأجدنى أعافه».

و فى «الصّحيحين» من حديث ابن عمر: «لست باكله و لا محرمه».

و أما الطّحال!

فروى ابن ماجه من حديث ابن عمر: «أحلّت لنا ميتتان و دمان».

و فيه: «و أمّا الدّمان فالكبد و الطّحال». و للبيهقى موقوفا على زيد بن ثابت:

«إنّى لا آكل الطّحال، و ما بى إليه حاجة؛ إلّا ليعلم أهلى أنّه لا بأس به».

و قد سبق قريبا حديث ابن صصرى فى «أماليه»: كان لا يأكل الجراد و لا الكلوتين، و لا الضّبّ من غير أن يحرّمهما.

(و) أخرج أبو نعيم فى «الحلية»، و الخطيب فى «التاريخ»، و الدّارقطنىّ فى «غرائب مالك»: كلهم؛ عن أنس بن مالك، و هو حديث حسن لغيره- كما فى «العزيزى»- قال:

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم لا يأكل الثّوم) - بضم المثلّثة- أى: النّىء؛

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:١٨٤

و لا البصل، و لا الكرّاث؛ من أجل أنّ الملائكة تأتيه، و أنّه يكلّم جبريل. و ما ذمّ صلّى اللّه عليه و سلّم طعاما قطّ؛ إن اشتهاه ..

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

أكله، و إلّا .. تركه.

و عن عائشة أمّ المؤمنين رضى اللّه تعالى عنها قالت: كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم يأتينى فيقول: «أ عندك غداء»، ...

(و لا البصل) أى: النّىء، (و لا الكرّاث)- بضم الكاف، و قد تفتح؛ مع تشديد الرّاء فيهما، بوزن رمّان و كتّان- (من أجل أنّ الملائكة تأتيه، و أنّه يكلّم جبريل)، فكان يكره أكل ذلك؛ خوفا من تأذّى الملائكة به.

(و) فى «الإحياء»: (ما ذمّ) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم طعاما قطّ؛ إن اشتهاه أكله و إلّا تركه). رواه البخارى و مسلم، و لفظه: عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه قال: ما عاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم طعاما قطّ؛ إن اشتهاه أكله، و إن كرهه تركه. و فى رواية لمسلم: و إن لم يشتهيه سكت.

قال النّووىّ فى «شرح مسلم»: هذا أدب من آداب الطّعام، كقوله: مالح، قليل الملح، حامض رقيق، غليظ غير ناضج، أو نحو ذلك.

و أما حديث ترك أكل الضب! فليس هو من عيب الطّعام، و إنّما هو إخبار بأنّ هذا الطّعام الخاصّ لا أشتهيه. انتهى.

(و) أخرج التّرمذىّ فى «الشمائل» (عن عائشة أمّ المؤمنين) إنّما سمّيت زوجات النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم أمّهات المؤمنين!! لحرمتهنّ عليهم. و قيل: لوجوب رعايتهنّ و احترامهنّ. و على الأوّل؛ فلا يقال: أمّهات المؤمنات، و على الثّانى! يقال ذلك. (رضى اللّه تعالى عنها؛ قالت:

كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم يأتينى) أى: فى أوّل النّهار؛ (فيقول: «أ عندك غداء»)- بفتح الغين المعجمة و بالدّال المهملة مع المدّ- ؛ و هو: الطّعام الّذى يؤكل أوّل

فأقول: لا، فيقول: «إنّى صائم»، قالت: فأتانى يوما؛ فقلت: يا رسول اللّه؛ إنّه أهديت لنا هديّة، قال: «و ما هى؟»، قلت: حيس ...

النّهار، و أمّا بكسر الغين المعجمة و بالذّال المعجمة أيضا! فهو ما يؤكل على وجه التّغذّى، مطلقا، فيشمل العشاء كما يشمل الغداء.

(فأقول: لا) أى: ليس عندى غداء. (فيقول: «إنّى صائم») أى: ينوى الصّوم بهذه العبارة، و هو صريح فى جواز نيّة صوم النّفل نهارا «١»، لكن إلى الزّوال عند الشّافعى، و أوجب مالك التّبييت كالفرض لإطلاق خبر «من لم يبيّت الصّيام فلا صيام له». و حمل «إنّى صائم»؛ على أنّى كنت.

و أجيب بأنّه تأويل بعيد عن ظاهر اللّفظ، و الأصل تراخى رتبة النّفل عن الفرض، فلا يشكل الفرق بينهما، و فى قوله: «إنّى صائم» إيماء إلى أنّه لا بأس بإظهار النّفل لقصد التّعليم.

(قالت: فأتانى يوما، فقلت: يا رسول اللّه، إنّه أهديت) بصيغة المجهول، أى: أرسلت (لنا هديّة، قال: «و ما هى»؟ قلت: حيس)- بفتح الحاء المهملة، و سكون التّحتيّة و فى آخره سين مهملة- و هو التّمر مع السّمن و الأقط، و قد يجعل عوض الأقط الدقيق أو الفتيت، فيدلك الجميع حتى يختلط، قال الشاعر:

و إذا تكون كريهة أدعى لهاو إذا يحاس الحيس يدعى جندب

هذا و جدّكم الصّغار بعينهلا أمّ لى إن كان ذاك و لا أب

عجب لتلك قضيّة، و إقامتىفيكم على تلك القضيّة أعجب

---

(١) مما يجب التنبيه عليه هاهنا: أن هذه النية ينبغى أن تشمل القصد ما تقدمها من أجزاء اليوم قبل إنشائها؛ فينوى أنه صائم من الفجر ... فليعلم؛ فإن أكثر الناس عنه غافلون.

و فيه وجه توفيق من كلام مالك الآتى بعده. و اللّه تعالى أعلم.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

قال: «أما إنّى أصبحت صائما»، قالت: ثمّ أكل.

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إذا أتى بطعام .. سأل عنه:

«أ هديّة أم صدقة؟»، فإن قيل صدقة .. قال لأصحابه: «كلوا»، و لم يأكل. و إن قيل هديّة .. ضرب بيده فأكل معهم.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم لا يأكل من هديّة حتّى يأمر ...

(قال: «أما»- بالتّخفيف؛ للتّنبيه- (إنّى أصبحت صائما») إخبار عن كونه صائما، فيكون قد نوى من اللّيل. (قالت: ثمّ أكل)، هذا صريح فى حلّ قطع النّفل،- و هو مذهب الشّافعى كالأكثر- و يوافقه خبر «الصّائم المتطوع أمير نفسه، إن شاء صام و إن شاء أفطر». و أمّا قوله تعالى وَ لا تُبْطِلُوا أَعْمالَكُمْ (٣٣) [محمد]! فهو فى الفرض وجوبا، و النّفل ندبا؛ جمعا بين الأدلة.

(و) أخرج البخارىّ و مسلم و النّسائى؛ عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه قال: (كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم إذا أتى) بالبناء للمجهول (بطعام)- زاد فى رواية الإمام أحمد: من غير أهله- (سأل عنه) ممن أتى به (: «أ هديّة أم صدقة؟»)- بالرّفع، خبر مبتدأ محذوف- أى: هذا، أى: عيّنوا لى أحد الأمرين.

(فإن قيل:) هو (صدقة؛ قال لأصحابه) أى: من حضر منهم (: «كلوا»، و لم يأكل) هو منه، لأنّ الصّدقة حرام عليه.

(و إن قيل:) هو (هديّة)- بالرّفع- (ضرب بيده) أى: مدّ يده و شرع فى الأكل مسرعا؛ (فأكل معهم) من غير تحام عنه؛ تشبيها للمدّ بالذّهاب سريعا فى الأرض، فعدّاه بالباء، و ذلك لأن الهديّة يقصد فيها إكرام المهدى إليه، و الصّدقة لم يقصد بها ذلك، بل يقصد بها ثواب الآخرة، ففيها نوع ذلّ للآخذ.

(و) أخرج الطّبرانى فى «الكبير» و البزّار بإسناد صحيح؛ عن عمّار بن ياسر رضى اللّه تعالى عنهما قال: (كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم لا يأكل من هديّة حتّى يأمر

صاحبها أن يأكل منها؛ للشّاة الّتى أهديت له.

و كان له صلّى اللّه عليه و سلّم لقاح و غنم يتقوّت من ألبانها هو و أهله، و كان لا يحبّ أن تزيد على مائة، و إن زادت .. ذبح الزّائد.

و كان له جيران ...

صاحبها أن يأكل منها. للشّاة) أى: لأجل قصّة الشّاة (الّتى أهديت له) يوم خيبر؛ و فيها سمّ، فأكلوا منها، فمات بعض أصحابه، و صار المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم يعاوده الأذى منها حتّى توفاه اللّه تعالى إلى كرامته.

(و) فى «كشف الغمّة» و «الإحياء»: (كان له صلّى اللّه عليه و سلم لقاح)- بكسر اللّام فقط، و خفة القاف، جمع لقحة؛ بكسر اللام و فتحها- هى:

النّاقة القريبة العهد بالولادة، إلى ثلاثة أشهر، ثمّ هى بعد الثلاثة لبون، و جاء اللّقحة فى البقر و الغنم أيضا، فمن لقاحه: القصواء و العضباء.

قال ابن القيّم فى «الهدى النبوى»: كانت له خمسة و أربعون لقحة؛ منها:

أطلال و أطراف و برده، و البغوم و الحنّا و الرّيا، و السّعدية و السّمراء و الشّقراء، و العرّيس و مروة و مهرة.

(و) كان له (غنم)، منها شاة تسمّى: زمزم و السّقيا و عجرة و غوثة- و قيل غيثة- و قمر و اليمن (يتقوّت من ألبانها) أى: اللّقاح و الغنم (هو و أهله.

و كان) له مائة شاة (لا يحبّ أن تزيد على مائة، و إن زادت؟ ذبح الزّائد) رواه أبو داود من حديث لقيط بن صبرة العقيلى؛ عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم، و لفظه:

لنا غنم مائة، لنا غنم مائة، لا نريد أن تزيد، فإذا ولّد الرّاعى بهمة ذبحنا مكانها شاة ... الحديث.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و كان له جيران)- بكسر الجيم- جمع جار، و هو المجاور فى السّكن من الأنصار؛ سعد بن عبادة، و عبد اللّه بن عمرو بن حرام، و أبو أيّوب خالد بن زيد،

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۸۸

لهم منائح، يرسلون له من ألبانها فيأكل منها و يشرب، و كان له صلّى اللّه عليه و سلّم سبعة أعنز منائح ترعاهنّ أمّ أيمن حاضنته صلّى اللّه عليه و سلّم.

و سعد بن زرارة، و غيرهم؛ قاله الحافظ ابن حجر.

(لهم منائح)- بنون، و آخره حاء مهملة-: جمع منيحة، و هى العطيّة لفظا و معنى، أى: غنم فيها لبن، و أصلها: عطيّة النّاقة؛ أو الشّاة، و قيل: لا يقال:

منيحة إلّا للنّاقة، و تستعار للشّاة.

قال الحربى: يقولون: منحتك النّاقة. و أعريتك النّخلة، و أعمرتك الدّار، و أخدمتك العبد، و كل ذلك هبة منافع؛ لا رقبة. فظهر بهذا أنّ المنيحة فى الأصل شاة أو بقرة يعطيها صاحبها لمن يشرب لبنها، ثمّ يردّها إذا انقطع اللّبن، ثمّ كثر استعمالها حتى أطلق على كل شاة أو بقرة معدّة لشرب لبنها.

لكنّ المراد هنا الشّياه، فقد قال اليعمرى: و أمّا البقر! فلم ينقل أنّه صلّى اللّه عليه و سلم ملك منها شيئا. انتهى. أى: للقنية، فلا يرد عليه ما فى «الصّحيح» أنّه صلّى اللّه عليه و سلم ضحّى عن نسائه بالبقر فى حجّة الوداع!! قاله الزّرقانى رحمه اللّه تعالى.

(يرسلون له) صلى اللّه عليه و سلم (من ألبانها فيأكل منها، و يشرب) هو و أهل بيته، (و كان له صلّى اللّه عليه و سلم سبعة أعنز)- جمع عنز، و هى: الأنثى من المعز إذا أتى عليها حول- (منائح ترعاهنّ أمّ أيمن): بركة الحبشية؛ (حاضنته صلّى اللّه عليه و سلم).

روى محمد بن سعد «كاتب الواقدىّ» فى «الطّبقات»؛ من حديث أمّ سلمة رضى اللّه تعالى عنها: كان عيشنا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم اللّبن- أو قالت: أكثر عيشنا-.

كانت لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم بالغابة ... الحديث.

و فى رواية له: كانت لنا أعنز سبع، فكان الراعى يبلغ بهن مرة الجمد، و مرة أحدا و يروح بهن علينا، و كانت لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم لقاح بذى الجدر، فيثوب إلينا ألبانها بالليل ... الحديث.

و فى إسنادهما محمد بن عمر الواقدى!! ضعيف فى الحديث.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۸۹

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يخرج كثيرا إلى بساتين أصحابه، فيأكل منها و يحتطب.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يجيب دعوة الحرّ و العبد، ...

و فى «الصحيحين» من حديث سلمة بن الأكوع: كانت لقاح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ترعى بذى قرد ... الحديث. و قد تقدم حديث «الصحيحين»؛ عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها. و فيه: كان لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم جيران من الأنصار؛ و كانت لهم منائح فكانوا يرسلون إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم من ألبانها فيسقيناه.

(و) فى «كشف الغمة»: (كان صلّى اللّه عليه و سلم يخرج كثيرا إلى بساتين أصحابه، فيأكل منها و يحتطب) تقدّم أنه صلّى اللّه عليه و سلم خرج إلى بستان أبى الهيثم بن التيهان فيما رواه الترمذى من حديث أبى هريرة؛ و قال: حسن غريب صحيح.

و القصة عند مسلم لكن ليس فيها ذكر لأبى الهيثم، و إنما قال «رجل من الأنصار»!!

و كذلك خرج صلّى اللّه عليه و سلم إلى بستان أبى أيوب الأنصارى؛ كما رواه الطبرانى فى «المعجم الصغير» من حديث ابن عباس بسند ضعيف.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و خرج أيضا إلى بساتين غيرهما؛ كما ذكره فى «شرح الإحياء».

(و) فى «كشف الغمة» و «الإحياء»: (كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم يجيب دعوة الحرّ و العبد). قال العراقى: رواه الترمذى و ابن ماجه و الحاكم من حديث أنس:

كان يجيب دعوة المملوك. قال الحاكم: صحيح الإسناد. قلت: بل ضعيفه.

و للدارقطنى فى «غرائب مالك» و الخطيب فى «أسماء رواة مالك»؛ من حديث أبى هريرة: كان يجيب دعوة العبد إلى أىّ طعام دعى، و يقول: «لو دعيت إلى كراع لأجبت».

و هذا بعمومه دالّ على إجابة دعوة الحرّ، و هذه القطعة الأخيرة عند البخارى؛ من حديث أبى هريرة. و روى ابن سعد من رواية حمزة بن عبد اللّه بن عتبة: كان

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۹۰

و يقبل الهديّة؛ و لو أنّها جرعة لبن، أو فخذ أرنب، و يكافئ عليها و يأكلها؛ و لا يأكل الصّدقة.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا دعى لطعام و تبعه أحد .. أعلم به ربّ المنزل؛ ...

لا يدعوه أحمر و لا أسود من النّاس إلّا أجابه ... الحديث، و هو مرسل. انتهى.

(و) كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم (يقبل الهديّة؛ و لو أنّها جرعة لبن، أو فخذ أرنب، و يكافئ عليها).

قال العراقىّ: روى البخارىّ؛ من حديث عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت:

كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يقبل الهديّة و يثيب عليها.

و أمّا ذكر جرعة اللّبن و فخذ الأرنب!! ففى «الصحيحين» من حديث أمّ الفضل أنها أرسلت بقدح من اللّبن إلى النّبى صلّى اللّه عليه و سلم؛ و هو واقف بعرفة، فشربه.

و لأحمد من حديث عائشة: أهدت أمّ سلمة لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم. انتهى.

قلت: و الّذى رواه البخارىّ من جهة قبول الهديّة و الإثابة عليها رواه كذلك أحمد، و أبو داود، و الترمذىّ فى «السنن»؛ و فى «الشمائل».

و معنى «يثيب عليها»- أى: يجازى عليها- فيسنّ التّأسّى به صلّى اللّه عليه و سلم، و لكن محلّ ندب القبول حيث لا شبهة قوية فيها، و ندب الإثابة حيث لم يظنّ المهدى إليه: أنّ المهدى إنّما أهدى له حياء؛ لا فى مقابل، فأمّا إذا ظنّ أنّ الباعث عليه إنّما هو الإثابة!! فلا يجوز له إلّا إن أثابه بقدر ما فى ظنّه مما تدلّ عليه قرائن حاله؛ قاله فى «شرح الإحياء».

(و) كان صلّى اللّه عليه و سلم (يأكلها)؛ أى: الهدية، (و لا يأكل الصّدقة).

رواه الشّيخان؛ من حديث أبى هريرة، و رواه أحمد و الطّبرانى؛ من حديث سلمان، و رواه ابن سعد؛ من حديث عائشة رضى اللّه تعالى عنها.

(و كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم إذا دعى لطعام و تبعه أحد؛ أعلم به ربّ المنزل)،

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۹۱

فيقول: «إنّ هذا تبعنا، فإن شئت .. رجع».

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم لا يأكل وحده.

كما فى البخارىّ و مسلم و غيرهما؛ عن أبى مسعود الأنصارى قال:

كان من الأنصار رجل يقال له أبو شعيب، و كان له غلام لحّام، فقال: اجعل لى طعاما يكفى خمسة، فإنّى أريد أن أدعو رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و قد عرفت فى وجهه الجوع!! فدعا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم خامس خمسة؛ فتبعهم رجل، فقال النّبىّ

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

صلّى اللّه عليه و سلم:

«إنّك دعوتنى خامس خمسة، و هذا رجل قد تبعنا!! فإن شئت أذنت له، و إن شئت تركته». قال: بل أذنت له.

و فى روايـة: «اتّبعنا»، بالتّشديد. و فى رواية: «لم يكن معنا حين دعوتنا، فإن أذنت له دخل». و فى أخرى: «و إن شـئت أن يرجع رجع»، و فى رواية:

«و إن شئت رجع»، فقال: لا، بل أذنت له يا رسول اللّه.

قال الحافظ ابن حجر: و لم أقف على اسم هـذا الرّجل فى شىء من طرق هـذا الحـديث، و لا اسم واحـد من الأربعـة، و لا اسم الغلام اللّحام!!

(فيقول: «إنّ هـذا تبعنا)- بفتح المثنّاة الفوقيّة، و كسر الموحّدة، كما ضبطه القسطلانى كغيره- أى: تبعنا من غير طلب له. (فإن شـئت رجع»)؛

ففيه أنّ من تطفّل فى الـدّعوة كان لصاحبها الخيار فى حرمانه، فإن دخل بلا إذن فله إخراجه، و حرمـة التّطفّل ما لم يعلم رضا المالك به، لما بينهما من أنس و انبساط.

و قيّد بالدّعوة الخاصّة. أمّا العامّة! كأن فتح الباب ليدخل من شاء فلا تطفّل.

و فى «سنن أبى داود» بسند ضعيف؛ عن ابن عمر رضى اللّه تعالى عنهما رفعه: «من دخل بغير دعوة دخل سارقا و خرج مغيرا».

(و) أخرج الطّبرانى، و الخرائطى: (كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم لا يأكل وحده).

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۹۲

و كـان أحبّ الطّعام إلى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلّم ما كثرت عليه الأيـدى. و كان صـلّى اللّه عليه و سـلّم يكرّر على أضـيافه، و يعرض عليهم الأكل مرارا.

و قالت عائشة رضى اللّه تعالى عنها و عن والديها: لم يمتلئ جوف النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم شبعا قطّ،

(و) يؤيّـده ما أخرجه أبو يعلى، و الطّبرانى فى «الأوسط»، و ابن عدى فى «الكامل»، و ابن حبّان، و البيهقى، و الضّـياء؛ من حديث جابر بن عبد اللّه، رضى اللّه تعالى عنهما،- بإسناد حسن؛ كما قال العراقى- قال:

(كان أحبّ الطّعام إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ما كثرت عليه الأيدى)، لما فيه من السّخاء بالطّعام و قلّة الأكل و كثرة البركة

(و) فى «المواهب»: (كان صلّى اللّه عليه و سلم يكرّر على أضيافه، و يعرض عليهم الأكل مرارا).

و فى حديث أبى هريرة ما يؤيّد ذلك فى قصّة شـرب اللبن، و قوله مرارا «اشـرب»، فما زال يقول «اشرب» حتّى قال أبو هريرة: و الّذى بعثك بالحقّ لا أجد له مسلكا. رواه البخارى مطوّلا فى كتاب «الرّقاق»؛ من «صحيحه».

(و) فى «المواهب» و «الشّفاء»:

(قالت عائشة رضـى اللّه تعالى عنها، و عن والديها: لم يمتلئ جوف النّبىّ صـلّى اللّه عليه و سـلم شـبعا)- بكسـر الشّين المعجمة، و فتح الباء، و هو تمييز، أو مفعول له- (قطّ)، بل كان إذا تغدّى لم يتعشّ، و إذا تعشّى لم يتغدّ.

رواه أبو نعيم، عن أبى سعيد الخدرى رضى اللّه تعالى عنه، و قد تقدّم.

و قول عائشة «لم يمتلئ جوف النّبىّ صـلّى اللّه عليه و سـلم شبعا قط»! محمول على الشّبع الّذى يثقل المعدة، و يثبط عن القيام بالعبادة، و يفضى إلى البطر و الأشر و النّوم و الكسل، و قد تنتهى كراهته إلى التّحريم؛ بحسب ما يترتّب عليه من المفسدة.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۹۳

و إنّه كان فى أهله لا يسألهم طعاما و لا يتشهّاه، إن أطعموه .. أكل، و ما أطعموه .. [قبله]، و ما سقوه .. شرب.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم ربّما قام فأخذ ما يأكل بنفسه، أو يشرب.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و ليس المراد الشّبع النّسبىّ المعتاد فى الجملة، ففى «صحيح مسلم» خروجه صلّى اللّه عليه و سلم و صاحبيه أبى بكر و عمر من الجوع و ذهابهم إلى بيت الأنصارى، و ذبحه الشّاة، و فيه: فلما أن شبعوا و رووا!!. قال النّووى: فيه جواز الشّبع.

و ما جاء فى كراهته! محمول على المداومة عليه، فلا ينافى هـذا الحديث و غيره من الأحاديث الدّالّة على جوازه، و قد ترجم البخارى «باب من أكل حتّى شبع»، و أورد حديث دخوله صلّى اللّه عليه و سلم منزل أبى طلحة، و قوله له: «اذن لعشرة ثمّ عشرة»، فأكل القوم كلّهم و شبعوا، و هم ثمانون، و حديث أبى بكر: كنّا مع النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم ثلاثين و مائة ... الحديث؛ و فيه: فأكلنا أجمعون، و شبعنا.

(و أنّه) صلى اللّه عليه و سلم (كان فى أهله لا يسألهم طعاما)، أى: لا يكلّفهم شيئا ليس عندهم، أو ما لا يريدون إحضاره لغرض آخر يتعلّق بهم، فلا ينافيه قوله: «هل عندكم من غداء؟».

(و لا يتشهّاه) إذ التّشهّى آية الحبّ، و هو منزّه عنه!

(إن أطعموه أكل، و ما أطعموه) قدّموه له ليأكله ([قبله]) منهم، فيأكل منه.

(و ما سقوه) من الأشربة لبن أو غيره (شرب)، و هذا كان غالب أحواله صلّى اللّه عليه و سلم.

(و) فى «كشف الغمّة» و «الإحياء»: (كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم ربّما قام فأخذ ما يأكل بنفسه! أو يشرب). أخرج التّرمذى و صحّحه، و ابن ماجه؛ عن كبشة:

دخل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فشرب من فى قربة معلّقة قائما ... الحديث.

و قد تقدّم حديث أبى داود و التّرمذى و «الشّمائل»؛ عن أمّ المنذر بنت قيس:

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۹۴

و عن سلمان ...

دخل علىّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و معه علىّ، و علىّ ناقه، و لنا دوال معلّقة، فقام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، فأكل منها ... الحديث، و إسناده حسن كما قال العراقى.

(و) أخرج التّرمذى فى «الجامع» و «الشمائل»؛ (عن) أبى عبد اللّه (سلمان) الفارسىّ «مولى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم» سئل عن نسبه فقال: أنا سلمان ابن الإسلام؛ لأنّه كان لا ينتسب إلى أب.

أبى الإسلام لا أب لى سواهإذا انتسبوا لقيس أو تميم أصله من فارس، من جىّ- بفتح الجيم و تشديد الياء-: قرية من قرى أصبهان، و قيل: من «رام هرمز».

و سبب إسلامه مشهور، و أنّه هرب من أبيه؛ و كان مجوسيّا؛ فلحق براهب، ثمّ جماعة من الرّهبان .. واحد بعد واحد، يصحبهم إلى وفاتهم، إلى أن دلّه الأخير على الذّهاب إلى الحجاز، و أخبره بظهور النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، فقصده مع عرب، فغدروا به؛ و باعوه فى وادى القرى ليهودى.

ثم اشتراه منه يهودى من قريظة، فقدم به المدينة، فأقام بها مدّة حتى قدمها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم؛ فأتاه بصدقة، فلم يأكل منها، ثمّ بعد مدّة أتاه بهديّة فأكل منها، ثمّ رأى خاتم النّبوّة، و كان الرّاهب الأخير وصف له هذه العلامات الثّلاث للنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم.

قال سلمان: فرأيت الخاتم، فقبّلته و بكيت، فأجلسنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم بين يديه، فحدّثنى بشأنى كله، و فاتنى معه بدر و أحد بسبب الرّقّ، و أوّل مشاهده مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم الخندق، و لم يتخلّف عن مشهد بعدها، و آخى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم بينه و بين أبى الدّرداء.

و كان من فضلاء الصّحابة و زهّادهم و علمائهم و ذوى القرب من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و هو الّذى أشار على رسول اللّه

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

صلّى اللّه عليه و سلم بحفر الخندق يوم الأحزاب.

و سكن العراق، و كان يعمل الخوص بيده؛ فيأكل منه، و كان عطاؤه خمسة آلاف، فإذا خرج فرّقه.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۹۵

رضى اللّه تعالى عنه قال: قرأت فى «التّوراة»: إنّ بركة الطّعام الوضوء بعده، فذكرت ذلك للنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم و أخبرته بما قرأت فى التّوراة، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «بركة الطّعام الوضوء قبله و الوضوء بعده».

و نقلوا اتّفاق العلماء على أنّ سلمان الفارسى عاش مائتين و خمسين سنة.

و قيل: ثلاثمائة و خمسين سنة.

روى له عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ستّون حديثا؛ اتّفق البخارى و مسلم على ثلاثة، و لمسلم ثلاثة.

روى عنه ابن عبّاس، و أنس، و عقبة بن عامر، و أبو سعيد، و كعب بن عجرة، و أبو الطّفيل رضى اللّه تعالى عنهم. و روى عنه جماعات من التّابعين.

توفّى سلمان بالمدائن فى أوّل سنة:- ۳۶- ستّ و ثلاثين: و قيل غير ذلك.

(رضى اللّه تعالى عنه؛ قال: قرأت فى «التّوراة»): الكتاب المنزل على موسى صلّى اللّه عليه و سلم، و هو أعظم الكتب بعد القرآن: «إنّ بركة الطّعام الوضوء بعده» يصحّ قراءته بكسر همزة «إنّ» على أنّ المعنى أنّ هذه الجملة فى «التّوراة»، و يصح الفتح أيضا.

(فذكرت ذلك للنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم و أخبرته بما قرأت) أى: بقراءتى (فى «التّوراة») على أنّ «ما» مصدريّة، فلا يغنى عنه ذكرت ذلك للنّبى صلّى اللّه عليه و سلم.

(فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم): مقرا لسلمان على ما أخبر أنّه قرأه فى «التّوراة»؛ و إن كان لم ينزل عليه، لأنّه إخبار عن شىء يحصل به البركة، و الأخبار لا تنسخ.

فقال:

(«بركة الطّعام الوضوء)، يعنى: غسل اليدين (قبله) أى: قبل الطّعام عند إرادته، بحيث ينسب إليه عرفا، (و الوضوء)، يعنى: غسل اليدين (بعده»)،

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۹۶

و المراد بالوضوء هنا المعنى اللّغوىّ؛ و هو: غسل الكفّين.

أى: عقب الفراغ من الأكل، فيحصل بالوضوء الأوّل استمراؤه على الأكل و حصول نفعه، و زوال ضرره، و ترتّب الأخلاق الكريمة و العزائم الجميلة عليه، و يحصل بالوضوء الثّانى زوال الدّسم و نحوه، المستلزم لبعد الشّيطان و دحضه.

(و المراد بالوضوء هنا): فى هذا الحديث؛ (المعنى اللّغوىّ؛ و هو غسل الكفّين) كما علمت مما قرّرناه، و قول بعض الشّافعية «أراد الوضوء الشّرعىّ»!! يدفعه تصريحهم بأنّ الوضوء الشّرعىّ ليس سنّة عند الأكل. قال التّرمذىّ فى «جامعه»: لا يعرف هذا الحديث؛ أى: حديث سلمان إلّا من حديث قيس بن الربيع، و هو ضعيف. انتهى.

و تمسّك به بعضهم على ندب غسل اليد قبله و بعده؛ و إن لم يكن بها لوث البتّة، و يعضده خبر الطّبرانى فى «الأوسط»: «الوضوء قبل الطّعام و بعده ينفى الفقر، و هو من سنن المرسلين».

و كان حجّة الإسلام يميل إلى ذلك، حيث قال: الأكل بقصد الاستعانة على الدّين عبادة، فهو جدير بأن يقدم عليه ما يجرى منه مجرى الطّهارة من الصّلاة!!

لكن ذهب النّووىّ رحمه اللّه تعالى إلى حمله فى الغسل «بعده»؛ على ما إذا علق بها منه شىء، و إلّا فلا يسنّ، و كذا قبله إن تحقّق نظافتها، أى: و كان يأكل وحده، و إلّا: فيظهر سنّ غسلها مطلقا، كما بحثه ابن حجر؛ تطييبا لخاطر جليسه.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و يسنّ تقديم الصّبيان على المشايخ فى الغسل قبل الطّعام؛ لأنّ أيدى الصّبيان أقرب إلى الوسخ، و قد يفقد الماء لو قدم المشايخ «۱».

و أمّا بعد الطّعام! فبالعكس إكراما للشّيوخ، و هذا فى غير صاحب الطّعام،

---

(۱) قلت: و خير من هذا التعليل أن يقال: إن الصبيان أحق بالانتظار على المائدة من الشيوخ فيتهيئون قبلهم؛ فإذا غسل الشيوخ بدءوا دون انتظار أحد. «عبد الجليل».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۹۷

....

و أمّا هو فيقدم بالغسل قبل الطّعام و يتأخّر بعده؛ لأنّه يدعو النّاس إلى كرمه، فيحقّ أن يتقدّم.

و يسنّ تنشيف اليدين من الغسل بعد الطّعام، لا قبله؛ لأنّه ربّما كان بالمنديل وسخ يعلق باليد، و لأنّ بقاء أثر الماء يمنع شدّة التصاق الدّهنية باليدين، و اللّه أعلم. انتهى. «مناوى على «الشّمائل» رحمه اللّه تعالى».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۹۸

[الفصل الثّالث فى ما كان يقوله صلّى اللّه عليه و سلّم قبل الطّعام و بعده]

الفصل الثّالث فى ما كان يقوله صلّى اللّه عليه و سلّم قبل الطّعام و بعده كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إذا وضعت المائدة ...

(الفصل الثّالث من الباب الرّابع (فيما كان يقوله صلّى اللّه عليه و سلم) أى: فى بيان الأخبار الواردة فى الذّكر الّذى كان يقوله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم.

(قبل الطّعام)،

و هو التّسمية،

(و بعده)

أى: بعد الفراغ من الطّعام؛ و هو الحمدلة.

قال الباجورى: و ينبغى أنّ مثل الطّعام الشّراب، بل هو منه، كما يؤخذ من قوله تعالى- فيما حكاه القرآن- وَ مَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّى [۲۴۹/ البقرة]. انتهى.

قال حجّة الإسلام فى «الإحياء»: (كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم إذا وضعت المائدة)- هى خوان عليه طعام، و إلّا فهو خوان؛ لا مائدة. كذا فى «الصّحاح».

و فى «فتح البارى»: و قد تطلق المائدة و يراد بها ما عليه الطّعام؛ و إن لم يكن خوان، و قد تطلق على الطّعام نفسه. و نقل عن البخارى أنّه قال:

إذا أكل الطّعام على شىء ثم رفع قيل: رفعت مائدته. و سمّيت «مائدة»!! قيل: لأنّها تميد بما عليها، أى: تتحرّك من قوله تعالى وَ جَعَلْنا فِى الْأَرْضِ رَواسِىَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ [۳۱/ الأنبياء]. و قيل: من ماد أعطى، فكأنّها تميد، أى: تعطى من حواليها ممّا أحضر عليها، و أجاز بعضهم أن يقال فيها: ميدة، كقول الرّاجز:

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۱۹۹

قال: «باسم اللّه، اللّهمّ؛ اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنّة».

و ميدة كثيرة الألوان تصنع للجيران و الإخوان (قال: «باسم اللّه)، قال النّووى فى «الأذكار»: أجمع العلماء على استحباب التّسمية على الطّعام فى أوّله، فإن ترك فى أوّله عامدا أو ناسيا أو مكرها أو عاجزا لعارض آخر، ثم تمكّن فى أثناء أكله! استحبّ أن يسمّى و

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

يقول: «باسم اللّه أوّله و آخره».

و التّسميۀ فی شرب الماء و اللّبن و العسل و المرق و سائر المشروبات كالتّسميۀ فی الطّعام فی جميع ما ذكرناه، و يستحبّ أن يجهر بالتّسميۀ ليكون فيه تنبيه لغيره على التّسميۀ، و ليقتدى به فی ذلك، و الأفضل أن يقول: «بسم اللّه الرحمن الرحيم»، فإن قال: «باسم اللّه»! كفاه، و حصلت السّنّۀ، و سواء فی ذلك الجنب و الحائض و غيرهما.

و ينبغی أن يسمّی كلّ واحد من الآكلين، فلو سمّی واحد منهم؟ أجزأ عن الباقين. انتهى. قال ابن علّان فی «شرحه»: قوله: أجزأ عن الباقين، و كذا يجزئ عمّن لحقهم؛ أو لحق من لحقهم تبعا لهم، فإن جاء واحد أو جمع بعد فراغ الجميع؟ فلا تكفی التّسميۀ السّابقۀ بالنّسبۀ إليه؛ أو إليهم.

و وقع التّردّد فيما لو كثر الآكلون كثرۀ مفرطۀ، و اتّسعت خطّتهم بحيث لا ينسب عرفا أوّلهم لآخرهم؛ و سمّی واحد حال اجتماع الجميع، هل يكفی عنهم حينئذ؟

و الّذی يتّجه أنّه لا يكفی، لأنّ انتفاء النّسبۀ العرفيۀ يقتضی انتفاءها حقيقۀ، و المدار هنا ليس إلّا عليها. انتهى.

(اللّهمّ)؛ أی: يا اللّه، (اجعلها نعمۀ مشكورۀ) أی: نشكرك عليها، و نتقوّى بها على طاعتك، و ما يقرب إليك، (تصل بها نعمۀ الجنّۀ»).

قال العراقی: أمّا التّسميۀ فرواها النّسائی من روايۀ من خدم النّبیّ صلّى اللّه عليه و سلم ثمان

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۰۰

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا قرّب إليه طعام .. يقول:

«باسم اللّه»، فإذا فرغ .. قال: «اللّهمّ؛ أطعمت و سقيت، و أغنيت و أقنيت، و هديت و اجتبيت، فلك الحمد على ما أعطيت».

سنين أنّه سمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم إذا قرّب إليه طعاما قال: «باسم اللّه» ... الحديث، و إسناده صالح، و أمّا بقيّۀ الحديث، لم أجده. نقله عنه فی «شرح الإحياء».

(و) أخرج النّسائی، و ابن السنّی- بإسناد صحيح؛ كما فی «فتح الباری»- عن عبد الرحمن بن جبير التّابعی، أنّه حدّثه رجل خدم النّبیّ صلّى اللّه عليه و سلم ثمانی سنين أنّه (كان) يسمع النّبیّ (صلى اللّه عليه و سلم إذا قرّب إليه طعاما) ليأكل (يقول: «باسم اللّه») فقط فی ابتدائه. و فی روايۀ أبی الحسن بن الضحاك، من طريق ميسرۀ، عن أنس:

رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و هو يأكل طعامه يسمّی عند ثلاث لقم، عند كل لقمۀ مرّۀ، فلعله فعل ذلك- إن صحّ- مرّۀ!.

(فإذا فرغ) من الأكل؛ (قال: «اللّهمّ؛ أطعمت و سقيت و أغنيت) من شئت بالكفايۀ فی الأموال، (و أقنيت)؛ أی: أعطيت المال المتّخذ قنيۀ، و هی ما يماثل من الأموال، و فی هذا الذّكر اقتباس من قوله تعالى وَ أَنَّهُ هُوَ أَغْنى وَ أَقْنى (۴۸) [النجم].

(و هديت)؛ أی: أوصلت من شئت من العباد إلى طرق الرّشاد (و اجتبيت).

كذا فی نسخ من «المواهب»؛ من الاجتباء، و فيه تلميح لقوله تعالى وَ اجْتَبَيْناهُمْ وَ هَدَيْناهُمْ [۸۷/ الأنعام] و فی نسخ: و أحييت؛ من الإحياء، و الأولى أنسب.

(فلك الحمد على ما أعطيت»)؛ أی: جميع الّذی أعطيته، أو على جميع عطائك ممّا ذكر؛ و ممّا لم يذكر، ف «ما» موصولۀ أو مصدريّۀ.

و فی روايۀ لأحمد: «فلك الحمد غير كفور» أی: مجحود فضله و نعمته.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۰۱

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا رفعت مائدته .. قال: «الحمد للّه حمدا كثيرا طيّبا مباركا فيه، الحمد للّه الّذی كفانا و آوانا، غير مكفیّ

و نبّه بهذا الحديث و نحوه على أنّ الحمد كما يشرع عند ابتداء الأمور يشرع عند اختتامها، و يشهد له قوله تعالى وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (۱۰) [يونس]، و قوله وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ قِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (۷۵) [الزمر].

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و كـان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم إذا رفعت مائدته؛ قـال) يحتمل أن يكون قال ذلك جهرا، و هو ظاهر سياق حديث أبى أمامة الآتى، و يحتمل أنّه أسرّ به، و لما رآه أبو أمامة يحرّك شفتيه سأله فعلّمه؛ ثمّ السّنّة للآكل أن لا يجهر بالحمد إذا فرغ من الطّعام قبل جلسائه؛ كيلا يكون منعا لهم.

(«الحمد للّه) لذاته و صفاته و أفعاله الّتى من جملتها الإنعام بالإطعام؛ (حمدا)- مفعول مطلق للحمد- (كثيرا)- صفة المفعول المطلق- و الكثرة، المراد منها: عدم النّهاية، إذ لا نهاية لحمده تعالى كما لا نهاية لنعمه-.

(طيّبا) خالصا من الرّياء و السّمعة و الأوصاف الّتى لا تليق بجنابه، تقدّس؛ لأنّه طيّب لا يقبل إلّا طيّبا، أو خالصا عن أن يرى الحامد أنّه قضى حقّ نعمته.

(مباركا) بفتح الرّاء (فيه)؛ أى فى الحمد، و هو مفعول أقيم مقام فاعل «مبارك» أى: ما وقع فيه البركة و اليمن و الزّيادة و الثّبات.

و المعنى: حمدا ذا بركة دائما لا ينقطع؛ لأنّ نعمه تعالى لا تنقطع، فينبغى أن يكون حمدنا غير منقطع أيضا، و لو نيّة و قصدا.

(الحمد للّه الّذى كفانا و آوانا غير)- بالنّصب- حال من الاسم الكريم، و الرّفع خبر مبتدأ محذوف، أى: هو غير (مكفىّ)- بفتح الميم و سكون الكاف و شدّ التّحتيّة- أى: غير مردود و لا مقلوب.

و الضّمير راجع للطّعام الدّال عليه السّياق، أو هو من الكفاية، فيكون من المعتلّ، يعنى: أنّه تعالى هو المطعم لعباده، و الكافى لهم، أى: أنّه تعالى غير

و لا مكفور و لا مودّع و لا مستغنى عنه ...

مكفىّ رزق عباده. أى: غير محتاج إلى أحد فى كفايتهم، إذ لا يكفيهم أحد غيره سبحانه و تعالى، فالضّمير راجع إلى اللّه تعالى.

و دليل هذا حديث أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه قال:

دعا رجل من الأنصار من أهل قباء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم؛ فانطلقنا معه، فلمّا طعم النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم و غسل يده قال:

«الحمد للّه الّذى يطعم و لا يطعم، منّ علينا فهدانا و كلّ بلاء حسن أبلانا، الحمد للّه؛ غير مكفور و لا مودّع و لا مكافا و لا مستغنى عنه، الحمد للّه الّذى أطعم من الطّعام، و سقى من الشّراب، و كسا من العرى، و هدى من الضّلالة، و بصّر من العماية، و فضّل على كثير ممّن خلق تفضيلا، الحمد للّه ربّ العالمين».

رواه النسائى و اللفظ له، و الحاكم، و ابن حبّان فى «صحيحيهما»، و قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، و قيل: إنّ الضّمير راجع إلى الحمد، أى: إنّ الحمد غير مكفىّ.

(و لا مكفور) أى: غير مجحود نعم اللّه سبحانه و تعالى فيه، بل مشكورة؛ غير مستور الاعتراف بها، و الحمد عليها.

(و لا مودّع)- بضمّ الميم و فتح الواو و الدّال المهملة المشدّدة- أى: غير متروك. و بكسر الدّال، أى: حال كونى غير تارك له، فمؤدّى الروايتين واحد؛ و هو دوام الحمد، و استمراره للكريم سبحانه.

(و لا مستغنى عنه)- بفتح النّون و التّنوين-؛ أى حمدا لا يكتفى به، بل يعود إليه كرّة بعد كرة، و لا يتركه، و لا يستغنى عنه أحد، بل حمدا يحتاج إليه كلّ منهم لبقاء نعمه و استمرارها.

و لم يصب من جعله عطف تفسير؛ محتجّا بأنّ المتروك هو المستغنى عنه، لظهور أنّ فيه فائدة «لم يفدها ما قبله» هى أنّه لا استغناء لأحد عن الحمد، إذ لا فيض إلّا منه سبحانه، فيجب على كلّ مكلّف؛ إذ لا يخلو أحد عن نعمة، بل

ربّنا». و كان إذا فرغ من طعامه .. قال: «اللّهمّ؛ لك الحمد، ..

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

نعم لا- تحصى، و هو فى مقابلة النّعم واجب، فالآتى به فى مقابلتها يثاب عليه ثواب الواجب، و من أتى به؛ لا فى مقابلة شىء! أثيب ثواب المستحب، أمّا شكر المنعم بمعنى امتثال أوامره و اجتناب نواهيه؛ فواجب على كل مكلّف شرعا، و يأثم بتركه إجماعا.

(ربّنا) بالرّفع على أنّه خبر مبتدأ محذوف، أى: هو ربّنا.

و بالنّصب على المدح أو الاختصاص، أو إضمار: أعنى.

أخرج البخارى من حديث أبى أمامة: كان إذا فرغ من طعامه قال: «الحمد للّه الّذى كفانا، و أوانا، و أروانا، غير مكفىّ و لا مكفور». و قال مرّة «لك الحمد ربّنا غير مكفىّ و لا مودّع و لا مستغنى عنه ربّنا».

و روى الجماعة إلّا مسلما من حديث أبى أمامة: كان إذا رفع مائدته؛ قال:

«الحمد للّه كثيرا طيّبا مباركا فيه غير مكفىّ، و لا مودّع، و لا مستغنى عنه ربّنا».

و فى رواية الترمذىّ و ابن ماجه، و إحدى روايات النّسائى «الحمد للّه حمدا»، و فى لفظ للنّسائى «اللّهمّ لك الحمد حمدا». ذكره فى «شرح الإحياء».

و رواه الترمذى فى «الشمائل» عن أبى أمامة بلفظ: «كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم إذا رفعت المائدة من بين يديه يقول: الحمد للّه حمدا كثيرا طيّبا مباركا فيه، غير مودّع و لا مستغنى عنه ربّنا».

(و) أخرج الإمام أحمد بسند رجاله ثقات إلّا عبد اللّه بن عامر الأسلمىّ ففيه ضعف من قبل حفظه؛ كما قال الحافظ ابن حجر عن رجل من بنى سليم له صحبة، و لفظه:

(كان) رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم (إذا فرغ من) أكل (طعامه قال: «اللّهمّ؛ لك الحمد)، لأنّ الطّعام نعمة، و الحمد عقيب النّعم يقيّدها و يؤذن باستمرارها

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٢٠۴

أطعمت و سقيت، و أشبعت و أرويت، فلك الحمد غير مكفور و لا مودّع و لا مستغنى عنك».

و عن أبى سعيد الخدرىّ رضى اللّه تعالى عنه قال: ...

و زيادتها، كما قيل: الحمد قيد للموجود صيد للمفقود. فلذلك أتى صلّى اللّه عليه و سلم بتلك الصّفات البليغة، تحريضا لأمّته على التّأسّى به فى ذلك؛ فقال:

(«أطعمت و سقيت، و أشبعت و أرويت)- كلها بفتح التاء خطاب للّه عز و جل- (فلك الحمد)- أى: على ما أعطيت- (غير مكفور)- أى: غير مجحود فضله و نعمته (و لا مودّع)- بتشديد الدال- (و لا مستغنى عنك»).

قال العراقى: رواه الطّبرانى من حديث الحارث بن الحارث بسند ضعيف.

قلت: و هو صحابى أزدى. انتهى «شرح الإحياء».

(و) أخرج الإمام أحمد و الأربعة و الترمذى، فى «الشمائل» و صححه الضياء فى «المختارة»؛ (عن أبى سعيد) سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر- بالباء الموحدة و بالجيم- و هو؛ خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصارى الخزرجى (الخدرىّ)- بضمّ الخاء المعجمة و إسكان الدّال المهملة- نسبة إلى خدرة؛ جدّه الّذى هو الأبجر- مرّ فى نسبه-.

استصغر يوم أحد؛ فردّ، و غزا بعد ذلك مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ثنتى عشرة غزوة، و كان أبوه مالك صحابيّا، استشهد يوم أحد، و هو من المكثرين فى الرّواية.

روى له عن النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم ألف حديث و مائة و سبعون حديثا؛ اتّفق البخارىّ و مسلم على ستّة و أربعين منها، و انفرد البخارىّ بستّة عشر، و مسلم باثنين و خمسين.

قالوا: و لم يكن من أحداث الصّحابة أفقه من أبى سعيد الخدرى.- و فى رواية: أعلم-! و مناقبه كثيرة.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و توفى بالمدينة المنوّرة يوم الجمعة سنة:- ۶۴- أربع و ستين، و قيل: سنة أربع و سبعين. و دفن بالبقيع (رضى اللّه تعالى عنه؛ قال:

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۰۵

كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إذا فرغ من طعامه .. قال:

«الحمد للّه الّذى أطعمنا و سقانا و جعلنا مسلمين».

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إذا أكل أو شرب .. قال:

«الحمد للّه الّذى أطعم و سقى، و سوّغه و جعل له مخرجا».

كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم إذا فرغ من) أكل (طعامه)- سواء كان فى بيته مع أهله؛ أو مع أضيافه؛ أو فى منزل الضّيف. و لفظ التّرمذى فى «جامعه»: كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم إذا أكل أو شرب- (قال:

«الحمد للّه)- فائدة إيراد الحمد بعد الطّعام أداء شكر المنعم و طلب المزيد، قال تعالى لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ [۷/ إبراهيم].

و لمّا كان الباعث على الحمد هو الطّعام ذكره أوّلا لزيادة الاهتمام؛ فقال (الّذى أطعمنا)، و لمّا كان السّقى من تتمّته أردفه به؛ فقال: (و سقانا)، فإنّه يقارنه فى الأغلب، إذ الأكل لا يخلو غالبا عن الشّرب فى أثنائه.

و ختم ذلك بقوله: (و جعلنا مسلمين»)؛ أى: منقادين لجميع أمور الدّين؛ للجمع بين الحمد على النّعم الدّنيويّة، و النّعم الأخرويّة. و إشارة إلى أنّ الأولى بالحامد أن لا يجرّد حمده إلى دقائق النّعم، بل ينظر إلى جلائلها، فيحمد عليها، لأنّها بذلك أحقّ، و لأنّ الإتيان بالحمد من نتائج الإسلام.

(و) أخرج أبو داود، و النّسائى، و ابن حبّان، و غيرهم، بإسناد صحيح؛ عن أبى أيّوب الأنصارى؛ رضى اللّه تعالى عنه قال:

(كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إذا أكل أو شرب قال) عقبه (: «الحمد للّه الّذى أطعم و سقى، و سوّغه)- بتشديد الواو-: سهل كلّا من دخول اللّقمة و نزول الشّربة فى الحلق، و منه وَ لا يَكادُ يُسِيغُهُ [۱۷/ إبراهيم]. أى: يبتلعه، فالإفراد باعتبار المذكور. (و جعل له) أى: لما ذكر، (مخرجا)؛ أى: السّبيلين.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۰۶

و عن أبى أيّوب الأنصارىّ ...

قال الطيبى: ذكر نعما أربعا: الإطعام، و السّقى؛ و التّسويغ، و مكان الخروج؛ فإنّه خلق الأسنان للمضغ، و الرّيق للبلع؛ و جعل المعدة مقسما للطّعام، و لها مخارج، فالصّالح منه ينبعث إلى الكبد، و غيره يندفع فى الأمعاء، كلّ ذلك فضل و نعمة يجب القيام بواجبها؛ من الشّكر بالجنان، و البثّ باللّسان، و العمل بالأركان.

(و) أخرج التّرمذى فى «الشّمائل» (عن أبى أيّوب)؛ خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار (الأنصارىّ)، الخزرجى النّجارى، المدنى الصّحابى الجليل:

شهد العقبة و بدرا و أحدا و الخندق و بيعة الرّضوان و جميع المشاهد مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و نزل عليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم حين قدم المدينة مهاجرا، و أقام عنده شهرا حتى بنيت مساكنه و مسجده.

روى له عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم مائة و خمسون حديثا؛ اتّفق البخارى و مسلم على سبعة منها، و انفرد البخارى بحديث، و مسلم بخمسة.

و روى عنه خلق كثير من الصّحابة و التابعين؛ منهم البراء بن عازب، و جابر بن سمرة، و أبو أمامة الباهلى، و ابن عباس، و سعيد بن المسيب، و سالم بن عبد اللّه بن عمر. و عروة بن الزّبير. و خرّج له السّتّة، و كان مع على فى حروبه كلّها.

و مات بأرض الروم غازيا سنة: إحدى و خمسين مع يزيد بن معاوية. لما أعطاه أبوه القسطنطينية؛ خرج معه فمرض، فلما ثقل عليه المرض؛ قال لأصحابه: إذا أنا متّ فاحملونى، فإذا صافقتم العدوّ فادفنونى تحت أقدامكم، ففعلوا و دفنوه قريبا من سورها.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و قبره بالقسطنطيّة معروف إلى اليوم، و النّاس يعظّمونه و يستشفون به؛

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۰۷

رضى اللّه تعالى عنه قال: كنّا عند النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم يوما فقرّب طعام، فلم أر طعاما أعظم بركة منه أوّل ما أكلنا، و لا أقلّ بركة فى آخره. فقلنا: يا رسول اللّه؛ كيف هذا؟ قال: «إنّا ذكرنا اسم اللّه تعالى حين أكلنا، ثمّ قعد من أكل؛ و لم يسمّ اللّه تعالى، فأكل معه الشّيطان».

فيشفون، و هذا مصداق حديث: «من تواضع للّه رفعه اللّه». فلمّا قصد التواضع بدفنه تحت الأقدام رفعه اللّه بتعظيمهم له. (رضى اللّه تعالى عنه؛

قال: كنّا عند النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم يوما فقرّب)؛ أى: إليه (طعام، فلم أر طعاما) كان (أعظم بركة منه أوّل ما أكلنا)؛ أى: أوّل أكلنا ف «ما» مصدريّة، و هو منصوب على الظّرفيّة مع تقدير مضاف؛ أى: فى أوّل وقت أكلنا.

و يدلّ عليه قوله: (و لا أقلّ بركة)- منه- (فى آخره)؛ أى: فى آخر وقت أكلنا إيّاه، (فقلنا: يا رسول اللّه، كيف هذا؟!) أى: بيّن لنا الحكمة و السّبب فى حصول عظمة البركة و كثرتها فى أوّل أكلنا هذا الطعام، و فى قلّتها فى آخره؟.

(قال: «إنّا ذكرنا اسم اللّه تعالى حين أكلنا)، فبسبب ذلك كثرت البركة فى أوّل أكلنا، و فيه إشارة إلى حصول سنّيّة التّسمية ب «بسم اللّه»

و أمّا زيادة «الرّحمن الرّحيم»!! فهى أكمل؛ كما قاله الغزالى و النّووى و غيرهما، و إن اعتراضه الحافظ ابن حجر بأنّه لم ير لأفضليّة ذلك دليلا خاصّا

فتندب التّسمية على الطّعام حتى للجنب و الحائض و النّفساء، و لكن لا يقصدون بها قرآنا، و إلّا حرمت.

و لا تندب فى مكروه؛ و لا حرام لذاتهما، بخلاف المحرّم و المكروه لعارض.

(ثمّ قعد من أكل؛ و لم يسمّ اللّه تعالى، فأكل معه الشّيطان»). أى: فبسبب ذلك قلّت البركة فى آخره.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۰۸

....

و أكل الشّيطان محمول على حقيقته عند جمهور العلماء سلفا و خلفا، لإمكانه شرعا و عقلا، و الشارع إذا أثبت شيئا لا يخرج عن دائرة الإمكان وجب اعتقاد حقيقته، و هذا من هذا القبيل.

قال الإمام النّووىّ: الصواب الّذى عليه جماهير العلماء من السّلف و الخلف؛ من المحدثين و الفقهاء و المتكلمين: أنّ هذا الحديث و شبهه من الأحاديث الواردة فى أكل الشّيطان محمولة على ظواهرها، و أنّ الشّيطان يأكل حقيقة، إذ العقل لا يحيله و الشّرع لا ينكره؛ فوجب قبوله و اعتقاده. انتهى.

و قال النّووىّ أيضا فى «شرح مسلم» و غيره: و ينبغى أن يسمّى كلّ واحد من الآكلين، فإن سمّى واحد منهم! حصل أصل السّنّة؛ نصّ عليه الشّافعى.

و يستدلّ له بأنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم أخبر بأنّ الشّيطان إنّما يتمكّن من الطّعام إذا لم يذكر اسم اللّه تعالى عليه! و هذا قد ذكر اسم اللّه عليه.

و لأنّ المقصود يحصل بواحد؛ فهو شبيه بردّ السّلام، و تشميت العاطس، فإنّه يجزئ فيه قول أحد الجماعة. انتهى.

و لا يشكل هذا الحديث على ما قاله الإمام الشافعى!! لأنّا نقول: الحديث محمول على أنّ هذا الرّجل حضر بعد التّسمية؛ فلم تكن تلك التسمية مؤثّرة فى عدم تمكّن الشّيطان من الأكل معه .. و أمّا حمله على أنّ هذا الرّجل حضر بعد فراغهم من الطّعام!. ففيه بعد؛ لأنّه خلاف ظاهر الحديث، و كلمة «ثمّ» لا تدلّ إلّا على تراخى قعود الرّجل عن أوّل اشتغالهم بالأكل؛ لا عن فراغهم منه، كما ادّعاه

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

من حمله على هذا.

و كلام الشّافعى مخصوص بما إذا اشتغل جماعة بالأكل معا؛ و سمّى واحد منهم، فتسمية هذا الواحد تجزئ عن الحاضرين معه وقت التّسمية، لا عن شخص لم يكن حاضرا معهم وقت التّسمية، إذ المقصود من التّسمية عدم تمكّن الشّيطان من أكل الطّعام مع الإنسان، فإذا لم يحضر إنسان وقت التّسمية عند الجماعة؛ لم تؤثّر

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۰۹

و عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت: كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم يأكل الطّعام فى ستّة من أصحابه، فجاء أعرابىّ فأكله بلقمتين، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «لو سمّى .. لكفاكم».

تلك التّسمية فى عدم تمكّن شيطان ذلك الإنسان من الأكل معه فتأمّل. انتهى.

«شرح الأذكار».

(و) أخرج التّرمذى فى «الجامع» و «الشّمائل»- و اللّفظ له-، و النّسائىّ، و ابن ماجه، و ابن حبّان فى «صحيحه» و غيرهم- و قال التّرمذى: حديث حسن صحيح-

(عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها؛ قالت: كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم يأكل الطّعام فى ستّة)؛ أى: مع ستّة (من أصحابه، فجاء أعرابىّ)- بفتح الهمزة- نسبة إلى الأعراب، و هم سكّان البادية. و فى «المصباح»: الأعرابى الذى يكون صاحب نجعة و ارتياد للكلإ. زاد الأزهرى: سواء كان من العرب أو من مواليهم، فمن نزل البادية أو جاور البادين، و ظعن بظعنهم فهو أعرابى.

و إخبارها بذلك! إمّا ۱- عن رؤيتها قبل الحجاب أو بعده، و اقتصرت فى الرّواية على رؤية الإناء، و لا يلزم منه رؤية الأعرابى!

أو ۲- عن إخباره صلّى اللّه عليه و سلم أو من غيره، فإن كان الأخير! فالحديث مرسل صحابى، و هو حجّة، خلافا للأسفراينى.

(فأكله)؛ أى: جاء و لم يذكر التّسمية، و شرع فى الأكل فأكل الطّعام المذكور، (بلقمتين)؛ أى: فى لقمتين. و هذا يدلّ على أنّ الطّعام كان قليلا فى حدّ ذاته، و كفاية ستّة نفر بذلك الطّعام مع قلّته من جملة معجزاته صلّى اللّه عليه و سلم.

(فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «لو سمّى)- و فى لفظ «أما إنّه لو سمّى» و فى لفظ «لو سمى اللّه»- (لكفاكم») و إياه، ببركة التّسمية، و المعنى: أنّ هذا الطّعام؛ و إن كان قليلا، لكن لو سمّى الأعرابى لبارك اللّه فى الطّعام و كفاكم، لكن لمّا ترك

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۱۰

و عنها رضى اللّه تعالى عنها قالت: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «إذا أكل أحدكم فنسى أن يذكر اللّه تعالى على طعامه .. فليقل: باسم اللّه أوّله و آخره».

ذلك الأعرابىّ التّسمية انتفت البركة؛ لأنّ الشّيطان ينتهز الفرصة وقت الغافلة عن ذكر اللّه تعالى، و هذا تصريح بعظيم بركة التّسمية و فائدتها.

و فى هذا كمال المبالغة فى زجر تارك التّسمية على الطّعام؛ لأنّ تركها يمحقه.

و فى الحديث: ما كان عليه النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم من التّواضع بالجلوس مع أصحابه و الأكل معهم؛ بحيث يقدم الغريب فيأكل معه؛ (و) أخرج الإمام أحمد و أبو داود و التّرمذى فى «الجامع» و «الشّمائل»؛ و اللّفظ له، و ابن ماجه، و الحاكم، و رجاله ثقات، و هو من تتمة الحديث السابق. (عنها)؛ أى: عن عائشة (رضى اللّه تعالى عنها؛ قالت: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم:

«إذا أكل أحدكم فنسى)- بفتح النّون و كسر السّين المخفّفة، أى: ترك نسيانا- (أن يذكر اللّه تعالى)؛ أى: التّسمية، (على طعامه)- حين الشّروع فى الأكل، ثمّ تذكّر فى أثنائه أنّه ترك التّسمية- (فليقل:) ندبا (باسم اللّه)؛ أى:

آكل (أوّله)- بفتح اللّام- (و آخره»)- بفتح الرّاء، أى: عند أوّله و عند آخره، و يجوز الجرّ، أى: فى أوّله و فى آخره.

و لا يقال: ذكر الأوّل و الآخر يخرج الوسط!! لأنّا نقول: المراد بذلك التّعميم، فالمعنى: باسم اللّه على جميع أجزائه، فهو كقوله تعالى

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَ عَشِيًّا (٦٢) [مريم] فإنّ المراد به التّعميم، بدليل قوله تعالى أُكُلُها دائِمٌ [٣٥/ الرعد].

على أنّه يمكن أن يقال: المراد بأوله: النّصف الأوّل، و بآخره: النّصف الثّانى؛ فلا واسطة.

و ألحق أصحابنا الشّافعية بالنّسيان ما إذا تعمّد أو جهل، و مثل الأكل فيما ذكر

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٢١١

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إذا أكل عند قوم .. لم يخرج حتّى يدعو لهم، فكان يقول: «اللّهمّ؛ بارك لهم و ارحمهم»،

فى ندب الذّكر المذكور كلّ ما يشتمل على أفعال متعدّدة؛ من نحو اكتحال، و تأليف، و شرب، ما لم يكره الكلام أثناءه كجماع. انتهى «شرح الأذكار».

و اعلم أنّ هذا الحديث، و الّذى قبله، كلاهما حديث واحد، ذكره ابن علّان فى «شرح الأذكار» عن ابن حجر، و لفظه:

عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم كان يأكل طعاما فى ستّة نفر من أصحابه، فجاء أعرابىّ فأكله بلقمتين، فقال النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم: «أما إنّه لو ذكر اللّه تعالى لكفاكم، فإذا أكل أحدكم فليذكر اسم اللّه تعالى، فإن نسى أن يذكر اسم اللّه تعالى؛ فليقل باسم اللّه أوّله و آخره» حديث حسن، أخرجه أحمد و ابن ماجه و رجاله ثقات. انتهى.

ثمّ ذكر أنّ ابن حجر ذكره من طريق أخرى عن عائشة؛ و قال: أخرجه أحمد و أبو داود و التّرمذى و النّسائى و الحاكم، و قال التّرمذى: حديث حسن صحيح، ثمّ ذكر أنّ بعض المحدّثين ذكر الحديث مقتصرا على القطعة الأولى، و بعضهم مقتصرا على القطعة الأخيرة؛ كما فعل المصنف النّبهانى.

ثمّ قال: قال الحافظ: لحديث عائشة شاهد من حديث ابن مسعود أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قال: «من نسى أن يذكر اللّه تعالى فى أوّل طعامه؛ فليقل حين يذكر «باسم اللّه أوّله و آخره»؛ فإنّه يستقبل طعاما جديدا، و يمنع من كان يصيب منه». منتهى السؤل، اللحجى ج٢ ٢١١ الفصل الثالث فى ما كان يقوله صلى الله عليه و سلم قبل الطعام و بعده ..... ص : ١٩٨

رجه الحافظ ابن حجر من طريق الطّبرانى فى «الأوسط» قال: و أخرجه ابن حبّان، قال الحافظ: و رجاله ثقات. انتهى.

(و) فى «المواهب» و «الباجورى»: (كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم إذا أكل عند قوم لم يخرج) من دارهم (حتّى يدعو لهم، فكان يقول)- حين دعا فى منزل عبد اللّه بن بسر المازنى- (: «اللّهمّ بارك لهم) فيما رزقتهم، و اغفر لهم (و ارحمهم»).

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٢١٢

و كان يقول: «أفطر عندكم الصّائمون، و أكل طعامكم الأبرار، و صلّت عليكم الملائكة».

رواه مسلم، قال: نزل النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم على أبى، فقرّبنا له طعاما ... الحديث.

و فيه: فقال أبى: ادع لنا ... فذكره.

و للنّسائى: قال أبى لأخى: لو صنعت لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم طعاما. الحديث.

و فى أبى داود و ابن ماجه؛ عنه: دخل علينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فقدّمنا له زبدا و تمرا، و كان يحب زبدا و تمرا.

(و كان يقول)- حين دعا فى منزل سعد لمّا أفطر عنده فى رمضان- (: «أفطر عندكم الصّائمون، و أكل طعامكم)؛ أى: و شرب شرابكم (الأبرار)؛ صائمين و مفطرين، فمفاد هذه الجملة أعمّ مما قبلها. (و صلّت عليكم الملائكة»)؛ أى:

استغفرت لكم الملائكة الموكّلون بخصوص ذلك إن ثبت، و إلّا! فالحفظة، أو المعقّبات، أو رافعو الأعمال، أو الكلّ، أو بعض غير ذلك.

و فيه ندب الدّعاء بذلك بناء على أنّ الجملة دعائيّة، و هو أقرب من جعلها خبريّة، و ذلك مكافأة له على ضيافته إيّاه. رواه أبو داود؛ عن أنس رضى اللّه تعالى عنه أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم جاء إلى سعد بن عبادة رضى اللّه تعالى عنه، فجاء بخبز و زيت فأكل، ثم قال النبى صلّى اللّه عليه و سلم: «أفطر عندكم الصّائمون و أكل طعامكم الأبرار و صلّت عليكم الملائكة».

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و رواه ابن ماجه و ابن حبّان؛ عن عبد اللّه بن الزّبير رضی اللّه تعالی عنهما قال:

أفطر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم عند سعد بن معاذ فقال: «أفطر عندكم الصّائمون» ...

الحديث.

قال النّووی: قلت: هما قضيّتان جرتا لسعد بن عبادة؛ و سعد بن معاذ. و هو متّجه؛ لاختلاف المخرّجين!! و قد كثرت الأحاديث بدعائه صلّی اللّه علیه و سلم بذلک فی عدّة مواضع، فمنها ما وقع فی قصّة أبی الهيثم، و فی آخرها: فأخذ النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم بعضادتی

و كان صلّی اللّه علیه و سلّم إذا أكل مع قوم .. كان آخرهم أكلا.

و روی عنه صلّی اللّه علیه و سلّم أنّه قال: «إذا وضعت المائدة ..

فلا يقوم «۱» الرّجل ...

الباب، و قال: «أكل طعامكم الأبرار، و صلّت عليكم الملائكة، و ذكركم اللّه فيمن عنده» و قد سبقت قصّة أبی الهيثم، مع بيان من خرّجها.

روی أبو داود فی «سننه» عن رجل، عن جابر رضی اللّه تعالی عنه قال:

صنع أبو الهيثم بن التّيهان للنّبی صلّی اللّه علیه و سلم طعاما، فدعا النّبی صلّی اللّه علیه و سلم و أصحابه، فلمّا فرغوا قال: «أثيبوا أخاكم». قالوا: يا رسول اللّه؛ و ما إثابته؟ قال: «إنّ الرّجل إذا دخل بيته فأكل طعامه و شرب شرابه؛ فدعوا له، فذلک إثابته».

و روی ابن السّنّی و غيره بإسناد فيه ضعف؛ عن عمرو بن الحمق رضی اللّه تعالی عنه أنّه سقی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم لبنا؛ فقال: «اللّهمّ أمتعه بشبابه». فمرّت عليه ثمانون سنة، لم ير شعرة بيضاء.

(و) روی البيهقی فی «شعب الإيمان»؛ عن جعفر الصّادق، عن أبيه محمد الباقر مرسلا: (كان) رسول اللّه (صلی اللّه علیه و سلم إذا أكل مع قوم)- فی منزله أو غيره- (كان آخرهم أكلا) لئلّا يخجلهم فيقوموا قبل استيفاء حاجتهم.

(و روی عنه صلّی اللّه علیه و سلم)؛ فی حديث ابن عمرو مرفوعا، عند ابن ماجه و البيهقی، و ضعّفه بقوله: أنا أبرأ من عهدته؛ (أنّه) صلی اللّه علیه و سلم (قال: «إذا وضعت المائدة فلا [يقوم] الرّجل)، أی: أحد الآكلين؛ لا صاحب الطّعام فقط، أی: يندب أن لا يقوم و المصنّف اختصر الحديث تبعا للباجوری؛ التّابع لما فی «جمع الوسائل» للقاری ک «المواهب». و لفظه عند ابن ماجه و البيهقی: «إذا وضعت المائدة فليأكل الرّجل ممّا يليه، و لا يأكل ممّا بين يدی جليسه، و لا من ذروة القصعة،

(۱) فی «وسائل الوصول»: يقم.

و إن شبع حتّی يفرغ [القوم]؛ فإنّ ذلک يخجل جليسه، و عسی أن يكون له فی الطّعام حاجة».

و عن عمر بن أبی سلمة- ربيب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم-

فإنّما تأتيه البركة من أعلاها، و لا يقوم رجل حتّی ترفع المائدة، و لا يرفع يده»؛

(و إن شبع). فالقيام مكروه، أو خلاف الأولی قبل رفع المائدة، بل رفع اليد؛ و إن شبع كذلک، و لو لم يقم، كما هو صريح الحديث، خلاف ما يوهمه اختصار المصنّف له (حتّی يفرغ [القوم])- لفظه: حتّی يرفع القوم، و ليقعد (فإنّ ذلک) القيام (يخجل جليسه) فيقوم؛ لما جبلت عليه النّفوس من كراهة نسبتها إلی الشّره، و زيادة الأكل علی غيرها، (و عسی أن يكون له)؛ أی: الجليس (فی الطّعام حاجة»)، فيقوم قبل تمامها؛ خجلا، و ذلک قد يؤذيه.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و) أخرج الأئمّة السّتّة- كما قاله المناوى و الزّرقانى، زاد الزرقانى و مالك فى «الموطأ»: أى: بألفاظ مختلفة، بالزّيادة و النّقص. و كذا أخرجه التّرمذى فى «الشّمائل» و هذا لفظه-:

(عن) أبى جعفر: (عمر بن أبى سلمة)؛ عبد اللّه بن عبد الأسد القرشى، المخزومى (ربيب)- بالرّاء المفتوحة و الباء الموحّدة بعدها ياء مثنّاة، و آخرها باء موحدة، بوزن حبيب- أى: ابن أمّ سلمة، زوج (رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم) الصّحابى بن الصّحابيّين، رضى اللّه تعالى عنهم أجمعين.

ولد بالحبشة حين هاجر بها أبوه فى السّنة الثالثة من هجرة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم.

و تزوّج صلّى اللّه عليه و سلم أمّه بعد موت أبيه عنها، فنشأ فى حجر المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم، و كان يوم الخندق هو و ابن الزّبير فى أطم حسّان بن ثابت، و كان عمره يوم قبض النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم تسع سنين.

شهد وقعة الجمل مع علىّ رضى اللّه تعالى عنه، و استعمله على البحرين.

روى له- فيما قيل- عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم اثنا عشر حديثا؛ روى له البخارى منها

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۱۵

أنّه دخل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و عنده طعام؛ فقال:

«ادن يا بنىّ.، فسمّ اللّه تعالى، [و كل بيمينك]، ...

حديثين، و خرّج عنه الأربعة، و روى عنه عطاء و ثابت.

و مات سنة:- ۸۳- ثلاث و ثمانين، فى خلافة عبد الملك.

(أنّه) أى: عمر بن أبى سلمة (دخل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و عنده طعام)؛ أى:

و الحال أنّ عنده صلّى اللّه عليه و سلم طعاما. (فقال: «ادن) بضمّ همزة الوصل عند الابتداء بها و بضمّ النّون أيضا؛ أمر من الدّنو، أى: اقرب إلى الطّعام، يقال: دنا منه و إليه:

قرب (يا بنىّ)- بصيغة التّصغير- شفقة منه صلّى اللّه عليه و سلم.

و فيه أنّه ينبغى للكبير ملاطفة الصّغير، لا سيّما على الطّعام؛ لشدّة الاستحياء حينئذ (فسمّ اللّه تعالى)؛ طردا للشّيطان و منعا له من الأكل، و الخطاب و إن خصّ الغلام لكن الحكم عامّ، و الأمر فيه للنّدب، و هى سنّة كفاية، و لا خلاف فى أنّ التّسمية بدء كل أمر محبوب سنّة مؤكّدة.

و يسنّ للمبسمل الجهر ليسمع غيره فيقتدى به، و فيه حصول السّنّة بلفظ «باسم اللّه»، لكن الأكمل إكمالها؛ كما صرّح به فى «الأذكار»، فقال ما حاصله:

الأفضل إكمالها، و تحصل السّنّة ب (باسم اللّه).

قال الحافظ أبو الفضل ابن حجر رحمه اللّه تعالى: و لم أر لما ادّعاه من الأفضليّة دليلا خاصّا!!. قال حجّة الإسلام الغزالى: يقول مع اللّقمة الأولى باسم اللّه، و مع الثّانية باسم اللّه الرحمن، و مع الثّالثة بسم اللّه الرحمن الرحيم. فإن سمّى مع كلّ لقمة فهو أحسن حتى لا يشغله الشّره عن ذكر اللّه، و يزيد بعد التّسمية:

«اللّهمّ بارك لنا فيما رزقتنا، و قنا عذاب النّار».

قال الحافظ ابن حجر: و لا أصل لذلك كله، و استحب العبّادى الشّافعى أن يقول «بسم اللّه الّذى لا يضرّ مع اسمه شىء».

([و كل بيمينك]) حمله أكثر الشّافعيّة و غيرهم على النّدب، و به جزم

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۱۶

....

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

الغزالى؛ ثمّ النّووى، فيجوز مع الكراهة الأكل بالشّمال.

لكن نصّ الشافعى فى «الرّسالة» و فى مواضع من «الأم» على الوجوب!! و كذا نقله عنه الصّيرفى فى «شرح الرّسالة»، و انتصر له الإمام تقى الدّين السّبكى.

قال الحافظ ابن حجر فى «فتح البارى»: و يدلّ على وجوب الأكل باليمين و رود الوعيد فى الأكل بالشّمال؛

ففى «صحيح مسلم» من حديث سلمة بن الأكوع أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم رأى رجلا يأكل بشماله فقال له: «كل بيمينك» فقال: لا أستطيع، فقال: «لا استطعت». فما رفعها إلى فيه بعد.

و ورد التّصريح باسم الرجل فيما رواه عبد بن حميد، و الدّارمى و ابن حبّان و الطّبرانى؛ عن سلمة أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم أبصر بسر- بضمّ الموحّدة و إسكان السّين المهملة- ابن راعى العير- بفتح العين و إسكان التحتيّة- الأشجعى، يأكل بشماله، فقال: «كل بيمينك»، قال: «لا أستطيع»، فما رفعها إلى فيه بعد. أى فما استطاع رفعها إلى فيه بعد. زاد فى رواية ل «مسلم»: لم يمنعه إلا الكبر.

و به استدلّ القاضى عياض فى «شرح مسلم» على أنّه كان منافقا.

و زيّفه النّووى بأنّ ابن منده و أبا نعيم و ابن ماكولا و غيرهم ذكروه فى الصّحابة!! قال فى «الإصابة»: و فيه نظر، لأنّ جميع من ذكره لم يذكر له سندا إلّا هذا الحديث، فالاحتمال قائم!؟ و يمكن الجمع بأنّه لم يكن فى تلك الحالة أسلم، ثمّ أسلم بعد. انتهى.

و فى «الفتح»: إنّ النّووى ردّه أيضا بأنّ الكبر و المخالفة لا يقتضى النّفاق، لكنّه معصية إن كان الأمر للوجوب؟!.

و قد أجيب عن الاستدلال لوجوب الأكل باليمين بهذا الحديث بأنّ الدّعاء ليس لترك مستحبّ، بل لقصد المخالفة كبرا بلا عذر، فدعا عليه، فشلّت يمينه.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۱۷

و كل ممّا يليك».

و بهذا لا يرد أنّ دعاءه عليه الصلاة و السلام المقصود به الزّجر؛ لا الحقيقى.

و قد زاد الحافظ تقوية للوجوب قوله: و أخرج الطّبرانى و محمد بن الرّبيع الجيزى بسند حسن؛ عن عقبة بن عامر أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم رأى سبيعة الأسلميّة تأكل بشمالها؛ فقال صلّى اللّه عليه و سلم: «أخذها داء غزّة»! فقيل: إنّ بها قرحة، فقال: «و إن»! فمرّت بغزّة فأصابها الطّاعون فماتت.

و ثبت النهى عن الأكل بالشّمال، و أنّه من عمل الشّيطان، من حديث ابن عمر و جابر عند مسلم. و لأحمد بسند حسن؛ عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها رفعته:

«من أكل بشماله أكل معه الشّيطان». و هو على ظاهره.

و ورد: «إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه و ليشرب بيمينه، و ليأخذ بيمينه و ليعط بيمينه، فإنّ الشّيطان يأكل بشماله و يشرب بشماله و يعطى بشماله و يأخذ بشماله» رواه الحسن بن سفيان فى «مسنده»؛ عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه.

و الظّاهر أنّه نهى عن التّشبّه، فيفيد الاستحباب، و حديث سبيعة حمله الجمهور على الزّجر و السّياسة؛ قاله ملّا على قارى فى «جمع الوسائل».

قال المناوى: و اليمين: مشتقّة من اليمن، كما ذمّ أهل النّار بنسبتهم إلى الشّمال، فقال وَ أَمّا إِنْ كانَ مِنْ أَصْحابِ الْيَمِينِ (۹۰) [الواقعة]. فاليمين و ما نسب إليها محمود ممدوح؛ لسانا و شرعا و دنيا و آخرة، و إذا كان كذلك فمن الآداب المناسبة لمكارم الأخلاق اختصاص اليمين بالأعمال الشّريفة، و إن احتيج فى شىء منها إلى الاستعانة بالشّمال! يكون بحكم التّبعيّة؛ و أمّا إزالة الأقذار و مباشرة الأعمال الخسيسة فبالشّمال.

(و كل ممّا يليك»)؛ لأنّ الأكل من موضع يد صاحبه سوء عشرة و ترك مودّة؛ لنفور النّفس منه، لا سيّما فى الأمراق، و لما فيه من

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

إظهار الحرص و النّهم و سوء الأدب و أشباهها.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۱۸

....

و الأمر فيه للنّدب على الأصحّ، و قيل: للوجوب؛ لما فيه من إلحاق الضّرر بالغير، و مزيد الشّره. و نصّ عليه الشّافعى فى «الرّسالة» و مواضع من «الأمّ».

و انتصر له السّبكى- رحمه اللّه تعالى-! قال ولده العلّامة تاج الدّين السّبكىّ: جمع والدى نظائر هذه المسألة فى كتاب له سماه: «كشف اللّبس عن المسائل الخمس»: ۱- الأكل مما يلى، و ۲- من رأس الثّريد، و ۳- التعريس على قارعة الطّريق؛ و ۴- اشتمال الصّمّاء؛ و ۵- القران بين تمرتين أكلا؛ و نصر القول بأنّ الأمر فيها للوجوب. انتهى. لكنه اختيار له، و المعتمد خلافه.

و فى «مختصر البويطى»: يحرم الأكل من رأس الثّريد، و القران فى التّمر؛ و الأصحّ أنّهما مكروهان، و محلّ الخلاف إن لم يعلم رضا صاحبه، و إلّا! فلا حرمة و لا كراهة، فقد ورد أنّه صلّى اللّه عليه و سلم كان يتتبّع الدّباء من حوالى القصعة!!

و الجواب بأنّه أكل وحده مردود بأنّ أنسا كان يأكل معه، على أنّه لو سلّم لا يجدى، لأنّ الأكل مما يلى الآكل سنّة؛ و إن كان وحده، كما اقتضاه إطلاق الشّافعيّة.

و قيل: الأولى حمل التتبع المذكور على أنّه من يمينه و شماله بعد فراغ ما بين يديه، و لم يكن أحد فى جانبيه صلّى اللّه عليه و سلم. و الأوّل أولى، و اللّه أعلم

على أنّ محلّ النّهى حيث كان الطّعام نوعا واحدا؛ و إلّا! كالثّريد و الدّباء و اللّحم، فيتعدى الأكل إلى غير ما يليه، و محلّه أيضا فى غير نحو الفاكهة، أمّا هى! فله أن يجيل يده فيها؛ كما فى «الإحياء».

و يشهد له ما جاء عند ابن ماجه رحمه اللّه تعالى؛ (عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها أنّه صلّى اللّه عليه و سلم كان إذا أتى بطعام أكل ممّا يليه، و إذا أتى بالتّمر جالت يده فيه).

و أورد فى «الإحياء» أنّه صلّى اللّه عليه و سلم قال: «كل ممّا يليك» و كان يدور على الفاكهة.

فقيل له فى ذلك! فقال: «ليس هو نوعا واحدا». انتهى.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۱۹

[و عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت]: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إذا أتى بطعام .. أكل ممّا يليه، و إذا أتى بالتّمر .. جالت يده [فيه].

و توقّف فيه النّووى رحمه اللّه، لكنّ خبر ابن ماجه يشهد له.

و قضيّة ما رواه الغزالى أنّ محل الإجالة إذا كانت الفاكهة الحاضرة ذات أنواع، فإن كانت نوعا واحدا؟! فهى كغيرها فى ندب الأكل مما يلى الآكل، و كراهته مما يلى غيره، و ليس كذلك؛ بل كل ما يختلف أفراده فلا بأس بالإجالة فيه؛ نوعا كان أو أنواعا، و إن كان الأولى عدم الإجالة حينئذ لما فيه؛ مع وجود ذلك من الشّره، و التّطلّع إلى ما عند غيره، و ترك الإيثار الّذى هو من شأن الأخيار. و اللّه أعلم.

انتهى من «شرح الأذكار».

و يؤخذ من هذا الحديث: أنّه يندب على الطّعام تعليم من أخل بشىء من آدابه، خلاف ما عليه النّاس فى زعمهم أنّ فيه كسر نفس الآكل، فلا يعبأ بعادة النّاس المصادمة لما ثبت عن الصّادق المصدوق صلّى اللّه عليه و سلم من التّعليم لآداب الطّعام على الطّعام.

و اللّه أعلم.

([و] أخرج ابن ماجه و الخطيب، و هو حديث ضعيف: (عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها؛ قالت]: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

إذا أتى)- بالبناء للمجهول-، أى: جىء له- (بطعام أكل ممّا يليه)؛ تعليما لأمّته آداب الأكل، فإنّ الأكل مما يلى الغير مكروه؛ لما فيه من مزيد الشّره و النّهمة، و إلحاق الأذى بمن أكل معه؛

و سببه: أنّ كلّ آكل كالحائز لما يليه من الطّعام، فأخذ الغير له تعدّ عليه؛ مع ما فيه من تقذّر النّفوس ممّا خاضت فيه الأيدى.

ثمّ هو سوء أدب من غير فائدة؛ إذا كان الطّعام لونا واحدا، أمّا إذا اختلفت أنواعه فيرخّص فيه، كما أشار إليه بقوله:

(و إذا أتى بالتّمر جالت)- بالجيم- (يده [فيه])؛ أى: دارت فى جهاته

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۲۰

و عن أنس رضى اللّه تعالى عنه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «إنّ اللّه ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة .. فيحمده عليها، و جوانبه، فيتناول منه ما شاء.

و منه أخذ الغزالىّ أنّ محلّ ندب الأكل مما يلى إذا كان الطّعام لونا واحدا، و ما إذا كان غير فاكهة، أمّا هى! فله أن يجيل يده فيها؛ لأنّها فى معنى التّمر.

قال ابن العربى: إذا كان الطّعام صنفا واحدا؛ لم يكن للجولان فيه معنى إلّا الشّره و المجاعة. و إذا كان ذا ألوان؛ كان جولانها له معنى، و هو اختيار ما استطاب منه. انتهى «مناوى».

قال الحفنى: فيطلب الأكل ممّا يلى الآكل حيث لم يتنوّع الطّعام، و إلّا! فلا بأس بمدّ اليد إلى الآنية الّتى فيها الطّعام الّذى يشتهيه؛ و إن لم تكن تليه، كما لا بأس بمدّ اليد إلى التّمرة البعيدة عنه التى تشتهيها نفسه، و لذا كانت تجول يده صلّى اللّه عليه و سلم فى التّمر، و يقاس عليه نحوه من مشمش و خوخ ... إلخ.

نعم؛ إن قامت قرينة على تخصيص قوم بنوع فلا يجوز لغيرهم الأكل من غير علمهم برضا صاحبه، و اللّه أعلم. انتهى.

(و) أخرج الإمام أحمد، و مسلم، و التّرمذى فى «الجامع» و «الشّمائل»، و النّسائى- و اللّفظ ل «الشّمائل»- كلهم (عن أنس رضى اللّه تعالى عنه؛ قال:

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «إنّ اللّه ليرضى عن العبد) المؤمن، أى يرحمه و يثيبه؛ كما جاء فى بعض الرّوايات: «يدخله الجنّة»- (أن) علّة ل «يرضى»، أى:

لأجل أن (يأكل)- بفتح همزة- «أن»- أى: بسبب أن يأكل، أو وقت أكله (الأكلة)- بفتح الهمزة: المرّة الواحدة- من الأكل، أى: الغدوة أو العشوة، كذا اقتصر عليه جمع منهم النّووى فى «رياضه»، لكن ضبطه بعضهم بالضّمّ؛ و قال:

هى اللقمة. (فيحمده) بالنّصب؛ كما هو الظّاهر وفاقا لابن حجر، لكن رواية «الشّمائل» بالرّفع على أنّه خبر مبتدأ محذوف، أى: فهو يحمده (عليها)؛ أى:

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۲۱

أو يشرب الشّربة .. فيحمده عليها».

يرضى أكله المتعقّب بالحمد، مع أنّ نفعه لنفسه، فكيف بالحمد على ما لا نفع له فيه؟!.

(أو)- للتّنويع، و ليست للشّكّ- (يشرب الشّربة)- بفتح الشّين المعجمة، لا غير- و هذا يرجّح الوجه الأوّل فى ضبط الأكلة، و كلّ من الأكلة و الشّربة مفعول مطلق- (فيحمده عليها»)؛ يعنى: يرضى عنه؛ لأجل أحد هذين الفعلين أيّا كان، و فيه أنّ أصل سنّة الحمد بعد كلّ من الطّعام و الشّراب يحصل بأىّ لفظ اشتقّ من مادّة «ح م د»، بل بما يدلّ على الثّناء على اللّه تعالى.

و ما سبق من حمده صلّى اللّه عليه و سلم المشتمل على تلك الصّفات البليغة البديعة! إنّما هو لبيان الأكمل؛ و فى هذا تنويه عظيم بمقام الشّكر، حيث رتّب هذا الجزاء العظيم- الذى هو أكبر أنواع الجزاء، كما قال سبحانه و تعالى وَ رِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ [۷۲/ التوبة]- فى مقابلة شكره بالحمد.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و عبّر بالمرّة! إشعارا بأنّ الأكل و الشّرب يستحقّ الحمد عليه؛ و إن قلّ جدا، أو أنّه يتعيّن علينا أن لا نحتقر من اللّه شيئا؛ و إن قلّ.

و يسنّ خفض صوته به إذا فرغ؛ و لم يفرغ رفقته، لئلّا يكون منعا لهم.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۲۲

[الفصل الرّابع فى صفة فاكهته صلّى اللّه عليه و سلّم]

الفصل الرّابع فى صفة فاكهته صلّى اللّه عليه و سلّم (الفصل الرّابع) من الباب الرّابع (فى) بيان الأخبار الواردة فى (صفة فاكهته صلّى اللّه عليه و سلم) و الفاكهة: ما يتفكّه، أى: يتنعّم و يتلذّذ بأكله رطبا كان؛ أو يابسا كتين و بطيخ و زبيب و رطب و رمان، و منه الفكاهة- بالضّمّ- للمزاح؛ لانبساط النّفس، و تفكّه بالشّىء: تمتّع به. و تفكّه: أكل الفاكهة، و قوله تعالى فِيهِما فاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمّانٌ (۶۸) [الرحمن].

قال أهل اللّغة: إنّما خصّ ذلك بالذّكر!! لأنّ العرب تذكر الأشياء مجملة، ثمّ تخص منها شيئا بالتّسمية؛ تنبيها على فضل فيه، و منه قوله تعالى وَ إِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ [۷/ الأحزاب] و كذلك مَنْ كانَ عَدُوًّا لِلّٰهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكالَ [۹۸/ البقرة]. فكما أنّ إخراج محمّد و نوح و إبراهيم و موسى و عيسى من النّبيين، و إخراج جبريل و ميكائيل من الملائكة ممتنع؛ كذلك إخراج النّخل و الرّمّان من الفاكهة ممتنع.

قال الأزهرى: و لا أعلم أحدا من العرب قال: النّخل و الرّمّان ليسا من الفاكهة»، و من قال ذلك من الفقهاء!! فلجهله بلغة العرب و بتأويل القرآن «۱».

و كما يجوز ذكر الخاص بعد العام للتّفضيل؛ كذلك يجوز ذكر الخاصّ قبل

---

(۱) و حجّة من قال من الفقهاء أنّ الرّمان و التمر ليسا من الفاكهة؛ هو العطف، و لأن التمر فاكهة و غذاء، و الرّمان فاكهة و دواء، فلم يخلصا لتفكّه، و على هذا القول بعض الفقهاء، و أما عامة المفسرين و أهل اللّغة فعلى أنّ التمر و الرّمان من جملة الفواكه، و إنما فصلهما بالذكر:

للتخصيص و التفضيل. كقوله تعالى: مَنْ كانَ عَدُوًّا لِلّٰهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكالَ [۹۸/ البقرة].

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۲۳

كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يأخذ الرّطب بيمينه، و البطّيخ بيساره؛ و يأكل الرّطب بالبطّيخ، و كان أحبّ الفاكهة إليه.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يأكل الرّطب، و يلقى النّوى على الطّبق.

العامّ للتفضيل، قال تعالى وَ لَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِى وَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (۸۷) [الحجر]. انتهى «مصباح».

أخرج الطّبرانى فى «الأوسط»، و أبو نعيم فى «الطب»، و أبو الشيخ فى «الأخلاق»، و الحاكم فى «الأطعمة»؛ من حديث أنس بن مالك رضى اللّه تعالى عنه، بسند ضعيف قال:

(كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم) إذا أكل رطبا و بطّيخا معا (يأخذ الرّطب بيمينه)؛ أى:

بيده اليمين، (و البطّيخ بيساره؛ و يأكل الرّطب بالبطّيخ) للتّعديل.

(و كان) أى: البطّيخ (أحبّ الفاكهة إليه)، و فيه: جواز الأكل باليدين جميعا.

و يشهد له ما رواه الإمام أحمد؛ عن عبد اللّه بن جعفر قال:

آخر ما رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فى إحدى يديه رطبات، و فى الأخرى قثّاء؛ فيأكل بعضا من هذه و بعضا من هذه.

لكن لا يلزم منه لو ثبت أكله بشماله، فلعلّه كان يأخذ بيده اليمنى من الشّمال فيأكلها مع ما فى يمينه، إذ لا مانع من ذلك!!

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و أمّا أكله البطّيخ بالسّكّر!! فلم أر له أصلا إلّا فى خبر معضل ضعيف. رواه النّوقاتى: و أكله بالخبز، لا أصل له، إنّما ورد فى أكل العنب بالخبز حديث رواه ابن عدى بسند ضعيف؛ عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها؛ قاله جميعه الحافظ زين الدّين العراقى رحمه اللّه تعالى.

(و) أخرج الحاكم فى «مستدركه»؛ «باب الأطعمة»، و قال: على شرطهما، و أقره الذّهبى؛ عن أنس بن مالك رضى اللّه تعالى عنه، قال: (كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم يأكل الرّطب؛ و يلقى النّوى على الطّبق)، يعارضه

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۲۴

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يأكل البطّيخ بالرّطب، و يقول:

«يكسر حرّ هذا ببرد هذا، و برد هذا بحرّ هذا».

حديث: نهى أن تلقى النّواة على الطّبق الّذى هو يؤكل منه الرّطب و التّمر.

و لعلّ المراد هنا الطّبق الموضوع تحت إناء الرّطب؛ لا الطّبق الّذى فيه الرّطب، فإن وضعه مع الرطب فى إناء واحد ربما تعافه النّفوس؛ قاله المناوى رحمه اللّه تعالى.

(و) أخرج أبو داود فى «الأطعمة»، و البيهقىّ كلاهما؛ عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها، قالت: (كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم يأكل البطّيخ)- بتقديم الباء على الطّاء، و بتقديم الطّاء على الباء الطّبّيخ؛ لغة فى البطيخ بوزنه، و كلاهما روايتان ثابتتان فى الحديث- و المراد به: الأصفر، بدليل ثبوت لفظ الخربز بدل البطّيخ فى الرّواية الآتية، و كان يكثر وجوده بالحجاز، بخلاف الأخضر.

و قال ابن القيّم: المراد الأخضر. قال زين الحفّاظ العراقى، و فيه نظر.

و الحديث دالّ على أنّ كلّ واحد منهما فيه حرارة و برودة، لأنّ الحرارة فى أحدهما و البرودة فى الآخر.

قال بعض الأطبّاء: البطّيخ بارد رطب، فيه جلاء، و هو أسرع انحدارا إلى المعدة من القثّاء و الخيار، و هو سريع الاستحالة إلى أى خلط صادفه فى المعدة، و إذا أكله محرور نفعه جدا، و إذا كان مبرودا عدّله بقليل زنجبيل. أو يفعل كما كان صلّى اللّه عليه و سلم يعدّله (بالرّطب): ثمر النّخل إذا أدرك قبل أن يتتمّر؛ (و يقول: «يكسر حرّ هذا) أى: الرّطب (ببرد هذا)، أى: البطّيخ، (و برد هذا بحرّ هذا»).

قال الزرقانى: كذا وقع للمصنّف- يعنى القسطلانىّ-: ببرد ... بحرّ- بالباء فيهما- تبعا لشيخه فى «المقاصد»؛ تبعا لشيخه فى «الفتح»!! فيحتمل أن أوّله [نكسر] بنون مبنىّ للفاعل، و أنّه [يكسر] بتحتيّة مبنىّ للمجهول. و ساقه «الجامع» بدون موحّدة فيها، و كل عزاه لأبى داود. انتهى.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۲۵

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يأكل البطّيخ بالخبز و بالسّكّر، ...

قال ابن القيّم: و هذا من تدبير الغذاء الحافظ للصّحّة، لأنّه إذا كان فى أحد المأكولين كيفية تحتاج إلى كسر و تعديل كسرها و عدّلها بضدّها. انتهى.

قيل: و أراد البطّيخ قبل النّضج، فإنّه بعده حارّ رطب.

قال ابن القيّم: فى البطّيخ عدّة أحاديث لا يصحّ منها شىء غير هذا الحديث.

انتهى. نقله المناوى. و قال فى «المواهب»: و أمّا فضائل البطّيخ فأحاديثه باطلة، و إن أفرده النّوقاتى فى جزء؛ كما قاله الحفّاظ، و اللّه أعلم.

و قد كان محمد بن أسلم الطوسى، العالم الرّبانى، الزّاهد الورع، المقتدى بالآثار، الّذى وصفه ابن المبارك بأنّه ركن من أركان الإسلام، كان لا يأكل البطّيخ تورّعا؛ لأنّه لم ينقل كيفيّة أكل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم له، أى: هل بقشره و لبه؛ أو بدونهما. فلعلّ هذا مراده!! و إلّا! فقد ورد كيفيّة جمعه بين الرّطب و القثّاء أو البطّيخ؛ فيما رواه الطّبرانى فى «الأوسط» من حديث عبد اللّه بن

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

جعفر بن أبى طالب قال: رأيت فى يمين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قثّاء و فى شماله رطبا، و هو يأكل من ذا مرّة، و من ذا مرّة!!. و فى سنده ضعف.

و قد تقدّم حديث أنس فى أول هذا الفصل، و أنّه صلّى اللّه عليه و سلم كان يأخذ الرّطب بيمينه و البطّيخ بيساره، فيأكل الرّطب بالبطّيخ، و كان البطّيخ أحبّ الفاكهة إليه.

(و) فى «الإحياء»: (كان صلّى اللّه عليه و سلم يأكل البطّيخ بالخبز). قال العراقى: لم أره! و إنّما وجدت أكله العنب بالخبز، فى حديث عائشة عند ابن عدى بسند ضعيف.

(و) يأكل تارة (بالسّكّر)، قال العراقىّ: إن أريد بالسّكّر نوع من التّمر و الرّطب مشهور! فهو الحديث الآتى بعده. و إن أريد بالسّكّر الذى هو بطبرزد!! فلم أر له أصلا إلّا فى حديث منكر معضل، رواه أبو عمر النّوقاتى فى كتاب «البطيخ»، من رواية محمد بن على بن الحسين: أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم أكل بطّيخا بسكّر، و فيه موسى بن إبراهيم المروزى؛ كذبه يحيى بن معين. انتهى.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۲۶

و ربّما أكله بالرّطب، و يستعين باليدين جميعا.

قلت: قال فى «المصباح»: السّكّر نوع من الرّطب شديد الحلاوة؛ قال أبو حاتم فى كتاب «النخلة»: نخل السّكر، الواحدة سكّرة.

و قال الأزهرى: التّمر نخل السّكّر و هو معروف عند أهل البحرين، فإن كان المراد بالسّكّر هنا هو الطّبرزدى؛ فيتعيّن أن يكون المراد بالبطّيخ هو الأصفر، فإنّه الذى يؤكل به؛ مع احتمال إرادة الأخضر، إلّا أنّ ابن حجر ذكر فى «شرح الشّمائل» أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم لم ير السّكّر، و ما ورد بأنّه حضر ملاك بعض الأنصار فنثر على العروس بالسّكّر و اللّوز!! فلا أصل له. انتهى؛ جميعه من «شرح الإحياء».

(و ربّما أكله بالرّطب). قال الحافظ العراقى:

رواه التّرمذى و النّسائى من حديث عائشة رضى اللّه تعالى عنها و حسنه الترمذى و لابن ماجه من حديث سهل بن سعد: كان يأكل الرّطب بالبطيخ و هو عند الدّارمى بلفظ: البطيخ بالرّطب و روى ابن عدى من حديث عائشة رضى اللّه عنها: كان أحبّ الفاكهة إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم الرّطب و البطّيخ. و هو ضعيف. انتهى.

قلت: و رواه الطّبرانى فى «الكبير»؛ من حديث عبد اللّه بن جعفر بلفظ:

كان يأكل البطّيخ بالرّطب. و روى الطّيالسى؛ من حديث جابر بسند حسن:

كان يأكل الخربز بالرّطب، و يقول: «هما الأطيبان». و هذا يؤيّد قول من قال: إنّ المراد بالبطّيخ هو الأصفر. انتهى من «شرح الإحياء».

(و يستعين باليدين جميعا)، قال العراقى: رواه الإمام أحمد، من حديث عبد اللّه بن جعفر قال: آخر ما رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فى إحدى يديه رطبات، و فى الأخرى قثّاء يأكل من هذه، و يعض من هذه.

و تقدم حديث أنس السّابق أوّل الفصل، فى أكله بيديه.

و روى الطّبرانى فى «الأوسط»؛ من حديث عبد اللّه بن جعفر: رأيت النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم فى يمينه قثّاء و فى شماله رطب، و هو يأكل من ذا مرّة و من ذا مرّة. و سنده ضعيف.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۲۷

و أكل يوما الرّطب فى يمينه، و كان يحفظ النّوى فى يساره، فمرّت شاة، فأشار إليها بالنّوى، فجعلت تأكل من كفّه اليسرى و هو يأكل بيمينه حتّى فرغ، و انصرفت الشّاة.

و عن أنس رضى اللّه تعالى عنه: رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يجمع بين الخربز و الرّطب.

و (الخربز): البطّيخ الأصفر.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و أكل) صلى اللّه عليه و سلم (يوما الرّطب فى يمينه؛ و كان يحفظ النّوى فى يساره، فمرّت) به (شاة فأشار إليها بالنّوى؛ فجعلت تأكل من كفّه اليسرى و هو يأكل بيمينه حتّى فرغ، و انصرفت الشّاة)، قال العراقى: هذه القصّة رويناها فى «فوائد أبى بكر الشّافعى» من حديث أنس بإسناد ضعيف. انتهى.

(و) أخرج النّسائىّ و التّرمذىّ فى «الشمائل»؛ (عن أنس رضى اللّه تعالى عنه؛ رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يجمع بين الخربز و الرّطب).

و أخرج الطّيالسى بسند حسن؛ عن جابر رضى اللّه تعالى عنه:

كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يأكل الخربز بالرّطب؛ و يقول: «هما الأطيبان».

و أخرجه أبو الشّيخ أيضا.

(و الخربز)- بكسر الخاء المعجمة و سكون الرّاء و كسر الموحّدة، بعدها زاى- (: البطّيخ) بالفارسيّة، و المراد به: (الأصفر)؛ لا الأخضر كما و هم؛ لأنّه المعروف بأرض الحجاز.

و استشكل بأنّ الغرض التّعديل بين برودة البطّيخ و حرارة الرّطب- كما علمت- و الأصفر حارّ، و البارد إنّما هو الأخضر، فالأصفر ليس بمناسب هنا!!.

و أجيب بأنّ المراد الأصفر غير النّضيج، فإنّه غير حارّ، و الحارّ ما تناهى نضجه، و ليس بمراد؛ كما ذكره بعض شرّاح «المصابيح». انتهى «باجورى».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۲۸

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يأكل القثّاء بالرّطب.

قالت عائشة رضى اللّه تعالى عنها: أرادت أمّى معالجتى للسّمنة لتدخلنى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم؛ فما استقام لها ذلك حتّى أكلت الرّطب بالقثّاء، فسمنت عليه كأحسن سمنة. أخرجه ابن ماجه، ...

(و) أخرج الإمام أحمد، و أبو داود، و ابن ماجه، و التّرمذى فى «الجامع» و «الشمائل»؛ عن عبد اللّه بن جعفر رضى اللّه تعالى عنه قال: (كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يأكل القثّاء)- بكسر القاف و تشديد المثلّثة ممدودا-: نوع من الخيار، و قيل: هو اسم جنس لما يشمل الخيار و العجّور و الفقّوس؛ واحدته قثّاءة. (بالرّطب)، أى: مصحوبا معه دفعا لضرر كلّ منهما، و إصلاحا له بالآخر.

و فى «الصّحيحين»: عن عبد اللّه بن جعفر: رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يأكل الرّطب بالقثّاء.

و الفرق بينهما: أنّ المقدّم أصل فى المأكول كالخبز، و المؤخّر كالإدام.

و من فوائد أكل هذا المركّب المعتدل تعديل المزاج و تسمين البدن؛

فقد (قالت عائشة رضى اللّه تعالى عنها: أرادت أمّى معالجتى للسّمنة لتدخلنى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فما استقام لها ذلك).

و فى رواية: فلم أقبل عليها بشىء ممّا تريد (حتّى أكلت).

و فى رواية: حتّى أطعمتنى (الرّطب بالقثّاء، فسمنت عليه كأحسن سمنة.

أخرجه) أبو داود، و (ابن ماجه)- بسكون الهاء وصلا و وقفا؛ لأنّه اسم أعجمى- و هو لقب ليزيد «والد الإمام أبى عبد اللّه محمد بن يزيد القزوينى، صاحب «السّنن»، و تقدمت ترجمته.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۲۹

و رواه النّسائىّ: بإبدال (التّمر) مكان (الرّطب).

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يأكل القثّاء بالرّطب و بالملح. و كان أحبّ الفواكه الرّطبة إليه [صلّى اللّه عليه و سلّم]:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

الرّطب و العنب.

(و رواه) الحافظ أبو عبد الرحمن؛ أحمد بن شعيب (النّسائىّ) نسبة إلى «نسأ» مدينة مثل سبأ، كما قال:

و النّسئىّ نسبة لنسإمدينة فى الوزن مثل سبإ عنها رضى اللّه تعالى عنها قالت: لما تزوجنى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم عالجونى بكلّ شىء؛ فأطعمونى القثّاء بالتّمر، فسمنت عليه كأحسن الشّحم.

(بإبدال التّمر مكان الرّطب)، و إبدال الشّحم مكان السّمنة، و هو من اختلاف الرّواة لاتّحاد المخرج، و عند أبى نعيم فى «الطب» عنها أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم أمر أبويها بذلك.

(و) فى «الإحياء» و «كشف الغمّة»: (كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يأكل القثّاء بالرّطب)، و قد مرّ تخريجه قريبا؛ من حديث عبد اللّه بن جعفر.

و رواه الطّبرانى فى «الأوسط» بلفظ: رأيت النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم فى يمينه قثّاء و فى شماله رطب، و هو يأكل من ذا مرّة و من ذا مرّة، و سنده ضعيف، و قد تقدّم.

(و) كان صلّى اللّه عليه و سلم يأكل القثّاء (بالملح)؛ لكونه يدفع ضرره.

قال العراقى: رواه أبو الشّيخ؛ من حديث عائشة رضى اللّه تعالى عنها، و فيه يحيى بن هاشم! كذّبه ابن معين و غيره، و رواه ابن عدى و فيه عباد بن كثير، متروك. انتهى.

(و كان) صلى اللّه عليه و سلم (أحبّ الفواكه الرّطبة إليه: الرّطب) كذا فى «كشف الغمّة».

و فى «الإحياء» بدل الرّطب البطّيخ، (و العنب).

قال العراقى: روى أبو نعيم فى «الطب النّبوى» من رواية أمية بن زيد العبسى

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۳۰

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يأكل العنب خرطا؛ يرى رؤاله على لحيته كخرز اللّؤلؤ.

أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم يحبّ من الفاكهة العنب و البطّيخ. و روى ابن عدى من حديث عائشة:

«فإنّ خير الفاكهة العنب»، و سنده ضعيف. انتهى.

(و) أخرج الطّبرانى فى «الكبير»، و العقيلى فى «الضعفاء»، و أبو بكر الشّافعى فى «الغيلانيات»: كلهم؛ من حديث داود بن عبد الجبّار عن أبى الجارود؛ عن حبيب بن يسار عن ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما:

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم يأكل العنب خرطا)، يقال: خرط العنقود و اخترطه: إذا وضعه فى فيه فأخذ حبّه، و أخرج عرجونه عاريا. و فى رواية- ذكرها ابن الأثير-: خرصا- بالصّاد بدل الطّاء- أى: من غير عدد.

لكن قال أبو جعفر العقيلى- بعد ما روى هذا الحديث فى «كتاب الضعفاء و المتروكين»-: لا أصل لهذا الحديث، و داود ليس بثقة، و لا يتابع عليه.

و قال البخارى: داود منكر الحديث. و فى «الميزان» للذّهبى؛ عن النّسائى: إنّه متروك.

و أخرجه البيهقى فى «الشّعب» من طريقين؛ ثمّ قال: ليس فيه إسناد قوىّ، و رواه ابن عدى من طريق آخر؛ عن ابن عبّاس رضى اللّه تعالى عنهما.

و قال العراقى: طرقه كلّها ضعيفة. و أورده ابن الجوزى فى «الموضوعات».

و أقرّه السّيوطى فى «مختصرها»؛ فلم يتعقّبه، إلّا بأنّ الزّين العراقى اقتصر على تضعيفه، لكن قال فى «شرح الإحياء»: لم يصب ابن الجوزى فى كونه موضوعا، بل هو ضعيف، و قال الزرقانى على «المواهب»: و نوزع بأنّه ضعيف جدّا؛ لا موضوع. و اللّه أعلم.

(يرى رؤاله على لحيته كخرز اللّؤلؤ)، هذه الزّيادة موجودة فى «الإحياء»؛

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٢٣١

و رؤاله «١»: ماؤه الّذى يتقطّر منه.

و عن الرّبيّع بنت معوّذ ابن عفراء رضى اللّه تعالى عنها قالت:

بعثنى معاذ ...

و لم يتكلّم عليها شارحه!! ([و الرّؤال]- بالضمّ- (: ماؤه الّذى يتقطّر منه) كما فسّره فى «الإحياء».

(و) أخرج التّرمذى فى «الشّمائل»؛ (عن الرّبيّع)- براء مضمومة فموحّدة مفتوحة فتحتيّة مكسورة مشدّدة، و آخره عين مهملة على صيغة التصغير-

(بنت معوّذ)- بضمّ الميم و فتح العين المهملة، و كسر الواو و بعدها ذال معجمة؛ على صيغة الفاعل، هذا هو المشهور.

(ابن عفراء)- بعين مهملة مفتوحة، ثمّ فاء ساكنة ثمّ راء ثمّ ألف ممدودة؛ كحمراء- اسم أمه هى عفراء بنت عبيد بن ثعلبة النجاريّة، من صغار الصّحب، و أبوها من أكابرهم قتل يوم بدر، روى له السّتّة.

و عفراء هذه لها خصيصة لا توجد لغيرها، و هى أنّها تزوّجت بعد الحارث البكير بن ياليل اللّيثى، فولدت له أربعة: إياسا و عاقلا و خالدا و عامرا، و كلّهم شهدوا بدرا، و كذلك إخوتهم لأمّهم بنو الحارث، فانتظم من هذا أنّها امرأة صحابيّة لها سبعة أولاد؛ شهدوا كلّهم بدرا مع النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم. انتهى؛ ذكره فى «الإصابة».

و اشتهر معوّذ باسم أمّه. و اسم أبيه: الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد، و معوّذ لم يرو له شىء، و هو أحد الّذين قتلوا أبا جهل بن هشام عدو اللّه يوم بدر.

و أمّا الرّبيّع؛ فهى ممّن بايع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم تحت الشجرة بيعة الرّضوان، روى عنها أهل المدينة (رضى اللّه تعالى عنها؛ قالت:

بعثنى معاذ) بن عفراء، «و هو عمّها»، اشترك هو و أخوه معوّذ بن عفراء فى

---

(١) فى «وسائل الوصول»: و رؤاله.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٢٣٢

بقناع من رطب، و عليه أجر من قثّاء زغب.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يحبّ القثّاء، فأتيته به و عنده حلية قد قدمت عليه من البحرين، ...

قتل أبى جهل ببدر، و تمّ أمر قتله على يد ابن مسعود بأن حزّ رقبته و هو مجروح مطروح يتكلّم، حتّى قال له: لقد ارتقيت مرتقى صعبا؛ يا رويعى الغنم.

(بقناع)- بكسر القاف و تخفيف النّون- أى: بطبق يهدى عليه، و سمّى الطبق قناعا!! لأنّه أقنعت أطرافه إلى داخل أى: عطفت. انتهى «مناوى».

(من رطب) بيان لجنس ما فيه؛ (و عليه) أى: على ذلك القناع (أجر)- بفتح الهمزة و سكون الجيم و كسر الرّاء منوّنة-؛ جمع جر و بتثليث أوّله- و هو الصّغير من كلّ شىء؛ حيوانا كان أو غيره-.

(من قثّاء)- بمثلّثة مشدّدة- (زغب)- بضمّ الزّاى و سكون المعجمة-: جمع أزغب، كأحمر و حمر، من الزّغب- بالفتح-: صغار الرّيش أوّل ما يطلع نبته، وصف به القثّاء تشبيها لزبره الّذى هو عليه بالرّيش الصّغير، روى مرفوعا على أنّه صفة لأجر، و مجرورا على أنّه صفة لقثّاء، قال شارح «...» «١»: و الأوّل أظهر.

قال الزّمخشرى عن بعضهم: كنت أمرّ فى بعض طرقات المدينة فإذا أنا بحمّال على رأسه طن، فقال: أعطنى ذلك الجرو، فتبصّرت فلم

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

أر كلبا؛ و لا جروا!! فقلت: ما هنا جرو، فقال: أنت عراقىّ، أعطنى تلك القثّاءة.

(و كان صلّى اللّه عليه و سلم يحبّ القثّاء)، أى: مع الرّطب، كما يؤيّده ما سبق من جمعه صلّى اللّه عليه و سلم بينهما، (فأتيته به)، أى: بالقثّاء، (و عنده حلية)، أى: و الحال أنّ عنده حلية- بكسر أو فتح فسكون-: اسم لما يتزيّن به من نقد و غيره.

(قد قدمت عليه)- بكسر الدّال؛ كعلمت، أى: وصلت إليه تلك الحلية- (من) خراج (البحرين) على لفظ التّثنية: إقليم بين البصرة و عمان، و هو من بلاد

---

(١) هكذا فى الأصل.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٢٣٣

فملأ يده منها، فأعطانيه.

قوله (أجر)- جمع جرو- و هو: الصّغير من كلّ شىء. و هنا:

الصّغير من القثّاء.

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إذا أتى بباكورة الثّمرة ...

نجد، و يعرب إعراب المثنّى، و يجوز أن تجعل النّون محل الإعراب مع لزوم الياء مطلقا؛ و هى لغة مشهورة، و اقتصر عليها الأزهرى؛ لأنّه صار علما مفرد الدّلالة؛ فأشبه المفردات، و النّسبة إليه بحرانىّ.

(فملأ يده)، أى: إحدى يديه؛ لا كلتا يديه، و لو أريد ذلك لقيل يديه، فالحمل على اليدين معا بعيد. (منها)؛ أى: من تلك الحلية، (فأعطانيه)، أى: لعظيم سخائه صلّى اللّه عليه و سلم و فيه كمال المناسبة، فإنّ الأنثى يليق بها الحلية.

(قوله: أجر)- بفتح الهمزة فسكون الجيم فراء منوّن مكسورة: (جمع جرو) مثلّث الجيم- (و هو الصّغير من كلّ شىء) حتى الحنظل و البطّيخ و نحوه.

(و) المراد (هنا الصّغير من القثّاء)، و قيل: الرّمّان، و قيل: المراد هنا القثّاء مطلقا.

(و) أخرج ابن السّنّى؛ عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه، و الحكيم التّرمذى فى «نوادر الأصول»؛ عن أنس رضى اللّه تعالى عنه، و الطّبرانى فى «الكبير» و «الصغير»؛ عن ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما- و رجال «الصغير» رجال الصّحيح؛ كما قاله الهيثمى-:

(كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم إذا أتى)- بالبناء للمجهول- أى: جىء له (بباكورة الثّمرة)- بالثّاء المثلّثة- أى: أوّل ما يدرك من الفاكهة بحيث يصلح للأكل منها، قال أبو حاتم: الباكورة، هى أوّل كلّ فاكهة، ما عجل الإخراج. و ابتكرت

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٢٣٤

وضعها على عينيه، ثمّ على شفتيه، و قال: «اللّهمّ؛ كما أريتنا أوّله .. فأرنا آخره»، ثمّ يعطيه من يكون عنده من الصّبيان.

و عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه قال: كان النّاس إذا رأوا أوّل الثّمر ...

الفاكهة: أكلت باكورتها، و نخلة باكورة، و باكور، و بكور: أثمرات قبل غيرها؛ قاله المناوى.

(وضعها على عينيه ثمّ على شفتيه)؛ جبرا لخاطر من أتى بها، و سرورا بها لقرب عهدها بتكوين اللّه تعالى، كما كان يخرج يغتسل من ماء المطر، و يقول:

«إنّه قريب عهد بربّه»، أى: بتكوينه.

(و قال) فى دعائه: («اللّهمّ؛ كما أريتنا أوّله فأرنا آخره»)، أى: فأبقنا حتّى نرى آخره، و كان القياس أوّلها و آخرها، لكنه ذكره على إرادة النّوع، فيسنّ لنا قول ذلك الذّكر.

(ثمّ يعطيه من يكون عنده من الصّبيان)؛ إيثارا على نفسه، و هو سيّد من يؤثر على نفسه!! و خصّ الصّبيان بالإعطاء! لكونهم أرغب فيه،

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و لكثرة تطلّعهم إلى ذلك، و لما بينهما من المناسبة فى حداثة الانفصال عن الغيب.

فإن لم يكن عنده صبيان حينئذ احتمل أنّه يعطيه نحو الرّجال، و أن يدّخره للصّبيان إلى أن يأتوا، و احتمل أن يأكله؛ و اللّه أعلم.

(و) أخرج مسلم فى «صحيحه»، و الترمذى فى «الجامع» و «الشّمائل»، و النّسائى، و ابن ماجه، و ابن السّنّى فى «عمل اليوم و الليلة» بألفاظ مختلفة بالزّيادة و النّقص- و هذا لفظ «الشّمائل»- كلّهم يروونه؛

(عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه؛ قال: كان النّاس إذا رأوا أوّل الثّمر)- بالثّاء المثلّثة و الميم المفتوحتين- و يسمّى الباكورة، أى: باكورة كلّ فاكهة.

قال ابن علّان: و ظاهر أنّ المراد منه ثمر النّخل؛ لأنّه الّذى كان حينئذ بالمدينة.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۳۵

جاءوا به إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فإذا أخذه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم .. قال: «اللّهمّ؛ بارك لنا فى ثمارنا، [و بارك لنا فى مدينتنا]، و بارك لنا فى صاعنا، و فى مدّنا ...

(جاءوا به إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم)؛ إيثارا له على أنفسهم حبّا له و تعظيما لجنابه، و نظرا إلى أنه أولى النّاس بما سيق إليهم من الرّزق.

قال العلماء: كانوا يفعلون ذلك رغبة فى دعائه صلّى اللّه عليه و سلم بالبركة فى الثّمر و المدينة و الصاع و المدّ، و طلبا لمزيد استدرار بركته فيما تجدّد عليهم من النّعم؛ و فى الحديث: أنّه يستحبّ الإتيان بالباكورة لأكبر القوم علما و عملا.

(فإذا أخذه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قال) مستقبلا للنّعمة المجددة بالتضرّع و المسألة و التوجّه و الإقبال التّام إلى المنعم الحقيقى؛ طلبا لمزيد الإنعام، على وجه يعمّ الخاصّ و العامّ (: «اللّهمّ؛ بارك لنا فى ثمارنا) أى: زد فيها الخير بالنّموّ و الحفظ من الآفات.

([و بارك لنا فى مدينتنا]) بكثرة الأرزاق و بقائها على أصلها و إقامة شعائر الإسلام، و إظهاره على غاية لا توجد فى غيرها، (و بارك لنا فى صاعنا، و) بارك لنا (فى مدّنا)- بضمّ الميم و تشديد الدّال المهملة- بحيث يكفى صاعنا و مدّنا من لا يكفيه صاع غيرنا و مدّه.

فالمراد به الطّعام الّذى يكال بالصّيعان و الأمداد، فيكون دعاء لهم بالبركة فى أقواتهم.

قال القاضى عياض: البركة تكون:

۱- بمعنى النّماء و الزّيادة، و تكون بمعنى الثّبات و اللّزوم.

و ۲- يحتمل أن تكون البركة المذكورة فى الحديث دينيّة؛ و هى ما يتعلّق بهذه المقادير من حقوق اللّه تعالى فى الزّكاة و الكفّارات.

فتكون بمعنى الثّبات و البقاء لها؛ كبقاء الحكم ببقاء الشّريعة و ثباتها.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۳۶

....

و ۳- يحتمل أن تكون دنيويّة من تكثير الكيل و القدر بها، حتى يكفى منه فى المدينة ما لا يكفى منه فى غيرها.

أو ۱- ترجع البركة إلى التصرّف بها فى التجارات و أرباحها.

أو ۲- إلى كثرة ما يكال بها من غلّاتها و ثمارها، أو ترجع إلى الزّيادة فيما يكال بها؛ لاتساع عيشهم و كثرته بعد ضيقه، لما فتح اللّه عليهم و وسّع من فضله لهم، و ملّكهم من بلاد الخصب و الرّيف بالشّام و العراق و مصر و غيرها، حتّى كثر الحمل إلى المدينة و اتّسع عيشهم، و صارت هذه البركة فى الكيل نفسه، فزاد مدّهم مثل مدّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم مرّتين أو مرّة و نصفا.

و لا مانع من إرادة إحاطة البركة بالكلّ، و فى هذا كلّه ظهور إجابة دعاء النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم و قبوله.

و اختار النّووى من تلك التوجيهات: البركة فى نفس مكيل المدينة، بحيث يكفى المدّ فيها لمن لا يكفيه فى غيرها كما تقدّم.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و قال القرطبى: إذا وجدت البركة فيها فى وقت حصلت إجابة الدّعوة، و لا يلزم دوامها فى كلّ حين و لكلّ شخص. انتهى. ذكره فى «جمع الوسائل».

و قدّم الثّمار فى الدّعاء!! قضاء لحق المقام، إذ هو مستدع لذلك، ثمّ ذكر الصّاع و المدّ؛ اهتماما بشأنهما؛ ففى كلامه إجمال بعد تفصيل، و تفصيل بعد إجمال، و هو من اللّطائف.

و الصّاع: مكيال معروف، و صاع المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم الّذى بالمدينة المشار إليه هنا: أربعة أمداد، و ذلك خمسة أرطال و ثلث بالبغدادى.

و أمّا قول أبى حنيفة بأنّه ثمانية أرطال! فهو ممنوع بأنّ الزيادة عرف طارئ على عرف الشّرع، و لذلك لما اجتمع أبو يوسف بمالك رضى اللّه تعالى عنه بالمدينة المنورة حين حجّ مع الرّشيد، فقال أبو يوسف: الصّاع ثمانية أرطال. فقال

اللّهمّ؛ إنّ إبراهيم عبدك، و خليلك، و نبيّك، و إنّى عبدك، و نبيّك، و إنّه دعاك لمكّة، و إنّى أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك به لمكّة و مثله معه».

قال: ثمّ يدعو أصغر وليد يراه فيعطيه ذلك الثّمر.

مالك: صاع المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم خمسة أرطال و ثلث، فأحضر مالك جماعة شهدوا بقوله، فرجع أبو يوسف عن قوله.

و المدّ: رطل و ثلث، فهو ربع صاع؛ قاله المناوى.

(اللّهمّ؛ إنّ إبراهيم عبدك، و خليلك، و نبيّك)، و الغرض من ذلك التوسّل فى قبول دعائه بعبوديّة أبيه إبراهيم و خلّته و نبوّته؛ (و إنّى عبدك، و نبيّك)، الغرض من ذلك التوسّل فى قبول دعائه بعبوديّته و نبوّته.

و قدّم الأولى! لأنّه لا شرف أعلى منها و لم يقل «و خليلك» و إن كان خليلا؛ كما ورد فى عدّة أخبار!! لأنّه خصّ بمقام المحبّة الأرفع من مقام الخلّة، أو أدبا مع أبيه الخليل، مع كونه أشار إلى تميّزه عليه بقوله: «و مثله معه»! على أنّ إبراهيم لم يبتد حرمة مكة بل أظهرها، و أمّا نبيّنا؛ فأوجد حرمة المدينة، إذ لم يكن بها قبل دعائه و حلوله بها ذلك الاحترام، و شتّان بين من كان سببا لإظهار موجود لكنّه كامن خفى، و من كان سببا لإنشاء تعظيم و تحريم!!

(و إنّه دعاك لمكّة) بقوله فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ [۳۷/ إبراهيم] فاكتفى صلّى اللّه عليه و سلم بدعاء إبراهيم لها و لم يدع لها مع كونها وطنه.

(و إنّى أدعوك للمدينة) المنوّرة (بمثل ما دعاك به لمكّة و مثله معه)، أى:

مثل ذلك المثل، أى: أدعوك ضعف ما دعاك به إبراهيم لمكّة.

(قال) أى أبو هريرة (: ثمّ يدعو)، أى: ينادى (أصغر وليد يراه)، أى:

أصغر مولود يراه من أهل بيته؛ إن صادفه، و إلّا فمن غيرهم، (فيعطيه)، أى: فيعطى ذلك الوليد (ذلك الثّمر) الذى هو الباكورة لكثرة رغبة الولدان و شدّة تطلّعهم لها.

قال العلماء: و قد استجيبت دعوة الخليل لمكّة، و الحبيب للمدينة، فصار يجبى إليهما من مشارق الأرض و مغاربها ثمرات كلّ شىء.

و إنّما لم يأكل صلّى اللّه عليه و سلم منه!! إشارة إلى أنّ النّفوس الزكية و الأخلاق المرضيّة لا تتشوّف إلى شىء من أنواع الباكورة؛ إلّا بعد عموم الوجود، فيقدر كلّ أحد على تحصيله.

و فيه ۱- أن الآخذ للباكورة يسنّ أن يدعو بهذا الدّعاء.

و ۲- أنّ وقت رؤية الباكورة مظنّة إجابة الدّعاء.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(قال العلماء: و قد استجيبت دعوة الخليل لمكّة) المكرمة فى قوله:

فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِی إِلَيْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) [إبراهيم] يعنى: و ارزقهم من الثّمرات بأن تجلب إليهم من البلاد الشّاسعة لعلّهم يشكرون النّعمة؛ فى أن يرزقوا أنواع الثّمرات حاضرة فى واد ليس لهم فيه نجم «١» و لا شجر؛ و لا ماء.

و لا جرم أنّ اللّه أجاب دعوته و جعله كما أخبر عنه بقوله أَ وَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبى إِلَيْهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٥٧) [القصص]:

(و) استجيبت دعوة (الحبيب) الأعظم صلّى اللّه عليه و سلم (للمدينة) المنورة بأنواره صلّى اللّه عليه و سلم، و ضوعف خيرها؛ (فصار يجبى إليهما)، أى: إلى مكّة و المدينة من زمن الخلفاء الراشدين (من مشارق الأرض و مغاربها ثمرات كلّ شىء).

و زاد عليها- استجابة لقوله: «و مثله معه»- شيئان:

أحدهما: فى ابتداء الأمر؛ و هو كنوز كسرى و قيصر و غيرهما؛ و إنفاقهما فى سبيل اللّه على أهلها.

و ثانيهما: فى آخر الأمر؛ و هو أنّ الإيمان يأرز إليها من الأقطار.

---

(١) ما يقابل الشجر من النبات. و هو كل ما كان صغيرا منه.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٢٣٩

و كان عليه الصّلاة و السّلام يأكل من فاكهة بلده عند مجيئها، و لا يحتمى عنها.

فائدة: قال القسطلانىّ: و هذا من أكبر أسباب الصّحّة، فإنّ اللّه سبحانه و تعالى بحكمته جعل فى كلّ بلد من الفاكهة ما ينتفع به أهلها فى وقته، فيكون تناوله من أسباب صحّتهم و عافيتهم، و يغنى عن كثير من الأدوية، و قلّ من احتمى عن فاكهة بلده خشية السّقم؛ إلّا و هو من أسقم النّاس جسما، و أبعدهم عن الصّحّة و القوّة.

فمن أكل منها ما ينبغى، فى الوقت الّذى ينبغى، على الوجه الّذى ينبغى .. كان له دواء نافعا.

(و) فى «المواهب»: (كان عليه الصّلاة و السّلام يأكل من فاكهة بلده)، أى: ما يتجدّد منها؛ كخوخ و رمّان فى أوانهما، لا بمعناها اللّغوى؛ و هو:

ما يتنعّم بأكله رطبا كان أو يابسا؛ كلوز و بندق يابسين، بدليل قوله (عند مجيئها) أى: وجودها و ظهورها، (و لا يحتمى): يمتنع (عنها) صلى اللّه عليه و سلم.

(فائدة) تقدّم الكلام عليها: (قال) العلّامة (القسطلانىّ) فى «المواهب»:

(و هذا) أى: الأكل من فاكهة بلده عند مجيئها (من أكبر أسباب الصّحّة، فإنّ اللّه سبحانه و تعالى بحكمته جعل فى كلّ بلد من الفاكهة ما ينتفع به أهلها فى وقته، فيكون تناوله من أسباب صحّتهم و عافيتهم، و يغنى عن كثير من الأدوية،

و قلّ)- بمعنى النّفى الصّرف- أى: انتفت الصّحّة عن (من احتمى عن فاكهة بلده خشية السّقم)، فلا يوجد أحد منهم (إلّا و هو من أسقم النّاس جسما، و أبعدهم عن الصّحّة و القوّة). و ليس المراد أن المحتمّين المصابين بالسّقم قليل.

(فمن أكل منها ما ينبغى؛ فى الوقت الّذى ينبغى؛ على الوجه الّذى ينبغى؛ كان له دواء نافعا).

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٢٤٠

....

يؤخذ منه أنّ ما يجلب من الفاكهة؛ كتفّاح من الشّام إلى مصر، لا ينبغى تناوله إلّا بعد معرفة أنّه مما ينبغى تناوله ذلك الوقت، إذ ليس من فاكهة بلده، و جاز أنّ فيه خواصّ تليق بأكله فى محلّه؛ دون ما جلب له.

خاتمة: روى ابن السّنّى و أبو نعيم؛ عن أبى ذر رضى اللّه تعالى عنه:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

أهدى له صلّى اللّه عليه و سلم طبق من تين، فقال: «كلوا، فلو قلت «إنّ فاكهة نزلت من الجنّة بلا عجم»؛ لقلت: هى التّين»، و أنّه يذهب بالبواسير و ينفع من النّقرس.

و لأحمد أنّه صلّى اللّه عليه و سلم دخل بيت سعد بن عبادة؛ فقرب إليه زبيبا فأكل.

و للطّبرانى: أتى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم بسفرجلة من الطّائف، فقال: «كلوه؛ فإنّه يذهب بطخاوة القلب، و يجلو الفؤاد، و يذهب طخاء الصّدر».

و لابن حبان: أتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم برمّان؛ يوم عرفة فأكل.

و للخطيب؛ عن البراء: رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يأكل توتا فى قصعة؛ ذكره الزرقانىّ فى «شرح «المواهب اللّدنيّة» للقسطلانىّ» رحمهم اللّه تعالى أجمعين.

آمين.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۴۱

[الفصل الخامس فى صفة شرابه صلّى اللّه عليه و سلّم و قدحه]

الفصل الخامس فى صفة شرابه صلّى اللّه عليه و سلّم و قدحه عن عائشة أمّ المؤمنين رضى اللّه تعالى عنها قالت: كان أحبّ الشّراب إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم الحلو البارد.

(الفصل الخامس:) من الباب الرّابع (فى) بيان ما ورد من الأخبار فى (صفة شرابه) صلى اللّه عليه و سلم، و الشّراب: ما يشرب من المائعات، يقال: شربت الماء و غيره؛ شربا- بتثليث الشّين لكنّه بالفتح مصدر قياسىّ، و بالضّمّ و الكسر مصدران سماعيّان، خلافا لمن جعلهما اسمى مصدر-.

و فى هذا الفصل بيان الأحاديث الّتى فيها كيفية شربه (صلى اللّه عليه و سلم).

قال فى «المصباح»: الشّرب: مخصوص بالمصّ حقيقة، و يطلق على غيره مجازا.

(و) فى بيان الأخبار الواردة فى (قدحه) صلى اللّه عليه و سلم.

و القدح- بفتحتين-: ما يشرب فيه، و هو إناء لا صغير و لا كبير، و جمعه أقداح؛ كسبب و أسباب.

و كان له صلّى اللّه عليه و سلم قدح يسمّى الرّيان، و آخر يسمّى مغيثا، و قدح مضبّب بسلسلة من فضّة فى ثلاثة مواضع، و آخر من زجاج، و آخر من عيدان- بفتح العين المهملة- و العيدانة: النّخلة السّحوق، و هو الّذى كان يوضع تحت سريره ليبول فيه باللّيل.

و قد تقدّم (عن عائشة أمّ المؤمنين رضى اللّه تعالى عنها؛ قالت:

كان أحبّ الشّراب إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم الحلو البارد)؛ برفع «أحبّ» على أنّه

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۴۲

....

اسم «كان»، و نصب «الحلو البارد» على أنّه خبرها، و قيل: بالعكس.

أخرجه الإمام أحمد و التّرمذى فى «الجامع» و «الشّمائل» فى «الأشربة»؛ عن عائشة، و الحاكم فى «الأطعمة»؛ عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها أيضا.

و تعقّبه الذّهبىّ بأنّه من رواية عبد اللّه بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام، عن أبيه، عن عائشة. و عبد اللّه هالك! فالصّحيح إرساله. انتهى.

و لذا قال التّرمذىّ فى «جامعه»: و الصحيح ما روى عن الزّهرى عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم مرسلا؛ ثمّ يحتمل أن تريد عائشة ب

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

«الحلو البارد»: الماء الحلو العذب؛ كالعيون و الآبار الحلوة، فإنّه كان يستعذب له الماء، و يحتمل أن تريد به الماء الممزوج بالعسل، أو الذى ينقع فيه التّمر أو الزّبيب.

قال ابن القيّم: و الأظهر أنّه يعمّ الثّلاثة جميعا، لأنّه يصدق على الكلّ أنّه ماء حلو.

و كان صلّى اللّه عليه و سلم ينبذ له أوّل اللّيل و يشربه إذا أصبح يومه ذلك و اللّيلة التى تجىء و الغد إلى العصر، فإن بقى منه شىء سقاه الخادم؛ أو أمر به فصبّ. رواه مسلم.

و هذا النّبيذ هو: ماء حلو يطرح فيه تمر يحلّيه، و له نفع عظيم فى زيادة القوّة، و لم يكن يشربه بعد ثلاث؛ خوفا من تغيره إلى الإسكار. فإن لم يتغيّر سقاه الخادم، و إلّا صبّه.

و لا يشكل بأنّ اللّبن كان أحبّ إليه!! لأنّ الكلام فى شراب هو ماء؛ أو فيه ماء.

و أمّا حديث عائشة: كان أحبّ الشّراب إليه العسل. رواه ابن السّنّى و أبو نعيم فى «الطب»؟! فالمراد: الممزوج بالماء، كما يأتى فى الرواية الّتى بعد هذا.

و روى الإمام أحمد: سئل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: أىّ الشّراب أطيب؟ قال: «الحلو البارد»، فإذا جمع الماء الوصفين المذكورين- و هما الحلاوة و البرودة- حفظ

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۴۳

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يشرب العسل الممزوج بالماء البارد.

الصّحّة، و نفع الأرواح و القوى، و الكبد و القلب، و قمع الحرارة و حفظ على البدن رطوباته الأصليّة، و ردّ إليه ما تحلّل منها، و رقّق الغذاء و نفّذه إلى العروق.

و الماء الملح؛ أو السّاخن يفعل ضدّ هذه الأشياء، و تبريد الماء و تحليته لا ينافى كمال الزّهد!! لأنّ فيه مزيد الشّهود لنعم اللّه تعالى، و إخلاص الشّكر له، و لذلك كان سيّدى أبو الحسن الشّاذلى يقول: إذا شربت الماء الحلو أحمد ربّى من وسط قلبى. و ليس فى شرب الماء الملح فضيلة.

و يكره تطييبه بنحو مسك كتطييب الماكل، و لذلك كان صلّى اللّه عليه و سلم يستعمل أنفس الشّراب؛ لا أنفس الطّعام غالبا، و كان صلّى اللّه عليه و سلم يستعذب له الماء من بيوت صحبه، أى: يطلب له الماء العذب من بيوتهم.

(و) فى «المواهب»: (كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يشرب العسل): النحل، إذ هو المراد لغة و طبّا. و فى «القاموس» العسل- محرّكة-: لعاب النّحل.

(الممزوج بالماء البارد).

و قال ابن القيّم: و فى هذا من حفظ الصّحّة ما لا يهتدى إلى معرفته إلّا أفاضل الأطبّاء، لما فيه من التّعديل، فإنّ شرب العسل و لعقه على الريق يزيل البلغم، و يغسل خمل المعدة، و يجلو لزوجتها «۱»، و يدفع عنها الفضلات، و يسخّنها باعتدال، و يفتح سددها «۲»، و الماء البارد رطب يقمع الحرارة و يحفظ البدن، فجمعه مع العسل غاية فى التّعديل. و إنّما يضرّ بالعرض لصاحب الصّفراء!! لحدّته و حدّة الصّفراء، فربّما هيّجها، فدفع ضرره لصاحبها بالخلّ.

قال فى «العارضة»: كان يشرب الماء البارد ممزوجا بالعسل، فيكون حلوا باردا، و كان يشرب اللّبن، و يصبّ عليه الماء حتّى يبرد أسفله.

(۱) شىء كالدهن يتربى على فم المعدة.

(۲) بضم السين المهملة جمع سدة؛ كغرفة و غرف، و هى الحاجز بين الشيئين.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۴۴

و عن جابر: أنّه صلّى اللّه عليه و سلّم دخل على رجل من الأنصار- و معه صاحب له- فسلّم، فردّ الرّجل و هو يحوّل الماء فى حائطه، فقال صلّى اللّه عليه و سلّم: «إن كان عندك ماء بات فى شنّة، و إلّا .. كرعنا»،

و قال فى «العارضة» أيضا: العسل و اللّبن مشروبان عظيمان، سيّما لبن الإبل «۱»، فإنّها تأكل من كلّ الشّجر، و كذا النّحل لا تبقى نورا إلا أكلت منه، فهما مركبان من أشجار مختلفة، و أنواع من النّبات متباينة، فكأنّهما شرابان مطبوخان مصعدان، و لو اجتمع الأوّلون و الآخرون على أن يركّبوا شيئين منهما لما أمكن، فسبحان جامعهما. انتهى نقله المناوى و الزرقانى.

(و) أخرج البخارى فى موضعين فى «الأشربة»، و أبو داود و ابن ماجه فى «الأشربة» أيضا؛ (عن جابر) بن عبد اللّه رضى اللّه تعالى عنهما (أنّه صلّى اللّه عليه و سلم دخل على رجل من الأنصار) بستانه، و هو أبو الهيثم بن التّيهان- جزم به الحافظ ابن حجر فى «المقدمة»، و مرّضه «۲» فى «الشرح»، لأنّ راويه الواقدىّ، و هو متروك-.

(و معه صاحب له) أبو بكر الصدّيق رضى اللّه تعالى عنه (فسلّم)، أى: النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم و صاحبه- كما فى رواية، أى: و سلّم صاحبه- على الرّجل، (فردّ الرّجل) السّلام عليهما- زاد فى رواية للبخارى: و قال: يا رسول اللّه، بأبى أنت و أمّى- و هى ساعة حارّة.

(و هو)- فى رواية: و الرجل- (يحوّل الماء فى حائطه)، أى: ينقله من عمق البئر إلى ظاهرها، أو يجرى الماء من جانب إلى جانب من بستانه؛ ليعمّ أشجاره بالسّقى.

(فقال صلّى اللّه عليه و سلم) للرجل (: «إن كان عندك ماء بات فى شنّة)- بفتح الشّين المعجمة و النّون المشدّدة، و تاء تأنيث-: قربة خلق، و جواب الشّرط محذوف- صرّح به فى رواية ابن ماجه، فقال-: فاسقنا منه، (و إلّا) يكن عندك (كرعنا»)،- بفتح

---

(۱) لعلها: البقر و اللّه أعلم.

(۲) ضعّفه أو شكك فى صحته.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۴۵

فقال: عندى ماء بات فى شنّ، فانطلق إلى العريش فسكب فى قدح ماء، ثمّ حلب عليه من داجن [له]؛ فشرب عليه الصّلاة و السّلام.

الكاف و الرّاء؛ و تكسر- أى: شربنا من غير إناء و لا كفّ؛ بل بالفم.

(فقال: عندى ماء بات فى شنّ)، قال الجوهرى: الشّن و الشّنة: القربة الخلق، و قال الدّاودى: هى الّتى زال شعرها من البلى.

(فانطلق)- بفتحات- أى: النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم و صاحبه مع الرّجل بطلبه (إلى العريش) الموضع المسقف من البستان بالأغصان، و أكثر ما يكون فى الكروم؛ و عليه عشب و ثمام- و فى رواية للبخارى: فانطلق بكسر اللّام و إسكان القاف فانطلق بهما- (فسكب) أى: الرّجل (فى قدح ماء، ثمّ حلب عليه) لبنا (من داجن [له])- بجيم و نون-: شاة تألف البيوت، كما سيأتى للمصنف.

(فشرب عليه الصّلاة و السّلام)، ثمّ شرب الرّجل الذى جاء معه.

و فى رواية أحمد: و شرب النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم و سقى صاحبه، قال الحافظ ابن حجر:

و ظاهره أنّه شرب فضلة النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم. لكن فى رواية لأحمد أيضا و ابن ماجه: ثمّ سقاه، ثمّ صنع لصاحبه مثل ذلك، أى: حلب له أيضا، و سكب عليه من الماء البائت؛ هذا هو الظّاهر، و يحتمل أنّ المثليّة فى مطلق الشّراب. انتهى.

و عورض هذا الحديث بما أخرجه ابن ماجه؛ عن ابن عمر: مررنا على بركة، فجعلنا نكرع فيها، فقال صلّى اللّه عليه و سلم: «لا تكرعوا، و لكن اغسلوا أيديكم ثمّ اشربوا بها ..» الحديث. و فى سنده ضعف، فإن كان محفوظا!! فالنّهى فيه للتّنزيه.

و قوله: و إلّا كرعنا!! لبيان الجواز، أو كان قبل النّهى، أو النّهى فى غير حال الضّرورة، و هذا الفعل كان لضرورة شرب الماء الّذى ليس ببارد، فشرب بالكرع لضرورة العطش؛ لئلّا تكرهه نفسه إذا تكررت الجرع، فقد لا يبلغ الغرض من الرّى. أشار إلى هذا الأخير ابن

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

بطّال.

و إنّما قيل للشّرب بالفم كرع!! لأنّه فعل البهائم لشربها بأفواهها، و الغالب أنّها

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۴۶

و (الشّنّ): الجلد البالى. و (الدّاجن): ما يألف البيوت من الشّياه و نحوها.

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إذا استنّ .. أعطى السّواك الأكبر، ...

تدخل أكارعها حينئذ. و عند ابن ماجه من وجه آخر؛ عن ابن عمر: نهانا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم أن نشرب على بطوننا؛ و هو الكرع. و سنده ضعيف أيضا.

فإن ثبت! احتمل أنّ النّهى خاصّ بهذه الصّورة، و هى أن يكون الشّارب منبطحا على بطنه، و يحمل حديث جابر على الشّرب بالفم من مكان عال لا يحتاج إلى الانبطاح. انتهى «زرقانى».

(و الشّنّ):- جمعه شنان؛ مثل سهم و سهام- هو (الجلد البالى.

(و) أمّا (الدّاجن)- بالدال المهملة و الجيم المكسورة، و آخره نون؛ بوزن العاجن- فهى (: ما يألف البيوت من الشّياه) و الدّجاج و الحمام، (و نحوها)- و الجمع دواجن.

(و) أخرج الحكيم الترمذى فى «نوادر الأصول»؛ عن عبد اللّه بن كعب بن مالك السّلمى- قال فى «التقريب»: يقال له رؤية؛ و لا رواية له اتفاقا، فالحديث مرسل. قال فى العزيزى: و هو حديث حسن-:

(كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم إذا استنّ)؛ أى: تسوّك، أى: استعمل السّواك فى أسنانه- من السّنّ؛ و هو إمرار شىء فيه خشونة على آخر، و منه المسنّ- (أعطى السّواك الأكبر)، الظّاهر أنّ المراد به: الأفضل، و يحتمل الأسنّ، أى: ناوله بعد تسوّكه به إلى أكبر القوم الحاضرين لأنّه توقير له، فيندب تقديم الأكبر فى السّواك و غيره من سائر وجوه الإكرام و التّوقير، و فيه حلّ الاستياك بحضرة الغير؛ قاله المناوى.

و فى العزيزى: قال الشّيخ: و هذا يشعر بجواز دفع السّواك للغير، لكن ينبغى حمله على جواز بكراهة فى شأن غير الشّارع، على أنّه كان يفعل مثل ذلك لبيان الجواز فلا ينافى حينئذ كراهة الاستياك بسواك الغير. انتهى.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۴۷

و إذا شرب .. أعطى الّذى عن يمينه.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يمصّ الماء مصّا، و لا يعبّ عبّا.

و فى الحفنى قوله: أعطى السّواك الأكبر، أى: أكبر الحاضرين؛ و إن لم يكن على يمينه، بخلاف الأكل و الشّرب، فيسنّ البدء بمن على اليمين؛ و لو صغيرا و مفضولا.

و يؤخذ من هذا الحديث عدم كراهة الاستياك بسواك الغير إذا كان بإذنه، و هو كذلك، ففى «شرح محمد رملى»: و لا يكره سواك غيره بإذنه، و يحرم بدونه؛ إن لم يعلم رضاه به. انتهى.

قال على الشّبراملسى: «قوله و لا يكره»؛ أى: لكنّه خلاف الأولى إلّا للتّبرّك، كما فعلته عائشة رضى اللّه تعالى عنها. انتهى.

(و إذا شرب) ماء؛ أو لبنا (أعطى الّذى عن يمينه)؛ و لو مفضولا صغيرا- كما مرّ-.

قال ابن حجر: و ظاهر تخصيص الشّراب أنّ ذلك لا يجرى فى الأكل، لكن وقع فى حديث أنس خلافه. انتهى «مناوى».

(و) فى «الإحياء»: (كان صلّى اللّه عليه و سلم يمصّ الماء)- بضمّ الميم و فتحها، و منهم من يقتصر عليه- (مصّا)- مصدر مؤكّد لما قبله- أى: يأخذه فى مهلة و يشربه شربا رفيقا.

(و لا يعبّ)- بضمّ العين- (عبّا)، أى: لا يشرب بكثرة من غير تنفّس.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

روی البغوی، و الطّبرانی، و ابن عدی، و ابن قانع، و ابن منده، و أبو نعیم فی «الصحابة»، و ابن السّنّی، و أبو نعیم فی «الطّب»؛ من حدیث بهز: کان یستاک عرضا، و یشرب مصّا. و أسانیده کلّها ضعیفة مضطربة.

و روی الطّبرانی؛ من حدیث أمّ سلمة رضی اللّه تعالی عنها:

کان یبدأ بالشّراب إذا کان صائما، و کان لا یعبّ فیشرب مرّتین أو ثلاثا.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۲۴۸

و کان یدفع فضل سؤره إلی من علی یمینه، فإن کان من علی یساره أجلّ رتبة .. قال للّذی علی یمینه: «السّنّة أن تعطی، فإن أحببت .. آثرتهم».

و لأبی الشّیخ؛ من حدیث میمونة: لا یعبّ و لا یلهث. و کلّها ضعیفة.

و روی سعید بن منصور، و ابن السّنّی، و أبو نعیم فی «الطّب»، و البیهقی فی «الشّعب»؛ من مرسل ابن أبی حسین: «إذا شرب أحدکم فلیمصّ مصّا، و لا یعبّ عبّا، فإنّ الکباد من العبّ». و روی أبو داود فی «مراسیله»؛ عن عطاء ابن أبی رباح: «إذا شربتم فاشربوا مصّا، و إذا استکتم فاستاکوا عرضا».

و روی الدّیلمی من حدیث علی: «إذا شربتم الماء فاشربوه مصّا، و لا تشربوه عبّا، فإنّ العبّ یورث الکباد».

و الکباد- بضمّ الکاف و تخفیف الباء-: وجع الکبد، لأنّ مجمع العروق عند الکبد، و منه ینقسم إلی العروق و یتولّد منه السّدد فیقوی البلغم؛ فیورث کسلا عن القیام و العبادة، و هذا من محاسن حکمته علیه الصلاة و السّلام.

قال ابن القیّم: و قد علم بالتجربة أنّ هجوم الماء دفعة واحدة یؤلم الکبد و یضعف حرارتها، بخلاف وروده بالتدریج، أ لا تری أنّ صبّ الماء البارد علی القدر و هی تفور یضرّ، و بالتدریج لا. انتهی.

(و کان) صلی اللّه علیه و سلم (یدفع فضل سؤره)؛ أی: ما بقی من الشراب (إلی من علی یمینه).

قال العراقی: متفق علیه من حدیث أنس رضی اللّه تعالی عنه.

و من ثم قال صلّی اللّه علیه و سلم: «الأیمن فالأیمن» ... أو «الأیمنون فالأیمنون».

و استفید منه تقدیم الأیمن ندبا؛ و لو صغیرا مفضولا.

(فإن کان من علی یساره أجلّ رتبة! قال) النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم (للّذی علی یمینه:

«السّنّة أن تعطی)- بفتح الطّاء المهملة؛ مبنیا للمجهول- (فإن أحببت آثرتهم»)- بفتح التّاء- قال العراقی: متّفق علیه؛ من حدیث سهل بن سعد. انتهی.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۲۴۹

و عن ابن عبّاس رضی اللّه تعالی عنهما قال: دخلت مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم أنا و خالد بن الولید ...

(و) أخرج الإمام أحمد، و أبو داود، و التّرمذی فی «الجامع» و «الشّمائل»- و قال التّرمذیّ: هذا حدیث حسن- و ابن ماجه، و فی ألفاظهم اختلاف بالزّیادة و النّقص- و هذا لفظ «الشّمائل»-؛ کلهم

(عن) عبد اللّه (ابن عبّاس رضی اللّه تعالی عنهما؛ قال:

دخلت مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم أنا)- ضمیر منفصل مؤکّد، أتی به لأجل العطف، کما قال ابن مالک فی «الخلاصة»:

و إن علی ضمیر رفع متّصل عطفت فافصل بالضّمیر المنفصل (و خالد بن الولید) بن المغیرة بن عبد اللّه بن عمرو بن مخزوم بن یقظة بن مرة بن کعب بن لؤی بن غالب، القرشی المخزومی.

أبو سلیمان- و قیل: أبو الولید- سیف اللّه.

أمّه لبابة الصّغری بنت الحارث «أخت میمونة: أمّ المؤمنین رضی اللّه تعالی عنها»؛ و لبابة الکبری امرأة العبّاس.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

أسلم بعد الحديبية، و كانت الحديبية فى ذى القعدة سنة: ستّ من الهجرة.

و شهد غزوة مؤتة، و سمّاه النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم يومئذ «سيف اللّه»، و شهد خيبر و فتح مكّة و حنينا. روى له عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ثمانية عشر حديثا اتفق البخارى و مسلم على حديث.

روى عنه ابن عبّاس، و جابر، و المقدام بن معدى كرب، و أبو أمامة بن سهل؛ الصّحابيّون رضى اللّه تعالى عنهم.

و روى عنه من التّابعين: قيس بن أبى حازم، و أبو وائل، و غيرهما.

و كان من المشهورين بالشّجاعة و الشّرف و الرّئاسة، و ممّن يوزن بألف من الرّجال:

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۵۰

على ميمونة، ...

ممّن بألف يوزن: المقدادخارجة، عبادة الآساد

كذا زبير، و علىّ منهمو خالد فى العدّ أيضا معهم و له الآثار العظيمة المشهورة فى قتال المرتدّين باليمامة، و فى قتال الرّوم بالشّام، و الفرس بالعراق، و افتتح دمشق.

و لما حضرته الوفاة؛ قال: لقد شهدت مائة زحف أو نحوها، و ما فى بدنى موضع شبر؛ إلّا و فيه ضربة أو طعنة أو رمية، و ها أنا أموت على فراشى فلا نامت أعين الجبناء، و ما لى من عمل أرجى من «لا إله إلّا اللّه»؛ و أنا متترّس بها.

و توفى فى خلافة عمر بن الخطاب رضى اللّه تعالى عنهما سنة: إحدى و عشرين هجرية بحمص، و قبره مشهور على نحو ميل من حمص «۱»، و حزن عليه عمر و المسلمون حزنا شديدا رضى اللّه تعالى عنه و عنهم، و عن أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم أجمعين.

(على) أمّ المؤمنين (ميمونة) بنت الحارث بن حزن الهلالية العامريّة، تزوّجها النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم بمكّة سنة ستّ، و قيل: سنة سبع، و بنى بها «۲» فى سرف- بسين مهملة مفتوحة، ثمّ راء مكسورة، ثم فاء-: موضع بين التّنعيم و الوادى فى طريق المدينة المنوّرة على عشرة أميال من مكّة، و قدّر اللّه أنّها ماتت عند قفولها من الحجّ ب «سرف» و هو المكان الّذى بنى بها فيه النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم سنة:- ۵۱- إحدى و خمسين هجرية، و دفنت فيه، فاجتمع فى ذلك المكان الهناء و العزاء.

و بنى على قبرها مسجد يزار و يتبرّك به، ...

---

(۱) هو الآن وسطها.

(۲) الصواب أن يقال بنى عليها. و إنما يقال دخل بها؛ خلاف المشهور. لأن المراد: بنى عليها قبة، و دخل عليها هذه القبة. و اللّه تعالى أعلم.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۵۱

فجاءتنا بإناء من لبن، فشرب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و أنا على يمينه، و خالد عن شماله.

فقال لى: «الشّربة لك، ...

و كان الّذى صلّى إماما بالنّاس على جنازتها ابن عبّاس رضى اللّه تعالى عنهما.

و هى أخت أم الفضل: امرأة العبّاس، و أخت لبابة الصغرى: أمّ خالد، و أخت أسماء بنت عميس، فهى خالة خالد بن الوليد و خالة ابن عبّاس، و هى آخر أزواج النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم.

روى عنها جماعة؛ منهم عبد اللّه بن عبّاس.

روى لها عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم ستّة و أربعون حديثا رضى اللّه تعالى عنها.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(فجاءتنا بإناء) مملوء (من لبن، فشرب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم)؛ أى: منه (و أنا على يمينه، و خالد عن شماله)، أى: و الحال أنّى على يمينه و خالد عن شماله، و تعبيره ب «على» فى الأوّل، و ب «عن» فى الثّانى!! للتّفنّن الّذى هو ارتكاب فنّين من التعبير مع اتّحاد المعنى، فهما هنا بمعنى واحد و هو مجرّد الحضور.

(فقال) أى: النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم (لى)- بفتح الياء و تسكّن-(: «الشّربة لك) أى:

هذه المرّة من الشّرب حقّ لك لأنّك على اليمين، و من على اليمين مقدّم على من على اليسار، فقد ورد: «الأيمن فالأيمن». رواه مالك، و أحمد، و أصحاب الكتب السّتّة؛ عن أنس رضى اللّه تعالى عنه.

و السّرّ فى تقديم من على اليمين على من على اليسار!! أنّ من على اليمين مجاور لملك اليمين الّذى هو حاكم على ملك الشّمال، و تجرى هذه السّنّة- و هى تقديم من على اليمين- فى غير الشّراب كالمأكول و الملبوس و غيرهما؛ كما قاله المهلّب و غيره، خلافا لمالك حيث قال فى الشراب خاصة. و قال ابن عبد البرّ: لا يصحّ عنه.

و أوّله القاضى عياض بأنّ مراده أنّه إنّما جاءت السّنّة بتقديم الأيمن فى الشّرب خاصّة، و غيره إنّما هو بطريق القياس، فالسّنّة البداءة فى الشّرب و نحوه بعد الكبير

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٢٥٢

فإن شئت آثرت بها خالدا».

بمن على يمينه؛ و لو صغيرا مفضولا، و تأخير من على اليسار؛ و لو كبيرا فاضلا!! بل ذهب ابن حزم إلى وجوب ذلك، فقال: لا تجوز البداءة بغير الأيمن إلّا بإذنه.

فإن قيل: يعارض ما تقدّم ما رواه أبو يعلى؛ عن الحبر ابن عبّاس بإسناد صحيح: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم إذا سقى قال: «ابدءوا بالأكبر» أو قال: بالأكابر».

أجيب: بأنّ ذلك محمول على ما إذا لم يكن عن يمينه أحد، بل كان الجميع أمامه؛ أو وراءه.

(فإن شئت آثرت بها خالدا»)- بفتح التّاء فيها و مدّ الهمزة-؛ من آثرت.

يقال: آثرته- بالمدّ-: فضّلته و قدّمته، لأنّ الإيثار معناه: التّفضيل و التّقديم، و أما استأثر بالشّىء! فمعناه: استبدّ به؛ كما فى «المصباح» و غيره.

و فى تفويض الإيثار إلى مشيئته تطييب لخاطره، و تنبيه على أنّه ينبغى له إيثار خالد؛ لكونه أكبر منه.

و هذا ليس من الإيثار فى القرب المكروه، على أنّ الكراهة محلّها حيث آثر من ليس أحقّ منه؛ بأن كان مساويا له و أقلّ منه، أمّا إذا آثر من هو أحقّ منه!! كأن آثر من هو أحقّ منه بالإمامة!! فليس مكروها.

فإن قيل: قد استأذن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم الأيمن فى هذا الخبر، و لم يستأذن أعرابيّا عن يمينه؛ و الصّدّيق عن يساره فى قصة نحو هذه!؟.

أجيب: بأنّه إنّما استأذن هنا ثقة بطيب نفس ابن عباس بأصل الاستئذان، لا سيّما و خالد قريبه، مع رئاسته فى قومه، و شرف نسبه بينهم، و قرب عهده بالإسلام، فأراد صلّى اللّه عليه و سلم تطييب خاطره، و تألّفه بذلك.

و أمّا الصّدّيق- رضى اللّه تعالى عنه- فإنّه مطمئنّ الخاطر؛ راض بكل ما يفعله المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم، لا يتغيّر و لا يتأثّر، و لا ينقص ذلك بمقام الصّدّيق، و لا يخرجه عن فضيلته الّتى أولاه اللّه إيّاها، لأنّ الفضيلة إنّما هى فيما بين العبد و ربّه، لا فيما بينه و بين الخلق.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٢٥٣

فقلت: ما كنت لأوثر على سؤرك أحدا.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

ثمّ قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «من أطعمه اللّه طعاما .. فليقل: ...

(فقلت: ما كنت لأوثر)- بكسر اللّام و نصب الفعل، كما فى قوله تعالى وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ [٣٣/ الأنفال]-.

(على سؤرك أحدا) السؤر- بضمّ السّين و سكون الهمزة، و قد تبدل واوا-:

ما بقى من الشّراب. و المعنى: لا ينبغى أن أقدّم على ما بقى من شرابك أحدا غيرى يفوز به؛ لما فيه من البركة، و لا يضرّ عدم إيثاره لذلك، و لهذا أقرّه المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم.

و كذا نقل عن بعض الصّحابة أنّه لما أقرع النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم بين رجل و ولده فى الخروج للجهاد فخرجت القرعة للولد؛ فقال له أبوه: آثرنى، فقال: يا أبت لا يؤثر بالجنّة أحد أحدا أبدا!! فأقرّه النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم على ذلك، مع أنّ برّ الوالدين متأكّد، لكن على ما أحكمته السّنة؛ دون غيره.

و يؤخذ من هذا الحديث: أنّ من سبق إلى مجلس عالم أو كبير و جلس بمجلس عال لا ينقل منه لمجىء من هو أفضل منه، فيجلس ذلك الجائى حيث ينتهى به المجلس؛ و لو دون مجلس من هو دونه.

(ثمّ قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «من أطعمه اللّه طعاما؛ فليقل) ندبا مؤكّدا حال الشروع فى الأكل، فإن لم يقل ذلك حال الشّروع فى الأكل؛ فليأت به بعده، و يقدم عليه حينئذ صيغة الحمد، نحو قوله «الحمد للّه الذى أطعمنا و سقانا و جعلنا مسلمين»، كذا قاله الباجورى، تبعا للمناوى التّابع لابن حجر الهيتمى.

و قال ملّا على قارى فى «جمع الوسائل»: ليقل ندبا بعد أكله و الحمد عليه.

و أما قول ابن حجر «فليقل حال الأكل، فإن أخّره إلى ما بعده! فالأولى أن يكون بعد الحمد كما هو ظاهر»!! فليس بظاهر، لأنّ حال الأكل لا يقال «أطعمنا خيرا منه، أو زدنا منه»؛ كما هو ظاهر. انتهى.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٢٥۴

(اللّهمّ؛ بارك لنا فيه، و أطعمنا خيرا منه)، و من سقاه اللّه لبنا ..

فليقل: (اللّهمّ؛ بارك لنا فيه، و زدنا منه).

ثمّ قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «ليس شىء يجزئ مكان الطّعام و الشّراب غير اللّبن».

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يشرب قاعدا، و كان ذلك عادته ...

(: اللّهمّ؛ بارك لنا فيه، و أطعمنا خيرا منه)، الظّاهر أنّه يأتى بهذا اللّفظ المذكور؛ و إن كان وحده، بل و إن كان امرأة؛ رعاية للّفظ الوارد، و ملاحظة لعموم الإخوان من المسلمين.

(و من سقاه اللّه لبنا؛ فليقل) حال الشّروع فى الشّرب؛ كما تقدم

(: اللّهمّ؛ بارك لنا فيه، و زدنا منه») أى: من جنس اللّبن الّذى شربنا منه، و لم يقل- على قياس ما سبق- «و اسقنا خيرا منه»!! لأنّه لا خير من اللّبن، بخلاف بقيّة الأطعمة؛ لأنّ اللّبن يجزى مكان الطّعام و الشّراب؛ و لا كذلك غيره، فهو خير من سائر الأطعمة و ليس فيها خير منه.

و أشار المصنّف إلى دليله بقوله: (ثمّ قال) أى: ابن عبّاس: (قال: رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «ليس شىء يجزئ)- بضمّ أوّله و همزة فى آخره؛ من الإجزاء- أى:

لا يقوم، و لا يغنى شىء (مكان الطّعام و الشّراب؛ غير اللّبن»)- بنصب «غير» على الاستثناء، أو بالرّفع على البدل- يعنى: لا يكفى فى دفع الجوع و العطش معا شىء واحد؛ إلا اللّبن، فإنّه يقوم مقام الطّعام و الشّراب، لكونه يغذّى و يسكّن العطش.

و بذلك يعلم أنّ سائر الأشربة لا تلحق باللّبن فى ذلك، بل بالطّعام.

و حكمة الدّعاء حين الطّعام و الشّراب: إسناد ذلك إلى اللّه سبحانه و تعالى، و رفع مدخليّة غيره فى ذلك.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم يشرب قاعدا، و كان ذلك عادته) المستمرّة.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۵۵

رواه مسلم. و فى رواية له أيضا: أنّه نهى عن الشّرب قائما.

و عن ابن عبّاس رضى اللّه تعالى عنهما أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم شرب من زمزم و هو قائم.

(رواه) الإمام (مسلم) فى «صحيحه».

(و فى رواية له أيضا) من حديث قتادة عن أنس رضى اللّه تعالى عنه (أنّه) صلى اللّه عليه و سلم (نهى)- و لمسلم أيضا: زجر- (عن الشّرب قائما).

قال قتادة: فقلنا: فالأكل!؟ قال: «ذلك أشرّ و أخبث»؛ هذا بقيّته فى «مسلم».

و كذا رواه أبو داود و التّرمذى- و فى رواية لمسلم أيضا- عن عمر بن حمزة:

أخبرنى أبو غطفان المرّى؛ عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه؛ عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم:

«لا يشربنّ أحدكم قائما، فمن نسى فليستقئ».

(و) فى «الصحيحين» و غيرهما: (عن ابن عبّاس رضى اللّه تعالى عنهما؛ أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم شرب من) ماء (زمزم)- و لفظه: أتيت النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم بدلو من ماء زمزم فى حجّة الوداع؛ فشرب- (و هو قائم).

و فى حديث على بن أبى طالب عند البخارىّ: أنّ عليّا شرب و هو قائم فضل وضوئه، و كان فى رحبة الكوفة، ثمّ قال: إنّ أناسا يكرهون الشّرب قائما، و إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم صنع مثل ما صنعت.

و لأحمد عن على أنّه شرب قائما فرأى النّاس كأنّهم أنكروه؛ فقال: ما تنظرون أن أشرب قائما!! فلقد رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يشرب قائما، و إن شربت قاعدا؛ فقد رأيته يشرب قاعدا!!

و كلّ هذه الأحاديث صحيحة؛ خلافا لمن أشار إلى تضعيف أحاديث النّهى، و لا إشكال فيها، و لا تعارض.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۵۶

....

و غلط من زعم أنّ فيها نسخا، و كيف يصار للنّسخ مع إمكان الجمع بين الأحاديث، و النّسخ إنّما يكون لو ثبت التّاريخ. و أنّى له بذلك!!

و الصّواب أنّ النّهى محمول على كراهة التّنزيه.

و أمّا شربه صلّى اللّه عليه و سلم قائما! فلبيان الجواز، أو لأنّه لم يجد محلّا للقعود؛ لازدحام النّاس على زمزم، أو ليرى النّاس أنّه غير صائم، أو لابتلال المحلّ.

فإن قلت: كيف يكون الشّرب قائما مكروها؛ و قد فعله صلّى اللّه عليه و سلم؟!.

فالجواب: أنّ فعله صلّى اللّه عليه و سلم إذا كان بيانا للجواز لم يكن مكروها فى حقّه؛ بل البيان واجب عليه، فيثاب عليه صلّى اللّه عليه و سلم ثواب الواجب.

قال النّووىّ: و قد ثبت أنّه توضّأ مرة مرّة، و طاف على بعيره؛ مع أنّ الإجماع على أنّ الوضوء ثلاثا و الطواف ماشيا أكمل!! و نظائر هذا لا تنحصر.

و كان ينبّه على جواز الشّى‌ء مرّة أو مرّات، و يواظب على الأفضل، و لذا كان أكثر وضوئه ثلاثا، و أكثر طوافه ماشيا، و أكثر شربه جالسا؛ و هذا واضح، فلا يتشكّك فيه من له نسبة إلى علم.

و أمّا قوله عليه الصلاة و السلام «فمن نسى فليستقئ»!! محمول على الاستحباب و النّدب، فيستحبّ لمن شرب قائما أن يتقيّأ، لهذا

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

الحديث الصّحيح؛ سواء كان ناسيا؛ أو لا. قاله النّووى.

و قالت: المالكيّة: يجوز الشّراب قائما؛ و بالجواز صرّح ابن رشد من أئمّتهم، لصحّة الأدلّة [و لأنها] أقوى من أحاديث النّهى!!

فإنّهم استدلوا لذلك بحديث جبير بن مطعم الصّحابى؛ قال: رأيت أبا بكر الصّديق يشرب قائما و هو من أشد النّاس بعدا عن المكروه.

و استدلّوا بقول مالك: إنّه بلغه عن عمر بن الخطاب و عثمان و على رضى اللّه تعالى عنهم أنّهم كانوا يشربون قياما؛ و بلاغات مالك ليست من الضّعيف؛ لأنّها تتبعت كلّها فوجدت موصولة.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۵۷

....

و هذا يؤيّد الجواز بلا كراهة، و قد صحّ: «عليكم بسنّة الخلفاء الراشدين من بعدى، عضّوا عليها بالنّواجذ»، و «و اقتدوا باللّذين من بعدى أبى بكر و عمر»!!.

قال صاحب «المفهم»: لم يذهب أحد إلى أنّ النّهى فى الحديث للتّحريم، و لا التفات لابن حزم! و إنّما حمل على الكراهة؛ و الجمهور على عدمها، فمن السّلف الخلفاء الأربعة، ثمّ مالك؛ تمسّكا بشربه [صلى اللّه عليه و سلم] من زمزم قائما، و كأنّهم رأوه متأخّرا عن النّهى، فإنّه فى حجّة الوداع؛ فهو ناسخ، و حقّق ذلك فعل خلفائه بخلاف النّهى، و يبعد خفاؤه عليهم مع شدّة ملازمتهم له و تشدّدهم فى الدّين.

و هذا؛ و إن لم يصلح دليلا للنّسخ يصلح لترجيح أحد الحديثين!! انتهى.

و أجاب المالكية عن حديث أبى هريرة: «لا يشربنّ أحدكم قائما، فمن نسى فليستقئ» بأجوبة منها: قول المازرى: قال بعض شيوخنا: «لعلّ النّهى ينصرف لمن أتى أصحابه بماء، فبادر لشربه قائما»!! قال: و أيضا فالأمر بالاستقاء لا خلاف بين أهل العلم أنّه ليس على أحد أن يستقى، قال: و الأظهر لى أن أحاديث شربه قائما تدلّ على الجواز، و أحاديث النّهى تحمل على الاستحباب، و الحثّ على ما هو أولى و أكمل؛ لأنّ فى الشّرب قائما ضررا ما، فكره من أجله.

و فعله صلّى اللّه عليه و سلم!! لأمنه من الضّرر الحاصل لغيره، قال: و على هذا الثّانى يحمل قوله: «فمن نسى فليستقئ» على أنّ ذلك يحرّك خلطا يكون القىء دواءه، و عليه فالنّهى طبّى إرشادىّ.

و يؤيّده قول إبراهيم النّخعى: «إنّما نهى عن ذلك لداء البطن»!. انتهى كلام المازرى.

قال ابن القيّم: و للشّرب قائما آفات عديدة؛

منها: أنّه ينزل بسرعة إلى المعدة؛ فيخشى منه أن يبرّد حرارتها.

و منها: أنّه يسرع النّفوذ إلى أسافل البدن بغير تدريج؛ لعدم استقراره فى المعدة، و كلّ هذا يضرّ بالشّارب قائما، فإذا فعله نادرا لم يضرّه، و كذا لحاجة!

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۵۸

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا أراد أن يتحف الرّجل بتحفة ..

سقاه من ماء زمزم.

قال- أعنى ابن القيم-: و لا يعترض على هذا بالعوائد، فإنّها لها طبائع ثوان و أحكام أخرى، و هى بمنزلة الخارج عن القياس عند الفقهاء. انتهى.

قال ابن العربى: و للمرء ثمانية أحوال: قائم، و ماش، مستند، راكع، ساجد، متّكئ، قاعد، مضطجع، كلّها يمكن الشّرب فيها. و أهنؤها و أكثرها استعمالا القعود، و أمّا القيام! فنهى عنه لأذيّته للبدن. انتهى.

و للحافظ ابن حجر- و قيل: للحافظ السيوطى- «۱»:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

إذا رمت تشرب فاقعد تفزبسنّة صفوة أهل الحجاز

و قد صحّحوا شربه قائماو لكنّه لبيان الجواز (و) أخرج أبو نعيم فى «الحلية»؛ عن ابن عبّاس رضى اللّه تعالى عنهما- قال «العزيزى»: قال الشّيخ حديث حسن. انتهى. قال المناوىّ: و خرّجه الفاكهى فى «تاريخ مكّة»: موقوفا بسند على شرط الشّيخين-:

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم إذا أراد أن يتحف)- بضمّ أوّله، من أتحف- (الرّجل بتحفة)- بسكون الحاء؛ و قد تفتح، قال العلقمى: التّحفة: طرفة الفاكهة، و تستعمل فى غيرها. و قال فى «المصباح»: التّحفة: ما أتحفت به غيرك- (سقاه من ماء زمزم) لجموم فضائله و عموم فوائده، و مدحه فى الكتب الإلهيّة.

قال وهب: إنّكم لا تدرون ماء زمزم!! و اللّه؛ إنّها لفى كتاب اللّه.- أى:

«التّوراة»-: «المضنونة، و برة، و شراب الأبرار؛ لا تنزف و لا تذمّ، طعام من طعم، و شفاء من سقم، لا يعمد إليها امرؤ فيتضلّع منها إلّا نفت ما به من داء، و أحدثت له شفاء، و النّظر إلى زمزم عبادة، تحطّ الخطايا حطّا» «۲». رواه عبد الرّزّاق و ابن منصور بسند فيه انقطاع.

---

(۱) بل هى للحافظ ابن حجر قطعا؛ لأنه أنشدها لنفسه و عزاها إليه الإمام ابن علان فى «شرح الأذكار».

(۲) انظر بداية الجزء الرابع عند قوله صلّى اللّه عليه و سلم «ماء زمزم لما شرب له».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۵۹

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يحمل ماء زمزم.

و عن عبد اللّه بن عمرو بن العاصى رضى اللّه تعالى عنهما قال:

رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ...

(و) أخرج التّرمذى، و الحاكم؛ عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها:

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم يحمل ماء زمزم) من مكّة إلى المدينة، و يهديه لأصحابه، و كان يستهديه من أهل مكّة، فيسنّ فعل ذلك.

(و) أخرج التّرمذى فى «الشّمائل»؛ (عن) أبى عبد الرحمن- و قيل: منتهى السؤل، اللحجى ج۲ ۲۵۹ الفصل الخامس فى صفة شرابه صلى الله عليه و سلم و قدحه ..... ص : ۲۴۱

ى نصير؛ بضمّ النون- (عبد اللّه بن عمرو بن العاص) بن وائل بن هاشم بن سعيد- بضم السّين و فتح العين- ابن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى السّهمى، الزّاهد العابد، الصّحابى بن الصّحابى (رضى اللّه تعالى عنهما).

كان بينه و بين أبيه فى السّن اثنتا عشرة سنة،- و قيل: إحدى عشرة سنة-.

و أمّه ريطة بنت منبّه، بن الحجّاج بن عامر بن حذيفة بن سعيد بن سهم.

أسلمت. و كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم يقول فى حقه: «نعم أهل البيت: عبد اللّه، و أبو عبد اللّه، و أمّ عبد اللّه» أخرجه أحمد، و أبو يعلى؛ عن طلحة رضى اللّه تعالى عنه؛

أسلم عبد اللّه قبل أبيه، و كان كثير العلم، مجتهدا فى العبادة؛ تلّاء للقرآن.

و كان أكثر النّاس أخذا للحديث و العلم عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم.

روى له عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم سبعمائة حديث؛ اتّفق البخارىّ و مسلم على سبعة عشر منها، و انفرد البخارى بثمانية، و انفرد مسلم بعشرين، و شهد مع أبيه فتح الشّام، و كانت معه راية أبيه يوم اليرموك، و توفّى سنة:- ۶۳- ثلاث و ستين.

و قيل غير ذلك، و كان عمره اثنتين و سبعين سنة.

(قال: رأيت) أى: أبصرت (رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم) مفعول «رأيت»، و جملة

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۶۰

يشرب قائما و قاعدا.

و عن النّزّال بن سبرة قال: أتى علىّ بكوز من ماء و هو فى الرّحبة، فأخذ منه كفّا فغسل يديه، و مضمض، ...

(يشرب) حال، و (قائما و قاعدا) حالان من فاعل «يشرب».

و المراد أنّه رآه مرّة يشرب قائما و رآه مرّة يشرب قاعدا، لا أنّه رآه مرّة واحدة يشرب قائما و قاعدا، كما يوهمه ظاهر العبارة؛ فيكون قد جمع فى مرّة واحدة بين القيام و القعود، و هو خلاف المراد.

و حيث كان الغالب من فعله صلّى اللّه عليه و سلم الشّرب قاعدا، و شربه قائما إنّما كان نادرا؛ لبيان الجواز!! كان تقديم القيام فى نحو هذا الحديث للاهتمام بالردّ على المنكر لذلك؛ لا لكثرته كما وهم.

(و) أخرج التّرمذى فى «الشّمائل» (عن النّزّال)- بفتح النّون و تشديد الزّاى- (بن سبرة)- بفتح السّين و سكون الباء الموحّدة و فتح الراء؛ آخره تاء تأنيث- الهلالىّ العامرىّ الكوفى. قيل: له صحبة، خرّج له الجماعة غير مسلم، روى عن أبى بكر و عثمان و على، و عنه الشّعبى و الضّحّاك. وثّقه العجلى.

(قال: أتى علىّ) رضى اللّه تعالى عنه (بكوز من ماء؛ و هو فى الرّحبة) أى:

و الحال أنّه فى الرّحبة- أى: رحبة الكوفة- كان يقعد فيها للحكم أو للوعظ، أو فى رحبة المسجد؛- و هى بفتح الرّاء و الحاء المهملة، و قد تسكن-: المكان المتّسع، و رحبة المسجد منه؛ فلها حكمه ما لم يعلم حدوثها، و هى المحوط عليه لأجله؛ و إن لم يعلم دخولها فى وقفه. بخلاف حريمه؛ فليس له حكمه، و الحريم ما تلقى فيه قمامات المسجد؛ و ليس منه.

(فأخذ منه)، أى: من الماء الذى فى الكوز (كفّا)، أى: ملء كفّ من الماء (فغسل يديه) إلى رسغيه، (و مضمض).

قال العصام: الظّاهر أنّه عطف على «غسل»، فتكون المضمضة و الاستنشاق

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۶۱

و استنشق، و مسح وجهه و ذراعيه و رأسه، ثمّ شرب و هو قائم، ثمّ قال: هذا ...

و غسل اليدين و مسح الوجه و الذّراعين و الرّأس، و كذا مسح الرّجلين- كما وقع فى رواية- من كفّ واحدة. قال: و لا صارف عنه.

و تعقّب؛ بأنّه لا صارف أقوى من استبعاد ذلك من كفّ واحد من طريق النّقل الشّرعى و الفعل العرفى، إذ ملء الكفّ لا يحصل منه ما ذكر؛ خصوصا مع قوله «فغسل يديه»! لأنّه إذا غسلهما بما فى كفّه لم يبق شىء يتمضمض به، و يفعل منه ما ذكر بعد المضمضة، فالصّواب أنّه عطف على «أخذ».

و كذا قوله (و استنشق؛ و مسح وجهه و ذراعيه): يحتمل أنّ المراد بالمسح حقيقته، و هو: إمرار الماء من غير سيلان له على العضو، و عليه فالمراد بالوضوء: الوضوء اللّغوى، و هو مطلق التّنظيف.

و يؤيّده عدم ذكر الرّجلين فى هذه الرّواية. و يحتمل أنّ المراد به: الغسل الخفيف، و عليه، فالمراد بالوضوء: الوضوء الشّرعى.

و يؤيّده ما فى بعض الرّوايات الصّحيحة أنّه غسل الوجه و الذّراعين مع ذكر الرّجلين. و يمكن الجمع بين الرّوايات على الاحتمال الأوّل بأنّ الواقعة تعدّدت منه رضى اللّه تعالى عنه.

(و رأسه) أى: مسح رأسه كلّه؛ أو بعضه، و فى رواية: و رجليه، أى:

و مسح رجليه. على الاحتمالين السّابقين- أعنى: احتمال إرادة حقيقة المسح و إرادة الغسل الخفيف- و فى رواية: و غسل رجليه.

(ثمّ شرب) أى: منه، أى: من فضل ماء وضوئه.

و تعبيره ب «ثم»!! لإفادة التّراخى الرّتبى؛ لأنّ ما سبق وضوء، و هذا شرب ماء لدفع عطش.

(و هو قائم) حال. (ثمّ قال: هذا)- أى: ما ذكر، و الإشارة لما عدا

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۶۲

وضوء من لم يحدث، هكذا رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فعل.

و عن كبشة رضى اللّه تعالى عنها قالت: دخل علىّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم، فشرب من فى قربة ...

الشّرب- (وضوء من لم يحدث). أى: بل أراد التّنظيف على احتمال إرادة حقيقة المسح، أو التّجديد على احتمال إرادة الغسل، و أما وضوء المحدث! فمعلوم بشرائط معلومة.

(هكذا رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فعل)، أى: رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فعل مثل هذا، و من بعض المشار إليه الشّرب قائما، و هذا هو السّبب فى إيراد الحديث فى هذا الباب.

و يؤخذ من الحديث أنّ الشّرب من فضل وضوئه مستحبّ؛ أخذا من فعله صلّى اللّه عليه و سلم، كما يدلّ له فعل علىّ رضى اللّه تعالى عنه، و إن كان الشّرب قائما لبيان الجواز؛ فليس سنّة، بل تركه أفضل، خلافا لمن زعم أنّه سنة.

(و) أخرج التّرمذىّ فى «الجامع» و «الشّمائل»- و قال: حديث حسن غريب صحيح- و ابن ماجه، و اللفظ ل «الشّمائل»

(عن كبشة)- بفتح الكاف و سكون الموحدة فشين معجمة- بنت ثابت بن المنذر بن حرام، أخت حسّان لأبيه، من بنى مالك بن النجار، لها صحبة و حديث، و يقال فيها: كبيشة- بالتصغير- (رضى اللّه تعالى عنها؛

قالت: دخل علىّ)- بتشديد الياء- أى: فى بيتى (النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، فشرب من فى)، أى: من فم (قربة)- بكسر القاف- معروفة.

و لا ينافى ذلك ۱- ما ورد من نهيه صلّى اللّه عليه و سلم عن الشّرب من فم السّقاء- على ما رواه البخارى و غيره؛ عن أنس- و ۲- ما ورد من نهيه عن اختناث الأسقية- على ما رواه الشيخان و غيرهما؛ عن أبى سعيد- و هو أن يقلب رأسها ثمّ يشرب منه؛ لأنّ فعله صلّى اللّه عليه و سلم للشّرب من فم القربة لبيان الجواز أو للضّرورة، و نهيه عنه لبيان الأفضل

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۶۳

معلّقة قائما، فقمت إلى فيها فقطعته- أى: قطعت فم القربة للتّبرّك و الاستشفاء.

و وقع مثل ذلك لأمّ سليم رضى اللّه تعالى عنها.

و الأكمل، فهو للتّنزيه (معلّقة قائما)، لبيان الجواز، أو لعدم إمكان الشّرب منها قاعدا.

(فقمت) قاصدة (إلى فيها) أى: إلى فمها، (فقطعته). قال المصنف:

(أى: قطعت فم القربة للتّبرّك و الاستشفاء)، أو لعدم الابتذال، و لا مانع من الجمع.

قال النّووى فى «شرح مسلم» فى تفسير هذا الحديث؛ ناقلا عن التّرمذى:

و قطعها فم القربة لوجهين، أحدهما: أن تصون موضعا أصابه فم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم عن أن يبتذل، و يمسّه كلّ أحد.

و الثانى: أن تحفظه للتّبرك به و الاستشفاء.

و هذا الحديث يدلّ على أنّ النّهى ليس للتّحريم. انتهى.

(و وقع مثل ذلك) القطع للتبرّك و الاستشفاء (لأمّ سليم) سهلة، و قيل:

رملة، و قيل: مليكة، و قيل: أنيسة، و قيل: رميثة، و قيل: الرّميصاء بنت ملحان- بكسر الميم- ابن خالد بن زيد بن حرام بن جندب الأنصاريّة؛ أم أنس بن مالك، «خادم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم»؛

و كانت أم سليم هذه هى و أختها خالتين لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم من جهة الرضاع.

و كانت من فاضلات الصّحابيّات، و كانت تحت أبى طلحة.

روت عن النّبى صلّى اللّه عليه و سلم عدّة أحاديث، روى عنها: ابنها أنس، و ابن عبّاس، و زيد بن ثابت، و أبو سلمة بن عبد الرحمن،

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و آخرون.

(رضی اللّه تعالی عنها)، و ذلک فیما أخرجه التّرمذی فی «الشّمائل»، و أبو الشّیخ فی «الأخلاق» و اللفظ له؛ عن أنس رضی اللّه عنه، قال:

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۲۶۴

و کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم لا ینفخ فی طعام و لا شراب، و لا یتنفّس فی الإناء.

و کان صلّی اللّه علیه و سلّم إذا شرب .. تنفّس ثلاثا، و یقول:

«هو أهنأ، ...

دخل النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم علی أمّ سلیم؛ فرأی قربة معلّقة فیها ماء، فشرب منها- و لفظ «الشّمائل»: فشرب من فم القربة- و هو قائم، فقامت أمّ سلیم إلیها- و لفظ «الشّمائل» إلی رأس القربة- فقطعتها بعد شرب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم منها، و قالت: لا یشرب منها أحد بعد شرب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم.

(و) أخرج ابن ماجه و الطّبرانی بإسناد حسن؛ عن ابن عبّاس رضی اللّه تعالی عنهما، قال: (کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم لا ینفخ فی طعام و لا شراب).

بل إذا کان الطّعام حارا صبر حتّی یبرد، و إذا کان فیه نحو ذبابة أخرجها بنحو أصبعه أو عود، و لا ینفخ فی الطّعام لإخراجها أو لتبریده؛ لأنّ ذلک مما تعافه الأنفس، و لربّما خرج من ریقه شیء فی الطعام.

و ذلک تعلیم للأمّة، و إلّا! فنفسه الشّریف و ریقه ممّا یستشفی به.

(و) کان (لا یتنفّس فی الإناء)، أی: لا یتنفّس فی جوف الإناء؛ لأنّه یغیر الماء: إمّا لتغیّر الفم بالمأکول، و إمّا لترک السّواک، و إمّا لأنّ النّفس یصعد ببخار المعدة.

(و) أخرج الشیخان و الأربعة، و أحمد، بألفاظ مختلفة بالزیادة و النّقص، و هذا لفظ أبی داود عن أنس رضی اللّه تعالی عنه، قال: (کان) رسول اللّه (صلی اللّه علیه و سلم إذا شرب تنفّس) خارج الإناء (ثلاثا) من المرّات، کان یسمّی اللّه فی أوّل کلّ مرّة و یحمده فی آخرها؛ کما جاء مصرّحا به فی روایة.

(و یقول: «هو)- أی: الشّرب بثلاث دفعات- (أهنأ)- بالهمز؛ من الهناء- و هو: خلوص الشّیء عن النّصب و النّکد، و فی روایة بدله: أروی من الرّی

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۲۶۵

و امرأ، و أبرأ».

و کان صلّی اللّه علیه و سلّم إذا شرب .. تنفّس مرّتین، و ربّما کان یشرب بنفس واحد حتّی یفرغ.

- بکسر الرّاء-؛ أی: أکثر ریّا. (و امرأ)- بالهمز-: أقمع للظّمإ، و أقوی علی الهضم، (و أبرأ»)- بالهمز- من البراءة، أو البراء، أی: أکثر صحّة للبدن.

(و) أخرج التّرمذی؛ عن ابن عباس رضی اللّه تعالی عنهما، قال:

(کان) رسول اللّه (صلی اللّه علیه و سلم إذا شرب تنفّس مرّتین). و إسناده ضعیف- کما فی «الفتح»- لکن له شواهد، و فعله فی بعض الأحیان! لجواز النّقص عن ثلاث.

و للتّرمذیّ بسند ضعیف أیضا- کما قال الحافظ- عن ابن عبّاس رضی اللّه تعالی عنهما: لا تشربوا واحدة کشرب البعیر، و لکن اشربوا مثنی و ثلاث، و سمّوا إذا أنتم شربتم، و احمدوا إذا أنتم رفعتم.

قال التّرمذی: فیه أنّه لا بأس بالشّرب فی نفسین؛ و إن کان الأولی کونه ثلاثا.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و قال العراقیّ: فیه الاقتصار علی مرّتین إذا حصل الاکتفاء بهما، لکن ینبغی أن یزید ثالثهٔ؛ و إن اکتفی بمرّتین.

و أجاب الحافظ ابن حجر عن الحدیثین بأنّهما لیسا نصّیا فی الاقتصار علی مرّتین، بل یحتمل أنّه أراد مرّتی التّنفّس الواقعتین أثناء الشّرب، و أسقط الثّالثهٔ! لأنّها بعد الشّرب، فهی من ضرورهٔ الواقع.

(و) فی «الإحیاء»: (ربّما کان یشرب بنفس واحد حتّی یفرغ).

رواه أبو الشّیخ بسند ضعیف؛ عن زید بن أرقم أنّه صلّی اللّه علیه و سلم کان شربه بنفس واحد.

و للحاکم، و صحّحه؛ عن أبی قتادهٔ مرفوعا: «إذا شرب أحدکم فلیشرب بنفس واحد». لکن قال الزّین العراقی: هذان الحدیثان محمولان علی ترک التّنفّس فی الإناء.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۲۶۶

و کان صلّی اللّه علیه و سلّم یشرب فی ثلاثهٔ أنفاس، و إذا أدنی الإناء إلی فیه .. سمّی اللّه تعالی، و إذا أخّره .. حمد اللّه تعالی.

(یفعل ذلک ثلاثا).

و کان صلّی اللّه علیه و سلّم لا یتنفّس فی الإناء، بل ینحرف عنه.

(و) أخرج الطّبرانی فی «الکبیر» و «الأوسط»؛ عن أبی هریرهٔ رضی اللّه تعالی عنه قال: (کان) رسول اللّه (صلی اللّه علیه و سلم یشرب فی ثلاثهٔ أنفاس، و إذا أدنی)؛ أی قرّب (الإناء إلی فیه سمّی اللّه تعالی، و إذا أخّره) عن فیه (حمد اللّه تعالی. یفعل ذلک ثلاثا). أی: ثلاث مرّات.

و روی عبد بن حمید؛ عن ابن عبّاس رضی اللّه تعالی عنهما؛ قال:

رأیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم یشرب فی ثلاثهٔ أنفاس، فقلت: تشرب الماء فی ثلاثهٔ أنفاس؟! فقال: «هو الشّفاء، و أبرأ و امرأ».

و روی البزّار و الطّبرانی؛ عن ابن مسعود رضی اللّه تعالی عنه قال:

کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم إذا شرب تنفّس فی الإناء ثلاثا؛ یحمد اللّه علی کلّ نفس، و یشکره عند آخرهنّ.

قوله: «تنفّس فی الإناء ثلاثا»؛ معناه: أنّه یشرب ثمّ یزیله عن فمه و یتنفّس، ثمّ یشرب؛ ثمّ یفعل کذلک، ثمّ یشرب، ثمّ یفعل کذلک.

و روی الطّبرانی، و ابن السّنّی؛ عن نوفل بن معاویهٔ أنّه صلّی اللّه علیه و سلم کان یشرب فی ثلاثهٔ أنفاس؛ یسمّی اللّه فی أوّله، و یحمد اللّه فی آخره.

قال الإمام ابن القیّم: للتّسمیهٔ فی الأوّل و الحمد فی الآخر تأثیر عجیب فی نفع الطّعام و الشّراب، و دفع مضرّته.

قال الإمام أحمد: إذا جمع الطّعام أربعا فقد کمل: ۱- إذا ذکر اللّه فی أوّله، و ۲- حمد فی آخره، و ۳- کثرت علیه الأیدی، و ۴- کان من حل.

(و) فی «الإحیاء» و «کشف الغمهٔ»: (کان) رسول اللّه (صلی اللّه علیه و سلم لا یتنفّس فی الإناء) أی: فی جوفه، (بل ینحرف عنه)؛ لأنّه یغیّر الماء، إمّا لتغیّر الفم

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۲۶۷

و أتوه مرّهٔ بإناء فیه عسل و لبن، فأبی أن یشربه، و قال:

«شربتان فی شربهٔ، و إدامان فی إناء واحد؟!»، ثمّ قال صلّی اللّه علیه و سلّم: «لا أحرّمه، و لکنّی أکره الفخر و الحساب بفضول الدّنیا [غدا]، و أحبّ التّواضع [لربّی عزّ و جلّ]؛ فإنّ من تواضع للّه .. رفعه [اللّه]».

بالمأکول، و إمّا لترک السّواک، و إمّا لأنّ النّفس یصعد ببخار المعدهٔ.

قال العراقی: روی الحاکم من حدیث أبی هریرهٔ رضی اللّه تعالی عنه:

لا یتنفّس أحدکم فی الإناء إذا شرب منه، و لکن إذا أراد أن یتنفّس فلیؤخّره عنه، ثم یتنفّس. قال: حدیث صحیح الإسناد.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و أتوه مرّة بإناء فيه عسل و لبن، فأبى أن يشربه، و قال: شربتان فى شربة، و إدامان فى إناء واحد، ثمّ قال صلّى اللّه عليه و سلم: «لا أحرّمه، و لكنّى أكره الفخر و الحساب بفضول الدّنيا [غدا]، و أحبّ التّواضع [لربّى عزّ و جلّ]؛ فإنّ من تواضع للّه رفعه [اللّه] [۱]».)

قال العراقى: رواه البزّار من حديث طلحة بن عبيد اللّه، دون قوله: «شربتان فى شربة» ... إلى آخره، و سنده ضعيف. و رواه الطّبرانى فى «الأوسط»، و الحاكم فى «المستدرک» فى «الأطعمة» من حديث أنس؛ قال:

أتى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم بقعب فيه لبن و عسل؛ فأبى أن يشربه، و قال: «إدامان فى إناء!! لا آكله و لا أحرّمه». و قال الحاكم: صحيح. و ردّه الذّهبىّ فى «التّلخيص»، و قال: بل منكر واه.

و قال الهيثمىّ عقب عزوه للحاكم: فيه عبد الكبير بن شعيب! لم أعرفه، و بقيّة رجاله ثقات. و قال الحافظ ابن حجر: فى طريق الطّبرانى راو مجهول.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۶۸

و كان يستعذب له صلّى اللّه عليه و سلّم الماء من بيوت السّقيا.

و أمّا قوله: «من تواضع للّه رفعه»!! فرواه أبو نعيم فى «الحلية» من حديث أبى هريرة. و رواه ابن النّجّار بزيادة: «و من اقتصد أغناه اللّه».

و روى ابن منده و أبو عبيد من حديث أوس بن خولى بزيادة:

«و من تكبّر وضعه اللّه».

و روى أبو الشّيخ من حديث معاذ بلفظ: «من تواضع تخشّعا للّه رفعه اللّه».

و روى تمّام، و ابن عساكر: من حديث ابن عمر فى أثناء حديث: «إنّى قد أوحى إلىّ أن تواضعوا، و لا يبغى أحد على أحد، فمن رفع نفسه وضعه اللّه، و من وضع نفسه رفعه اللّه» الحديث. انتهى من شرح «الإحياء».

(و) أخرج الإمام أحمد، و أبو داود، و الحاكم- و قال: على شرط مسلم؛ و أقرّه الذّهبى- و به ختم أبو داود «كتاب الأشربة» ساكتا عليه؛ عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت:

(كان يستعذب له الماء)؛ أى: يطلب له الماء العذب و يحضر إليه لكون أكثر مياه المدينة مالحا، و هو كان يحبّ الماء الحلو البارد (من بيوت السّقيا)- بضمّ السّين المهملة و سكون القاف و تحتيّة؛ مقصورة-: عين بينها و بين المدينة يومان؛ كذا قاله المناوى كصاحب «المواهب»؛ تبعا لما نقله أبو داود فى «سننه» عقب روايته الحديث المذكور؛ عن شيخه: فيه قتيبة بن سعيد.

قال السّمهودى: و هو صحيح لكنّها ليست المراد هنا، و كأنّه لم يطّلع على أنّ بالمدينة بئرا تسمّى بذلک!! و قد اغترّ به المجد «۱»؛ فقال: السّقيا: قرية جامعة من عمل الفرع. ثم أورد حديث أبى داود.

و أورد قول «النّهاية»: السّقيا منزل بين مكّة و المدينة، قيل: على يومين منها، و منه حديث: كان يستعذب له الماء من بيوت السّقيا.

---

(۱) الفيروزآبادى.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۶۹

و فى لفظ: يستسقى له الماء العذب من بئر السّقيا.

و قول أبى بكر بن موسى: «السّقيا: بئر بالمدينة، أى: على بابها، و كان يستسقى لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم منها»!! محمول على هذا.

ثم لو سلّم أنّ المراد الاستعذاب من العين التى ذكرها قتيبة! فمحمول على أنّه كان يستعذب له منها إذا نزل قربها فى سفر حجّ أو غزو، و أمّا استعذابه منها إلى المدينة! فلا أراه وقع أصلا. انتهى.

و يؤيّده زيادة ابن حبّان، و أبى الشّيخ: من بيوت السّقيا من أطراف الحرّة عند أرض بنى فلان، فإنّ الحرة بظاهر المدينة؛ و ليس بينهما

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

يومان!.

و روى أيضا أنّه كان يستعذب له الماء من بئر غرس، و منها غسّل، و لمّا نزل عند أبى أيوب؛ كان يستعذب له من بئر مالك «والد أنس»، ثمّ كان أنس و هند و جارية «أبناء أسماء»، يحملون الماء إلى بيوت نسائه من السّقيا، و كان رباح الأسود يستقى له من بئر غرس مرّة؛ و من بيوت السّقيا مرّة. رواه ابن سعد، و الواقدىّ، عن سلمى أمّ رافع.

و غرس- بفتح الغين المعجمة و إسكان الرّاء- كما قيّده أبو عبيد و ياقوت و غيرهما.

و به تعقّب الحافظ ضبط الذّهبى للغين بالضمّ قائلا: ذكره لى المطرّزى؛ و قد قال المجد: الصّواب الّذى لا محيد عنه الفتح ثمّ السّكون. و قطع به ابن الأثير، انتهى «زرقانى».

(و فى لفظ) للحاكم و غيره: كان (يستسقى له الماء العذب من بئر السّقيا)؛ لأنّ الشّراب كلّما كان أحلى و أبرد؛ كان أنفع للبدن و ينعش الرّوح و القوى و الكبد، و ينفذ الطّعام إلى الأعضاء أتمّ تنفيذ، لا سيّما إذا كان بائتا، فإنّ الماء البائت بمنزلة العجين الخمير، و الّذى يشرب لوقته كالفطير.

و سمّيت سقيا!! لأنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم استنبطها، و قال: «هذه سقيا».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٢٧٠

قال ابن القيّم رحمه اللّه تعالى: و لم يكن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يشرب على طعامه؛ لئلّا يفسده، و لا سيّما إن كان الماء حارّا، أو باردا، فإنّه ردىء جدّا.

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إذا شرب الماء .. قال:

«الحمد للّه الّذى سقانا عذبا ...

أخرج الطّبرانى، و ابن شاهين؛ عن بريح بن سدرة بن على السّلمى، عن أبيه، عن جدّه قال: خرجنا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم حتّى نزلنا القاح، فنزل بصدر الوادى، فبحث بيده فى البطحاء؛ فنديت، فانبعث الماء، فسقى و أسقى كلّ من كان معه؛ و قال: «هذه سقيا سقاكم اللّه»؛ فسمّيت «السّقياء».

قال ابن عبد البر: على السّلمى صحابىّ من أهل قباء.

قال ابن بطّال: و استعذاب الماء لا ينافى الزّهد، و لا يدخل فى الترفه المذموم، بخلاف تطييب الماء بالمسك و نحوه، فقد كرهه مالك لما فيه من السّرف، و أما شرب الماء الحلو و طلبه! فمباح كلّ منهما.

و قد فعله الصّالحون، و سيّدهم صلّى اللّه عليه و سلم، و ليس فى شرب الماء المالح فضيلة حتّى يكون اختياره و الإعراض عن العذب مطلوبا؛ بل قد يترتب على استعماله ضرر؛ فيكره، أو يحرم.

(قال) العلامة: محمد بن أبى بكر (ابن القيّم رحمه اللّه تعالى:

و لم يكن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يشرب على طعامه لئلّا يفسده، و لا سيّما إن كان الماء حارّا أو باردا، فإنّه ردىء جدّا)، و هو حسن إن صحّ.

(و) أخرج أبو نعيم فى «الحلية» من حديث الفضل، عن جابر بن يزيد الجعفى، عن أبى جعفر: محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب مرسلا. و رواه أيضا كذلك الطّبرانى فى «الدعاء»!!

قال ابن حجر: و هذا الحديث- مع إرساله- ضعيف. من أجل جابر الجعفى.

(كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم إذا شرب الماء؛ قال: «الحمد للّه الّذى سقانا عذبا

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٢٧١

فراتا برحمته، و لم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا».

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و أمّا قدح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم:

فقد روى عن ثابت ...

فراتا)، قال المناوى: الفرات: العذب، فالجمع بينهما للإطناب، و هو لائق فى مقام السّؤال و الابتهال.

و قال المحلى؛ فى تفسير قوله تعالى هذا عَذْبٌ فُراتٌ [۵۳/ الفرقان]: شديد العذوبة. و قال البيضاوى: قامع للعطش؛ من فرط عذوبته.

و قال البغوى: الفرات: عذب المياه. انتهى «نقله العزيزى».

(برحمته، و لم يجعله ملحا أجاجا)- بضمّ الهمزة-: مرّا شديد الملوحة (بذنوبنا»)، أى: بسبب ما ارتكبناه من الذّنوب.

(و أمّا قدح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم) ...

- القدح؛ بفتحتين-: ما يشرب فيه؛ كما فى «المغرب» و غيره.

و قال ابن الأثير: هو إناء بين إناءين؛ لا صغير و لا كبير، و ربّما وصف بأحدهما. و قال المجد: آنية تروى الرّجلين، أو اسم يجمع الكبار و الصّغار؛ جمعه: أقداح. قال فى «المصباح»: كسبب و أسباب.

(فقد) جاء فيه ما ذكره بقوله: (روى)، أى: روى التّرمذى بسنده فى «الشّمائل» (عن ثابت) البنانى بن أسلم أبو محمّد البصرى؛

الإمام الحجّة القدوة، كان محدّثا من الثّقات المأمونين، صحيح الحديث.

قال أبو حاتم: أتيت أصحاب أنس بن مالك: الزّهرىّ، ثم ثابت البنانى، ثمّ قتادة.

روى عن أنس، و عبد اللّه بن الزبير، و ابن عمر، و عبد اللّه بن مغفّل المزنى، و أبى برزة الأسلمى، و عمر بن أبى سلمة، و جماعة.

و روى عنه حمّاد بن زيد، و حماد بن سلمة، و حميد الطّويل، و شعبة بن

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۷۲

قال: أخرج إلينا أنس بن مالك قدح خشب غليظا مضبّبا ...

بسطام، و همام بن يحيى، و جعفر بن سليمان، و خلق.

مات سنة:- ۱۲۷- سبع و عشرين و مائة من الهجرة، و عمره: ست و ثمانون سنة- ۸۶-.

قال بكر بن عبد اللّه: من أراد أن ينظر إلى أعبد أهل زمانه؛ فلينظر إلى ثابت البنانى. فما أدركنا الّذى هو أعبد منه.

و كان يقرأ القرآن فى كلّ يوم و ليلة، و يصوم الدّهر، و بكى حتى كادت عينه تذهب، و كان يصلّى كلّ ليلة ثلاثمائة ركعة.

كان يقول له أنس بن مالك: ما أشبه عينيك بعينى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم!! فما زال يبكى حتى عمشت عيناه، و كان يقوم اللّيل و يصوم النّهار.

و كان يقول: ما شىء أجده فى قلبى ألذّ عندى من قيام اللّيل!

و كان يقول: كابدت الصلاة عشرين سنة، و تنعّمت بها عشرين سنة.

و كان يقوم الليل خمسين سنة فإذا كان السّحر؛ قال فى دعائه «اللّهمّ؛ إن كنت أعطيت أحدا من خلقك الصّلاة فى قبره فأعطنيها»، فلما مات و سوى عليه اللبن فى قبره سقطت لبنة؛ فإذا به قائم يصلّى فى قبره، رحمه اللّه تعالى و نفعنا بعلومه.

آمين.

(قال: أخرج إلينا أنس بن مالك)، خادم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم (قدح خشب) أى:

قدحا من خشب، فالإضافة بمعنى «من»، و هو من جملة أقداح خمسة ذكرت فى أوّل الفصل الخامس.

و اقتصر هنا على الخشب! لأنّه الذى كان عند أنس رضى اللّه تعالى عنه.

(غليظا مضبّبا)- بالنّصب، على أنّه صفة قدح- و الضبّة: ما تشعّب به الإناء، و جمعها ضبّات؛ كجنّة و جنّات، و ضبّبته- بالتّشديد-: جعلت له ضبّة، فمعنى مضبّبا: مشعّبا.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۷۳

بحديد، فقال: يا ثابت؛ هذا قدح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، لقد سقيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بهذا القدح الشّراب كلّه: الماء و النّبيذ، و العسل و اللّبن.

(بحديد) كما فى روايهٔ التّرمذى؛ و روايهٔ «الصحيح»: بفضهٔ. و هى أصحّ، اللّهمّ إلا أن يكون تجوّز بضبّهٔ الحديد عن الحلقهٔ الّتى كانت فيه، و نهى أبو طلحهٔ أنسا عن تغييرها، أو كانت ضبّهٔ الحديد فيه أوّلا، ثمّ لمّا صدع سلسل بفضّهٔ، فصار فيه الضبّتان؛ قاله الزرقانى.

(فقال)، أى: أنس (يا ثابت، هذا قدح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم) المشار إليه هو القدح بحالته الّتى هو عليها، فالمتبادر من ذلك أنّ التّضبيب كان فى زمانه صلّى اللّه عليه و سلم.

و تجويز كون التّضبيب من فعل أنس حفظا للقدح غير مرضىّ؛ قاله الباجورى.

و يؤخذ من الحديث: أنّ حفظ ما ينفع و إصلاحه مستحبّ و إضاعته مكروههٔ؛ و اشترى هذا القدح من ميراث النضر بن أنس بثمانمائهٔ ألف درهم.

و عن البخارى أنّه رآه بالبصرهٔ، و شرب منه، هكذا فى «شرح المناوى».

و الذى فى «شرح القارى»: أنّ الذى اشترى من ميراث النّضر و شرب منه البخارىّ كان مضبّبا بفضّهٔ، و يمكن الجمع بأنّه كان مضبّبا بكلّ من الفضّهٔ و الحديد.

انتهى باجورى على «الشّمائل».

و أخرج مسلم و الترمذى فى «الجامع» و «الشمائل» عن أنس رضى اللّه تعالى عنه قال: (لقد سقيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم بهذا القدح) المذكور، أى: فيه؛ و هو الخشب الغليظ المضبّب بحديد، فالتّضبيب من فعله صلّى اللّه عليه و سلم، لما تقرّر أنّ الإشارهٔ ترجع للمذكور بجميع خصوصيّاته.

(الشّراب) و هو: ما يشرب من المائعات. (كلّه) أى: أنواعه كلّها:

(الماء و النّبيذ): ماء حلو يجعل فيه تمرات ليحلو، (و العسل) النّحل، (و اللّبن) الحليب. و الأربعهٔ بدل مفصّل من مجمل، أو بدل بعض من كلّ؛

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۷۴

قال الباجورىّ: (قوله: (النّبيذ)- أى: المنبوذ فيه- و هو:

ماء حلو يجعل فيه تمرات ليحلو.

و كان ينبذ له صلّى اللّه عليه و سلّم أوّل اللّيل، و يشرب منه إذا أصبح يومه ذلك و ليلته الّتى يجىء، و الغد إلى العصر، فإن بقى منه شىء .. سقاه الخادم إن لم يخف منه إسكارا، و إلّا .. أمر بصبّه، و هو له نفع عظيم فى زيادهٔ القوّهٔ) انتهى.

اهتماما بها؛ لكونها أفضل المشروبات، أو لأنّه إنّما سقاه الأربعهٔ.

و سمّاها كلّ الشراب!! لأنّها أشهر أنواعه، أو لكثرهٔ تناولها.

(قال) العلّامهٔ شيخ الإسلام: إبراهيم (الباجورىّ) فى حاشيهٔ «الشّمائل» كالمناوى، و القارى، و «المواهب»: (قوله: النّبيذ، أى: المنبوذ فيه.

و هو): كلّ ما ينبذ من غير العنب؛ من تمر أو زبيب أو قمح، و المراد هنا:

(ماء حلو يجعل) أى: يطرح (فيه تمرات ليحلو)، أى: لتزيد حلاوته.

(و) قد روى مسلم أنّه (كان ينبذ له صلّى اللّه عليه و سلم أوّل اللّيل) التمر فى الماء، (و يشرب منه إذا أصبح يومه ذلك، و ليلته الّتى يجىء) بعد اليوم، (و الغد إلى العصر.

فإن بقى منه شىء؛ سقاه الخادم) لاستغنائه عنه، و رفقا بالخادم على عادته صلّى اللّه عليه و سلم؛ (إن لم يخف منه إسكارا) بأن كان لم

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

يتغيّر، (و إلّا! أمر بصبّه)، أى: إذا ظهر له أنّه وصل إلى حالة لا يشرب معها بعد ذلك الوقت؛ خوف الإسكار أمر بصبّه، لأنّه صار فى حكم العدم، فلا- يقال: «صبّه إضاعة مال»؛ و قد نهى عنه!! و لم يكن يشربه صلّى اللّه عليه و سلم بعد ثلاث خوفا من تغيّره إلى الإسكار.

(و هو) أى: هذا النبيذ الّذى كان يشربه صلّى اللّه عليه و سلم (له نفع عظيم فى زيادة القوّة).

لملاءمته للمزاج. (انتهى) أى: كلام الباجورى رحمه اللّه تعالى.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۷۵

و عند البخاريّ: من حديث عاصم الأحول قال: رأيت قدح النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم عند أنس بن مالك- و كان قد انصدع- فسلسله بفضّة؛ ...

(و عند) الإمام الحافظ أبى عبد اللّه؛ محمد بن إسماعيل (البخاريّ) فى «صحيحه» فى «كتاب الأشربة»، (من حديث عاصم) بن سليمان (الأحول) أبى عبد الرحمن البصرى، الحافظ الثّقة، من رجال الجميع، مات سنة: أربعين و مائة. (قال:

رأيت قدح النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم عند أنس بن مالك، و كان قد انصدع) أى: انشق (فسلسله) أى: وصل بعضه ببعض (بفضّة)، و ظاهره أنّ الذى وصله أنس، و يحتمل أنّه النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، و هو ظاهر رواية أبى حمزة عند البخارى فى الخمس بلفظ:

إنّ قدح النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم انكسر فاتّخذ مكان الشّعب سلسلة من فضّة. لكن رواه البيهقى من هذا الوجه بلفظ: انصدع فجعلت مكان الشعب سلسلة من فضّة. قال- يعنى أنسا-: هو الذى فعل ذلك.

قال البيهقى: كذا فى سياق الحديث فلا أدرى من قاله من رواته! هل هو موسى بن هارون، أو غيره؟!

و تعقّبه الحافظ بأنّه لم يتعيّن من هذه الرّواية ما قاله، و هو «جعلت»- بضمّ التّاء؛ على أنّه ضمير القائل، و هو أنس-، بل يجوز أن يكون «جعلت»- بضمّ أوّله؛ على البناء للمجهول- فيساوى رواية «الصّحيح».

و وقع عند أحمد من رواية شريك؛ عن عاصم: رأيت عند أنس قدح النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم فيه ضبّة من فضّة، و هذا يحتمل أيضا.

و الشّعب- بفتح المعجمة و سكون العين-: هو الصدع، و كأنّه سدّ الشّقوق بخيوط من فضّة، فصارت مثل السلسلة. انتهى.

و حاصله تساوى احتمال أنّ المضبّب له النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، لأنّه ظاهر رواية «الصّحيح» فى فرض الخمس، و احتمال أنّه أنس؛ لأنّه ظاهر روايته فى «الأشربة».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۷۶

قال: و هو قدح جيّد عريض من نضار.

قال أنس: لقد سقيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى هذا القدح أكثر من كذا و كذا.

قال: و قال ابن سيرين: إنّه كان فيه حلقة من حديد، فأراد أنس أن يجعل مكانها حلقة من ذهب أو فضّة .. فقال أبو طلحة: ...

ففيه ردّ على ترجيح ابن الصّلاح أنّه أنس، و قوله ما يوهمه بعض الرّوايات أنّه النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم ليس كذلك، و تبعه النّووى، و قال: قد أشار إليه البيهقى و غيره. انتهى «زرقانى».

(قال) عاصم؛ راويه (: و هو قدح جيّد عريض)، أى: ليس بمتطاول؛ بل يكون طوله أقصر من عمقه؛ كما فى «الفتح» و غيره (من نضار)، سيأتى معناه أنّه الخالص من العود.

(قال أنس: لقد سقيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فى هذا القدح أكثر من كذا و كذا).

و لمسلم من طريق ثابت عن أنس: لقد سقيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم بقدحى هذا الشّراب كلّه: العسل و النّبيذ و الماء و اللّبن.

(قال) أى: عاصم (: و قال) محمد (ابن سيرين) العالم، العامل، الزّاهد، العابد- تقدّمت ترجمته- رحمه اللّه تعالى:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(إنّه كان فيه حلقة)- بسكون اللّام، و الفتح لغة فيه؛ حكاها أبو عمرو-.

(من حديد، فأراد أنس أن يجعل مكانها حلقة من ذهب أو فضّة) بالشكّ من الرّاوى، أو هو تردّد من أنس عند إرادة ذلك؛ قاله القسطلانى.

(فقال) له (أبو طلحة)؛ زيد بن سهل بن الأسود بن حزام- بالزّاى- ابن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجّار، الأنصارى، المدنى؛

شهد العقبة و بدرا و أحدا و الخندق، و المشاهد كلها مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٢٧٧

لا تغيّرنّ شيئا صنعه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فتركه.

و هو أحد النّقباء رضى اللّه تعالى عنهم.

روى له عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم اثنان و تسعون حديثا، اتّفق البخارىّ و مسلم منها على حديثين، و انفرد البخارىّ بحديث، و مسلم بآخر.

روى عنه جماعات من الصّحابة؛ منهم: ابن عباس، و أنس و آخرون، و جماعات من التّابعين.

توفّى بالمدينة سنة: ثنتين و ثلاثين. و قيل: أربع و ثلاثين، و هو ابن سبعين سنة، و صلّى عليه عثمان بن عفان، و هو زوج أمّ سليم «والدة أنس بن مالك»، رضى اللّه تعالى عنهم أجمعين.

(: لا تغيّرنّ)- بفتح الرّاء و نون التأكيد الثّقيلة، و فى رواية: لا تغيّر؛ بالنّهى بلا تأكيد- (شيئا صنعه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم! فتركه) بلا تغيير.

و فى الحديث جواز اتّخاذ ضبّة الفضّة و السلسلة و الحلقة!!

و اختلف فيه! فمنع ذلك مطلقا جمع من الصّحابة و التّابعين، و به قال مالك و اللّيث.

و عن مالك أيضا: يجوز من الفضّة إذا كان يسيرا، و كرّهه الشّافعى لئلّا يكون شاربا على فضّة. و خصّ أحمد و الحنفية الكراهة بما إذا كانت الفضّة موضع الشّرب.

و المقرّر عند الشّافعيّة تحريم ضبّة الفضّة؛ إذا كانت كبيرة للزينة، و جوازها إذا صغرت لحاجة أو زينة، أو كبيرة لحاجة، و تحريم ضبّة الذّهب مطلقا.

و المراد بالحاجة غرض الإصلاح؛ دون التّزيين، لا العجز عن غير الذّهب و الفضّة، إذ العجز عن غيرهما يبيح استعمال الإناء الّذى كلّه ذهب أو فضّة؛ فضلا عن المضبّب. قاله القسطلانىّ فى «شرح البخارى».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٢٧٨

و معنى (النّضار): الخالص من العود، و من كلّ شىء، و يقال: أصل ذلك القدح من شجر النبع، و قيل: من الأثل. و لونه يميل إلى الصّفرة.

و كان لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قدح قوارير يشرب فيه.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يعجبه أن يتوضّأ من ...

(و معنى النّضار)- بضمّ النّون أشهر من كسرها، و بالضّاد المعجمة- (: الخالص من العود، و من كلّ شىء)؛ تبر أو خشب أو أثل أو غيرهما.

(و يقال: أصل ذلك القدح من شجر النّبع)،- بنون فمهملة-: الشّجر للقسىّ و للسّهام؛ ينبت فى الجبال، كما فى «القاموس».

و فى «النهاية»: قيل: إنّه شجر كان يطول و يدلو، فدعا عليه النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم فقال: «لا أطالك اللّه من عود» فلم يطل بعد.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و قيل: من الأثل)- بمثلّثة- (و لونه يميل إلى الصّفرة).

و فى «شرح البخارى» للعلّامة القسطلانىّ: قيل: إنّه عود أصفر يشبه لون الذّهب. و فى «القاموس»: النّضار- بالضمّ-: الجوهر الخالص من التّبر و الخشب و الأثل، أو: ما كان عذيا، أى: شجرا على غير ماء أو: الطّويل منه المستقيم الغصون، أو: ما نبت منه فى الجبل، و خشب للأوانى، و يكسر، و منه كان منبر النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم.

(و) أخرج ابن ماجه- و قال فى العزيزى: حديث حسن- عن ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما؛ قال: (كان لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قدح)، قال بعضهم بالتّنوين.

انتهى. و يحتمل أنّه [قدح] مضاف إلى (قوارير)؛ أى: زجاج (يشرب فيه)؛ أهداه إليه النّجاشى.

(و) أخرج ابن سعد فى «الطّبقات»؛ عن زينب بنت جحش، «أم المؤمنين»، رضى اللّه تعالى عنها؛ أنّه (كان صلّى اللّه عليه و سلم يعجبه أن يتوضأ من

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۷۹

مخضب من صفر. و (المخضب): إناء. و (الصّفر): النّحاس الأصفر.

و كان له صلّى اللّه عليه و سلّم قدح من عيدان تحت سريره يبول فيه باللّيل.

(٠ مخضب)- بكسر الميم و سكون المعجمة- أى: إجّانة (من صفر).

و فيه ردّ على من كره الوضوء من إناء النّحاس.

(و المخضب)- بكسر الميم، و سكون الخاء، و فتح الضّاد المعجمتين، بعدها موحّدة- (: إناء). قال ابن حجر: المشهور أنّه الإناء الّذى يغسل فيه الثياب من أىّ جنس كان، و قد يطلق على الإناء؛ صغر أو كبر، و القدح أكثر ما يكون من الخشب مع ضيق فيه.

(و الصّفر)- بضمّ المهملة و سكون الفاء- (: النّحاس)- مثلّث النّون- (الأصفر). و فى «المناوى»: إن الصّفر صنف من جيد النّحاس. انتهى.

(و) أخرج أبو داود، و النّسائى فى «الطهارة»، و الحاكم و صحّحه، و كذا ابن حبّان فى «صحيحه» بإسناد حسن؛ عن أميمة بنت رقيقة- بضمّ أوّلهما و فتح ثانيهما و تخفيفهما، و رقيقة: بقافين- بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى، «أخت خديجة؛ أمّ المؤمنين رضى اللّه تعالى عنها»، قالت:

(كان له صلّى اللّه عليه و سلم قدح من عيدان)- بفتح العين المهملة، و سكون المثنّاة التّحتيّة، و دال مهملة، قال فى «الصّحاح»: العيدان الطّوال من النخل؛ الواحدة عيدانة.

و كان يجعل (تحت سريره) السّرير: مأخوذ من السّرور؛ لأنّه فى الغالب لأولى النّعمة، و سرير الميت تشبيه به فى الصّورة، و للتّفاؤل بالسرور.

(يبول فيه باللّيل)، تمامه كما عند الطّبرانى- بسند؛ قال الهيثمى: رجاله رجال «الصحيح»- فقام و طلبه فلم يجده! فسأل، فقالوا: شربته برة «خادم أمّ سلمة الّتى قدمت معها من أرض الحبشة»!! فقال: «لقد احتظرت من النّار بحظار» انتهى.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۸۰

....

قال الشّيخ ولىّ الدّين: و هذا الخبر يعارضه ما رواه الطّبرانى فى «الأوسط» بسند جيّد؛ عن عبد اللّه بن مرثد؛ عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم قال: «لا ينقع بول فى طست فى البيت، فإنّ الملائكة لا تدخل بيتا فيه بول منتقع».

و روى ابن أبى شيبة؛ عن ابن عمر قال: لا تدخل الملائكة بيتا فيه بول!! قال: و يجاب بأنّ المراد بانتقاعه: طول مكثه، و ما يجعل فى الإناء لا يطول مكثه، بل تريقه الخدم عن قرب، ثمّ يعاد تحت السّرير لما يحدث.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و الظّاهر أنّ هذا كان قبل اتّخاذ الكنف و بيوت الأخلية، فإنّه لا يمكنه التّباعد باللّيل للمشقّة، أمّا بعد اتخاذها! فكان يقضى حاجته فيها ليلا و نهارا.

و أخذ من تخصيص البول أنّه كان لا يفعل الغائط فيه؛ لغلظه بالنّسبة للبول، و لكثافته و كراهة ريحه.

و أخذ من تخصيص اللّيل أنّه كان لا يبول فيه نهارا.

و فيه حلّ اتّخاذ السّرير، و أنّه لا ينافى التّواضع؛ لمسيس الحاجة إليها، سيّما الحجاز؛ لحرارته.

و حلّ القدح من خشب النّخل، و لا ينافيه حديث: «أكرموا عمّاتكم النّخلة»!! لأنّ المراد بإكرامها سقيها و تلقيحها، فإذا انفصل منها شىء و عمل إناء؛ أو غيره؟ زال عنه اسم النّخلة، فلم يؤمر بإكرامه.

و فيه حلّ البول فى إناء فى البيت الّذى هو فيه ليلا بلا كراهة، حيث لم يطل مكثه فيه، كما تقرّر، و أما نهارا! فهو خلاف الأولى حيث لا عذر، لأنّ اللّيل محلّ الأعذار، بخلاف النّهار.

و فيه حلّ بول الرّجل بقرب أهل بيته للحاجة. انتهى «مناوى» و «عزيزى».

فائدة: قال ابن قتيبة: كان سريره خشبات مشدودة باللّيف، بيعت فى زمن بنى أميّة؛ فاشتراها رجل بأربعة آلاف درهم. انتهى «مناوى».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۸۱

و كان لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم مطهرة من فخّار يتوضّأ و يشرب منها، و كان النّاس يرسلون أولادهم الصّغار الّذين عقلوا فيدخلون عليه صلّى اللّه عليه و سلّم فلا يدفعون، فإذا وجدوا فى المطهرة ماء شربوا منه، و مسحوا على وجوههم، و أجسامهم، يبتغون بذلك البركة.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا صلّى الغداة .. [جاءه] خدم أهل المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء .. إلّا غمس يده فيه.

(و) فى «كشف الغمة» للشّعرانى: (كان لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم مطهرة)- بكسر الميم و فتحها-: إناء يتطهّر به و يتوضّأ به، كالإبريق و نحوه.

(من فخّار): الطين المشوى، و قبل الطبخ هو خزف و صلصال؛ (يتوضّأ) منها صلّى اللّه عليه و سلم (و يشرب منها) أى: المطهرة.

(و كان النّاس) أى: أهل المدينة (يرسلون أولادهم الصّغار الّذين عقلوا)؛ و لم يبلغوا الحلم، (فيدخلون عليه صلّى اللّه عليه و سلم) بلا استئذان، (فلا يدفعون)- بضمّ أوّله- أى: لا يردّون عن الدخول عليه صلّى اللّه عليه و سلم، (فإذا وجدوا)؛ أى: الصّبيان (فى المطهرة ماء شربوا منه، و مسحوا على وجوههم، و أجسامهم) من فضل وضوئه؛ (يبتغون بذلك) الشّرب و مسح أجسامهم (البركة)، أى: حصول البركة.

و فيه التبرّك بآثاره صلّى اللّه عليه و سلم!

(و) أخرج الإمام أحمد، و مسلم؛ عن أنس رضى اللّه تعالى عنه قال:

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم إذا صلّى الغداة) أى: الصبح ([جاءه] خدم أهل المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلّا غمس يده فيه)؛ للتبرّك بيده الشّريفة.

و فيه: بروزه للنّاس، و قربه منهم ليصل كلّ ذى حقّ لحقّه، و ليعلّم الجاهل و يقتدى بأفعاله، و كذا ينبغى للأئمة بعده.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۸۲

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يبعث إلى المطاهر فيؤتى بالماء فيشربه، يرجو بركة أيدى المسلمين.

(و) أخرج الطّبرانى فى «الأوسط»، و أبو نعيم فى «الحلية»؛ عن ابن عمر رضى اللّه تعالى عنهما قال: (كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم يبعث إلى المطاهر) جمع مطهرة: كل إناء يتطهّر به، و المراد هنا نحو الحياض و الفساقى و البرك المعدّة للوضوء.

(فيؤتى) إليه (بالماء) منها، (فيشربه)، و كان يفعل ذلك (يرجو بركة أيدى المسلمين) أى: يؤمل حصول بركة أيدى الّذين تطهّروا من

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

ذلک الماء.

و هذا فضل عظیم، و فخر جسیم للمتطهّرین، فیا له من شرف ما أعظمه!!، کیف و قد نصّ اللّه فی التّنزیل علی محبتهم صریحا حیث قال إِنَّ اللّٰهَ یُحِبُّ التَّوّٰابِینَ وَ یُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِینَ (۲۲۲) [البقرة]!!.

و هذا یحمل من له أدنی عقل علی المحافظة علی إدامة الوضوء، و من ثمّ صرّح بعض أجلّاء الشّافعیّة بتأکّد ندبه، و أمّا الصوفیة فعندهم إدامة الوضوء واجبة، لأنّه یری نور علی أعضائه، و اللّه أعلم؛ قاله المناوی رحمه اللّه تعالی.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۲۸۳

[الفصل السّادس فی صفة نومه صلّی اللّه علیه و سلّم]

الفصل السّادس فی صفة نومه صلّی اللّه علیه و سلّم قال فی «المواهب»: (کان علیه الصّلاة و السّلام ینام أوّل اللّیل،

(الفصل السّادس) من الباب الرّابع (فی) بیان ما ورد فی (صفة نومه)؛ من کونه علی الیمین أو غیره، و قدره، و وقته، و ما یرقد علیه، و ما کان یفعله (صلی اللّه علیه و سلم) قبل النّوم و بعده، و غیر ذلک.

و النّوم: غشیة ثقیلة تهجم علی القلب فتقطعه عن المعرفة بالأشیاء، فهو آفة، و من ثمّ قیل «إنّ النّوم أخو الموت».

و أمّا السّنة! ففی الرّأس، و النّعاس! فی العین، و قیل: السّنة هی النّعاس، و قیل: السّنة: ریح النوم یبدو فی الوجه؛ ثمّ ینبعث إلی القلب، فیحصل النّعاس ثمّ النّوم، و اللّه أعلم.

ثمّ اعلم أنّ تعریف النّوم بما ذکر بالنّسبة إلینا دونه صلّی اللّه علیه و سلم؛ فإنّه تنام عینه و لا ینام قلبه! کما فی «الصّحیح» و سیأتی.

(قال) العلّامة القسطلانیّ فی («المواهب»)؛ فی النوع الرّابع من المقصد الثّالث:

(کان علیه الصّلاة و السّلام ینام أوّل اللّیل) بعد صلاة العشاء و ما یتّصل بها، فالأولیة نسبیّة.

و فی «الصحیح»؛ عن أبی برزة: کان صلّی اللّه علیه و سلم یکره النّوم قبل العشاء، و الحدیث بعدها.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۲۸۴

و یستیقظ فی أوّل النّصف الثّانی، فیقوم فیستاک، فیتوضّأ، و لم یکن یأخذ من النّوم فوق القدر المحتاج إلیه منه، و لا یمنع نفسه من القدر المحتاج منه، ...

و روی الشّیخان، و ابن ماجه؛ عن عائشة رضی اللّه تعالی عنها قالت: کان ینام أوّل اللّیل و یحیی آخره. و سیأتی.

(و یستیقظ فی أوّل النّصف الثّانی) غالبا، و فی «الصّحیحین» و غیرهما؛ عن عائشة رضی اللّه تعالی عنها: کان یقوم إذا سمع الصّارخ. قال الحافظ ابن حجر: أی: الدّیک.

و وقع فی «مسند الطّیالسی» فی هذا الحدیث: و الصّارخ: الدّیک، و الصّرخة: الصّیحة الشّدیدة. و جرت العادة أنّ الدّیک یصیح عند نصف اللّیل غالبا، قاله محمد بن نصر، قال ابن التین: و هو موافق لقول ابن عباس نصف اللیل أو قبله بقلیل أو بعده.

و قال ابن بطّال: الصّارخ یصرخ عند ثلث اللّیل، فکان یتحرّی الوقت الّذی ینادی فیه: هل من سائل کذا!؟

و فی «البخاری»؛ عن أنس: کان لا تشاء أن تراه من اللّیل مصلّیا إلّا رأیته، و لا نائما إلا رأیته. قال الحافظ: أی: أنّ صلاته و نومه کان یختلف باللّیل، و لا یرتّب وقتا معیّنا، بل بحسب ما تیسّر له القیام، و لا یعارضه حدیث عائشة رضی اللّه تعالی عنها؛ لأنّها أخبرت عمّا اطّلعت علیه، فإنّ صلاة اللّیل کانت تقع منه غالبا فی البیت. و خبر أنس محمول علی ما وراء ذلک. انتهی.

و حاصله أنّ کلا من عائشة و أنس أخبر بما اطّلع علیه.

(فیقوم فیستاک)؛ کما روی أحمد؛ عن ابن عمر: کان لا ینام إلّا و السّواک عند رأسه، فإذا استیقظ بدأ بالسّواک. و لابن عساکر؛ عن أبی هریرة: کان لا ینام حتی یستنّ؛ (فیتوضّأ)، کما فی حدیث ابن عباس و غیره.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و لم يكن يأخذ من النّوم فوق القدر المحتاج إليه و لا يمنع نفسه من القدر المحتاج منه)؛ فتنازع فيه الأمران.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۸۵

و كان ينام على جنبه الأيمن؛ ذاكرا اللّه تعالى حتّى تغلبه عيناه، غير ممتلئ البطن من الطّعام و الشّراب.

قال: و كان عليه الصّلاة و السّلام ينام على الفراش تارة، و على النّطع تارة، و على الحصير تارة، و على الأرض تارة.

و كان فراشه أدما؛ حشوه ليف، و كان له مسح ينام عليه) انتهى.

(و كـان ينـام على جنبه الأيمن)؛ لأنّه كان يحبّ التّيامن فى شأنه كلّه، و من جملته النّوم، و ليرشد أمّته إلى النّوم على الجانب الأيمن؛ (ذاكرا اللّه تعالى حتّى تغلبه عيناه) بأن يأخذه النّوم، (غير ممتلئ البطن من الطّعام و الشّراب) لضرره بالبدن و تثقيله النّوم.

(قال)؛ أى: القسطلانىّ بعد ذلك بأسطر: (و كان عليه الصّلاة و السّلام)- كما علم من مجموع الأحاديث- (ينام على الفراش تارة، و على النطع)- بفتح النّون و كسرها مع فتح الطّاء و سكونها-: ما اتّخذ من جلد، و الجمع: أنطاع و نطوع (تارة، و على الحصير تارة)؛ كما فى حديث عمر، (و على الأرض تارة) أخرى.

(و كان فراشه)؛ كما فى «الصحيحين» و التّرمذىّ؛ عن عائشة قالت: إنّما كان فراش رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم الّذى ينام عليه (أدما)- بفتحتين-: جلدا مدبوغا؛ أو أحمر، أو مطلق الجلد؛ جمع أديم، وصف به المفرد!! لأنّه أجزاء من الجلد مجتمعة، فهو نظير قوله تعالى مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ [۷۶/ الإنسان]، فوصف المفرد بالجمع؛ إذ «أمشاج»: أخلاط؛ جمع «مشيج» (حشوه ليف) من النّخل.

(و كان)؛ كما رواه التّرمذىّ؛ عن حفصة- (له مسح)- بكسر فسكون-:

فراش خشن غليظ (ينام عليه)؛ من شعر أو صوف. و تقدّم هذا فى فراشه.

(انتهى) المقصود نقله من كلام «المواهب».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۸۶

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم ينام أوّل اللّيل و يحيى آخره.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم لا ينام حتّى يستنّ.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم لا يرقد من ليل و لا نهار فيستيقظ ..

إلّا تسوّك.

(و) أخرج الشّيخان فى «كتاب الصلاة» و ابن ماجه؛ عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت: (كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم ينام أوّل اللّيل) بعد صلاة العشاء إلى تمام نصفه الأوّل؛ لأنّه كره النّوم قبلها.

(و يحيى آخره)؛ لأنّ ذلك أعدل النّوم و أنفعه للبدن و الأعضاء و القوّة، فإنّه ينام أوّله ليعطى القوّة حظّها من الرّاحة، و يستيقظ آخره ليعطيها حظّها من الرّياضة و العبادة، و ذلك غاية صلاح القلب و البدن و الدّين.

(و) أخرج ابن عساكر فى «تاريخه»- قال العزيزى: و هو حديث حسن لغيره-؛ عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه قال:

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم لا ينام حتّى يستنّ) من الاستنان؛ و هو تنظيف الأسنان بدلكها بالسواك. و رواه أيضا أبو نعيم فى «المعرفة» بلفظ: ما نام ليلة حتى يستنّ.

(و) أخرج أبو داود، و ابن أبى شيبة، و الطّبرانى فى «الأوسط»- قال العزيزى: و هو حديث حسن لغيره-؛ عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت:

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم لا يرقد)؛ أى: لا ينام (من ليل و لا نهار) «من» بمعنى «فى» كما فى قوله إِذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ [۹/ الجمعة]، (فيستيقظ)- بالرفع- عطف على «يرقد»، و ليس جوابا للنّفى!! و إنّما جوابه قوله (إلّا تسوّك). و تمام الحديث: قبل أن يتوضّأ. انتهى. و هذا السّواك غير سنّة الاستياك للوضوء!! قاله الحفنى على «الجامع».

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۲۸۷

و کان صلّی اللّه علیه و سلّم لا ینام .. إلّا و السّواک عند رأسه، فإذا استیقظ .. بدأ بالسّواک.

و کان صلّی اللّه علیه و سلّم یستاک فی اللّیل مرارا.

و کان صلّی اللّه علیه و سلّم إذا أراد أن یرقد .. وضع یده الیمنی تحت خدّه، ثمّ یقول: «اللّهمّ؛ قنی عذابک یوم تبعث عبادک» (ثلاث مرّات).

(و) أخرج الإمام أحمد، و محمد بن نصر فی «کتاب الصلاة»- قال العزیزی:

و هو حسن لغیره-؛ عن ابن عمر بن الخطّاب رضی اللّه تعالی عنهما قال:

(کان) رسول اللّه (صلی اللّه علیه و سلم لا ینام إلّا و السّواک عند رأسه)؛ لیسهل تناوله، (فإذا استیقظ بدأ بالسّواک)؛ أی: عقب استیقاظه، لشدّة حرصه علیه؛ فیندب ذلک، و هذا غیر الاستیاک عند إرادة الوضوء!!

(و کان) رسول اللّه (صلی اللّه علیه و سلم یستاک فی اللّیل مرارا). لم أقف علی تخریجه.

(و) أخرج أبو داود، و النّسائی فی «الیوم و اللّیلة» کلاهما؛ عن حفصة أمّ المؤمنین، و رواه الترمذی؛ عن حذیفة؛ لکن بدون التّثلیث؛ و حسّنه:

(کان) رسول اللّه (صلی اللّه علیه و سلم إذا أراد أن یرقد)- فی روایة بدل: ینام- (وضع یده الیمنی تحت خدّه) الأیمن- و فی روایة: رأسه- (ثمّ یقول:

«اللّهمّ؛ قنی عذابک)؛ أی: أجرنی منه (یوم تبعث)؛ أی: تحیی- و فی روایة: تجمع- (عبادک») من القبور إلی النّشور للحساب یوم القیامة، فلا تبعثنی کریه المنظر؛ علی وجهی غبرة، ترهقها قترة. یقول ذلک الدّعاء (ثلاث مرّات)؛ أی: یکرّره ثلاثا.

و الظّاهر حصول أصل السّنّة بمرّة، و کمالها باستکمال الثّلاث، و إنّما قال ذلک مع عصمته صلّی اللّه علیه و سلم!! تواضعا للّه و إجلالا له، و تعلیما لأمّته أن یقولوا ذلک عند النّوم،

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۲۸۸

و کان صلّی اللّه علیه و سلّم إذا أخذ مضجعه من اللّیل .. وضع یده تحت خدّه، ثمّ یقول: «باسمک اللّهمّ أحیا، و باسمک أموت».

و إذا استیقظ .. قال: «الحمد للّه الّذی أحیانا بعد ما أماتنا و إلیه النّشور».

لاحتمال أنّه آخر العمر؛ فیکون خاتمة عملهم ذکر اللّه، مع الاعتراف بالتّقصیر الموجب للفوز و الرّضا.

(و) أخرج الإمام أحمد، و مسلم، و النّسائی؛ عن البراء بن عازب.

و أحمد، و البخاری، و الأربعة؛ عن حذیفة بن الیمان. و أحمد، و الشّیخان؛ عن أبی ذر الغفاری رضی اللّه تعالی عنه قال:

(کان صلّی اللّه علیه و سلم إذا أخذ مضجعه)- بفتح المیم و الجیم، و حکی کسرها- أی:

استقرّ فیه لینام (من اللّیل) «من»: للتبعیض، أو بمعنی «فی»، و قیّد باللّیل؛ لأنّه الأغلب، و إلّا!! فمثله النّهار!! (وضع یده)؛ یعنی: الیمنی (تحت خدّه) الأیمن، (ثمّ یقول: «باسمک)؛ أی: بذکر اسمک (اللّهمّ أحیا)، قال الشّیخ: بالبناء للفاعل، (و باسمک أموت»)؛ أی: و علیه أموت.

و قال الحفنی: باسمک، لفظ «اسم» مقحم؛ أی: بک، أی: بقدرتک أحیا، أی: أتیقظ، و بک أموت. أی: أنام. انتهی.

(و إذا استیقظ) من نومه؛ (قال: «الحمد للّه الّذی أحیانا بعد ما أماتنا)؛ أی: أیقظنا بعد ما أنامنا، أطلق الموت علی النّوم!! لأنّه یزول معه العقل و الحرکة، و من ثمّ قالوا: النّوم موت خفیف، و الموت نوم ثقیل: و قالوا: النّوم أخو الموت.

و المعنی: الحمد للّه الّذی ردّ أنفسنا بعد قبضها عن التّصرّف بالنّوم؛ شکرا لنیل نعمة التصرّف فی الطّاعات بالانتباه من النّوم الّذی هو أخو الموت، و زوال المانع عن التّقرّب بالعبادات.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و إليه النّشور»): الإحياء للبعث، أو المرجع فى نيل الثّواب ممّا نكسب فى

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۸۹

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا أخذ مضجعه من اللّيل .. قال:

«باسم اللّه وضعت جنبى، اللّهمّ؛ اغفر لى ذنبى، و اخسأ شيطانى، و فكّ رهانى، و ثقّل ميزانى، ...

حياتنا هذه، و فيه إشارة بإعادة اليقظة بعد النّوم إلى البعث بعد الموت.

و حكمة الدّعاء عند النّوم: أن يكون خاتمة عمله العبادة، فالدّعاء هو العبادة وَ قالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِی أَسْتَجِبْ لَكُمْ [٦٠/ غافر].

و حكمة الدّعاء عند الانتباه: أن يكون أوّل ما يستيقظ يعبد اللّه بدعائه و ذكره و توحيده؛ قاله المناوى.

(و) أخرج أبو داود فى «الأدب»، و الحاكم بإسناد حسن؛ عن أبى الأزهر- و يقال: أبو زهير- الأنمارى الشّامى قال:

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم إذا أخذ مضجعه من اللّيل؛ قال: «باسم اللّه)- و فى رواية: «باسمك اللّهمّ»- (وضعت جنبى)؛ أى: بإقدارك إيّاى وضعت جنبى؛ ففيه الإيمان بالقدر، و فى رواية أنّه قال: «باسمك اللّهمّ وضعت جنبى و بك أرفعه».

(اللّهمّ، اغفر لى ذنبى، و اخسأ شيطانى)؛ أى: اجعله خاسئا، أى:

مطرودا، و هو بوصل الهمزة، يقال: خسأت الكلب؛ أى: طردته، و «خسىء» يتعدّى، و لا يتعدى.

(و فكّ رهانى)؛ أى: نفسى المرهونة فى سجن المخالفة، أى: خلّصنى من عقال ما اقترفت نفسى من الأعمال الّتى لا ترتضيها بالعفو عنها. و «الرّهان» ك «سهام».

الرّهن: و هو ما يجعل وثيقة بالدّين، و المراد هنا: نفس الإنسان، لأنّها مرهونة بعملها كُلُّ امْرِئٍ بِما كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) [الطور].

(و ثقّل ميزانى) يوم توزن الأعمال؛ و هذا تشريع للأمّة، و إلّا! فالأنبياء

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۹۰

و اجعلنى فى النّدىّ الأعلى».

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا أخذ مضجعه .. قرأ (قل يا أيها الكافرون) حتّى يختمها.

و عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إذا أوى إلى فراشه كلّ ليلة .. جمع كفّيه فنفث فيهما ...

لا سيّئات لهم، و لا توزن لهم أعمال!

(و اجعلنى فى النّدىّ)- بفتح النّون و كسر الدّال و تشديد الياء؛ كما فى «الأذكار»-: هم القوم المجتمعون فى مجلس، و منه: النّادى؛ لمكان الاجتماع؛ أى: الملأ (الأعلى») من الملائكة.

و هذا دعاء يجمع خير الدنيا و الآخرة، فتتأكّد المواظبة عليه كلّما أريد النّوم، و هو من أجلّ الأدعية المشروعة عنده؛ على كثرتها!

(و) أخرج الطّبرانى فى «الكبير»؛ عن عبّاد بن عبّاد- بتشديد الباء مع فتح العين المهملة فيهما- ابن أخضر المازنى المصرى، قال العلقمى: بجانبه علامة الحسن.

قال: (كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم إذا أخذ مضجعه) من اللّيل؛ (قرأ قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ (١))؛ أى: سورتها (حتى يختمها)، ثمّ ينام على خاتمتها؛ لأنّها براءة من الشّرك، كما جاء به معلّلا فى خبر آخر.

(و) أخرج الإمام مالك، و الإمام أحمد، و الشّيخان، و أبو داود، و التّرمذى فى «الجامع» و «الشّمائل»؛ (عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها؛ قالت:

كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم إذا أوى)- بالقصر، و قد يمدّ- أى: وصل (إلى فراشه) و أراد النّوم فيه (كلّ ليلة؛ جمع كفّيه)، أى: ضمّ إحداهما للأخرى، (فنفث)؛ أى: نفخ (فيهما) نفخا لطيفا بلا ريق؛ على ما يلوح من ظواهر

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۹۱

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و قرأ فيهما (قل هو اللّه أحد)، و: (قل أعوذ برب الفلق)، و:

(قل أعوذ برب الناس)، ثمّ مسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما رأسه و وجهه و ما أقبل من جسده؛ يصنع ذلک ...

الأحاديث، و إن اختلف أهل اللّغة فى أنّ النّفث بريق أو بدونه!! فيكون النّفث أقلّ من التّفل؛ لأنّ التّفل لا يكون إلّا و معه شىء من الرّيق، و كان صلّى اللّه عليه و سلم ينفث مخالفة لليهود لأنّهم يقرءون و لا ينفثون.

(و قرأ فيهما) و فى رواية «فقرأ»- بالفاء-. مقتضى الرّواية الأولى: أنّ تقديم النّفث على القراءة و عكسه سيّان؛ حيث كانا بعد جمع الكفّين. و مقتضى الرّواية الثّانية: أنّ النّفث يكون قبل القراءة، و به جزم بعضهم، و علّل ذلک بمخالفة السّحرة؛ فإنّهم ينفثون بعد القراءة.

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١))، (و قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)) (و قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١))؛ أى: قرأ السّور الثّلاث بكمالها، (ثمّ مسح بهما)؛ أى: بكفّيه (ما استطاع) مسحه- فالعائد محذوف- (من جسده)؛ و هو ما تصل إليه يده من بدنه.

و ظاهره أنّ المسح فوق الثّوب (يبدأ بهما)؛ أى: بكفّيه (رأسه). فصله!! لأنّه بيان لجملة «مسح»، أو بدل منه، أو استئناف (و وجهه و ما أقبل من جسده)؛ الجسد أخص من الجسم؛ لأنه لا يقال إلّا لبدن الإنسان و الملائكة و الجن، كما ذكره فى «البارع» و غيره.

و لا يرد قوله تعالى فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُوارٌ [٨٨/ طه]؛ لأنّ إطلاق الجسد فيه على سبيل المجاز لتشبيهه بالعاقل!! و أمّا الجسم؛ فيشمل سائر الحيوانات و الجمادات. انتهى «باجورى».

و كان (يصنع ذلک)؛ أى: المذكور؛ من جمع الكفّين و النّفث فيهما و القراءة

ثلاث مرّات. و كان لا ينام حتّى يقرأ: (بنى إسرائيل) و:

(الزمر).

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم لا ينام حتّى يقرأ: (الم تنزيل) السّجدة، و: (تبارک الذى بيده الملک).

و المسح (ثلاث مرّات)، كما هو كمال السّنّة، و أمّا أصلها؛ فيحصل بمرّة، كما يفيده رواية أخرى.

(و) أخرج الإمام أحمد، و التّرمذى، و الحاكم، و قال التّرمذى: حسن غريب؛ عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت:

(كان لا ينام حتّى يقرأ) سورة (بنى إسرائيل)، و يقال لها سورة «الإسراء».

(و) يقرأ سورة (الزّمر)، قال الطيبى: «حتّى» غاية لقوله: «لا ينام»، و يحتمل كون المعنى: إذا دخل وقت النّوم لا ينام حتّى يقرأ، و كونه لا ينام مطلقا حتّى يقرأ؛ يعنى: لم يكن عادته النّوم قبل قراءتهما، فتقع القراءة قبل دخول وقت النوم؛ أىّ وقت كان!! و لو قيل: كان يقرؤهما باللّيل! لم يفد ذلک. انتهى.

(و) أخرج الإمام أحمد، و التّرمذى فى «فضائل القرآن»، و النّسائى فى «اليوم و الليلة»، و الحاكم فى «التفسير»؛ و قال: على شرطهما؛ كلهم عن جابر بن عبد اللّه رضى اللّه تعالى عنهما قال:

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم لا ينام حتّى يقرأ الم (١) تَنْزِيلُ السّجدة، و تَبارَکَ الَّذِی بِيَدِهِ الْمُلْکُ) [١/ الملک] فيه التّقرير المذكور فيما قبله.

و عن العرباض بن سارية: كان صلّى اللّه عليه و سلم يقرأ المسبّحات قبل أن يرقد، و قال: «إنّ فيهنّ آية أفضل من ألف آية». رواه الإمام أحمد، و أبو داود، و التّرمذى؛ و حسّنه، و النّسائى، و رواه ابن الضّريس؛ عن يحيى بن أبى كثير مرسلا، و زاد:

قال يحيى: فنراها الآية الّتى فى آخر «الحشر». و قال ابن كثير: الآية هى قوله تعالى هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) [الحديد].

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يأمر نساءه إذا أرادت إحداهنّ أن تنام ..

أن تحمد ثلاثا و ثلاثين، و تسبّح ثلاثا و ثلاثين، و تكبّر ثلاثا و ثلاثين.

و عن أنس رضى اللّه تعالى عنه: أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم كان إذا أوى إلى فراشه ...

و المسبّحات ست: الحديد، و الحشر، و الصفّ، و الجمعة، و التغابن، و سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) [الأعلى].

(و) فى «الجامع الصّغير» و قال: أخرجه ابن منده؛ عن حابس قال:

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم يأمر نساءه إذا أرادت إحداهنّ أن تنام)؛ ظاهره شمول نوم اللّيل و النّهار،

(أن تحمد)- بفتح الميم-؛ أى: تحمد اللّه تعالى (ثلاثا و ثلاثين)؛ أى:

تقول «الحمد للّه»، و تكرّرها ثلاثا و ثلاثين مرّة.

(و تسبّح ثلاثا و ثلاثين)؛ أى: تقول «سبحان اللّه»؛ و تكرّرها ثلاثا و ثلاثين مرّة.

(و تكبّر ثلاثا و ثلاثين)؛ أى: تقول «اللّه أكبر»، و تكرّره كذلك، و هى «الباقيات الصّالحات» فى قول ترجمان القرآن الحبر: عبد اللّه بن عباس.

فيندب ذلك عند إرادة النّوم ندبا مؤكّدا للنّساء، و مثلهن الرّجال، فتخصيصهنّ بالذّكر ليس لإخراج غيرهن!

(و) أخرج الإمام أحمد، و مسلم، و أبو داود، و الترمذى فى «الجامع» و «الشّمائل»، و النّسائى: كلهم؛ (عن أنس) أى: ابن مالك (رضى اللّه تعالى عنه؛ أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم كان إذا أوى إلى فراشه) أى: دخل فيه.

قال الإمام النّووىّ فى آخر «باب الحج» من «شرح مسلم»؛ نقلا عن القاضى عياض: يقال: آوى و أوى- بالمدّ و القصر فى الفعل اللّازم و المتعدّى جميعا- لكن

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٢٩۴

قال: «الحمد للّه الّذى أطعمنا و سقانا و كفانا و آوانا، فكم ممّن لا كافى له و لا مؤوى له».

القصر فى اللّازم أشهر و أفصح، و المدّ فى المتعدّى أشهر و أفصح. انتهى.

قلت: و بالأفصح جاء القرآن العزيز فى الموضعين، قال تعالى: أَ رَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ [۶٣/ الكهف]. و قال تعالى فى المتعدّى وَ آوَيْناهُما إِلى رَبْوَةٍ [۵٠/ المؤمنون]. انتهى.

(قال: «الحمد للّه الّذى أطعمنا و سقانا)، إنّما ذكرهما هنا!! لأنّ الحياة لا تتمّ إلّا بهما؛ كالنّوم، فالثّلاثة من واد واحد، و أيضا النّوم فرع الشّبع و الرّىّ، و فراغ الخاطر من المهمّات، و الأمن من الشرور و الآفات؛ فلذلك ذكر ما بعده أيضا بقوله:

(و كفانا)؛ أى: دفع عنّا شرّ خلقه، (و آوانا)؛ فى كنّ نسكن فيه يقينا الحرّ و البرد، و نحرس فيه متاعنا، و نحجب به عيالنا، و هو بالمدّ، و يجوز القصر، و علّل الحمد مبيّنا لسببه الحامل عليه؛ إذ لا يعرف قدر النّعمة إلّا بضدّها؛ بقوله:

(فكم ممّن لا كافى له)- بدون همز- (و لا مؤوى له!!)- بميم مضمومة، فهمزة ساكنة، فواو مكسورة؛ اسم فاعل من «آوى» بالمدّ- أى: كثير من خلق اللّه لا يكفيهم اللّه شرّ الأشرار، و لا يجعل لهم مسكنا؛ بل تركهم يتأذّون فى الصّحارى بالبرد و الحرّ؛ قاله المناوى على «الجامع».

و قال الباجورى: و المعنى: فكم من الخلق؛ أى: كثير منهم لا- كافى لهم و لا- مؤوى لهم على الوجه الأكمل عادة، فاللّه تعالى كاف لجميع خلقه و مؤو لهم؛ و لو من بعض الوجوه، و إن كان لا يكفيهم و لا يؤويهم من بعض آخر! فلا يكفيهم شرّ أعدائهم؛ بل يسلّطهم عليهم، و لا يؤويهم إلى مأوى، بل يتركهم يتأذّون ببرد الصّحارى و حرّها.

و فى الحديث إشارة إلى عموم الأكل و الشّرب لشمول الرّزق، كما يقتضيه قوله تعالى. وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُها [۶/ الأنعام].

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٢٩٥

و عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إذا تضوّر من اللّيل ...

و أمّا الكفاية من شرّ الأعداء- مثلا- و المأوى!! فاللّه تعالى يخصّ بهما من شاء من عباده؛ فإنّ كثيرا منهم من يتسلّط عليه أعداؤه، و كثير منهم ليس له مأوى! إمّا مطلقا، أو مأوى صالحا. انتهى.

و روى البخارىّ و غيره؛ عن حذيفة؛ و مسلم؛ عن البراء:

كان صلّى اللّه عليه و سلم إذا استيقظ؛ قال: «الحمد للّه الّذى أحيانا بعد ما أماتنا و إليه النّشور».

و روى أبو داود؛ عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت: كان إذا استيقظ من اللّيل؛ قال: «لا إله إلّا أنت، سبحانك اللّهمّ و بحمدك، أستغفرك لذنبى، و أسألك رحمتك، اللّهمّ زدنى علما، و لا تزغ قلبى بعد إذ هديتنى، وهب لى من لدنك رحمة إنّك أنت الوهّاب».

و روى الإمام أحمد، و ابن ماجه؛ عن ربيعة بن كعب؛ أنّه سمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم إذا قام من اللّيل يصلّى يقول: «الحمد للّه ربّ العالمين القوىّ»، ثمّ يقول:

«سبحان اللّه و بحمده القوىّ».

و أمّا ما كان يقوله إذا أصبح و إذا أمسى!! فكثير ألّفت فيه تاليف كثيرة، يقال لها «عمل اليوم و اللّيلة» و اللّه أعلم.

(و) أخرج النّسائى فى «عمل اليوم و الليلة»، و الحاكم فى «باب الدعاء»، و قال: على شرطهما، و أقرّه الذّهبىّ، و قال الحافظ العراقى فى «أماليه»: حديث صحيح، و أخرجه ابن حبّان أيضا: كلهم؛ (عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها؛ قالت:

كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم إذا تضوّر)- بالتّشديد-؛ أى: تلوّى و تقلّب ظهرا لبطن؛ و قال الحفنى: أى: استيقظ (من اللّيل).

«من» تبعيضيّة، أو بمعنى «فى»؛

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٢٩٦

قال: «لا إله إلّا اللّه الواحد القهّار، ربّ السّماوات و الأرض و ما بينهما العزيز الغفّار».

و معنى (تضوّر): تلوّى و تقلّب فى فراشه.

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إذا تعارّ من اللّيل .. قال:

«ربّ اغفر و ارحم، و اهد للسّبيل الأقوم».

(قال: «لا إله إلّا اللّه الواحد القهّار، ربّ السّماوات و الأرض، و ما بينهما العزيز الغفّار»)، هذا التسجيع فى الدّعاء ليس مقصودا له صلّى اللّه عليه و سلم، فلا بأس به حيث لم يكن متكلّفا.

(و معنى تضوّر)- بفتح المثنّاة الفوقيّة و الضّاد المعجمة، و شدّة الواو؛ فراء- (: تلوّى و تقلّب فى فراشه)؛ قاله العزيزى على «الجامع الصغير».

(و) أخرج محمد بن نصر فى كتاب «فضل الصلاة»؛ و قال فى «العزيزى»: حديث حسن لغيره؛ عن أمّ سلمة رضى اللّه تعالى عنها، زوج النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم قالت:

(كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم إذا تعارّ)- بفتح المثنّاة، الفوقيّة، و العين المهملة، و شدّة الرّاء- أى: انتبه (من اللّيل). و التّعارّ: الانتباه فى اللّيل مع صوت؛ من نحو تسبيح أو استغفار، و هذا حكمة العدول إليه عن التعبير بالانتباه، فإنّ من هبّ من نومه ذاكرا للّه و سأله خيرا أعطاه، و إنّما يكون ذلك لمن تعوّد الذّكر و استأنس به؛ و غلب عليه حتّى صار حديث نفسه فى نومه و يقظته!!

قالوا: و أصل التّعارّ: السّهر و التّقلّب على الفراش، ثمّ استعمل فيما ذكر، و قد ورد عند الانتباه أذكار؛ منها: أنّه كان إذا انتبه (قال: «ربّ اغفر و ارحم و اهد للسّبيل الأقوم»)؛ أى: دلّنى على الطّريق الواضح الّذى هو أقوم الطّرق و أعظمها استقامة. و حذف المعمول! ليؤذن

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

بالعموم.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۹۷

و معنى (تعارّ): هبّ من نومه و استيقظ.

و عن أبى قتادة رضى اللّه تعالى عنه: أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم كان إذا عرّس بليل .. اضطجع على شقّه الأيمن، ...

و فيه جواز تسجيع الدّعاء إذا خلا عن تكلّف و قصد؛ كهذا.

فينبغى المحافظة على قول الذّكر عند الانتباه من النّوم، و لا يتعيّن له لفظ؛ لكنّه بالمأثور أفضل، و منه ما ذكر فى هذا الخبر. قاله المناوى.

(و معنى تعارّ)- بتشديد الرّاء-: (هبّ من نومه و استيقظ)، و التّاء زائدة؛ قاله فى «النّهاية».

(و) أخرج التّرمذى فى «الشّمائل»، و الإمام أحمد، و ابن حبّان، و الحاكم؛ بأسانيد صحيحة، و اللفظ ل «الشّمائل»؛ (عن أبى قتادة) من أكابر الصّحب الكرام.

اسمه: الحارث بن ربعىّ- بكسر أوّله-، أو: النّعمان بن ربعىّ. أو النّعمان ابن عمرو، الأنصارى، الخزرجى، السّلمى، المدنى.

فارس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم؛ حضر المشاهد كلّها إلّا بدرا؛ ففيها خلف، و ليس فى الصّحب من يكنّى بكنيته.

مات بالمدينة المنوّرة سنة: ثمان و ثلاثين، أو: أربع و خمسين؛ عن سبعين سنة (رضى اللّه تعالى عنه؛

أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم كان إذا عرّس)- بشدّ الرّاء و عين و سين مهملات- أى: نزل و هو مسافر آخر الليل للنّوم و الاستراحة (بليل)؛ أى: فى زمن ممتدّ منه، لقوله بعد:

«قبيل الصبح»، (اضطجع على شقّه الأيمن)؛ أى: نام على جنبه الأيمن، و وضع رأسه على لبنة، و الشّقّ- بالكسر-: نصف الشّىء و الجانب.

و هذه الحالة؛ و إن كانت تفضى إلى الاستغراق فى النّوم؛ لكنّه لمّا كان الوقت متّسعا وثق من نفسه بالتّيقّظ و عدم فوات الصّبح.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۹۸

و إذا عرّس قبيل الصّبح .. نصب ذراعه، و وضع رأسه على كفّه.

و معنى (التّعريس): نزول القوم فى السّفر آخر اللّيل.

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إذا أراد أن ينام و هو جنب ..

توضّأ وضوءه للصّلاة، ...

(و إذا عرّس قبيل الصّبح)؛ أى: قبل دخول وقته بقليل (نصب ذراعه)؛ أى: اليمين، (و وضع رأسه على كفّه)، و فى رواية أحمد و غيره: و وضع رأسه على كفّه اليمنى، و أقام ساعده. و ذلك لأنّه أعون على الانتباه؛ لئلّا ينام طويلا؛ فيفوته الصّبح، فهو تشريع و تعليم لأمّته لئلّا يثقل نومهم فيفوتهم أوّل الوقت، فينبغى لمن قارب وقت الصّلاة أن يتجنب الاستغراق فى النّوم، فينام على هيئة تقتضى سرعة يقظته؛ محافظة على تحصيل فضيلة أوّل الوقت؛ اقتداء به صلّى اللّه عليه و سلم.

(و معنى التّعريس: نزول القوم فى السّفر آخر اللّيل) للنّوم و الاستراحة، هذا قول الأكثر؛ كما فى الزّرقانى.

و قال المناوى: ظنّ بعضهم أنّ اللّيل قيد فى مسمّاه، و الأمر بخلافه!! فقد أطلقوا أن يقال: «عرّس»؛ إذا نزل المسافر ليستريح نزلة ثمّ يرتحل.

بل قال أبو زيد و غيره: قالوا: عرّس القوم فى المنزل تعريسا؛ إذا نزلوا أىّ وقت كان من ليل أو نهار، هكذا حكاه عنه بلفظ: «قالوا». انتهى كلام المناوى على «الشّمائل».

(و) أخرج أبو داود، و النسائى، و ابن ماجه بإسناد صحيح؛ عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت: (كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

سلم إذا أراد أن ينام؛ و هو جنب توضّأ)؛ أى: غسل أعضاءه الأربعة بالنّية، و لمّا كان الوضوء لغويّا و شرعيّا؛ دفع توهّم إرادة اللّغوى الّذى هو مطلق النّظافة بقوله: (وضوءه للصّلاة)؛ احترازا عن الوضوء اللّغوى، فيسنّ وضوء الجنب للنوم، و يكره تركه.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۲۹۹

و إذا أراد أن يأكل أو يشرب و هو جنب .. غسل يديه ثمّ يأكل و يشرب.

و حكمة الوضوء: تخفيف الحدث، لا سيّما إذا قلنا بجواز تفريق الغسل؛ فينويه، فيرتفع الحدث عن تلك الأعضاء.

و يؤيّده ما رواه ابن أبى شيبة بسند قال فيه ابن حجر: رجاله ثقات؛ عن شدّاد رفعه: «إذا أجنب أحدكم من اللّيل؛ ثمّ أراد أن ينام فليتوضّأ؛ فإنّه نصف غسل الجنابة».

و قيل: حكمته أنّه أحد الطّهارتين. و عليه؛ فيقوم التّيمم مقامه!! و قد روى البيهقى- بإسناد قال ابن حجر: هو حسن- عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها:

كان إذا أجنب فأراد أن ينام توضّأ أو تيمّم. أى: عند فقد الماء.

و قيل: حكمته أن ينشط إلى العود أو الغسل.

و نقل ابن دقيق العيد عن نصّ الشّافعى أنّه مثل الجنب: الحائض بعد الانقطاع، و مثلها النّفساء؛ و فيه ندب التّنظيف عند النّوم. قال ابن الجوزى:

و حكمته أنّ الملائكة تبعد عن الوسخ و الرّيح الكريه؛ بخلاف الشّياطين!.

(و إذا أراد أن يأكل أو يشرب؛ و هو جنب؛ غسل يديه)؛ أى: الأقلّ ذلك، و الأكمل أن يتوضّأ؛ كما صرّح به الفقهاء، و غسل اليدين مطلوب عند الأكل؛ و إن لم يكن جنبا.

و إنما قيّد بالجنب! لتأكّد ذلك فيه أكثر من غيره. و قد ورد أنّه صلّى اللّه عليه و سلم كان يتوضّأ أيضا عند إرادة الأكل إذا كان جنبا، و قيس بالأكل الشّرب.

و كالجنب فى ذلك الحائض و النّفساء إذا انقطع دمهما؛ قاله العزيزى و الحفنى.

(ثمّ يأكل و يشرب)؛ لأنّ أكل الجنب بدون ذلك يورث الفقر؛ كما جاء فى

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۰۰

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا أراد أن ينام و هو جنب .. غسل فرجه و توضّأ.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم تنام عيناه و لا ينام قلبه.

خبر الديلمى؛ عن شدّاد بن أوس يرفعه: «ثلاث تورث الفقر: أكل الرّجل و هو جنب قبل أن يغسل يديه، و قيامه عريا بلا مئزر و سترة، و المرأة تشتم زوجها فى وجهه».

(و) أخرج الشّيخان، و أبو داود، و النّسائىّ، و ابن ماجه؛ عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت: (كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم إذا أراد أن ينام و هو جنب؛ غسل فرجه)، أى: ذكره (و توضّأ)- تمامه- للصّلاة. أى: وضوءه للصّلاة؛ أى: توضّأ كما يتوضّأ للصّلاة، و ليس معناه أنّه توضّأ لأداء الصّلاة! و إنّما المراد أنّه توضّأ وضوءا شرعيّا؛ لا لغويا. انتهى «مناوى».

(و) أخرج الحاكم فى «التفسير»- قال العزيزى: و هو حديث صحيح-؛ عن أنس رضى اللّه تعالى عنه قال:

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم تنام عيناه) بالتّثنية، و بالإفراد، على أنّه مفرد مضاف يعمّ، روايتان فى البخارى.

(و لا ينام قلبه) ليعى الوحى الذى يأتيه، بل هو دائم اليقظة، لا يعتريه غفلة؛ و لا يتطرّق إليه شائبة نوم؛ لمنعه من إشراق الأنوار الإلهيّة الموجبة لفيض المطالب السّنيّة، و لذا كانت رؤياه وحيا، و لا تنتقض طهارته بالنّوم، و كذا الأنبياء؛ لقوله صلّى اللّه عليه و سلم: «إنّا معشر الأنبياء تنام أعيننا؛ و لا تنام قلوبنا». رواه ابن سعد؛ عن عطاء مرسلا،

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و رواه البخاری و غیره بمعناه؛ من حدیث عائشهٔ رضی اللّه تعالی عنها، و لفظها:

ما کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم یزید فی رمضان، و لا فی غیره علی إحدی عشرهٔ رکعهٔ؛ یصلی أربعا فلا تسأل عن حسنهنّ و طولهنّ، ثمّ یصلی أربعا؛ فلا تسأل عن حسنهن

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۳۰۱

....

و طولهنّ، ثمّ یصلی ثلاثا، قالت عائشهٔ رضی اللّه تعالی عنها: قلت: یا رسول اللّه؛ أ تنام قبل أن توتر؟! فقال: «یا عائشهٔ؛ إنّ عینیّ تنامان و لا ینام قلبی».

رواه الشّیخان، و أبو داود، و التّرمذی، و النّسائی.

و إنّما کان لا ینام قلبه! لأنّ القلب إذا قویت فیه الحیاهٔ لا ینام إذا نام البدن، و کمال هذه الحالهٔ کان لنبیّنا محمد صلّی اللّه علیه و سلم، و لباقی الأنبیاء علیهم الصلاهٔ و السلام، فهو من خصائصه علی الأمم؛ لا علی الأنبیاء؛ بنصّ حدیثه المارّ!

و الفرق بیننا و بینهم: أنّ النّوم یتضمّن أمرین: راحهٔ البدن، و هو الّذی شارکونا فیه. و الثّانی: غفلهٔ القلب، و قلوبهم مستیقظهٔ إذا ناموا؛ سلیمهٔ من أضغاث الأحلام، مشتغلهٔ فی تلقّف الوحی و التّفکر فی المصالح؛ علی مثل حال غیرهم إذا کان یقظانا، و لذا کانت رؤیاهم وحیا، و لا ینقض النّوم وضوءهم.

و یحصل لمن أحیا اللّه قلبه بمحبّته و اتباع رسوله من ذلک الحال الّذی کماله للمصطفی جزء بحسب نصیبه من محبّته علیه الصلاهٔ و السّلام، و لکنّهم؛ و لو شارکوا الأنبیاء فی جزء ما من ذلک؛ لیسوا کهم! لانتقاض وضوئهم، و رؤیاهم لیست وحیا بإجماع.

و قد جمع العلماء بین هذا الحدیث و بین حدیث نومه علیه الصّلاهٔ و السلام فی الوادی؛ حیث کانوا قافلین من سفر عن صلاهٔ الصّبح حتّی طلعت الشّمس و حمیت حتّی أیقظه عمر رضی اللّه تعالی عنه بالتّکبیر!! کما أخرجه البخاری و مسلم؛ عن عمران بن حصین رضی اللّه تعالی عنهما؛

فقال النّووی: له جوابان:

أحدهما: أنّ القلب إنّما یدرک الحسّیّات المتعلّقهٔ به؛ کالحدث و الألم و نحوهما، و لا یدرک ما یتعلّق بالعین؛ لأنّها نائمهٔ و القلب یقظان.

الثانی: أنّه کان له حالان؛ حال کان قلبه لا ینام؛ و هو الأغلب، و حال ینام

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۳۰۲

....

فیه قلبه؛ و هو نادر، فصادف هذا- أی: قصّهٔ النّوم عن الصلاهٔ- قال: و الصّحیح المعتمد هو الأوّل، و الثانی ضعیف، بل شاذّ؛ لمخالفته لصریح «و لا ینام قلبی» الشّامل لسائر الأحوال؛ إذ الفعل المنفی یفید العموم. قال فی «فتح الباری»:

و هو کما قال.

و لا یقال: القلب؛ و إن کان لا یدرک ما یتعلّق بالعین من رؤیهٔ الفجر مثلا؛ لکنّه یدرک إذا کان یقظانا مرور الوقت الطّویل، فإنّ من ابتداء طلوع الفجر إلی أن حمیت الشّمس مدّهٔ طویلهٔ لا تخفی علی من لم یکن مستغرقا!! لأنّا نقول: یحتمل أن یقال: کان قلبه صلّی اللّه علیه و سلم إذ ذاک مستغرقا بالوحی، و لا یلزم من ذلک وصفه بالنّوم، کما کان یستغرق صلّی اللّه علیه و سلم حالهٔ إلقاء الوحی؛ فکان یستغرق بحیث یؤخذ عن النّاس إذا نزل علیه فی الیقظهٔ، و تکون الحکمهٔ فی ذلک الاستغراق: بیان التشریع بالفعل؛ لأنّه أوقع فی النّفس، کما فی قصّهٔ سهوه فی الصّلاهٔ حین سلّم من رکعتین ... و غیر ذلک.

و قریب من هذا جواب ابن المنیر: أنّ القلب قد یحصل له السّهو فی الیقظهٔ لمصلحهٔ التّشریع، ففی النّوم بطریق الأولی، أو علی السّواء؛

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

حيث فرضنا أنّ نومه و يقظته سيّان.

و قال ابن العربى فى «القبس»: النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم كيفما اختلفت حاله من نوم أو يقظة فى حقّ و تحقيق، و مع الملائكة فى كل طريق، إن نسى؛ فباكد من المنسىّ اشتغل، و إن نام؛ فبقلبه و نفسه على اللّه أقبل، و لهذا قالت الصّحابة الكرام رضوان اللّه عليهم: كان صلّى اللّه عليه و سلم إذا نام لا نوقظه حتّى يستيقظ، لأنّا لا ندرى ما يحدث له!! أى: من الوحى؛ كانوا يخافون من إيقاظه قطع الوحى، فلا يوقظونه لاحتمال ذلك.

قال ابن العربى: فنومه عن الصّلاة أو نسيانه شيئا منها لم يكن عن آفة، و إنّما كان بالتّصرّف من حالة إلى حالة مثلها؛ لتكون لنا سنّة. انتهى. أى: كما قال

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۰۳

و لذلك كان صلّى اللّه عليه و سلّم ينام حتّى ينفخ، ثمّ يقوم فيصلّى.

صلى اللّه عليه و سلم: «لو أنّ اللّه أراد ألّا تناموا عنها لم تناموا، و لكن أراد أن تكون لمن بعدكم؛ فهكذا لمن نام أو نسى». رواه الإمام أحمد رحمه اللّه تعالى.

(و لذلك) المذكور من كونه تنام عيناه و لا ينام قلبه (كان صلّى اللّه عليه و سلم ينام حتّى ينفخ)؛ من النّفخ: و هو إرسال الهواء من الفم بقوّة، و المراد هنا ما يخرج من النائم حين استغراقه فى نومه، و بيّن به أنّ النّفخ يعترى بعض النائمين؛ دون بعض، و أنّه ليس بمذموم و لا مستهجن.

(ثمّ يقوم فيصلّى)، لفظ التّرمذى؛ عن ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما:

أنّه صلّى اللّه عليه و سلم نام حتّى نفخ، و كان إذا نام نفخ، فأتاه بلال فاذنه بالصّلاة، فقام و صلّى؛ و لم يتوضّأ!! أى: لأنّ نومه لا ينقض وضوءه مطلقا؛ ليقظة قلبه، فلو خرج منه حدث لأحسّ به!! و أمّا رواية: أنّه توضّأ! فإمّا للتجديد، أو وجود ناقض غير النّوم.

و فى البخارى؛ عن ابن عبّاس رضى اللّه تعالى عنهما: نام صلّى اللّه عليه و سلم حتّى نفخ، و كنا نعرفه إذا نام بنفخه.

و عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت: نام صلّى اللّه عليه و سلم حتّى استثقل، و رأيته ينفخ.

و لأحمد عنها: ما نام قبل العشاء، و لا سمر بعدها. انتهى «زرقانى».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۰۴

[الباب الخامس فى صفة خلق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و حلمه، و عشرته مع نسائه، و أمانته، و صدقه، و حيائه، و مزاحه، و تواضعه، و جلوسه، و كرمه، و شجاعته]

اشارة

الباب الخامس فى صفة خلق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و حلمه، و عشرته مع نسائه، و أمانته، و صدقه، و حيائه، و مزاحه، و تواضعه، و جلوسه، و كرمه، و شجاعته و فيه ستّة فصول

(الباب الخامس) من الكتاب المشتمل على ثمانية أبواب، و مقدّمة، و خاتمة (فى) بيان ما ورد فى (صفة خلق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم).

الخلق- بضم الخاء و اللّام- و قد تسكّن-: الطبع و السجيّة، و هو اسم للأوصاف الباطنة؛ بخلاف الخلق- بفتح الخاء و سكون اللام-!! فإنّه اسم للصفات الظّاهرة؛ و تعلّق الكمال بالصّفات الباطنة أكثر من تعلّقه بالصّفات الظّاهرة.

و عرّف الإمام حجّة الإسلام الغزالىّ الخلق- بضمتين- بأنّه: هيئة للنّفس تصدر عنها الأفعال بسهولة، فإن كانت تلك الأفعال جميلة؛

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

سمّيت الهيئة خلقا حسنا، و إلّا! سمّيت خلقا سيئا.

(و حلمه)- بكسر الحاء- قال فى «الشّفاء» للقاضى عياض: هو حالة توقّر و ثبات عند الأسباب المحركات، (و عشرته)- بكسر العين المهملة-: اسم من المعاشرة و التعاشر، و هى المخالطة (مع نسائه)، و غيرهنّ، (و أمانته) فى كلّ شىء يحفظه؛ قولا أو فعلا أو غير ذلك ممّا يجعل عنده، و كونه موثوقا به فى أموال النّاس و أحوالهم، (و صدقه)؛ و هو مطابقة خبره للواقع.

(و حيائه) قال القاضى عياض فى «الشفاء»: الحياء رقّة تعترى وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع كراهته، أو ما يكون تركه خيرا من فعله.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۰۵

....

(و مزاحه)- بكسر أوّله- مصدر «مازحه»؛ و هو الانبساط مع الغير من غير إيذاء له؛ فيتولّد منه الضّحك.

(و تواضعه)- بضمّ الضّاد المعجمة-؛ هضم النّفس، قال الخفاجى:

التّواضع إظهار أنّه وضيع و هو أشرف النّاس؛ فالصيغة للتّكلف فى الأصل. قال ملا- على قارى: و هو من الملكات المورّثة للمحبّة الرّبّانيّة و المودّة الإنسانيّة؛ و لا يبلغ أحد حقيقة التّواضع إلّا عند لمعان نور المشاهدة فى قلبه، فعند ذلك تذوب النّفس؛ و فى ذوبانها صفاؤها من غشّ الكبر و العجب؛ فتلين و تنطبع للحقّ و الخلق؛ بمحو آثارها و سكون وهجها و غليانها، فالتواضع الحقيقىّ هو: ما كان ناشئا عن شهود عظمته تعالى، و تجلّى صفته عزّ و جلّ.

ما المتواضع الّذى إذا اتّضع رأى بأنّ القدر فوق ما صنع

لكنّه الّذى إذا ما اتّضعاتكون نفسه لديه أوضعا

و ما الحقيقىّ من التّواضعما كان عن تصنّع من واضع

بل عن شهود هيبة العظيمو عن تجلّى وصفه القديم (و جلوسه)؛ من كونه على شبه الحبوة، و إلى القبلة، و جلوسه مع أصحابه، و نحو ذلك، (و كرمه)؛ الكرم- بفتح أوّليه- قال القاضى عياض: هو الإنفاق بطيب نفس فيما يعظم خطره و نفعه. انتهى. فلا يطلق على ما يحقر قدره و يقلّ نفعه.

(و شجاعته)- مثلّث الشين-: مصدر «شجع»- بالضم- شجاعة؛

و هى- كما قال الشامى-: انقياد النفس مع قوّة غضبيّة و ملكة يصدر عنها انقيادها فى إقدامها، متدرّبة على ما ينبغى، فى زمن ينبغى، و حال ينبغى. انتهى.

و الشّجاع- بالضم-: الشديد القلب عند البأس، المستهين بالحروب.

(و فيه)؛ أى: هذا الباب فيه (ستّة فصول) سيأتى بيانها.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۰۶

[الفصل الأوّل فى صفة خلقه صلّى اللّه عليه و سلّم و حلمه]

الفصل الأوّل فى صفة خلقه صلّى اللّه عليه و سلّم و حلمه (الفصل الأوّل) من الباب الخامس (فى) بيان ما ورد فى (صفة خلقه صلّى اللّه عليه و سلم).

فى «النهاية»: الخلق- بالضّم و السكون، و بضمّتين-: السجيّة و الطبيعة، و المروءة و الدين. و حقيقته: أنّه صورة الإنسان الباطنة؛ و هى نفسه و أوصافها و معانيها المختصّة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة و أوصافها و معانيها، و لهما أوصاف حسنة و قبيحة، و الثواب و العقاب يتعلّقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلّقان بأوصاف الصورة الظاهرة، و لهذا تكرّرت الأحاديث فى مدح حسن الخلق فى غير موضع. انتهى.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و اختلف: هل حسن الخلق غريزة طبيعية، أو مكتسبة اختيارية!؟.

فقيل بالأوّل؛ لخبر البخارى: «إنّ اللّه قسم بينكم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم».

و قيل: بعضه مكتسب؛ لما صحّ فى خبر الأشجّ: «إنّ فيك لخصلتين يحبّهما اللّه: الحلم، و الأناة» قال: يا رسول اللّه؛ قديما كان فىّ أو حديثا؟! قال:

«قديما». قال: الحمد للّه الذى جبلنى على خلقين يحبّهما.

قال ابن حجر الهيتمى- رحمه اللّه تعالى-: فترديد السؤال عليه و تقريره يشعر بأنّ منه ما هو جبلّى، و منه ما هو مكتسب؛ و هذا هو الحق.

و من ثمّ قال القرطبىّ: هو جبلّة فى نوع الإنسان؛ و هم متفاوتون فيه، فمن غلبه حسنه؛ فهو المحمود، و إلّا! أمر بالمجاهدة حتى يصير حسنا، و بالرياضة حتى يزيد حسنه.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۰۷

....

قلت: الأظهر أنّ الأخلاق كلّها باعتبار أصلها جبلّية؛ قابلة للزيادة و النقصان فى الكميّة و الكيفيّة و الرياضات الناشئة عن الأمور العلمية و العملية، كما تدلّ عليه الأخبار النبوية.

منها حديث: «إنّما بعثت لأتمّم صالح الأخلاق». رواه البخارى فى «تاريخه»، و الحاكم، و البيهقى، و أحمد؛ عن أبى هريرة.

و أخرجه البزّار بلفظ: «مكارم الأخلاق».

و منها ما فى «مسلم»؛ عن على كرّم اللّه وجهه فى «دعاء الافتتاح»: منتهى السؤل، اللحجى ج۲ ۳۰۷ الفصل الأول فى صفة خلقه صلى الله عليه و سلم و حلمه ..... ص : ۳۰۶

و اهدنى لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلّا أنت».

و منها ما صحّ عنه صلّى اللّه عليه و سلم: «اللّهمّ؛ كما حسّنت خلقى فحسّن خلقى».

فالمراد: زيادة تحسين الخلق على ما هو الظاهر؛ على طبق رَبِّ زِدْنِي عِلْماً (۱۱۴) [طه].

و منها حديث: «حسن الخلق نصف الدّين» رواه الديلمى؛ عن أنس.

و منها حديث: «إنّ من أحبّكم إلىّ أحسنكم أخلاقا». رواه البخارى؛ عن ابن عمر رضى اللّه تعالى عنهما. انتهى. ذكره العلامة ملا على القارى فى «جمع الوسائل».

(و حلمه) صلى اللّه عليه و سلم و هو: ضبط النّفس و الطبع عند هيجان الغضب و عدم إظهاره؛ قاله الخفاجى على «الشفاء».

و فى «الابتهاج» للبلغيثى: و اعلم أنّ الحلم من أصحّ السّيمات على محمود الصفات، و هو يدرك بالتخلّق و حمل النفس عليه؛ فهو مكتسب، كما يدلّ عليه الحديث: «إنّما العلم بالتّعلّم، و إنّما الحلم بالتّحلّم».

و قال علىّ رضى اللّه تعالى عنه: من حلم ساد، و من تفهّم ازداد.

و للحلم عشرة أسباب: ۱- رحمة الجهّال، و ۲- القدرة على المعفوّ عنه،

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۰۸

....

و ۳- الترفّع شرفا و علوّ همّة، و ۴- الاستهانة أنفة و عجبا، و ۵- الحياء، و ۶- الفضل، و ۷- الاستكفاف؛ أى: جعل السكوت و الصبر سببا لكفّ الجاهل، و ۸- خوف العقوبة؛ إمّا لضعف نفس، أو لرأى و حزم، و ۹- رعاية نعمة أو حرمة، و ۱۰- توقّع الفرصة؛ دهاء و مكرا.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

فإن خلا الحلم عن هذه الأسباب كلّها؛ كان ذلّا. و كلّ واحد منها يحمل على عدم الانتقام فى الحال أو دواما.

فمن رحمة الجهّال: قول أبى الدرداء رضى اللّه تعالى عنه لرجل شتمه:

يا هذا؛ لا تغرق فى سبّنا، ودع للصّلح موضعا، فإنّا لا نكافئ من عصى اللّه تعالى فينا بأكثر من أن نطيع اللّه فيه.

و قول الشافعى رضى اللّه تعالى عنه و قد شتمه رجل: إن كنت كما قلت غفر اللّه لى، و إلّا!! غفر اللّه لك.

و فى القدرة على المعفو عنه: ما جاء عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم: «إذا قدرت على عدوّك فاجعل العفو عنه شكرا على القدرة عليه». و قيل: أحسن المكارم عفو المقتدر، وجود المفتقر.

و من الترفّع: قول ابن هبيرة و قد أعرض عن رجل سبّه و قال له «إيّاك أعنى»:

و أنا عنك أعرض.

و لبعضهم:

أو كلّما طنّ الذّباب زجرتهإنّ الذّباب إذن علىّ كريم و لعمرو بن على:

إذا نطق السّفيه فلا تجبهفخير من إجابته السّكوت

سكتّ عن السّفيه فظنّ أنّىعييت عن الجواب و ما عييت و فى الصفح لأجل الحياء قيل: احتمال أذى السفيه أيسر من التحلّى بحليته.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٣٠٩

....

و من الفضل قول الإسكندر لما قيل له: فلان و فلان يتنقّصانك؛ فلو عاقبتهما! قال: هما بعد العقوبة أعذر فى تنقّصى.

و من الاستكفاف قول ضرار بن القعقاع- و قد قال له رجل: و اللّه لئن قلت لى كلمة لتسمعنّ عشرا-؛ فقال ضرار: و اللّه لو قلت لى عشرا ما سمعت كلمة واحدة.

و فى خوف العقوبة: قيل: الحلم حجاب الآفات.

و فى رعاية النعمة قيل: أكرم الشّيم أرعاها للذّمم.

و فى توقّع الفرصة قيل: غضب الأحمق فى قوله، و غضب العاقل فى فعله.

و قيل:

تعاقب أيدينا و يحلم رأيناو نشتم بالأفعال لا بالتّكلّم و من المشهورين بالحلم: الأحنف بن قيس، و يضرب به المثل فى الحلم، و اسمه: «الضّحّاك» و قيل: «صخر». و هو من الموصوفين ببشاعة الصورة.

و هو من كبار التابعين، و كان يقول: إنّى تعلّمت الحلم من خالى قيس بن عاصم المنقرى. و قيس هذا صحابى رضى اللّه تعالى عنه.

و من حلمه: ما حدّث به الأحنف قال: كنّا عند خالى قيس بن عاصم، فأتى بولد له قتيل؛ فقال: ادفنوه؛ و عظّم اللّه أجر أمّه فيه. و ما رأيناه تغيّر و لا حلّ حبوته لذلك، فقالوا له: إنّ أخاك قد قتله. فقال متمثّلا:

أقول للنّفس تأساء و تعزيةإحدى يدىّ أصابتنى و لم ترد

كلاهما خلف من فقد صاحبههذا أخى حين أدعوه و ذا ولدى و من حلم الأحنف: ما روى أنّ عمرو بن الأهتم جعل لرجل ألف درهم على أن يسفّه الأحنف؛ فأقبل الرجل عليه فسبّه سبّا ذريعا؛ و الأحنف ساكت. فرجع الرجل يعضّ أنامله، و يقول: وا سوأتاه؛ ما منعه من جوابى إلّا هوانى عليه.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٣١٠

قال القاضى عياض فى «الشّفا»: (قال وهب بن منبّه: ...

و فعل به آخر مثل ذلك و أطال فى شتمه، إلى أن أراد الأحنف القيام إلى غدائه.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

فقال للرجل: يا هذا؛ إنّ غداءنا قد حضر فقم بنا إليه.

و كان الأحنف يقول: ما عادانى أحد إلّا أخذت فى أمره بإحدى ثلاث خصال:

إن كان أعلى منّى؛ عرفت له قدره، أو دونى؛ رفعت عنه قدرى، أو نظيرى؛ تفضّلت عليه. انتهى.

و هذا كلام فى غاية الحكمة، و قد نظمه الخليل بن أحمد رحمه اللّه تعالى:

سألزم نفسى الصّفح عن كلّ مذنبو إن عظمت منه علىّ الجرائم

فما النّاس إلّا واحد من ثلاثةشريف و مشروف و مثل مقاوم

فأمّا الّذى فوقى فأعرف قدرهو أتبع فيه الحقّ و الحقّ لازم

و أمّا الّذى دونى فحلمى تكرّماأصون به عرضى و إن لام لائم

و أمّا الّذى مثلى فإن زلّ أو هفاتفضّلت إنّ الفضل بالفخر حاكم انتهى كلام «الابتهاج».

(قال القاضى) التقىّ النقىّ الورع (عياض) بن موسى اليحصبى الأندلسى السبتى- و قد تقدّمت ترجمته تغمّده اللّه برحمته و أسكنه فسيح جنته آمين- (فى) كتاب («الشفاء) بتعريف حقوق المصطفى» صلى اللّه عليه و سلم؛ فى الباب الثانى منه؛ فى الفصل الثالث:

(قال) أبو عبد اللّه (وهب بن منبّه)- بضمّ الميم و فتح النون و كسر الموحدة المشدّدة؛ بزنة اسم الفاعل- ابن كامل اليمانى الصنعانى التابعى المشهور بمعرفة الكتب القديمة.

اتّفقوا على توثيقه و عبادته، روى له أصحاب الكتب الستة. توفى سنة:

- ۱۱۶- ست عشرة و مائة هجرية، و عمره ثمانون سنة، و قد تقدّمت ترجمته، و له ترجمة طويلة فى كتاب «الميزان» رحمه اللّه تعالى.

قرأت فى أحد و سبعين كتابا، فوجدت فى جميعها: أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم أرجح النّاس عقلا، و أفضلهم رأيا.

(قرأت فى أحد و سبعين كتابا) من الكتب القديمة؛ إذ كان خبرها- و فى «معارف» ابن قتيبة: قرأت من كتب اللّه اثنين و سبعين كتابا- (فوجدت فى جميعها أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم أرجح النّاس)- أى: الخلق- (عقلا) يعنى: أنّ عقله أزيد من عقول الناس جميعا.

و قد اختلف فى ماهيّة العقل اختلافا طويلا يطول استقصاؤه، و الحقّ أنّه نور روحانىّ به تدرك النّفوس العلوم الضروريّة و النظريّة.

و ابتداء وجوده؛ عند اجتنان الولد فى بطن أمّه، ثم لا زال ينمو إلى أن يكمل عند البلوغ.

و محلّه: القلب عند جمهور أهل الشرع؛ كالأئمة الثلاثة؛ لقوله تعالى لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها [۱۷۹/ الأعراف]، إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ [۳۷/ ق] و قوله صلّى اللّه عليه و سلم: «ألا و إنّ فى الجسد مضغة إذا صلحت؛ صلح الجسد كلّه، و إذا فسدت؛ فسد الجسد كلّه، ألا و هى القلب» و الدّماغ تابع له؛ إذ هو من جملة الجسد.

و قال علىّ: العقل فى القلب، و الرحمة فى الكبد، و الرأفة فى الطحال، و النّفس فى الرئة. رواه البخارى فى «الأدب المفرد»، و البيهقى بسند جيد.

و ذهب الحنفية و ابن الماجشون و أكثر الفلاسفة: إلى أنّه فى الدّماغ؛ لأنه إذا فسد فسد العقل. و أجيب: بأنّ اللّه أجرى العادة بفساده عند فساد الدماغ؛ مع أنّه ليس فيه! و لا امتناع فى هذا. انتهى من شرح الزرقانى على «المواهب».

(و أفضلهم رأيا)؛ أى: تدبيرا ناشئا من العقل الكامل الذى ينظر فى بدء الأمر و دبره، و أوّله و آخره.

و قد كان صلّى اللّه عليه و سلم من كمال العقل فى الغاية القصوى التى لم يبلغها بشر سواه، و لهذا

و فى رواية أخرى: فوجدت فى جميعها: أنّ اللّه تعالى لم يعط جميع النّاس من بدء الدّنيا إلى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلّى اللّه عليه و سلّم إلّا كحبّة رمل من بين رمال الدّنيا).

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

كانت معارفه عظيمة، و خصائصه جسيمة؛ حارت العقول فى بعض فيض ما أفاضه من غيبه لديه، و كلّت الأفكار فى معرفة بعض ما أطلعه اللّه عليه، و كيف لا يعطى ذلك؛ و قد امتلأ قلبه و باطنه و فاض على جسده المكرّم ما وهبه اللّه من أسرار إلهيته، و معرفة ربوبيّته، و تحقّق عبوديته!!. قاله الزرقانى على «المواهب».

و هذا الذى قاله وهب «من أنّه صلّى اللّه عليه و سلم منوّه بذكره فى الكتب القديمة» يعضده قوله تعالى النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ [۱۵۷/ الأعراف].

(و فى رواية أخرى)؛ عن وهب أيضا: (فوجدت فى جميعها)؛ أى: فى جميع الكتب التى قرأها (أنّ اللّه تعالى لم يعط جميع النّاس من بدء الدّنيا إلى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلّى اللّه عليه و سلم إلّا كحبّة رمل من بين رمال الدّنيا). رواه أبو نعيم فى «الحلية»، و ابن عساكر. يعنى: أنّ عقله صلّى اللّه عليه و سلم كجميع رمال الدنيا، و عقل جميع الناس كحبّة منها. و هذا على طريق التمثيل؛ لأن عقولهم لا تقاس بعقله صلّى اللّه عليه و سلم، كما ضرب الخضر لموسى عليهما الصلاة و السلام مثلا بماء فى منقار عصفور من ماء البحر بالنسبة لسائره؛ فشبّه به علم اللّه تعالى و علم ما عداه.

و قد أورد على كونه أفضل الناس رأيا: أنّه ورد ما يخالفه فى كثير من الوقائع الثابتة فى الحديث، و رجوعه عن رأيه إلى رأى غيره؛ كما فى قصة بدر و رجوعه إلى رأى الحباب بن المنذر؛ حيث نزل النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم بأدنى ماء من مياه بدر، فقال له الحباب: أ هذا منزل أنزلكه اللّه؛ فلا تتقدّم و لا تتأخّر عنه، أو هو الرأى و المكيدة؟! فقال: «بل هو الرّأى و المكيدة»، فقال: ليس هذا بمنزل؛ بل الرأى أن نسير حتى نأتى أدنى ماء من مياه بدر،

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۱۳

....

فننزل، ثمّ نغوّر ما وراءه، و نبنى عليه حوضا و نملؤه، ثم نقاتل؛ و نشرب و لا يشربون. فقال: «أشرت بالرّأى» و رجع صلّى اللّه عليه و سلم لما قاله؛

و كذا فى قصة أسارى بدر و الفداء، و كذا فى قصة تأبير النخل، و نحوه مما لا حاجة للتطويل بذكره هنا!

و أجاب التجانى: بأنّ رجحان رأيه على من سواه مخصوص بما أمضاه من سنن الشرع؛ و اجتهاداته فى أمور الدين، فلا ينافى رجوعه فى آراء الدنيا لغيره؛ كما صرّح به فى قصة التأبير، إذ قال: «إنّما أنا بشر مثلكم؛ فإذا أمرتكم بشىء من دينكم؛ فخذوا به، و إذا أمرتكم بشىء من رأيى فإنّما أنا بشر أخطئ و أصيب» و هذا نصّ فيما ذكر.

و ردّ بأنّ مختار أهل الأصول: أنّه صلّى اللّه عليه و سلم كان متعبّدا فيما لا وحى فيه بانتظار الوحى، ثم بالاجتهاد بعد وقت الانتظار. و قيل: له الاجتهاد مطلقا فى الأمور الشرعية و الدنيوية. و هذا مذهب مالك و أحمد و الشافعى، و هو المنقول عن أبى يوسف و غيره.

و اختلف فى جواز خطئه فى اجتهاده؛ فذهب الإمام الرازىّ و غيره إلى أنّه لا يجوز. و فى «التوضيح»: يجوز؛ لكن لا يقرّر عليه. و عدم الإقرار بالإجماع؛ لوجوب اتّباعه المقتضى لعصمته، و جواز الخطأ عقلا لا مانع منه؛ بمقتضى البشرية. و قوّة عقله صلّى اللّه عليه و سلم و كمال حدسه و سداد رأيه لا ينافيه؛ لأنه من لوازم الطبيعة البشرية، و إذا جاز سهوه فى صلاته و مناجاته؛ ففى غيرها بالأولى! فقول التجانى «إنّ جميع أموره الدينية صواب» خلاف المختار عند علماء الأصول.

و حينئذ فمعنى كونه أفضل الناس رأيا و اجتهادا مع جواز الخطأ أحيانا:

أنّ رأيه لو خلّى و نفسه؛ أصاب، مع رجحان رأيه بعدم التقرير عليه إذا خالف الأولى. و آراؤه صلّى اللّه عليه و سلم كلّها صواب بعد التقرير عليها، و قبله لا. إلا على قول من يقول: «كل مجتهد مصيب».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۱۴

و ذكر القسطلانىّ فى «المواهب»، عن «عوارف المعارف»:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(اللّبّ و العقل مائة جزء؛ تسعة و تسعون فى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم، و جزء فى سائر المؤمنين.
قال: و من تأمّل حسن تدبيره للعرب الّذين ...
و الحاصل: أنّ كون رأيه أفضل الآراء لا ينافى رجوعه لغيره و مشاورته له، فإنّ العبرة بما وقع عليه القرار؛ لا ببادئ الرأى! فافهم!
انتهى. قاله جميعه الشهاب الخفاجىّ فى كتابه «نسيم الرياض» شرح «الشفاء» للقاضى عياض رحمهم اللّه تعالى أجمعين. آمين.
(و ذكر) الشهاب (القسطلانىّ) رحمه اللّه تعالى (فى) كتاب («المواهب) اللّدنّيّة»؛ نقلا (عن) كتاب («عوارف المعارف») للعلّامة العارف باللّه تعالى عمر شهاب الدين بن محمد بن عمر السّهروردىّ- بضمّ السين المهملة، و سكون الهاء، و ضمّ الراء، و فتح الواو، و سكون الراء الثانية، و دال مهملة- نسبة إلى «سهرورد»:
بلد عند «زنجان»، الإمام الورع الزاهد الفقيه الشافعى رحمه اللّه تعالى.
ولد سنة:- ٥٣٩- تسع و ثلاثين و خمسمائة، و أخذ عن الكيلانى و غيره، و سمع الحديث من جماعة، و قرأ الفقه و الخلاف، ثم لازم الخلوة و الصوم و الذكر، ثم تكلّم على الناس لمّا أسنّ، و وصل إلى اللّه به خلق كثير، و تاب على يديه كثير من العصاة، و كفّ و أقعد؛ و ما أخلّ بذكر و لا حضور جمع! و لازم الحج؛ فكانت محفّته تحمل على الأعناق من العراق إلى البيت الحرام.
و مات ببغداد مستهلّ محرّم الحرام سنة:- ٦٣٢- اثنتين و ثلاثين و ستمائة رحمه اللّه تعالى:
(اللّبّ و العقل مائة جزء؛ تسعة و تسعون فى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، و جزء فى سائر المؤمنين) من أمّته و غيرهم.
(قال)- أى: صاحب «العوارف»- (: و من تأمّل حسن تدبيره للعرب الّذين

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۱۵

هم كالوحش الشّارد، مع الطّبع المتنافر المتباعد، و كيف ساسهم و احتمل جفاهم، و صبر على أذاهم إلى أن انقادوا إليه، و اجتمعوا عليه، و قاتلوا دونه أهليهم و آباءهم و أبناءهم، و اختاروه على أنفسهم، و هجروا فى رضاه أوطانهم و أحبّاءهم، من غير ممارسة سبقت له، و لا مطالعة كتب يتعلّم منها سير الماضين .. تحقّق له أنّه أعقل العالمين.
و لمّا كان عقله عليه الصّلاة و السّلام أوسع العقول .. لا جرم اتّسعت أخلاق نفسه الكريمة اتّساعا، لا يضيق عن شىء).
هم كالوحش الشّارد) النافر النادّ (مع الطّبع المتنافر المتباعد، و) تأمّل (كيف ساسهم): ملكهم بحسن تصرّفه فيهم و استجلاب قلوبهم، (و احتمل جفاهم):
غلظتهم و فظاظتهم، (و صبر على أذاهم، إلى أن انقادوا إليه، و اجتمعوا عليه، و قاتلوا دونه أهليهم و آباءهم و أبناءهم، و اختاروه على أنفسهم، و هجروا فى رضاه أوطانهم)- جمع وطن: مكانهم و مقرّهم- (و أحبّاءهم؛ من غير ممارسة سبقت له، و لا مطالعة كتب؛ يتعلّم منها سير الماضين: تحقّق له أنّه أعقل العالمين)؛ جواب قوله: «و من تأمّل ... الخ».
(و لمّا كان عقله عليه [الصّلاة] و السّلام أوسع العقول؛ لا جرم)- أى: حقّا، و «لا جرم» فى الأصل بمعنى: لا بدّ و لا محالة، ثم كثرت فحوّلت إلى معنى القسم، و صارت بمعنى حقّا؛ و لذا تجاب باللام، نحو: لا جرم لأفعلنّ كذا؛ قاله الفرّاء. كما فى «المصباح»-.
(اتّسعت أخلاق نفسه الكريمة اتّساعا لا يضيق عن شىء)؛ إذ كان مجبولا على الأخلاق الكريمة فى أصل خلقته الزكيّة النقيّة، و لم يحصل له ذلك برياضة؛ بل بجود إلهى، و لهذا لم تزل تشرق أنوار المعارف فى قلبه حتى وصل إلى الغاية القصوى، و المقام الأسنى.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۱۶

كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم خلقه القرآن.
قال الإمام الغزالىّ ...
و أصل هذه الخصال الحميدة و المواهب المجيدة كمال العقل، لأنّ به تقتبس الفضائل، و تجتنب الرذائل، فإنّ العقل لسان الروح و ترجمان البصيرة، و البصيرة للروح بمثابة القلب، و العقل بمثابة اللسان.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

قال بعضهم: لكلّ شیء جوهر، و جوهر الإنسان العقل، و جوهر العقل الصبر علی المكاره.

و قد روی الإمام أحمد فی «مسنده»، و مسلم فی «صحیحه»، و أبو داود فی «سننه»؛ عن عائشة رضی اللّه تعالی عنها أنّها قالت: (كان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم خلقه القرآن)؛ یغضب لغضبه، و یرضی لرضاه. قال ابن الأثیر: أی كان متمسّكا بآدابه و أوامره و نواهیه، و ما یشتمل علیه من المكارم و المحاسن.

و قال البیضاوی: أی خلقه كان جمیع ما حصل فی القرآن، فإنّ كلّ ما استحسنه و أثنی علیه و دعا إلیه قد تحلّی به، و كلّ ما استهجنه و نهی عنه تجنّبه و تخلّی عنه، فكان القرآن بیان خلقه.

و فی «الدیباج»: معناه: العمل به، و الوقوف عند حدوده، و التأدّب بآدابه، و الاعتبار بأمثاله و قصصه، و تدبّره و حسن تلاوته. انتهی. و هی متقاربة. انتهی «مناوی».

(قال) حجّة الإسلام (الإمام) أبو حامد: محمد بن محمد بن محمد (الغزالیّ)- بتخفیف اللام فی المشهور- ولد سنة:- ۴۵۰- خمسین و أربعمائة.

و اشتغل فی مبدأ أمره ب «طوس»، ثمّ قدم «نیسابور»، و اختلف إلی دروس إمام الحرمین، و جدّ فی الاشتغال حتی تخرّج فی مدة قریبة، و صار من الأعیان فی زمن أستاذه، و كان أستاذه یتبجّح به، و لم یزل ملازما له إلی أن توفی، فخرج من «نیسابور».

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۳۱۷

فی «الإحیاء»: (قال سعد بن هشام: دخلت علی عائشة رضی اللّه تعالی عنها و عن أبیها، فسألتها عن أخلاق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم؟ فقالت: أ ما تقرأ القرآن؟! قلت: بلی.

قالت: كان خلق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم القرآن.

و لقی الوزیر نظام الملک، فأكرمه و عظّمه، و كان بحضرة الوزیر جماعة من الأفاضل؛ فجری بینه و بینهم الجدال و المناظرة فظهر علیهم، و اشتهر اسمه، و فوّض إلیه تدریس النظامیة، و أعجب به أهل العراق، و ارتفعت عندهم منزلته.

ثم ترک جمیع ما كان علیه، و تصوّف و سلک طریق الزهد و الانقطاع، و اجتهد فی العبادة، و زیارة المشاهد المعظّمة، و وزّع أوقاته علی وظائف الخیر؛ من ختم القرآن، و مجالسة أهل القلوب، إلی أن انتقل إلی رحمة اللّه تعالی، فتوفی سنة:

- ۵۰۵- خمس و خمسمائة هجریة رحمه اللّه تعالی.

(فی) كتابه («الإحیاء»)؛ أی: «إحیاء علوم الدین»: (قال سعد بن هشام) بن عامر الأنصاری المدنی؛ ابن عمّ أنس بن مالک.

روی عن أبیه، و عائشة، و عنه: زرارة بن أوفی، و الحسن، و جمیل بن همال. قال النسائی: ثقة. و ذكر البخاری أنّه قتل بأرض «بكران» علی أحسن أحواله. روی له البخاریّ حدیثا واحدا:

(دخلت علی عائشة)؛ الصّدّیقة بنت الصّدّیق (رضی اللّه تعالی عنها و عن أبیها) أبی بكر، (فسألتها عن أخلاق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم؟ فقالت: أ ما تقرأ القرآن؟! قلت: بلی) أقرأ القرآن، (قالت: كان خلق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم القرآن)؛ أی: ما دلّ علیه القرآن؛ من أوامره و نواهیه، و وعده و وعیده.

قال العارف السّهروردی فی «عوارف المعارف»: و لا یبعد أنّ قول عائشة «كان خلقه القرآن» فیه رمز غامض، و إیماء إلی الأخلاق الرّبّانیّة؛ فاحتشمت الحضرة الإلهیة أن تقول «كان متخلّقا بأخلاق اللّه»؛ فعبّرت عن هذا المعنی بقولها

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۳۱۸

و إنّما أدّبه القرآن بمثل قوله تعالی: خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِینَ [الأعراف: ۱۹۹].

«كان خلقه القرآن»؛ استحیاء من سبحات الجلال، و سترا للحال بلطیف المقال، و هذا من وفور عقلها و كمال أدبها. انتهی.

فكما أنّ معانی القرآن لا تتناهی؛ فكذلک أوصافه الجمیلة الدّالّة علی خلقه العظیم لا تتناهی؛ إذ فی كلّ حالة من أحواله یتجدّد له من

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

مكارم الأخلاق و محاسن الشّيم و ما يفيضه اللّه عليه من معارفه و علومه ما لا يعلمه إلا اللّه تعالى!! فإذن:

التعرّض لحصر جزئيّات أخلاقه الحميدة تعرّض لما ليس من مقدور الإنسان، و لا من ممكنات عاداته. انتهى؛ من «المواهب».

و قال فى «الإحياء»: (و إنّما أدّبه القرآن بمثل قوله تعالى) فى سورة الأعراف (خُذِ الْعَفْوَ) من أخلاق الناس و أعمالهم؛ من غير تجسّس، و ذلك مثل قبول الاعتذار منهم، و ترك البحث عن الأشياء. و العفو: المساهلة فى كلّ شىء (وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ) المعروف؛ يعنى: و أمر بكلّ ما أمرك اللّه به، و هو كلّ ما عرفته بالوحى من اللّه عزّ و جلّ، و كل ما يعرف فى الشرع حسنه، (وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ (١٩٩)).

و قد نظم هذا المعنى من قال:

خذ العفو و أمر بعرف كماأمرت و أعرض عن الجاهلين

و لن فى الكلام لكلّ الأنامفمستحسن من ذوى الجاه لين و الجاهلون فى الآية!!

إن فسّروا بضعفاء الإسلام و جفاة الأعراب؛ كانت الآية محكمة، لأنّ المراد بالإعراض عنهم أن لا يعنّفهم، و لا يقابلهم بمقتضى غلظتهم فى القول و الفعل.

و إن فسّروا بالكفار؟ كانت الآية منسوخة بآية السيف، و يكون المراد بالإعراض عنهم تركهم على ما هم عليه. و قد أشار القرطبى للقولين.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٣١٩

و قوله: إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ...

و يؤيد القول الأول: ما رواه البخارى من أنّ عيينة بن حصن استأذن له الحرّ بن قيس على عمر بن الخطاب فى الدخول، فدخل عليه، و قال له: يا ابن الخطاب؛ ما تعطينا الجزل، و لا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر رضى اللّه تعالى عنه، فقال له الحرّ: يا أمير المؤمنين؛ إنّ اللّه عز و جل قال لنبيه ص خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ (١٩٩) [الأعراف] و إنّ هذا من الجاهلين. فما جاوزها عمر رضى اللّه تعالى عنه؛ و كان وقّافا عند كتاب اللّه تعالى. فهذا يدلّ على أنّها غير منسوخة، و هو الذى يتبادر إليه كلام صاحب «الجلالين».

قال جعفر الصادق: ليس فى القرآن أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية؛ روى أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم لما نزلت هذه الآية سأل جبريل عن تأويلها؟! فقال له: حتى أسأل العالم بها، ثم ذهب و أتاه، فقال: يا محمد؛ إنّ اللّه يأمرك أن تصل من قطعك، و تعطى من حرمك، و تعفو عمّن ظلمك.

قال السيوطى: رواه ابن جرير، و ابن أبى حاتم، و أبو الشيخ؛ فى «تفاسيرهم»، و ابن أبى الدنيا فى «مكارم الأخلاق»، و وصله ابن مردويه من حديث جابر رضى اللّه تعالى عنه، و عزاه الشيخ قاسم الحنفى للبخارى؛ عن عبد اللّه بن الزبير فى قوله: خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ (١٩٩) أنّه قال:

ما أنزل اللّه هذه الآية إلا فى أخلاق الناس. و له فى رواية أخرى تعليقا؛ عن عبد اللّه قال: أمر اللّه تعالى نبيه صلّى اللّه عليه و سلم أن يأخذ العفو من أقوال الناس، أو من أخلاق الناس.

انتهى؛ قاله الخفاجى.

(و) أدّبه القرآن بمثل (قوله) تعالى فى سورة النحل (. إِنَّ اللّهَ)- أى:

فيما أنزله تبيانا لكل شىء و هدى و بشرى- (يَأْمُرُ)- آثر صيغة الاستقبال فيه و فى ما بعده لإفادة التجدّد و الاستمرار- (بِالْعَدْلِ)؛ أى: التوحيد، أو الإنصاف.

و فى «البيضاوى»: أى بالتوسّط فى الأمور؛

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۳۲۰

وَ الْإِحْسانِ وَ إِيتاءِ ذِی الْقُرْبی وَ يَنْهی عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ [النحل: ۹۰].

اعتقادا؛ كالتوحيد المتوسّط بين التعطيل و التشريك، و القول بالكسب المتوسط بين محض الجبر و القدر،

و عملا؛ كالتعبّد بأداء الواجبات المتوسّط بين البطالة و الترهّب،

و خلقا؛ كالجود المتوسّط بين البخل و التبذير. انتهى.

(وَ الْإِحْسانِ) قال ابن عباس: العدل: شهادة أن لا إله إلا اللّه، و الإحسان: أداء الفرائض. و فی رواية عنه؛ قال: العدل: خلع الأنداد، و الإحسان: أن تعبد اللّه كأنّك تراه، و أن تحبّ للناس ما تحبّ لنفسك؛ إن كان مؤمنا تحبّ أن يزداد إيمانا، و إن كان كافرا تحبّ أن يكون أخاك فی الإسلام.

انتهى.

(وَ إِيتاءِ): إعطاء (ذِی الْقُرْبی) القرابة، خصّه بالذكر! اهتماما به؛ فإن إيتاءه صدقة وصلة، و فی الحديث: «إنّ أعجل الطّاعة ثوابا صلة الرّحم».

قال فی «الخازن»: يعنی و يأمر بصلة الرحم؛ و هم القرابة الأدنون و الأبعدون منك، فيستحبّ أن تصلهم من فضل ما رزقك اللّه تعالى، فإن لم يكن لك فضل! فدعاء حسن، و تودّد. انتهى.

(وَ يَنْهی عَنِ الْفَحْشاءِ): الزنا (وَ الْمُنْكَرِ)؛ شرعا من الكفر و المعاصی، (وَ الْبَغْيِ): الظلم، خصّه بالذكر للناس!! اهتماما، كما بدأ بالفحشاء كذلك، و لم يذكر متعلّقات العدل و الإحسان و البغی!! ليعمّ جميع ما يعدل فيه و يحسن به و إليه، و يبغی فيه؛ قاله الجمل.

قال بعضهم: إنّ أعجل المعاصی البغی، و لو أنّ جبلين بغی أحدهما على الآخر لدكّ الباغی.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۳۲۱

و قوله: وَ اصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ [لقمان: ۱۷].

و قال بعضهم: إنّ اللّه سبحانه و تعالى ذكر من المأمورات ثلاثة أشياء، و من المنهيات ثلاثة أشياء؛ فذكر العدل؛ و هو الإنصاف و المساواة فی الأقوال و الأفعال، و ذكر فی مقابلته الفحشاء؛ و هی ما قبح من الأقوال و الأفعال، و ذكر الإحسان؛ و هو أن تعفو عمّن ظلمك، و تحسن إلى من أساء إليك، و ذكر فی مقابلته المنكر؛ و هو أن تنكر إحسان من أحسن إليك، و ذكر إيتاء ذی القربی؛ و المراد به: صلة القرابة و التودّد إليهم و الشفقة عليهم، و ذكر فی مقابلته البغی؛ و هو أن يتكبّر عليهم أو يظلمهم حقوقهم. انتهى من «الخازن».

قال النسفی: و هذه الآية سبب إسلام عثمان بن مظعون؛ فإنّه قال: ما كنت أسلمت إلا حياء منه عليه الصلاة و السلام لكثرة ما يعرض علیّ الإسلام، و لم يستقرّ الإيمان فی قلبی حتى نزلت هذه الآية؛ و أنا عنده، فاستقرّ الإيمان فی قلبی، فقرأتها على الوليد بن المغيرة، فقال: و اللّه؛ إنّ له لحلاوة، و إنّ عليه لطلاوة، و إنّ أعلاه لمثمر، و إنّ أسفله لمغدق، و ما هو بقول البشر.

و قال أبو جهل: إنّ إلهه ليأمر بمكارم الأخلاق.

و قال ابن مسعود: هی أجمع آية فی القرآن للخير و الشر. و لهذا يقرؤها كلّ خطيب على المنبر فی آخر كل خطبة؛ لتكون عظة جامعة لكلّ مأمور؛ و لكل منهیّ. انتهى.

(و) أدّبه القرآن بمثل (قوله) تعالى فی سورة لقمان

(وَ اصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ)؛ أی على الذی أصابك أی: فی عبادتك و غيرها؛ من الأمر بالمعروف و غيره، سواء كان بواسطة العباد؛ كأذيّتهم، أو لا؛ كالمرض. انتهى «خطيب».

(إِنَّ ذلِكَ) المذكور (مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)؛ أی: مما عزمه اللّه من الأمور، أی قطعه قطع إيجاب؛ مصدر أطلق للمفعول.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۳۲۲

و قوله: وَ لَمَنْ صَبَرَ وَ غَفَرَ إِنَّ ذلِکَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ [الشوری: ۴۳].

و قوله: فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اصْفَحْ ...

قال الخازن: یعنی: إقامهٔ الصلاهٔ، و الأمر بالمعروف، و النهی عن المنکر، و الصبر علی الأذی؛ من الأمور الواجبهٔ التی أمر اللّه بها.

و هـذه الآیـهٔ من وصـیهٔ لقمـان لابنه؛ إذ قـال له: یا بنی؛ أقم الصـلاهٔ، و أمر بالمعروف، و انه عن المنکر. کما قصّه اللّه تعالی فی کتابه الکریم. و کلّ ما قصّه اللّه تعالی من قصص الأنبیاء علیهم الصلاهٔ و السلام فهو إرشاد لنبینا صلّی اللّه علیه و سلم و لأمّته، فکأنّه مما أمر به ابتداء؛ فلا تتوهّم أنها لیست فی حقّه.

(و) أدّبه بمثـل (قوله) تعـالی فی سورهٔ الشوری (وَ لَمَنْ صَبَرَ) فلم ینتصـر، (وَ غَفَرَ): تجـاوز (إِنَّ ذلِکَ) الصبـر و الغفران منه (لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)؛ أی: معزوماتهـا؛ بمعنی: المطلوبـات شـرعا، أی: من الأمور التی نـدب إلیهـا، أو ممـا ینبغی للعاقـل أن یوجبه علی نفسه، و لا یترخّص فی ترکه.

و فی القرطبی: وَ لَمَنْ صَبَرَ وَ غَفَرَ أی: صبر علی الأذی، و غفر: ترک الانتصار لوجه اللّه؛ و هذا فیمن ظلمه مسلم.

و یحکی أنّ رجلا- سبّ رجلا- فی مجلس الحسن رحمه اللّه تعـالی، فکـان المسـبوب یکظم، و یعرق فیمسـح العرق، ثم قام فتلا هـذه الآیهٔ، فقال الحسن:

عقلها و اللّه و فهمها؛ إذ ضیّعها الجاهلون!!

و بالجملـهٔ فـالعفو منـدوب إلیه، ثمّ قـد ینعکس فی بعض الأحوال؛ فیرجع ترک العفو منـدوبا إلیه، و ذلک إذا احتیـج إلی کفّ زیادهٔ البغی و قطع مادّهٔ الأذی.

و عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم ما یدلّ علیه؛ و هو أنّ زینب أسـمعت عائشهٔ رضـی اللّه تعالی عنها بحضرته، فکان ینهاها فلا تنتهی، فقال لعائشهٔ: «دونک فانتصری». خرّجه مسلم فی «صحیحه» بمعناه، انتهی.

(و) أدّبه بمثل (قوله) تعالی فی سورهٔ المائدهٔ (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اصْفَحْ)؛

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۳۲۳

إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ الْمُحْسِنِینَ [المائدهٔ: ۱۳].

[و قوله وَ لْیَعْفُوا وَ لْیَصْفَحُوا أَ لا تُحِبُّونَ أَنْ یَغْفِرَ اللَّهُ لَکُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۲۲) [النور].

أی: فاعف عن زلّاتهم یا محمد، و اصفح عن جرمهم و مؤاخذتهم. و هذا الأمر بالعفو و الصفح عن أهل الکتاب منسوخ بآیهٔ السیف؛ و هی قوله قاتِلُوا الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لا بِالْیَوْمِ الْآخِرِ [۲۹/ التوبهٔ]. قاله قتادهٔ.

و قیل: إنها غیر منسوخـهٔ؛ بل نزلت فی قوم کان بینهم و بین النّبیّ صـلّی اللّه علیه و سـلم عهد؛ فغدروا و نقضوا ذلک العهد، فأظهر اللّه تعالی نبیّه صـلّی اللّه علیه و سـلم علی ذلک، و أنزل هـذه الآیـهٔ؛ و لم تنسخ! و ذلک أنّه یجوز أن یعفو عن غدرهٔ فعلوها ما لم ینصـبوا حربا؛ و ما لم یمتنعوا من أداء الجزیهٔ و الصّغار.

و علی هـذا القول بأنهـا غیر منسوخـهٔ یکون معنی الآیـهٔ: فـاعف عن مؤمنیهم، أو عمّن تـاب منهم، و لا تؤاخـذهم بما سـلف منهم قبل ذلک.

(إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ الْمُحْسِنِینَ)؛ یعنی: إذا عفوت عنهم فإنّک تحسن إلیهم؛ و اللّه یحب المحسنین.

(و) أدّبه بمثل (قوله) تعالی فی سورهٔ النور

(وَ لْیَعْفُوا)؛ أی: أولو الفضـل، (وَ لْیَصْفَحُوا) عن الخائضین فی الإفک؛ أی: لیعرضوا عن لومهم، فـإنّ العفو أن یتجـاوز عن الجـانی، و الصفح أن یتناسی جرمه.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(أ لا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) على عفوكم و صفحكم و إحسانكم إلى من أساء إليكم!! (وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)؛ مع كمال قدرته، فتخلّقوا بأخلاقه.

نزلت فى شأن أبى بكر الصديق رضى اللّه تعالى عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح ابن خالته؛ لخوضه فى الإفك على عائشة رضى اللّه تعالى عنها، و كان مسكينا بدريا مهاجرا، و لما قرأها النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم على أبى بكر؛ قال: بلى أحبّ أن يغفر

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۲۴

و قوله ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (۳۴) [فصلت].

اللّه لى، و ردّ إلى مسطح ما كان ينفقه عليه.

و فى الآية أدلّة على فضل أبى بكر الصّدّيق، لأنّ الفضل المذكور فى الآية ذكره تعالى فى معرض المدح، و ذكره بلفظ الجمع فى قوله أُولُوا الْفَضْلِ، و قوله أ لا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ.

و هذا يدلّ على علوّ شأنه و مرتبته؛

منها: أنّه احتمل الأذى من ذوى القربى، و رجّع عليه ما كان ينفقه عليه، و هذا من أشدّ الجهاد؛ لأنّه جهاد النّفس.

و منها: أنّه تعالى قال فى حقّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اصْفَحْ، و قال فى حقّ أبى بكر: وَ لْيَعْفُوا وَ لْيَصْفَحُوا فدلّ أنّ أبا بكر كان ثانى اثنين لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فى جميع الأخلاق؛ قاله الخازن.

و هذه الآية و إن نزلت فى أبى بكر؛ فالنبىّ صلّى اللّه عليه و سلم داخل فى عمومها؛ كما فى سائر الخطابات، فلا يرد على المصنّف أنّ هذه الآية ليست فى حقه صلّى اللّه عليه و سلم!

(و) أدّبه بمثل (قوله) تعالى فى سورة فصّلت:

(وَ لا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَ لَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ) السيئة (بِالَّتِي) أى: بالخصلة التى (هِيَ أَحْسَنُ)؛ كالغضب بالصبر، و الجهل بالحلم، و الإساءة بالعفو؛ قاله فى «الجلالين».

و قال النسفى: يعنى أنّ الحسنة و السيئة متفاوتتان فى أنفسهما؛ فخذ بالحسنة التى هى أحسن من أختها إذا اعترضتك حسنتان، فادفع بها السيئة التى ترد عليك من بعض أعدائك؛ كما لو أساء إليك رجل إساءة؛ فالحسنة: أن تعفو عنه، و التى هى أحسن: أن تحسن إليه مكان إساءته إليك، و مثل أن يذمّك؛ فتمدحه، أو يقتل ولدك؛ فتفتدى ولده من يد عدوّه. (فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)؛ أى: فيصير عدوّك كالصديق القريب فى محبّته إذا فعلت ذلك.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۲۵

و قوله وَ الْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعافِينَ عَنِ النَّاسِ ...

(و) أدّبه بمثل (قوله) تعالى فى سورة آل عمران (وَ الْكاظِمِينَ الْغَيْظَ)؛ كظم الغيظ: هو أن يمتلئ غيظا فيردّه فى جوفه؛ و لا يظهره بقول و لا فعل، و يصبر عليه و يسكت عنه. و معنى الآية: أنّهم يكفّون غيظهم عن الإمضاء مع القدرة، و يردّون غيظهم فى أجوافهم. و هذا الوصف من أقسام الصبر و الحلم.

عن سهل بن معاذ بن أنس الجهنى؛ عن أبيه: أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قال: «من كظم غيظا؛ و هو يستطيع أن ينفذه؛ دعاه اللّه تعالى يوم القيامة على رءوس الخلائق؛ حتّى يخيّره فى أىّ الحور شاء». أخرجه الترمذىّ، و أبو داود.

و أخرج الإمام أحمد، و أبو داود، و غيرهما: «من كظم غيظا؛ و هو يقدر على إنفاذه؛ ملأ اللّه قلبه أمنا و إيمانا».

و أخرج الشيخان؛ عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «ليس الشّديد بالصّرعة؛ إنّما الشّديد الّذى يملك نفسه عند الغضب».

و روى عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها أنّ خادما لها غاظها، فقالت: للّه درّ التقوى؛ ما تركت لذى غيظ شفاء!!.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(وَ الْعافِينَ عَنِ النَّاسِ) ممّن ظلمهم؛ أى: التاركين عقوبتهم. يعنى:

إذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه، فتكون الآيةُ على العموم.

روى أنّه صلّى اللّه عليه و سلم قال: «ينادى مناد يوم القيامة: أين الّذين كانت أجورهم على اللّه؟! فلا يقوم إلّا من عفا».

و عن ابن عيينة أنّه رواه للرّشيد و قد غضب على رجل؛ فخلّاه.

و روى أنه صلّى اللّه عليه و سلم قال: «إنّ هؤلاء فى أمّتى قليل؛ إلّا من عصم اللّه، و قد كانوا كثيرا فى الأمم التى مضت». و هذا الاستثناء يحتمل أن يكون منقطعا؛ و هو ظاهر، و أن يكون متّصلا؛ لما فى القلّة من معنى العدم؛ كأنّه قيل: إنّ هؤلاء فى أمّتى لا يوجدون إلّا من عصم اللّه؛ فإنه يوجد فى أمّتى. قاله الجمل على «الجلالين».

وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (۱۳۴)] «۱» [آل عمران].

و قوله: اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِ ...

(وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) بهذه الأفعال؛ أى: يثيبهم.

(و) أدّبه القرآن بمثل (قوله) تعالى فى سورة الحجرات يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا (اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِ).

قيل: نزلت فى رجلين اغتابا رفيقهما، و ذلك أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم كان إذا غزا أو سافر ضمّ الرجل المحتاج إلى رجلين موسرين؛ يخدمهما و يتقدّمهما إلى المنزل؛ فيهيّئ لهما ما يصلحهما من الطعام و الشراب، فضمّ سلمان إلى رجلين فى بعض أسفاره، فتقدّم سلمان إلى المنزل؛ فغلبته عيناه، فنام؛ و لم يهيّىء لهما شيئا، فلما قدما قالا له: ما صنعت شيئا؟! قال: لا؛ غلبتنى عيناى، قالا له: انطلق إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فاطلب لنا منه طعاما؛ فجاء سلمان إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و سأل طعاما، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: انطلق إلى أسامة بن زيد؛ و قل له: «إن كان عنده فضل طعام و إدام فليعطك». و كان أسامة خازن طعام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و على رحله، فأتاه، فقال: ما عندى شىء. فرجع سلمان إليهما فأخبرهما، فقالا: كان عند أسامة؛ و لكن بخل! فبعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة؛ فلم يجد عندهم شيئا، فلما رجع؛ قالوا: لو بعثناك إلى بئر سمحة لغار ماؤها!!

ثم انطلقا يتجسّسان هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، فلما جاءا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قال لهما: «ما لى أرى خضرة اللّحم فى أفواهكما!؟». قالا:

و اللّه يا رسول اللّه؛ ما تناولنا يومنا هذا لحما! قال: «ظلمتما بأكل لحم سلمان و أسامة!!» فأنزل اللّه عزّ و جلّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِ يعنى: أن يظن بأهل الخير سوءا؛ فنهى اللّه المؤمن أن يظنّ بأخيه المؤمن شرّا. و قيل: هو أن يسمع من أخيه المسلم كلاما لا يريد به سوءا، أو يدخل مدخلا لا يريد به سوءا؛

(۱) الشواهد الثلاث التى مضت من إضافة الشارح.

....

فيراه أخوه المسلم؛ فيظنّ به سوءا، لأنّ بعض الفعل قد يكون فى الصورة قبيحا؛ و فى نفس الأمر لا يكون كذلك!! لجواز أن يكون فاعله ساهيا؛ و يكون الرّائى مخطئا!!.

فأمّا أهل السوء و الفسق المتجاهرون بذلك! فلنا أن نظنّ فيهم مثل الذى يظهر منهم. انتهى «خازن».

و فى القرطبى: قال علماؤنا: الظنّ فى الآية هو التّهمة، و محلّ التحذير و النهى إنّما هو تهمة لا سبب لها يوجبها؛ كمن يتّهم بالفاحشة، أو بشرب الخمر؛ و لم يظهر عليه ما يقتضى ذلك.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و دليل كون الظنّ هنا بمعنى التهمة: قوله بعد هذا وَ لا تَجَسَّسُوا؛ و ذلك أنّه قد يقع له خاطر التهمة ابتداء؛ فيريد أن يتجسّس خبر ذلك و يبحث عنه، و يتبصّر و يتسمّع، ليتحقّق ما وقع له من تلك التهمة، فنهى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم.

و إن شئت قلت: و الذى يميّز الظّنون التى يجب اجتنابها عمّا سواها: أنّ كلّ ما لم تعرف له أمارة صحيحة و سبب ظاهر؛ كان حراما واجب الاجتناب، و ذلك إذا كان المظنون به ممّن شوهد منه الستر و الصلاح، و أونست منه الأمانة فى الظاهر، فظنّ الفساد به و الخيانة محرّم، بخلاف من أشهره الناس بتعاطى الريبة و التجاهر بالخبائث!!

و عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم: «حرم من المسلم دمه، و عرضه، و أن يظنّ به ظنّ السّوء».

و عن الحسن: كنّا فى زمن: الظنّ فيه بالنّاس حرام، و أنت اليوم: اعمل، و اسكت، و ظنّ بالناس ما شئت. انتهى.

و إبهام «الكثير» لإيجاب الاحتياط و التأمّل فى كلّ ظنّ؛ حتى يعلم أنّه من أىّ قبيل!؟

فإنّ من الظّنّ ما يجب اتّباعه؛ كالظنّ فيما لا قاطع فيه من العمليّات، و حسن

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۲۸

إنّ بعض الظّنّ إثم و لا تجسّسوا ...

الظنّ باللّه تعالى. و منه ما يحرم؛ كالظنّ فى الإلهيّات و النبوّات، و حيث يخالفه قاطع، و ظنّ السوء بالمؤمنين. و منه ما يباح؛ كالظن فى الأمور المعاشية. انتهى «أبو السعود».

(إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ)؛ أى: مؤثم، و هو كثير، كظنّ السوء بأهل الخير من المؤمنين؛ و هم كثير، بخلافه بالفسّاق منهم! فلا إثم فيه فى نحو ما يظهر منهم، كما تقدّم.

قال سفيان الثّورىّ: الظنّ ظنّان: أحدهما: إثم؛ و هو أن يظنّ و يتكلّم به، و الآخر: ليس بإثم؛ و هو أن يظنّ و لا يتكلم به.

و قيل: الظنّ أنواع؛ فمنه واجب، و مأمور به؛ و هو الظنّ الحسن باللّه عزّ و جلّ، و منه مندوب إليه؛ و هو الظنّ الحسن بالأخ المسلم الظاهر العدالة، و منه حرام محظور؛ و هو سوء الظنّ باللّه عزّ و جل، و سوء الظن بالأخ المسلم. انتهى «خازن».

(وَ لا تَجَسَّسُوا)- حذف منه إحدى التائين-: لا تتبعوا عورات المسلمين و معايبهم بالبحث عنها.

و فى «القرطبى»: معنى الآية: خذوا ما ظهر و لا تتبعوا عورات المسلمين؛ أى: لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه؛ حتى يطّلع عليه؛ بعد أن ستره اللّه.

و فى «كتاب أبى داود» عن معاوية قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يقول: «إنّك إن اتّبعت عورات المسلمين أفسدتهم، أو كدت أن تفسدهم».

فقال أبو الدرداء: كلمة سمعها معاوية من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فنفعه اللّه بها.

و عن المقدام بن معد يكرب؛ عن أبى أمامة؛ عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم قال: «إنّ الأمير إذا ابتغى الرّيبة فى النّاس أفسدهم». انتهى.

و فى «الخازن»: أخرج الشيخان؛ عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه أنّ

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۲۹

وَ لا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً [الحجرات: ۱۲]).

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قال: «إيّاكم و الظّنّ!! فإنّ الظّنّ أكذب الحديث، و لا تجسّسوا، و لا تحسّسوا، و لا تنافسوا، و لا تحاسدوا، و لا تباغضوا، و لا تدابروا، و كونوا عباد اللّه إخوانا؛ كما أمركم، المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه، و لا يخذله، و لا يحقره، التّقوى هاهنا! التّقوى هاهنا! التّقوى هاهنا!- و يشير إلى صدره-.

بحسب امرئ من الشّرّ أن يحقر أخاه المسلم، كلّ المسلم على المسلم حرام؛ دمه، و عرضه، و ماله.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

إنّ اللّه لا ينظر إلى أجسادكم، و لا إلى صوركم و أعمالكم، و لكن ينظر إلى قلوبكم».

و عن ابن عمر رضى اللّه تعالى عنهما قال: صعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم المنبر؛ فنادى بصوت رفيع: «يا معشر من أسلم بلسانه و لم يفض الإيمان إلى قلبه؛ لا تؤذوا المسلمين، و لا تعيّروهم، و لا تتّبعوا عوراتهم، فإنّه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع اللّه عورته، و من تتبع اللّه عورته يفضحه؛ و لو فى جوف رحله».

قال نافع: و نظر ابن عمر يوما إلى الكعبة؛ فقال: ما أعظمك و أعظم حرمتك! و المؤمن أعظم حرمة عند اللّه منك!! أخرجه الترمذى؛ و قال: حديث حسن غريب.

و عن زيد بن وهب قال: أتى ابن مسعود فقيل له: هذا فلان تقطر لحيته خمرا!! فقال عبد اللّه: إنّا قد نهينا عن التجسّس، و لكن إن يظهر لنا شىء نأخذ به. أخرجه أبو داود.

و له؛ عن عقبة بن عامر: أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قال: «من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موؤودة».

و أخرج مسلم؛ عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه؛ أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم قال:

«لا يستر عبد عبدا فى الدّنيا إلّا ستره اللّه يوم القيامة». انتهى.

(وَ لا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً)؛ لا يذكره بشىء يكرهه؛ و إن كان فيه!.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۳۰

....

و عن ابن عبّاس: الغيبة إدام كلام الناس.

و فى «القرطبى»: نهى عزّ و جلّ عن الغيبة؛ و هى أن تذكر الرجل بما فيه، فإن ذكرته بما ليس فيه! فهو البهتان، ثبت معناه فى «صحيح مسلم»؛ عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قال: «أ تدرون ما الغيبة؟!» قالوا: اللّه و رسوله أعلم. قال: «ذكرك أخاك بما يكره»، قال: أ فرأيت إن كان فى أخى ما أقول!؟ فقال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته! و إن لم يكن فيه!! فقد بهتّه».

يقال: اغتابه اغتيابا: إذا وقع فيه. و الاسم: «الغيبة»؛ و هى: ذكر العيب بظهر الغيب.

قال الحسن: الغيبة ثلاثة أوجه كلّها فى كتاب اللّه تعالى: الغيبة، و الإفك، و البهتان؛

فأمّا الغيبة! فهى أن تقول فى أخيك ما هو فيه.

و أمّا الإفك! فهو أن تقول فيه ما بلغك عنه.

و أمّا البهتان! فهو أن تقول فيه ما ليس فيه.

و لا خلاف أن الغيبة من الكبائر، و أنّ على من اغتاب أحدا التوبة إلى اللّه عزّ و جلّ.

و هل يستحلّ المغتاب!؟ فيه خلاف؛

فقالت فرقة: ليس عليه استحلاله، و إنما هى خطيئة بينه و بين ربه.

و احتجّت بأنّه لم يأخذ من ماله، و لا أصاب من بدنه ما ينقصه، فليس ذلك مظلمة يستحلّها منه، و إنّما المظلمة: ما يكون فى المال و البدن.

و قالت فرقة: هى مظلمة؛ و كفارتها الاستغفار لصاحبها الذى اغتابه.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۳۱

و أمثال هذه التّأديبات فى القرآن لا تنحصر.

و هو صلّى اللّه عليه و سلّم المقصود الأوّل بالتّأديب و التّهذيب، ثمّ منه يشرق النّور على كافّة الخلق؛ فإنّه أدّب بالقرآن فتأدّب به،

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و احتجّت بحديث يروى عن الحسن قال: «كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته».

و قالت فرقة: هى مظلمة؛ و عليه الاستحلال منها.

و احتجّت بقول النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم: «من كانت لأخيه عنده مظلمة فى عرض أو مال؛ فليتحلّله منها من قبل أن يأتى يوم ليس فيه هناك دينار و لا درهم، يؤخذ من حسناته، فإن لم يكن له حسنات! أخذ من سيّئات صاحبه فزيد على سيّئاته».

أخرجه البخارى؛ من حديث أبى هريرة. و غير ذلك من الأحاديث.

و ليس من هذا الباب غيبة الفاسق المعلن به المتجاهر!! فإنّ فى الخبر: «من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له». و قال صلّى اللّه عليه و سلم: «اذكروا الفاجر بما فيه كى يحذره النّاس». فالغيبة إذن فى المرء الذى يستر نفسه.

و روى عن الحسن أنّه قال: ثلاثة ليست لهم حرمة؛ ١- صاحب الهوى، و ٢- الفاسق المعلن، و ٣- و الإمام الجائر. انتهى كلام القرطبى رحمه اللّه تعالى.

(و أمثال هذه التّأديبات فى القرآن)- و هى كثيرة- (لا تنحصر، و هو صلّى اللّه عليه و سلم المقصود الأوّل بالتّأديب و التّهذيب) فى هذه الآيات و أمثالها، (ثمّ منه يشرق النّور)؛ أى: نور العلم و الأخلاق و الهداية و الإيمان (على كافّة الخلق)؛ إذ جميع الأخلاق الحميدة كلها كانت فيه صلّى اللّه عليه و سلم، و اقتبس الناس منها كلّ على قدر حظّه و نصيبه الذى قسم له من الوهّاب، (فإنّه) صلى اللّه عليه و سلم (أدّب بالقرآن)- بالبناء للمفعول-، أى: أدّبه اللّه بالقرآن أى: بما دلّ عليه القرآن (فتأدّب به).

فى «أدب الإملاء» لابن السمعانى من حديث ابن مسعود رفعه: «أدّبنى ربّى فأحسن تأديبى، ثمّ أمرنى بمكارم الأخلاق؛ فقال خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ الآية.

و أدّب الخلق به؛ و لذلك قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق».

ثمّ لمّا أكمل اللّه تعالى خلقه .. أثنى عليه فقال ...

و أخرج القشيرى نحوه فى «التحبير»؛ قاله فى شرح «الإحياء».

(و أدّب الخلق به. و لذلك قال صلّى اللّه عليه و سلم: «بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق»).

قال ابن عبد البرّ: يدخل فيه الصلاح و الخير كلّه و الدين و الفضل، و المروءة و الإحسان و العدل، فبعث ليتمّمه.

و قال الباجىّ: كانت العرب أحسن الناس أخلاقا بما بقى عندهم من شريعة إبراهيم، و كانوا ضلّوا بالكفر عن كثير منها؛ فبعث صلّى اللّه عليه و سلم ليتمّم محاسن الأخلاق؛ ببيان ما ضلّوا عنه، و بما قضى به فى شرعه. انتهى.

و الحديث المذكور! قال العراقى: رواه الإمام أحمد، و الحاكم، و البيهقىّ؛ من حديث أبى هريرة. قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

و رواه مالك فى «الموطأ»؛ بلاغا عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم بلفظ: «إنّما بعثت».

و قال ابن عبد البرّ: هو متصل من وجوه صحاح؛ عن أبى هريرة مرفوعا؛ منها ما أخرجه أحمد فى «مسنده»، و الخرائطى فى أوّل «مكارم الأخلاق»؛ من طريق محمد بن عجلان؛ عن القعقاع بن حكيم؛ عن أبى صالح؛ عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه مرفوعا بلفظ: «صالح الأخلاق» و رجاله رجال الصحيح.

و للطبرانى فى «الأوسط» بسند ضعيف؛ عن جابر مرفوعا بلفظ: «إنّ اللّه بعثنى بتمام مكارم الأخلاق، و كمال محاسن الأفعال».

(ثمّ لمّا أكمل اللّه تعالى خلقه)- بضمّ أوّليه-؛ أى: بما جمع فيه من صفات الكمال مما لا يحيط به حدّ، و لا يحصره عدّ (أثنى عليه) فى كتابه الكريم؛ (فقال

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

تعالى: وَ إِنَّکَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ [القلم: ۴].

تعالى) مقسما ن وَ الْقَلَمِ وَ ما يَسْطُرُونَ (۱) ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّکَ بِمَجْنُونٍ (۲) وَ إِنَّ لَکَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ (۳) (وَ إِنَّکَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)؛ لاجتماع مكارم الأخلاق و محاسن الأفعال فيك.

و قالت عائشة رضى اللّه تعالى عنها: ما كان أحد أحسن خلقا من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، ما دعاه أحد من أصحابه و لا من أهل بيته؛ إلا قال: «لبّيک». فلذلک أنزل اللّه تعالى وَ إِنَّکَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ. رواه ابن مردويه، و أبو نعيم بسند واه.

و كلمة «على» للاستعلاء؛ فدلّ اللفظ على أنه مستعل على هذه الأخلاق، و مستول عليها؛ بمعنى أنّه متمكّن من الجرى على مقتضاها؛ ببذل المعروف، و احتمال الأذى، و عدم الانتقام، فأشبه فى تمكّنه من ذلک: المستعلى على الشىء المستقرّ عليه؛ فهو استعارة تبعيّة لجريانها فى الحرف.

قال الحليمى: إنّما وصف خلقه بالعظم؛ مع أنّ الغالب وصف الخلق بالكرم! لأنّ كرم الخلق يراد به السماحة و الدّماثة؛ و لم يكن خلقه صلّى اللّه عليه و سلم مقصورا على ذلک؛ بل كان رحيما بالمؤمنين؛ رفيقا بهم، شديدا على الكفّار؛ غليظا عليهم، مهيبا فى صدور الأعداء؛ منصورا بالرّعب منهم على مسيرة شهر، فكان وصفه بالعظم أولى؛ ليشمل الإنعام و الانتقام.

و قال الجنيد: و إنّما كان خلقه صلّى اللّه عليه و سلم عظيما!! لأنّه لم يكن له همّة سوى اللّه تعالى، و قد وصف اللّه تعالى نبيّه صلّى اللّه عليه و سلم بكمال عظيم يرجع إلى قوّته العلمية فقال وَ عَلَّمَکَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْکَ عَظِيماً (۱۱۳) [النساء]، و وصفه بكمال عظيم يرجع إلى قوّته العمليّة؛ فقال وَ إِنَّکَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ،

فدلّ مجموع هاتين الآيتين على أنّ روحه فيما بين الأرواح البشرية عظيمة عالية الدرجة؛ كأنّها لقوّتها و شدّة كمالها من جنس أرواح الملائكة؛ إذ أعطاهم اللّه تعالى قوّة فى العمل لا تصل إليها البشر، و فى العلم ما يصلون به إلى معرفة حقائق الأمور من اللوح المحفوظ، أو الإلهام و العلم الضرورى بمعرفة الأمور على ما هى به فى

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۳۴

ثمّ قال الغزالىّ: (و عن معاذ بن جبل، عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «إنّ اللّه حفّ الإسلام بمكارم الأخلاق و محاسن الأعمال».

و من ذلک: حسن المعاشرة، ذلک: حسن المعاشرة، ...

الواقع، و كذلک كان صلّى اللّه عليه و سلم.

(ثمّ قال) الإمام أبو حامد (الغزالىّ) فى كتاب «إحياء علوم الدين»:

(و عن) أبى عبد الرحمن (معاذ بن جبل) بن عمرو بن أوس بن عائذ- بالمعجمة- ابن الخزرج الأنصارى الخزرجى الجشمى المدنى، الفقيه الفاضل الصالح.

أسلم معاذ المذكور؛ و هو ابن ثمانى عشرة سنة، و شهد العقبة الثانية مع السبعين من الأنصار، ثم شهد بدرا، و أحدا، و الخندق، و المشاهد كلّها مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و آخى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم بينه و بين عبد اللّه بن مسعود.

روى له عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم مائة حديث و سبعة و خمسون حديثا؛ اتّفقا على حديثين، و انفرد البخارى بثلاثة، و مسلم بحديث.

روى عنه ابن عمر، و ابن عباس، و ابن عمرو بن العاصى، و أبو قتادة، و جابر، و أنس، و أبو أمامة، و أبو ثعلبة، و عبد الرحمن بن سمرة، و آخرون من الصحابة و التابعين.

و توفى شهيدا فى طاعون عمواس سنة: ثمانى عشرة؛ و هو ابن ثلاث و ثلاثين سنة. و قيل: أربع و ثلاثين. و قيل: ثمان و ثلاثين. رضى اللّه تعالى عنه

(عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم؛ قال: «إنّ اللّه حفّ الإسلام بمكارم الأخلاق و محاسن الأعمال»

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و من ذلـك)؛ أى: محاسن الأعمال: (حسن المعاشـرة) مع الناس إذا خالطهم؛ و لم يكن بـدّ من مخالطتهم. و كلّ مخالط ففى مخالطته أدب، و الأدب على قدر حقّه، و حقّه على قدر رابطته التى بها وقعت المخالطة.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۳۵

و كرم الصّنيعة، ...

و الرابطة: ۱- إما القرابة؛ و هى أخصّها. أو ۲- أخوّة الإسـلام؛ و هى أعمّها. و ينطوى فى معنى الأخوّة الصداقـة، و الصحبة. و إمّا ۳- الجوار. و إمّا ۴- صحبة السفر و المكتب و الدرس.

و لكلّ واحد من هذه الروابط درجات؛ فالقرابة لها حقّ؛ و لكن حقّ الرّحم المحرم آكد، و للمحرم حقّ؛ و لكن حقّ الوالدين آكد.

و كـذلك حقّ الجار؛ و لكن يختلف بحسب قربه من الدار و بعده، و يظهر التفاوت عند النسبة، حتى أنّ البلدىّ فى بلاد الغربة يجرى مجرى القريب فى الوطن؛ لاختصاصه بحق الجوار فى البلد.

و كذلك حقّ المسلم يتأكّد بتأكّد المعرفة.

و للمعـارف درجـات، فليس حقّ الـذى عرف بالمشاهـدة كحق الـذى عرف بالسـماع، بـل آكـد منه! و المعرفـة بعـد وقوعهـا تتـأكّد بالاختلاط.

و كذلك الصحبة تتفاوت درجاتها؛ فحقّ الصحبة فى الدرس و المكتب آكد من حقّ صحبة السفر.

و كـذلك الصداقـة تتفـاوت، فإنّهـا إذا قويت! صـارت أخوّة؛ فـإن ازدادت! صارت محبّـة. و تفاوت درجات الصداقـة لا تخفى بحكم المشاهدة و التجربة.

و كلّ ذلك مفصّل فى كتاب «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالى شكر اللّه مسعاه، و جعل الجنّة متقلّبه و مثواه. آمين.

فينبغى أن يخـالق الجميع بخلق حسن، و يعامـل كلّا منهم بحسب طريقته؛ فـإنّه إن أراد لقـاء الجاهـل بـالعلم، و الأمـىّ بـالفقه، و العيىّ بالبيان؛ آذى غيره و تأذّى بنفسه.

(و) من محاسن الأعمال: (كرم الصّنيعة)؛ أى: حسنها.

قال فى «المصباح»: الصنيعة: ما اصطنعته من خير. انتهى.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۳۶

و لين الجانب، و بذل المعروف، و إطعام الطّعام، و إفشاء السّلام، ...

و فى «القـاموس مع الشرح»: و الصنيع: الإحسـان و المعروف، و اليـد يرمى بهـا إلى كـل إنسـان. و قيـل: هو كـلّ ما اصـطنع من خير؛ كالصنيعة. انتهى.

(و لين الجانب)؛ هو كناية عن التواضع. قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «إنّ اللّه تعالى أوحى إلىّ أن تواضعوا؛ حتّى لا يفخر أحد على أحد».

قال العراقىّ: رواه أبو داود، و ابن ماجه؛ و اللفظ له؛ من حديث عياض بن حمار، و رجاله رجال الصحيح.

(و بذل المعروف)؛ هو اسم عامّ جامع للخير كلّه، و بذله: إعطاؤه. و قيل:

المراد به القرض.

عن على بن أبى طالب قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «اصنع المعروف إلى من هو أهله؛ و إلى غير أهله، فإن أصبت أهله! أصبت أهله، و إن لم تصب أهله!؟ كنت أنت أهله». ذكره الدارقطنى فى «العلل»؛ و هو ضعيف. و رواه ابن النجار فى «تاريخه»، و رواه الخطيب؛ عن ابن عمر رضى اللّه تعالى عنهما.

و أخرج البيهقىّ من طريق على بن موسى الرضا؛ عن آبائه؛ عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم أنّه قال: «رأس العقل بعد الدّين: التّودّد إلى

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

النّاس، و اصطناع المعروف إلى كلّ برّ و فاجر».

(و) من محاسن الأعمال: (إطعام الطّعام)؛ و هو من شعب الإيمان؛ ففى «الصحيحين» أنّ رجلا سأل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: أىّ الإسلام خير؟! قال:

«تطعم الطّعام، و تقرأ السّلام على من عرفت و من لم تعرف».

(و إفشاء السّلام)؛ أى: إشاعته و إكثاره، و بذله لكلّ مسلم؛ من عرفت و من لم تعرف. و يكون قبل الكلام؛ ففى الحديث أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قال:

«من بدأ بالكلام قبل السّلام فلا تجيبوه؛ حتّى يبدأ بالسّلام». ذكره فى

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٣٣٧

و عيادة المريض المسلم؛ برّا كان أو فاجرا، ...

«الإحياء». قال العراقى: رواه الطبرانى فى «الأوسط»، و أبو نعيم فى «اليوم و الليلة» و اللفظ له؛ من حديث ابن عمر بسند فيه لين.

و أخرج البخارىّ فى «الأدب المفرد»؛ عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه: أنّ رجلا مرّ على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم و هو فى مجلس؛ فقال: السلام عليكم، فقال: «عشر حسنات». قال: ثمّ مرّ رجل آخر فقال: السلام عليكم و رحمة اللّه، فقال: «عشرون حسنة». قال: فمرّ رجل آخر فقال: السلام عليكم و رحمة اللّه و بركاته، فقال: «ثلاثون حسنة».

و أخرج أبو داود؛ عن معاذ بن أنس الجهنى رضى اللّه تعالى عنه أنّ رجلا أتى إلى مجلس فيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم؛ فقال: السلام عليكم، فردّ عليه و قال:

«عشر حسنات». ثمّ جاء رجل آخر؛ فقال: السلام عليكم و رحمة اللّه، فردّ عليه و قال: «عشرون حسنة». ثم جاء آخر؛ فقال: السلام عليكم و رحمة اللّه و بركاته، فقال: «ثلاثون» و جاءه آخر فقال: و مغفرته، فقال: «أربعون»، ثمّ قال: «هكذا تكون الفضائل»!.

(و) من محاسن الأعمال: (عيادة المريض المسلم؛ برّا كان أو فاجرا). قال ابن علان فى «شرح «الأذكار»»: أصلها: «عوادة» فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، كما فى «صيام»، و «قيام».

و عيادة المريض سنّة بالإجماع؛ سواء فيه من تعرفه و غيره، و القريب و الأجنبى. و ما ورد عند مسلم بلفظ: «يجب للمسلم على المسلم سبع» و ذكر منها العيادة و غيرها مما ظاهره الوجوب!! محمول على الندب المتأكّد؛ كحديث: «غسل الجمعة واجب على كلّ محتلم». و هى من حقّ المسلم على المسلم. انتهى.

و قال فى «الإحياء»: و المعرفة و الإسلام كاف فى إثبات هذا الحقّ.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٣٣٨

....

قال فى «شرحه»: و الظاهر أنّ كلا منهما شرط؛ فإذا عدم أحدهما! سقط حقّ العيادة. انتهى:

و من أدب العائد: تخفيف الجلوس عنده؛ لئلّا يملّ المريض منه؛ فقد روى الدّيلمى؛ من حديث أبى هريرة: «من تمام العيادة: خفّة القيام عند المريض». انتهى.

و من أدب العائد: قلّة السؤال عن أحواله؛ فإنّ كثرته ربّما تضجره.

و منها: إظهار الرّقّة و الدعاء له بالعافية.

قال فى «الإحياء»: و آدابه عند الاستئذان: أن لا يقابل الباب فى وقوفه؛ فإنّه ربّما يقع بصره عند فتحه على ما لا يحلّ له النظر إليه، بل يقف فى طرف منه. و إذا دقّ الباب يدقّ برفق ولين؛ لا بإزعاج! و لا يقول: «أنا»؛ إذا قيل: «من بالباب»!! فقد ورد النهى عن ذلك؛ بل يقول: «فلان» باسمه المعروف. ففى الحديث عنه صلّى اللّه عليه و سلم أنّه قال: «من تمام عيادة المريض أن يضع أحدكم يده على

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

جبهته- أو قال: على يده- و يسأله كيف هو؟!، و تمام تحيّاتكم المصافحة».

و فى لفظ: «و تمام تحيّتكم بينكم المصافحة». رواه الإمام أحمد، و الترمذى و ضعّفه.

و رواه ابن أبى الدنيا، و البيهقىّ؛ من حديث أبى أمامة بلفظ: «من تمام».

و رواه ابن أبى الدنيا و البيهقىّ بلفظ: «من تمام عيادة أحدكم أخاه: أن يضع يده عليه؛ فيسأله كيف أصبح، كيف أمسى!؟».

و عند الطبرانى فى «الكبير»؛ من حديث أبى رهم: «و إنّ من الحسنات:

عيادة المريض، و إنّ من تمام عيادته أن تضع يدك عليه؛ و تسأله كيف هو؟!».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۳۹

و تشييع جنازة المسلم، ...

و روى أصحاب «السنن»، و الحاكم؛ من حديث على: «من أتى أخاه المسلم عائدا مشى فى خرافة الجنّة حتّى يجلس، فإذا جلس! غمرته الرّحمة، فإن كان غدوة! صلّى عليه سبعون ألف ملك حتّى يمسى، و إن كان مساء! صلّى عليه سبعون ألف ملك حتّى يصبح».

و هذا لفظ ابن ماجه، و صحّحه الحاكم، و حسّنه الترمذى.

و لمسلم؛ من حديث ثوبان: «من عاد مريضا لم يزل فى خرافة الجنّة».

و للبيهقى؛ من حديث على: «من عاد مريضا قعد فى خراف الجنّة، فإذا قام من عنده! وكّل به سبعون ألف ملك يصلّون عليه حتّى اللّيل».

و فى لفظ عنده من حديثه أيضا: «من عاد مريضا مشى فى خراف الجنّة، فإذا جلس عنده! استنقع فى الرّحمة، فإذا خرج من عنده! وكّل اللّه به سبعين ألف ملك يستغفرون له، و يحفظونه ذلك اليوم».

(و) من محاسن الأعمال: (تشييع جنازة المسلم)؛ أى: الذهاب مع الجنازة حتى تدفن. أخرج الشيخان؛ من حديث أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه:

«من تبع جنازة فله قيراط من الأجر، فإن وقف حتّى تدفن؛ فله قيراطان»، و أخرج الإمام أحمد و مسلم و ابن ماجه و أبو عوانة و أبو داود الطيالسى من حديث ثوبان: «من تبع جنازة حتى يصلى عليها، كان له من الأجر قيراط، و من مشى مع الجنازة حتى تدفن كان له من الأجر قيراطان، و القيراط مثل أحد».

و أخرج البخارىّ، و النسائى، و ابن حبّان؛ من حديث أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه: «من تبع جنازة مسلم إيمانا و احتسابا، و كان معها حتّى يصلّى عليها و يفرغ من دفنها؛ فإنّه يرجع من الأجر بقيراطين؛ كلّ قيراط مثل أحد!! و من صلّى عليها ثمّ رجع قبل أن تدفن؛ فإنّه يرجع بقيراط من الأجر».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۴۰

و حسن الجوار لمن جاورت؛ مسلما كان أو كافرا، ...

و المشى أمامها بقربها أفضل؛ فإنّه شفيع لها، و الشفيع يتقدّم.

هذا مذهب الشافعى. و يدلّ له حديث ابن عمر: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يمشى بين يديها، و أبو بكر، و عمر.

و قال أبو حنيفة: المشى خلفها أفضل؛ لما رواه البراء بن عازب؛ قال:

أمرنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم باتّباع الجنازة. و عن أبى هريرة قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يقول: «حقّ المسلم على المسلم خمس ...» و ذكر منها اتّباع الجنازة؛ و الاتّباع لا يقع إلّا على التوالى.

و آداب تشييع الجنازة: دوام الخشوع، و ترك الحديث، و ملاحظة الميت و الاعتبار به، و التفكّر فى الموت و الاستعداد له.

(و) من محاسن الأعمال: (حسن الجوار)؛ أى: المجاورة (لمن جاورت؛ مسلما كان) الجار؛ (أو كافرا)؛ لأنّك مأمور بالإحسان إلى

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

جارک مطلقا، إلّا أنّ للمجاورة مراتب بعضها ألصق من بعض؛ على الترتيب المذكور فى قوله صلّى اللّه عليه و سلم: «الجيران ثلاثة؛ فجار له حقّ واحد؛ و هو أدنى الجيران حقّا، و جار له حقّان، و جار له ثلاثة حقوق.

فأمّا الّذى له حقّ واحد؛ فجار مشرک لا رحم! له حقّ الجوار.

و أمّا الّذى له حقّان! فجار مسلم له حقّ الإسلام و حقّ الجوار.

و أمّا الّذى له ثلاثة حقوق! فجار مسلم و ذو رحم؛ له حقّ الإسلام و حقّ الجوار و حقّ الرّحم».

رواه الحسن بن يوسف، و البزّار فى «مسنديهما»، و أبو الشيخ فى «كتاب الثواب»، و أبو نعيم فى «الحلية»؛ من حديث جابر.

و رواه ابن عدىّ؛ من حديث عبد اللّه بن عمرو و كلاهما ضعيف، و كذلک رواه الديلمىّ و الطبرانى؛ من حديث جابر. و له طرق متّصلة و مرسلة، و فى الكلّ مقال.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۴۱

....

فانظر كيف أثبت للمشرک حقّا بمجرّد الجوار! و قد قال صلّى اللّه عليه و سلم: «أحسن مجاورة من جاورک تكن مؤمنا» ... الحديث بطوله الذى رواه الترمذى؛ عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه. و هذا أعمّ من أن يجاور مسلما أو مشركا.

و قال صلّى اللّه عليه و سلم: «من كان يؤمن باللّه و اليوم الآخر فليكرم جاره». متّفق عليه؛ من حديث أبى شريح.

و أخرج البخارى و مسلم و غيرهما؛ من حديث عائشة، و ابن عمر:

«ما زال جبريل يوصينى بالجار حتّى ظننت أنّه سيورّثه».

و أخرج الطبرانىّ؛ عن معاوية بن حيدة: قلت يا رسول اللّه؛ ما حقّ الجار على جاره؟! قال: «إن مرض عدته، و إن مات شيّعته، و إن استقرضک أقرضته، و إن أعور سترته».

و فى رواية لأبى الشيخ: «و إن استعانک أعنته، و إن احتاج أعطيته، هل تفقهون ما أقول لكم!؟ لن يؤدّى حقّ الجار إلّا قليل ممّن رحم اللّه».

و فى رواية للخرائطى: «و إن أصابه خير هنّأته، و إن أصابته مصيبة عزّيته، و إن مات اتّبعت جنازته، و لا تستطل عليه بالبناء؛ فتحجب عنه الرّيح إلّا بإذنه، و لا تؤذه بقائح قدرک؛ إلّا أن تفرغ له منها، و إن اشتريت فاكهة فأهد له منها، فإن لم تفعل! فأدخلها سرّا، و لا يخرج بها ولدک ليغيظ بها ولده».

قال فى «الإحياء»: و اعلم أنّه ليس حقّ الجوار كفّ الأذى فقط! بل احتمال الأذى، فإنّ الجار أيضا قد كفّ أذاه، فليس فى ذلک قضاء حقّ، و لا يكفى احتمال الأذى؛ بل لا بدّ من الرّفق و إسداء الخير و المعروف إليه؛ إذ يقال: إنّ الجار الفقير يتعلّق بجاره الغنىّ يوم القيامة؛ فيقول: يا ربّ؛ سل هذا لم منعنى معروفه و سدّ بابه دونى!؟.

و بلغ ابن المقفّع أنّ جارا له يبيع داره فى دين ركبه- و كان يجلس فى ظلّ

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۴۲

و توقير ذى الشّيبة المسلم، ...

داره- فقال: ما قمت إذا بحرمة ظلّ داره إن باعها معدما! فدفع إليه ثمن الدار؛ و قال: لا تبعها.

و شكا بعضهم كثرة الفأر فى داره! فقيل له: لو اقتنيت هرّا! فقال: أخشى أن يسمع الفأر صوت الهرّ؛ فيهرب إلى دور الجيران؛ فأكون قد أحببت لهم ما لا أحبّ لنفسى!!.

و بالجملة: فالذى يشمل جميع حقوق الجار هو: إرادته الخير لجاره، و موعظته بالحسنى، و الدعاء له بالهداية، و ترک الأذى و ترک الإضرار على اختلاف أنواعه؛ إلّا فى الموضع الذى يجب فيه الإضرار بالقول؛ أو الفعل.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

فإن كان كافرا! يعظه بعرض الإسلام عليه، و إظهار محاسنه برفق، و الترغيب فيه، فيعظ الفاسق بما يناسبه أيضا، و يستر عليه زلّه عن غيره، و ينهاه برفق، فإن أفاد، و إلّا! هجره؛ قاصدا تأديبه مع إعلامه بالسبب ليكفّ. قاله ابن أبى جمرة. ذكره فى شرح «الإحياء».

(و) من محاسن الأعمال: (توقير)- أى: تعظيم- (ذى الشّيبة المسلم) بما يستحقّه من التبجيل و التعظيم؛ ففى الحديث عنه صلّى اللّه عليه و سلم: «من إجلال اللّه:

إكرام ذى الشّيبة المسلم» ... الحديث؛ أى: تعظيم الشيخ الكبير صاحب الشيبة البيضاء الذى عمّر فى الإسلام، و توقيره فى المجالس، و الرّفق به، و الشفقة عليه.

و هذا الحديث قال العراقى: رواه أبو داود؛ من حديث أبى موسى الأشعرى بإسناد حسن. و قد سكت عليه أبو داود. أى: فهو عنده حسن! و هكذا قال ابن القطّان، و الحافظ ابن حجر.

و أورده ابن الجوزى فى «الموضوعات» بهذا اللفظ؛ من حديث أنس، و نقل عن ابن حبّان أنه لا أصل له!

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۴۳

....

و لم يصب ابن الجوزى؛ و لا ابن حبّان!! بل له أصل من حديث أبى موسى.

و أما حديث أنس الذى قال ابن حبّان «لا أصل له!» فلفظه: «إنّ من إجلال اللّه توقير الشّيخ من أمّتى»؛ قاله فى شرح «الإحياء».

أخرج الطبرانى فى «الأوسط» بسند ضعيف؛ عن جابر قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «ليس منّا من لم يوقّر كبيرنا، و لم يرحم صغيرنا».

و هو عند أبى داود، و البخارى فى «الأدب المفرد»؛ من حديث عبد اللّه ابن عمر بسند حسن؛ قاله العراقى.

فيتعيّن أن يعامل كلّا منهما بما يليق؛ فيعطى الصغير حقّه من الرّفق به و الرحمة و الشفقة عليه، و يعطى الكبير حقّه من الشرف و التوقير.

و من تمام توقير المشايخ و تعظيمهم: أن لا يتكلّم بين أيديهم إلا بإذن منهم.

روى أبو الشيخ فى «التوبيخ» من حديث جابر: «ثلاثة لا يستخفّ بحقّهم إلّا منافق بيّن النّفاق: ۱- ذو الشّيبة فى الإسلام، و ۲- الإمام المقسط، و ۳- معلّم الخير».

و رواه الطبرانى فى «الكبير»؛ من حديث أبى أمامة رضى اللّه تعالى عنه نحوه.

و فى الخبر عنه صلّى اللّه عليه و سلم: «ما أكرم شابّ شيخا لسنّه! إلّا قيّض اللّه له من يكرمه عند سنّه!!». رواه الترمذى؛ من حديث أنس، و قال: حديث غريب، و فيه أبو الرجال و هو ضعيف.

قال الغزالى: و هذه بشارة بدوام الحياة فليتنبّه لها! فلا يوفّق لتوقير المشايخ إلّا من قضى اللّه له بطول العمر. و هكذا ذكره ابن العربى فى «شرح الترمذى»

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۴۴

و إجابة دعوة الطّعام، و الدّعاء عليه، و العفو، و الإصلاح بين النّاس، ...

عن العلماء أنّ فيه دليلا على طول العمر لمن أكرم المشيخة. انتهى. من «الإحياء» و «شرحه».

(و) من محاسن الأعمال: (إجابة) داعى (دعوة الطّعام)؛ وجوبا فى وليمة العرس، و ندبا فى غيرها من الولائم؛ بشرطه!

(و الدّعاء عليه)؛ أى: على الطعام و بعده، فقد كان صلّى اللّه عليه و سلم إذا أكل عند قوم لم يخرج حتّى يدعو لهم؛ فكان يقول: «اللّهمّ؛ بارك لهم و ارحمهم». و كان يقول: «أفطر عندكم الصّائمون، و أكل طعامكم الأبرار، و صلّت عليكم الملائكة». كما تقدّم.

(و العفو) عمّن اجترأ عليه. قال صلّى اللّه عليه و سلم: «ما نقصت صدقة من مال، و ما زاد اللّه عبدا بعفو إلّا عزّا، و ما تواضع أحد للّه إلّا رفعه». رواه مسلم؛ من حديث أبى هريرة.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و رواه کذلک الإمام أحمد، و الترمذی، و ابن حبّان.

و قالت عائشة رضی اللّه تعالی عنها: ما انتقم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم لنفسه قطّ إلّا أن تنتهک حرمة اللّه! فینتقم للّه. رواه البخاری و مسلم.

و قال ابن عباس: ما عفا رجل عن مظلمة إلّا زاده اللّه بها عزّا. أی: فی الدنیا؛ فإنّ من عرف بالعفو و الصفح عظم فی القلوب، أو فی الآخرة؛ بأن یعظم ثوابه. و هو معنی حدیث أبی هریرة السابق آنفا.

(و) من محاسن الأعمال: (الإصلاح بین النّاس)، ففی الحدیث عنه صلی اللّه علیه و سلم: «أفضل الصّدقة: إصلاح ذات البین» رواه الطبرانی فی «الکبیر»، و الخرائطی فی «مکارم الأخلاق»؛ من حدیث عبد اللّه بن عمرو. و فیه راو ضعیف.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۳۴۵

و الجود، و الکرم، و السّماحة، ...

و عنه صلّی اللّه علیه و سلم: «اتّقوا اللّه و أصلحوا ذات بینکم؛ فإنّ اللّه تعالی یصلح بین المؤمنین یوم القیامة». رواه الخرائطی فی «مکارم الأخلاق»؛ عن أنس من حدیث طویل، و رواه الحاکم و قال: صحیح الإسناد، و ضعّفه البخاری و ابن حبّان.

و قال صلّی اللّه علیه و سلم: «أ لا أخبرکم بأفضل من درجة الصّلاة و الصّیام و الصّدقة؟!» قالوا: بلی! قال: «إصلاح ذات البین. و فساد ذات البین هی الحالقة».

رواه أبو داود، و الترمذی و صحّحه؛ من حدیث أبی الدرداء.

و رواه کذلک الإمام أحمد، و البخاری فی «الأدب المفرد»، قال الحافظ ابن حجر: سنده صحیح.

فینبغی للشخص الاعتناء بإصلاح ذات البین بین المسلمین ما وجد لذلک سبیلا. و قد قال صلّی اللّه علیه و سلم: «لیس بکذّاب من أصلح بین اثنین؛ فقال خیرا أو نمی خیرا». رواه الشیخان؛ من حدیث أمّ کلثوم بنت عقبة بن أبی معیط، و کذلک رواه الإمام أحمد، و أبو داود، و الترمذی، و ابن جریر؛ کلهم من حدیث حمید بن عبد الرحمن؛ عن أمّه أمّ کلثوم بنت عقبة. و رواه الطبرانی فی «الکبیر» من حدیث شدّاد بن أوس.

و لیس المراد من الحدیث نفی ذات الکذب! بل نفی إثمه. فالکذب کذب؛ لإصلاح أو غیره.

و هذا الحدیث یدلّ علی وجوب الإصلاح، لأنّ ترک الکذب واجب، و لا یسقط الواجب إلّا بواجب آکد منه. انتهی جمیعه من «الإحیاء» و «شرحه» و اللّه أعلم.

(و) من محاسن الأعمال: (الجود، و الکرم، و السّماحة) و معانیها متقاربة.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۳۴۶

و الابتداء بالسّلام، ...

و قد فرّق بعضهم بینها بفروق دقیقة؛

فجعلوا الکرم: الإنفاق بطیب نفس فیما یعظم قدره و نفعه. أی: فیما یکثر الانتفاع به؛ فلا یطلق علی ما یحقر قدره و یقلّ نفعه. و قال بعضهم: الأظهر أن یقال: الکرم إنما هو عطاء ابتداء؛ من غیر ملاحظة عوض و غرض انتهاء.

و أمّا السماحة! فهی التجافی عمّا یستحقّه المرء عند غیره؛ من أداء عین، أو قضاء دین؛ بطیب نفس. و قال العلّامة ملّا علی قاری: بعض الأحادیث یدلّ علی أنّ المراد بالسماحة السخاوة الخاصة؛ و هی المساهلة فی المعاملة؛ کما ورد:

«رحم اللّه من سمح فی البیع و الشّراء، و القضاء و الاقتضاء». و فی حدیث:

«السّماح رباح». انتهی.

و السخاء: سهولة الإنفاق علی الأقارب و الأجانب، و الفقیر و الغنی، و سائر المراتب، و تجنب اکتساب ما لا یحمد. و هو مرادف

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

للجود.

و قيل: الجود إعطاء الموجود، و انتظار المفقود، و الاعتماد على المعبود.

و قيل: الجود هو بذل المجهود، و نفى الموجود.

و قد يقال: من أعطى البعض؛ فهو سخى، و من بذل الأكثر؛ فهو جواد، و من أعطى الكلّ؛ فهو كريم. انتهى.

(و) من محاسن الأعمال: (الابتداء بالسّلام)؛ و هو سنّة عين من الواحد؛ و لو صبيا! و لو على من ظنّ أنّه لا يردّ، و من الجماعة سنّة كفاية.

و ردّه فرض عين على الواحد عند إقباله و انصرافه، و كذا لو علمه واحد فقط من الجماعة، و لو كان المسلّم صبيا مميّزا.

و فرض كفاية؛ إن كان على جماعة اثنين فأكثر، مسلمين مكلفين، أو سكارى؛ لهم نوع تمييز، عالمين به، و لو نساء.

و لو أسقط المسلّم حقّه؛ لم يسقط، لأن الحقّ للّه تعالى، و لو ردّوا كلّهم؛

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٣٤٧

....

و لو مرتّبا؟ أثيبوا ثواب الفرض، كالمصلّين على جنازة.

و شرطه إسماع و اتصال كاتصال الإيجاب بالقبول، فإن شكّ فى سماعه؛ زاد فى الرفع، فإن كان عنده نيام، خفض صوته ندبا.

و لا يكفى ردّ صبى مع وجود مكلّف، و لا ردّ غير المسلّم عليهم.

و لو سلّم على جماعة؛ فيهم امرأة فردّت؛ هل يكفى؟ قال الزركشى: ينبغى بناؤه على أنّه هل يشرع لها الابتداء بالسّلام؛ بأن كانت محرما له، أو غير مشتهاة مثلا؛ فحيث شرع لها؛ كفى جوابها، و إلّا فلا.

قال الشّبراملّسى: و محلّ ذلك ما لم يخصّ الرجال، و إلّا فلا يكفى ردّها.

انتهى.

و يجب الجمع بين اللفظ و الإشارة على من ردّ على أصمّ، و سنّ لمن يسلّم عليه أن يجمع بينهما.

نعم؛ لو علم أنّه فهم بقرينة الحال و النظر إلى فمه؟ لم تجب الإشارة.

و تجزئ إشارة الأخرس ابتداء و ردّا.

و قال الشّبراملّسى: محلّ ذلك إن فهمها كلّ أحد، و إلّا كانت كناية، فتعتبر النيّة معها، لوجوب الردّ و الكفاية فى حصول السّنّة منه. انتهى.

و صيغته: «السلام عليكم»، أو «سلامى عليكم»، و يجزئ مع الكراهة «عليكم السلام». و يجب فيه الردّ.

و ك «عليكم السلام»، «عليكم سلامى»، و لو قال «و عليكم السلام»؟ لم يكن سلاما، فلا يجب ردّه «١».

(١) بقى مما لا يجب ردّه و هو الآن مستعمل كثيرا: سلام اللّه عليكم. أو: سلام من اللّه عليكم.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٣٤٨

و كظم الغيظ، ...

و ندب صيغة الجمع فى الواحد لأجل الملائكة، و يكفى الإفراد فيه، بخلافه فى الجمع! فلا يكفى فى أداء السّنة، و لا يجب الردّ حيث لم يعيّن واحدا.

و الإشارة بيد و نحوها من غير لفظ! خلاف الأولى، و الجمع بينها و بين اللفظ أفضل، و صيغة ردّه «و عليكم السلام و عليك السلام» للواحد، لا لجمع سلّموا عليه؛ كما فى الشبراملسى، و مع ترك الواو، و إن كان ذكرها أفضل، فإن عكس؛ بأن قال: «و السلام عليكم»،

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

أو «السلام عليكم»؟ جاز و كفى، فإن قال «و عليكم» و سكت؟ لم يجز.

و التعريف ابتداء و جوابا أفضل، و زيادة «و رحمة اللّه و بركاته» أكمل منهما.

انتهى ملخصا من كتاب «فتح العلام» للسيّد العلامة علوى بن أحمد السّقّاف رحمه اللّه، ثم قال فيه:

و هل لنا سنّة كفاية غير السلام من الجماعة؟! ذهب فخر الإسلام الشاشى إلى نفى ذلك. و ردّ بأن منها تشميت العاطس، و التسمية للأكل، و الأذان و الإقامة، و ما يفعل بالميّت؛ مما ندب إليه من جماعته، و تضحية الواحد من أهل البيت بالشاة الواحدة، لتأدّى شعار التضحية. و قد نظم بعضهم ذلك فى قوله:

أذان و تشميت و فعل بميّت إذا كان مندوبا و للأكل بسملا

و أضحية من أهل بيت تعدّدوا و بدء سلام و الإقامة فاعقلا

فذى سبعة إن جا بها البعض يكتفى و يسقط لوم عن سواه تكمّلا زاد فى «التحفة» و «النهاية»: إجابة تشميت العاطس. انتهى.

(و) من محاسن الأعمال: (كظم الغيظ) الكظم: هو الكفّ؛ إمّا بكفّ النفس؛ أو بالصفح.

و الغيظ: هو الغضب الكامن فى القلب.

أخرج ابن أبى الدنيا فى «ذمّ الغضب»؛ عن ابن عمر رضى اللّه عنهما أنّ

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٣٤٩

و العفو عن النّاس، ...

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قال: «من كظم غيظا، و لو شاء أن يمضيه أمضاه؛ ملأ اللّه قلبه يوم القيامة رضا». و فى رواية: «من كتم غيظا؛ و هو يقدر على إنفاذه؛ ملأ اللّه قلبه أمنا و إيمانا». رواه ابن أبى الدنيا؛ من حديث أبى هريرة.

و قال ابن عمر رضى اللّه تعالى عنهما: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «ما جرع عبد جرعة أعظم أجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه اللّه تعالى». رواه ابن ماجه بإسناد جيد، و قال المنذرىّ: رواته محتجّ بهم فى «الصحيح».

و رواه الإمام أحمد بلفظ: «ما تجرّع عبد أفضل منه عند اللّه من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه اللّه تعالى».

و قال ابن عبّاس: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «إنّ لجهنّم بابا لا يدخله إلّا من شفى غيظه بمعصية اللّه». رواه ابن أبى الدنيا فى «ذم الغضب».

و قال صلّى اللّه عليه و سلم: «من كظم غيظا؛ و هو يقدر على أن ينفذه؛ دعاه اللّه على رءوس الخلائق، و يخيّره من أىّ الحور العين شاء». رواه الإمام أحمد، و أبو داود، و الترمذىّ؛ و قال: حسن غريب، و ابن ماجه، و الطبرانىّ، و البيهقىّ، و ابن أبى الدنيا فى «ذم الغضب»؛ و فى «الصمت» من حديث معاذ بن أنس.

و ذكر أنّه كان عند ميمون بن مهران الجزرى «كاتب عمر بن عبد العزيز» ضيف، فاستعجل جاريته بالعشاء؛ فجاءت مسرعة و معها قصعة مملوءة من الثريد، فعثرت فى ذيلها و أراقتها على رأس سيّدها ميمون، فقال: يا جارية أ حرقتينى! قالت: يا معلّم الخير و مؤدّب الناس؛ ارجع إلى ما قال اللّه تعالى، قال لها: و ما قال اللّه تعالى؟! قالت: قال وَ الْكاظِمِينَ الْغَيْظَ قال: قد كظمت غيظى؛ أى كففته. قالت وَ الْعافِينَ عَنِ النَّاسِ قال: قد عفوت عنك. قالت:

زد، فإنّ اللّه عزّ و جلّ يقول وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) [آل عمران] قال: أنت حرّة لوجه اللّه تعالى.

(و العفو عن النّاس) تقدّم الكلام على العفو.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٣٥٠

و اجتناب ما حرّمه الإسلام من اللّهو، و الباطل، و الغناء، و المعارف كلّها، ...

(و اجتناب) كلّ (ما حرّمه الإسلام؛ من اللّهو و الباطل و الغناء)- بكسر الغين و المدّ-: الصوت. و غنّى- بالتشديد-: إذا ترنّم بالغناء، و

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

الغنى- بالكسر و القصر- بالمال، و أما الغناء- بفتح الغين و المدّ-!! فهو النفع، و على ذلك قول بعضهم:

الغنا بالمدّ صوتو الغنى بالمال مقصور

و الجميع الغين منهعند أهل العلم مكسور

و الغنا بالمدّ و الفتح اسمه للنّفع مشهور (و) من محاسن الأعمال: اجتناب (المعازف كلّها): آلات يضرب بها.

الواحد عزف؛ مثل فلس. و قال الجوهريّ: المعازف الملاهى.

قال ابن حجر الهيتميّ: صحّ من طرق عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم أنّه قال: «ليكوننّ فى أمّتى أقوام يستحلّون الحر و الحرير، و الخمر و المعازف». أخرجه الإمام أحمد، و أبو داود، و ابن ماجه، و أبو نعيم بأسانيد صحيحة لا مطعن فيها، و صحّحه جماعة آخرون من الأئمة؛ كما قاله بعض الحفّاظ؛ خلافا لما وهم فيه ابن حزم! فقد علّقه البخاريّ؛ و وصله الإسماعيلى.

و هو صريح ظاهر فى تحريم جميع آلات اللّهو المطربة.

و عن ابن مسعود رضى اللّه تعالى عنه؛ أنّ النبى صلّى اللّه عليه و سلم قال: «إيّاكم و سماع المعازف و الغناء، فإنّهما ينبتان النّفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل». رواه ابن صصرى فى «أماليه».

و أخرج الدّيلميّ أنّه صلّى اللّه عليه و سلم قال: «الغناء و اللّهو ينبتان النّفاق فى القلب كما ينبت الماء العشب، و الذى نفسى بيده؛ إنّ القرآن و الذّكر لينبتان الإيمان فى القلب كما ينبت الماء العشب».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۵۱

....

و عن أبى موسى رضى اللّه تعالى عنه؛ أنّ النبى صلى اللّه عليه و سلم قال: «من استمع إلى صوت غناء لم يؤذن له أن يستمع إلى صوت الرّوحانيّين فى الجنّة». رواه الحكيم الترمذى.

و عن ابن مسعود رضى اللّه تعالى عنه؛ أنّه سئل عن قوله تعالى وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ [لقمان/ ۶]؛ قال: «الغناء، و الذى لا إله إلّا هو؛ لا غيره».

رواه ابن أبى شيبة بإسناد صحيح. و أخرجه الحاكم و صحّحه و البيهقيّ و غيره.

ثمّ قال ابن حجر الهيتميّ: يحرم سماع الغناء من حرّة و أمة أجنبيّة؛ بناء على قول عندنا «أنّ صوت المرأة عورة»، سواء أخاف فتنة بها؛ أم لا!! و كلام الشيخين فى «الروضة» و «أصلها» فى ثلاثة مواضع يقتضى أنّ هذا هو الراجح فى المذهب، و نقل القاضى أبو الطيّب إمام أصحابنا عن الأصحاب: و لو من وراء حجاب.

و صرّح بالتحريم القاضى الحسين أيضا. و ادّعى أنّه لا خلاف فيه؛ مستدلا بالحديث الصحيح: «من استمع إلى قينة صبّ فى أذنيه الآنک». أى: الرصاص المذاب.

قال الأذرعيّ: و لو لم يكن المغنّى و المغنّية محلّ الفتنة، و لكن استماع الغناء منه يبعث على الافتتان بغيره من الناس؛ فهو حرام، لما فيه من الخبث؛ و تحريک القلب الخرب إلى ما يهواه، لا سيّما أهل العشق و الشغف، و من يشتغل بصورة خاصّة! و هذا واضح و لا ينازع فيه منصف. انتهى.

و أمّا على قول «أنّ صوت المرأة غير عورة» و هو الأصحّ!! فلا يحرم؛ إلّا إن خشى فتنة.

قال الأذرعيّ: و محلّه فى غير الغناء الملحّن بالنغمات الموزونة مع التخنّث و التغنّج؛ كما هو شأن المغنّيات.

أما هذا!! ففيه أمور زائدة على مطلق سماع الصوت؛ فيتّجه التحريم هنا؛ و إن

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۵۲

و كلّ ذى وتر، و كلّ ذى ذحل، و الغيبة، ...

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

قلنا «إنّ صوتها غير عورة».

و يجب أن يكون محلّ الخلاف فى صوت غير مشتمل على ذلك؛ بخلاف المشتمل عليه، لأنّه يحثّ على الفسوق؛ كما هو مشاهد، و يظهر أنّ سماعه من الأمرد محرّم أيضا؛ إن خشى فتنة به، كسماعه من المرأة.

ثم رأيت الرافعى صرّح بذلك. و الأذرعىّ نقل عن القرطبى: أنّ جمهور من أباح سماع الغناء حكموا بتحريمه من الأجنبيّة على الرّجال و النساء، و أنّه لا فرق بين إسماع الشعر و القرآن، لما فيه من تهيّج الشهوة و خوف الفتنة؛ لا سيما إذا لحّنته، فسماعه كالاطلاع على محاسن جسدها، بل الحاصل بغنائها من المفسدة أسرع من ذلك!؛ لأنّ السماع يؤثّر فى النفس قبل رؤية الشخص، و أمّا تهييجه للشهوة و إيقاعه فى الفتنة!! فلا شكّ فيه.

و الحاصل: أنّ سماعهنّ مظنّة للشهوة قطعا. و أطال فى تقريره و هو كما قال.

انتهى كلام الأذرعى؛ نقله ابن حجر رحمه اللّه تعالى.

(و) من محاسن الأعمال: اجتناب (كلّ ذى وتر)- بفتح الواو و سكون التاء المثنّاة فوق، آخره راء-: هو الذّحل- بالذال المعجمة و الحاء المهملة- المذكور فى قوله (و كلّ ذى ذحل) الحقد و هو بفتح الذال المعجمة. و تفتح الحاء المهملة، فيجمع على أذحال؛ مثل سبب و أسباب، و تسكّن الحاء المهملة، فيجمع على ذحول؛ مثل فلس و فلوس، و طلب بذحله أى بثأره. انتهى «مصباح» و سيأتى تفسيرهما فى كلام المصنف، و المراد منهما اجتناب الحقد و إضمار الشرّ للمسلمين.

(و) من محاسن الأعمال: اجتناب (الغيبة)- بكسر الغين المعجمة-: ذكرك أخاك بما يكره؛ و لو بما فيه؛ و لو بحضوره، لكن ظاهر المادّة تؤيّد ما قيل «من أن ما فى الحضور لا يسمّى غيبة بل بهتان». و إذا ذكره بما ليس فيه فقد زاد على ذلك إثم الكذب.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٣٥٣

....

و من الضلال قول بعض العامّة «ليس هذا غيبة، إنّما هو إخبار بالواقع»، فربّما جرّه ذلك لكفر الاستحلال- و العياذ باللّه تعالى-.

و ليست الغيبة مختصّة بالذكر، بل ضابطها: كلّ ما أ فهمت به غيرك نقصان مسلم، بلفظك؛ أو كتابتك؛ أو أشرت إليه بعينك؛ أو يدك؛ أو رأسك؛ أو نحو ذلك، سواء كان ذلك فى بدنه؛ أو دينه؛ أو دنياه؛ أو ولده؛ أو والده؛ أو زوجته؛ أو خادمه؛ أو حرفته؛ أو لونه؛ أو مركوبه؛ أو عمامته؛ أو ثوبه؛ أو غير ذلك ممّا يتعلّق به.

و من ذلك قول المصنفين فى كتبهم «قال فلان كذا و هو غلط؛ أو خطأ .. أو نحو ذلك» فهو حرام، إلّا إن أرادوا بيان غلطه؛ أو خطئه، لئلا يقلّد؛ لأنّ ذلك نصيحة؛ لا غيبة.

و قولهم «قال مصنف، أو قال جماعة أو قوم كذا؛ و هو غلط أو خطأ» أو نحو ذلك؟! ليس غيبة، لأنّ الغيبة لا تكون إلّا فى إنسان معين؛ أو جماعة معينين.

و قولك «فعل كذا بعض الناس»، أو: «بعض الفقهاء»، أو: «من يدّعى العلم»، أو: «بعض المفتين» أو نحو ذلك غيبة محرّمة إذا كان المخاطب يفهمه بعينه.

و قضيّة ذلك: أنّك إذا ذكرت شخصا تعرفه أنت دون المخاطب؛ لا يكون غيبة.

و يشكل عليه حرمة الغيبة فى الخلوة؛ دون حضور أحد، و كذا بالقلب فقط، فإنّها بالقلب محرّمة كهى باللسان، و محلّ ذلك فى غير من شاهد، و أمّا من شاهد!! فيعذر فى الاعتقاد حينئذ؛ نعم؛ ينبغى أن يحمله على أنّه تاب.

و حكم الغيبة التحريم بالإجماع.

و هل هى كبيرة؛ أو صغيرة؟!

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٣٥٤

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

....

قال القرطبى من المالكية: إنها كبيرة بلا خلاف- يعنى فى مذهبه-، و إليه ذهب كثير من الشافعية، و ذكر صاحب «العدة» منهم: أنها صغيرة. و أقرّه عليه الرافعىّ و من تبعه، لعموم البلوى بها، فقلّ من يسلم منها!! و فى التعليل نظر لا يخفى، لأنّ ذلك لا يقتضى كونها من الصغائر، و الذى جزم به ابن حجر الهيتمى فى «شرح الشمائل» أنّ غيبة العالم و حامل القرآن كبيرة، و غيبة غيرهما صغيرة؛ و هو المعتمد.

و كما يحرم على المغتاب ذكر الغيبة يحرم على السامع استماعها و إقرارها، فيجب على كلّ من سمع إنسانا يذكر غيبة محرّمة أن ينهاه، إن لم يخف ضررا ظاهرا.

و قد ورد: «من ردّ غيبة مسلم ردّ اللّه عن وجهه النّار يوم القيامة». فإن لم يستطع باليد؛ و لا باللسان؟! فارق ذلك المجلس. فإن قال بلسانه «اسكت» و هو يشتهى بقلبه استمراره؟! فذلك نفاق؛ كما قاله الغزالى!! فلا بدّ من كراهته بقلبه.

و ربّما ألحق مجلس الغيبة بمظانّ الإجابة، فيقول «اللّه يلطف بنا، و بفلان؛ فعل كذا و كذا»!!.

و من ذلك غيبة المتفقّهين و المتعبّدين؛ فيقال لأحدهم «كيف حال فلان» فيقول «اللّه يصلحنا .. اللّه يغفر لنا .. اللّه يصلحه؛ نسأل اللّه العافية! اللّه يتوب علينا» ... و ما أشبه ذلك مما يفهم منه تنقيصه. فكلّ ذلك غيبة محرّمة، و كذلك إذا قال «فلان ماله حيلة؛ كلنا نفعل ذلك.».

و اعلم أنّ العلماء ذكروا أنّ الغيبة تباح فى أحوال للمصلحة؛ و هى ستّة نظمها العلامة ابن أبى شريف رحمه اللّه تعالى؛ فقال:

القدح ليس بغيبة فى ستّةمتظلّم و معرّف و محذّر

و لمظهر فسقا و مستفت و من‌طلب الإعانة فى إزالة منكر

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۵۵

و الكذب، ...

فالأوّل: المتظلّم، كأن يقول المظلوم لمن له الولاية كالقاضى «فلان ظلمنى» .. مثلا.

و الثانى: المعرّف، كأن يقول «فلان الأعمش .. أو الأعرج .. أو نحو ذلك» فيمن كان معروفا بذلك؟! بشرط أن يكون بنيّة التعريف، فإن كان بقصد التنقيص!! حرم.

و الثالث: المحذّر، كأن تذكر عيوب شخص لمن يريد الاجتماع عليه إذا لم ينكفّ بدون ذكرها، و إلّا!! حرم.

و الرابع: مظهر الفسق؛ أى: المجاهر بفسقه، كالمجاهر بشرب الخمر و أخذ المكس .. و غير ذلك، فيجوز ذكره بما فسق به؛ لا بغيره من العيوب، بشرط أن يقصد أن تبلّغه لينزجر.

و الخامس: المستفتى؛ كأن يقول للمفتى «ظلمنى فلان»؛ فهل له ذلك؟

و ما طريقى فى الخلاص منه.

و السادس: الطالب للمعاونة على إزالة المنكر؛ كأن يقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر «فلان يعمل كذا فأعنّى على منعه»، بشرط أن يكون قصده التوصّل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك؟ كان حراما.

و التوبة تنفع فى الغيبة من حيث الإقدام، و أمّا من حيث الوقوع فى حرمة من هى له؟! فلا بدّ فيها- مع التوبة- من طلب العفو من صاحبها عنه؛ إذا بلغته. و إذا لم تبلغه؟ كفى الاستغفار له. و إن بلغته بعد ذلك؟ بلغته ممحوّة. انتهى جميع ذلك ملخصا من الباجورى رحمه اللّه تعالى.

(و) من محاسن الأعمال: اجتناب (الكذب) لغير مصلحة شرعية، فإن كان لمصلحة شرعيّة؟ جاز، كالكذب للزوجة؛ تطييبا لنفسها، بل قد يجب كالكذب لإنقاذ مسلم، أو لإصلاح ذات البين.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۵۶

و البخل، و الشّحّ، ...

قال فى «الإحياء»: كلّ مقصود محمود يمكن التوصّل إليه بالصدق و الكذب جميعا؛ فالكذب فيه حرام. و إن أمكن التوصّل إليه بالكذب؛ دون الصدق! فالكذب فيه مباح؛ إن كان تحصيل ذلك القصد مباحا، و واجب إن كان المقصود واجبا. كما أنّ عصمة دم المسلم واجبة؛ فمهما كان فى الصدق سفك دم امرئ مسلم قد اختفى من ظالم؛ فالكذب فيه واجب، و مهما كان لا يتمّ مقصود الحرب؛ أو إصلاح ذات البين، أو استمالة قلب المجنىّ عليه إلّا بكذب؟! فالكذب مباح، إلّا أنّه ينبغى أن يحترز منه ما أمكن. انتهى.

(و) من محاسن الأعمال: اجتناب (البخل، و الشّحّ). قال فى «الجمل» «۱»: الشحّ: اللؤم؛ و هو غريزة، و البخل: المنع نفسه. فهو أعمّ، لأنّه قد يوجد البخل و لا شحّ له، و لا ينعكس.

و فى النسائى؛ عن أبى هريرة رضى اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «لا يجتمع الشّحّ و الإيمان فى قلب عبد أبدا».

فإذن الشحّ صفة راسخة يصعب معها على الرّجل تأتّى المعروف؛ و تعاطى مكارم الأخلاق، و يفتقر فى التخلّص منه إلى معونة اللّه و توفيقه.

و فى «الجامع الصغير»: «الشّحيح لا يدخل الجنّة». رواه الخطيب فى كتاب «البخلاء»؛ عن ابن عمر.

و فى «الصحاح»: الشحّ: البخل مع حرص. انتهى.

و فى «الإحياء»: قال عبد اللّه بن عمرو: الشحّ أشدّ من البخل، لأن الشحيح هو الذى يشحّ على ما فى يد غيره حتى يأخذه، و يشحّ بما فى يده فيحبسه، و البخيل هو: الذى يبخل بما فى يده. انتهى.

---

(۱) أى حاشية الجمل! لعلها على الجلالين!!.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۵۷

....

و قال فى «الاحياء» أيضا: أما حدّ البخل الذى يوجب الهلاك؟!

فقال قائلون: هو منع الواجب، فكلّ من أدّى ما وجب عليه؛ فليس ببخيل.

و هذا غير كاف. ثم أطال فى تقرير حدّ البخل، ... إلى أن قال: السخىّ هو:

الذى لا يمنع واجب الشرع؛ و لا واجب المروءة، فإن منع واحدا منها؟! فهو بخيل، و لكن الذى يمنع واجب الشرع أبخل، كالذى يمنع أداء الزكاة و يمنع عياله و أهله النفقة، أو يؤدّيها؛ و لكنه يشقّ عليه، فإنّه بخيل بالطبع، و إنّما يتسخّى بالتكلّف، أو الذى يتيمّم الخبيث من ماله؛ و لا يطيب قلبه أن يعطى من أطيب ماله، أو من وسطه. فهذا كلّه بخل.

و أمّا واجب المروءة!! فهو ترك المضايقة، و الاستقصاء فى المحقّرات، فإنّ ذلك مستقبح. و استقباح ذلك يختلف بالأحوال و الأشخاص؛ منتهى السؤل، اللحجى ج۲ ۳۵۷ الفصل الأول فى صفة خلقه صلى الله عليه و سلم و حلمه ..... ص : ۳۰۶

فمن كثر ماله استقبح منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة. و يستقبح من الرّجل المضايقة مع أهله؛ و أقاربه؛ و مماليكه ما لا يستقبح مع الأجانب. و يستقبح مع الجار ما لا يستقبح مع البعيد، و يستقبح فى الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح أقلّ منه فى المبايعة و المعاملة، فيختلف ذلك بما فيه من المضايقة فى ضيافة؛ أو معاملة.

۲- أو بما فيه المضايقة؛ من طعام؛ أو ثوب، إذ يستقبح فى الأطعمة ما لا يستقبح فى غيرها، و يستقبح فى شراء الكفن مثلا؛ أو شراء الأضحية، أو شراء خبز الصدقة ما لا يستقبح فى غيره من المضايقة.

۳- و كذلك بمن معه المضايقة؛ من صديق؛ أو أخ؛ أو قريب؛ أو زوجة؛ أو ولد؛ أو أجنبى. و بمن معه المضايقة؛ من صبى؛ أو امرأة،

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

أو شيخ؛ أو شاب، أو عالم؛ أو جاهل، أو موسر؛ أو فقير.

فالبخيل هو: الذى يمنع حيث ينبغى أن لا يمنع؛ إمّا بحكم الشرع، و إمّا بحكم المروءة، و ذلك لا يمكن التنصيص على مقداره.

و لعل حدّ البخل هو: إمساك المال عن غرض، ذلك الغرض هو أهمّ من حفظ

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۵۸

و الجفاء، و المكر، و الخديعة، ...

المال!! فإنّ صيانة الدين أهمّ من حفظ المال، فمانع الزكاة و النفقة بخيل، و صيانة المروءة أهمّ من حفظ المال، و المضايق فى الدقائق مع من لا تحسن المضايقة معه هاتك ستر المروءة لحبّ المال؛ فهو بخيل. انتهى كلام الإمام الغزالىّ رحمه اللّه تعالى.

و هو الذى استقرّ رأيه عليه فى تقرير البخيل و حدّ البخل؛ بعد أن أطال الكلام فى ذلك رحمه اللّه تعالى.

(و) من محاسن الأعمال: اجتناب (الجفاء) أى: الغلظة و الفظاظة. قال الأزهرىّ: الجفاء ممدود؛ عند النحويين، و ما علمت أحدا أجاز فيه القصر. و فى الحديث: «البذاء من الجفاء، و الجفاء فى النّار». و فى الحديث الآخر: «من بدا جفا» أى: غلظ طبعه، لقلّة مخالطة الناس.

و الجفاء يكون فى الخلقة و الخلق؛ يقال: رجل جافى الخلقة، و جافى الخلق أى: كزّ غليظ العشرة، خرق فى المعاملة، متحامل عند الغضب و السورة على الجليس،

و فى صفته صلّى اللّه عليه و سلم: «ليس بالجافى المهين» أى: ليس بالغليظ الخلقة و الطبع، أى: ليس بالذى يجفو أصحابه. انتهى من شرح «القاموس».

(و) من محاسن الأعمال: اجتناب (المكر، و الخديعة)؛ و هما من الكبائر. قال ابن حجر فى «الزواجر»: المكر- لغة-: الستر، يقال مكر الليل؛ أى: ستر بظلمته ما هو فيه، و يطلق أيضا على الاحتيال و الخداع و الخبث، و بهذا الاعتبار عبّر عنه بعض اللغويين: بأنّه السعى بالفساد، و بعضهم: بأنّه صرف الغير عما يقصد بحيلة.

و هذا الأخير؛ إمّا محمود بأن يتحيّن فى أن يصرفه إلى خير، و عليه يحمل قوله تعالى وَ اللّٰهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ (۳۰) [الأنفال].

و إمّا مذموم بأن يتحيّل به فى أن يصرفه إلى شرّ، و منه وَ لا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلّٰا

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۵۹

و النّميمة، ...

بِأَهْلِهِ [۴۳/ فاطر] انتهى.

ثم قال ابن حجر أيضا: أخرج الطبرانىّ فى «الكبير» و «الصغير» بإسناد جيد، و ابن حبّان فى «صحيحه»؛ عن ابن مسعود رضى اللّه عنه قال:

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «من غشّنا فليس منّا، و المكر و الخداع فى النّار».

و رواه أبو داود؛ عن الحسن مرسلا مختصرا؛ قال: «المكر، و الخديعة، و الخيانة فى النّار».

و فى حديث: «لا يدخل الجنّة خبّ- أى: مكّار- و لا بخيل، و لا منّان».

و فى آخر: «المؤمن غرّ كريم، و الفاسق خبّ لئيم».

و قال تعالى عن المنافقين يُخادِعُونَ اللّٰهَ وَ هُوَ خادِعُهُمْ [النساء/ ۱۴۲] أى:

مجازيهم بما يشبه الخداع على خداعهم له، و ذلك أنّهم يعطون نورا؛ كما يعطى المؤمنون، فإذا مضوا على الصراط أطفئ نورهم؛ و بقوا فى الظّلمة.

و فى حديث: «أهل النّار خمسة ...، و ذكر منهم ... رجلا لا يصبح و لا يمسى؛ إلّا و هو مخادعك عن أهلك و مالك». انتهى كلام

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

ابن حجر رحمه اللّه تعالى.

(و) من محاسن الأعمال: اجتناب (النّميمة) و هى: نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على وجه الإفساد بينهم، كقوله «فلان يقول فيك كذا» .. لكن قال أبو حامد الغزاليّ: و ليست النميمة مختصّة بذلك!!. بل حدّها كشف ما يكره كشفه، سواء كان الكشف بالقول؛ أو بالكتابة؛ أو الرمز، أو نحوها، و سواء كان المنقول من الأعمال؛ أو من الأحوال! و سواء كان عيبا؛ أو غيره!!.

قال النّوويّ: فحقيقة النميمة إفشاء السر و هتك الستر عما يكره كشفه.

قال: و كلّ من حملت إليه نميمة لزمه ستّة أمور:

الأوّل: أن لا يصدّقه، لأن النمام فاسق. و الفاسق مردود الخبر.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۶۰

و سوء ذات البين، ...

الثانى: أن ينهاه عن ذلك و ينصحه.

الثالث: أن يبغضه، فإنّه بغيض عند اللّه. و يجب بغض من أبغضه اللّه تعالى.

الرابع: أن لا يظنّ بالمنقول عنه السوء، لقوله تعالى اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ [الحجرات/ ۱۲].

الخامس: أن لا يحمله ما حكى له على التجسّس و البحث عن تحقيق ذلك، قال اللّه تعالى وَ لا تَجَسَّسُوا [الحجرات/ ۱۲].

السادس: أن لا يحكى نميمة عنه، فيقول «فلان حكى لى كذا» فيصير بذلك نمّاما.

و النميمة محرّمة بالإجماع، و المذاهب متفقة على أنها كبيرة، لحديث «الصحيحين»: «لا يدخل الجنّة نمّام». و فى رواية لمسلم: «قتّات»؛ أى:

نمّام.

و كلّ ذلك ما لم تدع الحاجة إليها، و إلّا! جازت، لأنّها حينئذ ليست نميمة؛ بل نصيحة كما إذا أخبرك شخص: بأنّ فلانا يريد البطش بمالك؛ أو بأهلك؛ أو نحو ذلك! لتكون على حذر، فليس ذلك بحرام؛ لما فيه من دفع المفاسد.

و قد يكون بعضه واجبا، كما إذا تيقّن وقوع ذلك لو لم يخبرك بهذا الخبر.

و قد يكون بعضه مستحبّا، كما إذا شكّ فى ذلك؛ ذكره النووى رحمه اللّه تعالى.

نقله الباجورى عنه رحمهم اللّه تعالى. آمين.

(و) من محاسن الأعمال: اجتناب (سوء ذات البين) أخرج أبو داود، و الترمذىّ و صحّحه، و الإمام أحمد، و البخارىّ فى «الأدب المفرد»- قال الحافظ ابن حجر: سنده صحيح- عن أبى الدرداء رضى اللّه تعالى عنه؛ عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم أنّه قال: «أ لا أخبركم بأفضل من درجة الصّيام و الصّلاة و الصّدقة»؟ قالوا: بلى.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۶۱

و قطيعة الأرحام، ...

قال: «إصلاح ذات البين. و فساد ذات البين هى الحالقة» أى: الخصلة التى شأنها أن تحلق: أى: تهلك، و تستأصل الدين كما يستأصل المزيّنون الشعر، أو المراد المزيلة لمن وقع فيها، لما يترتّب عليه من الفساد و الضغائن. انتهى.

«شرح «الإحياء»».

(و) من محاسن الأعمال: اجتناب (قطيعة الأرحام)؛ و هم كلّ قريب:

وارثا؛ أو غير وارث، محرما؛ أو غير محرم.

قال العلّامة ابن حجر فى «الفتاوى الفقهية»؛ كتاب السير: المراد بالأرحام الذين يتأكّد برّهم، و تحرم قطيعتهم جميع الأقارب، من جهة

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

الأب أو الأم؛ و إن بعدوا.

و قال فى «الزواجر»: و ظاهر أن الأولاد و الأعمام من الأرحام، و كذا الخالة؛ خلافا للزركشى فى قوله «إنّ الخالة و العمّ مثل الأب و الأم؛ حتى فى العقوق».

انتهى.

و المراد بقطع الرحم: قطع ما ألف القريب منه من سابق الوصلة و الإحسان لغير عذر شرعى، لأن قطع ذلك يؤدّى إلى إيحاش القلوب و نفرتها و تأذّيها، و يصدق عليه حينئذ أنّه قطع وصلة رحمه، و ما ينبغى لها من عظيم الرعاية، فلو فرض أنّ قريبه لم يصل إليه منه إحسان؛ و لا إساءة! قط، لم يفسق بذلك.

و لا فرق بين أن يكون الإحسان الذى ألفه؛ منه القريب؛ مالا، أو مكاتبة، أو مراسلة، أو زيارة، أو غير ذلك. فقطع ذلك كلّه بعد فعله لغير عذر كبيرة. قاله ابن حجر فى «الزواجر».

قال: و ينبغى أن يراد بالعذر فى المال فقد ما كان يصله به؛ أو تجدّد احتياجه إليه، أو أن يندبه الشارع إلى تقديم غير القريب عليه، لكون الأجنبى أحوج أو أصلح، فعدم الإحسان إليه، أو تقديم الأجنبى عليه لهذا العذر يرفع عنه الفسق؛

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۶۲

و سوء الخلق ...

و إن انقطع بسبب ذلك ما ألفه منه القريب، لأنه إنّما راعى أمر الشارع بتقديم الأجنبى على القريب. و واضح أن القريب لو ألف منه قدرا معيّنا من المال يعطيه إيّاه كل سنة مثلا فنقصه؛ لا يفسق بذلك، بخلاف ما لو قطعه من أصله لغير عذر.

فإن قلت: يلزم على ذلك امتناع القريب من الإحسان إلى قريبه أصلا؛ خشية أنه إذا أحسن إليه يلزمه الاستمرار على ذلك؛ خوفا من أن يفسق لو قطعه، و هذا خلاف مراد الشارع من الحثّ على الإحسان إلى الأقارب؟!.

قلت: لا- يلزم ذلك، لما تقرّر أنه لا يلزمه أن يجرى على تمام القدر الذى ألفه منه، بل اللازم له أن لا يقطع ذلك من أصله. و غالب الناس يحملهم شفقة القرابة و رعاية الرّحم على وصلتها، فليس فى أمرهم بمداومتهم على أصل ما ألفوه منهم تنفير عن فعله، بل حثّ على دوام أصله، و إنما يلزم ذلك لو قلنا «إنه إذا ألف منه شيئا بخصوصه يلزمه الجريان على ذلك الشىء المخصوص دائما؛ و لو مع قيام العذر الشرعى»!!، و نحن لم نقل ذلك.

و أما عذر الزيارة! فينبغى ضبطه بعذر الجمعة «۱»، بجامع أن كلّا فرض عين؛ و تركه كبيرة، و أما عذر ترك المكاتبة و المراسلة! فهو أن لا يجد من يثق به فى أداء ما يرسله معه، و الظاهر أنه إذا ترك الزيارة التى ألفت منه فى وقت مخصوص لعذر لا يلزمه قضاؤها فى غير ذلك الوقت، فتأمّل جميع ما قررته و استفده، فإنى لم أر من نبّه على شىء منه مع عموم البلوى به و كثرة الاحتياج إلى ضبطه.

انتهى كلام ابن حجر؛ شكر اللّه مسعاه و رضى اللّه عنه و أرضاه. آمين.

(و) اجتناب (سوء الخلق) و هو خلاف حسن الخلق.

و الخلق؛ بضمتين: هيئة راسخة تصدر عنها الأفعال بيسر من غير حاجة إلى فكر و رويّة، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلا و شرعا

(۱) يعنى أعذار ترك صلاة الجمعة.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۶۳

و التّكبر، ...

بسهولة! سميت الهيئة خلقا حسنا، و إن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة؛ سميت الهيئة التى هى المصدر خلقا سيئا، و ليس الخلق عبارة

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

عن الفعل، فربّ شخص خلقه السخاء؛ و لا يبذل!! إما لفقد مال أو لمانع، و لا يسمى خلقا ما لم يثبت ذلك فى نفسه ثبوت رسوخ و استقرار.

(و) من محاسن الأعمال اجتناب (التّكبّر) اعلم أنّ الكبر اسم لحالة يتخصّص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، و أن يرى نفسه أعظم من غيره.

و هو ينقسم إلى ظاهر و باطن، فالباطن: هو خلق فى النفس. و الظاهر: هو أعمال تصدر من الجوارح، و اسم الكبر بالخلق الباطن أحقّ، لأنه منشأ الإعجاب و الرؤية، و أما الأعمال فإنّها ثمرة لذلك الخلق و نتائج له، و خلق الكبر موجب للأعمال، و لذلك إذا ظهر أثره على الجوارح يقال: تكبر و استكبر، و إذا لم يظهر يقال: فلان فى نفسه كبر، فالأصل هو الخلق الذى فى النفس، و هو الاسترواح و الركون إلى رؤية النفس فوق المتكبّر عليه، و يسمّى الكبر أيضا «عزّة» و «تعظّما»، و لذلك قال ابن عبّاس فى قوله تعالى إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ ما هُمْ بِبالِغِيهِ [غافر/ ۵۶]؛ قال: عظمة لم يبلغوها، ففسر الكبر بتلك العظمة.

و الأعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة، و فيه يهلك الخواصّ من الخلق، و قلّما ينفكّ عنه العباد و الزهّاد و العلماء؛ فضلا عن عوامّ الخلق، و هو من الكبائر و آفته عظيمة، و كيف لا تعظم آفته؛ و قد قال صلّى اللّه عليه و سلم: «لا يدخل الجنّة من كان فى قلبه مثقال حبّة من خردل من كبر» ... الحديث!! رواه مسلم؛ عن ابن مسعود رضى اللّه تعالى عنه.

و إنما صار حجابا دون الجنة!! لأنّه يحول بين العبد و بين أخلاق المؤمنين كلّها، و تلك الأخلاق هى أبواب الجنة. و الكبر و عزّة النفس يغلق تلك الأبواب كلّها؛ لأنه لا يقدر أن يحبّ للمؤمنين ما يحبّ لنفسه؛ و فيه شىء من العزّ!! و لا يقدر على التواضع- و هو رأس أخلاق المتقين- و فيه العزّ!! و لا يقدر على ترك

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۶۴

و الفخر، و الاختيال، و الاستطالة، ...

الحقد؛ و فيه العزّ! و لا يقدر أن يدوم على الصّدق؛ و فيه العزّ! و لا يقدر على ترك الغضب؛ و فيه العزّ، و لا يقدر على كظم الغيظ؛ و فيه العزّ، و لا يقدر على ترك الحسد؛ و فيه العزّ، و لا يقدر على النصح اللطيف؛ و فيه العزّ، و لا يقدر على قبول النصح؛ و فيه العزّ، و لا يسلم من الازدراء بالناس و من اغتيابهم؛ و فيه العزّ، و لا معنى للتطويل.

فما من خلق ذميم إلّا و صاحب العزّ و الكبر مضطرّ إليه، ليحفظ به عزّه!! و ما من خلق محمود إلا و هو عاجز عنه؛ خوفا من أن يفوته عزّه!!

فمن هذا المعنى لم يدخل الجنة من فى قلبه مثقال حبّة منه.

و الأخلاق الذميمة متلازمة، و البعض منها داع إلى البعض لا محالة.

و شرّ أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم؛ و قبول الحق، و الانقياد إليه. و فيه وردت الآيات التى فيها ذمّ الكبر و المتكبرين. انتهى ملخصا من «الإحياء» و شرحه.

(و) اجتناب (الفخر): ادّعاء العظم و الكبر و الشرف. و التفاخر: التعاظم و التفخّر التكبّر.

(و) اجتناب (الاختيال)- بالخاء المعجمة-، قال النووى: قال العلماء الخيلاء و المخيلة و البطر و الزّهوّ و التبختر كلّها بمعنى واحد، و هو حرام، و يقال:

خال الرجل خالا، و اختال اختيالا: إذا تكبر، و هو رجل خال؛ أى: متكبر، و صاحب خال، أى: صاحب كبر. انتهى.

و قال العراقى فى «شرح الترمذى»: كأنه مأخوذ من التخيّل إلى الظّنّ، و هو أن يخيّل له أنه بصفة عظيمة بلبسه لذلك اللباس أو لغير ذلك. انتهى نقله فى «شرح الإحياء».

(و) اجتناب (الاستطالة) فى عرض المسلم أى: وصفه بأوصاف قبيحة،

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۶۵

و البذخ، و الفحش، و التّفحّش، ...

و احتقاره و الترفّع عليه، و الوقيعة فيه؛ بنحو قذف أو سبّ، لأن العرض أعزّ على النّفس من المال.

(و) اجتناب (البذخ)- بالموحدة المفتوحة و الذال المعجمة المفتوحة، و الخاء المعجمة آخره-؛ و هو تطاول الرجل بكلامه و افتخاره.

(و) اجتناب (الفحش) اسم لكلّ ما يكرهه الطبع من رذائل الأعمال الظاهرة، كما ينكره العقل و يستخبثه الشرع، فتتفق فى حكمه آيات اللّه الثلاث؛ من الشرع، و العقل، و الطبع.

(و) اجتناب (التّفحّش): تكلّف ذلك و تعمّده، و كلّ ذلك مذموم و منهيّ عنه، و مصدره الخبث و اللؤم فى أصل الطبع، قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «إيّاك و الفحش؛ فإنّ اللّه تعالى لا يحبّ الفحش و لا التّفحش» رواه النسائى فى «سننه الكبرى»، و الحاكم و صحّحه؛ من حديث عبد اللّه بن عمرو، و رواه ابن حبّان؛ من حديث أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنهم.

و قال صلّى اللّه عليه و سلم: «ليس المؤمن بالطّعّان و لا اللّعّان، و لا الفاحش، و لا البذىء».

رواه الترمذى بإسناد صحيح؛ من حديث ابن مسعود، و الحاكم و صحّحه، و رواه البخارى فى «الأدب المفرد»، و أحمد و أبو يعلى، و ابن حبّان، و الطبرانى، و البيهقى: كلّهم؛ من حديث ابن مسعود مرفوعا.

و الطّعّان: هو الوقّاع فى أعراض الناس بنحو ذمّ، أو غيبة.

و اللّعّان: الذى يكثر لعن الناس، و الفاحش: ذو الفحش فى كلامه و أفعاله، و البذىء الفاحش فى منطقه؛ و إن كان الكلام صدقا.

و عنه صلّى اللّه عليه و سلم: «الجنّة حرام على كلّ فاحش أن يدخلها» رواه ابن أبى الدنيا، و أبو نعيم فى «الحلية»؛ من حديث عبد اللّه بن عمرو بإسناد فيه لين. انتهى. شرح «الإحياء».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۶۶

و الحقد، ...

(و) اجتناب (الحقد) و هو: الانطواء على العداوة و البغضاء و هو ثمرة الغضب و نتيجته، لأن الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفّى فى الحال رجع إلى الباطن و احتقن فيه؛ فصار حقدا، فيلزم قلبه حينئذ استثقاله و البغضة له و النّفار عنه.

و الحقد يثمر ثمانية أمور:

الأول: الحسد؛ و هو أن يحملك الحقد على أن تتمنّى زوال النعمة عنه، فتغتمّ بنعمة؛ إن أصابها، و تسرّ بمصيبة؛ إن نزلت به.

الثانى: أن تزيد على إضمار الحسد فى الباطن، فيشمت بما يصيبه من البلاء.

الثالث: أن تهجره و تصارمه و تنقطع عنه؛ و إن طلبك و أقبل عليك.

الرابع: و هو دونه بأن تعرض عنه استصغارا له.

الخامس: أن تتكلّم فيه بما لا يحلّ؛ من كذب، أو غيبة، و إفشاء سرّ، و هتك ستر و غيره.

السادس: أن تحاكيه استهزاء و سخرية منه.

السابع: إيذاؤه بالضرب؛ و ما يؤلم بدنه.

الثامن: أن تمنعه حقّه؛ من قضاء دين، أو صلة رحم، أو ردّ مظلمة! و كلّ ذلك حرام.

و أقلّ درجات الحقد: أن تحترز من الآفات الثمانية المذكورة، و لا تخرج بسبب الحقد إلى ما تعصى اللّه به، و لكن تستثقله فى الباطن، و لا ينتهى قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تتطوّع به؛ من البشاشة و الرفق و العناية، و القيام بحاجاته، و المجالسة معه على ذكر اللّه تعالى، و المعاونة على المنفعة له. أو بترك الدعاء له و الثناء عليه، أو التحريض على برّه و مواساته، فهذا كلّه مما ينقص درجتك فى الدين، و يحول بينك و بين فضل عظيم و ثواب جزيل؛ و إن كان

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۶۷

و الحسد، ...

لا يعرّضك لعقاب اللّه تعالى.

(و) اجتناب (الحسد)؛ و هو: تمنّى زوال نعمة الغير، سواء تمنّاها لنفسه؛ أو لا، بأن تمنّى انتقالها عن غيره لغيره، و هذا أخسّ الأخسّاء، لأنه باع آخرته بدنيا غيره، بخلاف ما إذا تمنّى مثل نعمة الغير؛ فإنّه غبطة محمودة فى الخير، كما ورد: «لا حسد إلّا فى اثنتين» ... الحديث.

و دليل تحريمه الكتاب و السنّة و الإجماع.

قال اللّه تعالى وَ مِنْ شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ (۵) [الفلق]، و قال صلّى اللّه عليه و سلم: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النّار الحطب» رواه أبو داود؛ من حديث أبى هريرة، و ابن ماجه؛ من حديث أنس.

و قال صلّى اللّه عليه و سلم: «لا تحاسدوا، و لا تقاطعوا، و لا تدابروا، و لا تباغضوا، و كونوا عباد اللّه إخوانا» أخرجه الإمام أحمد، و البخارىّ، و مسلم.

و فى رواية لمسلم: «لا تحاسدوا، و لا تناجشوا، و لا تباغضوا، و لا تدابروا، و لا يبع بعضكم على بيع بعض، و كونوا عباد اللّه إخوانا، المسلم أخو المسلم» ... الحديث بطوله.

و قال صلّى اللّه عليه و سلم: «دبّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد و البغضاء، هى الحالقة، لا أقول «حالقة الشّعر»، و لكن حالقة الدّين، و الّذى نفس محمّد بيده؛ لا تدخلون الجنّة حتّى تؤمنوا، و لن تؤمنوا حتّى تحابّوا، أ لا أنبّئكم بما يثبّت ذلك لكم!! أفشوا السّلام بينكم».

رواه الطيالسى، و ابن منيع، و أحمد، و عبد بن حميد، و الترمذىّ، و ابن أبى الدنيا، و الشّاشىّ، و ابن قانع، و ابن عبد البرّ فى «جامع العلم»، و البيهقىّ، و الضّياء المقدسى: كلّهم؛ من طريق مولى للزبير، عن الزّبير بن العوّام مرفوعا.

و الأحاديث الدالّة على تحريم الحسد كثيرة، و هو من «الكبائر» كما ذكره ابن

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۶۸

و الطّيرة، و البغى، ...

حجر فى «الزواجر» رحمه اللّه.

(و) اجتناب (الطّيرة)- بالطاء المهملة؛ وزان عنبة- أى: التطيّر؛ و هو التّشاؤم، و كانت العرب إذا أرادت المضىّ لمهمّ مرّت بمجاثم الطّير و أثارتها لتستفيد: هل تمضى؛ أو ترجع؟! فنهى الشارع عن ذلك، و قال: «لا هام و لا طيرة»، و قال: «أقرّوا الطّير فى وكناتها». أى: على مجاثمها.

و قال صلّى اللّه عليه و سلم: «ثلاث لا ينجو منهنّ أحد: الظّنّ و الطّيرة و الحسد، و سأحدّثكم بالمخرج من ذلك». قالوا: أخبرنا يا رسول اللّه! قال: «إذا ظننت فلا تحقّق، و إذا تطيّرت فامض، و إذا حسدت فلا تبغ» أخرجه ابن أبى الدنيا فى «ذمّ الحسد»؛ من حديث أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه، و فيه راويان ضعيفان.

و رواه أبو الشيخ فى «التوبيخ»، و الطبرانى فى «الكبير»؛ من حديث حارثة بن النعمان: «ثلاث لازمات لأمّتى: سوء الظّنّ، و الحسد، و الطّيرة، فإذا ظننت فلا تحقّق، و إذا حسدت فاستغفر اللّه، و إذا تطيّرت فامض» ذكره فى شرح «الاحياء».

و قد نظم ذلك بعضهم؛ فقال:

ثلاثة لم ينج منها أحدطيرة و الظّنّ ثمّ الحسد

لا تبغ لا ترجع و لا تحقّقو قد سلمت خذ كلام مشفق

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

أعنى كلام المصطفى الرّءوف بالمؤمنين المجتبى العطوف (و) اجتناب (البغى): التعدّى عن الحقّ، و الاستطالة.

قال الفرّاء فى قوله تعالى وَ الْإِثْمَ وَ الْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِ [الأعراف/ ٣٣]: إن البغى الاستطالة على النّاس.

و قال الأزهرىّ: معناه الكبر، و قيل: هو الظلم و الفساد.

و قال الرّاغب: البغى على ضربين: أحدهما: محمود؛ و هو: تجاوز العدل

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:٣٦٩

و العدوان، و الظّلم.

إلى الإحسان، و الفرض إلى التطوع.

و الثانى: مذموم؛ و هو: تجاوز الحقّ إلى الباطل، أو تجاوزه إلى الشّبهة، و لذلك قال اللّه تعالى إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِ [النور/ ٢٤]. فخصّ العقوبة بمن يبغيه بغير الحق.

قال: و البغى فى أكثر المواضع مذموم.

قال الأزهرى: و أما قوله تعالى فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ [البقرة/ ١٧٣]!! فغير باغ أكلها تلذّذا، و قيل: غير طالب مجاوزة قدر حاجته، و قيل: غير باغ على الإمام.

و قال الرّاغب: أى غير طالب ما ليس له طلبه.

قال الأزهرى: و معنى البغى قصد الفساد، و فلان يبغى على الناس؛ إذا ظلمهم و طلب أذاهم.

و قال الجوهرى: كلّ مجاوزة و إفراط على المقدار الذى هو حدّ الشىء بغى.

انتهى شرح «القاموس».

(و) اجتناب (العدوان)- بضمّ العين المهملة و كسرها- و هو: الظلم المجاوز للقدر، فكأنه تجاوز فى الإخلال بالعدالة، و منه قوله تعالى فَلا عُدْوانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) [البقرة]؛ أى: لا سبيل، و قيل: العدوان سوء الاعتداء؛ فى قول، أو فعل، أو حال و منه قوله تعالى وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ عُدْواناً وَ ظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ ناراً [النساء]، و قوله تعالى بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ (١٦٦) [الشعراء] أى: معتدون.

قال الراغب: الاعتداء مجاوزة الحقّ، و قد يكون على سبيل الابتداء؛ و هو المنهىّ عنه، و منه قوله تعالى وَ لا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) [البقرة]، و قد يكون على سبيل المجازاة.

و يصحّ أن يتعاطى مع من ابتدأ، كقوله تعالى فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:٣٧٠

....

مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ [البقرة/ ١٩٤] أى: قابلوه بحقّ اعتدائه، سمّى بمثل اسمه!! لأن صورة الفعلين واحدة، و إن كان أحدهما طاعة و الآخر معصية. انتهى. شرح «القاموس».

(و) اجتناب (الظّلم)- بالضم-: التصرّف فى ملك الغير، و مجاوزة الحدّ؛ قاله المناوى.

و قال الراغب: هو- عند أكثر أهل اللغة-: وضع الشىء فى غير موضعه المختصّ به؛ إما بزيادة، أو نقصان، و إما بعدول عن وقته و مكانه، و يقال فيما يكثر و فيما يقلّ من التجاوز، و لهذا يستعمل فى الذنب الكبير، و فى الذّنب الصغير.

قال بعض الحكماء: الظّلم ثلاثة:

الأول: ظلم بين الإنسان و بين اللّه تعالى، و أعظمه الكفر و الشرك و النفاق، و لذلك قال عزّ و جلّ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) [لقمان].

و الثانى: ظلم بينه و بين الناس، و إيّاه قصد بقوله إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ [الشورى/ ٤٢]، و بقوله وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً [الإسراء/ ٣٣].

و الثالث: ظلم بينه و بين نفسه، و إيّاه قصد بقوله تعالى فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ [فاطر/ ٣٢].

و كلّ هذه الثلاثة فى الحقيقة ظلم للنفس، فإنّ الإنسان أوّل ما يهمّ بالظلم فقد ظلم نفسه، فإذن الظّالم أبدا مبتدئ بنفسه فى الظلم، و لهذا قال تعالى فى غير موضع وَ ما ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٣٣) [النحل]، و قوله تعالى وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ [الأنعام/ ٨٢] فقد قيل: هو الشرك انتهى. شرح «القاموس».

قال ابن حجر فى «الزواجر»: أخرج الشيخان و غيرهما؛ عن ابن عمر رضى اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «الظّلم ظلمات يوم القيامة».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٣٧١

....

و أخرج مسلم و غيره: «اتّقوا الظّلم، فإنّ الظّلم ظلمات يوم القيامة، اتّقوا الشّحّ، فإنّ الشّحّ أهلك من كان قبلكم؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم، و استحلّوا محارمهم».

و أخرج مسلم و غيره؛ عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم- فيما يرويه عن ربّه عزّ و جلّ- أنّه قال:

«يا عبادى؛ إنّى حرّمت الظّلم على نفسى و جعلته بينكم محرّما، فلا تظالموا» ..

الحديث.

و أخرج الطبرانى: «لا تظلموا فتدعو فلا يستجاب لكم، و تستسقوا فلا تسقوا، و تستنصروا فلا تنصروا».

و أخرج البخارىّ و مسلم و غيرهما أنّه صلّى اللّه عليه و سلم قال لمعاذ- لمّا بعثه إلى اليمن-:

«اتّق دعوة المظلوم، فإنّها ليس بينها و بين اللّه حجاب».

و أخرج الشيخان و غيرهما: «إنّ اللّه ليملى للظّالم حتّى إذا أخذه لم يفلته».

ثمّ قرأ: وَ كَذلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذا أَخَذَ الْقُرى وَ هِيَ ظالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) [هود]».

و أخرج أبو الشيخ: «قال اللّه عزّ و جلّ: و عزّتى و جلالى لأنتقمنّ من الظّالم فى عاجله و آجله، و لأنتقمنّ ممّن رأى مظلوما فقدر أن ينصره؛ و لم يفعل».

و أخرج البخارىّ، و الترمذىّ: «انصر أخاك ظالما؛ أو مظلوما». فقال رجل: يا رسول اللّه؛ أنصره إذا كان مظلوما، أ فرأيت إن كان ظالما كيف أنصره!؟

قال: «تحجزه- أو: تمنعه- عن الظّلم، فإنّ ذلك نصره».

و أخرج مسلم: «و لينصر الرّجل أخاه ظالما؛ أو مظلوما، فإن كان ظالما فلينهه، فإنّه له نصرة، فإن كان مظلوما فلينصره». انتهى كلام ابن حجر رحمه اللّه تعالى مقتطفا.

و هذه الجمل التى جاءت فى هذا الحديث الكلام عليها بالإسهاب يستدعى مجلّدا كاملا؛ فلنقتصر على هذا القدر من شرحها، و لنرجع إلى كلام المؤلف.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٣٧٢

قوله وتر: (الوتر): الثّأر.

و (الذّحل): الحقد و العداوة، و الثّأر أيضا.

قال أنس رضى اللّه عنه: فلم يدع نصيحة جميلة إلّا و قد دعانا إليها و أمرنا بها، و لم يدع غشّا- أو قال: عيبا، أو قال: شيئا- إلّا حذّرناه و نهانا عنه، و يكفى من ذلك كلّه هذه الآية: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِيتاءِ ذِي الْقُرْبى وَ يَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [النحل: ٩٠].

(قوله) و كلّ ذى (وتر: الوتر)- بفتح الواو و سكون التاء المثناة-: (الثّأر.

و) أما (الذّحل)- بفتح الذّال المعجمة و فتح الحاء المهملة- فهو (الحقد، و العداوة، و الثّأر أيضا) يقال: طلب بذحله؛ أى: بثأره. و اللّه أعلم.

و هذا الحديث المتقدّم بطوله. قال الحافظ العراقىّ: لم أقف له على أصل!! و يغنى عنه حديث معاذ الآتى بعده بحديث:

(قال أنس) بن مالك (رضى اللّه تعالى عنه: فلم يدع) صلى اللّه عليه و سلم (نصيحة جميلة؛ إلّا و قد دعانا إليها و أمرنا بها، و لم يدع غشّا- أو قال: عيبا؛ أو قال: شيئا- إلّا حذّرناه و نهانا عنه، و يكفى من ذلك كلّه هذه الآية. إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ [٩٠/ النحل] الآية). أى: اقرأ الآية.

قال العراقى: لم أقف له على إسناد!! و هو صحيح من حيث الواقع. انتهى.

قال فى «شرح الإحياء»: و الذى يظهر من سياق المصنّف أن الحديث المتقدّم هو من رواية أنس عن معاذ فتأمّل!!.

و أخرج ابن النّجار فى «تاريخه»؛ من طريق الحارث العطلى؛ عن أبيه قال:

مرّ علىّ بن أبى طالب بقوم يتحدّثون، فقال: فيم أنتم؟ قالوا: نتذاكر المروءة، فقال: أو ما كفاكم اللّه عزّ و جلّ ذاك فى كتابه؛ إذ يقول. إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ [٩٠/ النحل] فالعدل الإنصاف، و الإحسان التفضل، فما بقى بعد هذا!!؟!

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۷۳

و قال معاذ: أوصانى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: «يا معاذ؛ أوصيك باتّقاء اللّه، ...

و أخرج ابن جرير، و ابن أبى حاتم؛ عن قتادة قال: ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به و يعظمونه و يحبّونه إلا أمر اللّه به، و ليس من خلق سيئ كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهى اللّه عنه، و إنّما نهى عن سفاسف الأخلاق و مذامّها.

و اللّه أعلم. انتهى.

(و قال معاذ) أى: ابن جبل رضى اللّه تعالى عنه: (أوصانى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم؛ فقال: «يا معاذ؛ أوصيك باتّقاء اللّه). أى: بتقوى اللّه التى هى امتثال المأمورات و اجتناب المنهيّات، فبذلك يصير العبد فى وقاية من النار، و درجة عالية مع المتقين فى دار القرار.

و التقوى ثلاث مراتب؛

الأولى: التوقّى من العذاب المخلّد صاحبه، و ذلك بالتبرّى من الكفر، و عليه قوله تعالى وَ أَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوىٰ [٢٦/ الفتح] فإن المراد بها «لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه».

و الثانية: التجنّب عن كلّ ما فيه لوم؛ حتّى الصغائر عند قوم، و هذا المعنى هو المعنىّ بقوله تعالى وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتابِ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَكَفَّرْنا عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَ لَأَدْخَلْناهُمْ جَنّٰاتِ النَّعِيمِ (٦٥) [المائدة].

و الثالثة: أن يتنزّه العبد عن كلّ ما يشغل سرّه عن الحق، و هو المعنى المراد بقوله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ حَقَّ تُقاتِهِ [١٠٢/ آل عمران].

و تقوى اللّه مطلوبة من العبد فى كلّ حال؛ فى جميع الأقوال و الأفعال و الحركات و السّكنات، و هى كلمة جامعة للخيرات مانعة للسيئات، و بها تنال السعادة الأبدية و الكرامة الأخروية، و هى منتهى درجات السالكين و وصية اللّه للأولين و الآخرين، قال اللّه تعالى وَ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ إِيّٰاكُمْ أن

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۷۴

....

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

اتَّقُوا اللَّهَ [النساء/ ۱۳۱].

و كم ترتّب عليها من كرامات و مواهب و عطيّات من ربّ البريّات!!

فمن ذلك: المدحة و الثناء قال تعالى وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (۱۸۶) [آل عمران].

و من ذلك: الحفظ و الوقاية من كيد الأعداء، قال تعالى وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً [۱۲۰/ آل عمران].

و من ذلك: النصر و التّأييد، قال تعالى إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (۱۲۸) [النحل].

و من ذلك النجاة من الشدائد و الرزق الحلال، قال تعالى وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (۲) وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ [الطلاق].

و من ذلك: إصلاح العمل و غفران الذنوب، قال اللّه تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيداً (۷۰) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً (۷۱) [الأحزاب].

و منها محبة اللّه تعالى إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (۴) [التوبة].

و من ذلك: القبول، قال تعالى إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (۲۷) [المائدة].

و من ذلك: الإكرام و الإعزاز، قال تعالى إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ [۱۳/ الحجرات]. فجعل الكرامة عنده بالتقوى، لا بالأنساب، و لا بالأموال، و لا بشيء آخر!!.

و من ذلك: التيسير فى الأمور قال تعالى وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً (۴) [الطلاق].

و من ذلك: البشارة بكل خير فى الدنيا و الآخرة، قال تعالى الَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ (۶۳) لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ فِي الْآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ ذلِكَ

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۷۵

و صدق الحديث، ...

هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (۶۴) [يونس].

و منها: النجاة من النار، قال اللّه تعالى وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا (۷۱) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيًّا (۷۲) [مريم].

و منها: الخلود فى الجنة، قال تعالى. وَ سارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (۱۳۳) [آل عمران] و قال تعالى لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ [۱۵/ آل عمران] ...

إلى غير ذلك من الآيات التى ورد فيها ذكر التقوى و مدح المتقين فى نحو مائة و خمسين آية، و الأحاديث الواردة فى وصف المتقين كثيرة.

قال الإمام حجّة الإسلام الغزالىّ رحمه اللّه تعالى:

اعلم أن التقوى كنز عزيز، فلئن ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف، و علوّ، و علم جسيم، و ملك عظيم، فكأن خيرات الدنيا و الآخرة جمعت فى هذه الخصلة التى هى التقوى، و تأمّل ما فى القرآن كم علّق بها من خير، و كم وعد عليها من ثواب، و كم أضاف إليها من سعادة!!. انتهى.

و قال بعض العارفين: من أخرجه اللّه من ذلّ المعصية بعزّ التقوى؛ أغناه بلا مال، و أعزّه بلا عشيرة، و آنسه بلا أنيس. انتهى.

نسأل اللّه تعالى أن يجعلنا من المتّقين، و أن يدخلنا فى عباده الصالحين مع الذين أنعم اللّه عليهم من النبيين و الشهداء و الصالحين. آمين.

(و صدق الحديث)، أى: المقال. قال العلامة ابن أبى شريف فى «حواشى شرح العقائد»: الصدق استعمله الصوفية بمعنى استواء السّرّ و العلانية، و الظّاهر و الباطن؛ بأن لا تكذّب أحوال العبد أعماله، و لا أعماله أحواله، و جعلوا الإخلاص لازما أعمّ؛ فقالوا: كلّ صادق

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

مخلص، و ليس كلّ مخلص صادق.

انتهى.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٣٧٦

و الوفاء بالعهد، و أداء الأمانة، و ترك الخيانة، ...

أخرج البخارىّ، و مسلم؛ عن ابن مسعود رضى اللّه تعالى عنه؛ عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم أنه قال: «إنّ الصّدق يهدى إلى البرّ، و إنّ البرّ يهدى إلى الجنّة، و إنّ الرّجل ليصدق حتّى يكتب عند اللّه صدّيقا، و إنّ الكذب يهدى إلى الفجور، و إنّ الفجور يهدى إلى النّار، و إنّ الرّجل ليكذب حتّى يكتب عند اللّه كذّابا».

و رواه بنحوه؛ من حديث ابن مسعود: أحمد، و البخارىّ فى «الأدب المفرد»، و الترمذىّ، و فى أوّله عندهم: «عليكم بالصّدق؛ فإنّ الصّدق يهدى إلى البرّ، و إيّاكم و الكذب ...» الحديث.

(و الوفاء بالعهد)؛ أى: إذا عاهد على أمر، قال اللّه تعالى وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذا عاهَدْتُمْ [٩١/ النحل]. و قال تعالى وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلًا (٣٤) [الإسراء]. و قال تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ [١/ المائدة].

أخرج البخارىّ، و مسلم، و الإمام أحمد، و النّسائى؛ عن عبد اللّه بن عمرو ابن العاصى رضى اللّه تعالى عنهما أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم قال: «أربع من كنّ فيه كان منافقا خالصا، و من كانت فيه خصلة منهنّ؛ كانت فيه خصلة من النّفاق حتّى يدعها؛ إذا اؤتمن خان، و إذا حدّث كذب، و إذا عاهد غدر، و إذا خاصم فجر».

و أخرج الترمذى و غيره؛ عنه صلّى اللّه عليه و سلم أنه قال: «حسن العهد من الإيمان».

(و أداء الأمانة) قال اللّه تعالى. إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها [٥٨/ النساء]، و قال اللّه تعالى إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا (٧٢) [الأحزاب].

و فى الحديث عنه صلّى اللّه عليه و سلم: «لا إيمان لمن لا أمانة له» رواه الإمام أحمد.

و عنه صلّى اللّه عليه و سلم أنّه قال: «المؤمن من أمنه النّاس على دمائهم و أموالهم» أخرجه الحاكم و صحّحه.

(و ترك الخيانة) لحديث: «أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، و لا تخن من خانك».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٣٧٧

و حفظ الجار، و رحمة اليتيم، ...

و فى الحديث: «يطبع المؤمن على الخلال كلّها إلّا الخيانة و الكذب» رواه الإمام أحمد، و روى الطبرانى حديث: «ناصحوا فى العلم، فإنّ خيانة أحدكم فى علمه أشدّ من خيانته فى ماله».

(و حفظ الجار)؛ أى: المجاور فى السكن، و الجمع جيران.

و الجار- شرعا-: ما ذكر فى «باب الوصايا» بأنّه لو أوصى لجيرانه دفع لأربعين دارا من كلّ جانب من الجوانب الأربعة.

و فى حفظ الجار حصول الألفة و التّوادّ الذى به نظام المعاش و المعاد.

أخرج البخارىّ، و مسلم أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم قال: «من كان يؤمن باللّه و اليوم الآخر؛ فلا يؤذ جاره».

و روى الترمذىّ حديث: «أحسن إلى جارك تكن مؤمنا».

و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «ما زال جبريل يوصينى بالجار حتّى ظننت أنّه سيورّثه».

رواه البخارىّ و مسلم. و قال صلّى اللّه عليه و سلم: «من كان يؤمن باللّه و اليوم الآخر فليحسن إلى جاره». رواه البخارىّ و مسلم.

(و رحمة اليتيم) و هو: فاقد الأب ما دام صغيرا، فإذا بلغ زال عنه اسم اليتم.

قال ابن السّكّيت: اليتيم فى النّاس من قبل الأب، و فى البهائم من قبل الأم.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

قال ابن خالويه: و فى الطير بفقدهما؛ أى: الأب و الأم، لأنّهما يحضنانه و يرزقانه. انتهى.

قال اللّه تعالى فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ (٩) [الضحى]، قال البيضاوى: أى لا تغلبه على ماله لضعفه، و قال تعالى أَ رَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) [الماعون] أى: يدفعه دفعا عنيفا، هو أبو جهل؛ أو غيره كان وصيّا ليتيم، فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٣٧٨

و لين الكلام، ...

قال صلّى اللّه عليه و سلم: «كافل اليتيم له؛ أو لغيره أنا و هو كهاتين فى الجنّة». و أشار الرّاوى بالسبابة و الوسطى. رواه مسلم.

و قال صلّى اللّه عليه و سلم: «اللّهمّ؛ إنّى أحرّج حقّ الضّعيفين: اليتيم و المرأة» حديث حسن؛ رواه النسائى بإسناد جيّد.

و قال صلّى اللّه عليه و سلم: «لا تنزع الرّحمة إلّا من شقىّ». رواه البخارىّ فى «الأدب المفرد» و غيره، و قال صلّى اللّه عليه و سلم: «من لا يرحم النّاس لا يرحمه اللّه» رواه البخارىّ، و مسلم.

و قال صلّى اللّه عليه و سلم: «لا يدخل الجنّة إلّا رحيم»، قيل: يا رسول اللّه؛ كلّنا يرحم! قال: «ليس أن يرحم أحدكم صاحبه، إنّما الرّحمة أن يرحم النّاس». رواه البزّار.

و قال صلّى اللّه عليه و سلم: «الرّاحمون يرحمهم الرّحمن تبارك و تعالى، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السّماء» رواه أبو داود و الترمذى و غيرهما.

(و لين الكلام) روى الخرائطىّ، و الطبرانى فى «الكبير» و «الأوسط» أنّه صلّى اللّه عليه و سلم قال: «أ تدرون على من حرّمت النّار»؟ قالوا: اللّه و رسوله أعلم! قال: «على الهيّن اللّيّن السّهل القريب».

و فى رواية ابن مسعود: «حرّم على النّار كلّ هيّن ليّن سهل قريب من النّاس».

و قال أبو هريرة: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «إنّ اللّه يحبّ السّهل الطّليق» رواه البيهقى فى «شعب الإيمان»، و الشيرازىّ فى «الألقاب»، و الدّيلمىّ.

و قال عبد اللّه بن عمر رضى اللّه تعالى عنهما: البرّ شىء هيّن .. وجه طليق و كلام ليّن. أخرجه ابن أبى الدنيا فى «الصمت».

و قد نظم بعضهم هذا الحديث؛ فقال:

بنىّ؛ إنّ البرّ شىء هيّن‌وجه طليق و كلام ليّن

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٣٧٩

و بذل السّلام، و حسن العمل، و قصر الأمل، ...

(و بذل السّلام) أخرج البزار: «ثلاث من الإيمان: الإنفاق من الإقتار، و بذل السّلام، و الإنصاف من نفسك». و رواه الطبرانى بلفظ: «من جمعهنّ؛ فقد جمع الإيمان». و روى مسلم: «حقّ المسلم على المسلم ستّ. إذا لقيته فسلّم عليه، و إذا عطس فحمد اللّه فشمّته ...» الحديث.

(و حسن العمل) بالإتيان بالطّاعات على الوجه الذى جاءت به السّنة المطهّرة، و اجتناب المحرّمات.

(و قصر الأمل) اعلم أنّ طول الأمل: استشعار طول البقاء فى الدّنيا حتّى يغلب ذلك على القلب، فيأخذ فى العمل بمقتضاه، و قد قال السّلف: من طال أمله ساء عمله، و ذلك لأنّ طول الأمل يحمل على الحرص على الدّنيا و التشمير لعمارتها، حتى يقطع الإنسان ليله و نهاره بالتفكّر فى إصلاحها و كيفية السّعى لها؛ تارة بقلبه، و تارة بالعمل فى ذلك، و الأخذ فيه بظاهره، فيصير قلبه و جسمه مستغرقين فى ذلك، و حينئذ ينسى الآخرة و يشتغل عنها، و يسوّف فى العمل لها، فيكون فى أمر دنياه مبادرا مشمّرا، و فى أمر آخرته مسوّفا و مقصّرا، و كان ينبغى له أن يعكس الأمر، فإنّ طول الأمل مذموم؛ و هو ينسى الآخرة، و لا بأس بقصر الأمل؛ أعنى: القدر الذى لا يلهى

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

عن الآخرة، و يتيسّر معه القيام بالمعايش التى لا غنى عنها.

و فى وصيّة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم لابن عمر رضى اللّه تعالى عنهما: «كن فى الدّنيا كأنّك غريب أو عابر سبيل»، و فى ذلك غاية الحثّ على قصر الأمل و قلّة الرّغبة فى الدنيا.

فعلى العاقل أن يستشعر قرب الموت، فإنّه أقرب غائب ينتظر، لا يأتى فى سنّ مخصوص، و لا فى زمن مخصوص، و ما يدرى الإنسان لعلّه لم يبق من أجله إلا الشىء اليسير!! فلا يطيل الأمل، و يسوّف العمل، و يغافل عن الاستعداد للموت إلّا

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۸۰

و لزوم الإيمان، و التّفقّه فى القرآن، و حبّ الآخرة، و الجزع من الحساب، و خفض الجناح، و أنهاك أن تسبّ حكيما، أو تكذّب صادقا، أو تطيع آثما، ...

أحمق مغرور. انتهى. من «الإحياء».

و قال ابن الجوزى: طول الأمل مذموم للنّاس؛ لا للعلماء، فلو لا أملهم لما ألّفوا و لا صنّفوا. انتهى.

(و لزوم الإيمان) باللّه و صفاته، و حدوث ما دونه، و الإيمان بملائكته، و كتبه، و رسله، و باليوم الآخر، و بالقدر خيره و شره.

(و التّفقّه فى القرآن) بتعلم أحكام القرآن و العمل بما فيه.

(و حبّ الآخرة) بالاستعداد لها بالعمل الصالح؛ قال اللّه تعالى وَ مَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ وَ سَعى لَها سَعْيَها وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً (۱۹) [الإسراء].

(و الجزع)- بالجيم و الزاى المفتوحتين آخره عين مهملة- أى: الحزن و الخوف (من الحساب) يوم القيامة.

(و خفض الجناح)- بفتح الجيم- أى: لين الجانب لعباد اللّه.

(و أنهاك) يا معاذ (أن تسبّ حكيما). قال ابن الأثير: الحكيم فعيل بمعنى فاعل، أو هو الذى يحكم الأشياء و يتقنها، فهو بمعنى مفعل، و قيل: الحكيم ذو الحكمة، و الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، و يقال لمن يحسن دقائق الصناعات و يتقنها حكيم.

و قال الجوهرىّ: الحكم الحكمة من العلم و الحكيم العالم، و صاحب الحكمة، و قد حكم ككرم؛ صار حكيما. انتهى. شرح «القاموس».

(أو تكذّب صادقا) بأن تنسب إليه الكذب؛ و الحال أن الغالب عليه الصّدق.

(أو تطيع آثما)، أى: مرتكبا للإثم داعيا لك إليه.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۸۱

أو تعصى إماما عادلا، أو تفسد أرضا.

و أوصيك باتّقاء اللّه تعالى عند كلّ حجر و شجر و مدر، و أن تحدث لكلّ ذنب توبة؛ ...

(أو تعصى إماما) للمسلمين (عادلا) بعدم امتثال أوامره التى هى غير معصية، أو بالخروج عليه و محاربته، و كذا إذا كان جائرا فاسقا؛ فلا يجوز الخروج عليه إلّا إذا كفر كفرا صريحا.

و لم يجز فى غير محض الكفرخروجنا على ولىّ الأمر (أو تفسد أرضا.

و أوصيك باتّقاء اللّه تعالى عند كلّ حجر و شجر) و الشجر: ماله ساق من النبات، و الذى ليس له ساق يقال له: نجم.

(و مدر)- بالميم و الدال المهملة و المفتوحتين آخره راء- هو: الطين اليابس، أو التراب المتلبّد، و المراد من ذلك ملازمة التقوى فى جميع الأحوال. و قد تقدّم الكلام على التقوى «۱».

(و أن تحدث)- بضمّ أوّله- من: أحدث يحدث؛ أى تجدّد (لكلّ ذنب) أحدثته. (توبة) بالإقلاع عن الذّنب، و النّدم على ما فعل، و

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

العزم على أن لا يعود، و ردّ الظّلامة إلى صاحبها، أو التحلّل منها.

قال فى «منهل الوراد»: التوبة- لغة-: الرجوع؛ يقال: تاب إذا رجع.

- و شرعا-: الرجوع عمّا كان مذموما فى الشرع إلى ما هو محمود فيه.

و لها ثلاثة شروط: ١- الندم، و ٢- الإقلاع، و ٣- العزم على أن لا يعود.

هذا إن لم يتعلّق بحق آدمى!! فإن تعلّق الذنب بحقّ آدمى فللتوبة إذن أربعة

---

(١) قبل صفحات فقط.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٣٨٢

....

شروط: و هى الثلاثة المذكورة آنفا، و ٤- و ردّ الظّلامة إلى صاحبها، أو تحصيل البراءة منه تفصيلا عندنا- معاشر الشافعية-، و أما عند المالكية! فيكفى تحصيل البراءة إجمالا، و فيه فسحة، فإن لم يقدر على ذلك؛ بأن كان مستغرق الذّمم؟! فالمطلوب منه الإخلاص و كثرة التضرّع إلى اللّه تعالى لعلّه يرضى عنه خصماءه يوم القيامة.

و من شروط التوبة: ٥- صدورها قبل الغرغرة؛ و هى حالة النزع، و ٦- قبل طلوع الشمس من مغربها، لأنه حينئذ يغلق باب التوبة، فتمتنع التوبة على من لم يكن تاب قبل، أى: لا تصحّ توبته. و لا تقبل حينئذ.

و لا فرق فى عدم صحّة التوبة فى حال الغرغرة؛ عند الأشاعرة بين الكافر و المؤمن العاصى!!

و أما عند الماتريدية! فلا تصحّ من الكافر فى حال الغرغرة، و تصحّ من المؤمن حينئذ.

و الذّنوب قسمان: صغائر و كبائر، و تجب التوبة من الصّغائر كوجوبها من الكبائر.

و ليست الكبيرة منحصرة فى عدد، و هى- كما قال ابن الصّلاح-: كلّ ذنب كبر كبرا يصحّ معه أن يطلق عليه اسم «الكبيرة».

و لها أمارات؛ منها: إيجاب الحدّ. و منها: الإيعاد عليها بالعقاب. و منها:

وصف فاعلها بالفسق، و منها: اللّعن؛ كلعن اللّه السّارق.

و أكبرها: ١- الشّرك باللّه، ثم ٢- قتل النفس التى حرّم اللّه قتلها إلّا بالحقّ، و ما سوى هذين منها: كالزّنا، و اللّواط، و عقوق الوالدين، و السّحر، و القذف، و الفرار يوم الزّحف، و أكل الربا و غير ذلك!! فمختلف أمره باختلاف الأحوال و المفاسد المترتّبة عليه، فيقال: لكلّ واحدة منه هى من أكبر الكبائر؛ كما قاله النووى رحمه اللّه تعالى.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٣٨٣

....

و كلّ ما خرج عن حدّ الكبيرة و ضابطها؛ فهو صغيرة.

و من الكبائر الأمر بالفساد، و السرقة، و أكل أموال اليتامى، و ضرب المسلم، و شتمه، و أخذ ماله بغير حق، و شهادة الزّور، و قذف المحصنات، و اليمين الفاجرة، و شرب الخمر ... و غير ذلك مما بيّنه الشهاب ابن حجر رحمه اللّه تعالى فى «الزواجر» انتهى. ملخصا.

و من الصغائر: النظر المحرّم، و كذب لا حدّ فيه، و لا ضرر، و الإشراف على بيوت الناس، و هجر المسلم فوق الثلاث، و كثرة الخصومات؛ و إن كان محقّا إلّا أن يراعى حقّ الشرع فيها، و الضّحك فى الصلاة و النياحة و شق الجيب فى المصيبة و التبختر فى المشى و الجلوس بين الفساق إيناسا لهم، و إدخال مجانين و صبيان و نجاسة يغلب تنجيسهم المسجد، و استعمال نجاسة فى بدن؛ أو ثوب لغير حاجة.

قال الناظم رحمه اللّه تعالى:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و تجب التّوبة من صغيرةفى الحال كالوجوب من كبيرة

و لو على ذنب سواه قد أصرّلكن بها يصفو عن القلب الكدر

تحقيقها إقلاعه فى الحالو عزم ترك العود فى استقبال

و إن تعلّقت بحقّ آدمىلا بدّ من تبرئة للذّمم

و واجب إعلامه إن جهلافإن يغب فابعث إليه عجلا

فإن يمت فهى لوارث يرىإن لم يكن فأعطها للفقرا

مع نيّة العزم له إذا حضرو معسر ينوى الأدا إذا قدر

و إن تصحّ توبة و انتقضتبالعود لا تضرّ صحّة مضت

فإن يمت من قبلها يرجى لهمغفرة اللّه بأن تناله قال فى «منهل الورّاد»: و عندنا- معاشر أهل السنة و الجماعة- لا يكفّر مرتكب الذنب؛ صغيرة كانت أو كبيرة، عالما كان مرتكبها أو جاهلا، بشرط أن

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۸۴

السّرّ بالسّرّ، و العلانية بالعلانية»).

لا يكون ذلك الذنب من المكفّرات؛ كإنكاره علم اللّه تعالى بالجزئيات، و إلّا كفر مرتكبه قطعا، و أن لا يكون مستحلّا له و هو معلوم من الدين بالضرورة؛ كالزنا، و إلّا! كفر مرتكبه باستحلاله لذلك، خلافا للخوارج، فالكبيرة عندهم موجبة للكفر.

و عند المعتزلة موجبة للمنزلة بين المنزلتين؛ صاحبها لا مؤمن و لا كافر، و هذا فى ارتكابها؛ لا عن اعتقادها، لأنّه لو اعتقد حلّ بعض المحرّمات المعلومة من الدين بالضرورة؛ كالخمر كفر بلا خلاف، فمرتكب الكبيرة مخلّد عند الفريقين، و يعذّب عند الخوارج عذاب الكفّار، و عند المعتزلة يعذّب عذاب الفسّاق.

و الحقّ ما عليه أهل السنّة من أن الكبيرة لا تخرج العبد من الإيمان، و لا تدخله فى الكفر، و لا تخلّده فى النار، و لا تحبط طاعته.

و مما يردّ على المخالفين لأهل السنة فى هذه المسألة: ما نطق به القرآن فى مواضع؛ منها قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ [النساء/ ۴۸]؛ أى: من جميع الذنوب الكبائر و الصغائر غير الشرك، فلا ريب عند أهل الحقّ أنّ من مات موحّدا لا يخلّد فى النّار؛ و إن ارتكب من الكبائر غير الشرك ما ارتكب، و قد جاءت به الأحاديث الصّحيحة؛ منها: قوله عليه الصلاة و السلام: «و إن زنى و إن سرق».

و باجتناب الكبائر تغفر الصّغائر، و أما الكبائر! فلا يكفّرها إلّا التوبة الصحيحة المستحقّة للشروط المقدّم ذكرها، انتهى ملخصا.

(السّرّ بالسّرّ، و العلانية بالعلانية»). يعنى: إذا أذنبت سرّا؛ فتوبتك تكون سرّا، و إذا أذنبت جهرا فتوبتك تكون جهرا، و هذا ليس بشرط، و إنّما ذلك للمناسبة بين الذنب و التوبة؛ لأنّ التوبة لا يشترط فيها الجهر و الإعلان؛ كما لا يشترط فيها الإسرار، لأنها تحصل بمجرّد عقد القلب، و قد ورد فى الحديث:

«النّدم توبة».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۸۵

فهكذا أدّب عباد اللّه، و دعاهم إلى مكارم الأخلاق و محاسن الآداب.

و هذا الحديث الذى رواه معاذ أخرجه أبو نعيم فى «الحلية»، و البيهقى فى «الزهد». ذكره فى شرح «الإحياء».

(فهكذا) صلى اللّه عليه و سلم (أدّب عباد اللّه؛ و دعاهم إلى مكارم الأخلاق و محاسن الآداب) يعنى: أنه لم يخصّ معاذا بهذه الآداب، و إنما ذاك أنموذج يدلّك على أنّه فعل مع غير معاذ كما فعل مع معاذ؛ من الدعاء إلى مكارم الأخلاق، و الحثّ على محاسن الآداب، و ذلك واضح بيّن فى كتب السّنة المطهرة؛

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

من ذلک قوله لبلال: «أنفق بلالا و لا تخش من ذی العرش إقلالا».

و قوله لآخر أراد أن ینخلع من ماله کلّه: «أمسک علیک مالک، فإنّک أن تدع ورثتک أغنیاء خیر من أن تدعهم عالة یتکفّفون النّاس».

و قال له رجل أوصنی؟! فقال: «استحیی من اللّه کما تستحیی رجلا صالحا من قومک».

و قال له آخر: أوصنی، فقال: «لا تغضب»، فوصایاه صلّی اللّه علیه و سلم لأصحابه؛ و إن اختلفت بحسب اختلاف أحوالهم؛ إلّا أنّها کلّها ترجع إلی مکارم الأخلاق و التأدبّ بآداب الشریعة.

و لم یترک صلّی اللّه علیه و سلم أدبا یحتاج إلیه إلّا أرشد إلیه أصحابه و أمّته، و لا خیرا إلّا دلّهم علیه، و لا شرّا إلّا حذّرهم منه؛ یؤید ذلک حدیث أبی هریرة «۱» رضی اللّه عنه إذ قال له رجل: «لقد علّمکم نبیّکم کلّ شیء حتّی الخرأة ... الحدیث.

---

(۱) المشهور: سلمان!!

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۳۸۶

و عن الحسن بن علیّ رضی اللّه تعالی عنه قال: سألت خالی هند بن أبی هالة- ...

(و) أخرج الترمذیّ فی «الشمائل»، و ابن سعد، و البیهقیّ، و الطبرانیّ، و ذکره القاضی عیاض فی «الشفاء» بسنده؛ من طریق الترمذی و غیره- و هذا لفظ «الشمائل»-:

(عن) أبی محمد (الحسن بن علیّ) بن أبی طالب، و اسمه عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشی الهاشمی المدنی.

سبط رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، و ریحانته، و سیّد شباب أهل الجنة، و ابن فاطمة الزهراء بنت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، البضعة الطاهرة سیّدة نساء العالمین.

ولد سنة: ثلاث من الهجرة فی نصف رمضان، سمّاه النبی صلّی اللّه علیه و سلم الحسن، و کنّاه «أبا محمد» و عقّ عنه یوم سابعه، و هو خامس أهل الکساء «۱»، و کان شبیها برسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم.

روی عن النبی صلّی اللّه علیه و سلم أحادیث: قیل ثلاثة عشر، روت عنه عائشة رضی اللّه تعالی عنها، و روی عنه جماعات من التابعین؛ منهم: ابنه الحسن بن الحسن، و الشعبیّ، و أبو وائل، و ابن سیرین ... و آخرون.

توفی بالمدینة مسموما سنة: تسع و أربعین، و قیل: سنة خمسین، و قیل:

إحدی و خمسین، و دفن بالبقیع، و قبره فیه مشهور.

(رضی اللّه تعالی عنه): و عن أبویه و حشرنا فی زمرتهم. آمین.

(قال: سألت خالی هند بن أبی هالة)، و إنّما کان خال الحسن!! لأنّه أخو

---

(۱) جمعهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم تحت عباء واحد و بشّرهم فکانوا جمیعا خمسة، و فیهم قیل:

لی خمسة أطفی بهم‌حرّ لهیب الحاطمه

المصطفی، و المرتضی‌و ابناهما، و الفاطمة

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۳۸۷

و کان وصّافا- عن حلیة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم- و أنا أشتهی أن یصف لی منها شیئا- فقال:

کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فخما، ...

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

أمّه فاطمة الزّهراء من أمّها، فإنّه ابن خديجة الّتى هى أمّ السيّدة فاطمة، و ذلك لأن خديجة تزوّجت أبا هالة فى الجاهلية؛ فولدت له ذكرين: هندا و هالة، ثم مات، فتزوّجت عتيق بن خالد المخزوميّ، فولدت له عبد اللّه و بنتا. و قيل الّذى تزوّجها أوّلا عتيق، تزوّجها بعده أبو هالة، و تزوّجها بعدهما رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و جميع أولاد النبى صلّى اللّه عليه و سلم منها إلّا إبراهيم؛ فإنه من مارية القبطية- كما سيأتى-.

(و كان) هند (وصّافا)؛ أى: كثير الوصف لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم؛ كذا قالوه.

و قال الشهاب الخفاجى: و كان وصّافا؛ أى: كان فصيحا له خبرة بوصف النبى صلّى اللّه عليه و سلم لحذقه، أو كان معروفا بذكر صفات النبى صلّى اللّه عليه و سلم.

قال الباجورى: و إنّما كان هند وصّافا لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم!! لكونه قد أمعن النّظر فى ذاته الشريفة؛ و هو صغير مثل علىّ بن أبى طالب كرّم اللّه وجهه، لأن كلّا منهما تربّى فى حجر النبى صلّى اللّه عليه و سلم، و الصغير يتمكّن من التأمّل و إمعان النظر، بخلاف الكبير، فإنه تمنعه المهابة و الحياء من ذلك، و من ثمّ قال بعضهم: عمدة أحاديث الشمائل تدور على هند بن أبى هالة، و علىّ بن أبى طالب رضى اللّه عنهما. انتهى.

(عن حلية)- بكسر الحاء المهملة و سكون اللام فتحتية-، أى: وصفه و نعته، و هو متعلّق ب «سألت»، أى: سألته عن صفة (رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و أنا أشتهى)؛ أى: أشتاق إلى (أن يصف لى منها)؛ أى: من حلية رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم (شيئا) عظيما، فالتنوين للتعظيم، و الجملة معطوفة على جملة «و كان وصّافا ... الخ»، و الجملتان معترضتان بين السؤال و الجواب، أو حاليّتان من الفاعل أو المفعول، أو الأولى من المفعول، و الثانية من الفاعل.

(فقال)؛ أى: هند خال الحسن (: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فخما)- بفتح الفاء،

مفخّما، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ... فذكر الحديث بطوله.

قال الحسن: فكتمتها الحسين زمانا، ثمّ حدّثته فوجدته قد سبقنى إليه، فسأله عمّا سألته عنه، و وجدته قد سأل أباه عن مدخله و مخرجه ...

و سكون الخاء المعجمة؛ أو كسرها، و اقتصر بعضهم على السكون لكونه الأشهر- أى: عظيما فى نفسه (مفخّما)- بتشديد الخاء المعجمة؛ بوزن مكرّما-، أى:

معظّما عند الخلق لا يستطيع أحد أن لا يعظّمه؛ و إن حرص على ترك تعظيمه، و قيل: معنى كونه «فخما»: كونه عظيما عند اللّه، و كونه «مفخّما» كونه معظّما عند الناس.

(يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر)؛ أى: يشرق وجهه إشراقا مثل إشراق القمر ليلة كماله، و هى ليلة أربعة عشر، سمى «بدرا»!! لأنّه يبدر الشمس بالطلوع؛ أى: يسبق فى طلوعه الشمس فى غيرها.

(فذكر) أى: الحسن (الحديث بطوله)- و قد تقدّم فى «باب الخلق» من هذا الكتاب-.

(قال الحسن: فكتمتها الحسين زمانا) أى: أخفيت هذه الصفات عن الحسين مدّة طويلة، و إنما كتمها عنه!! ليختبر اجتهاده فى تحصيل العلم بحلية جدّه، أو لينتظر سؤاله عنها، فإنّ التعليم بعد الطّلب أثبت و أرسخ فى الذهن.

(ثمّ حدّثته) بما سمعته من خالى هند (فوجدته) أى: الحسين (قد سبقنى إليه) أى: إلى السّؤال عنها من خاله هند (فسأله) أى: فسأل الحسين خاله (عمّا سألته عنه) من الأوصاف (و وجدته) أى: وجدت الحسين (قد) زاد علىّ فى تحصيل العلم بصفة جدّه حيث (سأل أباه عن) كيفية (مدخله و مخرجه)، كلّ منهما مصدر ميمىّ؛ يصلح للزمان و المكان و الحدث، و المراد هنا الزمان،

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و شكله، فلم يدع منه شيئا.

قال الحسين: فسألت أبى عن دخول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم. فقال: كان إذا أوى إلى منزله .. جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء؛ جزءا للّه، و جزءا لأهله، ...

و المعنى: أنه سأل أباه عن حاله، و صفته فى زمن دخوله فى البيت، و فى زمن خروجه منه.

(و) عن (شكله)- بفتح أوله- أى: هيئته و طريقته، الشامل لمجلسه، فدخل فى السؤال عن الشّكل السؤال عن مجلسه الآتى.

(فلم يدع)؛ أى لم يترك علىّ (منه) أى: مما سأله عنه (شيئا)، أو لم يدع الحسين (منه)؛ أى من السؤال عن أحواله شيئا إلّا سأل عنه.

(قال الحسين) فى تفصيل ما أجمله أوّلا بقوله «عن مدخله و مخرجه و شكله». فقد روى الحسن عن أخيه الحسين ما رواه الحسين عن أبيه على؛ فصار الحسن راويا ما تقدّم عن خاله هند بلا واسطة، و ما سيأتى عن أبيه علىّ بواسطة أخيه الحسين.

ففيه رواية الأقارب عن الأقارب، و الصحابىّ عن الصحابى، و الكبير عن الصغير.

(فسألت أبى) عليّا (عن دخول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم) أى: عن سيرته و طريقته، و ما يصنعه فى زمن دخوله و استقراره فى بيته.

(فقال) أى: أبوه علىّ (: كان) أى: النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم (إذا أوى)- بالمدّ و القصر؛ كما تقدّم- (إلى منزله)؛ أى: وصل إليه و استقرّ فيه (جزّأ) أى: قسم (دخوله)؛ أى: زمن دخوله (ثلاثة أجزاء) أى: ثلاثة أقسام.

(جزءا للّه) تعالى يستفرغ فيه وسعه لعبادة اللّه و التفكّر فى مصنوعاته، (و جزءا لأهله) أى: لمؤانسة أهله و معاشرتهم، فإنّه كان أحسن الناس عشرة،

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۹۰

و جزءا لنفسه. ثمّ جزّأ جزأه بينه و بين النّاس، فيردّ بالخاصّة على العامّة، و لا يدّخر عنهم شيئا.

و كان من سيرته فى جزء الأمّة إيثار أهل الفضل بإذنه، و قسمه على قدر فضلهم فى الدّين، ...

(و جزءا لنفسه) أى: لنفع نفسه، فيفعل فيه ما يعود عليه بالتكميل الأخروى و الدنيوى.

(ثمّ جزّأ جزءه بينه و بين النّاس)؛ أى: ثمّ قسم جزأه الذى جعله لنفسه بينه و بين جميع الناس؛ سواء من كان موجودا، و من سيوجد بعدهم إلى يوم القيامة بواسطة التبليغ عنه.

(فيردّ بالخاصّة على العامّة)؛ أى: فيردّ ذلك الجزء الذى جعله للناس بسبب خاصّة الناس و هم أهله و أفاضل الصحابة الذين كانوا يدخلون عليه فى بيته، فيأخذون عنه الأحاديث؛ ثم يبلّغونها للذين لم يدخلوا بعد خروجهم من عنده، فكان يوصل العلوم لعامّة الناس بواسطة خاصّتهم.

(و لا يدّخر)- بتشديد الدال المهملة؛ كما هو الرواية- أى: لا يخفى (عنهم شيئا) من تعلّقات النصح و الهداية.

(و كان من سيرته): من عادته و طريقته (فى جزء الأمّة)، أى: فيما يصنع فى الجزء الذى جعله لأمّته (إيثار) أى: تفضيل (أهل الفضل) حسبا أو نسبا؛ أو سبقا أو صلاحا، أى يقدّمهم على غيرهم فى الدخول عليه و إبلاغ أحواله للعامّة، أو فى الحاجة كلّ ذلك إنما كان (بإذنه) لهم فى ذلك.

(و) كان من سيرته فى ذلك الجزء أيضا (قسمه)- بالفتح؛ مصدر قسم- معطوف على «إيثار»، أى: قسم ذلك الجزء (على قدر فضلهم) أى مراتبهم (فى الدّين) من جهة الصلاح و التقوى، لا- من جهة الأحساب و الأنساب. قال تعالى إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ أَتْقٰاكُمْ [۱۳/ الحجرات]، أو المراد على قدر حاجاتهم فى الدين.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۹۱

فمنهم ذو الحاجة، و منهم ذو الحاجتين، و منهم ذو الحوائج؛ فيتشاغل بهم و يشغلهم فى ما يصلحهم و الأمّة، من مسألتهم عنه، و

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

إخبارهم بالّذى ينبغى لهم، و يقول: «ليبلّغ الشّاهد منكم الغائب، و أبلغونى حاجة من لا يستطيع إبلاغها، ...

و يلائمه قوله (فمنهم ذو الحاجة) الواحدة، (و منهم ذو الحاجتين، و منهم ذو الحوائج)، فإنّ هذا بيان للتفاوت فى مراتب الاستحقاق، و الفاء للتفصيل و المراد ب «الحوائج» المسائل المتعلّقة بالدّين.

(فيتشاغل بهم)؛ أى: فيشتغل بذوى الحاجات (و يشغلهم)- بفتح أوله مضارع؛ شغله كمنعه- (فى ما) أى: الذى (يصلحهم، و) يصلح (الأمّة)؛ من قبيل عطف العامّ على الخاصّ، سواء كان المراد أمّة الدعوة، أو أمّة الإجابة؛ و المعنى: لا يدعهم يشتغلون بما لا يعنيهم؛ بل يشغلهم بما يصلحهم و يصلح الأمة.

(من) بيان ل «ما» (مسألتهم) أى: سؤالهم النبى صلّى اللّه عليه و سلم (عنه) أى: عما يصلحهم و يصلح الأمة، (و إخبارهم) أى: إخبار النبى إيّاهم (بالّذى ينبغى لهم) أى: بالأحكام التى تليق بهم، و بأحوالهم و زمانهم و مكانهم، و المعارف التى تسعها عقولهم.

(و يقول) لهم بعد أن يفيدهم ما يصلحهم و يصلح الأمّة: («ليبلّغ الشّاهد) الحاضر (منكم) الآن (الغائب) عن المجلس من بقيّة الأمة حتى من سيوجد.

(و) يقول لهم أيضا: («أبلغونى) أى: أوصلوا إلىّ (حاجة من لا يستطيع إبلاغها)، إيّاى لعذر كمرض، أو بعد، أو ضعف؛ كالنساء و العبيد و المرضى و الغائبين.

و هذا من كمال تواضعه صلّى اللّه عليه و سلم و شفقته على أمّته، و اعتنائه بهدايتهم و إصلاحهم ما استطاع.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٣٩٢

فإنّه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها .. ثبّت اللّه قدميه يوم القيامة»؛ لا يذكر عنده إلّا ذلك، و لا يقبل من أحد غيره.

يدخلون روّادا- أى: طلّابا- و لا يفترقون إلّا عن ذواق، ...

و يؤخذ من ذلك أنّه يسنّ المعاونة، و الحثّ على قضاء حوائج المحتاجين.

ثم رغّب فى ذلك و حثّ عليه بقوله (فإنّه) أى: الحال و الشأن (من أبلغ سلطانا) أى: قادرا على تنفيذ ما يبلغه؛ و إن لم يكن سلطانا حقيقة (حاجة من لا يستطيع إبلاغها)؛ أى: من لا يقدر على إيصالها (ثبّت اللّه قدميه) على الصراط (يوم القيامة») يوم تزلّ الأقدام. دينية كانت الحاجة أو دنيوية، فإنّه لما حرّكهما فى إبلاغ حاجة هذا الضعيف جوزى بثباتهما على الصراط.

(لا يذكر عنده إلّا ذلك) أى: لا يحكى عنده إلّا ما ذكر مما ينفعهم فى دينهم؛ أو دنياهم، دون ما لا ينفعهم فى ذلك؛ كالأمور المباحة التى لا فائدة فيها، و هذا الحصر غالبى، و منه يعرف حالة قوله

(و لا يقبل) صلى اللّه عليه و سلم (من) كلام (أحد) شيئا (غيره) أى: غير المحتاج إليه، فهو توكيد للكلام الذى قبله (يدخلون روّادا)- بضم الراء و تشديد الواو- (أى:

طلّابا) للمنافع فى دينهم أو دنياهم، المكملة لعقولهم و نفوسهم، فهو جمع زائد من الرّود؛ و هو الطلب، و هو- فى الأصل-: من يتقدّم القوم لينظر لهم الكلأ و مساقط الغيث، ثم استعير هنا لتقدّم أكابر الصّحب فى الدخول عليه ليستفيدوا ما يصلح أمر الأمّة، و يكون سببا لوقايتهم من مهالك الجهل و غوائل الهوى.

(و لا يفترقون إلّا عن ذواق)- بفتح أوله فعال؛ بمعنى مفعول؛ من الذوق- أى: مذوق طعام حسّيّ؛ على ما هو الأغلب، أو معنوى من الأدب، فإنّه يقوم لأرواحهم مقام الطعام لأجسادهم، و «عن» بمعنى «بعد» كقوله تعالى لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ (١٩) [الانشقاق].

و قال بعضهم: الأصل فى الذواق الطعام، إلا أنّ العلماء كلّهم حملوه على

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٣٩٣

و يخرجون أدلّة؛ يعنى: على الخير.

قال: فسألته عن مخرجه: كيف كان يصنع فيه؟

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يخزن لسانه إلّا فيما يعنيه، و يؤلّفهم و لا ينفّرهم، ...

العلم و الخير، لأن الذوق قد يستعار؛ كما فى القرآن فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ [۱۱۲/ النحل] أى: لا يقومون من عنده إلّا و قد استفادوا علما جزيلا و خيرا كثيرا.

(و يخرجون) من عنده (أدلّة) قال القسطلانى: الرواية المشهورة الصحيحة بدال مهملة، جمع دليل أى: علماء يدلّون الناس. (يعنى على) ما علموه من (الخير)، و لهذا قال: «أصحابى كالنّجوم».

و قال الكازرونى: أذلّة- بالمعجمة؛ من الذل-: التواضع، و معناه:

متواضعون يخضع بعضهم لبعض لأجل الموعظة التى يسمعون، و القرآن الذى يتلون. و هو حسن لو ساعدته الرواية؛ لكنه لا يناسب قوله «يعنى على الخير».

(قال) أى: الحسين: (فسألته)؛ أى: أبى (عن مخرجه) أى: عن سيرته و طريقته فى زمن خروجه من البيت (: كيف كان يصنع فيه؟! قال) أى: علىّ رضى اللّه عنه.

(كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يخزن)- بضم الزاى و كسرها، أى: يحبس و يضبط- (لسانه إلّا فيما يعنيه)- بفتح المثناة التحتية- أى: يهمّه مما ينفع دينيا؛ أو دنيويا، فكان كثير الصمت إلّا فيما يعنى، كيف و قد قال: «من كان يؤمن باللّه و اليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»؟!.

(و يؤلّفهم)- بفتح الهمزة و تشديد اللام؛ من الألفة- أى: يؤلّف بينهم حتّى يجعلهم كنفس واحدة؛ بحيث لا يبقى بينهم تباغض بوجه، أو يجعلهم آلفين له مقبلين عليه بحاسيّتهم بحسن الخلق معهم و ملاطفتهم.

(و لا ينفّرهم)- بتشديد الفاء- أى: لا يفعل بهم ما يكون سببا لنفرتهم، لما

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۹۴

و يكرم كريم كلّ قوم و يولّيه عليهم، و يحذر النّاس و يحترس منهم؛ من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره و لا خلقه، و يتفقّد أصحابه، و يسأل النّاس عمّا فى النّاس، ...

عنده من العفو و الصفح و الرأفة بهم.

(و يكرم كريم كلّ قوم) أى: يعظّم أفضل كلّ قوم بما يناسبه من التعظيم.

(و يولّيه) أى: يجعله واليا: أى حاكما (عليهم) و أميرا فيهم، لأن القوم أطوع لكبيرهم مع ما فيه من الكرم الموجب للرفق بهم. و هذا من تمام حسن نظره و عظيم تدبيره.

(و يحذر النّاس)- بفتح الياء و خفة الذال؛ كيعلم، و عليه أكثر الرّواة- أى:

يحترز من الناس، لأنه لم يكن مغفّلا. (و يحترس منهم) أى: يتحفّظ من كثرة مخالطتهم المؤدّية إلى سقوط هيبته و جلالته من قلوبهم، لكن لا يفرط فى ذلك؛ بل يحترس (من غير أن يطوى)- بكسر الواو- (عن أحد منهم) من الناس (بشره)- بكسر الموحّدة و سكون الشين المعجمة- أى: طلاقة وجهه و بشاشة بشرته (و لا خلقه)- بضمتين- أى: من غير أن يمنع عن أحد من الناس طلاقة وجهه و لا حسن خلقه.

(و يتفقّد أصحابه) أى: يسأل عنهم حال غيبتهم، فإن كان أحد منهم مريضا عاده، أو مسافرا دعا له، أو ميتا استغفر له، و ذلك من مكارم الأخلاق كما قيل ...

و من عادة السّادات أن يتفقّدوا أصاغرهم و المكرمات عوائد (و يسأل النّاس) أى: يسأل خاصّة أصحابه (عمّا) وقع (فى النّاس)؛ ليدفع ظلم الظالم، و ينتصر للمظلوم، و يقوّى جانب الضعيف.

و ليس المراد أنّه يتجسّس عن عيوبهم و يتفحّص عن ذنوبهم.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و يؤخذ منه أنّه ينبغى للحكّام أن يسألوا عن أحوال الرعايا، و كذلك الفقهاء

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۹۵

و يحسّن الحسن و يقوّيه، و يقبّح القبيح و يوهّيه، معتدل الأمر غير مختلف، ...

و الصلحاء، و الأكابر الذين لهم أتباع؛ فلا يغافلون عن السؤال عن أحوال أتباعهم، لئلا يترتّب على الإهمال مضارّ يعسر دفعها.

(و يحسّن)- بتشديد السين المهملة؛ من التحسين- أى: يصف الشىء (الحسن) بمعنى أنّه يظهر حسنه بمدحه؛ أو مدح فاعله (و يقوّيه)؛ من التقوية أى: يظهر قوّته بدليل معقول أو منقول.

(و يقبّح)- بتشديد الموحّدة؛ من التقبيح- أى: يصف الشىء (القبيح) بالقبح، بمعنى أنّه يظهر قبحه بذمّه أو ذمّ فاعله، و لا يبالى به؛ و إن عظم قدره و تناهى جاهه. (و يوهّيه)- بتشديد الهاء- أى: يجعله واهيا ضعيفا بالمنع و الزجر عنه.

و بين «الحسن» و «القبيح»، و «يقوّيه» و «يوهّيه» من أنواع البديع الطّباق.

(معتدل الأمر): مستويه، و الأمر الشأن، أو هو ضدّ النهى، يعنى: لا يأمر بما لا يطاق (غير مختلف) هو إلى الإطناب أقرب، إذ «معتدل الأمر» يغنى عنه، لكن هذا مقام مدح؛ و الإطناب يليق به.

و حاصل المعنى: أنّ سائر أفعاله و أقواله على سنن الاستواء و الاعتدال، و هى مع ذلك مصونة عن أن يصدر فيها منه أشياء متخالفة المحامل؛ متباينة الأواخر و الأوائل.

و الرواية فى كلّ من هاتين الكلمتين بالرفع؛ على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ مع أن ظاهر السياق النصب على أنّه معطوف على خبر «كان» بحذف حرف العطف، أى: و كان معتدل الأمر غير مختلف.

و لعل وجه الرفع: أن كونه معتدل الأمر غير مختلف من الأمور اللازمة التى

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۹۶

لا- يغافل مخافة أن يغافلوا أو يميلوا، لكلّ حال عنده عتاد- أى: شىء معدّ و مهيّأ- لا يقصّر عن الحقّ و لا يجاوزه، الّذين يلونه من النّاس خيارهم، أفضلهم عنده أعمّهم نصيحة، ...

لا- تنفكّ عنه أبدا!!. و الرفع- على أنّ ذلك خبر مبتدأ محذوف- يقتضى أن يكون الكلام جملة اسمية، و هى تفيد الدوام و الاستمرار.

(لا- يغافل) عن تذكيرهم و تعليمهم و إرشادهم و نصحهم (مخافة)؛ مفعول من أجله (أن يغافلوا) عن استفادة أحواله و أفعاله، (أو يميلوا) إلى الدّعة و الراحة، أو يميلوا عنه و ينفروا منه كما هو شأن المسلكين، فإنّهم لا يغافلون عن إرشاد تلامذتهم؛ مخافة أن يغافلوا عن الأخذ عنهم، أو يميلوا إلى الكسل و الرفاهية.

(لكلّ حال) من أحواله و أحوال غيره (عنده عتاد)- بفتح العين المهملة و مثنّاة فوقية؛ كسحاب- (أى شىء معدّ) له (و مهيّأ)، فكان يعدّ للأمور أشكالها و نظائرها كالة الحرب و غيرها.

(لا يقصّر)؛ من التقصير، أو القصور (عن الحقّ) أى: عن استيفائه لصاحبه؛ أو عن بيانه، (و لا يجاوزه)؛ أى: لا يأخذ أكثر منه.

(الّذين يلونه من النّاس)؛ أى: الذين يقربون منه فى المجلس لاكتساب الفوائد و نشرها و تعليمها (خيارهم)؛ لأنهم الذين يصلحون لاستفادة العلوم و تعلّمها، و من ثمّ قال: «ليلنى منكم أولو الأحلام و النّهى، ثمّ الّذين يلونهم، ثمّ الّذين يلونهم».

و ينبغى للعالم فى درسه أن يجعل الذين يقربون منه خيار طلبته، لأنّهم هم الذين يوثق بهم علما و فهما.

(أفضلهم عنده أعمّهم)؛ أى: أفضل الناس عنده صلّى اللّه عليه و سلم أكثرهم (نصيحة) للمسلمين فى الدين و الدنيا، فإنّه ورد: «الدّين النّصيحة».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۹۷

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و أعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة و مؤازرة.

قال: فسألته عن مجلسه.

فقال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم لا يقوم و لا يجلس إلّا على ذكر، و إذا انتهى إلى قوم .. جلس حيث ينتهى به ...

(و أعظمهم عنده منزلة)؛ أى: مرتبة (أحسنهم مواساة)؛ و إحسانا للمحتاجين بالنفس و المال؛ و لو مع احتياج أنفسهم، لقوله تعالى وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ [۹۰/ الحشر] (و مؤازرة) أى: معاونة لإخوانهم فى مهمات الأمور؛ من البر و التقوى، لقوله تعالى وَ تَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوى [۲/ المائدة].

و إنما قسم مدخله دون مخرجه؛ مع أنه ينقسم أيضا ثلاثة أجزاء:

۱- قسم للّه؛ و هو وقت الصلاة و التعليم، و ۲- قسم لنفسه؛ و هو: ما تدعو إليه ضرورته. و ۳- قسم للناس؛ و هو: السعى فى حوائجهم!! لأنهم يعلمون حاله فى خروجه؛ فلم يحتج لتقسيمه.

(قال) أى الحسين (: فسألته) أى عليا (عن مجلسه)؛ أى عن أحواله صلّى اللّه عليه و سلم فى وقت جلوسه: (فقال) أى علىّ:

(كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم لا يقوم) من مجلسه (و لا يجلس) فيه؛ (إلّا على ذكر) أى: إلّا فى حال تلبّسه بالذكر للّه تعالى، «فعلى» للملابسة، و هى مع مدخولها فى محلّ نصب على الحال.

و يؤخذ منه ندب الذكر عند القيام و عند القعود.

و الأصل فى مشروعيّة ذلك قوله تعالى الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِهِمْ [۱۹۱/ آل عمران] و المقصود من ذلك تعميم الأحوال.

و بالجملة فالذكر أعظم العبادات، لقوله تعالى وَ لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ [۴۵/ العنكبوت].

(و إذا انتهى) أى: وصل (إلى قوم) جالسين (جلس حيث ينتهى به) صلى اللّه عليه و سلم

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۹۸

المجلس، و يأمر بذلك، يعطى كلّ جلسائه بنصيبه، لا يحسب جليسه أنّ أحدا أكرم عليه منه.

(المجلس) أى: يجلس فى أىّ مكان يلقاه خاليا، و لا يترفّع على أصحابه لمزيد تواضعه و مكارم أخلاقه، حيث لم يتكلّف خطوة زائدة على الحاجة لحظّ نفسه حتى يجلس فى صدر المجلس.

و لأن القصد من قطع الطريق و تعب المشى للبلوغ و الوصول إلى القوم، فإذا وصل إلى أوّلهم كان المشى بعد ذلك عبثا و تكبّرا لا يليق بحال العاقل؛ فضلا عن الفاضل؛ فضلا عن أفضل الناس!!

(و يأمر بذلك) أى: بالجلوس حيث ينتهى به المجلس؛ إعراضا عن رعونة النفس و أغراضها الفاسدة.

و قد ورد أمره بذلك فيما رواه الطبرانىّ، و البيهقىّ؛ عن شيبة بن عثمان مرفوعا: «إذا انتهى أحدكم إلى المجلس؛ فإن وسّع له فليجلس، و إلّا فلينظر إلى أوسع مكان يراه؛ فليجلس فيه».

و بالجملة فقد ثبت مشروعية ذلك فعلا و أمرا.

(يعطى كلّ) واحد من (جلسائه بنصيبه)، أى: شيئا بقدر نصيبه؛ أى:

حظّه من البشر و الطلاقة و الكرامة و التعليم و التفهيم؛ بحسب ما يليق به، فالمفعول الثانى مقدّر. و قيل: إن الباء زائدة فى «بنصيبه» الذى هو المفعول الثانى للتأكيد.

(لا يحسب)- بفتح السين و كسره؛ أى: لا يظنّ- (جليسه) الإضافة للجنس؛ فيشمل كلّ واحد من مجالسيه (أنّ أحدا) من أمثاله و أقرانه (أكرم عليه) صلى اللّه عليه و سلم (منه)؛ أى: من نفسه.

و ذلك لكمال خلقه و حسن معاشرته لأصحابه، فكان يظنّ كلّ واحد منهم أنّه أقرب من غيره إليه، و أحبّ الناس عنده، لما تبيّن له

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

من عظيم بشره و تقريبه.

و هذا هو الكمال الأعظم!

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۳۹۹

من جالسه أو فاوضه فى حاجة .. صابره حتّى يكون هو المنصرف عنه، و من سأله حاجة .. لم يردّه إلّا بها أو بميسور من القول.

قد وسع النّاس بسطه و خلقه، فصار لهم أبا ...

(من جالسه) أى: جلس معه، (أو فاوضه)؛ أى: شرع معه فى الكلام فى مشاورة أو مراجعة (فى حاجة) له، و «أو» للتنويع؛ خلافا لمن جعلها للشكّ.

(صابره)؛ أى: غلبه فى الصبر على المجالسة، أو المكالمة فلا يبادر بالقيام من المجلس، و لا يقطع الكلام، و لا يظهر الملل و السامة، بل يستمرّ معه (حتّى يكون) أى: المجالس؛ أو المفاوض (هو المنصرف عنه) صلى اللّه عليه و سلم، لمبالغته فى الصبر معه.

(و من سأله) صلى اللّه عليه و سلم أىّ إنسان كان (حاجة) أيّة حاجة كانت؛ (لم يردّه) أى:

السائل (إلّا بها) إن تيسّرت عنده، (أو بميسور من القول)؛ إن لم تتيسر لفقد؛ أو مانع يقتضيه.

و هذه قضية مانعة خلوّ؛ أى: لا يخلو حاله حين يسأل من إعطاء المسئول، أو الرّد بسهولة و لين قوله، ليكون ذلك مسلاة له عن حاجته.

و هذا من كمال سخائه و مروءته و حيائه. و هذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى وَ إِمّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُوراً (۲۸) [الإسراء] و من ذلك الميسور أن يعد السائل بعطاء إذا جاءه شيء؛ كما وقع له مع كثيرين، و لذلك قال الصدّيق رضى اللّه تعالى عنه- بعد استخلافه؛ و قد جاءه مال-: من كان له عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم عدة فليأتنا، فأتوه فوفّاهم.

(قد وسع)- بكسر السين؛ أى: عمّ- (النّاس) أجمعين حتّى المنافقين (بسطه) أى: بشره و طلاقة وجهه (و خلقه) أى: حسن خلقه الكريم، لكونه صلّى اللّه عليه و سلم يلاطف كلّ واحد بما يناسبه، (فصار لهم) أى: للناس (أبا) فى الشفقة و الرحمة، و أعظم من أب، إذ غاية الأب أن يسعى فى صلاح الظاهر؛ و هو صلّى اللّه عليه و سلم

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۰۰

و صاروا عنده فى الحقّ سواء.

مجلسه مجلس حلم و حياء، و صبر و أمانة، لا ترفع فيه الأصوات،

يسعى فى صلاح الظاهر و الباطن.

(و صاروا عنده فى الحقّ سواء) أى: مستوين فى الحقّ لسلامته من الأغراض النفسانية الحاملة للإنسان على اتباع هواه، فالبعيد عن الحقّ و الطالب له عنده سواء فيوصل بكلّ إنسان منهم ما يستحقّه و يليق به، و لا يطمع أحد منهم أن يتميّز على أحد عنده لكمال عدله.

(مجلسه مجلس حلم)- بكسر الحاء و اللام؛ أى: منه عليهم. و فى نسخة من «الشمائل»: علم؛ بدل: حلم، أى: يفيدهم إيّاه، كما قال تعالى وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ [۱۲۹/ البقرة].

(و حياء) أى: منهم، فكانوا يجلسون معه على غاية من الأدب؛ كأنّما على رءوسهم الطير.

(و صبر) أى: منه صلّى اللّه عليه و سلم على جفوتهم، لقوله تعالى وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ [۱۵۹/ آل عمران].

(و أمانة) أى: منهم على ما يقع فى المجلس من الأسرار، و المراد أنّ مجلسه مجلس كمال هذه الأمور، لأنه مجلس تذكير باللّه تعالى، و ترغيب فيما عنده من الثواب، و ترهيب مما عنده من العقاب فترقّ قلوبهم، فيزهدون فى الدنيا و يرغبون فى الآخرة.

(لا ترفع) البناء للمفعول (فيه) أى: فى مجلسه (الأصوات)؛ أى:

لا يرفع أحد من أصحابه صوته فى مجلسه صلّى اللّه عليه و سلم إلّا لمجادلة معاند، أو إرهاب عدوّ و ما أشبه ذلك، لقوله تعالى يا أَيُّهَا

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِ [۲/ الحجرات] صلى اللّه عليه و سلم، فكانوا رضى اللّه عنه [م] على غاية من الأدب فى مجلسه، بخلاف كثير من طلبة العلم، فإنّهم يرفعون أصواتهم فى الدروس؛ إما لرياء، أو بعد فهم.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۰۱

و لا تؤبن فيه الحرم و لا تنثى فلتاته. متعادلين، بل كانوا يتفاضلون فيه بالتّقوى، متواضعين، ...

(و لا تؤبن)- بضم التاء و سكون الهمزة، و يجوز إبدالها واوا و فتح الموحدة المخففة و تشدّد أيضا، و آخره نون- من الأبن- بفتح الهمزة- و هو العيب؛ أى:

لا تعاب (فيه) أى: فى مجلسه صلّى اللّه عليه و سلم (الحرم)- بضم الحاء و فتح الراء، و بضمّها- جمع حرمة؛ و هى: ما يحترم و يحمى من أهل الرجل.

و المعنى: لا تعاب فيه حرم الناس بقذف؛ و لا غيبة و نحوها، بل مجلسه مصون عن كلّ قول قبيح.

(و لا تنثى)- بضمّ أوّله و سكون النون، و فتح المثلاثة- من «نثا الحديث»:

حدّث به و أشاعه، أى: لا تشاع و لا تذاع (فلتاته)- بفتح الفاء و اللام- أى:

هفوات مجلسه، فالضمير للمجلس، و الفلتات جمع فلتة؛ و هى: الهفوة، فإذا حصل من بعض حاضريه هفوة لا تشاع و لا تذاع، و لا تنقل عن المجلس، بل تستر على صاحبها إذا صدرت منه؛ على خلاف عادته و طبعه.

هذا ما يعطيه ظاهر العبارة!! و الأولى جعل النفى منصبّا على الفلتات نفسها، لا وصفها؛ من الإشاعة و الإذاعة.

فالمعنى: لا فلتات فيه أصلا، فلم يكن شىء منها فى مجلسه صلّى اللّه عليه و سلم، و ليس منها ما يصدر من أجلاف العرب؛ كقول بعضهم «أعطنى من مال اللّه؛ لا من مال أبيك و جدّك»، بل ذاك دأبهم و عاداتهم.

(متعادلين) أى: كانوا متعادلين، فهو خبر «كان» مقدّرة.

و المعنى أنّهم كانوا متساوين، فلا يتكبر بعضهم على بعض، و لا يفتخر عليه بحسب أو نسب.

(بل كانوا يتفاضلون) أى: يفضل بعضهم على بعض (فيه) أى: فى مجلسه صلّى اللّه عليه و سلم (بالتّقوى) علما و عملا، (متواضعين) حال من الواو فى

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۰۲

يوقّرون فيه الكبير، و يرحمون فيه الصّغير، و يؤثرون ذا الحاجة، و يحفظون الغريب.

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم لا يمضى له وقت فى غير عمل للّه عزّ و جلّ، أو فيما لا بدّ له من صلاح نفسه.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم أحسن النّاس خلقا.

«يتفاضلون» أى: حال كونهم متواضعين (يوقّرون) أى: يعظّمون (فيه) أى:

فى مجلسه صلّى اللّه عليه و سلم (الكبير)- بفتح الكاف- (يرحمون فيه الصّغير)- بفتح الصّاد و كسرها- لما ورد: «ليس منّا من لم يرحم صغيرنا، و لم يوقّر كبيرنا» رواه الترمذى فى «جامعه»؛ عن أنس.

(و يؤثرون ذا الحاجة) أى: يقدّمونه على أنفسهم فى تقريبه للنبى صلّى اللّه عليه و سلم ليقضى حاجته منه. (و يحفظون الغريب). يحتمل أنّ المراد الغريب من الناس- كما هو المتبادر- فالمعنى يحفظون حقّه و إكرامه لغربته، و يحتمل أنّ المراد الغريب من المسائل، فالمعنى يحفظونه بالضبط و الإتقان؛ خوفا من الضياع.

(و) فى كتاب «الإحياء» و «كشف الغمة» للشعرانى:

(كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم لا يمضى له وقت فى غير عمل للّه عزّ و جلّ، أو فيما لا بدّ له من صلاح نفسه). و هذا مستفاد مما سبق فى الحديث أنّه جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزءا للّه، و جزءا لأهله، و جزءا لنفسه، كما جزّأ خروجه ثلاثة أجزاء:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

للّه؛ و هو وقت الصلاة و التعليم، و جزءا لنفسه؛ و هو ما تدعو إليه ضرورته، و جزءا للناس؛ و هو السعى فى حوائجهم.

(و) أخرج مسلم- و اللفظ له؛ من حديث طويل- و الترمذىّ؛ عن أنس بن مالك قال:

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم أحسن)- و رواية الترمذى: من أحسن- (النّاس خلقا)- بضمتين- لحيازته جميع المحاسن و المكارم و تكاملها فيه. و لما اجتمع فيه

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۰۳

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم دائم البشر، سهل الخلق.

و عرّفوا (حسن الخلق) بأنّه: مخالطة النّاس بالجميل، و البشر، و اللّطافة، و تحمّل الأذى، و الإشفاق عليهم، و الحلم «۱»، و الصّبر، و ترك التّرفّع و الاستطالة عليهم، و تجنّب الغلظة و الغضب و المؤاخذة.

من خصال الكمال و صفات الجلال و الجمال ما لا يحصره حدّ، و لا يحيط به عدّ؛ أثنى اللّه عليه به فى كتابه بقوله وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (۴) [القلم].

(و) أخرج الترمذىّ فى «الشمائل»؛ عن علىّ رضى اللّه تعالى عنه قال:

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم دائم البشر)- بكسر الموحّدة و سكون الشين- أى: طلاقة الوجه و بشاشته ظاهرا مع الناس، فلا ينافى أنّه كان متواصل الأحزان باطنا؛ اهتماما بأهوال الآخرة؛ خوفا على أمّته.

(سهل الخلق)- بضمّتين- أى: ليّنه ليس بصعبه، و لا خشنه، فلا يصدر عنه ما يكون فيه إيذاء لغيره بغير حقّ.

قال الباجورىّ فى «حاشية الشمائل»: (و عرّفوا حسن الخلق بأنّه مخالطة النّاس بالجميل)؛ قولا و فعلا، (و البشر): طلاقة الوجه، (و اللّطافة): اللّين (و تحمّل الأذى) منهم؛ (و الإشفاق) أى: الخوف (عليهم) ممّا قد يضرّهم، ([و الحلم])- بكسر الحاء- و هو: ضبط النفس و الطبع عند هيجان الغضب.

و فى معناه من قال: «هو احتمال الأعلى الأذى من الأدنى».

(و الصّبر) عليهم، (و ترك التّرفّع) عليهم، (و) ترك (الاستطالة عليهم) فى إعراضهم، (و تجنّب الغلظة)؛ أى: الخشونة فى القول، (و) تجنّب (الغضب) أى: أسبابه المهيّجة له، (و) تجنّب (المؤاخذة) عن مستحقّها بجناية.

---

(۱) فى «وسائل الوصول»: التّحمّل.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۰۴

و عن علىّ كرّم اللّه وجهه: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أجود النّاس كفّا، و أوسع النّاس صدرا، و أصدق النّاس لهجة، و أوفاهم ذمّة، و ألينهم عريكة، و أكرمهم عشرة. من رآه بديهة ..

هابه، و من خالطه معرفة .. أحبّه، يقول ناعته: لم أر قبله و لا بعده مثله.

(و) فى «الإحياء»؛ (عن علىّ) رضى اللّه تعالى عنه و (كرّم اللّه وجهه) فى الجنّة قال: (كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم أجود النّاس كفّا) أى: بذلا للمعروف، (و أوسع النّاس صدرا) أى: قلبا قد وسع الناس بسطه و خلقه، (و أصدق النّاس لهجة)- بفتحتين أى: بفتح فسكون- أى: لسانا، أى كان لسانه صلّى اللّه عليه و سلم أصدق الألسنة، إذ هو أفصح الخلق، و أعذبهم كلاما، و أسرعهم أداء، و أحلاهم منطقا. كان حسن كلامه يأخذ بمجامع القلوب.

(و أوفاهم ذمّة) أى: عهدا (و ألينهم عريكة) أى: طبيعة، فهو مع الناس على غاية من السلامة و المطاوعة، و قلّة الخلاف و النفور، (و أكرمهم عشرة)- بكسر العين المهملة-: اختلاطا و صحبة.

(من رآه بديهة) أى: فجأة من غير قصد (هابه) أى: أخذته الهيبة لما كان يظهر عليه من عظم الجلالة و المهابة و الوقار.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و من خالطه معرفة أحبّه)، لكمال حسن عشرته و باهر عظيم تألّفه.

(يقول ناعته) أى واصفه (: لم أر قبله و لا بعده مثله) صلى اللّه عليه و سلم، للزوم هذا الوصف له و ظهوره عند من له أدنى بصيرة، فلما لم يخف كان كلّ واصف ملزوما بأن هذا القول يصدر عنه؛ و إن لم يصدر عنه التصريح به غفلة و ذهولا.

فالرؤية هنا علميّة، أى: لم أعلم به مماثلا فى وصف من أوصاف الكمال.

قال العراقى: رواه الترمذى و قال: ليس إسناده بمتّصل، أى: و فيه مخالفة يسيرة لما فى الترمذى.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۰۵

و عن أنس رضى اللّه تعالى عنه: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أعلم النّاس، و أورع النّاس، ...

(و) فى «كشف الغمّة» للإمام الشعرانى رحمه اللّه تعالى:

(عن أنس رضى اللّه تعالى عنه: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم أعلم النّاس و أورع النّاس) الورع: هو اجتناب الشبهات خوفا من الوقوع فى المحرمات، فتركه الريبة فى العبادات و المعاملات و سائر أبواب الأحكام إلى يقين الحلّ هو الورع المحمود، العميم النفع، العظيم الجدوى فى الدنيا و الأخرى.

قال فى «منهل الورّاد»: الورع عامّ و خاصّ،

فالعامّ: هو التورّع عما يوجب الفسق، و ذلك ما يحرّمه الفقهاء.

و أما ورع الخاصّة! فهو على ثلاث درجات.

الأولى: ورع الصالحين المشار إليه بقوله صلّى اللّه عليه و سلم: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» و هو الحذر عما يطرق إليه احتمال التحريم، و إن أفتى المفتى بحلّه بناء على الظاهر، لأنّ مطمح الفقيه إلى ظاهر الأمر، كمن أساء معاشرة زوجته حتّى تبرئه من المهر، فيفتى المفتى الفقيه أن الإبراء صحيح، مع أنّه لا يحلّ للمبرئ المهر بينه و بين اللّه تعالى.

الثانية: ورع المتقين المشار إليه بقوله صلّى اللّه عليه و سلم: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتّقين حتّى يدع ما لا بأس به حذرا ممّا به بأس». قال المناوى: أن يترك فضول الحلال؛ حذرا من الوقوع فى الحرام.

و من هذا القبيل ترك النظر إلى تجمّل أهل الدنيا، فإنّه يحرّك داعية الرغبة فيها.

الثالثة: ورع الصديقين؛ و هو صحّة اليقين و كمال التعلّق بربّ العالمين، و عكوف الهمّة عليه، و هذه رتبة قوم عدّوا كلّ ما لم يكن للّه عدّوه حراما، فاجتنبوا كلّ ما لا يراد بتناوله القوّة على طاعة اللّه تعالى.

و هؤلاء قد ذهب معظمهم، لا يكاد يوجد أحد منهم.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۰۶

و أزهد النّاس، ...

فالفالح فى زماننا: من كان ورعه ورع العدول غير مشدّد على نفسه بقوله «أموال الدنيا كلها حرام لكثرة الأيدى الغاصبة و المعاملات الفاسدة». أى: فهذا مشدّد على نفسه، بل يراجع القلب مسترشدا بقوله صلّى اللّه عليه و سلم: «الإثم ما حاك فى الصّدر و تردّد فى القلب». و قوله صلّى اللّه عليه و سلم: «استفت قلبك؛ و إن أفتاك النّاس و أفتوك». إذ الإنسان غير متعبّد بما هو فى نفس الأمر حلال، بل بما هو فى اعتقاده أنّه حلال إلّا إن بان له شىء ظاهر فى تحريمه. و هذا باب واسع. و قد أجاد بالتفصيل فيه الإمام الغزالىّ جزاه اللّه خيرا عن الإسلام، و رزقنا التوفيق و حسن الختام.

(و أزهد النّاس) الزهد: هو ترك فضول الحلال. أو هو بغض الدنيا و الإعراض عنها، و قيل: هو ترك راحة الدنيا طلبا لراحة الآخرة.

منتهى السؤل، اللحجى ج۲ ۴۰۶ الفصل الأول فى صفة خلقه صلى الله عليه و سلم و حلمه ..... ص : ۳۰۶

قال سيدنا الحبيب عبد اللّه بن علوى الحدّاد فى «النصائح»: حقيقة الزهد خروج حبّ الدنيا و الرغبة فيها من القلب، و هوان الدنيا على

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

العبد؛ حتّى يكون إدبارها و قلّة الشىء منها أحبّ إليه من ضدّه! و هذا من حيث الباطن، و فى الظاهر يكون منزويا عنها و متجافيا؛ اختيارا؛ مع القدرة عليها و يكون مقتصرا من سائر أمتعتها- مأكلا؛ و ملبسا؛ و مسكنا و غير ذلك- على ما لا بدّ منه دون النعم و التمتع بشهواتها، انتهى.

و قال فى «منهل الورّاد»: الزهد خلاف الرغبة: لغة، يقال «زهد فى الشىء و عنه»؛ أى: لم يرغب فيه. و حقيقة: انصراف الرغبة عن الشىء إلى ما هو خير منه، و فضل الزهد شهير، قال اللّه تعالى وَ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا الآية إلى قوله وَ الْعاقِبَةُ لِلتَّقْوى (١٣٢) [١٣١- ١٣٢/ طه].

و الزهد على قسمين:

زهد فى الدنيا: لأنها تلهى عن اللّه، و عن خدمته، و عن الأعمال الصالحة؛ مع أنها لا تصفو لصاحبها، بل لا يزال صاحبها فى عناء و محن و بلاء.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٤٠٧

و أكرم النّاس، و أعدل النّاس، و أحلم النّاس، و أعفّ النّاس، لم تمسّ يده يد امرأة لا يملك رقّها، أو عصمة نكاحها، أو تكون ذات محرم منه صلّى اللّه عليه و سلّم.

و زهد فيما فى أيدى الناس قال صلّى اللّه عليه و سلم: «ازهد فى الدّنيا يحبّك اللّه، و ازهد فيما فى أيدى النّاس يحبّك النّاس».

ثم إن للزهد درجات: فزهد فى الحرام و الشبهة؛ و هو فى معنى التقوى، و زهد فيما زاد على الحاجة.

و من فوائد الزهد أنّ فيه فراغا للروح و البدن بالطاعة، و الرغبة فيها، و التجنّب عن الشبهات. انتهى ملخصا من «منهل الوراد».

(و أكرم النّاس) روى البخارىّ و مسلم؛ من حديث أنس رضى اللّه تعالى عنه:

كان صلّى اللّه عليه و سلم أحسن النّاس، و أشجع الناس، و أجود النّاس. و سيأتى قريبا.

(و) كان صلّى اللّه عليه و سلم (أعدل النّاس) قد تقدّم فى حديث علىّ الطويل قوله «و صار ما عنده فى الحقّ سواء ... الحديث».

و معنى «أعدل الناس» أى: أكثرهم عدلا.

(و) كان صلّى اللّه عليه و سلم (أحلم النّاس). قال العراقى: رواه أبو الشيخ فى «كتاب الأخلاق»؛ من رواية عبد الرحمن بن أبزى: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم من أحلم الناس ... الحديث. و هو مرسل. انتهى.

و سيأتى حديث عبد اللّه بن سلام فى قصة إسلام زيد بن سعنة، من أحبار اليهود. قال الواسطى لما سئل: لأى شىء كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم أحلم النّاس؟! قال: لأنه خلق روحه أوّلا؛ فوقع له صحّة التمكين و الاستقرار.

(و) كان صلّى اللّه عليه و سلم (أعفّ النّاس) أى: أكثرهم عفّة، و هى- بالكسر- حصول حالة للنفس يمتنع بها عن غلبة الشهوة، و لذلك قال: (لم تمسّ يده يد امرأة لا يملك رقّها، أو عصمة نكاحها، أو تكون ذات محرم منه صلّى اللّه عليه و سلم).

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٤٠٨

و عن أنس أيضا: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أحسن النّاس، و أجود النّاس، و أشجع النّاس.

قال العراقى: رواه الشيخان؛ من حديث عائشة: ما مسّت يد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يد امرأة إلّا امرأة يملكها. انتهى.

و أخرجه الترمذىّ، و النسائى، و ابن ماجه، و أبو داود بألفاظ مختلفة؛ عن عائشة رضى اللّه عنها.

و المفهوم من هذه الأحاديث أنّه صلّى اللّه عليه و سلم لم تمسّ يده قطّ يد امرأة غير زوجاته، و ما ملكت يمينه؛ لا فى مبايعة و لا فى غيرها، و إذا هو لم يفعل ذلك مع عصمته و انتفاء الرّيبة فى حقّه، فغيره أولى بذلك؛ قاله فى «شرح الإحياء».

(و) أخرج البخارىّ، و مسلم، و الترمذى، و ابن ماجه من حديث طويل؛ (عن أنس أيضا) رضى اللّه تعالى عنه:

(كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم أحسن النّاس) صورة و سيرة.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و أجود النّاس) بكلّ ما ينفع، كما أنّه أكملهم فى سائر الأوصاف، فكان جوده يجمع أنواع الجود؛ من بذل العلم و المال، و بذل نفسه للّه فى إظهار دينه، و هداية عباده، و إيصال النفع إليهم بكلّ طريق؛ من إطعام جائعهم، و وعظ جاهلهم، و قضاء حوائجهم، و تحمّل أثقالهم.

و كان جوده صلّى اللّه عليه و سلم كلّه للّه تعالى، و فى ابتغاء مرضاته.

(و أشجع النّاس) أى: أقواهم قلبا، و أجرأهم فى حال البأس، فكان الشجاع منهم الّذى يلوذ بجانبه عند التحام الحرب، و ما ولّى قطّ منهزما، و لا تحدّث عنه بفرار، و قد ثبتت أشجعيّته بالتواتر النقلى.

قال السيوطى: بل يؤخذ ذلك من النصّ القرآنى كقوله يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفّارَ [۷۳/ التوبة] فكلّفه و هو فرد جهاد الكلّ؛ و لا يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْساً إِلّا

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۰۹

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم أرأف النّاس بالنّاس، و أنفع النّاس للنّاس، و خير النّاس للنّاس.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم أصبر النّاس على أقذار النّاس.

و عن خارجة بن زيد بن ثابت ...

وُسْعَها [۲۸۶/ البقرة] و لا ضير فى كون المراد هو و من معه، إذ غايته أنه قوبل بالجمع، و ذلك مفيد للمقصود. انتهى «مناوى».

(و) فى «الإحياء»: (كان صلّى اللّه عليه و سلم أرأف النّاس بالنّاس، و أنفع النّاس للنّاس، و خير النّاس للنّاس) هذا من المعلوم.

قال فى «شرح الإحياء»: روينا فى الجزء الأول من «فوائد أبى الدحداح»؛ من حديث على رضى اللّه تعالى عنه- فى صفة النبى صلّى اللّه عليه و سلم-: كان أرحم النّاس بالناس. الحديث. بطوله. انتهى.

(و) أخرج ابن سعد فى «الطبقات»؛ عن إسماعيل بن عيّاش بن سليم العنسى الشامى مرسلا؛ قال فى العزيزى: و هو صحيح. قال: (كان صلّى اللّه عليه و سلم أصبر النّاس) أى: أكثرهم صبرا (على أقذار النّاس)؛ أى:

ما يكون من قبيح فعلهم و سيّئ قولهم، لأنه لانشراح صدره يتّسع لما تضيق عنه صدور العامّة، فكانت مساوئ أخلاقهم و مدانئ أفعالهم و سوء مسيرهم و قبح سيرتهم فى جنب سعة صدره؛ كقطرة دم فى قاموس اليمّ، و فيه شرف الصبر.

(و) أخرج الترمذى فى «الشمائل» بسنده (عن) أبى زيد (خارجة بن زيد بن ثابت) بن الضّحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النّجّار الأنصارى النّجّارى المدنى التابعى.

كان إماما بارعا فى العلم، اتفقوا على توثيقه و جلالته، أدرك عثمان، و سمع أباه زيدا و عمّه يزيد، و أمّ العلاء الأنصاريّة، و أسامة بن زيد.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۱۰

قال: دخل نفر على زيد بن ثابت ...

روى عنه سالم بن عبد اللّه و الزّهرىّ و يزيد بن عبد اللّه بن قسيط، و أبو الزناد و آخرون.

و هو أحد فقهاء المدينة السبعة الذين هم: ۱- سعيد بن المسيب، و ۲- عروة بن الزبير، و ۳- القاسم بن محمد، و ۴- عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة بن مسعود، و ۵- خارجة بن زيد، و ۶- سليمان بن يسار. و فى السابع ثلاثة أقوال؛ فقيل: ۷- سالم بن عبد اللّه بن عمر، و قيل: ۷- أبو سلمة بن عبد الرحمن، و قيل: ۷- أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام. و على هذا جمعهم الشاعر فى قوله:

ألا كلّ من لا يقتدى بأئمّةفقسمته ضيزى عن الحقّ خارجه

فخذهم عبيد اللّه عروة قاسمسعيد أبو بكر سليمان خارجه توفى بالمدينة المنورة سنة: مائة، و قيل: سنة تسع و تسعين، و هو ابن سبعين سنة- بتقديم السين-.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

خرّج له الجماعة رحمه اللّه تعالى.

(قال دخل نفر)- بفتحتين-: جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة، و هو اسم جمع لا واحد له من لفظه؛ بل من معناه؛ و هو رجل.

(على زيد بن ثابت) بن الضحاك الأنصاریّ.

الصحابیّ المشهور المدنی. الفرضی الكاتب «كاتب الوحی و المصحف و المراسلات».

أحد الأربعة الذین حافظوا القرآن على عهد المصطفى [صلى اللّه علیه و سلم] «۱»، و أحد الثلاثة

(۱) المشهور أنّهم ثمانیة. و فیهم یقول القائل:

لقد حفظ القرآن عهد نبیّناثمانیة عن جادة الحقّ ما مانوا

أبیّ، أبو الدرداء، معاذ، عبادةو زید، أبو زید، علیّ، و عثمان

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۱۱

رضى اللّه تعالى عنه فقالوا له: حدّثنا أحادیث رسول اللّه صلّى اللّه علیه و سلّم.

قال: ما ذا أحدّثكم؟ ...

الذین جمعوا المصحف.

أعلم الصحابة بالفرائض، و كان عمره حین قدم رسول اللّه صلّى اللّه علیه و سلم المدینة إحدى عشرة سنة، و حفظ ستة عشر سورة قبل قدوم المصطفى صلّى اللّه علیه و سلم المدینة مهاجرا.

و استصغره النبیّ صلّى اللّه علیه و سلم یوم بدر فردّه، و شهد أحدا، و قیل: لم یشهدها، و شهد الخندق و ما بعدها من المشاهد مع رسول اللّه صلّى اللّه علیه و سلم.

و كان یكتب لأبی بكر و عمر بن الخطاب فی خلافتهما، و كان عمر یستخلفه إذا حجّ، و كان معه حین قدم الشام، و هو الذی تولّى قسمة غنائم الیرموك، و كان عثمان یستخلفه إذا حجّ، و كان من الراسخین فی العلم، و كان على بیت المال لعثمان. و أحواله كثیرة مشهورة.

روى له عن رسول اللّه صلّى اللّه علیه و سلم اثنان و تسعون حدیثا؛ اتفقا منها على خمسة، و انفرد البخاریّ بأربعة، و مسلم بحدیث.

روى عنه جماعات من الصحابة؛ منهم: ابن عمر، و ابن عبّاس، و أنس، و أبو هریرة. و خلائق من كبار التابعین، منهم ابن المسیب، و سلیمان و عطاء: ابنا یسار.

و توفی بالمدینة المنورة سنة: أربع و خمسین. و قیل غیر ذلك.

و لما دفن قال الحبر ابن عباس: هذا ذهاب العلماء! دفن الیوم علم كثیر.

(رضى اللّه تعالى عنه.

فقالوا له: حدّثنا أحادیث رسول اللّه صلّى اللّه علیه و سلم)، كأنهم سألوه أن یحدّثهم أحادیث الشمائل فاستعظم التحدیث فیها؛ فلذلك (قال: ما ذا أحدّثكم) كأنّ شمائله لا یحاط بها، و إن انتهى بها المحدّث إلى أقصى الغایة، و لذلك لم یتعاط أكابر

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۱۲

كنت جاره، فكان إذا نزل علیه الوحی .. بعث إلیّ فكتبته له، فكنّا إذا ذكرنا الدّنیا .. ذكرها معنا، و إذا ذكرنا الآخرة .. ذكرها معنا، و إذا ذكرنا الطّعام ...

الشعراء كأبی تمّام و نحوه مدحه و ذكر شمائله، لعلمهم باستغنائه عن ذلك، و استشعارهم من أنفسهم العجز عن الوفاء بحقّه فیه، فهو الحقیق بقول القائل:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

تجاوز قدر المدح حتّى كأنّهبأحسن ما يثنى عليه يعاب فكلّ علوّ فى حقّه تقصير، فلا يمكن أحد الإحاطة بها، بل و لا ببعضها من حيث الحقيقة و الكمال، فالاستفهام تعجّب أفادهم به ردّ ما وقع فى خاطرهم من طلب الإحاطة بها، لكن لمّا كان من المقرّر أنّ ما لا يدرك كلّه لا يترك كلّه أفادهم بعضا منها على وجه يدلّ على غاية ضبطه و إتقانه لمرويّه؛ فقال:

(كنت جاره) أى: فأنا أعرف بأحواله و أخبر بأسراره، (فكان إذا نزل عليه الوحى بعث إلىّ)؛ أى: لكتابة الوحى غالبا، كما يدلّ عليه قوله (فكتبته) أى:

الوحى (له)، فهو من جملة كتبة الوحى، بل هو أجلّهم «۱» و هم تسعة؛ ۱- زيد المذكور، ۲- و عثمان، ۳- و على، ۴- و أبىّ، ۵- و معاوية، ۶- و خالد بن سعيد، و ۷- حنظلة بن الربيع، و ۸- و العلاء بن الحضرمى، و ۹- أبان بن سعيد.

(فكنّا) معاشر الصحابة (إذا ذكرنا الدّنيا) ذما أو مدحا، لكونها مزرعة الآخرة و محلّ الاعتبار لأرباب المعرفة؛ (ذكرها معنا) أى: ذكر الأمور المتعلّقة بالدنيا المعينة على أمور الآخرة، كالجهاد و ما يتعلّق به؛ من المشاورة فى أموره.

(و إذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا)، و بيّن لنا تفاصيل أحوالها، و ما يترتّب عليها من الأمور المرغّبة و المرهّبة و غيرها.

(و إذا ذكرنا الطّعام)، أى: ضرره و نفعه، و آداب أكله، و بيان أنواعه من

---

(۱) فى مضمار الكتابة، و إلا فلا خلاف أن عثمان و عليا أفضل منه!.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۱۳

ذكره معنا، فكلّ هذا أحدّثكم عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم؟!.

و كان أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يتناشدون الشّعر بين يديه أحيانا، و يذكرون أشياء من أمر الجاهليّة، و يضحكون، فيتبسّم هو إذا ضحكوا، و لا يزجرهم إلّا عن حرام.

المأكولات و المشروبات و الفواكه و سائر المستلذّات (ذكره معنا)، و أفاد ما فى كلّ واحد من الحكم المتعلّقة به، و ما يتعلق به من منفعته و مضرّته؛ كما يعرف من الطبّ النبوى، و إنما ذكر معهم الدنيا و الطعام!! لأنه قد يقترن به فوائد علميّة و أدبية، على أن فيه بيان جواز تحدّث الكبير مع أصحابه فى المباحات.

(فكلّ)- الرواية بالرفع، لكنه لا يمتنع جواز النصب؛ على أنه مفعول مقدّم «أحدّثكم»، بل هو أولى لاستغنائه عن الحذف-.

(هذا أحدّثكم عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم؟!) لتتفقّهوا فى الدين فترفعوا إلى درجات المقربين!! و إنما ذكر هذا ليؤكد به اهتمامه بالحديث.

(و) فى «الإحياء»: (كان أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يتناشدون الشّعر)؛ أى يرادّ بعضهم بعضا الأشعار الجائزة. و التّناشد و المناشدة مرادّة البعض على بعض شعرا (بين يديه أحيانا) فيسمعهم، (و يذكرون أشياء من أمر الجاهليّة)، و هى الحالة التى كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل باللّه و رسوله و شرائع الإسلام.

(و يضحكون؛ فيتبسّم هو إذا ضحكوا) و لا يزيد على ذلك، (و لا يزجرهم إلّا عن حرام). و يؤخذ منه حلّ إنشاد الشعر، و استماعه؛ إذا كان لا فحش فيه، و إن اشتمل على ذكر أيّام الجاهلية، و وقائعهم فى حروبهم، و مكارمهم و نحو ذلك.

و هذا الحديث رواه الترمذى فى «الشمائل»؛ عن جابر بن سمرة دون قوله «و لا يزجرهم إلا عن حرام». و روى مسلم بعضا منه.

و رواه البيهقىّ فى «الدلائل»؛ كلاهما عن جابر بن سمرة رضى اللّه تعالى عنه

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۱۴

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أكثر النّاس تبسّما و ضحكا فى وجوه أصحابه، و تعجّبا ممّا تحدّثوا به، و خلطا لنفسه بهم.

و لربّما ضحك حتّى تبدو نواجذه.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

باختلاف فى الألفاظ.

(و) فى «الإحياء»: (كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم أكثر النّاس تبسّما و ضحكا فى وجوه أصحابه و تعجّبا ممّا تحدّثوا به، و خلطا لنفسه بهم).

روى الترمذيّ؛ من حديث عبد اللّه بن الحارث بن جزء: ما رأيت أحدا أكثر تبسّما من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم.

و فى «الصحيحين»؛ من حديث جرير: و لا رآنى إلّا تبسّم.

و للترمذى فى «الشمائل»؛ من حديث على: يضحك مما يضحكون منه، و يتعجّب مما يتعجّبون منه.

و لمسلم؛ من حديث جابر بن سمرة: كانوا يتحدّثون فى أمر الجاهلية فيضحكون و يتبسّم.

(و لربّما ضحك حتّى تبدو نواجذه)؛ أى: أضراسه. و قيل: أربع آخر الأسنان، كلّ منهم يسمى «ضرس العقل»، لأنه لا ينبت إلّا بعد البلوغ. و قيل:

أنيابه. و قيل: ضواحكه.

و فى «القاموس»: هى أقصى الأسنان، أو الأنياب، أو التى على الأنياب؛ أو الأضراس.

قيل: ضحكه إلى أن يبدو آخر أسنانه بعيد من شيمته، فلذا قيل: المراد المبالغة فى كون ضحكه هذا فوق ما كان يصدر.

و يؤيده قول الجوهرىّ «حتّى بدت نواجذه» إذا استغرب منه، و قد جاء ذلك فى المتفق عليه؛ من حديث ابن مسعود فى قصّة «آخر من يخرج من النار». و فى قصّة الحبر الّذى قال «إنّ اللّه يضع السماوات على إصبع». و من حديث أبى هريرة

و كان ضحك أصحابه عنده التّبسّم؛ اقتداء به، و توقيرا له.

قالوا: و قد جاءه أعرابىّ يوما؛ و هو صلّى اللّه عليه و سلّم متغيّر اللّون ينكره أصحابه، فأراد أن يسأله، فقالوا: لا تفعل يا أعرابىّ، فإنّا ننكر لونه. فقال: دعونى، فو الّذى بعثه بالحقّ نبيّا؛ لا أدعه حتّى يتبسّم. فقال: يا رسول اللّه؛ بلغنا أنّ المسيح- يعنى:

الدّجال- يأتى النّاس بالثّريد و قد هلكوا جوعا .. أ فترى لى- بأبى أنت و أمّى- أن أكفّ عن ثريده تعفّفا و تنزّها حتّى أهلك هزالا، أم أضرب فى ثريده حتّى إذا تضلّعت شبعا .. آمنت باللّه و كفرت به؟!

قالوا: فضحك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم حتّى بدت نواجذه.

قصة «المجامع فى رمضان» و غير ذلك.

و فى كلّ ذلك دليل على أنّ الضحك فى مواطن التعجّب؛ سيما ما هو فى مثل تعجّبه صلّى اللّه عليه و سلم لا- يكره، و لا يخرم المروءة؛ إذا لم يجاوز به الحدّ المعتاد.

(و كان ضحك أصحابه عنده التّبسّم؛ اقتداء به، و توقيرا له). رواه الترمذىّ فى «الشمائل»؛ من حديث هند بن أبى هالة فى أثناء حديثه الطويل.

(قالوا: و قد جاءه أعرابىّ)؛ أى: من سكّان البادية (يوما و هو صلّى اللّه عليه و سلم متغيّر اللّون ينكره أصحابه، فأراد) ذلك الأعرابىّ (أن يسأله) فى شى‏ء، (فقالوا:

لا- تفعل يا أعرابىّ؛ فإنّا ننكر لونه. فقال: دعونى؛ فو الّذى بعثه بالحقّ نبيا؛ لا أدعه حتّى يتبسّم. فقال: يا رسول اللّه؛؛ بلغنا أنّ المسيح- يعنى الدّجال- يأتى النّاس بالثّريد؛ و قد هلكوا جوعا!! أ فترى لى- بأبى أنت و أمّى- أن أكفّ عن ثريده تعفّفا و تنزّها حتّى أهلك هزالا، أم أضرب) بيدى (فى ثريده حتّى إذا تضلّعت) أى: امتلأت (شبعا آمنت باللّه) وحده، (و كفرت به؟!)- يعنى الدجال-.

(قالوا: فضحك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم حتّى بدت نواجذه. ثمّ قال: «لا، بل يغنيك

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

ثمّ قال: «لا، بل يغنيك اللّه بما أغنى به المؤمنين».
و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يتلطّف بخواطر أصحابه، و يتفقّد من انقطع منهم عن مجلسه، و كثيرا ما يقول لأحدهم: «لعلّك يا أخى وجدت منّى، أو من إخواننا شيئا».
و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا فقد الرّجل من إخوانه ثلاثة أيّام ..
سأل عنه، فإن كان غائبا .. دعا له، و إن كان شاهدا .. زاره، و إن كان مريضا .. عاده.
اللّه بما أغنى به المؤمنين»).
قال العراقى: و هو حديث منكر، لم أقف له على أصل!.
و يردّه قوله صلّى اللّه عليه و سلم فى المتفق عليه؛ من حديث المغيرة بن شعبة؛ حين سأله:
إنّهم يقولون: إنّه معه جبل خبز و نهر ماء!!: قال: «هو أهون على اللّه من ذلك».
و فى رواية لمسلم: يقولون معه جبال من خبز و لحم ... الحديث!! نعم، فى حديث حذيفة و أبى مسعود المتفق عليهما: أنّ معه ماء و نارا ... الحديث.
(و) فى «كشف الغمّة» للشعرانى رحمه اللّه: (كان صلّى اللّه عليه و سلم يتلطّف بخواطر أصحابه، و يتفقّد من انقطع منهم عن مجلسه) بالسّؤال عنه، فإن كان غائبا؛ دعا له، و إن كان مريضا؛ عاده- كما سيأتى-.
(و كثيرا ما يقول لأحدهم: «لعلّك يا أخى وجدت منّى، أو من إخواننا شيئا») يغضبك؟!!
(و) أخرج أبو يعلى- بإسناد ضعيف- عن أنس رضى اللّه تعالى عنه قال:
(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم إذا فقد)- بالبناء للفاعل- (الرّجل من إخوانه)- أى: لم يره- (ثلاثة أيّام سأل عنه، فإن كان غائبا)، أى: مسافرا (دعا له، و إن كان شاهدا) أى: حاضرا بالبلد (زاره، و إن كان مريضا عاده)، لأن الإمام
منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۱۷
و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يقبل على أصحابه بالمباسطة؛ حتّى يظنّ كلّ منهم أنّه أعزّ عليه من جميع أصحابه.
و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يعطى كلّ من جلس إليه نصيبه من البشاشة؛ حتّى يظنّ أنّه أكرم النّاس عليه.
و عن عمرو بن العاصى ...
عليه النّظر فى حال رعيّته، و إصلاح شأنهم و تدبير أمرهم.
و أخذ منه أنّه ينبغى للعالم إذا غاب بعض الطلبة فوق المعتاد أن يسأل عنه، فإن لم يخبر عنه بشىء أرسل إليه، أو قصد منزله بنفسه و هو أفضل، فإن كان مريضا عاده، أو فى غمّ خفّفه عليه، أو فى أمر يحتاج لمعونة أعانه، أو مسافرا تفقّد أهله، و تعرّض لحوائجهم و وصلهم بما أمكن، و إلّا تودّد إليه و دعا له.
(و) فى «كشف الغمّة» للعارف الشعرانى رحمه اللّه تعالى:
(كان صلّى اللّه عليه و سلم يقبل على أصحابه بالمباسطة) بالكلام و طلاقة الوجه و إظهار التودّد لهم، (حتّى يظنّ كلّ منهم أنّه أعزّ عليه من جميع أصحابه).
و سيأتى ما يؤيّده و يشهد له؛ من حديث عمرو بن العاصى رضى اللّه تعالى عنه.
(و) فى «كشف الغمّة» أيضا: (كان صلّى اللّه عليه و سلم يعطى كلّ من جلس إليه نصيبه)؛ أى: حظّه (من البشاشة) أى: طلاقة الوجه و الإقبال عليه، (حتّى يظنّ)؛ أى:
جليسه (أنّه أكرم النّاس عليه) صلى اللّه عليه و سلم، لما يرى من ملاطفته له و مؤانسته، و ذلك من كمال خلقه صلّى اللّه عليه و سلم.
(و) أخرج الترمذىّ فى «الشمائل» بسنده؛ (عن) أبى عبد اللّه- و يقال: أبو محمد- (عمرو بن العاصى)- الجمهور على كتابته بالياء؛ و

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

هو الفصيح عند أهل العربية. و يقع فى كثير من كتب الحديث و الفقه؛ أو أكثرها بحذف الياء، و هى لغة.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۱۸

رضى اللّه تعالى عنه قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقبل بوجهه و حديثه على أشرّ القوم يتألّفهم بذلك، ...

أسلم عام خيبر أوّل سنة سبع، و قيل: أسلم فى صفر سنة ثمان؛ قبل الفتح بستّة أشهر، و قيل غير ذلك.

و قدم على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم هو و خالد بن الوليد و عثمان بن طلحة فأسلموا، ثمّ أمّره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فى غزوة ذات السلاسل على جيش هم ثلاثمائة، فلما دخل بلادهم استمدّه فأمدّه بجيش من المهاجرين الأوّلين؛ فيهم أبو بكر و عمر، و أميرهم أبو عبيدة بن الجرّاح رضى اللّه عنهم، و قال لأبى عبيدة: لا تختلفا.

و كان عمرو من دهاة العرب و أبطالهم، و كان قصيرا و ذا رأى.

و كانت وفاته ليلة عيد الفطر سنة: ثلاث و أربعين بمصر؛ و هو وال عليها و دفن بها؛ و عمره سبعون سنة. و صلّى عليه ابنه عبد اللّه.

روى له عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم سبعة و ثلاثون حديثا؛ اتفقا على ثلاثة، و لمسلم حديثان، و للبخارىّ بعض حديث.

روى عنه أبو عثمان النّهدى، و قيس بن أبى حازم، و عروة بن الزّبير و غيرهم (رضى اللّه تعالى عنه، قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يقبل بوجهه) على حدّ «رأيته بعينى». (و حديثه). الإقبال بالحديث معناه: جعل الكلام مع المخاطب و قصده به؛ فهو معنوىّ و الأوّل حسى (على أشرّ القوم) الكثير حذف الهمزة من «أشر»، و استعماله بها لغة رديئة؛ أو قليلة. قال فى «الكافية» لابن مالك:

و غالبا أغناهم خير و شرّعن قولهم أخير منه و أشرّ (يتألّفهم) أى: الأشرّ، و إنّما أتى بضمير الجمع!! لأنّه جمع فى المعنى، (بذلك) الإقبال المفهوم من الفعل، و إنّما كان يتألّفهم بذلك!! ليثبتوا على الإسلام، أو لاتقاء شرّهم، فاتقاء الشرّ بالإقبال على أهله و التبسّم فى وجههم جائز، و أمّا الثناء عليهم!! فلا يجوز، لأنّه كذب صريح.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۱۹

فكان يقبل بوجهه و حديثه علىّ حتّى ظننت أنّى خير القوم. فقلت:

يا رسول اللّه؛ أنا خير، أو أبو بكر؟ فقال: «أبو بكر».

فقلت: يا رسول اللّه؛ أنا خير، أم عمر؟! فقال: «عمر».

فقلت: يا رسول اللّه؛ أنا خير، أم عثمان؟ فقال: «عثمان».

فلمّا سألت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فصدقنى .. فلوددت أنّى لم أكن سألته.

و لا ينافى هذا استواء صحبه فى الإقبال عليهم- على ما سبق-!! لأن ذلك حيث لا ضرورة تحوج إلى التخصيص، و تخصيص الأشرّ بالإقبال عليه لضرورة تأليفه.

و من فوائده أيضا: حفظ من هو خير عن العجب و الكبر.

(فكان)؛ لعظم تألّفه و حسن معاشرته و كريم أخلاقه (يقبل بوجهه و حديثه علىّ)- بتشديد الياء-، (حتّى ظننت) من كثرة إقباله (أنّى خير القوم).

و سبب ذلك أنه كان حديث عهد بالإسلام، و من رؤساء قومه.

قال الحافظ العراقىّ:

يجالس الفقير و المسكيناو يكرم الكرام إذ يأتونا

ليس مواجها بشىء يكرههجليسه بل بالرّضا يشافهه (فقلت: يا رسول اللّه) أى: بناء على ظنّه و تردّده فى بعض أكابر الصحب.

(أنا خير، أو أبو بكر؟ فقال: «أبو بكر». فقلت: يا رسول اللّه؛ أنا خير، أم عمر؟ فقال: «عمر»، فقلت: يا رسول اللّه؛ أنا خير، أم عثمان؟ فقال:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

«عثمان». فلمّا سألت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فصدقنى)- بتخفيف الدال- أى: أجابنى بالصدق من غير مراعاة و مداراة؛ (فلوددت)- بكسر الدال و اللام للقسم- أى:

أحببت و تمنّيت (أنّى لم أكن سألته)، و إنّما ودّ ذلك!! لأنه قبل السؤال كان يظنّ إقباله عليه لخيريّته، فلما سأله بان له أن إقباله عليه إنّما هو للتألّف، فندم لذلك.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۲۰

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يعطى كلّ من جلس إليه نصيبه من وجهه، حتّى كأنّ مجلسه و سمعه و حديثه و لطيف محاسنه و توجّهه للجالس إليه.

و مجلسه مع ذلك مجلس حياء و تواضع و أمانة.

قال تعالى: فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ [آل عمران: ۱۵۹].

و فيه أنّه ينبغى للشخص أن لا يسأل عن شىء إلّا بعد تحقق أمره و التثبت فيه، لأنّه ربّما ظهر خطؤه فيفتضح حاله.

(و) فى «الإحياء»: (كان صلّى اللّه عليه و سلم يعطى كلّ من جلس إليه نصيبه من وجهه)؛ بالإقبال عليه، (حتّى كأنّ)- بالتشديد- (مجلسه و سمعه) بالإصغاء، (و حديثه و لطيف محاسنه و توجّهه)؛ كلّ ذلك (للجالس إليه، و مجلسه مع ذلك مجلس حياء و تواضع و أمانة).

قال فى «شرح الإحياء»: رواه الترمذىّ فى «الشمائل»؛ فى حديث علىّ الطويل. و فيه: و يعطى كلّ جلسائه نصيبه؛ لا يحسب جليسه أنّ أحدا أكرم عليه منه، و فيه: و مجلسه مجلس حلم و حياء و صبر و أمانة.

(قال) اللّه (تعالى) ممتنّا عليه فى كتابه العزيز (فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ) [۱۵۹/ آل عمران] «ما» زائدة للتأكيد، أى: فبرحمة. و قيل: نكرة موصوفة، و «رحمة» بدل من «ما» (لِنْتَ لَهُمْ)- أى: سهلت أخلاقك لهم- (وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا)- أى: سيّئ الخلق- (غَلِيظَ الْقَلْبِ)- أى: قاسيه على الخلق- (لَانْفَضُّوا)- أى: تفرقوا- (مِنْ حَوْلِكَ) و لم ينتفعوا بقولك.

و المعنى: أنّك لو كنت فظّا غليظ القلب انفضوا عنك، أى: تفرّقوا و لم يجتمعوا عليك، و لكن بلين جانبك لهم؛ و شفقتك عليهم تؤلّف قلوبهم، و تزيد محبّتهم. و هذا امتنان عليه بما جبله اللّه عليه من الأخلاق الحسنة.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۲۱

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم لا يواجه أحدا فى وجهه بشىء يكرهه.

و عن أنس رضى اللّه تعالى عنه، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: أنّه كان عنده رجل به أثر صفرة ...

(و) أخرج الإمام أحمد، و البخارىّ فى «الأدب المفرد»، و أبو داود، و النسائى فى «اليوم و الليلة» بسند حسن؛ عن أنس بن مالك رضى اللّه تعالى عنه قال:

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم لا يواجه أحدا فى وجهه)- يعنى: لا يشافهه- (بشىء يكرهه)، لئلا يشوّش عليه، و لأن مواجهته ربّما تفضى إلى الكفر، لأن من يكره أمره و يأبى امتثاله عنادا؛ أو رغبة عنه: يكفر. و فيه مخافة نزول العذاب.

و البلاء إذا نزل قد يعمّ، ففى ترك المواجهة مصلحة، و قد كان واسع الصّدر جدّا غزير الحياء.

و منه أخذ بعض أكابر السلف أنّه ينبغى إذا أراد أن ينصح أخا له أن يكتب له فى لوح و يناوله له؛ كما فى «الشّعب».

فينبغى للرجل أن لا يذكر لصاحبه ما يثقل عليه، و يمسك عن ذكر أهله و أقاربه، و لا يسمعه قدح غيره فيه، و كثير من الناس يتقرّب لصاحبه بذلك، و هو خطأ ينشأ عن مفاسد، و لو فرض فيه مصالح؛ فلا توازى مفاسده، و درؤها أولى.

نعم؛ يتبّهه بلطف على ما يقال فيه، أو يراد به؛ ليحذر.

(و) أخرج الترمذىّ فى «الشمائل» بسنده؛ (عن أنس رضى اللّه تعالى عنه)- و هو الحديث المتقدّم آنفا- و رواته رواته مع اختلاف فى

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

الألفاظ- و هذا لفظ «الشمائل»:

(عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم أنّه)- أى الحال، و الشأن- (كان عنده) أى: عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم (رجل به أثر) أى: عليه بقيّة (صفرة) من زعفران؛ أو ورس.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۲۲

قال: و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم لا يكاد يواجه أحدا بشىء يكرهه، فلمّا قام .. قال للقوم: «لو قلتم له يدع هذه الصّفرة».

قال الباجورىّ: (و المراد أنّه لا يكاد يواجه أحدا بمكروه غالبا، فلا ينافى ما ثبت عن عبد اللّه بن عمرو بن العاصى أنّه قال: رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم علىّ ثوبين معصفرين فقال: «إنّ هذين من ثياب الكفّار، فلا تلبسهما».

(قال) أى: أنس (: و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم) غالبا من عادته (لا يكاد يواجه)؛ أى: لا يقرب من أن يقابل، و المواجهة بالكلام المقابلة به لمن حضر، و هذا لتضمّنه نفى القرب من المواجهة أبلغ من قوله «لا يواجه»، فالمعنى: لا يقرب من أن يقابل (أحدا) من المسلمين؛ بخلاف الكفّار، فكان يغلظ عليهم باللّسان و السّنان؛ امتثالا لأمر الرحمن (بشىء) من أمر؛ أو نهى (يكرهه) ذلك الأحد، فالضمير المستتر فى «يكره» للأحد، و البارز للشىء. (فلمّا قام) أى: الرجل من المجلس؛ (قال)؛ أى المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم (للقوم)؛ أى: أصحابه الحاضرين فى المجلس: («لو قلتم له يدع)- أى: يترك- (هذه الصّفرة»!!) لكان أحسن، لأن فيها نوع تشبّه بالنساء، و لعل ذلك كان مباحا، و إلّا لما أخّر أمره بتركه لمفارقة المجلس، و جواب «لو» محذوف كما قدّرناه؛ بناء على أنها شرطيّة، و يحتمل أن «لو» للتمنّى؛ فلا جواب لها. و اللّه أعلم.

(قال) العلّامة شيخ الإسلام إبراهيم (الباجورىّ) رحمه اللّه تعالى فى حاشيته على «الشمائل الترمذية»: (و المراد أنّه لا يكاد يواجه أحدا بمكروه غالبا، فلا ينافى). قال ملا على قارى فى «جمع الوسائل»: و قيّدنا بغالب عادته!! لئلا ينافيه (ما ثبت) فى «صحيح مسلم» و غيره (عن عبد اللّه بن عمرو بن العاصى) رضى اللّه تعالى عنهما (أنّه قال:

رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم علىّ)- بتشديد المثناة التحتية- (ثوبين معصفرين؛ فقال:

«إنّ هذين)- أى: الثوبين- (من ثياب الكفّار، فلا تلبسهما».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۲۳

و فى رواية: قلت: أغسلهما؟ قال: «بل أحرقهما».

و لعلّ الأمر بالإحراق محمول على الزّجر.

و هذا يدلّ على ما عليه بعض العلماء من تحريم المعصفر، و الجمهور ...

و فى رواية) لمسلم أيضا: رأى النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم علىّ ثوبين معصفرين؛ فقال:

«أمّك أمرتك بهذا»!! (قلت: أغسلهما؟! قال: «بل احرقهما». و لعلّ الأمر بالإحراق محمول على) التغليظ و (الزّجر) له و لغيره؛ عن تعاطى مثل هذا الفعل نظير أمر تلك المرأة التى لعنت الناقة بإرسالها، و أمر أصحاب بريرة ببيعها و أنكر عليهم اشتراط الولاء و نحو ذلك.

(و هذا) أى: النهى عن لبس المعصفر (يدلّ على ما) جرى (عليه بعض العلماء)؛ كالحليمى و صوّبه فى «الروضة»، و جزم به فى «الأنوار»، و مال إليه فى «شرح مسلم»، و مال إليه شيخ الإسلام زكريا الأنصارى؛ و اعتمده ابن حجر فى «التحفة»؛ و فى «شرح بافضل»؛ (من تحريم) لبس (المعصفر) سواء صبغ قبل نسجه؛ أم بعده- كما فى «التحفة» أخذا بإطلاقهم، كما صحّت به الأحاديث، و اختاره البيهقىّ و غيره، و لم يبالوا بنصّ الشافعى على حلّه؛ تقديما للعمل بوصيته بالعمل بالأحاديث الصحيحة، كما لم يبالوا بكون جمهور العلماء على حلّه المذكور فى قوله:

(و الجمهور) من علماء الصحابة و التابعين و من بعدهم؛ قالوا بإباحة المعصفر، و به قال الشافعى، و أبو حنيفة، و مالك، كما فى «شرح

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

مسلم»؛ لكنه قال: غيره أفضل منه.

و جرى الرّملى فى «النهاية» و الخطيب فى «المغنى» «۱» و غيرهما على حلّه

(۱) مغنى المحتاج شرح المنهاج.

على كراهته) انتهى.

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم لا يواجه أحدا بمكروه، ..

مطلقا، أى: سواء صبغ قبل النسج؛ أم بعده!!

و جرى جماعة من العلماء (على كراهته) كراهة تنزيه، و عليه كثير من المتأخّرين أرباب الحواشى؛ كالشبراملسى، و الجمل، و البجيرمى على «الإقناع»، و الباجوريّ، و الشرقاوى.

قال فى «شرح مسلم»: و حملوا النهى على هذا، لأنه ثبت أنّ النبى صلّى اللّه عليه و سلم لبس حلّة حمراء.

و فى «الصحيحين»؛ عن ابن عمر رضى اللّه تعالى عنهما قال:

رأيت النبى صلّى اللّه عليه و سلم يصبغ بالصفرة. و قال الخطّابى: النهى منصرف إلى ما صبغ من الثياب بعد النسج، فأمّا ما صبغ غزله ثم نسج؛ فليس بداخل فى النهى.

انتهى.

و فى «الإمداد» للعلامة ابن حجر رحمه اللّه تعالى: و محلّ الحرمة إذا صبغ بعد النسج لا قبله، و عليه حمل اختلاف الأحاديث فى ذلك، و يحمل عليه اختلاف نصّ الشافعى ... إلخ، و عليه جرى فى «فتح الجواد».

و أقرّ زكريا فى «أسنى المطالب» أقرّ الزركشى على ذلك، لكن ردّه فى «التحفة» بمخالفته لإطلاقهم الصريح فى الحرمة مطلقا؛ نقله الكردى.

قال فى «شرح مسلم»: و حمل بعض العلماء النهى على المحرم بالحجّ؛ أو العمرة، ليكون موافقا لحديث ابن عمر رضى اللّه تعالى عنهما: نهى المحرم أن يلبس ثوبا مسّه ورس؛ أو زعفران، و اللّه أعلم (انتهى) أى: كلام الباجورى رحمه اللّه تعالى.

(و) فى «كشف الغمّة» للشعرانى رحمه اللّه تعالى: (كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم لا يواجه أحدا بمكروه)؛ أى: لا يخاطبه شفاها، و يقول له فى وجهه شيئا

و لا يتعرّض فى وعظه لأحد معيّن، بل يتكلّم خطابا عامّا.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا بلغه عن الرّجل الشّىء .. لم يقل:

«ما بال فلان يقول؟!». و لكن يقول: «ما بال أقوام يقولون ..

كذا و كذا؟!».

و كانت معاتبته صلّى اللّه عليه و سلّم تعريضا: «ما بال أقوام يشترطون شروطا ليست فى كتاب اللّه تعالى ..؟!» ...

يكرهه. (و لا يتعرّض فى وعظه لأحد معيّن، بل يتكلّم خطابا عامّا)، لحصول الفائدة فيه لكل سامع، مع ما فيه من حصول المواراة و الستر عن الفاعل و تأليف القلوب.

(و) أخرج أبو داود بإسناد صحيح؛ عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت:

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم إذا بلغه عن الرّجل)، ذكر الرجل وصف طرديّ؛ و المراد الإنسان (الشّىء) الّذى يكرهه (لم

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

يقل ما بال فلان) باسمه المعيّن (يقول) كذا، و الظاهر أن المراد بالقول ما يشمل الفعل، (و لكن) استدراك أفاد أن من شأنه أن لا يشافه أحدا معيّنا حياء منه، بل (يقول) منكرا عليه ذلك (: «ما بال أقوام)- أى: ما شأنهم- (يقولون .. كذا و كذا») إشارة إلى ما أنكره؛ و هذا هو المعروف من خطبه صلّى اللّه عليه و سلم أنّه إذا كره شيئا فخطب له؛ ذكر كراهيته، و لا يعيّن فاعله.

و هذا من عظيم خلقه صلّى اللّه عليه و سلم، فإن المقصود من ذلك الشخص و جميع الحاضرين و غيرهم ممن يبلغه ذلك، و لا يحصل توبيخ صاحبه فى الملأ. انتهى «شرح مسلم».

(و كانت معاتبته صلّى اللّه عليه و سلم تعريضا)، و هو أبلغ و أعمّ نفعا، كقوله فى حقّ موالى بريرة حين اشترطوا الولاء لهم (: «ما بال أقوام يشترطون شروطا ليست فى كتاب اللّه تعالى ..!؟)- أى: ليس لها أصل فى كتاب اللّه تعالى- ما كان من شرط ليس فى كتاب اللّه عزّ و جلّ فهو باطل؛ و إن كان مائة شرط، كتاب اللّه أحقّ،

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۲۶

و نحو ذلك. و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا رأى إنسانا يفعل ما لا يليق .. لم يدع أحدا يبادر إلى الإنكار عليه حتّى يتثبّت فى أمره، و يعلّمه الأدب برفق.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم لا يأخذ بالقرف، و لا يقبل قول أحد على أحد.

و شرط اللّه أوثق، ما بال رجال منكم يقول أحدهم «أعتق فلانا و الولاء لى! إنّما الولاء لمن أعتق؟!». ذكره فى «الصحيحين». و هذا لفظ مسلم.

(و نحو ذلك)؛ كقوله فى حقّ النفر الذين سألوا أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلم عن عمله فى السرّ، فقال بعضهم: لا أتزوّج النساء. و قال بعضهم: لا آكل اللحم. و قال بعضهم: لا أنام على فراش. فحمد اللّه و أثنى عليه، فقال:

«ما بال أقوام قالوا كذا و كذا!!. لكنّى: «أصلّى و أنام، و أصوم و أفطر، و أتزوّج النّساء، فمن رغب عن سنّتى فليس منّى». ذكره مسلم.

(و) فى «كشف الغمة» للشعرانى رحمه اللّه تعالى:

(كان صلّى اللّه عليه و سلم إذا رأى إنسانا يفعل ما لا يليق لم يدع أحدا) من الناس (يبادر إلى الإنكار عليه حتّى يتثبّت فى أمره، و يعلّمه الأدب برفق)، و هذا من عظيم خلقه صلّى اللّه عليه و سلم.

(و) أخرج أبو داود فى «مراسيله»؛ عن الحسن بن على، و أبو نعيم فى «الحلية» بإسناد ضعيف:

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم لا يأخذ) أحدا (بالقرف)- بفتح القاف و سكون الراء وفاء- أى: بالتهمة، و الأخذ مجاز عن العقوبة، من: أخذه السلطان: إذا حبسه و جازاه على ما صدر منه.

(و لا يقبل قول أحد على أحد)؛ أى: لا يقبل كلام أحد فى حقّ أحد، سواء ترتّبت عليه المؤاخذة؛ أم لا، فهو تعميم بعد تخصيص.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۲۷

و (القرف): التهمة.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم كثيرا ما يقول: «لا تبلّغونى عن أصحابى إلّا خيرا، فإنّى أحبّ أن أخرج إليكم و أنا سليم الصّدر».

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا بعث أحدا من أصحابه فى بعض أمره .. قال: «بشّروا و لا تنفّروا، و يسّروا و لا تعسّروا».

و ذلك وقوفا مع العدل، لأن ما يترتّب عليه موقوف على ثبوته عنده بطريقه المعتبر.

(و القرف)- بفتح القاف و سكون الراء و آخره فاء- هو (: التّهمة) و إسناد الذنب لغيره.

(و) فى «كشف الغمة» ك «الإحياء»: (كان صلّى اللّه عليه و سلم كثيرا ما يقول:

«لا تبلّغونى عن أصحابى إلّا خيرا). هذا نهى عامّ عن الغيبة و النميمة، و نقل ما يكره نقله من قول؛ أو فعل؛ أو ترك.

(فإنّى أحبّ أن أخرج إليكم؛ و أنا سليم الصّدر») سلامة الصدر كناية عن كونه ليس فى قلبه بغض لأحد، و لا غضبان على أحد. قال

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

العراقی: رواه أبو داود، و الترمذیّ؛ من حدیث ابن مسعود، و قال: غریب من هذا الوجه. و رواه کذلک أحمد، و البیهقیّ. انتهی «شرح الإحیاء».

(و) أخرج مسلم فی «صحیحه» فی «المغازی»، و أبو داود فی «الأدب»؛ عن أبی موسی الأشعری رضی اللّه تعالی عنه قال:

(کان) رسول اللّه (صلی اللّه علیه و سلم إذا بعث) أی: أرسل (أحدا من أصحابه فی بعض أمره) أی: مصالحه کأن أمّره علی جیش أمره بالتسهیل علی الناس و عدم التشدید المقتضی لتنفیرهم، (قال: «بشّروا و لا تنفّروا، و یسّروا، و لا تعسّروا») «۱» أی: سهّلوا الأمور، و لا تنفّروا الناس بالتعسیر و التشدید.

---

(۱) انظر ما عن هذا الحدیث فی المجلد الرابع من هذا الکتاب فصل: (حرف الباء).

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۴۲۸

و کان صلّی اللّه علیه و سلّم إذا لقی أصحابه .. لم یصافحهم حتّی یسلّم علیهم.

و کان صلّی اللّه علیه و سلّم إذا لقی أحدا من أصحابه .. صافحه، ثمّ أخذ بیده فشابکه، ثمّ شدّ قبضته علیها.

لأن من أخلاقه صلّی اللّه علیه و سلم أنّه ما خیّر بین أمرین إلّا اختار أیسرهما ما لم یکن إثما، فینبغی لأمّته أن یتخلّقوا بأخلاقه، و فی مقدّمتهم أصحابه صلّی اللّه علیه و سلم.

(و) أخرج الطبرانی فی «الکبیر»؛ عن جندب بن عبد اللّه رضی اللّه تعالی عنه قال:

(کان) رسول اللّه (صلی اللّه علیه و سلم إذا لقی أصحابه لم یصافحهم حتّی یسلّم علیهم)؛ تعلیما لمعالم الدیانة و رسوم الشریعة، و حثّا لهم علی لزوم ما خصّت به هذه الأمة من هذه التحیة العظمی التی هی تحیّة أهل الجنة فی الجنة؛ فیندب تقدیم السلام علی المصافحة.

(و) فی «کشف الغمة» ک «الإحیاء»: (کان صلّی اللّه علیه و سلم إذا لقی أحدا من أصحابه صافحه، ثمّ أخذ بیده فشابکه، ثمّ شدّ قبضته علیها) أی: علی یده.

قال بعض الشیوخ: أراد بذلک زیادة المحبّة، و تأکّدها؛ قاله فی «شرح الإحیاء».

قال ملا علی قاری فی «شرح الشفاء»: صفة المصافحة وضع بطن الکفّ علی بطن أخری عند التلاقی مع ملازمة ذلک علی قدر ما یقع من السلام، أو من السؤال و الکلام إن عرض لها، و أما اختلاف الید فی أثر التلاقی؛ فهو مکروه. انتهی.

و قال فی «شرح الإحیاء»: روی أبو داود؛ من حدیث أبی ذر رضی اللّه عنه، و سأله رجل من عنزة: هل کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم یصافحکم إذا لقیتموه؟ قال: ما لقیته قطّ إلّا صافحنی ... الحدیث.

و روّینا فی «علوم الحدیث» للحاکم؛ من حدیث أبی هریرة رضی اللّه عنه قال: شبک بیدی أبو القاسم صلّی اللّه علیه و سلم.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۴۲۹

و کان صلّی اللّه علیه و سلّم إذا لقیه أحد من أصحابه فقام معه ..

قام معه، و لم ینصرف حتّی یکون الرّجل هو الّذی ینصرف عنه، و إذا لقیه أحد من أصحابه فتناول یده .. ناوله إیّاها، فلم ینزع یده منه حتّی یکون الرّجل هو الّذی ینزع یده منه، و إذا لقی أحدا من أصحابه فتناول أذنه- أی: لیکلّمه سرّا- .. ناوله إیّاها؛ ثمّ لم ینزعها عنه حتّی یکون الرّجل هو الّذی ینزعها عنه؛ أی: لا ینحّی أذنه عن فمه حتّی یفرغ الرّجل من حدیثه.

و هو عند مسلم بلفظ: أخذ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم بیدی.

و قد وقع لنا مسلسلا بالمشابکة، کما وقع لنا فی بعض طرق المصافحة؛ مسلسلا بقبض الید. انتهی.

(و) أخرج ابن سعد فی «الطبقات»؛ عن أنس رضی اللّه تعالی عنه قال:

(کان) رسول اللّه (صلی اللّه علیه و سلم إذا لقیه أحد من أصحابه فقام) أی: ذلک الصحابی؛ أی: وقف (معه) أی: مع النبی صلّی اللّه

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

عليه و سلم (قام) أى: وقف النبى صلّى اللّه عليه و سلم (معه)؛ أى:

مع ذلك الصحابى (و لم ينصرف) صلى اللّه عليه و سلم، و يهمله، (حتّى يكون الرّجل هو الّذى ينصرف عنه) صلى اللّه عليه و سلم، و ذلك من كمال الرّفق بأصحابه.

(و إذا لقيه أحد من أصحابه فتناول)؛ أى: ذلك الصحابى (يده) صلى اللّه عليه و سلم ليصافحه (ناوله إيّاها، فلم ينزع يده منه)؛ و إن طال الزمن، (حتّى يكون الرّجل هو الذى ينزع يده منه) صلى اللّه عليه و سلم. زاد ابن المبارك فى رواية أنس: و لا يصرف وجهه عن وجهه حتّى يكون الرجل هو الذى يصرفه.

(و إذا لقى أحدا من أصحابه فتناول)؛ أى: ذلك الصحابى (أذنه) صلى اللّه عليه و سلم (أى) قرّب فمه منها (ليكلّمه سرّا)؛ قاله العزيزى، (ناوله إيّاها؛ ثمّ لم ينزعها عنه حتّى يكون الرّجل هو الّذى ينزعها عنه).

قال فى العزيزى: (أى لا ينحّى أذنيه) صلى اللّه عليه و سلم (عن فمه)؛ أى: الرجل (حتّى يفرغ) ذلك (الرّجل من حديثه) على الوجه الأكمل، و هذا من أعظم الأدلّة على

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۳۰

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا لقيه الرّجل من أصحابه .. مسحه و دعا له.

محاسن أخلاقه و كماله صلّى اللّه عليه و سلم؛ كيف و هو سيّد المتواضعين، و هو القائل «و خالق النّاس بخلق حسن»!!؟

فائدة: سئل العلّامة المحقّق برهان الدين إبراهيم بن حسن الكورانى المدنى رحمه اللّه تعالى عمّا اعتاده المصلّون جماعة فى المساجد و غيرها من المصافحة خلف الصّلوات المكتوبة؟

فأجاب بما ملخّصه: بأن الإمام النووى استفتى فيها ففصّل فيها و أجاد، فقال ما معناه: المتصافحان إن لم يلتقيا قبل الدخول فى الصلاة؛ فالمصافحة مشروعة على أصلها، لأنّ أوّل اللقاء بعد السلام، و إن التقيا قبله!! فهى بدعة مباحة؛ كما قيل. انتهى. و اللّه أعلم.

(و) أخرج النسائى- بإسناد حسن؛ كما قال العزيزى- عن حذيفة بن اليمان رضى اللّه تعالى عنهما قال:

(كان صلّى اللّه عليه و سلم إذا لقيه الرّجل من أصحابه مسحه)؛ أى: مسح يده بيده- يعنى صافحه- (و دعا له).

قال المناوى: تمسّك مالك بهذا و ما أشبهه على كراهة معانقة القادم و تقبيل يده.

و قد ناظر ابن عيينة مالكا، و احتجّ عليه سفيان بأن المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم لمّا قدم جعفر من الحبشة خرج إليه فعانقه. فقال مالك: ذاك خاصّ بالنبى صلّى اللّه عليه و سلم.

فقال له سفيان: ما نخصّه بفهمنا!! انتهى.

قال الخفاجى فى «شرح الشفاء»: و المصافحة سنّة عند التلاقى، و فى الحديث: «تمام تحيّتكم بينكم المصافحة». و كانت الصحابة رضوان اللّه عليهم تفعلها، و إذا قدموا من سفر تعانقوا.

و كانت الصحابة رضى اللّه عنهم تقبّل يده أيضا، و هى مستحبّة للكبير، و كرّهها

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۳۱

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم لا يدعوه أحد من أصحابه، أو غيرهم .. إلّا قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «لبّيك».

مالك. أمّا إذا كان على وجه التّكبّر؛ فتكره. و قال النووى: إنّه مستحبّ أيضا لأهل الشرف و الصلاح، و أمّا لأهل الدنيا! فمكروه.

و قال فقهاؤنا- أى: الحنفية-: لا بأس بالمصافحة، لأنها سنّة متوارثة، لما ورد فى الحديث أيضا: «تصافحوا».

و أمّا بعد صلاة الجمعة و العيد!! فقالوا: إنّه بدعة، و هو من فعل المشايخ، كأنّهم كانوا فى الصلاة غائبين عمّن حضرهم، و من كان هذا حاله لا يكره منه.

انتهى «كلام الشهاب الخفاجى رحمه اللّه تعالى».

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و) فى «الإحياء» و «كشف الغمّة» للشعرانى:

(كان صلّى اللّه عليه و سلم لا يدعوه أحد من أصحابه، أو غيرهم؛ إلّا قال صلّى اللّه عليه و سلم: «لبّيك»)، ظاهره أنه جوابه دائما، و يحتمل أنّه كناية عن سرعة الجواب مع التعظيم؛ قاله الزرقانى.

و «لبّيك» كلمة يجاب بها المنادى، فالتلبية إجابة المنادى من دعاه؛ من «لبّ» و «ألب»: إذا أقام بمكان و لم يفارقه، فكأنّه يقول: أنا ثابت على إجابتك.

و لا تستعمل إلّا بلفظ التثنية، كأنّه قال إجابة بعد إجابة! و المراد التكثير، لقوله تعالى ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ [۴/ الملک]، و هو منصوب على المصدرية بعامل لا يظهر، و تغلب إضافته لضمير المخاطب، و قد يضاف لغيره؛ كما فصّله النّحاة.

و لا يجاب به إلّا من يعتنى بإجابته و تعظيمه، و لذا يقوله الحاج.

ففى إجابة المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم أتباعه بذلک رعاية مقامهم و تعظيمهم، و هو من خلقه العظيم؛ كما كان النبى صلّى اللّه عليه و سلم يخاطب القادم ب «مرحبا» كقوله: «مرحبا بأمّ هانئ». انتهى من الشهاب الخفاجى على «الشفاء».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۳۲

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يكنّى أصحابه و يدعوهم بالكنى، و بأحبّ أسمائهم؛ إكراما لهم، و استمالة لقلوبهم، و يكنّى من لم تكن له كنية، ...

قال العراقىّ: رواه أبو نعيم فى «دلائل النبوة» بسند واه؛ من حديث عائشة رضى اللّه تعالى عنها.

قال فى «شرح الإحياء»: لفظ أبى نعيم فى «الدلائل»: ما كان أحسن خلقا منه، ما دعاه أحد من أصحابه إلّا قال «لبّيک»!! انتهى.

(و) فى «كشف الغمّة» للإمام الشعرانى ک «الإحياء» للإمام الغزالى رحمه اللّه تعالى: (كان صلّى اللّه عليه و سلم يكنّى)- بتشديد النون- (أصحابه) أى: يجعل لهم كنى جمع كنية؛ ک «أبى تراب» و «أبى هريرة» و «أم سلمة»، (و يدعوهم) أى: يناديهم (بالكنى، و) يدعوهم (بأحبّ أسمائهم) أى: تارة، أو المراد من الأسماء ما يعمّ الأعلام و الألقاب و الكنى، و المعنى: أنّه لا ينبزهم بما يكرهونه، بل يدعوهم بما يحبّونه؛ (إكراما لهم) أى: يفعل ذلک صلّى اللّه عليه و سلم لأجل إكرامهم و تعظيمهم؛ تلطّفا بهم. (و استمالة لقلوبهم)، فإنّ نداء المرء بكنيته تعظيم.

و فى «الصحيحين»؛ فى قصّة الغار؛ من حديث أبى بكر: «يا أبا بكر؛ ما ظنّک باثنين اللّه ثالثهما». و لأبى يعلى الموصلى؛ من حديث سعد بن أبى وقّاص؛ فقال «من هذا؛ أبو إسحاق»؟! فقلت: نعم.

(و يكنّى من لم تكن له كنية) بأكبر أولاده، و تارة؛ و إن لم يولد له، فكان يدعى بما كنّاه به؛ تبركا بكنيته الشريفة.

روى الحاكم؛ من حديث ابن عبّاس رضى اللّه عنهما أنّه قال لعمر:

«يا أبا حفص؛ أ يضرب وجه عمّ رسول اللّه»!! صلى اللّه عليه و سلم. قال عمر: إنّه لأوّل يوم كنّانى فيه ب «أبى حفص». و قال: صحيح على شرط مسلم.

و فى «الصحيح»: أنّه قال لعلى: «يا أبا تراب». و للحاكم؛ من حديث رفاعة بن مالک: «إنّ أبا حسن وجد مغصا فى بطنه ...» الحديث. يريد عليّا.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۳۳

و يكنّى النّساء اللّاتى لهنّ الأولاد، و اللّاتى لم يلدن؛ يبتدئ لهنّ الكنى، و يكنّى الصّبيان، فيستلين به قلوبهم.

و له أيضا؛ من حديث ابن مسعود: أنّ النبى صلّى اللّه عليه و سلم كنّاه «أبا عبد الرحمن»؛ و لم يولد له.

و أخرج الطبرانىّ؛ عن ابن مسعود رضى اللّه عنه قال: كنّانى النبى صلّى اللّه عليه و سلم «أبا عبد الرحمن» قبل أن يولد لى. و سنده صحيح.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و روى الترمذىّ؛ من حديث أنس قال: كنّانى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: ب «بقلة» كنت أجتنيها- يعنى «أبا حمزة»، و قال: حديث غريب.

و لابن ماجه: إنّ عمر قال لصهيب مالك! تكتنى و ليس لك ولد؟! قال:

كنّانى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ب «أبى يحيى».

و للطبرانى؛ من حديث أبى بكرة: تدلّيت ب «بكرة» من حصن الطائف، فقال النبى صلّى اللّه عليه و سلم: «فأنت أبو بكرة».

(و) كان صلّى اللّه عليه و سلم (يكنّى النّساء اللّاتى لهنّ الأولاد، و اللّاتى لم يلدن؛ يبتدئ لهنّ الكنى). روى الحاكم؛ من حديث أمّ أيمن؛ فى قصة شربها بول النبى صلّى اللّه عليه و سلم، فقال: «يا أمّ أيمن» قومى إلى تلك الفخّارة ... الحديث.

و لابن ماجه؛ من حديث عائشة رضى اللّه عنها أنّها قالت للنبىّ صلّى اللّه عليه و سلم: كلّ أزواجك كنّيت غيرى!! قال: «فأنت أمّ عبد اللّه» و فيه «مولى الزبير»؛ لم يسمّ!! و روى أبو داود بإسناد صحيح نحوه.

(و يكنّى الصّبيان، فيستلين به قلوبهم) ففى البخارىّ؛ من حديث أمّ خالد أنّ النبى صلّى اللّه عليه و سلم قال لها: «يا أمّ خالد؛ هذا سناه»! و كانت صغيرة.

و فى «الصحيحين»؛ من حديث أنس أنّ النبى صلّى اللّه عليه و سلم قال لأخ له صغير:

يا أبا عمير؛ ما فعل النّغير»؟.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا مرّ على الصّبيان .. سلّم عليهم، ثمّ باسطهم. و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا قدم من سفر .. تلقّى بصبيان أهل بيته.

و فيه دليل على جواز تكنية من لا- ولد له على عادة العرب؛ تفاؤلا بأن يعمّر و يرزق أولادا؛ خلافا لمن منع ذلك، و قال: إنّه خلاف الواقع؛ فهو كذب.

و عن بعض السلف: بادروا أولادكم بالكنى قبل أن تغلب عليهم الألقاب، و كره بعضهم تكنية المرء نفسه إلا لقصد التّعريف.

و قال النووىّ: يجوز تكنية الكافر بشرطين:

الأول: أن لا يعرف إلا بكنيته.

الثانى: أن يخاف من ذكر اسمه فتنة، فالأول ك «أبى طالب»، و الثانى ك «أبى حباب» لابن سلول! و فيه نظر. و قد تكون لأمر آخر ك «أبى لهب»، فإنه إشارة إلى أنّه جهنّمىّ. و قيل: كنّى بذلك!! لحسن وجهه. و اللّه أعلم؛ ذكره الشهاب الخفاجى فى «شرح الشفاء».

(و) فى «كشف الغمّة» و «الإحياء»: (كان صلّى اللّه عليه و سلم إذا مرّ على الصّبيان) و هم يلعبون (سلّم عليهم) فيردّون عليه، (ثمّ باسطهم)؛ بنحو مسح رءوسهم.

قال فى «شرح الإحياء»: رواه الترمذى، من حديث أنس بدون قوله «ثم باسطهم».

و روى البخارىّ بلفظ: إنّه صلّى اللّه عليه و سلم مرّ على صبيان؛ فسلّم عليهم.

و روى النسائى؛ من حديثه: كان يزور الأنصار و يسلّم على صبيانهم، و يمسح رءوسهم. انتهى.

(و) أخرج الإمام أحمد، و مسلم فى «الفضائل»، و أبو داود فى «الجهاد»؛ عن عبد اللّه بن جعفر رضى اللّه تعالى عنهما قال:

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم إذا قدم من سفر تلقّى)- فعل ماض مجهول من التلقى- (بصبيان أهل بيته)، و إنّه قدم مرّة من سفر فسبق بى إليه؛ فحملنى بين

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم أرحم النّاس بالصّبيان و العيال.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يؤتى بالصّبيان فيبرّك عليهم، ...

يديه «١»، ثم جىء بأحد ابنى فاطمة إمّا حسن؛ و إمّا حسين؛ فأردفه خلفه، فدخلنا المدينة ثلاثة على دابّة.

و فى «الصحيحين» أنّ عبد اللّه بن جعفر؛ قال لابن الزبير: أتذكر حين تلقّينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم أنا و أنت؟! قال: نعم، فحملنا و تركك!. هذا لفظ مسلم، و قال:

أى: البخارىّ: إنّ ابن الزبير قال لابن جعفر. و اللّه أعلم.

قال الإمام النووىّ: هذه سنّة مستحبّة أن يتلقّى الصبيان المسافر، و أن يركبهم، و أن يردفهم و يلاطفهم أى: لا كما فعل أهل التكبّر من التباعد عن الأطفال و زجرهم، إذ المطلوب ملاطفتهم؛ و إن بلغ الشخص ما بلغ للتواضع. انتهى نقله الحفنى على «الجامع الصغير».

(و) أخرج ابن عساكر فى «تاريخه»؛ عن أنس رضى اللّه عنه قال:

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم أرحم النّاس بالصّبيان، و العيال).

قال النووى: و هذا هو المشهور. و روى: «بالعباد»!! و كلّ منهما صحيح واقع، و العيال أهل البيت و من يمونه الإنسان.

قال الزين العراقىّ: روّينا فى «فوائد أبى الدحداح»؛ عن على رضى اللّه عنه:

كان أرحم النّاس بالناس. انتهى «مناوى». و قد تقدّم.

(و) أخرج البخارىّ، و مسلم، و أبو داود؛ عن عائشة رضى اللّه عنها- إلّا التحنيك؛ فليس فى البخارى- قالت:

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم يؤتى بالصّبيان فيبرّك عليهم) أى: يدعو لهم بالبركة؛ و يقرأ عليهم الدعاء بالبركة، ذكره القاضى. و قيل: يقول «بارك اللّه عليكم».

---

(١) على الدابة.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۳۶

و يحنّكهم، و يدعو لهم.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يزور الأنصار، و يسلّم على صبيانهم، و يمسح رءوسهم.

و قال الزمخشرى: بارك اللّه فيه، و بارك له، و بارك عليه، و باركه، و برّك على الطعام، و برّك فيه؛ إذا دعا له بالبركة. قال الطّيبىّ: و «بارك عليه» أبلغ، فإنّ فيه تصويب البركات و إفاضتها من السماء. (و يحنّكهم)؛ بنحو تمر من تمر المدينة المشهود له بالبركة و مزيد الفضل. قال النّووى رحمه اللّه تعالى: اتفق العلماء على استحباب تحنيك المولود يوم ولادته بتمر، فإن تعذّر فما فى معناه، أو قريب منه من الحلو، فيمضغ المحنّك التمرة حتّى تصير مائعة بحيث تبتلع، ثم يفتح فم المولود و يضعها فيه؛ ليدخل منها شىء جوفه. و يستحبّ أن يكون المحنّك من الصالحين، و ممّن يتبرّك به؛ رجلا كان، أو امرأة. فإن لم يكن حاضرا عند المولود؟ حمل إليه.

(و يدعو لهم) بالإمداد و الإسعاد، و الهداية إلى طرق الرشاد.

(و) أخرج الترمذى، و النسائى، و ابن حبّان؛ عن أنس رضى اللّه عنه، و هو حديث صحيح؛ كما قال العراقى فى «أماليه». قال:

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم يزور الأنصار، و يسلّم على صبيانهم)، فيه ردّ على منع الحسن «١» التسليم على الصبيان (و يمسح رءوسهم)؛ أى: كان له اعتناء بفعل ذلك معهم أكثر منه مع غيرهم، و إلّا! فهو كان يفعل ذلك مع غيرهم أيضا. و كان يتعهّد أصحابه جميعا، و يزورهم. قال ابن حجر: هذا مشعر بوقوع ذلك منه غير مرّة. أى: فالاستدلال به على مشروعية السلام على الصبيان أولى من استدلال البعض بحديث «مرّ على صبيان فسلّم عليهم» فإنّها واقعة حال.

قال ابن بطّال: و فى السلام على الصبيان تدريبهم على آداب الشريعة، و طرح الأكابر رداء الكبر، و سلوك التواضع ولين الجانب. نعم؛ لا يشرع السلام على

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(۱) لعله البصری!!

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۴۳۷

و عن یوسف بن عبد اللّه بن سلام رضی اللّه تعالی عنهما قال:

سمّانی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم «یوسف»، و أقعدنی فی حجره، و مسح علی رأسی.

الصبی الوضیء، سیّما إن راهق. انتهی؛ ذکره المناوی فی «کبیره».

(و) أخرج الإمام أحمد، و الترمذی فی «الشمائل»: (عن یوسف بن عبد اللّه بن سلام)- بفتح السین و تخفیف اللام- الإسرائیلی المدنی، أبو یعقوب صحابیّ صغیر؛ و أبوه صحابیّ کبیر- و قد تقدّمت ترجمتهما- (رضی اللّه تعالی عنهما؛ قال) أی یوسف (: سمّانی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم «یوسف»، و أقعدنی فی حجره). قال الباجوری- بفتح الحاء و کسرها- و المراد به حجر الثوب؛ و هو طرفه المقدّم منه، لأن الصغیر یوضع فیه عادة، و یطلق علی المنع من التصرّف، و علی الأنثی من الخیل، و علی حجر ثمود، و علی حجر إسماعیل ... و غیر ذلک مما هو فی قول بعضهم:

رکبت حجرا و طفت البیت خلف الحجرو حزت حجرا عظیما ما دخلت الحجر

للّه حجر منعنی من دخول الحجرما قلت حجرا و لو أعطیت ملء الحجر «۱» (و مسح علی رأسی). زاد الطبرانی: و دعا لی بالبرکة. و فی الحدیث: بیان تواضعه، و کمال رحمته، و محاسن أخلاقه. و فیه: أنّه یسنّ لمن یقتدی به؛ و یتبرّک به تسمیة أولاد أصحابه، و تحسین الاسم، و أن أسماء الأنبیاء من

---

(۱) (رکبت حجرا)؛ فرسا أنثی (و طفت البیت خلف الحجر)؛ حجر سیّدنا إسماعیل، و الطواف یکون خلفه؛ لأنّه من الکعبة، داخل فی أصل بناءها، (و حزت حجرا عظیما)؛ الحجر هنا: العقل؛ أی: أعطیت عقلا عظیما (ما دخلت الحجر)؛ أی: حجر سیّدنا إسماعیل. (للّه حجر)؛ أی: منع، فالحجر أیضا: المنع (منعنی من دخول الحجر)؛ حجر سیّدنا إسماعیل؛ و سبب الحجر- أی: المنع- سبق، و هو کونه من الکعبة. (ما قلت حجرا)؛ أی: حراما؛ فالحجر و الحجر و الحجر و المحجر، کلّ ذلک: الحرام- و الکسر أفصح- (و لو أعطیت ملء الحجر)؛ أی: ما قلت حراما و لو أعطیت خیرات کثیرة.

و البیتان من البحر البسیط. و إنّما سکّنت الراء، و حرّکت الجیم بالکسر فی کلمة (حجر) فی رویّ و قافیة البیتین؛ لأجل الوزن.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۴۳۸

و کان صلّی اللّه علیه و سلّم یلاعب زینب بنت أمّ سلمة، و یقول:

«یا زوینب؛ یا زوینب» (مرارا).

و کان صلّی اللّه علیه و سلّم یرکب الحسن و الحسین علی ظهره، و یمشی علی یدیه و رجلیه، و یقول: «نعم الجمل جملکما، و نعم العدلان أنتما»، و ربّما فعل ذلک بینهما، و هما علی الأرض.

و دخل الحسن- و هو صلّی اللّه علیه و سلّم قد سجد- فرکب علی ظهره، فأبطأ فی سجوده حتّی نزل الحسن، فلمّا فرغ .. قال له بعض أصحابه: ...

الأسماء الحسنة، و وصفه بالحجر؛ قاله المناوی.

(و) أخرج الضیاء المقدسیّ فی «المختارة»؛ عن أنس بن مالک رضی اللّه عنه- و هو حدیث صحیح؛ کما فی العزیزی- قال: (کان) رسول اللّه (صلی اللّه علیه و سلم یلاعب زینب بنت أمّ سلمة) زوجته صلّی اللّه علیه و سلم، و زینب بنتها من أبی سلمة، فهی «ربیبته صلّی اللّه علیه و سلم»؛ أی: بنت زوجته (و یقول: «یا زوینب ..

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

يـا زوينب)- بالتصغير- (مرارا)، لأنّ اللّه جبله على التواضع و الإيناس، و طهّر قلبه من الكبر و الفحش؛ بشقّ الملائكـة صـدره المرّات العديدة عند تقلبه فى الأطوار المختلفة، و إخراج ما فى قلبه ممّا جبل عليه النوع الإنسانى، و غسله و امتلائه من الحكم و العلوم.

(و) فى «كشف الغمة» للعارف الشعرانى رحمه اللّه تعالى: (كان صلّى اللّه عليه و سلم يركب الحسن و الحسين على ظهره، و يمشى على يديه و رجليه، و يقول: «نعم الجمل جملكما، و نعم العدلان أنتما». و ربّما فعل ذلک بينهما، و هما على الأرض!) لم أقف على من خرّجه!!

(و) فى «المواهب اللّدنّية» للعلامة القسطلانى: (دخل الحسن) بن علىّ رضى اللّه تعالى عنهما (و هو صلّى اللّه عليه و سلم) يصلّى (قد سجد، فركب على ظهره؛ فأبطأ فى سجوده حتّى نزل الحسن، فلمّا فرغ؛ قال له بعض أصحابه:

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۳۹

يا رسول اللّه؛ قد أطلت سجودک؟

قال: «إنّ ابنى ارتحلنى فكرهت أن أعجله»؛ أى: جعلنى كالرّاحلة، فركب على ظهرى.

و عن ابن مسعود رضى اللّه تعالى عنه: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يصلّى و الحسن و الحسين يلعبان و يقعدان على ظهره.

يا رسول اللّه؛ قد أطلت سجودک؟! قال: «إنّ ابنى ارتحلنى فكرهت أن أعجله» «۱»؛ أى: جعلنى كالرّاحلة؛ فركب على ظهرى).

فى «جمع الفوائد» للردانى رحمه اللّه تعالى ما نصّه:

عبد اللّه بن شدّاد عن أبيه: خرج علينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فى إحدى صلاتى العشىّ؛ و هو حامل حسنا؛ أو حسينا. فتقدّم صلّى اللّه عليه و سلم فوضعه، ثمّ كبر للصّلاة، فصلى فسجد بين ظهرانى صلاته سجدة أطالها؛ فرفعت رأسى؛ فإذا الصبىّ على ظهر النبى صلّى اللّه عليه و سلم و هو ساجد، فرجعت إلى سجودى، فلما قضى الصلاة؛ قال النّاس:

يا رسول اللّه؛ إنّک سجدت بين ظهرانى صلاتک سجدة أطلتها؛ حتّى ظننّا أنّه قد حدث أمر!! و أنّه يوحى إليك!! قال: «كلّ ذلک لم يكن، و لكنّ ابنى ارتحلنى فكرهت أن أعجله حتّى يقضى حاجته». للنسائى رحمه اللّه تعالى.

و فى «الإصابة» لابن حجر رحمه اللّه تعالى فى ترجمة الحسن؛ عن عبد اللّه بن الزبير قال: رأيت الحسن يجىء و النبى صلّى اللّه عليه و سلم ساجد؛ فيركب رقبته- أو قال: ظهره- فما ينزله حتّى يكون هو الذى ينزل، و لقد رأيته يجىء؛ و هو راكع فيفرج له بين رجليه حتّى يخرج من الجانب الآخر.

(و) أخرج أبو نعيم فى «الحلية» بإسناد حسن؛ (عن ابن مسعود رضى اللّه تعالى عنه) قال:

(كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يصلّى و الحسن و الحسين يلعبان و يقعدان على ظهره) فى

---

(۱) أعجله: أستحثّه على العجلة- بفتح الهمزة و الجيم-.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۴۰

و كان أبو هريرة رضى اللّه تعالى عنه يقول: رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و قد أخذ بيد الحسن بن علىّ، و وضع رجليه على ركبتيه و هو يقول: «ترقّ .. ترقّ، عين بقّه ... حزقّة حزقّه».

قال فى «لسان العرب»: ...

حال السجود، و كان يطيل السّجود لطفا بهما.

و لا يقال «إن هذه الحالة تنافى كمال الخشوع المطلوب»!! لأنّه صلّى اللّه عليه و سلم أكمل النّاس خشوعا و حضورا بقلبه مع ربّه؛ و إن كان ظاهره مع الخلق، كما أنّ خلفاءه كذلک فلا حاجة للجواب: بأنّ ذلک للتشريع؛ قاله الحفنى فى «حاشية الجامع الصغير».

(و) فى «كشف الغمّة» للإمام الشعرانى رحمه اللّه تعالى:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(كان أبو هريرة رضى اللّه تعالى عنه؛ يقول: رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و قد أخذ بيد الحسن) السّبط (بن علىّ) بن أبى طالب (و وضع رجليه)- أى: رجلى الحسن (على ركبتيه) صلى اللّه عليه و سلم (و هو يقول: «ترقّ .. ترقّ»- أى: اصعد- (عين بقّه)- بفتح الباء الموحّدة، و تشديد القاف- (حزقّة)- بضمّ الحاء المهملة و الزاى، و تشديد القاف؛ مرفوع على أنّه خبر مبتدأ محذوف تقديره: أنت حزقّه-.

و (حزقّه) الثانى كذلك، أو أنّه خبر مكرّر، و من لم ينوّن «حزقة» أراد «يا حزقه» فحذف حرف النداء؛ و هو من الشذوذ، كقولهم «أطرق كرا»؛ لأن حرف النداء إنما يحذف مع العلم المضموم، أو المضاف؛ قاله فى «النهاية».

(قال) أى: الإمام العلّامة اللغوى الحجّة: أبو الفضل جمال الدين محمد ابن الإمام جلال الدين أبى العزّ مكرم ابن الشيخ نجيب الدين المعروف ب «ابن منظور» الأنصارى الخزرجى، الإفريقى المصرى، المولود سنة: ۶۳۰، و المتوفى سنة:

۷۱۱، هجرية رحمه اللّه تعالى (فى) كتاب («لسان العرب») فى مادة حزق:

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۴۱

(و فى الحديث أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم كان يرقّص الحسن أو الحسين؛ و يقول: «حزقّة .. حزقّه، ترقّ عين بقّه».

(الحزقّة): الضّعيف الّذى يقارب خطوه من ضعف، فكان يرقى حتّى يضع قدميه على صدر النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم.

قال ابن الأثير: ذكرها له على سبيل المداعبة و التّأنيس له.

و (ترقّ) بمعنى: اصعد.

و (عين بقّة): كناية عن صغر العين) انتهى.

(و فى الحديث أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم كان يرقّص)- بالتثقيل- (الحسن، أو الحسين)- بالشكّ- (و يقول) فى حال ترقيصهما-(: «حزقّة)- بالتنوين و الرفع- (حزقّة)- ينبغى أن يقرأ بالوقف على الهاء لأجل السّجع- (ترقّ)- بتشديد القاف؛ أى: اصعد- (عين بقّه»)- بالوقف على الهاء.

(الحزقّه) بوزن عتلّه (: الضّعيف الّذى يقارب خطوه من ضعف) فى بدنه، و قيل: القصير العظيم البطن، (فكان) الغلام (يرقى حتّى يضع قدميه على صدر النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم).

(قال) العلّامة الحافظ مجد الدين (ابن الأثير) أبو السعادات: مبارك بن أبى الكرم؛ محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى الجزرى، المولود سنة: ۵۴۴، المتوفى سنة: ۶۰۶ رحمه اللّه تعالى.

قال فى «كتاب النهاية»: (ذكرها)، أى: هذه الكلمات (له) أى: للغلام (على سبيل المداعبة): الملاعبة (و التّأنيس له.

و ترقّ): فعل أمر (بمعنى اصعد)؛ من الصعود، أى: العلوّ (و عين بقّة:

كناية عن صغر العين. انتهى) أى: كلام «لسان العرب» ملخصا.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۴۲

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يكرم أهل الفضل فى أخلاقهم، و يتألّف أهل الشّرف بالإحسان إليهم، و كان يكرم ذوى رحمه، و يصلهم من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يكرم بنى هاشم.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم من أشدّ النّاس لطفا بالعبّاس.

(و) فى «كشف الغمّة» للعارف الشعرانى ك «الإحياء» للإمام الغزالى رحمه اللّه تعالى: (كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يكرم أهل الفضل فى أخلاقهم، و يتألّف أهل الشّرف بالإحسان إليهم). روى الترمذىّ فى «الشمائل»؛ من حديث علىّ الطويل؛ فى صفته صلّى اللّه عليه و سلم: و كان من سيرته إيثار أهل الفضل بإذنه، و قسمه على قدر فضلهم فى الدين، و فيه: و يؤلّفهم و لا ينفّرهم، و

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

يكرم كريم كلّ قوم، و يولّيه عليهم ... الحديث المتقدّم.

و للطبرانىّ؛ من حديث جرير فى قصة إسلامه: فألقى إلىّ كساء، ثم أقبل على أصحابه؛ ثم قال: «إذا أتاكم كريم قوم؛ فأكرموه». و رواه الحاكم؛ من حديث معبد بن خالد الأنصارى نحوه؛ و قال: صحيح الإسناد.

(و كان يكرم ذوى رحمه و يصلهم)؛ أى: يحسن إليهم و يعطف عليهم، و إن بعدوا عنه، أو أساءوا إليه (من غير أن يؤثرهم) أى: يخصّهم و يقدّمهم (على من هو أفضل منهم) من الناس؛ عدلا منه، و إعطاء لكل ذى حقّ حقّه، و هذا أيضا من حسن العهد.

(و) فى «كنوز الحقائق» للمناوى؛ و رمز برمز الخطيب: (كان صلّى اللّه عليه و سلم يكرم بنى هاشم).

(و) فى «كنوز الحقائق» أيضا؛ و رمز له ابن عساكر: (كان صلّى اللّه عليه و سلم من أشدّ النّاس لطفا بالعبّاس).

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۴۳

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يجلّ العبّاس إجلال الولد للوالد.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يبدأ من لقيه بالسّلام، ...

و روى الحاكم فى «الفضائل»، و كذا ابن حبّان فى «صحيحه»؛ عن عمر بن الخطّاب رضى اللّه تعالى عنه أنّه صلّى اللّه عليه و سلم كان يرى للعبّاس ما يرى الولد لوالده؛ يعظّمه و يفخّمه و يبرّ قسمه. قال المناوى:

و أصل هذا أنّ عمر لما أراد أن يستسقى عام الرّمادة خطب؛ فقال: أيّها النّاس؛ إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم كان يرى للعبّاس ما يرى الولد لوالده، فاقتدوا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم! و اتّخذوا العبّاس وسيلة إلى اللّه تعالى، فما برحوا حتّى سقاهم اللّه تعالى.

(و) أخرج الحاكم فى (المناقب)؛ عن ابن عبّاس رضى اللّه تعالى عنهما- و قال: صحيح، و أقرّه الذهبى- أنّه (كان صلّى اللّه عليه و سلم يجلّ العبّاس) عمّه (إجلال الولد للوالد)؛ لأنّه فى مقام الأب، لكونهما من أصل واحد، و لذا كان صلّى اللّه عليه و سلم يقول: «إنّما عمّ الرّجل صنو أبيه» أى: فهو كصنو النخلة فى كونها من أصل واحد، فهو بمنزلة الوالد فى التعظيم و التوقير و الإكرام.

و تمام الحديث؛ كما فى «المستدرك»: خاصّة خصّ اللّه بها العبّاس من بين النّاس».

(و) فى «الإحياء»: (كان صلّى اللّه عليه و سلم يبدأ من لقيه بالسّلام) «من» تفيد العموم، أى: كلّ أحد لقيه؛ صغيرا أو كبيرا من المسلمين! إلّا فى مواضع لا يستحبّ السّلام فيها، و أما الكفرة! فلا يسلّم عليهم، و جوّز بعضهم ابتداءهم بالسّلام أيضا؛ قاله الخفاجى.

و هذه السّنّة أفضل من الفريضة، لما فيه من التواضع و التسبّب لأداء الواجب.

و هذا رواه الترمذىّ؛ من حديث هند بن أبى هالة: يسوق أصحابه و يبدأ من لقيه بالسّلام.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۴۴

و إذا أخذ بيده .. سايره حتّى يكون ذلك هو المنصرف.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا ودّع رجلا .. أخذ بيده، فلا ينزعها حتّى يكون الرّجل هو الّذى يدع يده، و يقول: «أستودع اللّه دينك، و أمانتك، و خواتيم عملك».

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم لا يجلس إليه أحد و هو يصلّى .. إلّا

(و إذا أخذ بيده سايره حتّى يكون ذلك هو المنصرف).

روى ابن ماجه؛ من حديث أنس رضى اللّه عنه: كان إذا لقى الرّجل فكلّمه لم يصرف وجهه حتّى يكون هو المنصرف. و قد مرّت أحاديث نحو هذا.

(و) أخرج الإمام أحمد، و الترمذىّ، فى «الدعوات»، و النسائى، و ابن ماجه، و الحاكم فى «الحج»، و أخرجه أيضا الضياء فى «المختارة»؛ من طريق الترمذىّ؛ كلّهم عن ابن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنهما قال:

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم إذا ودّع رجلا أخذ بيده فلا ينزعها)؛ أى: يتركها (حتّى يكون الرّجل هو الّذى يدع يده، و

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

يقول) مودّعا له: («أستودع اللّه دينك و أمانتك) قال الشرف المناوى رحمه اللّه تعالى فى «أماليه»:

الأمانة هنا: ما يخلّفه الإنسان فى البلد التى سافر منها. انتهى؛ نقله عنه حفيده المناوى فى «شرح الجامع الصغير».

(و خواتيم عملك»)، لأن العبرة فى العمل بخواتيمه؛ أى: أكل كلّ ذلك منك إلى اللّه تعالى، و أتبرّأ من حفظه، و أتخلّى من حراسته، و أتوكّل عليه سبحانه، فإنّه وفىّ حفيظ؛ إذا استودع شيئا حفظه، و من توكّل عليه كفاه و لا قوّة إلّا باللّه.

(و) فى «كشف الغمة» ك «الإحياء» و «الشفاء»: (كان صلّى اللّه عليه و سلم لا يجلس إليه أحد)؛ أى: لا يجلس متوجّها إليه، و المراد لا يجلس عنده صلّى اللّه عليه و سلم (و هو يصلّى إلا

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۴۵

خفّف صلاته و أقبل عليه فقال: «أ لك حاجة؟»، فإذا فرغ .. عاد إلى صلاته.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يكرم كلّ داخل عليه، حتّى ربّما بسط ثوبه لمن ليست بينه و بينه قرابة و لا رضاع، يجلسه عليه.

خفّف صلاته)، أى: أسرع فيها (و أقبل عليه؛ فقال: «أ لك حاجة»؟! فإذا فرغ) صلى اللّه عليه و سلم من كلامه و قضاء حاجته (عاد إلى صلاته) الّتى كان فيها.

قال العراقىّ فى «تخريج أحاديث الإحياء»: لم أجد له أصلا. انتهى.

و لذا قيل «لو أورد حديث «الصحيحين»: «إنّى لأقوم إلى الصّلاة أريد أن أطوّل فيها، فأسمع بكاء الصّبىّ؛ فأتجوّز فى صلاتى؛ كراهة أن أشقّ على أمّه»؛ كان أظهر، فإنّه متفق عليه، و هو فى معنى حديث «الإحياء»؛ قاله الخفاجى.

قال فى «شرح الإحياء»: قلت: لكن روى الإمام أحمد فى «مسنده»؛ عن رجل من الصحابة قال: كان ممّا يقول للخادم: «أ لك حاجة؟!».

و هذا يدلّ إذا جاءه الخادم و وجده فى الصلاة كان يخفّف؛ و يقبل عليه بالسؤال عن الحاجة، و هو من جملة مكارم الأخلاق، إذ لا يأتيه فى ذلك الوقت إلّا لحاجة، فإذا طوّل فى الصلاة فقد أوقعه فى الانتظار. انتهى.

(و) فى «كشف الغمّة» ك «الإحياء»: (كان صلّى اللّه عليه و سلم يكرم كلّ داخل عليه) بالقيام له، و يلاطفه؛ كقيامه صلّى اللّه عليه و سلم لسعد بن معاذ رضى اللّه تعالى عنه؛ قاله الخفاجى.

(حتّى ربّما بسط)؛ أى: فرش (ثوبه لمن ليست بينه و بينه قرابة و لا رضاع؛ يجلسه عليه)؛ إكراما له، و تأليفا لقلبه.

روى الحاكم و صحّح إسناده؛ من حديث أنس رضى اللّه عنه: دخل جرير بن عبد اللّه على النبى صلّى اللّه عليه و سلم .. و فيه: فأخذ بردته فألقاها إليه؛ فقال: «اجلس عليها

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۴۶

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يؤثر الدّاخل عليه بالوسادة التى تكون تحته

يا جرير ...» الحديث. و فيه: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه».

و للطبرانى فى «الكبير» من حديث جرير: فألقى إلىّ كساءه.

و لأبى نعيم فى «الحلية» فبسط إلىّ رداءه.

و أمّا من بينه و بينه قرابة!!.

فروى الخرائطىّ فى «مكارم الأخلاق» عن محمد بن عمير بن وهب «خال النبى صلّى اللّه عليه و سلم» أنّ عميرا- يعنى أباه- جاء و النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم قاعد فبسط له رداءه، فقال:

أجلس على ردائك؛ يا رسول اللّه!! قال: «نعم، فإنّما الخال والد». و إسناده ضعيف.

و يروى عن القاسم؛ عن عائشة رضى اللّه عنها أنّ الأسود بن وهب «خال النبى صلّى اللّه عليه و سلم» استأذن عليه؛ فقال: «يا خال؛ أدخل» فبسط له رداءه. و كذا وقع لأمّه و أخيه و أبيه من الرضاعة؛ كما هو مذكور فى السير. انتهى. «شرح الإحياء».

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و) فی «کشف الغمّة» و «الإحیاء»: (کان) رسول اللّه (صلی اللّه علیه و سلم یؤثر الدّاخل علیه) أی: یقدّمه علی نفسه، و یفرده (بالوسادة الّتی تکون تحته)؛ و هی فراش یجلس علیه، و کانت محشوّة باللیف؛ کما فی البخاری.

و قال عدیّ بن حاتم: دخلت علی النبی صلّی اللّه علیه و سلم فقال: «من الرّجل؟!».

فقلت: عدیّ بن حاتم. فقام و انطلق بی إلی بیته، فو اللّه؛ إنّه لعامد بی إذ لقیته امرأة ضعیفة کبیرة، و استوقفته؛ فوقف لها طویلا تکلّمه فی حاجتها. فقلت فی نفسی: و اللّه ما هذا بملک!! ثمّ مضی حتّی دخل بیته؛ فتناول و سادة کبیرة من أدم محشوّة لیفا فقذفها إلیّ؛ و قال لی: «اجلس علی هذه». فقلت بل أنت فاجلس علیها؛ فجلس علی الأرض و صارت الوسادة بینی و بینه.

فانظر لمکارم الأخلاق!! فقلت «و اللّه؛ ما هذا بملک»!!

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۴۴۷

فإن أبی أن یقبلها .. عزم علیه حتّی یقبل.

و عن أنس بن مالک رضی اللّه تعالی عنه قال: خدمت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم عشر سنین، فما قال لی: «أفّ» ...

و هذا یدلّ علی أن الوسادة فراش لا مخدّة؛ قاله الشهاب الخفاجی علی «الشفاء» رحمه اللّه تعالی.

(فإن أبی)- أی: امتنع- (أن یقبلها) أی: الوسادة حیاء من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم (عزم علیه حتّی یقبل)؛ أی: أقسم علیه أن یجلس علی وسادته بأن یقول له «باللّه اجلس أنت».

قال فی «التهذیب»: یقال «عزمت علیک لتفعلن کذا»؛ أی: أقسمت انتهی.

و هو مأخوذ من العزم؛ و هو التصمیم فی الأمر. انتهی «خفاجی».

(و) أخرج البخاریّ؛ و مسلم، و أبو داود و الترمذیّ فی «الجامع» و «الشمائل».

(عن أنس بن مالک رضی اللّه تعالی عنه؛ قال: خدمت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم)- زاد فی روایة أحمد: فی السفر و الحضر- (عشر سنین)- بسکون الشین، و یجوز فتحها- و فی مسلم: تسع سنین- و حملت علی التّحدید و الأولی- و هی أکثر الروایات- علی التقریب إلغاء للکسر، فخدمته إنّما کانت أثناء السّنة الأولی من الهجرة-.

(فما قال لی أفّ)؛ بضمّ الهمزة و تشدید الفاء مکسورة بلا تنوین، و به، و مفتوحة بلا تنوین.

فهذه ثلاث لغات قریء بها فی السّبع «۱»، و ذکر فیها بعضهم عشر لغات.

---

(۱) و هی؛ ۱- أفّ: أبو عمرو و شعبة و حمزة و الکسائی.

۲- أفّ: نافع و حفص.

۳- أفّ: ابن کثیر و ابن عامر.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۴۴۸

قطّ، و ما قال لشیء صنعته: «لم صنعته؟»، و لا لشیء ترکته:

«لم ترکته؟».

و قد ذکر أبو الحسن الکرمانیّ فیها تسعا و ثلاثین لغة، و زاد ابن عطیّة واحدة؛ فأکملها أربعین.

و نظمها السیوطیّ فی أبیات فأجاد، و قد ذکر لغاتها مفصّلة فی «التصریح شرح التوضیح» للشیخ خالد الأزهری. فراجعه.

و هی کلمة تبرّم و ملال، تقال لکلّ ما یتضجّر منه، و یستوی فیه الواحد و المثنّی و الجمع، و المذکّر و المؤنث، قال تعالی فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ [۲۳/ الإسراء].

(قطّ)- بفتح القاف و تشدید الطاء- مضمومة فی أشهر لغاتها، و هی ظرف بمعنی الزّمن الماضی، فالمعنی: فیما مضی من عمری، و

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

ربّما يستعمل بمعنى «دائما»، لكنه قد يتّفق له فعل شيء ليس على الوجه الذى أراده منه المصطفى، ففى رواية أبى نعيم: فما سبّنى قطّ، و ما ضربنى ضربة، و لا انتهرنى، و لا عبس فى وجهى، و لا أمرنى بأمر فتوانيت فيه؛ فعاتبنى عليه، فإن عاتبنى أحد قال:

«دعوه، و لو قدّر شىء كان».

(و ما قال لشىء صنعته)؛ أى: مما لا ينبغى صنعه، أو على وجه لا يليق فعله: («لم صنعته») أى: لأى شىء صنعته، (و لا لشىء تركته: «لم تركته»)؛ أى لشدّة وثوقه و يقينه بالقضاء و القدر، و لذلك زاد فى رواية: و لكن يقول: «قدّر اللّه، و ما شاء فعل» و «لو قدّر اللّه كان» و «لو قضى لكان».

فكان يشهد أنّ الفعل من اللّه؛ و لا فعل لأنس فى الحقيقة؛ فلا فاعل إلّا اللّه، و الخلق الآن وسائط، فالغضب على المخلوق فى شىء فعله أو تركه ينافى كمال التوحيد؛ كما هو مقرّر فى علم التوحيد؛ من وحدة الأفعال.

و فى ذلك بيان كمال خلقه و صبره، و حسن عشرته، و عظيم حلمه و صفحه، و ترك العقاب على ما فات، و صون اللّسان عن الزجر و الذمّ للمخلوقات، و تأليف

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۴۹

و عنه أيضا قال: خدمت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و أنا ابن ثمان سنين- خدمته عشر سنين- فما لامنى على شىء قطّ، فإن لامنى لائم من أهله .. قال: «دعوه، فإنّه لو قضى شىء .. كان».

و فى «المصابيح»: عن ...

خاطر الخادم بترك معاتبته على كلا الحالات.

و هذا كلّه فى الأمور المتعلّقة بحظّ الإنسان. و أمّا ما يتعلّق باللّه من الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر!! فلا يتسامح فيه، لأنه إذا انتهك شىء من محارم اللّه اشتدّ غضبه. و هذا يقتضى أنّ أنسا لم ينتهك شيئا من محارم اللّه، و لم يرتكب ما يوجب المؤاخذة شرعا فى مدّة خدمته له صلّى اللّه عليه و سلم.

ففى ذلك منقبة عظيمة لأنس؛ و فضيلة تامّة لحسن أدبه فى خدمته؛ مع صغر سنّه، لكنها كلّها مستفادة من بركة ملازمته للحضرة النبويّة و الطلعة البهيّة صلّى اللّه عليه و سلم.

(و) فى «المصابيح» للإمام البغوى- و قد تقدّمت ترجمته؛ فى أوّل الكتاب رحمه اللّه تعالى-؛ (عنه)؛ أى: عن أنس بن مالك رضى اللّه تعالى عنه (أيضا) مفعول مطلق؛ من «آض؛ إذا رجع» أى: ارجع إلى الرواية عن أنس رجوعا.

(قال: خدمت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و أنا ابن ثمان سنين؛ خدمته عشر سنين).

قال الحافظ ابن حجر: فى معظم الروايات عشر سنين، و فى رواية لمسلم:

و اللّه؛ لقد خدمته تسع سنين، فقال النووى: لعل ابتداء خدمة أنس فى أثناء السّنة!! ففى رواية التسع لم يجبر الكسر و اعتبر السنين الكوامل، و فى رواية العشر جبرها و اعتبرها سنة كاملة. انتهى؛ نقله فى «جمع الوسائل».

(فما لامنى على شىء قطّ) أتى فيه على يدى، (فإن لامنى لائم من أهله؛ قال: «دعوه، فإنّه لو قضى شىء كان»).

قال فى «المشكاة»: رواه البيهقىّ فى «شعب الإيمان» بتغيير يسير.

(و فى «المصابيح»)- و هو فى «صحيح مسلم»؛ و «سنن أبى داود»- (عن

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۵۰

أنس أيضا: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم من أحسن النّاس خلقا، فأرسلنى يوما لحاجة؛ فقلت: و اللّه لا أذهب- و فى نفسى أن أذهب لما أمرنى به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم- فخرجت حتّى أمرّ على صبيان و هم يلعبون فى السّوق؛ فإذا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قد قبض بقفاى من ورائى. قال: فنظرت إليه و هو يضحك، فقال: «يا أنيس؛ أذهبت حيث أمرتك؟»، قلت: نعم، أنا أذهب

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

...

أنس أيضا) قال: (كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم من أحسن النّاس خلقا) ينبغى إسقاط «من» لأنّه صلّى اللّه عليه و سلم أحسن النّاس خلقا إجماعا، فكان الأولى تركها لإيهامها خلاف ذلك؛ و إن قيل فى الجواب عن ذلك: إنها لا تنافيه!!.

لأن الأحسن المتعدّد بعضه أحسن من بعض، أو لأن «كان» للدوام و الاستمرار، فإذا كان دائما من أحسن الناس خلقا كان أحسن النّاس خلقا.

قال ملا على القارى: و كأنّ مرادهم أنّ سائر الخلق؛ و لو حسن خلقهم أحيانا ساء خلقهم زمانا، بخلاف حسن خلقه عليه الصلاة و السلام، فإنه كان على الدوام، و مع عموم النّاس؛ لا مع خصوص الناس، قال تعالى وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (۴) [القلم] و قال تعالى: وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ [۱۵۹/ آل عمران] انتهى كلام القارى و الباجورى أيضا.

(فأرسلنى يوما لحاجة؛ فقلت: و اللّه؛ لا أذهب) بحسب الظاهر، (و فى نفسى) باطنا (أن أذهب لما أمرنى به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، فخرجت) من عنده (حتّى أمرّ على صبيان و هم يلعبون فى السّوق؛ فإذا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قد قبض بقفاى من) جهة (ورائى)؛ أى: خلفى.

(قال)؛ أى أنس (: فنظرت إليه) صلى اللّه عليه و سلم (و هو يضحك، فقال: «يا أنيس) تصغير أنس (؛ أذهبت)- بالاستفهام- (حيث أمرتك»؟!) أى: المكان الذى أمرتك و أرسلتك إليه لقضاء الحاجة المذكورة. قال: (قلت: نعم، أنا أذهب)

يا رسول اللّه. و عن أنس أيضا قال: كنت أمشى مع النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم و عليه برد نجرانىّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابىّ فجبذه بردائه «۱» جبذة شديدة رجع نبىّ اللّه فى نحر الأعرابىّ، حتّى نظرت إلى صفحة عاتق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قد أثّرت فيه حاشية البرد من شدّة جبذته.

ثمّ قال: يا محمّد؛ ...

الآن (يا رسول اللّه) لقضاء حاجتك التى أرسلتنى لها.

(و) أخرج البخارىّ فى «الخمس» و «اللباس» و «الأدب»، و مسلم كلاهما (عن أنس أيضا؛ قال: كنت أمشى مع النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم و عليه برد)- بضمّ الموحّدة و سكون الراء-: نوع من الثياب. و فى رواية مسلم: رداء (نجرانىّ)- بنون مفتوحة فجيم ساكنة فراء مفتوحة؛ فألف فنون- نسبة إلى نجران: بلدة بين الحجاز و اليمن، و هى إليه أقرب؛ فلذا يقال بلدة باليمن، (غليظ الحاشية) أى:

الجانب (فأدركه أعرابىّ). قال الحافظ ابن حجر: لم أقف على تسميته. انتهى.

و سياق الحديث- كما قيل- يقتضى أنّه من المسلمين المؤلّفة قلوبهم، (فجبذه)- بتقديم الباء على الذال المعجمة- ([بردائه] جبذة شديدة رجع) بسببها (نبىّ اللّه) صلى اللّه عليه و سلم (فى نحر الأعرابىّ، حتّى نظرت إلى صفحة): جانب (عاتق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم): ما بين العنق و الكتف، أو موضع الرداء من المنكب (قد أثّرت فيه حاشية البرد من شدّة جبذته).

و فى رواية مسلم: و انشقّ البرد و ذهبت حاشيته فى عنقه.

(ثمّ قال: يا محمّد). قيل: [قبل] تحريم ندائه باسمه، أو لقرب عهد الأعرابى بالإسلام؛ فلم يتفقّه فى الدين، و فى طبعه الغلظة و الجفا، و إلّا فطلبه

---

(۱) ساقطة من الأصل. و أثبتناها من «وسائل الوصول».

مر لى من مال اللّه الّذى عندك، فالتفت إليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، ثمّ ضحك، ثمّ أمر له بعطاء.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم هينا لينا، ليس بفظّ و لا غليظ.

و عن عائشة أمّ المؤمنين رضى اللّه تعالى عنها أنّها قالت: ...

العطاء من مال اللّه يدلّ على أنّه مسلم.

(مر لى)- و لمسلم: أعطنى- (من مال اللّه الّذى عندك!! فالتفت إليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، ثمّ ضحك، ثمّ أمر له بعطاء). و هو تحميل بعيريه؛ كما سيأتى فى حديث أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه.

و فى هذا بيان حلمه عليه الصلاة و السلام، و صبره على الأذى فى النفس و المال، و التجاوز عن جفاء من يريد تألّفه على الإسلام.

(و) فى «كشف الغمة» للعارف الشعرانى رحمه اللّه تعالى: (كان صلّى اللّه عليه و سلم هينا)؛ أى: سهلا (لينا) فى أخلاقه، و كلاهما بالتّشديد و التخفيف.

قال ابن الأعرابى: العرب تمدح بالهين اللين مخفّف، و تذمّ بالهيّن اللّين مشدّد. و فى الحديث «المسلمون هينون لينون» جعله مدحا لهم.

و قال غير ابن الأعرابى: هما بمعنى واحد؛ قاله فى «شرح القاموس».

و قال فى «المصباح»: و أكثر ما جاء المدح بالتخفيف. انتهى.

(ليس بفظّ) أى: ليس بسيّئ الخلق، (و لا غليظ) قلبه بحيث يكون جافى الطبع قاسى القلب، قال تعالى وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ [۱۵۹/ آل عمران]. رواه الترمذى فى «الشمائل» فى حديث الحسن الطويل، و فيه:

سهل الخلق لين الجانب، ليس بفظّ و لا غليظ ... الحديث.

(و) روى الترمذىّ فى «جامعه» و «شمائله» برجال ثقات؛ (عن عائشة أمّ المؤمنين رضى اللّه تعالى عنها؛ أنّها قالت)- و قد سئلت عن خلقه صلّى اللّه عليه و سلم قالت-:

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۵۳

لم يكن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فاحشا، و لا متفحّشا، و لا صخّابا فى الأسواق، ...

(لم يكن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فاحشا)؛ أى: ذا فحش طبعا؛ فى أقواله و أفعاله و صفاته. و الفحش: ما خرج عن مقداره حتّى يستقبح، و استعماله فى القول أكثر.

(و لا متفحّشا) أى: متكلّفا الفحش فى أقواله و أفعاله و صفاته، فالمقصود نفى الفحش عنه صلّى اللّه عليه و سلم طبعا و تكلّفا، إذ لا يلزم من نفى الفحش من جهة الطبع نفيه من جهة التطبّع، و كذا عكسه فمن ثمّ تسلّط النفى على كلّ منهما. فهذا من بديع الكلام.

و فى البخارى فى «الصفة النبوية» و «الأدب»، و مسلم فى «الفضائل»، و الترمذىّ فى «البر» من حديث عبد اللّه بن عمرو بن العاصى رضى اللّه عنهما قال:

لم يكن النبى صلّى اللّه عليه و سلم فاحشا و لا متفحّشا ... الحديث. فتوارد عبد اللّه بن عمرو مع عائشة على نفى الصفتين دليل ظاهر على أنّ ذلك جبلّته مع الأهل و الأجانب.

(و لا صخّابا)- بالصاد المهملة المشدّدة- أى: لم يكن ذا صخب (فى الأسواق)، فصيغة «فعال»- بالتشديد- للنّسب؛ كتمّار و لبّان، فيفيد التركيب حينئذ نفى الصّخب من أصله؛ على حدّ قوله تعالى وَ ما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (۴۶) [فصلت] أى: بذى ظلم.

و ليس صيغة «فعّال» للمبالغة!! لئلا يفيد التركيب حينئذ نفى كثرة الصخب فقط، فالمعنى: و لا صيّاحا فى الأسواق، و إذا لم يكن فى الأسواق كذلك فغيرها أولى.

و قد جاء سخّابا- بالسين المهملة أيضا؛ على ما ذكره ميرك- من السّخب بفتحتين؛ كالصخب، و «فى» ظرفية، و الأسواق جمع سوق؛ سمّيت بذلك!! لسوق الأرزاق إليها، أو لقيام النّاس فيها على سوقهم.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۴۵۴

و لا یجزی بالسّیّئة السّیّئة، و لکن یعفو و یصفح.

و (الصّخب): شدّة الصّوت.

و فی «الإحیاء»: ...

(و لا یجزی)- بفتح الیاء التحتیة من غیر همزة فی آخره؛ بزنة «یرمی» أی:

لا یکافئ (بالسّیّئة) التی یفعلها الغیر معه (السّیّئة) التی یفعلها هو مع الغیر؛ مجازاة له، فالباء للمقابلة.

و تسمیة الّتی یفعلها هو مع الغیر مجازاة له «سیئة»!! من باب المشاکلة؛ کما فی قوله تعالی وَ جَزاءُ سَیِّئَةٍ سَیِّئَةٌ مِثْلُها [۴۰/ الشوری]، و إشارة إلی أنّ الأولی العفو و الإصلاح، و لذلک قال تعالی فَمَنْ عَفا وَ أَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَی اللَّهِ [۴۰/ الشوری].

(و لکن) استدراک لدفع ما قد یتوهّم أنّه ترک الجزاء عجزا؛ أو مع بقاء الغضب!! فصرّحت عائشة رضی اللّه تعالی عنها بأنّه مع القدرة؛ فقالت:

(یعفو) أی: یعامل الجانی معاملة العافی، بأن لا یظهر له شیئا مما تقتضیه الجنایة، (و یصفح): یظهر له أنّه لم یطلع علی شیء من ذلک، أو المراد یعفو بباطنه؛ و یصفح یعرض بظاهره، و ذلک منه طبعا و امتثالا، لقوله تعالی فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اصْفَحْ [۱۳/ المائدة] و أصله من الإعراض بصفحة العنق عن الشیء؛ کأنه لم یره.

و حسبک من عفوه و صفحه عن أعدائه الّذین حاربوه، و بالغوا فی إیذائه حتّی کسروا رباعیته و شجّوا وجهه!. و ما من حلیم؛ إلّا و قد عرفت له زلّة أو هفوة تخدش فی کمال حلمه؛ إلّا المصطفی صلّی اللّه علیه و سلم، فلا یزیده الجهل علیه و شدّة إیذائه إلّا عفوا و صفحا انتهی «باجوری». قال:

(و الصّخب)- محرّکا- (: شدّة الصوت) یقال: صخب کفرح؛ فهو صخّاب و هی صخّابة. انتهی

(و فی «الإحیاء») أی: کتاب «إحیاء علوم الدین» للإمام الغزالی رحمه اللّه تعالی:

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۴۵۵

قد وصفه اللّه تعالی فی «التّوراة» قبل أن یبعثه فقال: محمّد رسول اللّه عبدی المختار؛ لا فظّ، و لا غلیظ، و لا صخّاب فی الأسواق، و لا یجزی بالسّیّئة السّیّئة، ... منتهی السؤل، اللحجی ج۲ ۴۵۵ الفصل الأول فی صفة خلقه صلی الله علیه و سلم و حلمه ..... ص : ۳۰۶

(قد وصفه اللّه تعالی فی «التّوراة») الّذی أنزل علی موسی- علی نبیّنا و علیه الصلاة و السلام- (قبل أن یبعثه) بمدّة طویلة فی السّفر الأوّل؛ (فقال محمّد رسول اللّه عبدی المختار)؛ أی: اخترته من بین عبادی، (لا فظّ)- بفتح الفاء و تشدید الظاء المعجمة- و هو من الرجال: سیّئ الخلق، (و لا غلیظ)؛ هو:

الجافی الطبع القاسی القلب، و لا- ینافیه قوله تعالی وَ اغْلُظْ عَلَیْهِمْ [۷۳/ التوبة]!! لأنّ النفی بالنسبة للمؤمنین؛ و الأمر بالنسبة للکفار و المنافقین، کما هو مصرّح به فی الآیة. أو النفی محمول علی طبعه؛ و الأمر محمول علی المعالجة.

قال العلّامة ملا علی قاری رحمه اللّه تعالی:

و فیه نکتة لطیفة؛ و هی: أنّه کانت صفة الجمال من الرحمة و اللّین غالبة علیه حتّی احتاج بمعالجة الأمر إلیه. انتهی.

(و لا صخّاب)؛ من الصّخب- بالصاد و السین و الخاء المعجمة- محرّکة؛ هو الضّجر و اضطراب الأصوات للخصام. و قیل: غیر ذلک.

(فی الأسواق) لأنّه لیس ممّن ینافس فی الدنیا و جمعها؛ حتّی یحضر الأسواق لذلک؛ فذکرها إنّما هو لکونها محلّ ارتفاع الأصوات لذلک؛ لا لإثبات الصّخب فی غیرها، أو لأنّه إذا انتفی فیها انتفی فی غیرها بالأولی.

و المراد بالمبالغة هنا أصل الفعل. و قد تقدّم قریبا الکلام علی ذلک.

(و لا یجزی) بوزن: یرمی (بالسّیّئة السّیّئة)- بالنصب-، و لما کان ذلک موهما أنّه ترک الجزاء عجزا؛ استدرکه بقوله:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۵۶

و لكن يعفو و يصفح، مولده بمكّة، و هجرته بطابة، و ملكه بالشّام، يأتزر على وسطه، هو و من معه دعاة للقرآن و العلم، يتوضّأ على أطرافه.

(و لكن يعفو) بباطنه، (و يصفح): يعرض بظاهره، امتثالا لقوله تعالى فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (۱۳) [المائدة].

(مولده بمكّة) فى سوق الليل؛ محلّ معروف هناك، و قد جعل الآن خزانة للكتب العلمية الدينية؛ تابع لوزارة الأوقاف (و هجرته بطابة)، و هو من أسماء المدينة المنورة، (و ملكه بالشّام)، المراد به الإقليم المعروف، و قد صارت المملكة الإسلامية كلّها عاصمتها دمشق الشام فى زمن سيّدنا معاوية بن أبى سفيان رضى اللّه تعالى عنهما، ثم من بعده خلفاء بنى أمية.

(يأتزر على وسطه) أى: يستعمل الإزار؛ كما هو عادة العرب.

(هو و من معه) من أصحابه (دعاة)؛ جمع داع- بالدال المهملة- أى:

يدعون النّاس. و فى «الإحياء»- بالراء-: رعاة (للقرآن و العلم) أى: حملة لهما، و حفظة يرعونهما حقّ الرّعاية بالحفظ و الفهم و العمل بما فيه.

(يتوضّأ على أطرافه) أى: يغسل أطرافه عند الوضوء.

قال فى «شرح الإحياء»: أخرج البيهقىّ فى «الدّلائل» عن عطاء بن يسار؛ قال: لقيت عبد اللّه بن عمرو بن العاصى؛ فقلت له: أخبرنى عن صفة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فى «التوراة»، فقال: أجل و اللّه؛ إنّه لموصوف فى «التوراة» ببعض صفته فى القرآن: «يا أيّها النّبىّ؛ إنّا أرسلناك شاهدا و مبشّرا و نذيرا و حرزا للأمّيّين، أنت عبدى و رسولى، سمّيتك المتوكّل، ليس بفظّ و لا غليظ، و لا صخب بالأسواق، و لا يدفع السّيّئة بالسّيّئة، و لكن يعفو و يغفر ...

الحديث، و فى لفظ له: و لا صخّاب فى الأسواق، و فيه: و لكن يعفو و يصفح».

رواه البخارىّ عن محمّد بن سنان عن فليح.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۵۷

و كذلك نعته فى «الإنجيل».

و رواه البيهقى نحو ذلك؛ من حديث عبد اللّه بن سلام و كعب الأحبار. و فيه:

و لكن يعفو و يغفر و يتجاوز.

و من طريق محمّد بن ثابت بن شرحبيل عن أمّ الدرداء أنّها سألت كعبا عن صفته صلّى اللّه عليه و سلم فى «التوراة»؛ فقال: نجده «محمّد رسول اللّه اسمه المتوكّل، ليس بفظّ و لا غليظ، و لا صخّاب فى الأسواق» ... الحديث.

و رواه من طريق المسيّب؛ عن نافع؛ عن كعب: قال اللّه عزّ و جلّ لمحمّد صلّى اللّه عليه و سلم «عبدى المتوكّل المختار؛ ليس بفظّ و لا غليظ، و لا صخّاب فى الأسواق، و لا يجزى بالسّيّئة السّيّئة، و لكن يعفو و يصفح».

و أخرجه البيهقىّ؛ من طريق عمر بن الحكم بن رافع بن سنان عن بعض عمومته و آبائه: أنّه كانت عندهم ورقة يتوارثونها عن الجاهلية حتّى جاء اللّه بالإسلام، و فيها: «لأمّة تأتى فى آخر الزّمان يبلّون أطرافهم، و يتّزرون على أوساطهم» ...

الحديث.

(و كذلك نعته فى «الإنجيل») من جهة بعثته و مهاجرته و ما خصّه اللّه من أوصافه. أخرج البيهقىّ فى «الدلائل»؛ من طريق العيزار بن حريث؛ عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت:

إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم مكتوب فى «الإنجيل»: «لا فظّ و لا غليظ، و لا صخّاب بالأسواق؛ و لا يجزى بالسّيّئة مثلها، بل يعفو و يصفح».

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و قد ذكر ذلك صاحب «الشفاء» و غيره، و أوسع شرّاحه الكلام فيه.

و روى الترمذىّ فى «الشمائل»؛ من حديث عائشة رضى اللّه تعالى عنها:

لم يكن فاحشا و لا متفحّشا، و لا سخّابا فى الأسواق، و لا يجزى السيّئة بالسيئة، و لكن يعفو و يصفح! و قد تقدّم.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۵۸

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم لا يجفو على أحد، و لو فعل معه ما يوجب الجفاء. و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يقبل معذرة المعتذر إليه، و لو فعل ما فعل.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا آذاه أحد .. يعرض عنه، و يقول:

«رحم اللّه أخى موسى، قد أوذى بأكثر من هذا فصبر».

(و) فى «كشف الغمّة» للإمام الشعرانى رحمه اللّه تعالى:

(كان صلّى اللّه عليه و سلم لا يجفو على أحد، و لو فعل معه ما يوجب الجفاء).

روى أبو داود، و الترمذىّ فى «الشمائل»، و النسائى فى «اليوم و الليلة»؛ من حديث أنس رضى اللّه عنه: قلّما يواجه رجلا بشىء يكرهه. و فيه ضعف.

و للشيخين؛ من حديث أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه أنّ رجلا استأذن عليه صلّى اللّه عليه و سلم؛ فقال: «بئس أخو العشيرة». فلمّا دخل ألان له القول ...

الحديث .. و سيأتى.

(و) فى «كشف الغمّة» ك «الإحياء»: (كان صلّى اللّه عليه و سلم يقبل معذرة المعتذر إليه؛ و لو فعل ما فعل). متّفق عليه؛ من حديث كعب بن مالك فى قصّة الثلاثة الذين خلّفوا، و فيه: طفق المخلّفون يعتذرون إليه؛ فقبل منهم علانيتهم ... الحديث.

(و) فى «كشف الغمّة» للإمام الشعرانى رحمه اللّه تعالى:

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم إذا آذاه أحد يعرض عنه) و يصفح، و لا يقابله بالجفا، بل يشفق عليه؛ (و يقول: «رحم اللّه أخى موسى)- بن عمران عليه أفضل الصلاة و السلام- (قد أوذى بأكثر من هذا فصبر») أى: آذاه قومه بأشدّ مما أوذيت به من تشديد فرعون و قومه، و إبائه عليه، و قصده إهلاكه، بل و من تعنّت من آمن معه من بنى إسرائيل حتّى رموه بالأدرة، و اتهموه بقتل أخيه هارون عليه السلام لما مات معه فى التّيه، و لما سلك بهم البحر؛ قالوا: إنّ صحبنا لا نراهم!! فقال: «سيروا

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۵۹

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يرى اللّعب المباح فلا ينكره، و ترفع عليه الأصوات بالكلام الجافى، فيحتمله و لا يؤاخذ.

فإنّهم على طريق كطريقكم». قالوا: لا نرضى حتّى نراهم. قال: «اللهم أعنّى على أخلاقهم السيّئة». ففتحت لهم كوّات فى الماء فتراءوا و تسامعوا .. إلى غير ذلك من تعنّتاتهم معه عليه الصلاة و السلام.

و كلامه صلّى اللّه عليه و سلم ذلك شفقة عليهم و نصحا فى الدين؛ لا تهديدا و تثريبا.

و سيأتى هذا الحديث مع بيان أنّه رواه الإمام أحمد، و الشيخان؛ عن ابن مسعود رضى اللّه تعالى عنه.

(و) فى «كشف الغمّة» و «الإحياء»: (كان صلّى اللّه عليه و سلم يرى اللّعب المباح فلا ينكره). و روى البخارىّ، و مسلم؛ من حديث عائشة رضى اللّه تعالى عنها فى لعب الحبشة بين يديه فى المسجد، و قال لهم: «دونكم؛ يا بنى أرفدة».

(و ترفع عليه الأصوات بالكلام الجافى فيحتمله؛ و لا يؤاخذ).

قال الحافظ العراقى: روى البخارىّ؛ من حديث عبد اللّه بن الزبير: قدم ركب من بنى تميم على النبى صلّى اللّه عليه و سلم، فقال أبو

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

بکر: أمّر القعقاع بن معبد! و قال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس! فقال أبو بکر: ما أردت إلّا خلافی. فقال عمر: ما أردت خلافک! فتماریا حتّی ارتفعت أصواتهما، فنزلت یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَیْنَ یَدَیِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ [۱/ الحجرات] انتهی.

و روی البخاریّ، و ابن المنذر، و الطبرانیّ عن ابن أبی ملیکة؛ قال: کاد الخیّران أن یهلکا: أبو بکر و عمر، رفعا أصواتهما عند النبی صلّی اللّه علیه و سلم حین قدم علیه رکب من بنی تمیم ... فساقه. و أخرجه الترمذیّ من هذا الطریق. انتهی شرح «الإحیاء».

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۴۶۰

و کان صلّی اللّه علیه و سلّم إذا سئل أن یدعو علی أحد .. عدل عن الدّعاء علیه و دعا له.

و ما ضرب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم بیده امرأة و لا خادما قطّ و لا غیرهما؛ إلّا أن یکون فی الجهاد.

(و) فی «الإحیاء» و «کشف الغمة»: (کان) رسول اللّه (صلی اللّه علیه و سلم إذا سئل أن یدعو علی أحد) مسلم أو کافر؛ عامّ أو خاصّ (عدل عن الدّعاء علیه و دعا له).

روی الشیخان؛ من حدیث أبی هریرة رضی اللّه تعالی عنه قالوا: یا رسول اللّه؛ إنّ دوسا قد کفرت و أبت فادع علیها. فقیل: هلکت دوس. فقال: «اللّهمّ؛ اهد دوسا و أت بهم».

و لما آذاه المشرکون یوم أحد و کسروا رباعیته و شجّوا وجهه شقّ ذلک علی أصحابه، فقالوا: لو دعیت علیهم؟! فقال: «إنّی لم أبعث لعّانا! و لکن بعثت داعیا و رحمة!! اللّهمّ؛ اغفر لقومی- أو اهد قومی- فإنّهم لا یعلمون».

(و) روی مسلم، و الترمذیّ فی «الشمائل»؛ عن عائشة رضی اللّه تعالی عنها قالت: (ما ضرب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم بیده)- لتأکید النوعیّة؛ نحو یَطِیرُ بِجَناحَیْهِ [۳۸/ الأنعام]، إذ الضرب عادة لا یکون إلا بالید- (امرأة) من نسائه، (و لا خادما) له (قطّ) و خصّهما!! لکثرة وجود سبب ضربهما، للابتلاء بمخاطبتهما و مخالفتهما غالبا، (و لا غیرهما) آدمیّ و غیره؛ أی: ضربا مؤذیا.

و ضربه لمرکوبه!؟ لم یکن مؤذیا، و وکز بعیر جابر حتّی سبق القافلة بعد ما کان عنها بعیدا معجزة، و کذا ضربه لفرس طفیل الأشجعیّ لمّا رآه متخلّفا عن الناس؛ و قال: «اللّهمّ؛ بارک فیها»، و قد کان هزیلا ضعیفا!! قال طفیل: فلقد رأیتنی ما أملک رأسها، و لقد بعت من بطنها باثنی عشر ألفا. رواه النسائی «ذکره الزرقانیّ علی «المواهب».

(إلّا أن یکون فی الجهاد) فیضرب إن احتاج إلیه، و قد قتل بأحد أبیّ بن خلف

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۴۶۱

قال أنس رضی اللّه تعالی عنه: کان الخادم إذا أغضبه .. یقول صلّی اللّه علیه و سلّم: «لو لا خشیة القصاص یوم القیامة ..

لأوجعتک بهذا السّواک».

و لمّا کسرت رباعیته صلّی اللّه علیه و سلّم و شجّ وجهه ...

الکافر، و ما قتل بیده أحدا غیره!! بل قال ابن تیمیة: لا نعلمه ضرب بیده أحدا غیره. انتهی.

(قال أنس رضی اللّه تعالی عنه: کان الخادم إذا أغضبه یقول صلّی اللّه علیه و سلم: «لو لا خشیة القصاص یوم القیامة لأوجعتک بهذا السّواک»). ذکره الشعرانی فی «کشف الغمّة».

(و) فی «الشفاء» و «المواهب»: روی أنّ النبی صلّی اللّه علیه و سلم (لمّا کسرت)- بصیغة المجهول؛ یعنی: شطبت- (رباعیته صلّی اللّه علیه و سلم) الیمنی السفلی و ذهبت منها فلقة،

و هی- بفتح الراء و خفّة الموحّدة و المثناة التحتیة المفتوحة؛ بوزن ثمانیة-:

السّنّ التی بین الثنیة و النّاب. و للإنسان ثنایا أربع، و رباعیات أربع، و أنیاب أربعة، و أضراس عشرون.

و کان الذی کسرها عتبة بن أبی وقّاص و جرح شفته السفلی.

(و شجّ وجهه)- بصیغة المجهول- شجّه عبد اللّه بن شهاب الزّهری؛ قاله العلامة ملا علی القاری.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و قال الزرقانی: إن الّذی شجّ وجهه عبد اللّه بن قمئة، و نقل الخفاجیّ؛ عن «سیرة ابن هشام» و غیره: أن عتبة بن أبی وقّاص رماه صلّی اللّه علیه و سلم فکسر رباعیته الیمنی السفلی، و جرح شفته السّفلی، و أن عبد اللّه بن شهاب الزهری شجّ وجهه الشریف، و أنّ ابن قمئة ضربه بالسیف علی شقّه الأیمن و جرح و جنته؛ فدخلت

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۴۶۲

یوم أحد .. شقّ ذلک علی أصحابه شدیدا، و قالوا: لو دعوت علیهم، فقال: «إنّی لم أبعث لعّانا؛ و لکن بعثت داعیا و رحمة،

حلقتان من المغفر فی وجنته الشریفة فنزعهما أبو عبیدة بن الجرّاح حتی سقطت ثنیّته.

و قد اختلف فی إسلام عتبة بن أبی وقّاص؟! و الصحیح أنّه لم یسلم، و ابن شهاب أسلم. و أمّا ابن قمئة! فنطحه کبش فقتله، أو فألقاه من شاهق فهلک، و لم یولد أحد من نسل عتبة إلّا أبخر أهتم. فسری خزیه لعقبه. انتهی.

ذکره الخفاجی و القاری فی «شرحیهما»؛ علی «الشفاء» رحمهم اللّه تعالی.

آمین.

(یوم أحد) حتّی صار الدم یسیل علی وجهه الشّریف، فصار ینشّفه، و یقول:

«لو وقع شیء منه علی الأرض لنزل علیهم العذاب من السّماء».

(شقّ ذلک) المذکور؛ من الکسر و الجرح و الشجّ (علی أصحابه) شقّا (شدیدا، و قالوا) له صلّی اللّه علیه و سلم (: لو دعوت)؛ أی: اللّه (علیهم) أی: علی الکفّار بأن یهلکهم اللّه و یستأصلهم بأشدّ العذاب لأجیب دعاؤک، أو أنّ «لو» للتمنّی؛ فلا تحتاج لجواب.

(فقال: «إنّی لم أبعث)- بالبناء للمجهول- أی: لم یبعثنی اللّه (لعّانا) أی: صاحب لعن و طرد عن رحمة اللّه تعالی، فالمراد نفی أصل الفعل؛ نحو وَ ما رَبُّکَ بِظَلّامٍ [۴۶/ فصلت] یعنی: لو دعوت علیهم لبعدوا عن رحمة اللّه تعالی، و لصرت قاطعا عن الخیر مع أنّی لم أبعث بهذا، (و لکن بعثت داعیا) للناس إلی اللّه تعالی، (و رحمة) للناس أجمعین بإخراجهم من الکفر إلی الإیمان، و بتأخیر العذاب عمن کفر؛ لا لطردهم من رحمة اللّه، و إبعادهم عنه، فاللعن مناف لحالی فکیف ألعن؟!!.

ثمّ لم یکتف بذلک حتّی سأل اللّه تعالی لهم الغفران أو الهدایة، فقال:

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۴۶۳

اللّهمّ اهد قومی فإنّهم لا یعلمون».

و عن عائشة رضی اللّه تعالی عنها قالت: ما رأیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم منتصرا من مظلمة ظلمها ...

(اللّهمّ)؛ اغفر لقومی، کما فی روایة، و فی أخری:

اللّهمّ (اهد قومی) بإضافتهم إلیه؛ إظهارا لسبب شفقته علیهم، فإنّ الطبع البشری یقتضی الحنوّ علی القرابة بأیّ حال، و لأجل أن یبلغهم ذلک فتنشرح صدورهم للإیمان. ثمّ اعتذر عنهم بالجهل؛ بقوله:

(فإنّهم لا یعلمون») طریق الحق؛ و لا معرفة قدر نبیه صلّی اللّه علیه و سلم، و ما یرید بهم من الخیر، و لو علموا ذلک لم یصدر عنهم ما صدر.

و لم یقل «یجهلون»!! تحسینا للعبارة لیجذبهم بزمام لطفه إلی الإیمان، و یدخلهم بعظیم حلمه حرم الأمان، مع أنه إنّما هو جهل حکمیّ، و إن لم یکن بعد مشاهدة الآیات البیّنات عذر، لکنه تضرّع إلی اللّه أن یمهلهم حتّی یکون منهم، أو من ذریّتهم مؤمنون، و قد حقّق اللّه رجاءه. انتهی «زرقانی، و خفاجی».

و قال ملا علی قاری فی «شرح الشفاء»: و الحدیث رواه البیهقیّ فی «شعب الإیمان» مرسلا، و آخره موصولا؛ و هو فی «الصحیح» حکایة عن نبیّ ضربه قومه. انتهی

(و) أخرج البخاریّ فی «الأدب» و «الصفة النبویة»، و مسلم فی «الفضائل»، و الإمام أحمد، و أبو داود فی «الأدب»، و الترمذیّ فی

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

«الشمائل» مع مخالفة يسيرة، و هذا لفظ «الشمائل» إلّا قوله فإن كان إثما ... إلخ: كلهم؛

(عن عائشة) أمّ المؤمنين (رضى اللّه تعالى عنها؛ قالت: ما رأيت) أى:

ما علمت، إذ هو الأنسب بالمقام (رسول صلّى اللّه عليه و سلم منتصرا)؛ أى منتقما و ناصرا لنفسه على غيره (من) أجل (مظلمة)- بفتح الميم و كسر اللام، و تفتح- (ظلمها)- بصيغة المجهول- فلا ينتصر لنفسه ممّن ظلمه، بل كان يعفو عنه؛ فقد عفا عمّن

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۶۴

قطّ ما لم ينتهك من محارم اللّه شىء، فإذا انتهك من محارم اللّه شىء .. كان من أشدّهم فى ذلك غضبا. و ما خيّر بين أمرين إلّا اختار أيسرهما؛ ...

قال له «إن هذه القسمة ما أريد بها وجه اللّه تعالى»!! لأجل تأليفه فى الإسلام، مع عذره؛ لاحتمال أنّها جرت على لسانه من غير أن يقصد بها الطعن فى القسمة،

و قد عفا أيضا عمّن رفع صوته عليه، لكونه طبعا و سجيّة له؛ كما هو عادة جفاة العرب. و عمّن جذبه بردائه حتّى أثّر فى عنقه الشريف؛ و قال: إنّك لا تعطينى من مالك، و لا من مال أبيك!! فضحك و أمر له بعطاء!! لما كان عليه من مزيد الحلم و الصبر، و الاحتمال، فلو انتقم لنفسه لم يكن عنده صبر، و لا حلم، و لا احتمال، بل يكون عنده بطش و انتقام.

(قطّ) أبدا (ما لم ينتهك)- مبنى للمفعول- أى: يرتكب (من محارم اللّه شىء) حرّمه اللّه، و هذا كالاستثناء المنقطع، لأنه فى هذه الحالة ينتصر للّه، لا لنفسه، و إنّما ناسب ما قبله!! لأنّ فيه انتقاما ما فى الجملة.

(فإذا انتهك) أى: ارتكب (من محارم اللّه شىء) حرّمه اللّه؛ (كان من أشدّهم) أى: أشدّهم «من» زائدة (فى ذلك) أى: لأجل ذلك (غضبا)، فينتقم ممّن ارتكب ذلك لصلابته، فإن العفو عن ذلك ضعف و مهانة.

و يؤخذ من ذلك: أنّه يسنّ لكل ذى ولاية التّخلّق بهذا الخلق، فلا ينتقم لنفسه، و لا يهمل حقّ اللّه عزّ و جلّ. (و ما)- رواية الشيخين: و لا- (خيّر) بلفظ المبنىّ للمجهول (بين أمرين) أى: من أمور الدنيا، بدليل قوله: «ما لم يكن مأثما» لأنّ أمور الدين لا إثم فيها.

(إلّا اختار أيسرهما): أسهلهما و أخفّهما، فإذا خيّره اللّه فى حقّ أمّته بين وجوب الشىء و ندبه؛ أو حرمته؛ أو إباحته اختار الأيسر لهم، و كذلك إذا خيّره اللّه فى حقّ أمّته بين المجاهدة فى العبادة و الاقتصاد، فيختار الأسهل لهم؛ و هو الاقتصاد.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۶۵

ما لم يكن إثما، فإن كان إثما .. كان أبعد النّاس منه. و كان صلّى اللّه عليه و سلّم لا يغضب لنفسه، و لا ينتقم لها، و إنّما يغضب إذا انتهكت حرمات اللّه عزّ و جلّ؛ فحينئذ يغضب، و لا يقوم لغضبه شىء ...

و إذا خيّره الكفّار بين المحاربة و الموادعة؛ اختار الأخفّ عليهم؛ و هو الموادعة.

و إذا خيّره اللّه بين قتال الكفار و أخذ الجزية منهم اختار الأخفّ عليهم؛ و هو أخذ الجزية.

فينبغى الأخذ بالأيسر، و الميل إليه دائما، و ترك ما عسر من أمور الدنيا و الآخرة.

و فى معنى ذلك الأخذ برخص اللّه تعالى و رسوله و رخص العلماء؛ ما لم يتتبع ذلك بحيث تنحلّ ربقة التقليد من عنقه؛ قاله الباجورى رحمه اللّه تعالى.

(ما لم يكن) أيسرها (إثما)، و بعضهم جعل الاستثناء منقطعا؛ إن كان التخيير من اللّه، و متّصلا؛ إن كان من غيره، إذ لا يتصوّر تخيير اللّه إلّا بين جائزين.

(فإن كان) الأيسر (إثما؟ كان) صلى اللّه عليه و سلم (أبعد النّاس منه)؛ فيختار الأشدّ حينئذ.

(و كان صلّى اللّه عليه و سلم لا يغضب لنفسه، و لا ينتقم لها)؛ أى: لا ينتصر لها إذا آذاه أحد من الأعراب و غيرهم؛ بما يتعلّق بنفسه.

(و إنّما يغضب إذا انتهكت): ارتكبت (حرمات اللّه عزّ و جلّ، فحينئذ يغضب) للّه تعالى؛ لا لحظّ نفسه.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و لا يقوم)؛ من قام: إذا ثبت، أى لا يثبت (لغضبه شىء).

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۶۶

حتّى ينتصر للحقّ، و إذا غضب .. أعرض و أشاح.

و القريب و البعيد و القوىّ و الضّعيف .. عنده فى الحقّ سواء.

قوله (أشاح) أى: أعرض بوجهه.

و المعنى: لا يقوم أحد من الخلق لدفع غضبه إذا تعرّض أحد له فى أمر ربّه (حتّى ينتصر للحقّ)؛ أى: يقوم بنصرة الحقّ فيؤدّيه و يبطل خلافه.

(و إذا غضب أعرض) عمّن غضب عليه من غير لوم له، لشدّة حلمه صلّى اللّه عليه و سلم (و أشاح)- بشين معجمة و حاء مهملة؛ بينهما ألف- قيل معناه: صرف وجهه، فهو تأكيد لما قبله، و قيل معناه: قبض وجهه و زواه من غير لوم و عقاب؛ قاله الخفاجى.

(و القريب) أى: ذو القرابة (و البعيد) أى: الأجنبىّ، (و القوىّ)؛ أى:

القادر على أخذ حقّه، (و الضّعيف) أى: القاصر عن التوصّل إلى حقّه كلّهم (عنده فى الحقّ سواء)، فيأخذ الحقّ من القوىّ للضعيف، و من القريب للبعيد، و عكسه.

(قوله: أشاح)- بشين معجمة و حاء مهملة فى آخره- (أى: أعرض بوجهه) و صفح عنقه عنه، فهو على هذا تأكيد لما قبله- كما تقدّم-.

روى الترمذىّ فى «الشمائل» فى حديث هند بن أبى هالة: «لا تغضبه الدنيا؛ و ما كان منها، فإذا تعدّى الحقّ؛ لم يقم لغضبه شىء حتى ينتصر له، و لا يغضب لنفسه، و لا ينتصر لها، و قد تقدّم.

و نحوه فى «الشفاء» و فيه: و إذا غضب أعرض و أشاح.

(و) أخرج البخارىّ، و مسلم، و أبو داود: ثلاثتهم فى «الأدب»، و الترمذىّ فى «البرّ» فى «جامعه» و فى «شمائله» مع مخالفة فى الألفاظ- و هذا لفظ- «الشمائل»:

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۶۷

و عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت: استأذن رجل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و أنا عنده، فقال: «بئس ابن العشيرة»، أو «أخو العشيرة». ثمّ أذن له، فلمّا دخل .. ألان له القول.

فلمّا خرج .. قلت: يا رسول اللّه؛ قلت ما قلت، ثمّ ألنت له القول؟

(عن عائشة) أمّ المؤمنين (رضى اللّه تعالى عنها؛ قالت: استأذن رجل) هو عيينة بن حصن الفزارىّ الّذى يقال له «الأحمق المطاع»، و كان إذ ذاك مضمر النّفاق، فلذلك قال فيه الرسول صلّى اللّه عليه و سلم ما قال ليتّقى شرّه، فهو ليس بغيبة، بل نصيحة للأمّة. و يدلّ على ذلك أنّه أظهر الردّة بعده صلّى اللّه عليه و سلم- كما سيأتى- (على رسول اللّه) أى: فى الدخول على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم و أنا عنده، فقال)؛ أى: النبى صلّى اللّه عليه و سلم فى حقّ عيينة (: «بئس ابن العشيرة»؛ أو «أخو العشيرة».) هكذا وقع فى هذه الرواية بالشكّ من الراوى، و فى البخارى: «بئس أخو العشيرة، و بئس ابن العشيرة»- بالواو- و من غير شكّ، و الشكّ من سفيان، فإنّ جميع أصحاب ابن المنكدر رووه عنه بدون الشك.

و العشيرة: القبيلة، و إضافة الابن أو الأخ إليها كإضافة الأخ إلى العرب؛ فى قوله: «يا أخا العرب» يريدون بذلك واحدا منهم؛ أى: بئس هذا الرجل من هذه القبيلة؛ فهو مذموم متميّز بالذمّ من بين آحادها.

(ثمّ أذن له) أى: فى الدخول، (فلمّا دخل ألان له القول) أى: لطّفه له ليتألّفه ليسلم قومه، لأنّه كان رئيسهم.

و فيه جواز مداراة الكافر اتقاء شرّه، لا سيّما إن كان مطاعا فى قومه ما لم يؤدّ للمداهنة فى الدين.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(فلمّا خرج قلت: يا رسول اللّه؛ قلت ما قلت) أى: قلت الّذى قلته فى غيبته (ثمّ ألنت له القول)؛ أى: لطّفت له القول عند معاينته، فهلا سوّيته بين حضوره و غيبته؟! و ما السبب فى عدم التسوية بين الحالين؛ كما هو المأمول منك فظهر

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۶۸

فقال: «يا عائشة؛ إنّ من شرّ النّاس من تركه النّاس، أو ودعه النّاس اتّقاء فحشه».

قال فى «المواهب»: (هذا الرّجل هو عيينة بن حصن ...

من هذا أنّ غرضها الاستفهام عن سبب عدم التسوية بين الحالين كما هو المأمول.

(فقال: «يا عائشة؛ إنّ من شرّ النّاس من تركه النّاس- أو ودعه النّاس) شكّ من سفيان، و الدّال مخففة؛ كما قرىء به قوله تعالى ما وَدَعَكَ رَبُّكَ شاذّا، فلا ينافى قول الصرفيين: «و أمات العرب ماضى: يدع، و يذر»!! لأنّ المراد بإماتته ندرته؛ فهو شاذّ استعمالا صحيح قياسا.

قال صاحب «منظومة الصرف».

و قد أماتوا الماضى من يذر يدعلكنّ فى الضّحى قرى بما ودع (اتقاء فحشه») أى: لأجل اتقاء قبيح قوله و فعله، أو لأجل اتقاء مجاوزته الحدّ الشرعى؛ قولا، أو فعلا.

و حاصل ما أجابها به عليه الصلاة و السلام: أنّه ألان له الكلام فى الحضور لاتقاء فحشه؛ كما هو شأن جفاة العرب، لأنّه لو لم يلن له الكلام لأفسد حال عشيرته، و زيّن لهم العصيان، و حثّهم على عدم الإيمان، فإلانة القول له من السياسة الدينية و المصلحة للأمّة المحمّدية.

و بالجملة؛ فقد كمّل اللّه نبيّنا صلّى اللّه عليه و سلم فى كلّ شىء.

و من جملة ذلك تأليفه لمن يخشى عليه؛ أو منه، فكان يتألّفهم ببذل الأموال و طلاقة الوجه، و شفقة على الخلق و تكثيرا للأمّة، كيف لا؛ و هو نبىّ الرّحمة؟!

و قد جمع هذا الحديث علما و أدبا؛ فتنبّه لذلك.

(قال) العلّامة شهاب الدّين أبو العبّاس القسطلانى (فى «المواهب) اللّدنيّة»؛ نقلا عن ابن بطّال (: هذا الرّجل) المبهم فى الحديث (هو عيينة بن حصن)- بكسر الحاء المهملة و إسكان الصاد المهملة- ابن حذيفة بن بدر

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۶۹

الفزارىّ، و كان يقال له: (الأحمق المطاع).

و قد كانت منه فى حياة النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم و بعده أمور تدلّ على ضعف إيمانه، فيكون ما وصفه به عليه الصّلاة و السّلام من علامات النّبوّة. و أمّا إلانة القول بعد أن دخل ...

(الفزارىّ)- نسبة إلى بنى فزارة: قبيلة مشهورة- و كذا فسّره به القاضى عياض، و القرطبىّ، و النووىّ جازمين بذلك.

(و كان يقال له «الأحمق)- فاسد العقل- (المطاع»)!! لأنّه كان يتبعه من قومه عشرة آلاف قناة لا يسألونه «أين يريد».

و من حمقه أنّه دخل على النبى صلّى اللّه عليه و سلم و عائشة عنده قبل نزول الحجاب؛ فقال:

من هذه؟ قال: «عائشة». قال: أ لا أنزل لك عن أمّ البنين؟! فغضبت عائشة؛ و قالت: من هذا؟! فقال صلّى اللّه عليه و سلم: «هذا الأحمق المطاع» يعنى: فى قومه. رواه سعيد بن منصور.

و روى الحارث بن أبى أسامة هذا الحديث مرسلا؛ و فيه: «إنّه منافق أداريه عن نفاقه، و أخشى أن يفسد علىّ غيره».

(و قد كانت منه فى حياة النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم و بعده أمور تدلّ على ضعف إيمانه)؛ كدخوله على المصطفى بلا إذن، فقال له: «أخرج فاستأذن»!. فقال: إنّها يمين علىّ ألّا أستأذن على مضرىّ.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و قوله لعمر فى خلافته: ما تعطى الجزل، و لا تحكم بالعدل. فغضب؛ فقال له الحرّ بن قيس: إنّ اللّه يقول خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ (١٩٩) [الأعراف] فتركه عمر رضى اللّه عنه.

و دخل على عثمان فأغلظ له؛ فقال عثمان: لو كان عمر ما أقدمت عليه.

(فيكون ما وصفه به عليه الصّلاة و السّلام من علامات النّبوّة).

(و أمّا إلانة القول بعد أن دخل) على المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم فى المحلّ الذى كان فيه!!

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٤٧٠

فعلى سبيل الائتلاف و المداراة. و هى مباحة، و ربّما استحسنت بخلاف المداهنة.

و الفرق بينهما أنّ المداراة: بذل الدّنيا لصلاح الدّنيا أو الدّين، أو هما معا.

(فعلى سبيل الائتلاف و المداراة، و هى مباحة، و ربّما استحسنت)؛ فكانت مستحبّة، أو واجبة.

و للديلمىّ فى «الفردوس»؛ عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها مرفوعا: «إنّ اللّه أمرنى بمداراة النّاس؛ كما أمرنى بإقامة الفرائض».

و لابن عدىّ، و الطّبرانى؛ عن جابر رفعه: «مداراة النّاس صدقة».

و فى حديث أبى هريرة: «رأس العقل بعد الإيمان باللّه مداراة النّاس».

أخرجه البيهقى بسند ضعيف، و عزاه فى «فتح البارى» للبزّار! و تعقبه الحافظ السّخاوىّ؛ بأن لفظ البزار «التّودّد إلى النّاس» بدل «مداراة النّاس»!!. انتهى.

(بخلاف المداهنة) فى الدين؛ فليست مباحة، بل محرّمة.

و فى «شرح القاموس»: المداهنة المصانعة؛ كما فى «الصحاح»، و قيل:

إظهار خلاف ما يضمر؛ كالادّهان. و منه قوله تعالى وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) [القلم]. و قال الفرّاء: يعنى ودّوا لو تكفر فيكفرون. و قال- فى قوله تعالى أَ فَبِهذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (٨١) [الواقعة]- أى: تكذّبون. و يقال: كافرون. و قيل: معناه ودّوا لو تلين فى دينك فيلينون.

و قال قوم: المداهنة المقاربة، و الادّهان الغش؛ نقله الجوهرى. انتهى ملخصا.

(و الفرق بينهما) أى: بين المداراة و المداهنة (: أنّ المداراة بذل الدّنيا لصلاح الدّنيا أو) لصلاح (الدّين، أو هما) أى: الدين و الدنيا، أى لصلاحهما (معا)، أو لسلامة عرضه من مذمّة أهل الشرّ.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٤٧١

و المداهنة: بذل الدّين لصلاح الدّنيا.

و النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم إنّما بذل له من دنياه حسن عشرته و الرّفق فى مكالمته، و مع ذلك فلم يمدحه بقول، فلم يناقض قوله فيه فعله، فإنّ قوله فيه حقّ، و فعله معه حسن عشرة، و قد ارتدّ عيينة فى زمن الصّدّيق و حارب، ...

و فى الحديث: «ما وقى به المرء عرضه فهو له صدقة»، فإذا استكفى الإنسان ما يخافه من شرّ الأشرار بما لا يضرّه فى دينه؛ لم يكن عليه فى ذلك جناح؛ إن شاء اللّه تعالى، و هذا إنّما يكون عند الابتلاء بالأشرار.

و من البذل لين الكلام، و ترك الإغلاظ فى القول، و الرفق بالجاهل فى التعليم؛ و الفاسق فى النهى عن فعله و ترك الإغلاظ عليه؛ حيث لم يظهر ما هو فيه، و الإنكار عليه بلطف حتّى يرتدع عمّا هو مرتكبه، فكلّ هذا من أنواع المداراة.

(و) أما (المداهنة)! فهى (: بذل الدّين لصلاح الدّنيا)، كأن يترك الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، لكون مرتكب ذلك يعطيه شيئا من الدنيا، و ذلك واقع كثيرا، و قلّما فعل ذلك أحد؛ إلّا أذلّه اللّه و أهانه، و سلّط عليه النّاس و حرم ممّا يرجوه منهم. (و النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم إنّما بذل له من دنياه حسن عشرته، و الرّفق فى مكالمته)، و ليس ذلك من بذل الدين فى شىء!!

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و مع ذلک فلم یمدحه بقول! فلم یناقض قوله فیه فعله، فإنّ قوله فیه) «بئس ابن العشیرة» (حقّ، و فعله معه حسن عشرة)، فیزول مع هذا التقریر الإشکال الّذی هو: أن النصیحة فرض؛ و طلاقة الوجه و إلانة القول یستلزمان الترک!؟

و حاصل جوابه: أنّ الفرض سقط لعارض.

و للّه الحمد علی فهمه، ما ظاهره یشکل علینا ففهمه من النّعم.

قال فی «فتح الباری»: (و قد ارتدّ عیینة فی زمن الصّدّیق و حارب)، و بایع

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۴۷۲

ثمّ رجع و أسلم، و حضر بعض الفتوح فی عهد عمر رضی اللّه تعالی عنه) انتهی.

و قال ابن الأثیر ...

طلیحة. قال بعضهم: فجیء به إلی الصدّیق أسیرا؛ فکان الصبیان یصیحون علیه فی أزقّة المدینة، و یقولون: هذا الّذی خرج من الدین؟!

فیقول لهم: عمّکم لم یدخل حتّی خرج، فکان ذلک القول علما من أعلام نبوّته صلّی اللّه علیه و سلم و معجزة من معجزاته حیث أشار لمغیّب یقع؛ لکنه کما قال.

(ثمّ رجع و أسلم) بعد ذلک و حسن إسلامه، (و حضر بعض الفتوح فی عهد عمر) بن الخطاب (رضی اللّه تعالی عنه. انتهی) أی کلام «المواهب»؛ مع «شرحه من الزرقانی».

(و قال) الإمام العلّامة المحدّث المؤرّخ النّسّابة أبو الحسن علیّ بن أبی الکرم محمد بن محمد بن عبد الکریم بن عبد الواحد الشیبانی المعروف ب « (ابن الأثیر)» الجزری الملقّب «عز الدین».

ولد بالجزیرة؛ أی: جزیرة ابن عمر سنة: خمس و خمسین و خمسمائة، و نشأ بها و سکن الموصل، و تجوّل فی البلدان، و عاد إلی الموصل و لزم بیته متوفّرا علی النظر فی العلم و التّصنیف، و کان بیته مجمع الفضل لأهل الموصل و الواردین علیها.

و کان إماما فی حفظ الحدیث و معرفته، و ما یتعلّق به، و حافظا للتواریخ المتقدّمة و المتأخرة، و خبیرا بأنساب العرب و وقائعهم و أخبارهم.

قال ابن خلّکان: و اجتمعت به فوجدته رجلا مکمّلا فی الفضائل و کرم الأخلاق، و کثرة التواضع؛ فلازمت التّرداد علیه، و کان بینه و بین الوالد مؤانسة أکیدة، فکان بسببها یبالغ فی الرعایة و الإکرام لی.

و من مؤلّفاته کتاب «الکامل فی التاریخ»، و هو من خیار التواریخ مرتّب علی

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۴۷۳

فی کتابه «أسد الغابة»، فی آخر ترجمة مخرمة بن نوفل رضی اللّه تعالی عنه: (روی النّضر بن شمیل قال: حدّثنا أبو عامر الخزّاز، ...

السنین، بلغ فیه عام: تسع و عشرین و ستمائة. و أکثر من جاء بعده من المؤرخین عیال علی کتابه.

و منها کتاب «اللباب فی مختصر «الأنساب» لابن السمعانی، و «أسد الغابة فی معرفة الصحابة»، و «تاریخ الدولة الأتابکیّة»، و غیرها.

و کانت وفاته سنة: ثلاثین و ستمائة هجریة رحمه اللّه تعالی.

و الجزیرة التی ینسب إلیها هی جزیرة عبد العزیز بن عمر رجل من أهل «برقعید»؛ من أعمال الموصل بناها فأضیفت إلیه. و قیل غیر ذلک.

ذکره ابن خلّکان فی «تاریخه» «۱» رحمه اللّه تعالی.

(فی کتابه «أسد الغابة) فی معرفة الصحابة» (فی آخر ترجمة مخرمة بن نوفل) القرشیّ الزّهری. صحابی شهیر من مسلمة الفتح، و کان له سنّ عالیة و علم بالنسب، فکان یؤخذ عنه، و علم بأنصاب الحرم، فبعثه عمر فیمن بعثه لتحدیدها، و مات سنة: أربع- أو: خمس- و خمسین، عن مائة و خمس عشرة سنة.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(رضی اللّه تعالی عنه: روی النّضر بن شمیل)- بالتصغیر- المازنی، أبو الحسن البصری؛ ثم الکوفی النحوی شیخ مرو روی عن حمید، و بهز بن حکیم، و ابن عون، و شعبة. و عنه یحیی بن یحیی، و إسحاق، و الکوسج، وثّقه النّسائیّ، و أبو حاتم، و ابن معین.

قال محمد بن قهزاذ مات سنة: ثلاث و مائتین.

(قال: حدّثنا أبو عامر الخزّاز)- بمعجمات-: صالح بن رستم المزنی

---

(۱) وفیات الأعیان و أنباء أبناء الزمان.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۴۷۴

عن أبی یزید المدنیّ، عن عائشة قالت: جاء مخرمة بن نوفل، فلمّا سمع النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم صوته .. قال: «بئس أخو العشیرة».

فلمّا جاء .. أدناه، فقلت: یا رسول اللّه؛ قلت له ما قلت، ثمّ ألنت له القول؟

«مولاهم»، البصری صدوق کثیر الخطأ.

قال أحمد بن حنبل: صالح الحدیث، و ضعّفه ابن معین، و أبو حاتم. و وثّقه أبو داود الطیالسیّ، و أبو داود، و ابن حبّان، و أبو أحمد ابن عدی و غیرهم.

و مات سنة: اثنتین و خمسین و مائة.

(عن أبی یزید المدنیّ)؛ ثم البصری، روی عن أبی هریرة، و أسماء بنت عمیس، و عنه أیوب، و جریر بن حازم؛ وثّقه ابن معین، و قال أبو حاتم:

لا یسمّی و یکتب حدیثه. و قال أبو زرعة: لا أعرف اسمه.

(عن عائشة) أمّ المؤمنین رضی اللّه تعالی عنها؛ (قالت: جاء مخرمة بن نوفل) القرشیّ الزّهری یستأذن، (فلمّا سمع النّبیّ) صلی اللّه علیه و سلم (صوته؛ قال: «بئس أخو العشیرة»)؛ أی: الواحد منها. یقال «هو أخو تمیم»؛ أی: واحد منهم، و المراد بالعشیرة: الجماعة من الناس؛ لا واحد لها من لفظها. أو القبیلة؛ قاله عیاض.

و قال غیره: العشیرة الأدنی إلی الرجل من أهله و هم ولد أبیه و جدّه.

و للعشیرة ثلاثة إطلاقات.

(فلمّا جاء أدناه)؛ أی: قرّبه و لاطفه و ألان له القول.

(فقلت: یا رسول اللّه؛ قلت له)؛ أی: لأجله؛ و فی شأنه، لا أنّه خاطبه!! لفساد المعنی (ما قلت) أی: الذی قلته فی غیبته، (ثمّ) فی حضوره (ألنت له القول)؛ أی: لطّفت له القول؟!

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۴۷۵

فقال: «یا عائشة؛ إنّ من شرّ النّاس من ترکه النّاس اتّقاء فحشه». أخرجه الثّلاثة.

قال: و کان مخرمة هذا من المؤلّفة قلوبهم، و کان فی لسانه فظاظة، و کان النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم یتّقی لسانه) انتهی.

(فقال: «یا عائشة؛ إنّ من شرّ النّاس من ترکه النّاس اتّقاء فحشه») أی:

لأجل اتقاء قبیح قوله و فعله.

(أخرجه الثّلاثة) لم أره فیها! و عزاه فی «المواهب» إلی عبد الغنی بن سعید!! و لم یتعقّبه الزّرقانی!! فلو کان موجودا فی الکتب الثلاثة لما سکت الزرقانی علی عزوه لعبد الغنی بن سعید: کما هی عادته رحمه اللّه تعالی!!

(قال) أی ابن الأثیر (: و کان مخرمة هذا من المؤلّفة قلوبهم)، أعطاه النبی صلّی اللّه علیه و سلم من غنائم حنین خمسین بعیرا؛ قاله الواقدی.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و كان فى لسانه فظاظة)؛ أى: خشونة فى كلامه.

و فى البخارىّ؛ عن المسور بن مخرمة أنّ أباه؛ قال له: يا بنىّ؛ بلغنى أن النبى صلّى اللّه عليه و سلم قدمت عليه أقبية؛ و هو يقسمها فاذهب بنا إليه. فذهبنا فوجدنا النبى صلّى اللّه عليه و سلم فى منزله؛ فقال: يا بنىّ؛ ادع لى النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم فأعظمت ذلك؛ و قلت: أدعو لك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم؟!! فقال: يا بنىّ إنّه ليس بجبّار! فدعوته، فخرج و عليه قباء من ديباج مزرّر بالذّهب. فقال: «يا مخرمة؛ هذا خبّأناه لك». فأعطاه إيّاه.

قال الحافظ ابن حجر: و للحديث طرق؛ عن ابن أبى مليكة. و فى بعضها أنّه قال للنبى صلّى اللّه عليه و سلم: ما كنت أرى أن تقسم فى قريش قسما فتخطئنى.

(و) عند البغوى و أبى يعلى؛ من طريق صالح بن حاتم بن وردان؛ عن أبيه؛ عن أيوب؛ عن ابن أبى مليكة نحو الأول. و زاد: قلت لحاتم: لم فعل ذلك؟! قال: (كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم يتّقى لسانه) أى: خشونة لسانه. (انتهى)؛ أى: كلام ابن الأثير رحمه اللّه تعالى.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۷۶

و الظّاهر أنّ ما ذكره ابن الأثير من أنّ صاحب هذه القصّة هو مخرمة بن نوفل هو الصّحيح، أو: تكرّرت.

و عن الحسن بن علىّ [رضى اللّه تعالى عنه] قال: قال الحسين:

سألت أبى عن سيرة النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم فى جلسائه .. فقال:

كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم دائم البشر، سهل الخلق،

قال المصنف: (و الظّاهر أنّ ما ذكره ابن الأثير) فى «أسد الغابة» (من أنّ صاحب هذه القصّة) الأخيرة (هو مخرمة بن نوفل هو) القول (الصّحيح)، لأن فى هذه الرواية التصريح بتسميته! و إن كان فى سنده راويان: أبو يزيد، و أبو عامر؛ و فيهما مقال- كما علمت- لكن قال الخطيب و القاضى عياض و غيرهما: الصحيح أنّه عيينة. قالوا:

و يبعد أن يقول صلّى اللّه عليه و سلم فى حقّ مخرمة ما قال، لأنّه كان من خيار الصحابة.

(أو) يقال: إنّ القصة تعدّدت؛ أى (تكرّرت)!!

قال الحافظ ابن حجر: يحمل ذلك على التعدّد. و قد حكى المنذرىّ القولين؛ فقال: هو عيينة، و قيل: مخرمة. و هو الراجح. انتهى

(و) أخرج الترمذىّ فى «الشمائل» بسند فيه راو لم يسمّ (عن الحسن) السّبط (بن علىّ) بن أبى طالب؛ (قال) أى الحسن (: قال الحسين) السّبط أخو الحسن (: سألت أبى) هو علىّ بن أبى طالب (عن سيرة)- بكسر السين- (النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم) أى: طريقته و دأبه (فى جلسائه)؛ أى: معهم (فقال:

كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم دائم البشر)- بكسر الموحّدة و سكون الشين المعجمة- أى: طلاقة الوجه و بشاشته ظاهرا مع الناس، فلا ينافى أنه كان متواصل الأحزان باطنا؛ اهتماما بأهوال الآخرة؛ خوفا على أمّته، فلم يكن حزنه لفوت مطلوب، أو حصول مكروه من أمور الدّنيا؛ كما هو عادة أبناء الدنيا.

(سهل الخلق)- بضمّتين- أى: ليّنه ليس بصعبه؛ و لا خشنه، فلا يصدر عنه

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۷۷

ليّن الجانب، ليس بفظّ و لا غليظ، و لا صخّاب و لا فحّاش، و لا عيّاب، و لا مشاحّ، ...

ما يكون فيه إيذاء لغيره بغير حقّ.

(ليّن)- بتشديد التحتية المكسورة- (الجانب)؛ أى: سريع العطف كثير اللّطف، جميل الصفح مع السكون و الوقار و الخشوع و الخضوع و عدم الخلاف.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(لیس بفظّ)- بفتح الفاء و تشدید الظاء المشالة- (و لا غلیظ) أی: لیس بسیّئ الخلق و لا غلیظ القلب؛ بحیث یکون جافی الطبع قاسی القلب، قال تعالی وَ لَوْ کُنْتَ فَظًّا غَلِیظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِکَ [۱۵۹/ آل عمران].

و هذا قد علم من قوله سهل الخلق، لکن ذکر تأکیدا و مبالغة فی المدح، و المراد أنّه کذلک فی حقّ المؤمنین، فلا ینافی قوله تعالی وَ اغْلُظْ عَلَیْهِمْ [۷۳/ التوبة]، لأنّه فی الکفّار و المنافقین؛ کما هو مصرّح به فی الآیة.

(و لا صخّاب)- بالصاد المهملة و تشدید الخاء المعجمة-، أی: ذی صخب- بالصاد أو بالسین- فهو صیغة نسب فیفید نفی أصل الصخب کما مرّ (و لا فحّاش) أی: لیس بذی فحش، فهو صیغة نسب أیضا، فیفید نفی أصل الفحش قلیله؛ فضلا عن کثیره.

(و لا عیّاب)- بالعین المهملة- أی: لیس بذی عیب، فهو صیغة نسب؛ کما فی الّذی قبله. فی «الصحیحین»: ما عاب طعاما قطّ.

و هذا بالنسبة للمباح؛ فلا ینافی أنّه کان یعیب المحرّم و ینهی عنه.

و یؤخذ منه: أنّ من آداب الطعام أن لا یعاب؛ کمالح، حامض، قلیل الملح، غیر ناضج، و نحو ذلک کما صرّح به النووی- و قد تقدّم-.

(و لا مشاحّ)- بضم المیم و تشدید الحاء المهملة- اسم فاعل من المشاحّة؛ و هی المضایقة فی الأشیاء، و عدم المساهلة فیها؛ شحّا بها و بخلا فیها، فالمراد أنّه لا یضایق فی الأمور، و لا یجادل، و لا یناقش فیها.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۴۷۸

یتغافل عمّا لا یشتهی؛ و لا یؤیس منه، و لا یجیب فیه، ...

و فی بعض نسخ «الشمائل» المصحّحة، و لا مدّاح؛ أی: لیس مبالغا فی مدح شیء، لأنّ ذلک یدلّ علی شره النّفس؛ أی: شدّة تعلّقها بالطعام، فلذلک روی أنّه ما عاب طعاما و لا مدحه؛ أی: علی وجه المبالغة لوقوع أصله منه أحیانا.

و فی بعض النسخ: «و لا مزّاح»؛ أی: لیس مبالغا فی المزح. لوقوع أصله منه صلّی اللّه علیه و سلم أحیانا.

(یتغافل عمّا لا یشتهی)؛ أی: یظهر الغافلة و الإعراض عمّا لا یستحسنه من الأقوال و الأفعال؛ تلطفا بأصحابه و رفقا بهم.

(و لا یؤیس منه)- بضمّ الیاء و سکون الهمزة و کسر الیاء الثانیة-، و فی نسخة من «الشمائل»: و لا یوئس منه- بسکون الواو بعدها همزة مکسورة؛ أی:

لا- یجعل غیره آیسا مما لا یشتهیه، و لا یقطع رجاءه منه، فالضمیر المجرور فی «منه» عائد علی ما لا یشتهیه، و یحتمل أنّه راجع إلی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم؛ أی: لا یجعل غیره الرّاجی له آیسا من کرمه وجوده.

و یؤیّد الاحتمال الأوّل قوله: (و لا یجیب فیه)- بالجیم- فإنّ الضمیر المجرور ب «فی» عائد لما لا یشتهی، أی: إذا طلب منه غیره شیئا لا یشتهیه لا یؤیسه منه، و لا یجیبه فیه؛ بل یسکت عنه؛ عفوا و تکرّما.

و قیل: المعنی لا یجیب من دعاه إلی ما لا یشتهیه من الطعام، بل یردّ الداعی بمیسور من القول.

و یؤیّد الاحتمال الثانی ما فی بعض نسخ «الشمائل» من قوله «و لا- یخیّب فیه»- بفتح الخاء المعجمة و تشدید الیاء التحتیة-؛ من التخییب، فإنّ الضمیر المجرور ب «فی» راجع للنبی صلّی اللّه علیه و سلم.

و فی نسخة من «الشمائل»: و «لا یخیب»- بکسر الخاء المعجمة و سکون

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۴۷۹

قد ترک نفسه من ثلاث: المراء، و الإکثار، و ما لا یعنیه، و ترک النّاس من ثلاث: ...

الیاء المثناة- و هی بمعنی التی قبلها. أی: لا یخیب الراجی فیه؛ أی: المترجّی منه شیئا من أمور الدّنیا و الآخرة، بل یحصل له مطلوبه، و فی بعض الرّوایات:

«یتغافل عمّا یشتهی. بحذف «لا» النّافیة.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و معناه أنّه لا يتكلّف تحصيل ما يشتهيه من الطعام.

و يؤيده خبر عائشة رضى اللّه تعالى عنها المارّ: كان لا يسأل أهله طعاما و لا يتشهاه، فإن أطعموه أكل، و ما أطعموه قبل.

(قد ترک نفسه)؛ أی: منعها (من ثلاث) خصال مذمومة، فضمّن «ترک» معنى «منع»؛ فعدّاه ب «من»؛ و أبدل من ثلاث قوله

(: ١- المراء) و ما بعده، و هو بکسر الميم و بالمدّ؛ أی: الجدال، و لو بحقّ لحديث: «من ترک المراء و هو محقّ بنى اللّه له بيتا فى ربض الجنّة».

و فى نسخة من «الشمائل» بدله «الرياء»؛ و هو: أن يعمل ليراه النّاس.

(٢- و الإکثار)- بالمثلاثة- أی: الإکثار من الکلام، أو من المال.

و فى نسخة من «الشمائل»: الإکبار- بالموحدة- أی: استعظام نفسه؛ من أکبره: إذا استعظمه. و منه قوله تعالى فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ [٣١/ يوسف] و قيل: جعل الشىء کبيرا بالباطل، فلا ينافى قوله صلّى اللّه عليه و سلم «أنا سيّد ولد آدم و لا فخر» و نحوه.

(٣- و ما لا يعنيه) أی: ما لا يهمّه فى دينه و دنياه کيفا، و قد قال صلّى اللّه عليه و سلم: «من حسن إسلام المرء ترکه ما لا يعنيه»، و قال تعالى وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) [المؤمنون].

(و ترک النّاس)؛ أی: ترک ذکرهم (من) خصال (ثلاث) مذمومة؛ فهذه الثلاث تتعلّق بأحوال النّاس، و الثلاثة السابقة تتعلّق بحال نفسه؛ و إلّا! فهذه الثلاثة مما ترک نفسه منه أيضا.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٤٨٠

کان لا يذمّ أحدا، و لا يعيبه؛ و لا يطلب عورته، و لا يتکلّم إلّا فيما رجا ثوابه، و إذا تکلّم .. أطرق جلساؤه کأنّما على رءوسهم الطّير، ...

(١- کان لا يذمّ أحدا)، أی: مواجهة، (و لا يعيبه)؛ أی: فى الغيبة، فيکون على هذا تأسيسا «١»؛ و هو خير من التأکيد؛ فهذا أولى مما اختاره ابن حجر من جعله تأکيدا؛ نظرا لکون الذمّ و العيب بمعنى واحد.

و فى بعض نسخ «الشمائل»: «و لا يعيّره» من التعيير؛ و هو التوبيخ.

(و لا يطلب عورته) أی: لا يطلب الاطلاع على عورة أحد؛ و هى ما يستحيا منه؛ إذا ظهر، فلا يتجسّس عن أموره الباطنة التى يخفيها.

و لا يعارضه ما سبق، يسأل النّاس عمّا فى النّاس؟! لأنّ ذلک للأمور الظاهرة التى تناط بها الأحکام الشرعيّة و المصالح البشرية، و ما قرّرناه هو المتبادر من العبارة کما فسّر به الشيخ ابن حجر، و إن قال بعض الشّرّاح: و قد أبعد ابن حجر حيث فسّره بعدم تجسّس عورة أحد.

(و لا يتکلّم إلّا فيما رجا ثوابه)؛ أی: و لا ينطق إلّا فى الشىء الذى يتوقّع ثوابه، لکونه مطلوبا شرعا، لا فيما لا ثواب فيه مما لا يعنى.

(و إذا تکلّم أطرق جلساؤه) أی: أرخوا رءوسهم إلى الأرض؛ و نظروا إليها، و أصغوا إليه لاستماع کلامه.

و لسرورهم و ارتياح أرواحهم بحديثه (کأنّما على رءوسهم الطّير)، هذا کناية عن کونهم فى نهاية من السکوت و السکون عند تکلّمه و تبليغه إليهم الأحکام الشرعية، لأن الطير لا يقع إلا على رأس ساکت ساکن.

و «أل» فى «الطير» للجنس، فالمراد جنس الطير مطلقا. و قيل: للعهد و المعهود الباز.

---

(١) أی حکما مستقلا عن ما قبله؛ لا تأکيدا له.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٤٨١

فإذا سکت .. تکلّموا، لا يتنازعون عنده الحديث، و من تکلّم عنده .. أنصتوا له حتّى يفرغ، حديثهم عنده حديث أوّلهم، يضحک ممّا يضحکون منه، و يتعجّب ممّا يتعجّبون منه، و يصبر للغريب على الجفوة فى منطقه و مسألته ...

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و بالجملة فشبّه حال جلسائه عند تكلّمه بحال من ينزل على رأسهم الطير فى السكوت و السكون؛ مهابة له و إجلالا، لا لكبر و لا لسوء خلق فيه. حاشاه اللّه من ذلك.

(فإذا سكت تكلّموا)، أى: فلا يبتدرونه بالكلام، و لا يتكلّمون مع كلامه، بل لا يتكلمون إلّا بعد سكوته. و فى بعض النسخ «فإذا سكت سكتوا» أى:

لاقتدائهم به و تخلّقهم بأخلاقه.

(لا يتنازعون عنده الحديث)؛ أى: لا يختصمون عنده فى الحديث.

(و من تكلّم عنده أنصتوا له) أى: استمعوا لكلام المتكلّم عنده (حتّى يفرغ) من كلامه، فلا يتكلّم عنده اثنان معا، و لا يقطع بعضهم على بعض كلامه، لأنّه خلاف الأدب.

(حديثهم عنده حديث أوّلهم)؛ أى: لا يتحدّث أوّلا إلّا من جاء أوّلا، ثم من بعده ... و هكذا على الترتيب.

(يضحك ممّا يضحكون منه، و يتعجّب ممّا يتعجّبون منه)؛ أى: موافقة لهم و تأنيسا و جبرا لقلوبهم.

(و يصبر للغريب على الجفوة)- بفتح الجيم- أى: الغلظة و سوء الأدب (فى منطقه و مسألته) كما كان يصدر من جفاة الأعراب.

فالصبر على أذى النّاس و جفوتهم من أعظم أنواع الصبر، فقد ورد: «إنّ المؤمن الّذى يخالط النّاس و يصبر على أذاهم أفضل ممّن يعتزلهم».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۸۲

حتّى أن كان أصحابه ليستجلبونهم، و يقول: «إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها .. فارفدوه».

و لا يقبل الثّناء إلّا من مكافئ، ...

و قد كان صلّى اللّه عليه و سلم أعلى النّاس فى ذلك مقاما، فقد أتاه ذو الخويصرة التميمى؛ فقال: يا رسول اللّه؛- صلى اللّه عليه و سلم- اعدل. فقال: «ويحك؛ و من يعدل إذا لم أعدل!! فقد خبت و خسرت إن لم أعدل». فقال عمر: يا رسول اللّه؛ ائذن لى أضرب عنقه. فقال: «دعه». رواه البيهقىّ؛ عن أبى سعيد.

و المعنى أنّه صلّى اللّه عليه و سلم كان يصبر للغريب إذا جفاه فى مقاله و سؤاله، (حتّى أن) أى: أنّه؛ أى: الحال و الشأن، «أن» مخفّفة من الثقيلة ([كان أصحابه] «۱» ليستجلبونهم) أى: الغرباء إلى مجلسه صلّى اللّه عليه و سلم ليستفيدوا من مسألتهم ما لا يستفيدونه عند عدم وجودهم، لأنّهم يهابون سؤاله، و الغرباء لا يهابون؛ فيسألونه عما بدا لهم، فيجيبهم و يصبر على مبالغتهم فى السؤال.

(و يقول)؛ أى: النبى صلّى اللّه عليه و سلم لأصحابه (: «إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فارفدوه»)- بوصل الهمزة و ضمّ الفاء، و [أرفدوه] بقطع الهمزة و كسر الفاء؛ فإن كان من الرّفد؛ و هو العطاء؛ فالهمزة للوصل، و إن كان من الإرفاد؛ بمعنى:

الإعانة!! فمعناه: أعينوه على حاجته و ساعدوه حتّى يصل إليها.

(و لا يقبل الثّناء)؛ أى: المدح من أحد (إلّا) إذا كان (من مكافئ)- بالهمزة- أى: مجاز على إنعام وقع من النبى صلّى اللّه عليه و سلم إليه؛ فإذا قال شخص: إنّه صلّى اللّه عليه و سلم من أهل الكرم و الجود؛ و ليس مثله موجود! فإن كان ذلك واقعا منه مكافأة على إحسان صدر من النبى صلّى اللّه عليه و سلم إليه قبل ثناءه عليه، و إلّا لم يقبل منه، بل يعرض عنه؛ و لا يلتفت إليه، لأنّ اللّه ذمّ من يحبّ أن يحمد بما لم يفعل فى قوله تعالى لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَ يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا [۱۸۸/ آل عمران] ... الآية.

---

(۱) ساقطة من الأصل، و أثبتناها من «وسائل الوصول».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۸۳

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و لا يقطع على أحد حديثه حتّى يجوز فيقطعه بنهى، أو قيام.

و أمّا حلم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم:

فقد كان صلّى اللّه عليه و سلّم أحلم النّاس، و أرغبهم فى العفو مع القدرة، حتّى أتى بقلائد من ذهب أو فضّة، فقسمها بين أصحابه،

(و لا يقطع) صلى اللّه عليه و سلم (على أحد حديثه) أى: حديث ذلك الأحد؛ لا حديث نفسه صلّى اللّه عليه و سلم، فالضمير المجرور فى «حديثه» عائد على «الأحد» أى: لا يقطع كلام أحد يتكلّم عنده؛ بل يستمع له حتّى يفرغ منه.

(حتّى يجوز)- بجيم و زاى-؛ من المجاوزة، أى: حتى يتجاوز الحدّ، أو الحقّ.

و فى نسخة من «الشمائل»: حتّى يجور- بالجيم و الراء-؛ من الجور. أى:

حتّى يجور فى الحق بأن يميل عنه (فيقطعه) حينئذ (بنهى أو قيام) فيقطع عليه الصلاة و السلام حديث ذلك الأحد؛ إذا جاوز الحدّ: إما ١- بنهى له عن الحديث إن أفاد؛ بأن لم يكن معاندا، أو ٢- قيام من المجلس؛ إن كان معاندا.

و لذلك كان بعض الصالحين إذا اغتاب أحد فى مجلسه ينهاه؛ إن أفاد النهى، و إلّا! قام من مجلسه.

و فى هذا الحديث ما لا يخفى من نهاية كماله صلّى اللّه عليه و سلم و رفقه، و لطفه، و حلمه، و صبره، و صفحه، و رأفته، و رحمته، و عظيم أخلاقه ..

(و أمّا حلم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فقد) ذكره بقوله:

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم أحلم النّاس)؛ أى: أكثرهم حلما.

(و) كان (أرغبهم فى العفو مع القدرة) على الانتقام.

(حتّى أتى)- بصيغة المجهول- (بقلائد)- جمع: قلادة- و هى: ما يجعل فى العنق (من ذهب؛ أو فضّة) أى: القلائد مصوغة منهما؛ و هو الحلىّ (فقسمها بين أصحابه) بما أراه اللّه تعالى.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٤٨٤

فقال أعرابىّ: ما أراك تعدل، قال: «ويحك فمن يعدل عليك بعدى؟!»، فلمّا ولّى .. قال: «ردّوه علىّ رويدا».

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقبض للنّاس يوم [حنين] «١»، من فضّة فى ثوب بلال، فقال له رجل: يا رسول اللّه؛ اعدل.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «ويحك؛ فمن يعدل إذا لم أعدل؟! فقد خبت إذا و خسرت إن كنت لا أعدل».

(فقال أعرابىّ) من سكّان البادية الأعراب الجفاة (: ما أراك تعدل)، حيث أعطى صلّى اللّه عليه و سلم بعضا و ترك بعضا، أو أكثر لبعض و أقلّ لآخرين.

(قال) أى: النبى صلّى اللّه عليه و سلم (: «ويحك فمن يعدل عليك بعدى»؟! فلمّا ولّى) أى: الأعرابى (قال: «ردّوه علىّ رويدا»)- أى: من غير استعجال، فحلم عليه، و عفا عنه مع غلظة كلامه، و أمر بردّه على إمهال!! لئلا يرتاع.

قال العراقىّ: رواه أبو الشيخ؛ من حديث ابن عمر بإسناد جيد. انتهى.

و رواه أيضا الحاكم؛ من حديث ابن عمر، و فيه زيادة فى آخره. انتهى «شرح الإحياء».

(و) أخرج الإمام أحمد، و البخارىّ، و مسلم، و غيرهم- كما قاله فى «شرح الإحياء»- عن جابر بن عبد اللّه رضى اللّه تعالى عنهما قال: (كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يقبض)- مبنيا للفاعل- أى: يعطى (للنّاس يوم [حنين] من فضّة) كانت (فى ثوب بلال؛ فقال له رجل: يا رسول اللّه؛ اعدل. فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «ويحك؛ فمن يعدل إذا لم أعدل!! فقد خبت إذا و خسرت)- روى بفتح التاء فى «خبت» و «خسرت»، و بضمّها فيهما- و معنى الضمّ ظاهر، و تقدير الفتح: خبت أنت أيّها التابع؛ (إن كنت لا أعدل»). لكونك تابعا و مقتديا

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(۱) فی «وسائل الوصول»: خيبر.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۸۵

فقام عمر فقال: أ لا أضرب عنقه؟ فإنّه منافق.

فقال: «معاذ اللّه أن يتحدّث النّاس أنّى أقتل أصحابى».

و قسم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قسمة، فقال رجل من الأنصار: هذه قسمة ما أريد بها وجه اللّه تعالى.

بمن لا يعدل، و الفتح أشهر؛ قاله فى «شرح مسلم».

(فقام عمر) بن الخطّاب رضى اللّه تعالى عنه (فقال: أ لا أضرب عنقه؛ فإنّه منافق!!) و فى روايات أخر أنّ المستأذن فى قتله خالد بن الوليد. و ليس فيهما تعارض!! بل كلّ واحد منهما استأذن فيه؛ قاله فى «شرح مسلم».

(فقال) أى: النبى صلّى اللّه عليه و سلم (: «معاذ اللّه؛ أن يتحدّث النّاس أنّى أقتل أصحابى») فحلم صلّى اللّه عليه و سلم على القائل و صبر؛ لما علم من جزيل ثواب الصابر، و اللّه يأجر بغير حساب.

(و) فى «الإحياء»: (قسم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم) يوم حنين (قسمة) آثر ناسا فيها ليتألّفهم. (فقال رجل من الأنصار)؛ سمّاه الواقدىّ بأنه معتب بن قشير المنافق.

(: هذه قسمة) ما عدل فيها، و (ما أريد بها وجه اللّه تعالى!!).

قال فى «شرح مسلم»: قال القاضى عياض رحمه اللّه تعالى: حكم الشرع أنّ من سبّ النبى صلّى اللّه عليه و سلم كفر، و قتل. و لم يذكر فى هذا الحديث أنّ هذا الرجل قتل!

قال المازرى: يحتمل أن يكون لم يفهم منه الطعن فى النبوة، و إنّما نسبه إلى ترك العدل فى القسمة.

و المعاصى ضربان: كبائر و صغائر؛ فهو صلّى اللّه عليه و سلم معصوم من الكبائر بالإجماع.

و اختلفوا فى إمكان وقوع الصغائر!! و من جوّزها منع من إضافتها إلى الأنبياء؛ على طريق التنقيص. و حينئذ فلعلّه صلّى اللّه عليه و سلم لم يعاقب هذا القائل، لأنه لم يثبت عليه ذلك، و إنّما نقله عنه واحد، و شهادة الواحد لا يراق بها الدم!

قال القاضى: هذا التأويل باطل يدفعه قوله «اعدل؛ يا محمد، و اتق اللّه؛

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۸۶

فذكر ذلك للنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم .. فاحمرّ وجهه و قال:

«رحم اللّه أخى موسى، قد أوذى بأكثر من هذا فصبر».

و بال أعرابىّ فى المسجد بحضرته، فهمّ به أصحابه، فقال صلّى اللّه عليه و سلّم: «لا تزرموه»؛ أى: لا تقطعوا عليه البول.

يا محمد»، و خاطبه خطاب المواجهة بحضرة الملأ؛ حتّى استأذن عمر و خالد النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم فى قتله؛ فقال: «معاذ اللّه أن يتحدّث النّاس أنّ محمّدا يقتل أصحابه»! فهذه هى العلّة. و سلك معه مسلكه مع غيره من المنافقين الذين آذوه، و سمع منهم فى غير موطن ما كرهه؛ لكنّه صبر! استبقاء لانقيادهم و تأليفا لغيرهم؛ لئلا يتحدّث النّاس أنّه يقتل أصحابه؛ فينفروا، و قد رأى هذا الصنف فى جماعتهم و عدّوه من جملتهم.

(فذكر ذلك) القول (للنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم فاحمرّ وجهه)، و غضب غضبا شديدا؛ لنسبته إلى الجور، و قد جبل اللّه تعالى النفس على التألّم بما يفعل بها، و التألّم سبب للانتقام من المؤلم، و لهذا شقّ عليه هذا القول، لكنه لكمال حلمه صلّى اللّه عليه و سلم تحمّله من فاعله؛ فلم ينتقم منه.

(و قال: «رحم اللّه أخى موسى) بن عمران الإسرائيلىّ؛ (قد أوذى بأكثر من هذا فصبر») أى: آذاه قومه بأشدّ مما أوذيت به فصبر على إيذائهم.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

قال العراقی: متفق علیه؛ من حدیث ابن مسعود. و رواه الإمام أحمد أیضا عنه. انتهی «شرح الإحیاء».

(و) فی «الإحیاء»: (بال أعرابیّ فی المسجد) النّبوی (بحضرته) صلی اللّه علیه و سلم (فهمّ به أصحابه) أی: قصدوا منعه عن ذلک؛ (فقال صلّی اللّه علیه و سلم: «لا تزرموه»)- بضم التاء الفوقیۀ و سکون الزای- (أی: لا تقطعوا علیه البول) فإنّه یضرّ البائل.

قال ذلک شفقۀ علیه.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۴۸۷

ثمّ قال له: «إنّ هذه المساجد لا تصلح لشیء من القذر و البول و الخلاء». و فی روایۀ: «قرّبوا و لا تنفّروا».

و جاء أعرابیّ یطلب منه شیئا، فأعطاه صلّی اللّه علیه و سلّم، ثمّ قال له: «آحسنت إلیک؟».

قال الأعرابیّ: لا، و لا أجملت.

فغضب المسلمون، و قاموا إلیه. فأشار إلیهم أن کفّوا.

ثمّ قام و دخل منزله، و أرسل إلی الأعرابیّ و زاده شیئا، ...

(ثمّ قال له: «إنّ هذه المساجد لا تصلح لشیء من القذر و البول و الخلاء»)؛ أی: الغائط.

(و فی روایۀ: «قرّبوا و لا تنفّروا»). قال العراقی: متّفق علیه؛ من حدیث أنس رضی اللّه تعالی عنه. انتهی «شرح الإحیاء».

(و) فی «الإحیاء» أیضا: (جاء أعرابیّ) لم یسمّ (یطلب منه شیئا)؛ أی:

من مطالب الدنیا (فأعطاه صلّی اللّه علیه و سلم، ثمّ قال: «آحسنت إلیک؟!»)- بهمزۀ ممدودۀ و سکون حاء؛ لاجتماع همزۀ الأفعال و همزۀ الاستفهام التقریری و هو حمل المخاطب علی الإقرار بأنه أحسن إلیه و أنعم علیه.

(قال الأعرابیّ: لا) أی: لا أعطیتنی کثیرا، و لا قلیلا (و لا أجملت) أی:

و لا أتیت بالجمیل، أو و لا أوصلتنی جمیلا حیث لا أحسنت جزیلا. و قیل:

ما أجملت ما أکثرت، و هو أوّل؛ قاله ملا علی قاری.

(فغضب المسلمون) من کلامه و جرأته علیه صلّی اللّه علیه و سلم (و قاموا إلیه) لیضربوه و یجازوه بما یستحقّه. (فأشار إلیهم أن کفّوا) أی: امتنعوا عنه.

و هذا من حلمه صلّی اللّه علیه و سلم و شفقته تألّفا له؛ لیحسن إسلامه.

(ثمّ قام) من مجلسه، (و دخل منزله، و أرسل إلی الأعرابیّ و زاده شیئا) علی

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۴۸۸

ثمّ قال له: «آحسنت إلیک؟».

قال: نعم، فجزاک اللّه من أهل و عشیرۀ خیرا.

فقال له النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم: «إنّک قلت ما قلت و فی نفس أصحابی شیء من ذلک، فإن أحببت فقل بین أیدیهم ما قلت بین یدیّ حتّی یذهب من صدورهم ما فیها علیک».

قال: نعم.

فلمّا کان الغد أو العشیّ .. جاء فقال النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم:

ما أعطاه أوّلا، (ثمّ قال له: «آحسنت إلیک؟» قال: نعم) أحسنت إلیّ (فجزاک اللّه) علی إحسانک إلیّ و لطفک بی (من أهل و عشیرۀ خیرا. فقال له النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم: «إنّک قلت ما قلت) آنفا (و فی نفس أصحابی شیء من ذلک، فإن أحببت)- أی: أردت إزالۀ ذلک- (فقل بین أیدیهم) أی: عندهم (ما قلت بین یدیّ) أی: من المدیح لیکون کفّارۀ لذلک القبیح، و علّق قوله علی محبّته و إرادته؛ لطفا منه صلّی اللّه علیه و سلم أیّ لطف، مع أنّه ذنب عظیم ینبغی التنصّل منه.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و فیه من الشفقة بالأمّة ما لا یخفی (حتّی یذهب)؛ أی: بقولک لهم ذلک (من صدورهم ما فیها) أی: الغضب و الألم الذی فی قلوبهم (علیک») بسبب ما قلته أوّلا.

(قال: نعم) أی: أقول لهم ذلک.

(فلمّا کان الغد) المراد بالغد صبیحة الیوم الذی بعد الیوم الذی کلّمه فیه النبیّ صلّی اللّه علیه و سلم، و الغداة من طلوع الفجر إلی الزوال.

(أو) قال (العشیّ)- بفتح فکسر؛ فتشدید- و هو: ما بعد الزوال إلی الغروب، و الشکّ هنا من الراوی.

(جاء) أی: الأعرابی إلی مجلس النبیّ صلّی اللّه علیه و سلم (فقال النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم) لأصحابه

«إنّ هذا الأعرابیّ قال ما قال، فزدناه فزعم أنّه رضی ذلک، أ کذلک؟». قال: نعم، فجزاک اللّه من أهل و عشیرة خیرا.

فقال صلّی اللّه علیه و سلّم: «إنّ مثلی و مثل هذا الأعرابیّ کمثل رجل کانت له ناقة شردت علیه فاتّبعها النّاس؛ فلم یزیدوها إلّا نفورا فناداهم صاحب النّاقة: خلّوا بینی و بین ناقتی، فإنّی أرفق بها و أعلم، فتوجّه لها صاحب النّاقة بین یدیها، فأخذ لها من قمام الأرض ...

الحاضرین عنده (: «إنّ هذا الأعرابیّ قال ما قال) لی أوّلا مما سمعتموه، (فزدناه) علی عطائه الأوّل (فزعم أنّه رضی [ذلک]) أی: بجملة ما أعطیناه له،

(أ کذلک»؟!) استفهام تقریر متوجّه من النبی صلّی اللّه علیه و سلم للأعرابیّ، أی: الأمر کذلک من أنّک رضیت.

(قال، نعم: فجزاک اللّه من أهل و عشیرة خیرا. فقال صلّی اللّه علیه و سلم: «إنّ مثلی و مثل هذا الأعرابیّ کمثل رجل کانت له ناقة شردت علیه) أی: نفرت منه و ذهبت فی الأرض (فاتّبعها النّاس)؛ من الاتّباع، أو من الإتباع، أی مضوا و جروا خلفها لیمسکوها (فلم یزیدوها إلّا نفورا) أی: لم یحصل باتباع النّاس لها إلّا زیادة هربها و نفورها لخوفها منهم.

(فناداهم صاحب النّاقة) أن: (خلّوا بینی و بین ناقتی، فإنّی أرفق بها و أعلم) أی: أنا أشفق علیها و أعلم بحالها و طبعها و طریق أخذها منکم.

(فتوجّه لها صاحب النّاقة بین یدیها)؛ أی: جاءها من أمامها.

(فأخذ لها من قمام الأرض) القمام- بضمّ القاف و تخفیف المیم- جمع قمامة ککناسة؛ لفظا و معنی. و المراد بها هنا: النبات الّذی ترعاه الدوابّ کحشیش و تبن، شبّهه بالقمام! لخسّته، و لأنّه مما یطرح؛ کالقمامة، فاستعیر له اسمها لمشارکته صفته.

فردّها هونا هونا حتّی جاءت و استناخت و شدّ علیها رحلها و استوی علیها، و إنّی لو ترکتکم حیث قال الرّجل ما قال فقتلتموه دخل النّار».

(فردّها هونا هونا) هو اسم صوت لدعاء الناقة (حتّی جاءت) فیه مقدّر؛ أی: فدنت منه لتأکل ما بیده من الحشیش، فأمسکها و ردّها حتّی أتی بها محلّه،

(و استناخت) أی: برکت و مکثت عنده؛ من ناخ الجمل و نوّخه إذا برّکه.

(و شدّ علیها رحلها) أی: ربط علیها قتبها، فالرّحل للإبل کالسّرج للفرس.

(و استوی علیها) أی: علی ظهرها، أی: رکبها. یقال: استوی علی الدابّة إذا علا علی ظهرها و رکبها، (و إنّی لو ترکتکم حیث قال الرّجل ما قال) أی: لو لم أکفّکم و أمنعکم عنه حین قال لی الرّجل مقالته السیّئة (فقتلتموه دخل النّار»؛) عقوبة له بإساءته علی النبی صلّی اللّه علیه و سلم.

و شبّه المال لخسّة الدّنیا عنده بالقمامة، و شبّه نفسه بالرّجل، و شبّه الأعرابیّ بدابّة شاردة عن ربّها، و شبّه الصحابة لما غضبوا و قاموا له

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

بالناس التابعين لها الذين نفّروها عن ربّها، و شبّه قوله «كفّوا عنه» بقوله «خلّوا بينى و بينها».

و فى قوله «فإنّى أرفق بها منكم» بيان لأنّه أعظمهم رفقا و أقواهم شفقة على خلق اللّه تعالى، و هو تشبيه فى أعلى طبقات البلاغة لتضمّنه هذه المعانى اللطيفة.

قيل: و يحتمل أنّ الرجل إنّما قال أوّلا ما قال ليطّلع على حلمه صلّى اللّه عليه و سلم، لأنه سمع صفاته من أهل الكتاب و النبى صلّى اللّه عليه و سلم علم بذلك.

و قيل: إنّ جزمه بدخول النّار لكفره بما قاله للنبى صلّى اللّه عليه و سلم. و النبىّ تلطّف به حتّى آمن و نجا من النار. فتأمل!!

و هذا الحديث رواه البزّار، و أبو الشيخ بسند ضعيف؛ عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه، و ابن حبّان فى «صحيحه»، و ابن الجوزى فى «الوفا» عنه.

و مما يناسب المقام و يلائم المرام: ما روى عن خوّات بن جبير من الصحابة

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۹۱

و عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه قال: كنت مع النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم و عليه برد غليظ الحاشية، فجذبه أعرابىّ بردائه جبذة شديدة حتّى أثّرت حاشية البرد على صفحة عاتقه، ...

الكرام أنّه قال: نزلت مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم بمرّ الظهران فإذا نسوة يتحدّثن، فأعجبننى، فأخرجت حلّة من عيبتى فلبستها؛ و جلست إليهنّ، فمرّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فهبته. فقلت: يا رسول اللّه؛ جمل لى شرود و أنا أبتغى له قيدا!! فمضى و تبعته، فألقى علىّ رداءه و دخل الأراك؛ فقضى حاجته و توضّأ، ثمّ جاء؛ فقال:

«يا أبا عبد اللّه؛ ما فعل شراد جملك؟». ثمّ ارتحلنا، فجعل كلّما لحقنى؛ قال: «السّلام عليك يا أبا عبد اللّه؛ ما فعل شراد جملك». فتعجّلت المدينة و تركت مجالسته و المسجد، فطال ذلك علىّ فتحيّنت خلوّ المسجد، ثمّ دخلت فطفقت أصلّى. فخرج من بعض حجره فصلّى ركعتين خفّفهما و طوّلت؛ رجاء أن يذهب عنّى. فقال: «طوّل يا أبا عبد اللّه ما شئت؛ فلست ببارح حتّى تنصرف».

فقلت: و اللّه؛ لأعتذرنّ إليه. فانصرفت، فقال: «السّلام عليك يا أبا عبد اللّه؛ ما فعل شراد الجمل». فقلت: و الذى بعثك بالحقّ؛ ما شرد ذلك الجمل منذ أسلمت!! فقال: «رحمك اللّه» «مرّتين»، أو «ثلاثا» ثم لم يعد.

(و) أخرج أبو داود و البيهقىّ؛ (عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه)- و أخرجه الشيخان أيضا؛ عن أنس، و قد تقدّم- (قال: كنت مع النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم و عليه برد غليظ الحاشية) البرد و البردة: كساء أسود مربّع، أو شملة مخطّطة، و الحاشية، جانب الثوب.

(فجذبه)- بتقديم الذال المعجمة على الموحّدة- و فى رواية: فجبذه- بتقديم الموحّدة- و هما لغتان صحيحتان (أعرابىّ) لم يسمّ (بردائه)، هذا يقتضى أنّه كان عليه برد و رداء فوقه؛ و إن الجذب وقع بهما (جبذة شديدة) أى: دفعة عنيفة (حتّى أثّرت)- بتشديد المثلاثة؛ مبنىّ للفاعل- أى: أظهرت أثرا و علامة (حاشية البرد على صفحة عاتقه) الصفحة: الجانب؛ أو العرض. و العاتق: ما بين العنق

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۹۲

ثمّ قال: يا محمّد؛ أحمل لى على بعيرىّ هذين من مال اللّه الّذى عندك، فإنّك لا تحمل لى من مالك و لا من مال أبيك.

فسكت النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم ثمّ قال: «المال مال اللّه، و أنا عبده»، ثمّ قال: «و يقاد منك يا أعرابىّ ما فعلت بى». قال: لا. قال: «لم؟»، قال: لأنّك لا تكافىء بالسّيّئة السّيّئة.

فضحك النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم، ...

و الكتف، أو موضع الرداء من المنكب. و هو يؤنّث و يذكّر، و فى رواية أنّ البرد انشقّ، و لم يتأثّر صلّى اللّه عليه و سلم من سوء أدبه.

(ثمّ قال) أى: الأعرابىّ على عادة أجلاف العرب (: يا محمّد؛ أحمل لى)- بفتح الهمزة- أى: أعطنى ما أحمل (على بعيرىّ) بالتثنية مضافا إلى ياء المتكلم (هذين) أى: حمّلهما لى طعاما (من مال اللّه الّذى عندك، فإنّك لا تحمل لى) أى: لا تعطينى (من مالك، و لا

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

من مال أبيك!!

فسكت النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم) حلما و كرما، (ثمّ قال: «المال مال اللّه؛ و أنا عبده») أى: أتصرف فى ماله بإذنه، و أعطى من يأمرنى بإعطائه، فردّ صلّى اللّه عليه و سلم بألطف ردّ.

(ثمّ قال) أى: النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم (: «و يقاد منك)؛ من القود و هو القصاص، و هو هنا مجاز عن مطلق المجازاة، أى: أ تجازى على ترك أدبك (يا أعرابىّ)، يشير به إلى أنّه معذور لما فيه من غلظ الأعراب و هم أهل البادية (ما فعلت بى») من جذب بردى بأن يفعل به مثله، أو يعزّر بما يليق به.

(قال) أى الأعرابى (: لا) أى: لا يقاد منى. (قال: «لم»؟!) أى: لأى شىء لا يقاد منك؟ (قال: «لأنك لا تكافىء) بهمزة أى: لا تجازى (بالسّيّئة السّيّئة)، بل تجازى بالسيئة الحسنة، و فيه مشاكلة، لأنّ الجزاء ليس بسيئة.

(فضحك النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم) سرورا بما رآه من حسن ظنّه به، و أنّه لم يفعل ذلک بقصد التنقيص منه، و تطمينا لقلبه إذ أبدى المسرّة بمقالته، و هذا يقتضى أنّه كان مسلما غير أنّ فيه جفاء البادية.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۹۳

ثمّ أمر أن يحمل له على بعير شعير و على الآخر تمر.

و روى الطّبرانىّ و ابن حبّان ...

(ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير، و على الآخر تمر).

و فيه من حلمه صلّى اللّه عليه و سلم و تحمّله الأذى و عدم التضجّر ما لا يخفى، و هو إرشاد لأمّته لا سيّما من يتولّى منهم أمور المسلمين.

(و روى الطّبرانىّ)؛ كما فى «المواهب» و «الشفاء»، (و ابن حبّان) الحافظ العلامة:

أبو حاتم محمد بن حبّان بن أحمد بن حبان بن معاذ التميمى الدارمى البستى- بضم الباء الموحّدة و إسكان السين و فوقية- نسبة إلى «بست»: بلد كبير من بلاد الغور بطرف خراسان، الشافعى الإمام الكبير.

صاحب التصانيف، كان على قضاء سمرقند زمانا، و كان من فقهاء الدّين و حفّاظ الآثار، عالما بالطبّ و النجوم و فنون العلم.

قال الحاكم: كان ابن حبان من أوعية العلم؛ فى الفقه، و اللّغة، و الحديث، و الوعظ، و من عقلاء الرجال. انتهى

سمع أبا عبد الرحمن النّسائى، و الحسن بن سفيان، و أبا يعلى الموصلى، و أبا بكر بن خزيمة، و أمما لا يحصون من مصر إلى خراسان.

حدّث عنه الحاكم و غيره، و صنّف التصانيف؛ منها «المسند الصحيح» المسمّى ب «التقاسيم و الأنواع» فى خمس مجلدات كبار، و ترتيبه مخترع ليس على الأبواب؛ و لا على المسانيد و الكشف منه عسر جدّا، و هو موجود بتمامه؛ بخلاف «صحيح ابن خزيمة» فقد عدم أكثره؛ كما قاله السّخاوىّ.

و من مؤلّفاته «التاريخ»، و «كتاب الضعفاء». و توفى ب «بست» سنة:

أربع و خمسين و ثلاثمائة؛ و هو فى عشر الثمانين. و قد قيل: إنّ أصحّ من صنّف فى الصحيح بعد الشيخين ابن خزيمة؛ فابن حبّان رحمهم اللّه.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۹۴

و الحاكم و البيهقىّ ...

(و) أبو عبد اللّه (الحاكم) النّيسابورىّ، و أبو نعيم الأصفهانى، و أبو الشيخ ابن حيان؛ فى كتاب «الأخلاق النبوية».

(و) الإمام الحافظ العلّامة؛ الكبير الشهير شيخ السّنّة: أحمد بن الحسين بن على بن عبد اللّه بن موسى؛ أبو بكر (البيهقىّ) نسبة إلى

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

«بيهق»: قرى مجتمعة بنواحى نيسابور؛ على عشرين فرسخا منها. الخسروجردى الشافعى، الفقيه الحافظ الأصولى، الدّين الورع، واحد زمانه فى الحفظ، و فرد أقرانه فى الإتقان و الضبط، من كبار أصحاب الحاكم؛ و يزيد عليه بأنواع من العلوم.

كتب الحديث و حفظه و ضبطه من صباه، و تفقّه و برع، و أخذ فى الأصول، و ارتحل إلى العراق و الجبال و الحجاز.

ثم صنّف. و تاليفه تقارب ألف جزء مما لم يسبقه إليه أحد.

جمع بين علم الحديث و الفقه و بيان علل الحديث، و وجه الجمع بين الأحاديث، و كان على سيرة العلماء؛ قانعا باليسير، متجمّلا فى زهده و ورعه.

و عن إمام الحرمين أبى المعالى؛ قال: ما من شافعى إلّا و للشافعى عليه منّة إلّا أبا بكر البيهقى، فإنّ له المنة على الشافعى؛ لتصانيفه فى نصرة مذهبه.

ولد سنة: أربع و ثمانين و ثلاثمائة فى شعبان، و سمع أبا عبد اللّه الحاكم، و أبا طاهر بن محمش، و أبا بكر بن فورك، و أبا علىّ الرّوذبارى، و أبا عبد الرحمن السّلمى، و خلقا بخراسان، و عدّة ببغداد، و طائفة بمكّة، و جماعة بالكوفة.

و بورك له فى علمه؛ لحسن قصده و قوّة فهمه و حفظه.

و صنّف التصانيف المفيدة؛ منها «السنن الكبرى» فى عشر مجلدات ضخام، «و السنن الصغرى» فى مجلدين، و «دلائل النبوة» و «شعب الإيمان» و «مناقب الشافعى» و «الدعوات الكبير» و كتاب «الأسماء و الصفات»، و كتاب

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۹۵

عن زيد بن سعنة- و هو كما قال النّووىّ رحمه اللّه تعالى: أجلّ أحبار اليهود الّذين أسلموا- أنّه قال: لم يبق من علامات النّبوّة شىء ...

«الخلافيات» و كتاب «معرفة السنن و الآثار» أى: معرفة الشافعى بها، و كتاب «المدخل إلى السنن الكبرى»، و كتاب «البعث و النشور» و «الأربعون الكبرى» و «الأربعون الصغرى»، و جزء فى الرؤية، و جزء فى حياة «الأنبياء»، و مناقب الإمام أحمد.

و كانت وفاته فى عاشر جمادى الأولى سنة: ثمان و خمسين و أربعمائة.

و حمل تابوته إلى بيهق؛ و دفن بها بخسروجرد، و هى من قراها الصغرى رحمة اللّه تعالى عليه. آمين.

(عن زيد بن سعنة)- بفتح السين المهملة و سكون العين المهملة و فتح النون؛ كما قيّده بذلك الحافظ عبد الغنى، و الدارقطنى. و [سعية]- بالمثناة التحتية بدل النون-؛ ثبت فى «الشفاء» و هو الّذى ذكره ابن اسحاق، و حكى ابن عبد البر و غيره الوجهين قال ابن عبد البر: و النون أكثر، و اقتصر الجمهور على النون. قال الذّهبىّ: و هو أصحّ.

- (و هو- كما قال النّووىّ رحمه اللّه تعالى-: أجلّ)- بجيم و لام؛ كذا فى النسخ!! و الذى فى «تهذيب النووى»: أحد- بحاء و دال مهملتين- (أحبار اليهود الّذين أسلموا)، و أكثرهم علما و مالا، أسلم و حسن إسلامه، و شهد معه صلّى اللّه عليه و سلم مشاهد كثيرة، و توفى فى غزوة تبوك؛ مقبلا إلى المدينة. انتهى.

و المصنّف تبع القسطلانى فى «المواهب». قال الزرقانى: فكأنّه غيّر «أحد» ب «أجل»!! لأن قوله «أكثرهم علما و مالا» يفيد أنّه أجلّهم، ثم يرد على هذا ابن سلام، إذ ظاهر الأحاديث أنّه أجل المسلمين من اليهود، إلّا أن تكون الجلالة باعتبار مجموع العلم و المال. (أنّه قال:

لم يبق من علامات النّبوّة شىء)، و فى رواية- عند ابن سعد-: ما بقى شىء

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۴۹۶

إلّا و قد عرفته فى وجه محمّد صلّى اللّه عليه و سلّم حين نظرت إليه، إلّا اثنتين لم أخبرهما «۱» منه: ۱- يسبق حلمه جهله، ۲- و لا تزيده شدّة الجهل عليه إلّا حلما. فكنت أتلطّف له لأن أخالطه فأعرف حلمه و جهله، فابتعت منه تمرا إلى أجل، ...

من نعت محمّد فى «التوراة» (إلّا و قد عرفته) أى: شاهدته، و يروى: عرفتها.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

باعتبار أنّ الشیء بمعنی العلامة. (فی وجه محمّد صلّی اللّه علیه و سلم حین نظرت إلیه

إلّا اثنتین) فی روایة: إلّا خصلتین (لم [أخبرهما])- بفتح الهمزة و إسکان الخاء المهملة و ضمّ الباء الموحدة- أی: لم أعلمهما (منه) علی حقیقتهما، إذ علمهما لا یکون بالمشاهدة؛ بل بالاختبار:

[الأولی]: (یسبق حلمه جهله) مقابل الحلم من الغضب و الانتقام ممّن آذاه. قال الشاعر:

ألا ـ لا ـ یجهلن أحد علینافنجهل فوق جهل الجاهلینا فالمراد أنّ حلمه یغلب حدّته، کقوله: «سبقت رحمتی غضبی». فلیس الجهل هنا مقابل العلم، و هو: عدم إدراک الشیء، أو إدراکه علی خلاف ما هو علیه!! کما توهّمه من لم یعرف لغة العرب. حیث قال لو کان له جهل؛ نحو فَتَبارَکَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِینَ (۱۴) [المؤمنون] «۲» و هذه إحدی الخصلتین.

(و) الثانیة (لا تزیده شدّة الجهل) أی: جهل غیره- أی: سفاهته- (علیه) و أذیّته (إلّا حلما)، فکلّما زادت و اشتدّت زاد حلمه صلّی اللّه علیه و سلم (فکنت أتلطّف):

أتخشع و أترفّق (له)؛ توصّلا (لأن أخالطه فأعرف حلمه و جهله، فابتعت) أی:

اشتریت (منه تمرا إلی أجل) «۳». و فی روایة أبی نعیم: و أعطاه زید بن سعنة قبل

---

(۱) فی «وسائل الوصول»: أجدهما.

(۲) یعنی لو کان هناک خالق. فلیس فیه التفاضل علی بابه من أن شیئین اشترکا ... فتنبه.

(۳) أی: سلما.

فأعطیته الثّمن، فلمّا کان قبل محلّ الأجل بیومین أو ثلاثة .. أتیته فأخذت بمجامع قمیصه و ردائه [علی عنقه]، و نظرت إلیه بوجه غلیظ، ثمّ قلت: أ لا تقضینی یا محمّد حقّی؟! [فو اللّه] إنّکم یا بنی عبد المطّلب مطل. فقال عمر: أی عدوّ اللّه؛ أ تقول لرسول اللّه ما أسمع، فو اللّه لو لا ـ ما أحاذر [فوته] .. لضربت بسیفی رأسک. و رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم ینظر إلی عمر بسکون و تؤدة، و تبسّم.

إسلامه ثمانین مثقالا ـ ذهبا، فی تمر معلوم إلی أجل معلوم. (فأعطیته الثّمن، فلمّا کان قبل محلّ)- بکسر الحاء- أی: وقت (الأجل بیومین أو ثلاثة)- و فی روایة أبی نعیم: بیوم أو یومین- (أتیته فأخذت بمجامع) جمع مجمع؛ کمقعد و منزل:

موضع الاجتماع- کما فی «القاموس» و غیره- أی: بما اجتمع من (قمیصه و ردائه [علی عنقه]، و نظرت إلیه بوجه غلیظ) أی: عابس مقطّب (ثمّ قلت: أ لا تقضینی یا محمّد؛ حقّی!! [فو اللّه] إنّکم یا بنی عبد المطّلب مطل)- بضم المیم و الطاء المهملة- جمع: ماطل؛ أی تمتنعون من أداء الحقّ، و تسوّفون بالوعد؛ مرّة بعد أخری، (فقال عمر)- فی روایة أبی نعیم: فنظر إلیه عمر؛ و عیناه تدوران فی وجهه؛ کالفلک المستدیر؛ فقال- (: أی؛ عدوّ اللّه، أ تقول لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم ما أسمع)!! زاد أبو نعیم: و تفعل به ما أری!! (فو اللّه؛ لو لا ما أحاذر)- بمعنی أحذر، أی: شیء أخاف ([فوته]) من بقاء الصلح بین المسلمین و بین قومه،- و فی روایة أبی نعیم: لو لا ما أحاذر قومک- (لضربت بسیفی رأسک)!!

و رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم ینظر إلی عمر بسکون) ضدّ: الحرکة (و تؤدة)؛ التأنّی، فتغایر مفهوما؛ لا ما صدقا «۱»، (و تبسّم) من مقالهما، لشدّة حلمه، و لعله کوشف «۲»

---

(۱) مصطلح منطقی یقابل المفهوم، غیر أن أحدهما للمفرد و الآخر للمرکب.

(۲) فی هذا تأمّل!! إذ لو کشف ما فی رغبة ابن سعنة لم تعد ثمّة فضیلة فی هذا الحلم، و لبطل موضع الشاهد.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۴۹۸

ثمّ قال: «أنا و هو كنّا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر؛ أن تأمرنى بحسن [الأداء]، و أن تأمره بحسن [التّباعة]، اذهب به يا عمر؛ فاقضه حقّه و زده عشرين صاعا مكان ما روّعته». ففعل.

فقلت: يا عمر؛ كلّ علامات النّبوّة قد عرفتها فى وجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم حينما نظرت إليه، إلّا اثنتين لم أختبرهما: يسبق حلمه جهله، و لا يزيده شدّة الجهل [عليه] إلّا حلما، فقد اختبرتهما، ...

بمراد ابن سعنة!! و إنّ عمر لو كشف له لم يصعب عليه ذلك.

(ثمّ قال: «أنا و هو)- أى: صاحب الحقّ- (كنّا أحوج إلى غير هذا) الذى قلته. (منك يا عمر؛) و أبدل منه قوله: (أن تأمرنى بحسن [الأداء]) أى: وفاء ما علىّ (و أن تأمره بحسن [التّباعة]»)!!- بالكسر-: المطالبة بالحقّ.

و فى «الشفاء»: تأمرنى بحسن القضاء، و تأمره بحسن التقاضى.

ثم قال: «لقد بقى من أجله ثلاث»!! انتهى. فتكرّم صلّى اللّه عليه و سلم فعجّلها قبل الأجل و زيادة، فقال:

(«اذهب به يا عمر؛ فاقضه حقّه و زده عشرين صاعا مكان ما روّعته»):

فزعته. و «ما» مصدرية أى: فى مقابلة روعك له.

(ففعل) ذلك عمر. قال زيد: (فقلت: يا عمر؛ كلّ علامات النّبوّة قد عرفتها فى وجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم حينما نظرت إليه؛ إلّا اثنتين لم أختبرهما)؛ أى: لم أعلمهما.

(۱- يسبق حلمه): ثباته و صفحه و صبره (جهله): حدّته؛ فلا ينتقم.

(۲- و لا يزيده شدّة الجهل [عليه] إلّا حلما، فقد اختبرتهما) أى:

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۴۹۹

فأشهدك أنّى قد رضيت باللّه ربّا؛ و بالإسلام دينا، و بمحمّد صلّى اللّه عليه و سلّم نبيا. قال القاضى عياض فى «الشّفا»: (و حسبك ما ذكرناه ممّا فى «الصّحيح» و المصنّفات الثّابتة، ممّا بلغ متواترا مبلغ اليقين: من صبره على مقاساة قريش، ...

صاحبهما، إذ الاختبار: الامتحان، و هو لم يختبر الخصلتين. و المذكور بخطّ الشامىّ: خبرتهما- بلا «ألف»- أى: علمتهما منه بما رأيت من فعله صلّى اللّه عليه و سلم

(فأشهدك) يا عمر؛ (أنّى قد رضيت باللّه ربّا، و بالإسلام دينا، و بمحمّد صلّى اللّه عليه و سلم نبيّا).

و فى رواية: و ما حملنى على ما رأيتنى صنعت يا عمر إلّا أنّى كنت رأيت صفاته التى فى «التوراة» كلّها إلّا الحلم، فاختبرت حلمه اليوم فوجدته على ما وصف فى «التوراة»، و إنّى أشهدك أنّ هذا التمر و شطر مالى فى فقراء المسلمين. و أسلم أهل بيته كلّهم إلّا شيخا غلبت عليه الشّقوة. انتهى «زرقانى» رحمه اللّه تعالى.

(قال) العلّامة الإمام (القاضى) أبو الفضل: (عياض) بن موسى اليحصبىّ الأندلس السّبتى- سقى اللّه ثراه صبيب الرحمة و الرضوان- (فى) كتابه («الشّفاء») الذى هو كاسمه شفاء، أى: شفاء لما فى الصدور.

قال فى «الباب الثّانى منه؛ فى آخر: فصل الحلم و الاحتمال»:

(و حسبك) أى: مغنيك و كافيك (ما ذكرناه ممّا فى الصّحيح) أى: فى الكتب الصحيحة، (و المصنّفات الثّابتة) أى: و لو لم تكن من الصحاح الستة!! أو: و لو لم تكن صحيحة؛ بل ثابتة حسنة!! فإنّها حجّة بيّنة؛ أى: كافيك ذلك منضمّا (ممّا بلغ) أى: ممّا وصل عندك مجموعه (متواترا)؛ تواترا معنويا (مبلغ اليقين) أى: مبلغا يحصل به اليقين للمؤمنين فى أمر الدين، و لو قال «مبلغ الضرورىّ»!! كان أولى.

(من صبره) بيان ل «ما بلغ»؛ أى: من تحمّله (على مقاساة قريش) أى:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۵۰۰

و أذی الجاهليّة، و مصابرة الشّدائد الصّعبة معهم، إلی أن أظفره اللّه تعالی عليهم- يعنی: بفتح مكّة- و حكّمه فيهم و هم لا يشكّون فی استئصال شأفتهم، و إبادة خضرائهم- أی: إهلاك جماعتهم- فما زاد علی أن عفا ...

مكابدتهم و معارضتهم و مخالفتهم (و أذی الجاهليّة) أی: و تأذّيه من أهل جاهليّتهم و سفاهتهم، (و مصابرة الشدائد) أی: مغالبة المحن (الصّعبة) أی: الشّاقّة (معهم) فی الحروب الواقعة بينه و بينهم، و هی؛ و إن كانت سجالا؛ إلّا أنّه صبّ عليهم العذاب.

فالمصابرة: مفاعلة؛ من الصبر عن شدائد الحروب، و هم صناديد و أبطال كان لهم صبر علی اصطلاء نارها، لكنه صلّی اللّه عليه و سلم غلبهم و صابرهم و زاد عليهم.

(إلی أن أظفره اللّه تعالی) بهم، و فی نسخة: أظهره اللّه (عليهم- يعنی:

بفتح مكّة- و حكّمه فيهم)- بتشديد الكاف-، أی: جعله اللّه تعالی قاهرا غالبا لهم، و هم فی قبضة تصرّفه؛ يحكم فيهم بما يريد من قتل و أسر و عفو؛ إن شاء (و هم لا يشكّون)؛ أی: لا يتردّدون، بناء علی زعمهم و قياسا علی أنفسهم (فی استئصال)؛ هو: قطع الشیء من أصله و إزالته بالكليّة (شأفتهم)- بفتح شين معجمة، فسكون همزة، ففاء؛ تليها هاء تاء تأنيث، و تبدل الهمزة ألفا- أی:

جمعهم و قطع أثرهم.

و الشّأفة- فی الأصل-: قرحة تخرج للإنسان فی أسفل القدم؛ فتكوی فتذهب فهم يقولون فی المثل «استأصل اللّه شأفته» أی: أذهبه كما أذهبها، (و إبادة)- بكسر الهمزة و بالدال المهملة- مصدر بمعنی: الإهلاك (خضرائهم)- بفتح الخاء المعجمة، و سكون الضّاد المعجمة؛ بعدهما راء، فألف ممدودة- (أی: إهلاك جماعتهم) و تفريق جمعهم.

و المعنی: أنّه صلّی اللّه عليه و سلم ظفر بهم فی حال تيقّنوا هلاكهم بأسرهم؛ و ذهابهم عن آخرهم، بحيث لا يبقی منهم باقية (فما زاد) صلی اللّه عليه و سلم (علی أن عفا): تجاوز عن

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۵۰۱

و صفح، و قال: «ما تقولون أنّی فاعل بكم؟»، قالوا: خيرا؛ أخ كريم، و ابن أخ كريم، فقال: «اذهبوا؛ فأنتم الطّلقاء».

أفعالهم، (و صفح) أی: أعرض عن أقوالهم؛ أی: مع شدّة أذاهم و نصره عليهم بحيث صاروا فی قبضة تصرّفه؛ قد أحاط بهم الهلاك من كلّ جانب، ما زاد علی ما كان عليه من حاله إلا العفو و الصفح، لا شفاء النفس بالانتقام؛ و فعل ما يستحقّون بحيث لو فعل لم يلم.

(و قال) أی: لهم تلويحا بلطفه إليهم؛ و شفقته عليهم، و استخراجا لما فی ضمائرهم؛ و استظهارا لما فی سرائرهم.

(: «ما تقولون)- «ما» استفهامية، «و تقولون» بمعنی تظنّون- (أنّی فاعل بكم؟!»)، بفتح همزة «أنّ» و هی و ما معها سادّة مسدّ مفعوليه (قالوا: خيرا) منصوب بمقدّر يدلّ عليه فاعل قبله؛ أی تفعل خيرا، أو أنت فاعل خيرا؛ (أخ كريم) أی: أنت (و ابن أخ كريم) أی: فلا يجیء من مثلك إلّا ما يوجب الكرم و العفو عمن ظلم.

و هذا علی عادة العرب فی تسمية القريب «أخا» قال تعالی. وَ إِلی عادٍ أَخاهُمْ هُوداً [۶۵/ الأعراف].

و الكريم: الجامع للخير و الفضائل؛ كما فی الحديث: «الكريم بن الكريم بن الكريم: يوسف .. إلخ».

(فقال): أقول؛ كما قال أخی يوسف: لا تثريب عليكم اليوم يغفر اللّه لكم و هو أرحم الراحمين، (اذهبوا؛ فأنتم الطّلقاء»)- بضمّ الطّاء المهملة؛ ففتح اللام ممدودا- جمع: طليق بمعنی مطلوق؛ و هو الأسير؛ يطلق و يخلّی سبيله؛ أی: أنتم الخلصاء من قيد الأسر، فإنّهم كانوا حينئذ أسری.

و قد قال ذلك يوم فتح مكة؛ و هو آخذ بعضادتی باب الكعبة؛ علی ما رواه ابن سعد، و النّسائی، و ابن زنجويه؛ قاله ملا علی قاری فی «شرح الشفاء».

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۵۰۲

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و قال أنس رضى اللّه تعالى عنه: هبط ثمانون رجلا من التّنعيم صلاة الصّبح ليقتلوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فأخذوا، فأعتقهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فأنزل اللّه تعالى: وَ هُوَ الَّذِی کَفَّ أَیْدِیَهُمْ عَنْکُمْ وَ أَیْدِیَکُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَکَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَکُمْ عَلَیْهِمْ وَ کانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِیراً [الفتح: ۲۴]. و قال لأبی سفیان ...

قال الخفاجی: و فیه بلاغة و طیّ بدیع، لما فیه من الإیماء إلی شقّهم عصا القرابة بینهم، و حسدهم له، و کذبهم علیه، و قطع رحمه مع ماله صلّی اللّه علیه و سلم من الشرف الباذخ؛ فإنّه الکریم بن الکریم!! و إنّ حسدهم و بغیهم کان سببا لعلوّ مقامه و تملّکه لنواصیهم و ذلّتهم له معترفین بقصورهم. انتهی

(و قال أنس رضی اللّه تعالی عنه) کما رواه مسلم؛ و أبو داود، و الترمذی، و النسائیّ؛ قاله القاری

(: هبط ثمانون رجلا من التّنعیم)- بفتح التاء-: موضع علی ثلاثة أمیال من مکّة، و قیل: أربعة، و هو من جهة المدینة. و الشام سمّی بذلک!! لأنّه عن یمینه جبل؛ یقال له «نعیم»، و عن شماله جبل یقال «ناعم»؛ و الوادی «نعمان».

(صلاة الصّبح)- منصوب علی الظرفیة؛ أی: نزلوا وقت صلاة الصبح- (لیقتلوا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، فأخذوا)- بصیغة المجهول- (فأعتقهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم فأنزل اللّه تعالی) فی هذه القصّة (وَ هُوَ الَّذِی کَفَّ أَیْدِیَهُمْ)- أی: کفار مکة- (عَنْکُمْ ... الآیة) أی: اقرأ الآیة، و نزول الآیة عام الحدیبیة، و ضمیر الخطاب للنبی صلّی اللّه علیه و سلم و من معه، و کان ذلک و هو فی أصل الشجرة، فبینما هو کذلک إذ خرج ثمانون رجلا و أخذوا أسری؛ و السّفراء یمشون فی الصلح، فأطلقهم و خلّی سبیلهم، و عفا عنهم و هم «العتقاء».

(و قال) صلی اللّه علیه و سلم (لأبی سفیان): صخر بن حرب بن أمیّة بن عبد شمس بن عبد مناف.

شهد مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم حنینا و أعطاه من غنائمها مائة و أربعین أوقیة؛ وزنها له

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۵۰۳

- و قد سیق إلیه ...

بلال، و کان شیخ مکّة و رئیس قریش بعد أبی جهل.

أسلم یوم الفتح، و نزل المدینة سنة: إحدی و ثلاثین، و دفن فی البقیع؛ قاله القاری.

(و قد سیق إلیه) أی: جیء به إلیه، و السائق له هو العبّاس عمّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم؛ لمّا سار النبیّ صلّی اللّه علیه و سلم لفتح مکّة، و نزل مرّ الظّهران عشاء، و أوقد عشرة آلاف نار، و جعل علی الحرس عمر بن الخطاب رضی اللّه تعالی عنه، و أراد دخولها قهرا لقتل الکفّار؛ فرقّت نفس العبّاس رضی اللّه تعالی عنه لأهل مکّة، فخرج علی بغلة النبی صلّی اللّه علیه و سلم حتّی أتی الأراک، فقال: لعلّی أجد ذا حاجة یأتی مکّة؛ فیخبرهم برسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم حتّی یخرجوا؛ و یستأمنوه قبل أن یدخلها عنوة. قال: فسمعت صوت أبی سفیان یقول لبدیل: ما رأیت کاللیلة سرابا؛ و لا عسکرا!!

فقلت: أبا حنظلة؟!. فقال: أبو الفضل!! قلت: نعم.

قال: ما لک؛ فداک أبی و أمّی.

قلت: هذا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم فی الناس!! و اصباح قریش «۱».

قال: ما الحیلة؟

قلت: و اللّه؛ لئن ظفر بک لیضربنّ عنقک، فارکب عجز هذه البغلة، حتّی آتی بک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم فأستأمنه لک، فرکب خلفی؛ فکنت کلّما مررت بأحد؛ قال:

بغلة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم علیها عمّه!!

حتّی مررت بعمر رضی اللّه عنه؛ قال: أبو سفیان عدوّ اللّه!! الحمد للّه الّذی أمکن منک بلا عقد؛ و لا عهد.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و خرج يشتدّ نحو رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، فركضت البغلة و دخلت عليه و عمر رضى اللّه تعالى عنه معه. فقال: هذا أبو سفيان؛ دعنى أضرب عنقه.

---

(۱) ندبة أو استغاثة.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۰۴

بعد أن جلب عليه الأحزاب، و قتل عمّه و أصحابه و مثّل بهم، ...

فقلت: إنّى قد أجرته. و جلست.

فلما أكثر عمر رضى اللّه عنه فى شأنه؛ قال صلّى اللّه عليه و سلم: «مهلا يا عمر، اذهب به يا عبّاس إلى رحلك، فإذا أصبح فائتنى به».

فغدوت به صباحا، فلما رآه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم علم أنّه جاء ليسلم منقادا (بعد أن جلب عليه) أى: ساق إليه (الأحزاب)؛ و هى جموع مجتمعة للحرب من قبائل شتّى، و يقال: تحزّبوا: تجمّعوا.

و هذه غزوة الخندق التى كانت فى سنة: خمس و كانوا ثلاثة عساكر، و عدّتهم عشرة آلاف، و كان الحصار للمسلمين أربعين يوما.

و إسناد جلب الأحزاب إليه!! لأنّه كان قائد جيشهم، و صاحب رأيهم، و إلّا! فسبب التحزيب إنّما كان جماعة من اليهود؛ دعوا القبائل و حرّكوا قريشا لذلك.

و المعنى بعد كثرة قبائحه و جملة فضائحه.

منها: أنّه جمّع أحزاب كفّار مكة و غيرهم و أتى أهل المدينة على عزم قتلهم و نهبهم و استئصالهم. منتهى السؤل، اللحجى ج۲ ۵۰۴

الفصل الأول فى صفة خلقه صلى الله عليه و سلم و حلمه ..... ص : ۳۰۶

(و) منها: أنّه (قتل عمّه) حمزة سيّد الشهداء رضوان اللّه تعالى عنه فى غزوة أحد، أى: تسبّب فى قتله، إذ قاتله المباشر له هو وحشىّ، و هو من جملة عسكره؛ فهو الباعث و السبب فى ذلك القتال و المهيّج له.

(و) منها: أنّه قتل (أصحابه) صلى اللّه عليه و سلم يوم أحد؛ أى: تسبّب فى قتلهم و هم سبعون. و قيل: سبعون من الأنصار خاصّة!! و قيل: مجموع القتلى سبعون؛ أربعة من المهاجرين: حمزة، و مصعب بن عمير، و شمّاس بن عثمان المخزومى، و عبد اللّه بن جحش الأسدى، و باقيهم من الأنصار.

(و) منها: أنّه (مثّل)- بتشديد المثلاثة- أى: تسبب فى فعل المثلة- بضم الميم- (بهم)؛ و هى العقوبة الشديدة بتشويه خلقتهم؛ بقطع أنف و أذن، و مذاكير

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۰۵

فعفا عنه، و لاطفه فى القول- و قال: «ويحك يا أبا سفيان! أ لم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلّا اللّه؟!»، فقال: بأبى أنت و أمّى، ما أحلمك، و أوصلك، و أكرمك).

و شقّ بطن، و إخراج قلب و كبد، و سائر أطرافهم.

و الممثّلة بحمزة زوجته «هند بنت عتبة» و من معها من النسوة؛ تشفّيا لقتل حمزة أباها فى بدر.

و نسب التمثيل لأبى سفيان؟! لأنّ فعل أهل الرجل كفعله، لا سيّما النساء.

و قد مثّل بجماعة غير حمزة، فممّن مثّل به أنس بن النّضر، و عبد اللّه بن جحش بل قال البغوى فى «تفسيره»: لم يبق أحد من قتلى أحد إلّا مثّل به؛ غير حنظلة بن راهب، فإنّ أباه عامرا الراهب كان مع أبى سفيان؛ فتركوا حنظلة لذلك.

(فعفا) أى: مع هذا كلّه الذى صدر عنه عفا (عنه) ما سبق منه فى حال كفره، لأنّ الإسلام يجبّ ما قبله.

(و لاطفه فى القول)؛ إذ خاطبه، (و قال: «ويحك) «ويح» كلمة ترحّم لمن وقع فى هلكة لا يستحقها، و قيل: «ويح» باب رحمة، و

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

«ویل» باب هلکة، و «ویس» استصغار (یا أبا سفیان) أی: أتعجّب لک مع عقلک و دهائک و ظهور حقیقة الإسلام؛ ألّا تسلم (أ لم یأن)؛ من «أنی یأنی»؛ أی: جاء أناه، أی: أ لم یقرب الوقت (لک أن تعلم) علما یقینا (أن لا إله إلّا اللّه»؟!) أی: توحّد اللّه، و تصدّق به فتسلم إسلاما صحیحا.

(فقال) أی أبو سفیان (: بأبی أنت و أمّی) أی: أفدیک بهما (ما أحلمک!) صیغة تعجّب؛ من الحلم!! و کذا ما بعده صیغ تعجب (و أوصلک) لرحمک! (و أکرمک!!) أی: ما أکثر کرمک علی من أساء إلیک؛ و خالف علیک، إذ خاطبتنی بلطف مع ما قاسیته منّی، ثم أجابه مصدّقا؛ فقال: لقد ظننت أن لو کان مع اللّه إله غیره؛ لقد أغنی شیئا بعد!!.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۵۰۶

و قال الإمام النّوویّ فی «التّهذیب»: (قد جمع اللّه سبحانه و تعالی له صلّی اللّه علیه و سلّم کمال الأخلاق، و محاسن الشّیم، و آتاه علم الأوّلین و الآخرین، و ما فیه النّجاة و الفوز؛ و هو أمّیّ لا یقرأ و لا یکتب، و لا معلّم له من البشر، و آتاه ما لم یؤت أحدا من العالمین، و اختاره علی جمیع ...

فقال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم: «ویحک یا أبا سفیان؛ أ لم یأن لک أن تعلم أنّی رسول اللّه؟!». فقال: بأبی أنت و أمّی؛ أمّا هذه ففی النّفس منها شیء!! فقال له العبّاس: ویحک؛ أسلم و اشهد أن إلّا إله إلا اللّه، و أنّ محمدا رسول اللّه قبل أن یضرب عنقک. فشهد شهادة الحق و أسلم. و الحدیث مذکور بتمامه فی السیر، و أمر أبی سفیان رضی اللّه عنه مشهور.

(و قال) الحافظ الحجّة (الإمام) ولیّ اللّه تعالی شیخ الإسلام أبو زکریا یحیی بن شرف محیی الدین (النّوویّ) تغمّده اللّه برحمته و رضوانه. آمین

(فی) کتاب («التّهذیب»)؛ أی: «تهذیب الأسماء و اللغات» الّذی لا یستغنی عنه طالب علم (: قد جمع اللّه سبحانه و تعالی له صلّی اللّه علیه و سلم کمال الأخلاق) أی: الأخلاق الکاملة المتفرّقة فی الناس، جمع اللّه تعالی لنبیه صلّی اللّه علیه و سلم منها کمالها و أعلاها، (و محاسن الشّیم)- بالشین المعجمة و المثناة التحتیة؛ جمع شیمة، کسدرة و سدر- و هی: الغریزة و الطبیعة و الجبلّة التی خلق الإنسان علیها؛ أی علّمه اللّه تعالی جمیع محاسن الأخلاق و الطرق الحمیدة، و جمع له السیرة الفاضلة و السیاسة التامّة.

(و آتاه) أی: أعطاه (علم الأوّلین و الآخرین، و ما فیه النّجاة و الفوز) فی الآخرة، و الغبطة و الخلاص فی الدنیا، (و هو أمّیّ) منسوب إلی بطن الأم؛ (لا یقرأ و لا یکتب، و لا معلّم له من البشر!!)؛ نشأ فی بلاد الجهل و الصحاری یتیما لا أب له و لا أمّ.

(و آتاه ما لم یؤت أحدا من العالمین، و اختاره) أی: اصطفاه (علی جمیع

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۵۰۷

الأوّلین و الآخرین، و أعطاه مفاتیح خزائن الأرض کلّها؛ فأبی أن یأخذها، و اختار الآخرة علیها، و کان کما وصفه اللّه تعالی: لَقَدْ جاءَکُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِکُمْ عَزِیزٌ عَلَیْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِیصٌ عَلَیْکُمْ بِالْمُؤْمِنِینَ رَؤُفٌ رَحِیمٌ [التوبة: ۱۲۸] انتهی.

الأوّلین و الآخرین، و أعطاه مفاتیح خزائن الأرض کلّها) حقیقة، (فأبی أن یأخذها)، و لو أخذها لصرفها فی مرضاة اللّه تعالی.

(و) لکنه (اختار الآخرة علیها) لتأتسی به أمّته فی الهرب من الدنیا و التقلّل منها.

(و کان) فی أخلاقه (کما وصفه اللّه تعالی) فی کتابه فی سورة التوبة (لَقَدْ جاءَکُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِکُمْ)- بضم الفاء؛ أی: منکم، و قرئ مِنْ أَنْفُسِکُمْ «۱»- بفتح الفاء؛ من النفاسة، أی من أشرفکم- (عَزِیزٌ)- أی:

شدید- (عَلَیْهِ ما عَنِتُّمْ)- أی: عنتکم أی: مشقّتکم و لقاؤکم المکروه- (حَرِیصٌ عَلَیْکُمْ)- أن تهتدوا- (بِالْمُؤْمِنِینَ رَؤُفٌ)- شدید الرحمة (رَحِیمٌ) یرید لهم الخیر (انتهی) أی کلام الإمام النووی رحمه اللّه تعالی.

(۱) هی قراءة شاذة.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۰۸

[الفصل الثّانى فى صفة عشرته صلّى اللّه عليه و سلّم مع نسائه رضى اللّه تعالى عنهنّ]

الفصل الثّانى فى صفة عشرته صلّى اللّه عليه و سلّم مع نسائه رضى اللّه تعالى عنهنّ كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إذا خلا بنسائه .. ألين النّاس، و أكرم النّاس، ضحّاكا بسّاما.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم من أفكه النّاس.

(الفصل الثّانى)، من الباب الخامس (فى) بيان ما ورد فى (صفة عشرته صلّى اللّه عليه و سلم مع نسائه) أى: أزواجه (رضى اللّه تعالى عنهنّ)، و قد كان حسن العشرة معهنّ.

أخرج ابن سعد فى «طبقاته»، و ابن عساكر فى «تاريخه»، و قال العزيزى:

إنه حديث حسن لغيره؛ عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت:

(كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم إذا خلا بنسائه ألين النّاس، و أكرم النّاس) فى القول و الخلق، (ضحّاكا بسّاما) أى: كثير التبسّم، و هو تفسير لضحّاك، فيستحبّ للزوج فعل ذلك مع زوجته؛ اقتداء به صلّى اللّه عليه و سلم، إذ كان يلاطفهنّ و يتنزل معهنّ، حتّى إنّه سابق عائشة رضى اللّه تعالى عنها يوما فسبقته؛ كما رواه الترمذى فى «العلل» عنها.

قال ابن القيّم: و كان من تلطّفه بهنّ أنّه إذا دخل عليهنّ بالليل سلّم تسليما لا يوقظ النائم، و يسمع اليقظان؛ ذكره مسلم.

(و) أخرج ابن عساكر فى «تاريخه»، و الحسن بن سفيان فى «مسنده»، و الطبرانىّ، و البزّار: كلّهم؛ عن أنس رضى اللّه تعالى عنه قال:

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم من أفكه النّاس) زاد الطبرانى: مع صبى. و زاد البزّار: مع نسائه.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۰۹

قال المناوىّ: (أى: من أمزحهم إذا خلا بنحو أهله).

و عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت: حدّث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ذات ليلة نساءه حديثا، فقالت امرأة منهنّ: كأنّ الحديث حديث خرافة.

(قال المناوىّ) فى «فيض القدير؛ شرح الجامع الصغير»: (أى: من أمزحهم إذا خلا بنحو أهله). و الفكاهة: المزاحة، و رجل فكه؛ ذكره الزمخشرى.

و فى حديث عائشة رضى اللّه تعالى عنها: إنّى لطّخت وجه سودة بخزيرة.

و لطّخت سودة وجه عائشة؛ فجعل يضحك. رواه الزّبير بن بكّار فى «كتاب الفكاهة»، و أبو يعلى بإسناده. قال الحافظ العراقىّ: جيّد.

(و) أخرج الترمذىّ فى «الشمائل» (عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها؛

قالت: حدّث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ذات ليلة) أى: فى ساعات ذات ليلة، ف «ذات» صفة موصوف محذوف. أو لفظ «ذات» مقحم، فهو مزيد للتأكيد (نساءه) أى:

أزواجه (حديثا) أى: كلاما عجيبا، أو تحديثا غريبا، فالمراد على الأوّل ما يتحدّث به، و على الثانى المصدر.

(فقالت امرأة منهنّ؛ كأنّ)- بتشديد النون- هذا (الحديث حديث خرافة!!)- بضمّ الخاء المعجمة و فتح الراء- و لا تدخله «أل» لأنّه معرفة؛ لكونه علما على رجل، نعم إن أريد به الخرافات الموضوعة من حديث الليل عرّف.

و لم ترد المرأة ما يراد من هذا اللفظ؛ و هو الكذب المستملح، لأنها عالمة بأنّه لا يجرى على لسانه إلّا الصدق. و إنّما أرادت التشبيه فى الاستملاح فقط، لأن حديث خرافة يراد به الموصوف بصفتين: الكذب، و الاستملاح. فالتشبيه فى إحداهما؛ لا فى كلتيهما. انتهى «باجورى». و لكنّه صلّى اللّه عليه و سلم لمّا علم أنّ كلا منهما موهم؛ و قالت تلك المرأة ما قالت بيّن المراد؛

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۱۰

فقال: «أ تدرون ما خرافة؟ إنّ خرافة كان رجلا من عذرة، أسرته الجنّ ...

(فقال: «أ تدرون ما خرافة؟!») خاطبهنّ خطاب الذكور تعظيما لشأنهنّ، فكأنّهنّ قلن: لا ندرى، فقال:

(«إنّ خرافة كان رجلا من عذرة)- بضمّ العين المهملة و سكون الذال المعجمة-: قبيلة من اليمن (أسرته) أى: اختطفته (الجنّ).

قال العلّامة الشيخ ابن حجر الهيتمى فى «التحفة شرح المنهاج»: الجنّ أجسام هوائيّة؛ أو ناريّة أى: يغلب عليها ذلك، فهم مركّبون من العناصر الأربعة كالملائكة؛ على قول، و قيل: أرواح مجرّدة. و قيل: نفوس بشريّة مفارقة عن أبدانها، و على كلّ فلهم عقول و فهم، و يقدرون على التشكّل بأشكال مختلفة، و على الأعمال الشاقّة فى أسرع زمن.

و صحّ خبر أنّهم ثلاثة أصناف: ذوو أجنحة يطيرون بها، و حيّات، و آخرون يحلّون و يظعنون.

و نوزع فى قدرتهم على التشكل باستلزامه رفع الثّقة بشىء!! فإنّ من رأى؛ و لو ولده؛ يحتمل أنّه جنّىّ تشكّل به.

و يردّ: بأنّ اللّه تكفّل لهذه الأمّة بعصمتها عن أن يقع فيها ما يؤدى لمثل ذلك المترتب عليه الرّيبة فى الدين، و رفع الثقة بعالم و غيره، فاستحال شرعا الاستلزام المذكور.

قال الشافعى رضى اللّه تعالى عنه: و من زعم أنّه رآهم ردّت شهادته و عزّر، لمخالفته القرآن.

و كأنّ المصنّف أخذ منه قوله «من منع التفضيل بين الأنبياء عزّر، لمخالفته القرآن»!! و حمل بعضهم كلام الشافعى على زاعم رؤية صورهم الّتى خلقوا عليها.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۱۱

....

و لمّا عرّف البيضاوىّ الجنّ فى تفسير قُلْ أُوحِيَ [۱/ الجن] بنحو ما مرّ؛ قال:

و فيه دليل على أنّه صلّى اللّه عليه و سلم ما رآهم، و لم يقرأ عليهم!! و إنّما اتفق حضورهم فى بعض أوقات قراءته؛ فسمعوها، فأخبره اللّه تعالى بذلك. انتهى.

و كأنّه لم يطّلع على الأحاديث الصحيحة الكثيرة؛ المصرّحة برؤيته صلّى اللّه عليه و سلم لهم، و قراءته عليهم، و سؤالهم منه الزاد لهم و لدوابّهم على كيفيّات مختلفة!!

و لا يسقط عنا ما كلّفنا به من نحو إقامة الجمعة؛ أو فروض الكفايات بفعلهم!؟ لما مرّ أنّهم- و إن أرسل إليهم صلّى اللّه عليه و سلم و كلّفوا بشرعه إجماعا ضروريا؛ فيكفر منكره- لهم تكاليف اختصّوا بها؛ لا نعلم تفاصيلها.

و لا ينافى هذا إجراء غير واحد عليهم بعض الأحكام؛ كانعقاد الجمعة بهم معنا، و صحّة إمامتهم لنا.

و الجمهور على أنّ مؤمنيهم يثابون و يدخلون الجنة.

و قول أبى حنيفة و اللّيث «لا- يدخلونها، و ثوابهم النجاة من النار»!! بالغوا فى ردّه، على أنّه نقل عن أبى حنيفة أنّه أخذ دخولهم من قوله تعالى لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لا جَانٌّ (۷۴) [الرحمن] انتهى كلام «التحفة».

و فى كتاب «شفاء الأسقام فيما يتعلق بالجنّ من الأحكام» للشيخ العلّامة المحقّق الفهّامة: محمد بن عمر الحشيبرى المتوفى سنة: إحدى و خمسين و ألف هجرية رحمه اللّه تعالى:

الجنّ و الشياطين جنس واحد، أبوهم إبليس؛ و هم ذريته، فالجنّ المؤمنون و الشياطين الكافرون. قال تعالى حكاية عنهم وَ أَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ- و هم الجن- وَ مِنَّا الْقاسِطُونَ الكافرون الجائرون؛ و هم الشياطين فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولئِكَ تَحَرَّوْا- قصدوا- رَشَداً (۱۴). و أما القاسطون الجائرون بالكفر وَ أَمَّا الْقاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً (۱۵) [الجن].

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۱۲

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

....

و سمّوا جنّا!! لاستتارهم عن أعين الناس غالبا، و سمّوا «شياطينا»!! لبعدهم عن رحمة اللّه تعالى، و منه بئر شطون؛ إذا كانت بعيدة العمق.

و سمّى إبليس!! لأنّه أبلس من رحمة اللّه عزّ و جلّ، أى: يئس، و المبلس:

الكئيب الحزين الآيس؛ كما فى «التهذيب» للنووى. و فيهم أهل السّنّة، و المبتدعة؛ حتّى الشيعة و الرافضة، و المرجئة و القدرية. و غير ذلك على مذاهب الإنس الذى يسكنون معهم فى بلادهم، و لهم ملوك كبار، و أسماء ملوك يخضعون لها، و يطيعون للإقسام عليهم بها، و قد يخضعون لأسماء من أسماء اللّه تعالى القاهرة، و يستخدمون بها مسخّرين، و لذلك صفات و هيئات معروفة عند المعزّمين الذين يفتتنون بذلك، و قد يصيبهم منهم مصائب؛ نسأل اللّه العافية، و لهم سلطة على بعض المسلمين، و يتولّجون فى باطن الحيوانات، و ينفذون من منافذها الضيقة؛ نفوذ الهوى المستنشق.

و فى الحديث الصحيح فى البخارى «إنّ الشّيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدّم». قال الشّرّاح أى: يدخل فيه. لما تقرّر أنّه جسم لطيف، و حمل الحديث على الحقيقة؛ أخذا بظاهره أولى من حمله على المجاز؛ و هو الوسوسة. انتهى.

و من لازم دخولهم فى الإنس المرض و الصّرع، و تشويه الخلقة لبعض المسلمين، و لغة الجنّ كلّ منهم على لغة من يسكنون بلده، و مذاهبهم على مذاهب الإنس الذين يسكنون بلدهم، و لهم الأعمار الطويلة؛ فلا يموتون إلّا بالصعقة، فإنهم كأبيهم إبليس من المنظرين. و قيل: إن المسلم منهم يموت قبل الصعقة؛ و الكافر منهم لا يموت إلا بموت إبليس.

قال العلّامة شيخ الإسلام محمد بن أبى بكر الأشخر رحمه اللّه تعالى:

الجنّ مكلّفون، لا على حدّ تكليفنا و تفصيله، فمن ثمّ يجب الحجّ على من أمكنه الطيران منهم، بخلاف من أمكنه ذلك خرق عادة من الأنس، فعلى هذا يسجد لتلاوته، و يقتدى به، و تحصل فضيلة الصفّ، و يتمّ به عدد الجمعة، و يكفى

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۱۳

فى الجاهليّة، ...

تجهيز ميتنا، و يقبل خبره و شهادته؛ و لو فى النكاح، على خلاف فى جميع ذلك.

نعم؛ الأصحّ من وجهين حرمة مناكحتهم.

و الرضاع مبنىّ على ذلک؛ فإن حرّمنا المناكحة لم يحرّم، و إن جوّزناها حرّم، و هو أحد احتمالين للبلقينى رحمه اللّه تعالى فى «تدريبه» انتهى.

و لو أولج جنىّ ذكره فى إنسية؛ أو إنسىّ فى جنّيّة أجنب المولج و المولج فيه.

و فرض ذلک أن يتحقّق ما ذكر، إذ لا جنابة مع الشكّ. انتهى.

و الجنّ مكلّفون بالإيمان باللّه تعالى، و ترک الإشراک به؛ من ابتداء خلقهم، لا مثل الإنس بعد البلوغ.

و أمّا التزام أحكام الشرائع!! فالذى أرسل إليهم عموما هو نبيّنا محمد صلّى اللّه عليه و سلم، فهم مكلّفون بالتزام شريعته صلّى اللّه عليه و سلم. قال مقاتل رحمه اللّه تعالى: لم يبعث نبىّ قبل نبينا إلى الإنس و الجنّ جميعا، فعلى هذا لا يلزمهم اتباع شريعة نبىّ قبله، و إنما يلزمهم التوحيد، و ترک الإشراک باللّه تعالى.

و الصحيح: أنّ الرسل من الإنس إلى الإنس، و فى زمن كلّ رسول كانت النّذر من الجن تسمع كلام الرّسل و تبلّغه قومها؛ منذرين لهم، فيعملون بما يسمعون.

و ليس للجنّ رسل منهم يوحى إليهم، و إنّما يعملون بما أنذرهم قومهم بما يسمعون من رسل الإنس. انتهى. ملخصا من «شفاء الأسقام فيما يتعلق بالجنّ من الأحكام» تأليف الشيخ العلامة المحقق محمد بن عمر الحشيبرى رحمه اللّه تعالى.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

فائدة: الجنّ على مراتب، فالأصل «جنّیّ»، فإن خالط الإنسان قیل «عامر» و من تعرّض منهم للصبیان قیل «أرواح»، و من زاد فی الخبث قیل «شیطان»، فإن زاد علی ذلک قیل «مارد»، فإن زاد علی ذلک قیل «عفریت». انتهی کذا وجدت معزوّا لکتاب «توشیح» السیوطی رحمه اللّه.

(فی) أیّام (الجاهلیّة) هی: الحالة الّتی کانت علیها العرب قبل بعثته صلّی اللّه علیه و سلم من

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۵۱۴

فمکث فیهم دهرا، ثمّ ردّوه إلی الإنس، فکان یحدّث النّاس بما رأی من الأعاجیب، فقال النّاس: (حدیث خرافة)».

الجهل باللّه تعالی و رسوله و شرائع الإسلام، و کان اختطاف الجنّ للإنس کثیرا إذ ذاک.

(فمکث)- بضمّ الکاف و فتحها- أی: لبث (فیهم) أی: معهم (دهرا) أی: زمنا طویلا (ثمّ ردّوه إلی الإنس)- بکسر الهمزة و سکون النون- أی:

البشر، الواحد إنسیّ، و الجمع: أناسیّ و أناسیة؛ کصیارفة.

(فکان یحدّث النّاس بما رأی من الأعاجیب)؛ جمع: أعجوبة، أی الأشیاء التی یتعجّب منها.

و التعجّب: انفعال النفس لزیادة وصف فی المتعجّب منه. إمّا لاستحسانه و الرّضا عنه، و إمّا لذمّه و إنکاره، فهو علی وجهین: الأول: فیما یحمده الفاعل.

و الثانی: فی ما یکرهه. انتهی «باجوری».

فکان خرافة یخبر الناس بما رأی؛ فیکذّبونه فیما أخبرهم به، مع أن الرجل کان صادقا؛ لا کاذبا.

(فقال النّاس: حدیث خرافة») أی: قالوا ذلک فیما سمعوه من الأحادیث العجیبة و الحکایات الغریبة؛ الّتی یستملحونها و یکذّبونها؛ لبعدها عن الوقوع.

و غرضه صلّی اللّه علیه و سلم من مسامرة نسائه تفریح قلوبهنّ، و حسن العشرة معهن، فیسنّ ذلک، لأنه من باب حسن المعاشرة، و فی الحثّ علیه أحادیث کثیرة مشهورة.

و النهی الوارد عن الکلام بعد العشاء!! محمول علی ما لا یعنی من الکلام الدّنیویّ.

قال فی «المنهاج»: و یکره النوم قبلها و الحدیث بعدها؛ إلّا فی خیر.

انتهی.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۵۱۵

و کان صلّی اللّه علیه و سلّم کثیرا ما یقبّل عرف ابنته فاطمة الزّهراء، و کان صلّی اللّه علیه و سلّم کثیرا ما یقبّلها فی فمها أیضا.

و (العرف): أعلی الرّأس، و یطلق علی الرّقبة.

و کان صلّی اللّه علیه و سلّم مع أصحابه و أزواجه کواحد منهم، و کان حسن المعاشرة.

و کانت عائشة رضی اللّه تعالی عنها تقول: کنت إذا هویت ...

(و) أخرج ابن عساکر فی «تاریخه»- و هو حدیث ضعیف؛ کما فی العزیزی- عن عائشة رضی اللّه تعالی عنها: (کان صلّی اللّه علیه و سلم کثیرا ما یقبّل عرف)- بضم العین و إسکان الراء- (ابنته فاطمة الزّهراء) أی: أعلی رأسها؛ قاله المناوی

(و کان صلّی اللّه علیه و سلم کثیرا ما یقبّلها فی فمها أیضا). زاد أبو داود بسند ضعیف:

و یمصّ لسانها.

(و العرف)- بالضمّ- (أعلی الرّأس) مأخوذ من عرف الدّیک؛ و هو: اللحمة المستطیلة فی أعلی رأسه. انتهی. (و یطلق) أی: العرف (علی الرّقبة).

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

قال فی العزیزی: قال الشیخ: العرف- بالمهملة و الفاء-: الرقبة؛ أخذا من معرفة الفرس؛ أی: منبت شعره من رقبته. انتهی.

(و) فی «كشف الغمّة» للعارف الشعرانی: (كان صلّی اللّه علیه و سلم مع أصحابه) كواحد منهم؛ لا یتمیّز عنهم بشیء، لمزید تواضعه و حسن عشرته.

(و) كان مع (أزواجه)؛ جمع: زوج، أی امرأة، لأن اللغة الفصحی:

«زوج»- بلا هاء، و بها جاء القرآن فی نحو وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ [١٩/ الأعراف] حتّی بالغ الأصمعیّ؛ فقال: لا تكاد العرب تقول «زوجه» بالهاء.

و قوله (كواحد منهم) فیه تغلیب الذكور، (و كان حسن المعاشرة) مع أصحابه و أزواجه، و أهل بیته و سائر النّاس علی اختلاف طبقاتهم.

(و كانت عائشة رضی اللّه تعالی عنها؛ تقول: كنت إذا هویت) أی: أردت

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۵۱۶

شیئا .. تابعنی صلّی اللّه علیه و سلّم علیه. و كنت إذا شربت من الإناء ..

أخذه فوضع فمه علی موضع فمی و شرب، و كان ینهش فضلتی من اللّحم الّذی علی العظم، و كان یتّكئ فی حجری و یقرأ القرآن.

و حدّثت عائشة رضی اللّه تعالی عنها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم بحدیث أمّ زرع؛ و هو: أنّ إحدی عشرة امرأة تعاهدن و تعاقدن أن لا یكتمن من أخبار أزواجهنّ شیئا، ...

(شیئا تابعنی) أی: وافقنی (صلی اللّه علیه و سلم علیه) إشارة إلی مزید حبّه لها.

(و كنت إذا شربت من الإناء أخذه؛ فوضع فمه علی موضع فمی و شرب).

رواه مسلم من حدیثها.

(و كان ینهش فضلتی من اللّحم الّذی علی العظم) رواه مسلم أیضا من حدیثها بلفظ: و إذا تعرّقت عرقا أخذه فوضع فمه علی موضع فمی.

(و كان یتّكئ فی حجری و یقرأ القرآن) رواه الشیخان؛ من حدیثها.

(و حدّثت عائشة رضی اللّه تعالی عنها؛ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم بحدیث أمّ زرع)؛ كما رواه الشیخان، و الترمذیّ فی «الشمائل»؛ عن عائشة رضی اللّه تعالی عنها.

و أمّ زرع هی واحدة من النساء اللّاتی ذكرهن بقوله:

(و هو: أنّ إحدی عشرة)- بسكون الشین- (امرأة)؛ قیل: كلّهن من بعض قری الیمن، أو قری مكّة، و لم یعرف منهن سوی أسماء ثمانیة سردها الخطیب البغدادی فی كتاب «المبهمات»؛ و قال: إنّه لا یعرف أحد أسماءهن إلّا من تلك الطریق، و إنّه غریب جدّا.

(تعاهدن)؛ أی ألزمن أنفسهنّ عهدا، (و تعاقدن) عطف تفسیر (أن لا یكتمن) أی: لا یخفین (من أخبار أزواجهنّ شیئا)؛ سواء كان مدحا، أو ذمّا، بل یظهرن ذلك و یصدقن.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۵۱۷

فوصفت كلّ واحدة زوجها، ...

(فوصفت كلّ واحدة زوجها)؛

فقالت الأولی: زوجی لحم جمل غثّ. علی رأس جبل وعر؛ لا سهل فیرتقی، و لا سمین فینتقل.

قالت الثانیة: زوجی لا أثیر خبره، إنّی أخاف ألّا أذره؛ إن أذكره أذكر عجره و بجره.

قالت الثالثة: زوجی العشنّق؛ إن أنطق أطلّق، و إن أسكت أعلّق.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

قالت الرابعة: زوجى كليل تهامة؛ لا حرّ و لا قر، و لا مخافة و لا سامة.

قالت الخامسة: زوجى إن دخل فهد، و إن خرج أسد، و لا يسأل عما عهد.

قالت السادسة: زوجى إن أكل لفّ، و إن شرب اشتفّ، و إن اضطجع التفّ، و لا يولج الكفّ ليعلم البثّ.

قالت السابعة: زوجى عياياء، أو غياياء طلبقاء، كلّ داء له داء؛ شجّك، أو فلّك، أو جمع كلّا لك!!.

قالت الثامنة: زوجى المسّ مسّ أرنب، و الريح ريح زرنب.

قالت التاسعة: زوجى رفيع العماد، طويل النّجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من النّاد.

قالت العاشرة: زوجى مالك، و ما مالك!! مالك خير من ذلك، له إبل كثيرات المبارك؛ قليلات المسارح، إذا سمعن صوت المزهر. أيقنّ أنهنّ هوالك.

قالت الحادية عشرة: زوجى أبو زرع ... و ما أبو زرع!! أناس من حلىّ أذنى، و ملأ من شحم عضدى، و بجحنى فبجحت إلىّ نفسى، وجدنى فى أهل غنيمة بشقّ؛ فجعلنى فى أهل صهيل و أطيط و دائس و منق، فعنده أقول فلا أقبّح

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۱۸

فكانت أحسنهنّ وصفا لزوجها و أكثرهنّ تعدادا لنعمه عليها: زوجة أبى زرع.

قالت عائشة رضى اللّه تعالى عنها: فقال لى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «كنت لك كأبى زرع لأمّ زرع».

و أرقد فأتصبح، و أشرب فأتقمّح:

أمّ أبى زرع؛ فما أمّ أبى زرع!! عكومها رداح، و بيتها فساح.

ابن أبى زرع؛ فما ابن أبى زرع!! مضجعه كمسلّ شطبة، و يشبعه ذراع الجفرة.

بنت أبى زرع؛ فما بنت أبى زرع!! طوع أبيها و طوع أمها، و ملء كسائها و غيظ جارتها.

جارية أبى زرع؛ فما جارية أبى زرع!! لا تبثّ حديثنا تبثيثا، و لا تنقث ميرتنا تنقيثا. و لا تملأ بيتنا تعشيشا. قالت:

خرج أبو زرع و الأوطاب تمخض فلقى امرأة معها ولدان لها؛ كالفهدين، يلعبان من تحت خصرها برمانتين، فطلّقنى و نكحها.

فنكحت بعده رجلا سريّا؛ ركب شريّا، و أخذ خطيا، و أراح على نعما ثريا، و أعطانى من كلّ رائحة زوجا، و قال: كلى أمّ زرع و ميرى أهلك. فلو جمعت كلّ شىء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبى زرع.

(فكانت أحسنهنّ وصفا لزوجها، و أكثرهنّ تعدادا لنعمه عليها: زوجة أبى زرع) التى يضاف إليها الحديث؛ فيقال «حديث أم زرع».

و إنّما أضيف إليها!! لأنّ معظم الكلام و غاية المرام فيه إنّما هو بالنسبة إلى ما يتعلّق بها و يترتّب عليها، و لذلك (قالت عائشة رضى اللّه تعالى عنها؛ فقال)- و فى بعض نسخ «الشمائل»: قال عروة: قالت عائشة: فلما فرغت من ذكر حديثهنّ؛ قال- (لى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «كنت لك كأبى زرع لأمّ زرع») فى الألفة و الوفاء؛ لا فى الفرقة و الجفاء.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۱۹

....

فالتشبيه ليس من كلّ وجه؛ كما يفيد ذلك قوله «لك» و لم يقل «و عليك»!! فإنّه يفيد أنّه لها كأبى زرع لأمّ زرع فى النفع؛ لا فى الضرّ الّذى حصل بطلاقها.

و يؤخذ من الحديث ندب حسن العشرة مع الأهل، و حلّ السّمر فى خير؛ كملاطفة حليلته، و إيناس ضيفه و جواز ذكر المجهول عند المتكلّم و السّامع بما يكره، فإنّه ليس غيبة.

غاية الأمر: أن عائشة رضى اللّه تعالى عنها ذكرت نساء مجهولات، و ذكر بعضهن عيوب أزواجهن المجهولين الذين لا يعرفون بأعيانهم؛ و لا بأسمائهم، و مثل هذا لا يعدّ غيبة، على أنّهم كانوا من أهل الجاهليّة؛ و هم ملحقون بالحربيّين فى عدم احترامهم.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و فى الحديث فوائد كثيرة. و قد أفرده بالتصنيف أئمّة؛ منهم القاضى عياض، و الإمام الرافعى فى مؤلف جليل جامع، و ساقه بتمامه فى «تاريخ قزوين»!.

قال الحافظ ابن حجر: المرفوع من حديث أبى زرع فى «الصحيحين» «كنت لك كأبى زرع لأمّ زرع»، و باقيه من قول عائشة رضى اللّه تعالى عنها.

و جاء خارج «الصحيحين» مرفوعا كلّه من رواية عبّاد بن منصور عند النسائى، و ساقه بسياق لا يقبل التأويل؛ و لفظه: قالت: قال لى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «كنت لك كأبى زرع لأمّ زرع» قالت عائشة رضى اللّه تعالى عنها: بأبى أنت و أمّى، يا رسول اللّه من كان أبو زرع!؟ قال: «اجتمع ...» فساق الحديث كلّه.

و كذا جاء مرفوعا عند الزّبير بن بكّار، و جاء فى بعض طرقه الصحيحة:

ثمّ أنشأ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يحدّث بحديث أمّ زرع، و يقوّى رفعه جميعه أنّ التشبيه المتّفق على رفعه يقتضى أن يكون النبى صلّى اللّه عليه و سلم سمع القصّة و عرفها فأقرّها، فيكون مرفوعا كلّه؛ من هذه الحيثية. انتهى؛ نقله فى «جمع الوسائل» للعلّامة الملا على قارى رحمه اللّه تعالى.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۲۰

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يسرّب إلى عائشة رضى اللّه تعالى عنها بنات الأنصار يلعبن معها.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يريها الحبشة؛ و هم يلعبون فى المسجد، و هى متّكئة على منكبه.

و روى: أنّه صلّى اللّه عليه و سلّم سابقها، فسبقته، ثمّ سابقها بعد ذلك، فسبقها و قال: «هذه بتلك».

(و) روى الشيخان: (كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم يسرّب)؛ من التسريب- بالمهملة- و هو: الإرسال، و التسريح أى: يرسل (إلى عائشة رضى اللّه تعالى عنها بنات الأنصار) واحدة بعد أخرى (يلعبن معها)، لأنّها كانت صغيرة.

(و كان صلّى اللّه عليه و سلم يريها الحبشة؛ و هم يلعبون) بحرابهم للتدريب على مواقع الحرب و الاستعداد، و لذا جاز (فى المسجد) لأنه من منافع الدين، (و هى متّكئة على منكبه)، و لعله أراها لعبهم لتضبطه و تعلمه فتنقله للناس بعد.

و هذا رواه البخارى؛ من حديثها، و رواه الترمذى بلفظ: قام صلّى اللّه عليه و سلم فإذا حبشة تزفن و الصبيان حولها، فقال: «يا عائشة تعالى فانظرى». فجئت فوضعت لحيى على منكب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم؛ فجعلت أنظر إليها ما بين المنكب إلى رأسه؛ فقال لى: «أ ما شبعت .. أ ما شبعت!!» فجعلت أقول: لا .. لا. و قال الترمذى:

حديث حسن صحيح غريب.

و لعل رؤيتها للحبشة كان قبل الحجاب!! و قيل: إنّها كانت تنظر إلى لعبهم؛ لا إلى أجسامهم. و فيه ما فيه!!.

(و روى أنّه صلّى اللّه عليه و سلم سابقها) فى سفر (فسبقته)؛ لخفّة جسمها بقلّة اللّحم.

(ثمّ سابقها بعد ذلك) فى سفر آخر؛ و قد سمنت (فسبقها، و قال) مطيّبا لخاطرها (: «هذه بتلك») السّبقة. رواه أبو داود بلفظ: سابقته فى سفر فسبقته على رجلى، فلما حملت اللّحم سابقته فسبقنى. قال: «هذه بتلك السّبقة».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۲۱

و عن أنس رضى اللّه تعالى عنه: أنّهم كانوا يوما عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى بيت عائشة رضى اللّه تعالى عنها، إذ أتى بصحفة خبز و لحم من بيت أمّ سلمة، فوضعت بين يدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فقال: «ضعوا أيديكم»، فوضع نبىّ اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم [يده]، و وضعنا أيدينا، فأكلنا و عائشة تصنع طعاما عجّلته، و قد رأت الصّحفة الّتى أتى بها، فلمّا فرغت من طعامها .. جاءت به فوضعته، و رفعت صحفة أمّ سلمة فكسرتها، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «كلوا باسم اللّه؛ غارت أمّكم».

و هذا من مزيد لطفه؛ حتّى لا تتشوّش.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و روى الإمام أحمد عنها: خرجت مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فى بعض أسفاره؛ و أنا جارية لم أحمل اللّحم؛ و لم أبدن، فقال للناس: «تقدّموا». فتقدّموا، ثم قال:

«تعالى حتّى أسابقك». فسابقته فسبقته؛ فسكت عنّى، حتّى حملت اللّحم و بدنت و سمنت؛ خرجت معه فى بعض أسفاره؛ فقال للناس: «تقدّموا». ثمّ قال: «تعالى حتّى أسابقك» فسبقنى، فجعل يضحك و يقول: «هذه بتلك».

(و عن أنس رضى اللّه تعالى عنه: أنّهم كانوا يوما عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فى بيت عائشة رضى اللّه تعالى عنها؛ إذ أتى بصحفة): إناء كالقصعة المبسوطة و نحوها، جمعها صحاف (خبز و لحم من بيت أمّ سلمة؛ فوضعت بين يدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فقال: «ضعوا أيديكم») للأكل.

(فوضع نبىّ اللّه صلّى اللّه عليه و سلم [يده] و وضعنا أيدينا فأكلنا!! و عائشة تصنع طعاما عجّلته) أسرعت به. (و) الحال أنّها (قد رأت الصّحفة الّتى أتى)- على صيغة المبنى للمجهول- أى: جىء (بها) من بيت أمّ سلمة.

(فلمّا فرغت من طعامها جاءت به فوضعته، و رفعت صحفة أمّ سلمة فكسرتها. فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «كلوا باسم اللّه) من صحفة عائشة (غارت أمّكم») هى كاسرة الصحفة عائشة أمّ المؤمنين رضى اللّه تعالى عنها.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۲۲

ثمّ أعطى صحفتها أمّ سلمة؛ فقال: «طعام مكان طعام، و إناء مكان إناء». رواه الطّبرانىّ فى «الصّغير».

و هو عند البخارىّ بلفظ: كان صلّى اللّه عليه و سلّم عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمّهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، ...

و أبعد الداودى؛ فقال: هى سارة زوج الخليل. و أنّه أراد لا تعجبوا مما وقع من هذه من الغيرة؛ فقد غارت تلك التى قبلها!! و ردّ- مع بعده- بأن المخاطبين ليسوا من أولاد سارة، إذ ليسوا من بنى إسرائيل!!.

(ثمّ أعطى صحفتها أمّ سلمة؛ فقال: «طعام مكان طعام، و إناء مكان إناء».

رواه الطّبرانىّ فى) «معجمه (الصّغير)». و عزاه فى «الفتح» و «المقدمة» له فى «الأوسط»، (و هو) أى: حديث أنس (عند البخارىّ) فى «المظالم» و «الأطعمة» (بلفظ:

كان صلّى اللّه عليه و سلم عند بعض نسائه) هى عائشة؛ كما فى الترمذى و غيره، و لا خلاف فى ذلك! (فأرسلت إحدى أمّهات المؤمنين) هى:

صفيّة؛ كما رواه أبو داود و النسائىّ من حديث عائشة.

أو: حفصة؛ كما رواه الدارقطنى؛ من حديث أنس و ابن ماجه عن عائشة.

أو: أمّ سلمة؛ كما رواه الطبرانى فى «الأوسط» عن أنس و إسناده أصحّ من إسناد الدارقطنى. و ساقه بسند صحيح؛ و هو أصحّ ما ورد فى ذلك.

و يحتمل التعدّد!!.

و حكى ابن حزم فى «المحلّى» أنّ المرسلة زينب بنت جحش؛ ذكره الحافظ، و تبعه القسطلانىّ، ففى جزم السيوطى بالأخير شىء.

(بصحفة) هذا لفظ البخارى فى «الأطعمة»، و لفظه فى «المظالم» بقصعة- بفتح القاف- (فيها طعام) أى: حيس؛ كما فى «المحلّى» لابن حزم. و يأتى

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۲۳

فضربت الّتى فى بيتها يد الخادم، فسقطت الصّحفة فانفلقت، فجمع صلّى اللّه عليه و سلّم فلق الصّحفة، ثمّ جعل يجمع فيها الطّعام الّذى كان فى الصّحفة و يقول: «غارت أمّكم»، ثمّ حبس الخادم، حتّى أتى بصحفة من عند الّتى هو فى بيتها، فدفع الصّحفة إلى الّتى كسرت صحفتها، و أمسك المكسورة فى بيت الّتى كسرت.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

رواية «يلتقط اللحم»، فيحتمل أن اتّحدت القصّة؛ أنّه كان فوق الحيس، قال الشاعر:

التّمر و السّمن جميعا و الأقطالحيس إلّا أنّه لم يختلط مع خادم (فضربت الّتى [النّبىّ] صلى اللّه عليه و سلم (فى بيتها) هى عائشة على جميع الأقوال (يد الخادم) لم يسمّ؛ قاله الحافظ ابن حجر.

(فسقطت الصّحفة؛ فانفلقت، فجمع صلّى اللّه عليه و سلم فلق الصّحفة)؛ جمع فلقة؛ كقطعة و قطع: وزنا و معنى. (ثمّ جعل يجمع فيها الطّعام الّذى كان فى الصّحفة؛ و يقول) مبديا لعذرها (: «غارت أمّكم») عائشة.

(ثمّ حبس الخادم): منعه من العود إلى سيّدته التى أرسلته (حتّى أتى بصحفة من عند الّتى هو فى بيتها، فدفع الصّحفة) الّتى لا كسر فيها (إلى) الخادم ليوصلها إلى (الّتى كسرت صحفتها، و أمسك المكسورة فى بيت الّتى كسرت)؛ عقابا لها.

فإن قيل: القصعة متقوّمة فكيف ضمّنها بالمثل؛ لا بالقيمة؟!

أجاب البيهقىّ بأنّ القصعتين كانتا للنبىّ صلّى اللّه عليه و سلم فى بيت زوجتيه، فعاقب الكاسرة- بجعل- المكسورة فى بيتها، و جعل الصحيحة فى بيت صاحبتها، و لم يكن هناك تضمين.

و قد روى الإمام أحمد، و أبو داود، و النّسائىّ: قالت عائشة رضى اللّه تعالى

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۲۴

و عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها: أتيت النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم بخزيرة طبختها له، و قلت لسودة و النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم بينى و بينها؛ فقلت لها: كلى، فأبت، فقلت لها: كلى، فأبت، فقلت لها: لتأكلين، أو لألطّخنّ بها وجهك، فأبت، فوضعت يدى فى الخزيرة فلطخت بها وجهها، فضحك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم.

عنها: ما رأيت صانعة طعاما مثل صفيّة؛ أهدت إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلم إناء من طعام، فما ملكت نفسى أن كسرته!! فقلت: يا رسول اللّه؛ ما كفّارته؟ قال: «إناء كإناء، و طعام كطعام» ففى هذه الرواية: المرسلة صفيّة، فيخالف رواية الطّبرانى أنّها أم سلمة!! إن لم يحمل على التعدّد.

و عند غير أحمد، و أبى داود، و النسائى: فأخذت القصعة من بين يديه فضربت بها و كسرتها، فقام النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم يلتقط اللّحم و الطعام؛ و هو يقول «غارت أمّكم». فلم يثرّب عليها صلّى اللّه عليه و سلّم، و وسع خلقه الشريف آثار طفحات غيرتها، و لم يتأثّر من فعلها ذلك بحضوره و حضور أصحابه؛ لمزيد حلمه و علمه بما تؤدّى إليه الغيرة، و قضى عليها بحكم اللّه فى التقاصّ بجعل المكسورة عندها و دفع الصحيحة لضرّتها.

(و عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها: أتيت النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم بخزيرة)- بخاء و زاى معجمتين؛ فياء مثناة، فراء فتاء تأنيث- (طبختها له، و قلت لسودة) أمّ المؤمنين (و النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم بينى و بينها؛ فقلت لها: كلى. فأبت، فقلت لها: كلى. فأبت. فقلت لها: لتأكلين؛ أو لألطّخنّ بها وجهك!! فأبت. فوضعت يدى فى الخزيرة فلطخت بها وجهها)- بالتخفيف [لطّخت] و تشدّد مبالغة. (فضحك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم)، فوضع فخذه لها؛ و قال لسودة: «الطخى وجهها قصاصا». فلطخت به وجهى. فضحك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ... الحديث رواه ابن غيلان؛ من حديث الهاشمى.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۲۵

و (الخزيرة): لحم يقطع قطعا صغارا، و يصبّ عليه ماء كثير، فإذا نضج ذرّ عليه الدّقيق.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا غضبت عائشة .. عرك بأنفها و قال: «يا عويش؛ قولى: اللّهمّ ربّ محمّد اغفر لى ذنبى، و أذهب غيظ قلبى، و أجرنى من مضلّات الفتن».

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا أتى بهديّة قال: «اذهبوا بها إلى بيت فلانة، فإنّها كانت صديقة لخديجة ...

و أخرجه الملّا فى «سيرته»؛ ذكره فى «المواهب» قال:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و الخزيرة: لحم يقطع قطعا صغارا، و يصبّ عليه ماء كثير، فإذا نضج):

استوى (ذرّ عليه الدّقيق)، فإن لم يكن فيها لحم؛ فهى عصيدة؛ قاله الجوهرى و غيره، و كذا ذكره ابن السّكّيت؛ و زاد: من لحم بات ليلة. و قال ابن فارس:

دقيق يخلط بشحم. و قيل: غير ذلك، كما ذكره القسطلانى فى «المواهب».

(و) أخرج ابن السّنّىّ عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت:

(كان صلّى اللّه عليه و سلم إذا غضبت عائشة عرك بأنفها)- بزيادة الموحّدة- (و قال)؛ ملاطفا لها (: «يا عويش)- منادى مصغّر مرخّم، فيجوز ضمّه و فتحه على لغة «من ينتظر» و على التمام- (قولى: (اللّهمّ؛ ربّ محمّد اغفر لى ذنبى، و أذهب)- بهمزة القطع- (غيظ قلبى، و أجرنى من مضلّات الفتن.)؛ أى: الفتن المضلّة، أى الموقعة فى الضلال، فمن قال ذلك بصدق و إخلاص ذهب غضبه لوقته، و حفظ من الضلال و الوبال.

(و) أخرج البخارىّ فى «الأدب المفرد»؛ عن أنس رضى اللّه تعالى عنه قال: (كان) النبىّ (صلى اللّه عليه و سلم إذا أتى)- مبنىّ للمجهول- أى: أتاه أحد (بهديّة؛ قال: «اذهبوا بها إلى بيت فلانة) لم يسمّها الرواة، (فإنّها كانت صديقة لخديجة

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۲۶

- رضى اللّه تعالى عنها- إنّها كانت تحبّ خديجة».

و عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة رضى اللّه تعالى عنها لما كنت أسمعه يذكرها، و إن كان ليذبح الشّاة فيهديها إلى خلائلها، و استأذنت عليه أختها ..

- رضى اللّه تعالى عنها-)

و فى رواية: (إنّها كانت تحبّ خديجة»). و فيه الحثّ على البرّ و الصّلة و حسن العهد.

(و) أخرج البخارىّ و مسلم و غيرهما (عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها؛ قالت: ما غرت)- بكسر العين المعجمة و سكون الراء- (على امرأة) أى: من نساء النبى صلّى اللّه عليه و سلم (ما غرت)؛ أى: كغيرتى (على خديجة- رضى اللّه تعالى عنها- لما كنت) لعلة لغيرتها أى: لأجل كونى دائما (أسمعه)؛ أى: أسمع النبى صلّى اللّه عليه و سلم (يذكرها) أى: ذكرا جميلا و ثناء جزيلا.

قال الطبرىّ و غيره: الغيرة من النساء مسموح لهنّ و مفسوخ فى أخلاقهن لما جبلن عليه، و إنّهن لا يملكن عندها أنفسهنّ. و لهذا لم يزجر النبى صلّى اللّه عليه و سلم عائشة، و لا ردّ عليها عذرها، لما علم من فطرتها و شدّة غيرتها. قال الزبيدى: و العامّة تكسرها و الصواب فتحها. انتهى «ملا على قارى رحمه اللّه تعالى».

(و إن)- بكسر الهمزة و سكون النون؛ على أنّ «إن» مخفّفة من الثقيلة، و اسمها ضمير الشأن محذوف؛ أى: و إنّه عليه الصلاة و السلام (كان ليذبح الشّاة)- بفتح اللام- و هى المسماة ب «الفارقة»، نحو قوله تعالى وَ إِنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً [۱۴۳/ البقرة] (فيهديها)- بضمّ الياء- أى: فيرسلها هديّة (إلى خلائلها)- بالخاء المعجمة- جمع: خليلة؛ أى صدائقها لكلّ واحدة منها قطعة.

(و استأذنت عليه أختها) أى: طلبت الإذن فى الدخول له صلّى اللّه عليه و سلم أخت خديجة؛

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۲۷

فارتاح لها «۱»، و دخلت عليه امرأة فهشّ لها و أحسن السّؤال عنها، فلمّا خرجت قال: «إنّها كانت تأتينا أيّام خديجة، و إنّ حسن العهد من الإيمان».

و هى هالة بنت خويلد بن أسد أمّ أبى العاصى بن الربيع «زوج زينب بنته صلّى اللّه عليه و سلم»، و اسمه: لقيط بن الربيع، و هالة ذكرها ابن منده، و أبو نعيم فى «الصحابة».

(فارتاح [لها])؛ أى: حصلت له صلّى اللّه عليه و سلم راحة، إذ دخلت عليه و أظهر البشر و السرور برؤيتها، (و دخلت عليه امرأة) أى:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

أخرى فى وقت آخر (فهشّ لها)- بتشديد الشين المعجمة- أى: فرح بها و استبشر، (و أحسن السّؤال عنها) بقوله «كيف أنتم ..؟ كيف حالكم ...؟ كيف كنتم بعدنا»؟ (فلمّا خرجت) من عنده (قال: «إنّها كانت تأتينا أيّام خديجة) أى: فى زمانها فلنا بها معرفة قديمة، (و إنّ حسن العهد) قال السّخاوى: ينصرف لغة إلى وجوه؛ أحدها: الحفظ و الرعاية، و هو المراد هنا. أى: الوفاء و الحفظ، و رعاية العهود القديمة، و رعاية من يحبّك أو يحبّ من يحبّك (من الإيمان») أى: من أخلاق أهله و خصالهم، أو من شعب الإيمان و مقتضياته، لأن من كمال الإيمان مودّة عباد اللّه و محبّتهم.

و هذا الحديث رواه الحاكم فى «مستدركه» فى «كتاب الإيمان»؛ عن عائشة مرفوعا، و قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين؛ و ليس له علّة. و أقرّه الذّهبىّ. و من طريق الحاكم رواه الدّيلمىّ، من حديث الصّغانى؛ عن أبى عاصم؛ قال: حدّثنا رستم؛ عن ابن أبى مليكة؛ عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها؛ قالت:

جاءت عجوز إلى النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم و هو عندى، فقال لها: «من أنت»؟! فقالت جثّامة المزنيّة. قال: «أنت حسّانة، كيف أنتم ...؟ كيف حالكم ...؟ كيف كنتم بعدنا؟». قالت: بخير، بأبى أنت و أمّى؛ يا رسول اللّه. فلما خرجت؛ قلت:

يا رسول اللّه؛ تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال!! قال: «إنّها كانت تأتينا زمن

---

(۱) فى «وسائل الوصول»: إليها.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۲۸

قال القسطلانىّ: (و هكذا كانت أحواله عليه الصّلاة و السّلام مع أزواجه، لا يأخذ عليهنّ و يعذرهنّ، و إن أقام عليهنّ قسطاس عدل أقامه من غير قلق، و لا غضب.

و بالجملة: فمن تأمّل سيرته عليه الصّلاة و السّلام مع أهله و أصحابه و غيرهم من الفقراء، و الأيتام، و الأرامل، و الأضياف، و المساكين .. علم أنّه قد بلغ من رقّة القلب و لينه الغاية الّتى لا مرمى وراءها لمخلوق، و إنّه كان يشدّد فى حدود اللّه و حقوقه و دينه؛ حتّى قطع يد السّارق ... إلى غير ذلك).

خديجة، و إنّ حسن العهد من الإيمان».

(قال) العلّامة الشّهاب (القسطلانىّ) فى «المواهب» عقب الكلام على حديث عائشة رضى اللّه عنها فى كسر الصحفة السابق!! و لو ذكره المصنف هناك كان أولى؟!

(و هكذا كانت أحواله عليه الصّلاة و السّلام مع أزواجه؛ لا يأخذ عليهنّ و يعذرهنّ)- بكسر الذال-: يرفع عنهن اللّوم.

(و إن أقام عليهنّ قسطاس): ميزان (عدل؛ أقامه من غير قلق و لا غضب) كما هو الواقع من غيره كثيرا.

(و بالجملة؛ فمن تأمّل سيرته عليه الصّلاة و السّلام مع أهله و أصحابه و غيرهم؛ من الفقراء، و الأيتام، و الأرامل، و الأضياف، و المساكين؛ علم أنّه قد بلغ من رقّة القلب و لينه الغاية الّتى لا مرمى وراءها لمخلوق)، أى: لا يصل أحد بعده إليها (و إنّه كان يشدّد فى حدود اللّه و حقوقه و دينه؛ حتّى قطع يد السّارق ... إلى غير ذلك) كحدّ الزانى. انتهى كلام «المواهب».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۲۹

[الفصل الثّالث فى صفة أمانته صلّى اللّه عليه و سلّم و صدقه]

الفصل الثّالث فى صفة أمانته صلّى اللّه عليه و سلّم و صدقه كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم آمن النّاس، و أصدقهم لهجة منذ كان.

قال تعالى: مُطاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ [التكوير: ۲۱].

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

أكثر المفسّرين على أنّه محمّد صلّى اللّه عليه و سلّم.

(الفصل الثّالث)؛ من الباب الخامس (فى) ما ورد فى (صفة أمانته صلّى اللّه عليه و سلم) فى كلّ شىء يحفظه قولا كان؛ أو فعلا؛ أو غير ذلك مما يجعل عنده، و كونه موثوقا به فى أموال الناس و أحوالهم.

(و) فى ما ورد فى (صدقه) صلى اللّه عليه و سلم، و هو: مطابقة خبره للواقع.

قال فى «الشفاء»: (كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم آمن النّاس)- بهمزة ممدودة- أى:

أكثرهم و أعظمهم أمانة و أمنا؛ من أن يقع منه خيانة، (و أصدقهم لهجة) أى:

منطقا أى: أكثرهم صدقا (منذ كان) أى: من ابتداء ما وجد، لما جبل عليه من الأخلاق الحسنة، و قد اعترف له بذلك محادّوه و عداه.

(قال) اللّه (تعالى) فى حقه (مُطاعٍ)- أى: مكرّم- (ثَمّ)- بفتح الثاء؛ أى: عند الملأ الأعلى و الحضرة العليا- (أَمِينٍ). موصوف بالأمانة فى دعوى النبوة و وحى الرسالة.

(أكثر المفسّرين على أنّه) أى: المراد ب «المطاع الأمين» (محمّد صلّى اللّه عليه و سلم) و كثير منهم على أنّه جبريل عليه الصلاة و السلام؛ كما يشهد به سياق النظم القرآنى و لذا ارتضاه المحقّقون.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۳۰

و كانت تسمّيه قريش قبل نبوّته: (الأمين).

و لمّا اختلفوا عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر .. حكّموا أوّل داخل عليهم، فإذا بالنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم داخل، و ذلك قبل نبوّته، فقالوا: (هذا محمّد الأمين .. قد رضينا به).

(و كانت تسمّيه قريش قبل نبوّته) أى: ظهورها و دعوتها («الأمين»)، لأمانته و صدق قوله فى جميع أحواله.

قال ابن إسحاق: كان صلّى اللّه عليه و سلم يسمّى «الأمين» بما جمع اللّه له من الأخلاق الصالحة.

قال الخفاجى: و هذا حديث صحيح، رواه أحمد فى «مسنده»، و الحاكم، و الطبرانىّ؛ عن على كرم اللّه وجهه.

(و لمّا اختلفوا)؛ أى: قريش (عند بناء الكعبة) حين أجمرت فطارت شرارة؛ فاحترقت الكعبة فهدموها، و أرادوا تجديد بنائها فوقع خلافهم (فيمن يضع الحجر) الأسود فى موضعه الأصلىّ قبل هدمه، و كلّ يقول «أنا و أتباعى نضعه»؛ افتخارا بوضعه، لأنه الركن الأعظم فى ذلك المقام الأفخم، و كاد أن يقع بينهم القتال، لكثرة منازعة الرجال.

(حكّموا)- بفتح الحاء المهملة، و تشديد الكاف- فعل ماض، و هو جواب «لمّا» أى: ارتضوا بأن يكون الحاكم فى ذلك (أوّل داخل عليهم) لدفع النزاع عنهم.

(فإذا بالنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم داخل) «إذا» فجائية، أى: فاجأهم دخوله عليهم بغتة من غير طلب و لا ميعاد منهم، (و ذلك قبل) دعوى (نبوّته) و ظهور رسالته صلّى اللّه عليه و سلم؛ و هو ابن خمس و ثلاثين سنة، (فقالوا) مقرّين له بوصف أمانته (: هذا محمّد الأمين .. قد رضينا به) حكما فى هذه القضية، فلما انتهى إليهم ذكروا له ذلك،

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۳۱

و قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «و اللّه إنّى لأمين فى السّماء، أمين فى الأرض». و ورد أنّ أبا جهل قال للنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم: إنّا لا نكذّبك، و ما أنت فينا بمكذّب، و لكن نكذّب بما جئت به. فأنزل اللّه فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَ لكِنَّ الظّالِمِينَ بِآياتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ [الأنعام: ۳۳].

ففرش صلّى اللّه عليه و سلم رداءه المبارك، و وضع الحجر عليه، و أمر كلّ رئيس أن يأخذ بطرف منه، و هو آخذ من تحته، فلما فعلوا ذلك و حملوه إلى قرب موضعه أخذه صلّى اللّه عليه و سلم بيده الشريفة فوضعه فى ركن البيت، ثم بنى عليه، فكان شرف الوضع له.

(و قال صلّى اللّه عليه و سلم) فيما رواه ابن أبى شيبة فى «مصنّفه» عن أبى رافع (: «و اللّه؛ إنّى لأمين فى السّماء»؛ أى: عند اللّه و

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

ملائکته المقرّبین (أمین فی الأرض) عند المؤمنین و غیرهم من المجرمین، لکمال أمانته و ظهور دیانته، و عدم خلفه فی وعده، و تحقّق صدقه؛ یعنی أنّه مشهور بذلک بین الملأ الأعلی و بین أهل الأرض.

و فیه دلیل علی جواز مدح الإنسان نفسه، مؤکّدا بالقسم؛ إذا دعت الحاجة إلی إظهار ذلک.

(و ورد) فیما رواه الترمذیّ، و الحاکم عن علیّ رضی اللّه تعالی عنه (أنّ أبا جهل) لعنه اللّه (قال للنّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم: إنّا لا نکذّبک)- بالتشدید، و [لا نکذبک] بالتخفیف- أی: لا ننسبک إلی الکذب، (و ما أنت فینا بمکذّب) لثبوت صدقک، (و لکن نکذّب) بالتشدید لا غیر (بما جئت به)؛ من القرآن و الإیمان بالتوحید و البعث و نحو ذلک، فدلّت هذه المناقضة الظاهرة علی أن کفر أکثرهم کان عنادا.

([فأنزل اللّه) فیما قاله، و هو سبب نزول هذه الآیة (فَإِنَّهُمْ لا یُکَذِّبُونَکَ [۳۳/ الأنعام]) بالتشدید، و قرأ نافع و الکسائی [لا یُکَذِّبُونَکَ] بالتخفیف (الآیة]) أی: اقرأ الآیة، و تمامها وَ لکِنَّ الظّالِمِینَ بِآیاتِ اللّهِ یَجْحَدُونَ (۳۳) [الأنعام] أی:

ینکرونه، فتکذیبهم فی الحقیقة راجع إلی ربهم، ففیه وعید أکید و تهدید شدید لهم، و تسلیة له صلّی اللّه علیه و سلم.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۵۳۲

و قیل: إنّ الأخنس بن شریق لقی أبا جهل یوم بدر فقال له: یا أبا الحکم؛ لیس هنا غیری و غیرک یسمع کلامنا، تخبرنی عن محمّد: صادق، أم کاذب؟ ...

و روی أبو میسرة أنّه صلّی اللّه علیه و سلم مرّ بأبی جهل و أصحابه؛ فقالوا: و اللّه یا محمد؛ ما نکذبک، و إنّک عندنا لصادق، و لکنّا نکذّب بما جئت به ... فنزلت هذه الآیة انتهی خفاجی علی «الشفاء».

و فی «المواهب»: روی أنّ أبا جهل لقی النبیّ صلّی اللّه علیه و سلم فی بعض فجاج مکّة فصافحه. فقیل له: تصافحه!؟ فقال: و اللّه؛ إنّی لأعلم أنه نبی، و لکن متی کنا تبعا لبنی عبد مناف!! فأنزل اللّه الآیة فَإِنَّهُمْ لا یُکَذِّبُونَکَ رواه ابن أبی حاتم.

و قیل: أی روی؛ کما أخرجه ابن إسحاق، و البیهقیّ؛ عن الزّهریّ، و کذا ابن جریر؛ عن السّدّی، و الطبرانیّ فی «الأوسط»:

(إنّ الأخنس)- بفتح الهمزة و سکون الخاء المعجمة و فتح النون و آخره سین مهملة؛ بزنة «أفعل» التفضیل: صحابیّ کما صرح به الخفاجیّ؛ فی «شرح الشّفاء»، و قال الزرقانی علی «المواهب»: إنّه أسلم بعد ذلک.

و قال الخفاجیّ: اسمه أبیّ (بن شریق)- بفتح الشین المعجمة و کسر الراء وقاف آخره؛ علی وزن «فعیل» ابن ثعلبة الثقفی، قتل یوم بدر کافرا- یعنی شریقا-؛ قاله الخفاجی.

(لقی أبا جهل یوم بدر)، و کان یوم جمعة السنة الثانیة من الهجرة فی سابع عشر رمضان؛

(فقال له: یا أبا الحکم)- بفتحتین- کنیته فی الجاهلیة، فغیّرها النبی صلّی اللّه علیه و سلم و کنّاه «أبا جهل»؛ قاله العلّامة ملا علی قاری.

(لیس هنا غیری و غیرک) أی: أحد (یسمع کلامنا) أی: فیما بیننا، (تخبرنی) خبر معناه أمر، أی: أخبرنی (عن محمّد) أی: عن وصفه؛

(: صادق أم کاذب؟)- یعنی: أ صادقا؛ فحذفت الهمزة تخفیفا.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۵۳۳

فقال أبو جهل: و اللّه إنّ محمّدا لصادق، و ما کذب محمّد قطّ.

و سأل هرقل عنه صلّی اللّه علیه و سلّم أبا سفیان فقال: هل کنتم تتّهمونه ...

(فقال أبو جهل: و اللّه؛ إنّ محمّدا لصادق) أی: لموصوف بالصدق.

(و ما کذب محمّد قطّ) اعتراف بالحقّ.

و هذا یدلّ علی أنّهم لا یعتقدون کذبه.

و روی أنّ أبا جهل قال؛ بعد قوله «و ما کذب محمّد»: و لکن إذا ذهب بنو قصیّ باللواء و السقایة و الحجابة و الندوة و النبوة؛ فما ذا

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

يكون لسائر قريش!!؟

و هذا يدلّ على أنّه ما منعه عن توحيد اللّه إلّا طلب الجاه!!.

(و سأل هرقل)- بكسر الهاء و فتح الراء و إسكان القاف؛ على المشهور- لا ينصرف للعلمية و العجمة، و هذا اسمه العلم، و أمّا قيصر!! فهو لقب كلّ من ملك الروم «١»؛ و قد هلك على كفره.

و حكى الجوهرى و غيره فى ضبطه [هرقل] سكون الراء بين كسرتين، و ضبط [هرقل] بضمّتين بينهما ساكن.

(عنه) أى: عن النبيّ (صلى اللّه عليه و سلم أبا سفيان): صخر بن حرب بن أميّة القرشى الأموى. أسلم يوم الفتح؛ فكان من المؤلّفة قلوبهم، ثم حسن إسلامه، و كان رئيس قريش، و أكثرهم مالا، و توفى سنة: أربع و ثلاثين؛ و عمره ثمان و ثمانون سنة فى المدينة المنورة، و قصّة أبى سفيان مع هرقل مشهورة مرويّة فى «الصحيحين» مفصّلة فى أوّل باب فى «البخارى»؛ و فيها:

(فقال) أى: هرقل مخاطبا لأبى سفيان و من معه (: هل كنتم تتّهمونه)

---

(١) فيه نظر!! و المعروف أنه لقب ملك الروم أيضا كما «قيصر»، و لكن «هرقل» خاصّ بملك الشام من قبلهم؛ أى فهو عامل الروم على الشام. فاعلمه.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٥٣٤

بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا.

و قال النّضر بن الحارث لقريش: قد كان محمّد فيكم غلاما حدثا؛ ...

- بتشديد التاء المثنّاة الثانية- (بالكذب) أى: هل كنتم تنسبونه إلى الكذب؛ و لو بالتهمة؛ بناء على المظنّة (قبل أن يقول ما قال) من دعوى النبوّة و الرّسالة!؟

و إنّما سألهم عن توهّم الكذب؛ و لم يقل «هل علمتم و تحققتم»!! لأنّه يعلم من انتفاء التوهّم انتفاء غيره بالطريق الأولى.

و هذا السؤال يدلّ على كمال عقل هرقل؛ و معرفته بصفة الأنبياء، لكنه لم ينفعه علمه حيث لم يقترن بعمله، إذ هلك كافرا على نصرانيّته بالقسطنطينية سنة:

عشرين بعد فتح عمر رضى اللّه عنه بلاده.

(قال) أى أبو سفيان (: لا) أى: لا نتّهمه بالكذب قبل ذلك.

فقال هرقل: قد عرفت أنّه لم يكن ليدع الكذب على الناس و يكذب على اللّه!!.

(و قال النّضر)- بنون مفتوحة فضاد معجمة ساكنة وراء مهملة آخره- (ابن الحارث) بن علقمة بن كلدة- بفتح الكاف- ابن عبد مناف القرشى.

و كان شديد العداوة للنبى صلّى اللّه عليه و سلم، أخذ أسيرا ببدر؛ فأمر النبيّ صلّى اللّه عليه و سلم عليّا رضى اللّه عنه فقتله كافرا صبرا بالصّفراء عقب الواقعة.

و أمّا النّضير- بالتصغير-! فهو أخوه، و كان من المؤلّفة، و أعطى يوم حنين مائة من الإبل!! فاحذر أن يتصحّف عليك؛ كما توهّم الحلبى!! قاله ملا على قارى رحمه اللّه تعالى.

(لقريش) فى حديث رواه ابن إسحاق، و البيهقيّ؛ عن ابن عبّاس رضى اللّه تعالى عنهما (: قد كان محمّد فيكم غلاما حدثا)- بفتحتين-.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٥٣٥

أرضاكم فيكم، و أصدقكم حديثا، و أعظمكم أمانة، حتّى إذا رأيتم فى صدغيه الشّيب و جاءكم بما جاءكم به .. قلتم ساحر؟! لا و

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

اللّه ما هو بساحر.

قال الجوهری: حدث: شابّ، فإن ذكرت السنّ؛ قلت: حديث السنّ من الحدوث، لقرب عهده بالوجود

(أرضاكم فيكم) أی: ترضون أفعاله و أحواله،

(و أصدقكم حديثا) أی: قولا و وعدا. (و أعظمكم أمانة.)

هذه شهادة العدوّ؛ فما بالك بغيره!!؟ ... و الفضل ما شهدت به الأعداء.

(حتّى إذا رأيتم فی صدغيه)- بضم فسكون-: ما بين لحظ العين و الأذن (الشّيب) أی: بياض الشعر، لأن الشعر الذی فيه من أعلى العذار و جانب الرأس كثيرا ما يبدو فيه الشيب قبل غيره، فكنّى بذلك عن تمام رجولته و كمال عقله صلّى اللّه عليه و سلم بمجاوزته سنّ الشباب، و هذا أشدّ فی الإنكار عليهم.

(و جاءكم بما جاءكم به) أی: بما أظهر لكم من الحقّ و كلام الصّدق؛ (قلتم) فی حقّه: إنه (ساحر) فی غيبته و حضوره؟! (لا و اللّه؛ ما هو بساحر!!)

و هذا منه غاية الإنصاف، و لكن غلب عليه الشقاء؛ فقتل صبرا بالصفراء كافرا منصرفه صلّى اللّه عليه و سلم من بدر، كما ذكره الشيخان عن عائشة رضی اللّه تعالى عنها؛ قاله الخفاجیّ على «الشفاء». قال:

و الّذی قال «إنّه ساحر» الوليد بن المغيرة، و سبب قول النّضر المذكور أنّ أبا جهل لمّا أراد أن يرضخ رأس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم بحجر فتمثّل له جبريل عليه الصّلاة و السلام؛ فی صورة فحل، ففرّ هاربا و يبست يده على الحجر.

فلما سمع ذلك النّضر؛ قال: يا معشر قريش .. و اللّه؛ قد نزل بكم أمر؛

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۳۶

و فی حديث علیّ رضی اللّه عنه- فی وصفه عليه الصّلاة و السّلام-: أصدق النّاس لهجة.

ما أتيتم فيه بحيلة بعد!! قد كان فيكم محمّد ... إلى قوله .. ما هو بساحر؛ و قد رأينا السّحرة نفثهم و عقدهم!! و قلتم: إنّه كاهن، و اللّه ما هو بكاهن؛ و قد رأينا الكهنة؛ و سمعنا سجعهم!! و قلتم شاعر؛ و اللّه ما هو بشاعر!! و قد رأينا الشعر و سمعنا أصنافه: هزجه و رجزه!! و قلتم: مجنون!! لا- و اللّه ما هو بمجنون، فما هو بخنقه؛ و لا- تخليط؛ و لا- وسوسة فانظروا فی شأنكم، فإنّه و اللّه قد نزل بكم أمر عظيم!؟

(و فی حديث علیّ) بن أبی طالب كرّم اللّه وجهه و (رضی اللّه عنه؛ فی وصفه عليه الصّلاة و السّلام: أصدق النّاس لهجة) أی: لسانا و بيانا. رواه الترمذیّ فی «شمائله». و قد تقدّم.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۳۷

[الفصل الرّابع فی صفة حيائه صلّى اللّه عليه و سلم و مزاحه]

الفصل الرّابع فی صفة حيائه صلّى اللّه عليه و سلم و مزاحه (الفصل الرّابع) من الباب الخامس (فی) بيان ما ورد فی (صفة حيائه صلّى اللّه عليه و سلم) و الحياء- هنا- بالمدّ، و أمّا بالقصر!! فهو بمعنى المطر، و كلاهما مأخوذ من الحياة، لأنّ أحدهما فيه حياة الأرض، و الآخر فيه حياة القلب.

و الممدود معناه- فی اللغة-: تغيّر و انكسار يعترى الإنسان من خوف ما يعاب به، أو يعاتب عليه.

و معناه- فی الشرع-: خلق يبعث؛ أی: يحمل من قام به على اجتناب القبيح، و يمنع من التقصير فی حقّ ذی الحقّ؛ و هو اللّه تعالى فی حقّ عباده، و الصديق فی حقّ صديقه، و السيّد فی حقّ عبده ... إلى غير ذلك.

و لذا جاء فی الحديث: «الحياء من الإيمان»، و: «الحياء خير كلّه»، و: «الحياء لا يأتی إلّا بخير». و على حسب حياة القلب تكون فيه قوّة

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

خلق الحياء، و قلّة الحياء من موت القلب و الروح، و كلّما كان القلب حيّا؛ كان الحياء أتمّ، و لذا كان تمام الحياء فى المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم، إذ لا قلب أحيا من قلبه؛ قاله الزرقانى على «المواهب» للعلّامة القسطلانى.

و قال فى «المواهب» أيضا: و للحياء أقسام ثمانية يطول استقصاؤها؛

منها: حياء الكرم؛ كحيائه صلّى اللّه عليه و سلم من القوم الذين دعاهم إلى وليمة زينب؛ و طوّلوا عنده المقام، و استحيا أن يقول لهم «انصرفوا».

و منها حياء المحبّ من محبوبه؛ حتّى إذا خطر على قلبه فى حال غيبته هاج الحياء من قلبه و أحسّ به فى وجهه، فلا يدرى ما سببه!.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۳۸

....

و منها حياء العبوديّة؛ و هو حياء يمتزج بين محبّة و خوف و مشاهدة عدم صلاحيّة عبوديّته لمعبوده؛ و أنّ قدره أعلى و أجلّ منها، فعبوديّته له توجب استحياء منه لا محالة.

و منها حياء المرء نفسه، و هو حياء النفوس الشريفة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص و قنعها بالدّون، فيجد نفسه مستحييا من نفسه حتّى كأنّ له نفسين يستحى بإحداهما من الأخرى، و هذا أكمل ما يكون من الحياء. فإنّ العبد إذا استحيا من نفسه؛ فهو بأن يستحى من غيره أجدر. انتهى.

(و مزاحه)- بكسر أوله- مصدر «مازحه»؛ فهو بمعنى الممازحة، يقال:

مازحه ممازحة و مزاحا؛ كقاتله مقاتلة و قتالا. و المزاح- بالضمّ- مصدر سماعىّ، و القياس الكسر؛ لقول ابن مالك:

لفاعل الفعال و المفاعلة................ ....

و هو الانبساط مع الغير؛ من غير إيذاء له، و به فارق الاستهزاء و السّخرية.

و إنّما كان صلّى اللّه عليه و سلم يمزح!! لأنّه كان له المهابة العظمى، فلو لم يمازح الناس لما أطاقوا الاجتماع به و التلقّى عنه. و لذا سئل بعض السلف عن مزاحه؛ فقال: كانت له مهابة، فلذا كان ينبسط مع الناس بالمداعبة و الطلاقة و البشاشة.

و عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها أنّه صلّى اللّه عليه و سلم كان يمزح؛ و يقول: «إنّ اللّه لا يؤاخذ المزّاح الصّادق فى مزاحه». لكن لا ينبغى المداومة عليه، لأنّه يتولّد عنه الضّحك، و يتولّد عن الضّحك قسوة القلب، و يشغل عن ذكر اللّه تعالى؛ و عن الفكر فى مهمات الدّين، و يؤول فى كثير من الأوقات إلى الإيذاء، لأنه يوجب الحقد و يسقط المهابة، فالإفراط فيه منهىّ عنه، و المباح: ما سلم من هذه الأمور، بل إن كان لتطييب نفس المخاطب و مؤانسته؛ كما كان صلّى اللّه عليه و سلم يفعله على ندور؛ فهو سنة. و ما أحسن قول الإمام الشافعى رحمه اللّه:

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۳۹

عن أبى سعيد الخدرىّ رضى اللّه تعالى عنه قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أشدّ حياء من العذراء فى خدرها.

أفد طبعك المكدود بالجدّ راحةبجدّ و علّله بشىء من المزح

و لكن إذا أعطيته المزح فليكنبمقدار ما يعطى الطّعام من الملح!! انتهى؛ من الباجورى على «الشمائل».

(عن أبى سعيد الخدرىّ رضى اللّه تعالى عنه)- فيما أخرجه البخارىّ فى «الصفة النبوية» و «الأدب»، و مسلم فى «الفضائل»، و ابن ماجه فى «الزهد»، و الترمذى فى «الشمائل»؛ (قال) أى أبو سعيد

(: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم أشدّ حياء)- نصب على التمييز- (من العذراء)- بفتح العين المهملة و سكون الذال المعجمة و المد- هى البكر ذات العذرة.

سمّيت بذلك!! لأنّ عذرتها؛ و هى جلدة البكارة باقية.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و جمع العذراء: عذارى- بفتح الراء، و [عذارى] بكسرها-.

و العذراء و البكر مترادفان لغة، و أمّا شرعا: فالعذراء أخصّ من البكر، لأنّها من لم تزل عذرتها بشىء، و البكر من لم تزل بكارتها بوطء؛ و لو أزيلت بسقطة و حدّة حيض و نحوهما. أى: كان حياؤه أبلغ من حياء البنت البكر حال كونها كائنة. (فى خدرها)، أو الكائنة فى خدرها، فهو حال على الأوّل؛ صفة على الثانى.

و الخدر- بكسر الخاء المعجمة؛ و سكون الدال المهملة-: ستر يجعل لها إذا شبّت و ترعرعت لتنفرد فيه، فمعنى قوله «فى خدرها»؛ أى: فى سترها، و هو تتميم للفائدة، فإنّ العذراء إذا كانت متربّية فى سترها تكون أشدّ حياء؛ لتسترّها حتّى عن كثير من النساء، بخلافها إذا كانت فى غير بيتها، لاختلاطها مع غيرها، أو كانت داخلة خارجة، فإنّها حينئذ تكون قليلة الحياء؛ قاله فى «جمع الوسائل».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۴۰

و كان إذا كره شيئا .. عرف فى وجهه.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم أشدّ النّاس حياء، لا يثبّت بصره فى وجه أحد.

و محلّ وجود الحياء منه: فى غير حدود اللّه، و لهذا قال للذى اعترف بالزّنا:

«أنكتها»؟ لا يكنّى؛ كما فى «الصحيح» فى «كتاب الحدود».

و لشدّة حيائه صلّى اللّه عليه و سلم كان يغتسل من وراء الحجرات، و ما رأى أحد عورته قطّ.

أخرجه البزّار بسند حسن؛ عن ابن عبّاس رضى اللّه تعالى عنهما؛ قاله الباجورىّ، و الزرقانى. زاد البخارى من وجه آخر، و «الشمائل»: (و كان إذا كره شيئا عرف فى وجهه) لأنّ وجهه كالشمس و القمر، فإذا كره شيئا كسا وجهه ظلّ؛ كالغيم على النّيرين، فكان لغاية حيائه لا يصرّح بكراهته، بل إنّما يعرف فى وجهه، و كذا العذراء فى خدرها لا تصرّح بكراهة الشىء، بل يعرف ذلك فى وجهها غالبا، و بهذا ظهر وجه ارتباط هذه الجملة بالّتى قبلها. انتهى «مناوى، و ملا على قارى» رحمهما اللّه تعالى.

(و) فى «الإحياء»: (كان صلّى اللّه عليه و سلم أشدّ النّاس حياء). قال فى «المواهب»:

قال القرطبى؛ أى: فى «شرح مسلم»: الحياء المكتسب: هو الذى جعله الشارع من الإيمان، و هو المكلّف به؛ دون الغريزى، غير أنّ من كان فيه غريزة منه؛ فإنّها تعينه على المكتسب حتّى يكاد يكون غريزة؛ قال:

و كان صلّى اللّه عليه و سلم قد جمع له النوعان؛ فكان فى الغريزى أشدّ حياء من العذراء فى خدرها.

و قال القاضى عياض فى «الشّفاء»: و روى عنه صلّى اللّه عليه و سلم أنّه كان من حيائه (لا يثبّت)- بضمّ أوّله رباعىّ؛ لا بفتحها ثلاثى، لإيهامه العجز- (بصره) أى:

لا يديم نظره (فى وجه أحد)، و لا يتأمّله لاستيلاء الحياء عليه. فإثبات البصر بمعنى: إطالة النظر من غير تخلّل إغماض الجفن و نحوه؛ حتّى كأنّ بصره صار قارّا فى المرئىّ.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۴۱

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يكنّى عمّا اضطرّه الكلام إليه ممّا يكره.

قال السّيوطى: و هذا الحديث ذكره صاحب «الإحياء»؛ و لم يجده العراقىّ.

انتهى كلام «المواهب»؛ مع شىء من «الزرقانى».

(و) فى «الإحياء» و «الشفاء»: (كان صلّى اللّه عليه و سلم يكنّى)- بضمّ الياء و تشديد النون، أو [يكنى] بفتح و تخفيف-؛ أى: يلوّح و لا يصرّح، و يعرّض (عمّا اضطرّه الكلام إليه) أى: عن شىء لا بدّ منه، و لا يسعه السكوت عنه (ممّا يكره)- بصيغة المفعول- أى: مما لا يستحسن التصريح به.

يعنى أنّه يورد المعنى القبيح عادة بطريق الكناية، لشدّة حيائه صلّى اللّه عليه و سلم، كقوله:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

«حتّى تذوقى عسيلته و يذوق عسيلتك» رواه البخارى؛ عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها، لأنّ الجماع و ذكره للمرأة يستحيا منه، و كقوله «خذى فرصة ممسكة فتطهّرى بها» رواه الشيخان؛ عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها. و كقوله: «فإنّه لا يدرى أين باتت يده» حيث لم يقل «فلعل يده وقعت على دبره، أو ذكره، أو نجاسة فى بدنه ...» و نظائر ذلك كثيرة فى الأحاديث الصحيحة.

يفعل ذلك تخلّقا بأخلاق ربّه، و اقتداء بآدابه، إذ قال تعالى أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ [۴۳/ النساء]، و قال تعالى فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ [۲۲۳/ البقرة].

و هذا فيما إذا علم أنّ السامع يفهم المقصود بالكناية، و إلّا! لكان يصرّح لينتفى اللّبس و الوقوع فى خلاف المطلوب، و على هذا يحمل ما جاء من ذلك مصرّحا به. و اللّه أعلم.

(و) أخرج ابن ماجه؛ عن بلال بن الحارث المزنى، و الإمام أحمد بن حنبل، و النّسائى، و ابن ماجه- بسند حسن؛ كما فى العزيزىّ-: كلّهم عن عبد الرحمن بن أبى فرّاد- بضمّ الفاء و شدّ الراء، بضبط المؤلف؛ يعنى:

السيوطى- السّلمى؛ كذا قاله العزيزى على «الجامع الصغير»، و تعقّبه المناوى بأنّه ليس بصحيح! قال: ففى «التقريب» كأصله: بضمّ القاف و تخفيف الراء- يعنى: أبا قراد السّليمى الأنصارىّ- و يقال له: الفاكه. قال:

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۴۲

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا أراد الحاجة .. أبعد.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا أراد الحاجة .. لم يرفع ثوبه حتّى يدنو من الأرض.

(كان صلّى اللّه عليه و سلم إذا أراد الحاجة) بالصحراء (أبعد) بحيث لا يسمع لخارجه صوت؛ و لا يشمّ له ريح؛ ذكره الفقهاء. و قال فى «الروض»: لم يبيّن مقدار البعد، و هو مبيّن فى حديث ابن السّكن فى «سننه»، أى: و فى «تهذيب الآثار» للطبرى، و «الأوسط» و «الكبير» للطبرانى؛ أى: بسند جيد؛ كما قاله الولىّ العراقىّ فى «شرح أبى داود» بأنّه على ثلثى فرسخ من مكّة، أو نحو ميلين، أو ثلاثة. و فى معنى الإبعاد: اتخاذ الكنف فى البيوت، و ضرب الحجب، و إرخاء الستور، و أعماق الحفائر ... و نحو ذلك ممّا يستر العورة، و يمنع الرّيح.

قال الولى العراقى: و يلحق بقضاء الحاجة كلّ ما يستحى منه؛ كالجماع، فيندب إخفاؤه، بتباعد أو تستّر. و كذا إزالة القاذورات؛ كنتف إبط، و حلق عانة؛ كما نقله والدى؛ يعنى: الزين العراقى؛ عن بعضهم. انتهى كلام الولىّ العراقىّ؛ نقله المناوى على «الجامع الصغير».

(و) أخرج أبو داود، و الترمذىّ؛ عن أنس بن مالك، و عن ابن عمر بن الخطاب، و الطبرانىّ فى «الأوسط»؛ عن جابر بن عبد اللّه رضى اللّه تعالى عنهم.

قال فى العزيزى: قال الشيخ: حديث صحيح.

قال المناوى: و ليس بمسلّم!! فقد قال العراقىّ: و الحديث ضعيف من جميع طرقه، و قد أورد النّووىّ فى «الخلاصة» الحديث فى «فصل الضعيف»، فدلّ على أنّه ضعيف عنده من جميع طرقه!. انتهى.

(كان صلّى اللّه عليه و سلم إذا أراد الحاجة) أى: القعود للبول؛ أو الغائط (لم يرفع ثوبه) أى: لم يتمّ رفعه عن عورته، و لفظ رواية أبى داود: حال قيامه، بل يصبر (حتّى يدنو)؛ أى: يقرب (من الأرض)، فإذا دنا منها رفعه شيئا فشيئا؛ محافظة على الستر، و هذا الأدب مستحبّ؛ اتفاقا، و محلّه ما لم يخف تنجّس ثوبه، و إلّا! رفع قدر حاجته.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۴۳

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا دخل المرفق .. لبس حذاءه و غطّى رأسه.

و عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت: ما رأيت فرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قطّ.

(و) أخرج البيهقىّ، و ابن سعد فى «الطبقات»؛ من حديث أبى بكر بن عبد اللّه؛ عن أبى موسى حبيب بن صالح- و يقال: ابن أبى

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

موسی- الطائی مرسلا.

(کان إذا دخل المرفق)- بکسر المیم و فتح الفاء-: الکنیف (لبس حذاءه)- بکسر الحاء و بالذال المعجمة، و بالمدّ-: نعله صونا لرجله عما قد یصیبها (و غطّی رأسه) حیاء من ربّه، لأن هذا المحلّ معدّ لکشف العورة، و لأن تغطیة الرّأس حال قضاء الحاجة أجمع لمسامّ البدن، و أسرع لخروج الفضلات، و لاحتمال أن یصل إلی شعره ریح الخلاء و یعلق به، قال أهل الطریق: و یجب کون الإنسان فیما لا بدّ منه من حاجته حییّ خجل مستور. انتهی «مناوی».

(و) أخرج الترمذی فی «الشمائل»- بإسناد فیه مجهول-؛

(عن عائشة رضی اللّه تعالی عنها؛ قالت: ما رأیت فرج رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم)

- و فی روایة: ما رأیته منه و لا رآه منی- (قطّ)؛ أی: أبدا.

و المراد أنّه کان من شدّة حیائه لا یمکّنها النظر إلی فرجه، مع احتیاطه بفعل ما یوجب امتناعها من رؤیته، إذ المرأة لا تتجرّأ علی رؤیة عورة زوجها إلّا من استهتاره و علمها رضاه، مع أنّه یجوز رؤیة کلّ واحد من الزوجین فرج الآخر؛ و إن کان مکروها!!

و فی حدیث رواه ابن حبّان: «النّظر إلی الفرج یورث الطّمس»؛ أی:

العمی. فقیل: عمی الناظر. و قیل: عمی أولاده. و قیل: المراد عمی القلب.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۵۴۴

....

فکان صلّی اللّه علیه و سلم لشدّة حیائه لا یکشف عورته عند أحد قطّ، کما ورد: «من کرامتی علی اللّه أنّه لم یطلع لی علی عورة أحد قطّ»، فإنّ عائشة رضی اللّه تعالی عنها زوجته؛ و أقرب الناس و أحبّهم إلیه، و کان یضاجعها و ینام عندها، فإذا لم تر ذلک منه صلّی اللّه علیه و سلم لزم عدم کشفه عندها، فإذا لم یکشف عندها؛ فبالطریق الأولی عند غیرها.

و قد أخرج البزّار؛ عن ابن عبّاس رضی اللّه تعالی عنهما قال: کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم یغتسل من وراء الحجرات، و ما رأی أحد عورته قطّ. و إسناده حسن.

و روی ابن الجوزیّ؛ عن أمّ سلمة رضی اللّه تعالی عنها: کان إذا أتی امرأة من نسائه غمّض عینیه و قنّع رأسه، و قال للّتی تحته: «علیک بالسّکینة و الوقار».

و روی أبو صالح؛ عن ابن عبّاس رضی اللّه تعالی عنهما قال:

قالت عائشة رضی اللّه تعالی عنها: ما أتی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم أحدا من نسائه إلّا مقنّعا، یرخی الثوب علی رأسه!! و ما رأیته من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم و لا رآه منی!! أورده ابن الجوزی فی کتاب «الوفا»؛ نقلا عن الخطیب.

خاتمة: أخرج ابن جریر، و أبو نعیم، و غیرهما؛ عن العبّاس قال:

لما بنت قریش البیت افترقت رجلین ... رجلین ... لنقل الحجارة، فکنت أنا و ابن أخی نحمل علی رقابنا و أزرنا تحت الحجارة، فإذا غشینا النّاس اتّزرنا، فبینما أنا أمشی و محمّد صلّی اللّه علیه و سلم قدّامی خرّ، فانبطح علی وجهه! فجئت؛ فألفیته ینظر إلی السماء!! فقلت: ما شأنک!! فأخذ إزاره، و قال: «نهیت أن أمشی عریانا!!» فقال: اکتمها مخافة أن یقولوا مجنون.

و أخرج أبو نعیم؛ عن ابن عبّاس رضی اللّه تعالی عنهما قال: کان أبو طالب یعالج زمزم؛ و کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم ینقل الحجارة و هو غلام، فأخذ إزاره و اتقی به.

فقیل لأبی طالب الحق ابنک؛ فقد غشی علیه، فلما أفاق من غشیته سأله

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۵۴۵

و أمّا مزاح رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

فقد كان صلّى اللّه عليه و سلّم يمزح مع النّساء و الصّبيان و غيرهم،

أبو طالب؛ فقال: «أتانى آت عليه ثياب بيض»؛ فقال لى استتر.

قال ابن عبّاس: فكان أوّل شىء رآه من النبوة أن قيل له «استتر». فما رؤيت عورته من يومئذ. انتهى؛ من «شرح الخفاجى على الشفاء» و شروح «الشمائل»:

المناوى؛ و على قارى؛ و الباجورى رحمهم اللّه تعالى. آمين.

(و أمّا مزاح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم! فقد) ورد بيانه فى الأحاديث الآتية، ففى «كشف الغمّة» للعارف الشعرانى رحمه اللّه تعالى:

(كان صلّى اللّه عليه و سلم يمزح) أحيانا (مع النّساء)؛ تلطّفا بهنّ، (و الصّبيان)؛ تأنيسا لهم، (و) مع (غيرهم) من أصحابه بالقول و الفعل؛ جبرا لقلوبهم و تأنيسا لهم، لأن الناس مأمورون بالتأسّى به و الاقتداء بهديه، فلو ترك الطلاقة و البشاشة و لزم العبوس؛ لأخذ الناس أنفسهم بذلك! على ما فى مخالفة الغريزة من المشقّة و العنا!! فمزح ليمزحوا؛ قاله ابن قتيبة.

و قال الخطّابى: سئل بعض السلف عن مزاحه صلّى اللّه عليه و سلم؛ فقال: كانت له مهابة، فلذا كان ينبسط للناس بالدّعابة، و هو مع ذلك سرّه فى الملكوت يجول حيث أراد اللّه تعالى به.

و لا يخالف هذا قوله صلّى اللّه عليه و سلم: «لست من دد و لا الدّد منّى» أخرجه البخارىّ فى «الأدب المفرد»، و البيهقىّ عن أنس رضى اللّه عنه، و الطبرانىّ فى «الكبير»؛ عن معاوية رضى اللّه عنه.

و دد- بفتح الدال الأولى؛ و كسر الثانية- أى: لست من أهل اللهو و اللّعب، و لا هما منّى. و معنى تنكير الدّد فى الأول: الشياع و الاستغراق، و أن لا يبقى شىء منه إلّا و هو منزّه عنه؛ أى: ما أنا فى شىء من اللهو و اللعب، و تعريفه فى الجملة الثانية!! لأنّه صار معهودا بالذكر، كأنّه قال: و لا ذلك النوع، و إنما لم يقل

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۴۶

و لا يقول إلّا حقّا.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم من أفكه النّاس مع صبىّ.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا مزح .. غضّ بصره.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم فيه دعابة قليلة.

«و لا هو منى»!! لأن الصريح آكد و أبلغ.

و قد رواه الطبرانىّ أيضا و البزار، و ابن عساكر؛ عن أنس بزيادة: «و لست من الباطل، و لا الباطل منّى». انتهى. لأنّ المنفىّ ما كان بباطل و مجرّد لهو و لعب؛ و هو صلّى اللّه عليه و سلم فى مزاحه صادق؛ كما قال:

(و لا يقول إلّا حقّا)، فلا ينافى الكمال حينئذ، بل هو من توابعه و تتمّاته لجريه على القانون الشرعى. فمن زعم تناقض الحديثين من الفرق الزائغة! فقد ضل؛ قاله الزرقانى على «المواهب».

و حديث «المتن» رواه الإمام أحمد؛ من حديث أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه، مع تغيير يسير فى اللفظ، و هو عند الترمذى بلفظ: قالوا: إنّك تداعبنا! قال: «إنّى لا أقول إلّا حقّا». و سيأتى فى المتن إن شاء اللّه تعالى.

(و) أخرج الطبرانىّ؛ عن أنس رضى اللّه تعالى عنه:

(كان صلّى اللّه عليه و سلم من أفكه النّاس) أى: من أمزحهم (مع صبىّ)- و قد تقدّم-.

(و كان صلّى اللّه عليه و سلم إذا مزح غضّ بصره). لم أقف عليه!.

(و) أخرج الخطيب و ابن عساكر فى «تاريخه»؛ عن ابن عبّاس رضى اللّه تعالى عنهما قال:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم فيه دعابة)- بضمّ الدال و تخفيف العين المهملتين، و بعد الألف موحّدة (قليلة) أى: مزاح يسير للتشريع.

قال فى «المواهب»: الدّعابة هى الملاطفة فى القول بالمزاح و غيره؛

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۴۷

و عن أنس رضى اللّه تعالى عنه: أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم قال له: «يا ذا الأذنين»؛ يعنى: يمازحه.

كالمداعبة الفعلية؛ كمجّه محمود بن الربيع، و احتضانه زاهرا. انتهى مع «شرح الزرقانى».

قال المناوى فى «كبيره»: قال ابن عربى: و سبب مزاحه أنّه كان شديد الغيرة، فإنّه وصف نفسه بأنّه أغير من سعد؛ بعد ما وصف سعدا بأنه غيور، فأتى بصيغة المبالغة، و الغيرة من نعت المحبّة؛ و هم لا يظهرونها، فستر محبّته و ماله من الوجد فيه بالمزاح و ملاعبته للصغير، و إظهار حبّه فيمن أحبّه؛ من أزواجه و أبنائه و أصحابه!! و قال: «إنّما أنا بشر»، فلم يجعل نفسه أنّه من المحبّين، فجهلوا طبيعته و تخيّلت أنّه معها لمّا رأته أنّه يمشى فى حقّها و يؤثرها، و لم تعلم أنّ ذلك عن أمر محبوبه إيّاه بذلك!. و قيل: إنّ محمدا صلّى اللّه عليه و سلم يحبّ عائشة و الحسنين.

و ترك الخطبة يوم العيد و نزل إليهما لما رآهما يعثران فى أذيالهما. و هذا كلّه من باب الغيرة على المحبوب أن تنتهك حرمته، و هكذا ينبغى أن يكون تعظيما للجناب الأقدس أن يعشق. انتهى.

(و) أخرج الترمذىّ فى «الشمائل» قال: حدّثنا محمود بن غيلان؛ قال:

حدّثنا أبو أسامة؛ عن شريك؛ عن عاصم الأحول.

(عن أنس) بن مالك (رضى اللّه تعالى عنه: أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم قال له) أى لأنس (: «يا ذا الأذنين»)- بضمّ الذال المعجمة، و تسكن- أى: يا صاحب الأذنين السميعتين الواعيتين الضابطتين لما سمعتاه، وصفه به مدحا له؛ لذكائه و فطنته و حسن استماعه، لأنّ من خلق اللّه له أذنين سميعتين كان أوعى لحفظه و وعيه جميع ما يسمعه، و لما كان ذلك لا يوجب كون الكلام ممازحة؛ قال محمود: (يعنى) أى: يريد صلّى اللّه عليه و سلم بقوله: «يا ذا الأذنين» (يمازحه) أى: مزاحه من قبيل ذكر الفعل و إرادة المصدر، من قبيل «تسمع بالمعيدى خير من أن تراه»، و منه قوله تعالى وَ مِنْ آياتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً [۲۴/ الروم].

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۴۸

و عن أنس أيضا قال: إن كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ليخالطنا حتّى يقول لأخ لى: «يا أبا عمير؛ ما فعل النّغير؟».

و إنّما كان ذلك مزاحا مع كونه معناه صحيحا يقصد بالإفادة!! لأن فى التعبير عنه ب «ذا الأذنين» مباسطة و ملاطفة؛ حيث سمّاه بغير اسمه، فهو من جملة مزحه و لطيف أخلاقه صلّى اللّه عليه و سلم، كما قال للمرأة عن زوجها: «ذاك الّذى فى عينيه بياض»!!.

(و) أخرج البخارىّ فى «الأدب»، و مسلم، و الترمذى فى «الجامع» فى «الصلاة»، و فى «الشمائل» أيضا، و هذا لفظها:

(عن أنس أيضا؛ قال: «إن)- مخفّفة من الثقيلة، بدليل دخول اللام فى خبرها، و اسمها ضمير الشّأن محذوف، أى: أنّه (كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ليخالطنا) بالملاطفة و طلاقة الوجه و المزاح؛ قاله القسطلانىّ فى «المواهب».

و قال شرّاح «الشمائل»: ليخالطنا: يمازحنا، ففى «القاموس»: خالطه مازحه، و المراد أنس و أهل بيته (حتّى) للغاية، أى: انتهت مخالطته لنا إلى الصغير من أهلنا و مداعبته و السؤال عن طيره (يقول لأخ لى) من أمّى «أمّ سليم»؛ يقال له «أبو عمير» بن أبى طلحة: زيد بن سهل الأنصارى.

و كان اسمه عبد اللّه؛ فيما جزم به أبو أحمد الحاكم، أو حفص؛ كما عند ابن الجوزى، و هو الذى حقّقه الحافظ ابن حجر فى «الفتح».

و قال: هو وارد على من صنّف فى «الصحابة» و فى «المبهمات»!! انتهى.

و قيل: اسمه «كبشة»؛ كما فى «جامع الأصول»!! و مات فى حياة النبى صلّى اللّه عليه و سلم. و المعروف أنّ عبد اللّه هو أخوه الذى

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

حملت به أمه عند وفاته؛ و هو صاحب الليلة المباركة!! ففى مسلم؛ عن أنس: أنّ ابنا لأبى طلحة مات ...

فذكر قصّة موته، و أنها قالت لأبى طلحة: هو أسكن ممّا كان. و بات معها، فبلغ ذلك النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم؛ فقال: «بارك اللّه لكما فى ليلتكما». فأتت بعبد اللّه بن أبى طلحة؛ فبورك فيه، و هو والد إسحاق بن عبد اللّه الفقيه، و إخوة إسحاق كانوا عشرة، كلّهم حمل عنه العلم.

(: «يا أبا عمير)- بضم العين و فتح الميم؛ مصغّرا- (ما فعل النّغير؟!»)

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۴۹

قال أبو عيسى التّرمذىّ: و فقه هذا الحديث: أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم كان يمازح.

و فيه: أنّه كنّى غلاما صغيرا فقال له: «يا أبا عمير».

و فيه: أنّه لا بأس أن يعطى الصّبىّ الطّير ليلعب به- أى: لعبا لا عذاب فيه ...

- بضمّ النون و فتح الغين المعجمة؛ تصغير النّغر، كالرّطب-: و هو طائر صغير كالعصفور أحمر المنقار؛ أى ما شأنه و حاله!! فباسطه بذلك ليسلّيه حزنه عليه؛ كما هو شأن الصغير إذا فقد لعبته، فيفرح بمكالمة المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم، و يرتاح لها و يفتخر؛ و يقول لأهله: كلّمنى و سألنى!! فيشتغل باغتباطه بذلك عن حزنه فيسلى ما كان.

(قال) الإمام الحافظ (أبو عيسى) محمد بن عيسى بن سورة (التّرمذىّ) فى «الشمائل» (: وفقه هذا الحديث) أى: المسائل الفقهية المستنبطة من هذا الحديث: (أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم كان يمازح)؛ أى: لمصلحة تطييب نفس المخاطب، و مؤانسته و ملاطفته و مداعبته، و ذلك من كمال خلقه و مكارم أخلاقه، و تواضعه و لين جانبه؛ حتّى مع الصبيان، وسعة صدره، و حسن معاشرته للناس.

(و فيه) أى: و فى هذا الحديث من الفوائد: (أنّه كنّى غلاما صغيرا؛ فقال له: «يا أبا عمير») و هو لا بأس به، لأنّ الكنية قد تكون للتفاؤل بأنّه يعيش و يصير أبا، لكونه يولد له. فاندفع ما يقال «إنّ فى ذلك جعل الصغير أبا لشخص؛ و هو ظاهر الكذب»!!.

(و فيه)؛ أى: و فى الحديث أيضا من الفوائد: (أنّه لا بأس)؛ أى:

لا حرج (أن يعطى الصّبىّ الطّير ليلعب به؛ أى: لعبا لا عذاب فيه). هذا إشارة إلى جواب ما استشكل بأن إعطاء الصغير الطير ليلعب به تعذيب له، و قد صحّ النهى عنه؟!.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۵۰

- و إلّا .. حرم تمكينه منه؛ للنهى عن تعذيب الحيوان.

و إنّما قال له النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم: «يا أبا عمير؛ ما فعل النّغير» .. لأنّه كان له نغير يلعب به، فمات، فحزن الغلام عليه، فمازحه النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: «يا أبا عمير؛ ما فعل النّغير».

و حاصل الجواب: أن التعذيب غير محقّق، بل ربّما يراعيه فيبالغ فى إكرامه و إطعامه لإلفه، و هذا إن قامت قرينة على أنّ الصبى لا يعذّبه، بل يلعب به لعبا لا عذاب فيه، و يقوم بمؤنته على الوجه اللائق، فيجوز تمكينه منه حينئذ.

(و إلّا) بأن كان غير مميّز، أو قاسى القلب جافى الطّبع؛ دلّت القرينة على أنه يعذّبه؛ (حرم تمكينه منه)، و ذلك (للنّهى عن تعذيب الحيوان)، فما فى الحديث منزّل على القسم الأوّل.

فائدة: قال ابن خلّكان فى «تاريخه»: إن الإمام الزمخشرىّ كانت إحدى رجليه ساقطة؛ أى أعرج، و كان يمشى فى جارن خشب، و كان سبب سقوطها دعاء والدته عليه.

قال الزمخشرى: كنت فى صباى أمسكت عصفورا و ربطته بخيط فى رجله؛ فأفلت من يدى فأدركته؛ و قد دخل فى خرق؛ فجذبته، فانقطعت رجله فى الخيط. فقالت والدتى: قطع اللّه رجلك- الأبعد- كما قطعت رجله.

قال: فلما وصلت إلى سنّ الطلب رحلت إلى بخارى لطلب العلم فسقطت عن الدابّة فانكسرت رجلى، و عملت علىّ عملا- أوجب

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

قطعها. و اللّه أعلم بالصّحة.

انتهى كلام ابن خلّكان بتصرّف.

(و إنّما قال له النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم)؛ أى للغلام (: «يا أبا عمير؛ ما فعل النّغير؟!»؛ لأنّه كان له نغير يلعب): يتلهّى (به، فمات، فحزن الغلام عليه)؛ كما هو شأن الصغير إذا فقد لعبته، (فمازحه)؛ أى: باسطه (النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، فقال:

«يا أبا عمير؛ ما فعل النّغير») ليسلّيه، و يذهب حزنه عليه، لأنّه يفرح بمكالمة

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۵۱

و (النّغير): طائر كالعصفور، أحمر المنقار.

النبى صلّى اللّه عليه و سلم له؛ فيذهب حزنه بسبب فرحه.

(و النّغير) تصغير نغر- بضمّ النون و فتح الغين-: (طائر) صغير (كالعصفور أحمر المنقار)، و أهل المدينة يسمّونه «البلبل»، و قيل: طائر له صوت.

و قيل: هو العصفور. و قيل غير ذلك. و الرّاجح الأوّل.

قال شيخ مشايخنا العلّامة الشيخ محمد حبيب اللّه الشنقيطى رحمه اللّه تعالى فى «زاد المسلم» فى الجزء الرابع صفحة ۱۶۵: و هذا الحديث فيه فوائد جمّة جمعها أبو العبّاس ابن القاصّ: أحمد بن أبى أحمد الطبرى صاحب التصانيف من الشافعية فى جزء مفرد، و سبقه إلى ذلك أبو حاتم الرّازىّ أحد أئمة الحديث، ثم التّرمذىّ فى «الشمائل»، أشار لبعض فوائده المأخوذة منه، ثمّ الخطّابىّ إلى غير هؤلاء ممّن جمع فوائده.

قال الإمام النّووىّ فى «شرح مسلم» عند ذكره ما نصّه:

و فى هذا الحديث فوائد كثيرة جدّا؛

منها: ۱- جواز تكنية من لم يولد له، و ۲- تكنية الطفل، و ۳- أنّه ليس كذبا، و ۴- جواز المزاح فيما ليس إثما، و ۵- جواز تصغير بعض المسمّيات، و ۶- جواز لعب الصبى بالعصفور، و ۷- تمكين الولىّ إيّاه من ذلك، و ۸- جواز السجع بالكلام الحسن بلا كلفة، و ۹- ملاطفة الصبيان و تأنيسهم، و ۱۰- بيان ما كان عليه النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم من حسن الخلق و كرم الشمائل و التواضع، و زيارة الأهل، لأن أمّ سليم والدة أبى عمير هى من محارمه صلّى اللّه عليه و سلم كما سبق بيانه.

و استدلّ به بعض المالكية على جواز الصيد من حرم المدينة، و قد سبقت الأحاديث الصحيحة الكثيرة فى كتاب الحج المصرّحة بتحريم صيد حرم المدينة، فلا يجوز تركها بمثل هذا، و لا معارضتها به. و اللّه أعلم! انتهى بلفظه.

و أخذ منه بعضهم جواز حبس الطيور فى الأقفاص، و كان الشيخ أبو القاسم بن

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۵۲

....

زيتون رضى اللّه عنه يحبسها فى القفص، فإذا انقضى لها سنة أخرجها و سرّحها.

و وجه الأخذ من الحديث أنّ حبسها فى القفص أخفّ من اللّعب بها. انتهى.

و أقول: قد استنبط العلماء من هذا الحديث فوائد كثيرة؛ و هو من الأحاديث التى كنت مصمّما على إشباع الكلام عليها، لأن كثرة معانى هذه الجملة الموجزة من أعلام نبوّة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم.

و قد قال الشيخ جسّوس و المناوى و القارى و غيرهم فى «شرح الشمائل»؛ عند هذا الحديث: إنّ فوائده تزيد على المائة، و قد أفردها ابن القاصّ بجزء.

و قد قال الإمام تاج الدين بن عطاء اللّه- نفعنا اللّه به- فى كتاب «التنوير»؛ لمّا تكلّم على حديث «اتّقوا اللّه؛ و أجملوا فى الطّلب»: و

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

ذكر أنّ فيه عشرة أوجه ما حاصله أنّه ليس القصد الحصر، بل أوسع من ذلک، لأنه كلام صاحب الأنوار المحيطة، فلا يأخذ الآخذ منه إلّا على حسب نوره، و لا يحصّل من جواهر بحره إلّا على قدر غوصه، و كلّ يفهم على حسب المقام الذى أقيم فيه يُسْقى بِماءٍ واحِدٍ وَ نُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ [۴/ الرعد] و ما لم يأخذوا أكثر مما أخذوا، و قد قال عليه الصلاة و السلام: «أوتيت جوامع الكلم، و اختصر لى الكلام اختصارا»!!.

فلو عبّر العلماء باللّه أبد الآباد عن أسرار الكلمة الواحدة من كلامه؛ لم يحيطوا بها علما، و لم يقدروا لها فهما!! حتّى قال بعضهم: عملت بحديث واحد سبعين عاما؛ و ما فرغت منه، و هو قوله صلّى اللّه عليه و سلم: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

و صدق رضى اللّه عنه لو مكث عمر الدنيا أجمع، و أبد الآباد لم يفرغ من حقوق هذا الحديث، و ما أودع فيه من غرائب العلوم و أسرار الفهوم. انتهى.

و ناهيک أنّ اللّه تعالى آتاه علم الأولين و الآخرين و منحه من الحكمة ما لم يمنحه أحدا من العالمين!!، فما من عالم ضربت إليه أكباد الإبل فى أشتات العلوم العقلية

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۵۳

و عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه قال: قالوا: يا رسول اللّه؛ إنّک تداعبنا، فقال: «نعم، غير أنّى لا أقول إلّا حقّا».

و النقلية؛ ممّن تقدّم أو تأخّر؛ إلّا و كلام المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم له قدوة. و إشارته له حجّة؛ دون تعلّم منه صلّى اللّه عليه و سلم؛ و لا مدارسة و لا مطالعة كتب من تقدّم، و لا جلوس مع علمائها:

كفاک بالعلم فى الأمّيّ معجزةفى الجاهليّة و التّأديب فى اليتم انتهى.

قال مقيّده رحمه اللّه تعالى: و من أوسع ما وقفت عليه مجموعا من فوائد هذا الحديث المستنبطة منه فى محلّ واحد ما جمعه الحافظ ابن حجر فى «فتح البارى» عند شرحه فى «باب الكنية للصبى»؛ و قبل أن يولد للرجل فى «كتاب الأدب».

انتهى.

و ساق فى شرح «زاد المسلم» كلام الحافظ ابن حجر رحمه اللّه تعالى بطوله؛ فليراجعه من أراده.

(و) أخرج الإمام أحمد، و الترمذىّ فى «الجامع» و حسّنه و فى «الشمائل»- و هذا لفظها- (عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه؛ قال) أى: أبو هريرة (: قالوا)؛ أى: الصحابة مستفهمين (: يا رسول اللّه؛ إنّک تداعبنا)- بدال و عين مهملتين- أى: تمازحنا بما يستملح، و قد نهيت عن المزاح، فهل المداعبة خاصّة بک!! (فقال: «نعم)، أداعب (غير أنّى لا أقول إلّا حقّا»)

فمن حافظ على قول الحقّ و تجنّب الكذب و أبقى المهابة و الوقار فله ذلک، بل هو سنّة كما مرّ!! و من داوم عليها؛ أو أكثر منها، أو اشتمل مزاحه على كذب، أو أسقطت مهابته!! فلا.

و قد كان مزاح المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم على سبيل النّدور؛ لمصلحة من نحو مؤانسة، أو تألّف لما كانوا عليه من تهيّب الإقدام عليه، فكان يمازح تخفيفا عليهم، لما ألقى

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۵۴

و عن أنس رضى اللّه تعالى عنه: أنّ رجلا ...

عليه من المهابة و الجلال؛ سيّما عقب التجلّيات السّبحانية، و من ثمّ كان لا يخرج إليهم قبل الفجر إلّا بعد الاضطجاع بالأرض؛ أو مكالمة بعض نسائه، إذ لو خرج إليهم عقب المناجاة الفردانية و الفيوضات الرحمانية؛ لما استطاع أحد منهم لقيّه.

و ما ورد عنه صلّى اللّه عليه و سلم من النهى عن المداعبة؛ كقوله: «لا تمار أخاک و لا تمازحه، و لا تعده موعدا فتخلفه» رواه الترمذى!.

محمول على الإفراط، لما فيه من الشّغل عن ذكر اللّه تعالى، و عن التفكّر فى مهمات الدين و غير ذلک؛ كقسوة القلب، و كثرة

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

الضحك، و ذهاب ماء الوجه، بل كثيرا ما يورث الإيذاء و الحقد و العداوة، و جراءة الصغير على الكبير، و قد قال سيّدنا عمر بن الخطاب: من كثر ضحكه قلّت هيبته، و من مزح استخفّ به. أسنده العسكرى، و لذا قيل:

فإيّاك إيّاك المزاح فإنّه يجرّى عليك الطّفل و الرّجل النّذلا

و يذهب ماء الوجه من كلّ سيّدو يورثه من بعد عزّته ذلّا و الذى يسلم من ذلك بأن لا يؤدّى إلى حرام؛ و لا مكروه: هو المباح المستوى الطرفين على الأصحّ، فإن صادف المباح مصلحة؛ مثل تطييب نفس المخاطب، كما كان هو فعله عليه الصلاة و السلام!! فهو مستحبّ. قاله القسطلانىّ فى «المواهب» مع الشرح.

و قال المناوى فى «شرح الشمائل»: ما سلم من المحذور، فهو بشرطه مندوب لا مباح؛ وفاقا للصدر المناوى، و خلافا للعصام. إذ الأصل فى أفعاله صلّى اللّه عليه و سلم و أقواله وجوب أو ندب الاقتداء به فيها؛ إلّا لدليل يمنع؛ و لا مانع هنا!!. انتهى.

(و) أخرج الإمام أحمد، و أبو داود، و الترمذىّ فى «الجامع» و صحّحه، و فى «الشمائل» و اللفظ لها، و البخارىّ فى «الأدب المفرد»: كلهم؛

(عن أنس رضى اللّه تعالى عنه: أنّ رجلا) كان به بله؛ أى: عدم اهتمام بأمر

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۵۵

استحمل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فقال: «إنّى حاملك على ولد ناقة»، فقال: يا رسول اللّه؛ ما أصنع بولد النّاقة؟! فقال: «و هل تلد الإبل إلّا النّوق؟!».

الدنيا و تأمّل فى معانى الألفاظ حتّى حمل الكلام على المتبادر، من أن المراد بالبنوّة الصغير فليس هو صفة ذمّ هنا، فهو كقوله فى الحديث: «أكثر أهل الجنّة البله».

أى: فى أمر الدنيا لقلّة اهتمامهم بها؛ و هم أكياس فى أمر الآخرة، و للبله إطلاقات؛ منها هذا، و عدم التمييز و ضعف العقل و الحمق و سلامة الصدر، و لكلّ مقام مقال:

(استحمل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم) أى: سأله أن يحمله، و المراد: طلب منه أن يركبه على دابّة، (فقال) أى: رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم مباسطا له بما عساه أن يكون شفاء لبلهه بعد ذلك، و الظنّ- بل الجزم- أنّه حصل له الشفاء بتلك المداعبة قائلا (: «إنّى حاملك) أى: مريد حملك (على ولد ناقة») فسبق لخاطره استصغار ما تصدق عليه البنوّة.

(فقال: يا رسول اللّه؛ ما أصنع بولد النّاقة؟!) توهما أن المراد ب «ولد الناقة» الصغير، لكونه المتبادر من الإضافة؛ و من التعبير ب «الولد».

(فقال) أى: رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم (: «و هل تلد الإبل)- بالنصب مفعول مقدّم- و الإبل: اسم جمع لا واحد له من لفظه، و هو بكسرتين، و سمع [الإبل] تسكين الباء للتخفيف، و لم يجىء من الأسماء على فعل- بكسرتين- إلّا الإبل و الحبر (إلّا النّوق»؟!)- بالرفع فاعل مؤخّر- فالإبل؛ و لو كبارا أولاد الناقة، فيصدق «ولد الناقة» بالكبير و الصغير، فكأنّه يقول لو تدبّرت و تأمّلت اللفظ لم تقل ذلك!!

ففيه مع المباسطة الإيماء إلى إرشاده و إرشاد غيره بأنّه ينبغى له إذا سمع قولا أن يتأمّله، و لا يبادر بردّه إلّا بعد أن يدرك غوره، و لا يسارع إلى ما تقتضيه الصورة.

و النّوق- بضمّ النون- جمع ناقة؛ و هى أنثى الإبل. و قال أبو عبيدة: لا تسمّى

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۵۶

و عن أنس أيضا رضى اللّه تعالى عنه: أنّ رجلا من أهل البادية- و كان اسمه زاهرا- و كان يهدى إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم هديّة من البادية، فيجهّزه النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم إذا أراد أن يخرج، فقال النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم: «إنّ زاهرا باديتنا؛ ...

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

ناقة حتّى تجذع. انتهى «باجورى، و مناوى» رحمهما اللّه تعالى.

(و) أخرج الترمذىّ فى «الشمائل» بسنده (عن أنس أيضا رضى اللّه تعالى عنه: أنّ رجلا من أهل البادية) خلاف الحاضرة، و النسبة إليها بدوى؛ على غير قياس.

(و كان اسمه زاهرا) بالتنوين؛ و هو ابن حرام- ضدّ حلال- الأشجعى، شهد بدرا.

(و كان يهدى)- بضمّ الياء بصيغة المعلوم، و الإهداء؛ و هو: البعث بشىء إلى الغير إكراما، فهو هديّة- بالتشديد- لا غير (إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم هديّة) حاصلة (من البادية) أى: بما يوجد بها من ثمار و نبات و غيرهما، لأنّها تكون مرغوبة عزيزة عند أهل الحضر، و كان صلّى اللّه عليه و سلم يقبلها منه، لأنّ من عادته قبول الهديّة، بخلاف العمّال بعده!! فلا يجوز لهم قبولها إلّا ما استثنى فى محلّه.

(فيجهّزه)- بضمّ المثنّاة التحتيّة و فتح الجيم و تشديد الهاء و آخره زاى- قال فى «المصباح»: جهاز السّفر أهبته، و ما يحتاج إليه فى قطع المسافة- بالفتح، و الكسر لغة قليلة- أى: يعطيه (النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم) ما يتجهّز به إلى أهله مما يعينه على كفايتهم و القيام بكمال معيشتهم، (إذا أراد أن يخرج) و يذهب إلى أهله؛ مكافأة له على هديته.

(فقال النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم: «إنّ زاهرا باديتنا)؛ أى: ساكن باديتنا؛ فهو على تقدير مضاف، لأنّ البادية خلاف الحاضرة- كما تقدّم- فلا يصحّ الإخبار إلّا بتقدير مضاف، أو هو من إطلاق اسم المحلّ على الحال؛ أى: نستفيد منه ما يستفيد

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۵۷

و نحن حاضرته»، و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يحبّه، و كان رجلا دميما، فأتاه النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم يوما، و هو يبيع متاعه ...

الرجل من باديته من أنواع الثمار و صنوف النبات، فصار كأنّه باديتنا.

فالتاء على هذين الوجهين للتأنيث لأنّه الأصل، و يحتمل أن التاء للمبالغة، و الأصل بادينا؛ أى: البادى المنسوب إلينا، لأنّا إذا احتجنا متاع البادية جاء به إلينا؛ فأغنانا عن السّفر إليها. قيل: و هو أظهر، و الضمير لأهل بيت النبوة، أو أتى به للتعظيم.

و يؤيّد الأوّل ما فى «جامع الأصول»؛ من قوله صلّى اللّه عليه و سلم: «إنّ لكلّ حاضر بادية، و بادية آل محمّد زاهر بن حرام».

(و نحن) أى: أهل بيت النبوة، أو ضمير الجمع للتعظيم- كما مرّ فى الذى قبله- (حاضرته»)؛ أى: يصل إليه منا ما يحتاج إليه مما فى الحاضرة، أو لا يقصد بمجيئه إلى الحضر إلّا مخالطتنا.

و توقّف بعضهم فى الأوّل ب «أن المنعم لا يليق به ذكر إنعامه»!! منع بأنّه ليس من ذكر المنّ بالإنعام فى شىء، بل إرشاد للأمّة إلى مقابلة الهديّة بمثلها؛ أو أفضل منها، لأنّه صلّى اللّه عليه و سلم كان يكافئ عليها كما هو عادته، على أنه صلّى اللّه عليه و سلم مستثنى ممّن يحرم عليه المنّ. انتهى. «باجورى» و زرقانى على «المواهب».

(و كان) النّبىّ (صلى اللّه عليه و سلم يحبّه)، يؤخذ منه جواز حبّ أهل البادية، و جواز الإخبار بمحبّة من يحبّك، (و كان رجلا دميما)- بالدال المهملة- أى: قبيح الوجه، كريه المنظر؛ مع كونه مليح السريرة، فلا التفات إلى الصورة، كما فى الحديث: «إنّ اللّه لا ينظر إلى صوركم، و أموالكم، و لكن ينظر إلى قلوبكم و أعمالكم».

(فأتاه النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم يوما)؛ أى: إلى السوق.

و فيه جواز دخول السّوق و حسن المخالطة، (و هو) أى: و الحال أنّه (يبيع متاعه)؛ و هو: كلّ ما يتمتع به من نحو طعام و برّ و أثاث بيت.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۵۸

فاحتضنه من خلفه و هو لا يبصره، فقال من هذا؟ أرسلنى، فالتفت فعرف النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم، فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم حين عرفه، ...

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و أصله: ما يتبلّغ به من الزاد، و متاع زاهر فى ذلك الحين كان قربة لبن، و قربة سمن؛ كما فى رواية.

(فاحتضنه) أى: أدخله فى حضنه؛ و هو: ما دون الإبط إلى الكشح- بزنة فلس-: ما بين الخاصرة إلى الضلع (من خلفه) أى: جاء من ورائه؛ و أدخل يديه تحت إبطيه.

(و هو) أى: و الحال أنّه (لا يبصره) أى: لا يراه ببصره. منتهى السؤل، اللحجى ج ٢ ۵۵۸ الفصل الرابع فى صفة حيائه صلى الله عليه و سلم و مزاحه ..... ص : ۵۳۷

ذلك بعد أن جاء من أمامه و فتح إحدى القربتين، فأخذ منها على إصبعه، ثمّ قال له: «أمسك القربة»، ثم فعل بالقربة الأخرى كذلك، ثم غافله و جاء من خلفه و اعتنقه، و أخذ عينيه بيديه كى لا يعرفه.

و يؤخذ من ذلك جواز اعتناق من تحبّه من خلفه؛ و هو لا يبصر.

(فقال: من هذا؟!) أى: المحتضن؟

(أرسلنى)- بصيغة الأمر- أى خلّنى، و أطلقنى، فالإرسالة: التخلية و الاطلاق

(فالتفت) أى: ببعض بصره و رأى بطرفه محبوبه.

(فعرف النّبىّ)- القياس: فعرف أنّه النبىّ- (صلى اللّه عليه و سلم فجعل لا يألو)، أى:

لا يترك و لا يقصّر (ما): مصدرية (ألصق ظهره): أى شرع لا يقصر فى إلصاق ظهره (بصدر النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم) تبرّكا به، و تلذّذا، و تحصيلا لثمرات ذلك الإلصاق من الكمالات الناشئة عنه (حين عرفه).

ذكره مع علمه من قوله «فعرف النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم»!! اهتماما بشأنه، و إيماء إلى أن منشأ هذا الإلصاق ليس إلّا معرفته.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج‌٢،ص:۵۵۹

فجعل النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: «من يشترى هذا العبد؟»، فقال: يا رسول اللّه؛ إذن و اللّه تجدنى كاسدا، فقال النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم: «لكن عند اللّه لست بكاسد»، أو قال: «أنت عند اللّه غال» ...

(فجعل) أى: شرع (النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم يقول: «من يشترى هذا العبد!؟») أى: من يشترى مثل هذا العبد فى الدّمامة، أو من يستبدله منّى بأن يأتى بمثله، فلما فعل ذلك معه ملاطفة نزّله منزلة العبد.

و يؤخذ من ذلك جواز رفع الصوت بالعرض على البيع، و جواز تسمية الحرّ عبدا، و مداعبة الأعلى مع الأدنى.

(فقال) أى زاهر (: يا رسول اللّه؛ إذن)؛ واقعة فى جواب شرط محذوف.

أى: إن بعتنى على فرض كونى عبدا إذن (و اللّه تجدنى كاسدا) رخيصا، لا يرغب فىّ أحد لدمامتى و قبح منظرى.

(فقال النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم)؛ أى: مدحا له.

و يؤخذ جواز مدح الصّديق بما يناسبه (: «و لكن عند اللّه لست بكاسد») أى: لكونك حسن السريرة؛ و إن كنت دميما فى الظاهر (أو) شكّ من الراوى (قال: «أنت عند اللّه غال»)- بغين معجمة- و هو ضدّ الكاسد، و ذلك ببركة محبّته صلّى اللّه عليه و سلم.

و قد تضمّن هذا الحديث حكما عليّة و أسرارا جليّة، لأنّه لمّا أتاه المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم وجده مشغوفا ببيع متاعه، فأشفق عليه أن يقع فى بئر البعد عن الحقّ، و يشتغل عن اللّه تعالى؛ فاحتضنه احتضان المشفق على من أشفق عليه، فشقّ عليه الاشتغال بما يهواه، فقال: أرسلنى لما أنا فيه!!. فلما شاهد جمال الحضرة العليّة اجتهد فى تمكين ظهره من صدره ليزداد إمدادا، فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم تأديبا له: «من يشترى هذا العبد»!! إشارة إلى أنّ من اشتغل بغير اللّه فهو عبد هواه.

فببركته صلّى اللّه عليه و سلم حصلت منه الإنابة و صادفته العناية، فلذلك بشّره النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم بعلوّ

منتهى السؤل، اللحجى ،ج‌٢،ص:۵۶۰

و (الدّميم): قبيح الوجه.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و عن زيد بن أسلم رضى اللّه تعالى عنه: أنّ رجلا كان يهدى للنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم العكّة ...

قدره و إعلاء رتبته. فتضمّن مزاحه صلّى اللّه عليه و سلم بشرى فاضلة و فائدة كاملة، فليس مزاحا إلّا بحسب الصورة، و هو فى الحقيقة غاية الجدّ. انتهى لخّصه الباجورىّ من المناوى رحمه اللّه تعالى. آمين

(و الدّميم)- بالدال المهملة- (: قبيح الوجه) كريه المنظر.

(و) أخرج أبو يعلى (عن) أبى أسامة؛ (زيد بن أسلم) القرشى العدوى «مولاهم؛ مولى عمر بن الخطاب رضى اللّه تعالى عنه» المدنى التابعى، الصالح الفقيه، العالم الثقة، و هو من رجال الجميع، لكن كان يرسل.

روى عن ابن عمر، و أنس، و جابر، و ربيعة بن عباد، و سلمة بن الأكوع الصحابيين رضى اللّه تعالى عنهم، و روى عن أبيه، و عطاء بن يسار، و حمران، و على بن الحسين، و أبى صالح السّمّان، و آخرين من التابعين.

روى عنه الزّهرى، و يحيى الأنصارى، و أيّوب السّختيانى، و محمد بن إسحاق التابعيون. و مالك و الثورى؛ و معمر، و خلائق من الأئمة.

و توفى بالمدينة المنورة سنة: ست و ثلاثين و مائة، و قيل غير ذلك، و مناقبه كثيرة رحمه اللّه تعالى

فقول المصنف (رضى اللّه تعالى عنه) كلام صحيح، إلّا أنّه يوهم أنّه صحابىّ كما هو العادة المعروفة فى تخصيص الصحابىّ بالترضّى، مع أنّ الحديث مرسل، لكون زيد بن أسلم تابعيا؛ كما علمت من ترجمته.

(أن رجلا) هو عبد اللّه الملقّب ب «حمار» بلفظ الحيوان المعروف؛ كما فى «الإصابة» عن أبى يعلى نفسه ...

(كان يهدى) بضمّ أوّله (للنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم العكّة)- بضم العين المهملة-: آنية السّمن

من السّمن و العسل، فإذا جاء صاحبه يتقاضاه .. جاء به إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم، فقال: أعط هذا حقّ «١» متاعه، فما يزيد النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم على أن يتبسّم، و يأمر به فيعطى.

و فى رواية: كان لا يدخل المدينة طرفة إلّا اشترى منها، ثمّ جاء فقال: يا رسول اللّه؛ هذا هديّة لك، فإذا جاء صاحبه يطلب ثمنه .. جاء به، فيقول: أعط هذا الثّمن، فيقول: «أ لم تهده لى؟!»، فيقول: ليس عندى، فيضحك و يأمر لصاحبه بثمنه.

أصغر من القربة، جمعها: عكك، و عكاك

(من السّمن) تارة (و العسل) أخرى، و يحتمل أنهما مخلوطان كما هو شأن العرب كثيرا!! (فإذا جاء صاحبه يتقاضاه)؛ أى يطلبه (جاء به إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، فقال: أعط هذا [حقّ] متاعه)؛ أى: ثمنه كما فى الرواية اللاحقة، (فما يزيد النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم على أن يتبسّم) تعجّبا، (و يأمر به فيعطى) الثمن.

(و فى رواية) لمحمّد بن عمرو بن حزم الأنصارى المدنى، له رؤية و ليس له سماع إلا من الصحابة:

(كان لا يدخل المدينة طرفة): ما يستطرف؛ أى يستملح و يعجب، و الجمع طرف؛ مثل غرفة و غرف، (إلّا اشترى منها)، أى: فليست هديّته قاصرة على السّمن و العسل. (ثمّ جاء؛ فقال: يا رسول اللّه؛ هذا هديّة لك)؛ أى: حملته لك كما تحمل الهدية، فلا يرد: كيف يطلب ثمنه بعد قوله ذلك؟!

(فإذا جاء صاحبه يطلب ثمنه؛ جاء به، فيقول: أعط هذا الثّمن، فيقول)؛ أى صلّى اللّه عليه و سلم (: «أ لم تهده لى؟!») استفهام تقريرى. (فيقول: ليس عندى) ما أهديه! و إنّما أتيت به أريد ثمنه لمالكه!. (فيضحك و يأمر لصاحبه بثمنه) انتهى.

---

(١) ساقطة من الأصل، و أثبتناها من «وسائل الوصول».

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و عن الحسن رضى اللّه تعالى عنه قال: أتت عجوز ...

قال الزرقانى على «المواهب»: هكذا مشاه شيخنا؛ و هو خلاف الظاهر!! و لذا قال بعض المحقّقين من شرّاح «الشمائل»: كان هذا الصحابىّ رضى اللّه عنه من كمال محبّته للنبىّ صلّى اللّه عليه و سلم كلّما رأى طرفة أعجبته اشتراها و آثره بها، و أهداها إليه على نية أداء ثمنها إذا حصل لديه، فلما عجز صار كالمكاتب؛ فرجع إلى مولاه و أبدى إليه جميع ما أولاه، فالمكاتب عبد ما بقى عليه درهم، فرجع بالمطالبة إلى سيّده. ففعله هذا جدّ حقّ؛ ممزوج بمزاح صدق. انتهى.

و وقع نحو ذلك للنّعيمان- بالتصغير- ابن عمرو بن رفاعة الأنصارى.

ذكر الزّبير بن بكّار فى كتاب «الفكاهة و المزاح»:

كان لا يدخل المدينة طرفة إلّا اشترى منها، ثمّ جاء به إلى النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم؛ فيقول:

هذا أهديته لك، فإذا جاء صاحبه يطلب نعيمان بثمنه أحضره إلى النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم؛ فيقول: أعط هذا ثمن متاعه، فيقول: «أولم تهده لى؟». فيقول: إنّه و اللّه؛ لم يكن عندى ثمنه! و لقد أحببت أن تأكله، فيضحك و يأمر لصاحبه بثمنه.

(و) أخرج الترمذىّ فى «الجامع» و «الشمائل» (عن الحسن)؛ أى البصرى، لأنه المراد عند الإطلاق فى اصطلاح المحدثين، فالحديث مرسل، و ظنّ بعضهم أنّه الحسن بن على (رضى اللّه تعالى عنه)!! و ليس كما ظنّ.

(قال)؛ أى الحسن البصرى ناقلا عن غيره (: أتت عجوز) قيل: إنّها صفيّة بنت عبد المطّلب أمّ الزّبير بن العوّام، و عمّة النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم؛ ذكره ابن حجر الهيتمى و غيره، و توقّف فيه بعضهم؛ فقال: اللّه أعلم بصحّته! ففى حديث عائشة رضى اللّه تعالى عنها عند البيهقىّ: أتت خالتى و هى عجوز. و صفيّة ليست خالة عائشة؛ ذكره الزرقانى!! و قال: قلت: إن صحّ ما قالوه فسمّتها خالتها!! إكراما و تعظيما لسنّها، على العادة فى تسمية المسنّة خالة، لا لكونها أخت أمّها حقيقة. انتهى كلام الزرقانى. و هو خلاف الظاهر المتبادر!! فلعل القصّة تعدّدت؛ إن ثبت تعيين صفية فى رواية المتن؟! و اللّه أعلم.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۶۳

النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم فقالت: يا رسول اللّه؛ ادع اللّه أن يدخلنى الجنّة، فقال: «يا أمّ فلان؛ إنّ الجنّة لا يدخلها عجوز». قال:

فولّت تبكى، فقال: «أخبروها أنّها لا تدخلها و هى عجوز؛ إنّ اللّه تعالى يقول: إِنَّا أَنْشَأْناهُنَ ...

(النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم؛ فقالت: يا رسول اللّه؛ ادع اللّه أن يدخلنى الجنّة. فقال:

«يا أمّ فلان؛) كأنّ الراوى نسى اسمها، و ما أضيف إليه؛ فكنّى عنه ب «أم فلان»!!

و فيه جواز التكنّى ب «أم فلان»، و لا يشترط للجواز كونها ذات ولد، فقد كنّيت عائشة ب «أم عبد اللّه»، و لم تلد، و الكنية نوع تفخيم للمكنّى و إكرام.

(إنّ الجنّة لا يدخلها عجوز») كأنّه فهم من حالها أنّها تريد دخولها على صفتها حالة السؤال، فمازحها مريدا إرشادها إلى أنّها لا تدخل الجنّة على الهيئة التى هى عليها، بل ترجع فى سنّ ثلاث و ثلاثين، أو فى سنّ ثلاثين سنة.

و اقتصاره صلّى اللّه عليه و سلم على العجوز!! لخصوص سبب الحديث، أو لأن غيرها يعلم بالمقايسة. و قد روى معاذ بن جبل رضى اللّه تعالى عنه؛ أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم قال:

«يدخل أهل الجنّة جردا مردا مكحّلين أبناء ثلاثين، أو ثلاث و ثلاثين سنة» أخرجه الترمذىّ فى «الجامع».

(قال)؛ أى: الحسن ناقلا عن غيره- كما مرّ- (: فولّت)- بتشديد اللام- أى: أدبرت و ذهبت (تبكى) حال من فاعل «ولّت»، أى: باكية، لأنّها فهمت أنّها تكون يوم القيامة على الهيئة التى هى عليها؛ و لا تدخل الجنة، فحزنت.

(فقال)؛ أى: النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم (: «أخبروها) بقطع الهمزة، أى: أعلموها (أنّها)؛ أى تلك المرأة (لا تدخلها)؛ أى: الجنّة (و هى عجوز) بل يرجعها اللّه تعالى فى سنّ ثلاثين، أو ثلاث و ثلاثين سنة، و استشهد على ذلك تطييبا لخاطرها، فقال: (إنّ اللّه تعالى يقول

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

إِنَّا أَنْشَأْناهُنَ)؛ أی النسوة، أی أعدنا إنشاءهنّ

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۵۶۴

إِنْشاءً. فَجَعَلْناهُنَّ أَبْكاراً. عُرُباً أَتْراباً» [الواقعة: ۳۵- ۳۷].

(إِنْشاءً) خاصّا، و المعنى إنّا خلقنا النسوة خلقا جديدا غير خلقهنّ بدون توسّط ولادة بحيث يناسب البقاء و الدوام، فالضمير للنسوة، و جعله للحور العين يردّه هذا الحديث، و إن كان هو مقتضى سياق القرآن (فَجَعَلْناهُنَ) بعد كونهنّ عجائز شمطا رمصا فى الدنيا (أَبْكاراً) أى: عذارى، و إن وطئن كثيرا، فكلّما أتاها الرجل وجدها بكرا؛ كما ورد به الأثر، و لكن لا دلالة للّفظ عليه (عُرُباً) أى: عاشقات متحبّبات إلى أزواجهن، جمع عروب، (أَتْراباً) أى: متساويات فى السنّ، و هو سنّ ثلاثين، أو ثلاث و ثلاثين سنة، و ذلك أفضل أسنان النساء.

و فى الحديث: «هنّ اللّاتى قبضن فى دار الدّنيا عجائز، قد خلقهنّ اللّه بعد الكبر، فجعلهنّ عذارى متعشّقات؛ على ميلاد واحد أفضل من الحور العين كفضل الظّهارة على البطانة، و من يكن لها أزواج؛ فتختار أحسنهم خلقا» ... الحديث فى «جامع الترمذى»، و الطبرانى مطولا. انتهى باجورى على «الشمائل».

و هذا الحديث الذى ذكره المصنّف فى «المتن» قد ذكره رزين بن معاوية العبدرىّ السّرقسطىّ، و رواه الترمذىّ أيضا فى «الجامع»، و ابن الجوزىّ فى «الوفا» بسنده موصولا؛ كلاهما عن أنس رضى اللّه تعالى عنه.

أنّ عجوزا دخلت على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم فسألته عن شىء، فقال لها و مازحها: «إنّه لا تدخل الجنّة عجوز»، و حضرت الصّلاة فخرج النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم إلى الصلاة، فبكت بكاء شديدا حتّى رجع النبى صلّى اللّه عليه و سلم، فقالت عائشة: يا رسول اللّه؛ إنّ هذه المرأة تبكى لمّا قلت لها: «إنّه لا تدخل الجنّة عجوز»!! فضحك، و قال: «أجل؛ لا تدخل الجنّة عجوز، و لكن قال اللّه تعالى إِنَّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً (۳۵) فَجَعَلْناهُنَّ أَبْكاراً (۳۶) عُرُباً أَتْراباً (۳۷) [الواقعة] و هنّ العجائز الرّمص». أى: مريضات العيون.

و لا تنافى بين روايتى وصله و إرساله، لأنّ الحسن حدّث به مرسلا تارة؛ بإسقاط أنس، و تارة وصله بذكر أنس! و قد رواه الطبرانىّ فى «الأوسط»؛ من وجه آخر من حديث عائشة. انتهى؛ قاله الزرقانى على «المواهب».

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۵۶۵

....

قال فى «جمع الوسائل»: و قد أخرج أبو الشيخ ابن حيّان فى «كتاب الأخلاق» بسنده إلى مجاهد قال: دخل النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم على عائشة رضى اللّه تعالى عنها و عندها عجوز؛ فقال: «من هذه»؟ قالت: هى عجوز من أخوالى. فقال النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم: «إنّ العجز- بضمّتين؛ جمع عجوز- لا- يدخلن الجنّة». فشقّ ذلك على المرأة، فلما دخل النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم قالت له عائشة: لقد لقيت من كلمتك مشقّة شديدة! فقال: «إنّ اللّه عزّ و جلّ ينشئهنّ خلقا غير خلقهنّ»!! انتهى.

تتمة: و ممّا ذكر من مزاحه صلّى اللّه عليه و سلم أيضا: ما رواه جمع عن خوّات بن جبير قال:

نزلت مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم بمرّ الظهران، فخرجت من خبائى؛ فإذا نسوة يتحدّثن، فأعجبننى، فرجعت فأخرجت حلّة من عيبتى فلبستها، ثم جلست إليهنّ، و خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم من قبّته؛ فقال: «يا عبد اللّه؛ ما يجلسك إليهنّ»؟ فقلت: يا رسول اللّه؛ جمل لى شرود، أبتغى له قيدا! فمضى و تبعته، فألقى رداءه و دخل فقضى حاجته و توضّأ، ثمّ جاء؛ فقال: «ما فعل شراد جملك»؟ ثمّ ارتحل، فجعل لا يلحقنى فى منزل إلّا قال: «يا عبد اللّه؛ ما فعل شراد جملك؟» إلى أن قال: فقلت: و اللّه؛ لأعتذرنّ إليه، و لأبرّدنّ صدره. فقال لى يوما .. فقلت:

و الّذى بعثك بالحق؛ ما شرد ذلك الجمل منذ أسلمت.

و من ذلك ما رواه ابن أبى حاتم و غيره؛ من حديث عبد اللّه بن سهم الفهرى؛ للمرأة التى سألت عن زوجها: «أ هو الّذى بعينه

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

بياض»؟!

و قد ذكره القاضى عياض فى «الشفاء» من غير إسناد!.

خاتمة: قد درج أكابر السلف و أعاظم الخلف؛ على ما كان عليه المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم فى الطلاقة و المزاح المجانب للكذب و الفحش، فكان الإمام علىّ بن أبى طالب كرّم اللّه وجهه يكثر المداعبة، و كذا ابن سيرين.

و قال رجل لصالح جزرة: ما تقول فى سفيان الثورى؟ فقال: كذّاب. فأكبر

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۶۶

....

الحاضرون ذلك و لاموه!! فقال: ما الّذى أقوله لمن سأل عن ذلك الإمام الأعظم؟!

و سأل رجل رجلا- آخر عن حسان بن هشام، فقال: توفّى البارحة. فجزع الرجل و استرجع، فقرأ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها [۴۲/ الزمر] الآية انتهى من المناوى، و ملا على قارى: كلاهما على «الشمائل الترمذية» و اللّه سبحانه و تعالى أعلم.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۶۷

[الفصل الخامس فى صفة تواضعه صلّى اللّه عليه و سلّم و جلوسه و اتّكائه]

الفصل الخامس فى صفة تواضعه صلّى اللّه عليه و سلّم و جلوسه و اتّكائه (الفصل الخامس) من الباب الخامس (فى) بيان ما ورد فى (صفة تواضعه صلّى اللّه عليه و سلم).

بضمّ الضاد؛ أى تذلّله و خشوعه؛ قاله الباجورى.

و قال ابن القيّم: التواضع انكسار القلب للّه، و خفض جناح الذلّ و الرحمة للخلق؛ حتّى لا يرى له على أحد فضلا، و لا يرى له عند أحد حقا، بل، و يرى الحقّ لذلك الأحد؛ نقله الزرقانى على «المواهب».

و قال شيخنا العلّامة الشيخ حسن المشاط فى «إسعاف أهل الإسلام»؛ قبيل «باب ما جاء فى ما يلبسه المحرم من الثياب» ما نصّه:

و اعلم أنّ التواضع خلق شريف؛ معناه عند المحققين: أن لا يرى العبد لنفسه قدرا، و لا قيمة، و لا مزيّة، و يرى الحال التى هو فيها أعظم من أن يستحقّها.

قال سيّدى محمد بن قاسم الشهير ب «جسوس»؛ عن أبى زيد رضى اللّه عنه:

ما دام العبد يظنّ أنّ فى الخلق من هو شرّ منه؛ فهو متكبّر.

قيل له: فمتى يكون متواضعا؟!

قال: إذا لم ير لنفسه مقالا؛ و لا حالا.

قال فى «الحكم»: ليس المتواضع الذى إذا تواضع رأى أنّه فوق ما صنع، و لكنّ المتواضع الّذى إذا تواضع رأى أنّه دون ما صنع.

ثمّ التواضع تارة يكون لرؤية العبد نقص نفسه، و تارة يكون عن شهود عظمة ربّه، و هذا التواضع الحقيقىّ الّذى لا يمكن ارتفاعه، فإنّ شهود عظمته تعالى هو

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۶۸

كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أشدّ النّاس تواضعا، ...

الذى يخمد النّفس و يذيبها، و يبطل أنانيّتها، و به تنقلع شجرة الرئاسة و الكبر من القلب. فإنّ من شاهد عظيما من الخلق ذا هيئة و منصب؛ لم يمكنه إلّا الخضوع له، فكيف لمن تتجلّى له عظمة اللّه تعالى التى لا عظمة تكاد تدانيها؟!! فما تجلّى اللّه لشىء إلّا خضع له فَلَمَّا تَجَلّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَ خَرَّ مُوسى صَعِقاً [۱۴۳/ الأعراف].

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و لمّا كان لسيدنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم الحظّ الأوفر من تجلّى نور الشهود كان أعظم الخلق تواضعا، و قد رفع اللّه ذكره، و أعلى على كلّ قدر قدره. و لم يخلق جاها أعظم من جاهه صلّى اللّه عليه و سلم!!.

و قد شرح الإمام العارف الشهير ب «زروق» فى «قواعده» ما تقدّم من حقيقة خلق التواضع؛ بقوله: التواضع: ترك اعتقاد المزيّة على الغير، و لو كان فى أعلى درجات الرفعة. و الكبر: اعتقاد المزيّة، و لو كان فى أدنى درجات الضعة.

و بالجملة؛ فالتواضع و الأدب، و الوقوف عند الحدّ، و التأسّى برسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم هو ملاك كلّ خير، و سبب كلّ علو و شرف، و من تواضع للّه رفعه اللّه، سلك اللّه بنا طريق الخير بمنّه و فضله. آمين؛ انتهى.

(و) صفة (جلوسه) لكونه محتبيّا و متوقّرا، و مستقبل القبلة و نحو ذلك.

(و) صفة (اتّكائه) على وسادة؛ أو غيرها.

قال الإمام الغزالىّ فى «الإحياء»، و الإمام الشعرانى فى «كشف الغمّة»:

(كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم أشدّ النّاس تواضعا)- بضمّ الضاد المعجمة- قال بعض العارفين: اعلم أنّ العبد لا يبلغ حقيقة التواضع؛ و هو التذلّل و التخشّع إلّا إذا دام

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۶۹

و أسكنهم من غير كبر، ...

تجلّى نور الشهود فى قلبه، لأنه حينئذ يذيب النفس و يصفّيها عن غش الكبر و العجب، فتلين و تطمئنّ للحق و الخلق؛ بمحو آثارها، و سكون وهجها، و نسيان حقّها، و الذهول عن النظر إلى قدرها.

و لمّا كان الحظّ الأوفر من ذلك لنبيّنا صلّى اللّه عليه و سلم كان أشدّ النّاس تواضعا. و حسبك شاهدا على ذلك أنّ اللّه خيّره بين أن يكون نبيّا ملكا؛ أو نبيّا عبدا؛ فاختار أن يكون نبيّا عبدا!! و من ثمّ لم يأكل متّكئا بعد حتى فارق الدنيا.

و قال: «أجلس كما يجلس العبد، و آكل كما يأكل العبد»، و لم يقل لشىء فعله خادمه أنس «أفّ» قطّ، و ما ضرب أحدا من عبيده و إمائه، و هذا أمر لا يتّسع له الطبع البشرى؛ لو لا التأييد الإلهى، و كذا الأخبار الآتية فكلّها دالّة على شدّة تواضعه صلّى اللّه عليه و سلم.

(و أسكنهم)- بالنون- أى: أكثرهم سكونا (من غير كبر).

قال الحافظ العراقىّ: روى أبو داود و ابن ماجه؛ من حديث البراء:

فجلس و جلسنا كأنّ على رءوسنا الطير. و لأصحاب «السنن»؛ من حديث أسامة بن شريك: أتيت النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم و أصحابه كأنّما على رءوسهم الطير.

و فى «الشمائل» للترمذى: أطرق جلساؤه كأنّما على رءوسهم الطير، فإذا سكت تكلّموا.

و فى «الشمائل» لأبى الحسن بن الضحاك؛ من حديث أبى سعيد الخدرى:

دائب الإطراق. و سنده ضعيف. أى: دائم السكون.

و قوله «كأنّما على رءوسهم الطير» كناية عن كونهم عند كلامه صلّى اللّه عليه و سلم على غاية تامّة من السكوت و الإطراق، و عدم الحركة، و عدم الالتفات، أو عن كونه مهابين مدهوشين فى هيئته، لما أنّ كلامه عليه أبّهة الوحى و جلالة الرسالة.

و أصل ذلك: أنّ سليمان عليه السلام كان إذا أمر الطير بأن تظلّل على

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۷۰

و أبلغهم من غير تطويل، و أحسنهم بشرا، لا يهوله شىء من أمر الدّنيا.

أصحابه؛ غضّوا أبصارهم، و لم يتكلّموا حتّى يسألهم مهابة. أو عن كونهم متلذّذين بكلامه.

و أصل ذلك: أنّ الغراب يقع على رأس البعير يلقط عنه صغار القردان؛ فيسكن سكون راحة و لذّة، و لا يحرّك رأسه؛ خوفا من

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

طيرانه عنه.

و هذه الحالة لهم إنّما هى من تخلّقهم بأخلاقه صلّى اللّه عليه و سلم إذ كان صلّى اللّه عليه و سلم لكمال استغراقه بالمشاهدة فى سكون دائم و إطراق ملازم.

(و أبلغهم)؛ أى: أكثرهم بلاغة فى الكلام (من غير تطويل).

قال الحافظ العراقى: روى الشيخان؛ من حديث عائشة رضى اللّه تعالى عنها:

كان يحدّث حديثا لو عدّه العادّ لأحصاه.

و لهما من حديثها: لم يكن يسرد الحديث كسردكم. علّقه البخارى، و وصله مسلم.

زاد الترمذىّ: و لكنه كان يتكلّم بكلام يبيّنه؛ فصل، يحفظه من جلس إليه.

و له فى «الشمائل»؛ من حديث هند بن أبى هالة يتكلّم بجوامع الكلم، فصل؛ لا فضول و لا تقصير.

(و أحسنهم بشرا) قال الحافظ العراقى: رواه الترمذى فى «الشمائل»؛ من حديث علىّ بن أبى طالب رضى اللّه تعالى عنه: كان صلّى اللّه عليه و سلم دائم البشر، سهل الخلق ... الحديث.

و له فى «الجامع»؛ من حديث عبد اللّه بن الحارث بن جزء: ما رأيت أحدا أكثر تبسّما من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم؛ و قال غريب. قلت: و فيه ابن لهيعة. انتهى شرح «الإحياء».

(لا يهوله شىء من أمر الدّنيا) يقال: هاله الشىء؛ إذا راعه و أعجبه.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۷۱

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم متواضعا فى غير مذلّة.

و عن عمر بن الخطّاب رضى اللّه تعالى عنه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «لا تطرونى كما أطرت النّصارى ابن مريم،

قال العراقىّ: روى أحمد من حديث عائشة: ما أعجب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم شىء من الدنيا، و لا أعجبه أحد قطّ؛ إلا ذو تقى.

و فى لفظ له: ما أعجب النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم و لا أعجبه شىء من الدنيا، إلا أن يكون منها ذو تقى. و فيه ابن لهيعة. انتهى شرح «الإحياء».

(و) فى «شرح الإحياء»: قال الحافظ العراقىّ: روى أبو الحسن بن الضحاك فى «الشمائل»؛ من حديث أبى سعيد الخدرى رضى اللّه تعالى عنه؛ فى صفته صلّى اللّه عليه و سلم: أنه (كان صلّى اللّه عليه و سلم متواضعا فى غير مذلّة). و سنده ضعيف. انتهى.

(و) أخرج البخارىّ و الترمذىّ فى «الجامع» و «الشمائل» (عن) أبى حفص الفاروق (عمر بن الخطّاب رضى اللّه تعالى عنه؛ قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم)- و وقع فى رواية البخارىّ؛ عن ابن عبّاس أنه سمع عمر بن الخطاب رضى اللّه تعالى عنهم يقول على المنبر: سمعت النبى صلّى اللّه عليه و سلم يقول

(: «لا تطرونى)- بضمّ أوّله و سكون الطاء المهملة- و الإطراء: المدح بالباطل، أى: لا تتجاوزوا الحدّ فى مدحى؛ بأن تقولوا ما لا يليق بى؛ (كما أطرت النّصارى) المسيح (ابن مريم). و فى رواية: عيسى ابن مريم حيث كذبوا و قالوا: إله، و: ابن اللّه، و: أحد ثلاثة!! و حرّفوا قوله تعالى فى «التوراة» «عيسى نبيى؛ أنا ولّدته- بتشديد اللام- من مريم»؛ فجعلوا الأول «بنىّ» بتقديم الباء، و خفّفوا اللام فى الثانى «ولدته» إلى غير ذلك من إفكهم!!؟.

فمنعهم النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم أن يصفوه بالباطل. و فى العدول عن «المسيح» إلى «ابن مريم» تبعيد عن الإلهية. و المعنى: أنّهم بالغوا فى المدح بالكذب حتى جعلوا من حصل من جنس النساء الطوامث إلها، و ابن إله.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۷۲

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

إنّما أنا عبد فقولوا: (عبد اللّه و رسوله)».

قال ابن الجوزىّ: و لا يلزم من النهى عن الشىء وقوعه، لأنّا لا نعلم أن أحدا ادّعى فى نبينا ما ادّعته النصارى فى عيسى!!. و إنّما سبب النهى- فيما يظهر-:

ما وقع فى حديث معاذ بن جبل لمّا استأذن فى السجود له على قصد التعظيم و إرادة التكريم، فامتنع و نهاه، و كأنّه خشى أن يبالغ غيره بأخوف من ذلك؛ فبادر إلى النهى تأكيدا للأمر، فالمعنى لا تتجاوزوا الحدّ فى مدحى بغير الواقع؛ فيجرّكم ذلك إلى الكفر، كما جرّ النصارى إليه لمّا تعدّوا عن الحدّ فى مدح عيسى عليه السلام بغير الواقع، و اتخذوه إلها. و إلى ذلك أشار فى «البردة» بقوله:

دع ما ادّعته النّصارى فى نبيّهمو احكم بما شئت مدحا فيه و احتكم ثم استأنف؛ و قال: (إنّما أنا عبد)، أى: لست إلّا عبدا لا إلها، فلا تعتقدوا فىّ شيئا ينافى العبودية، (فقولوا عبد اللّه و رسوله»). و لا تقولوا ما قالته النصارى، فأثبت لنفسه ما هو ثابت له من العبودية و الرسالة، و أسلم للّه ما هو له؛ لا لسواه.

و قد روى الإمام أحمد عن أنس أنّ رجلا جاءه؛ فقال: يا سيّدنا و ابن سيّدنا، و خيرنا و ابن خيرنا! فقال: «يا أيّها النّاس قولوا بقولكم، و لا يستهوينّكم الشّيطان، أنا محمّد بن عبد اللّه؛ عبد اللّه و رسوله».

و أخرج عن ابن الشخّير أنّه جاءه رجل؛ فقال: أنت سيّد قريش! فقال:

«السّيّد اللّه». فقال: أنت أعظمها فيها طولا، و أعلاها قولا. قال: «يا أيّها النّاس قولوا بقولكم، و لا يستهوينّكم الشّيطان».

و أخرج عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه: استبّ رجلان؛ رجل من المسلمين، و رجل من اليهود. فقال المسلم: و الّذى اصطفى محمّدا على العالمين. و قال اليهودى: و الذى اصطفى موسى على العالمين! فلطم المسلم اليهودىّ، فأتى اليهودىّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و أخبره، فدعاه فسأله؛ فاعترف. فقال:

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۷۳

و (الإطراء): هو مجاوزة الحدّ فى المدح.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم لا يدفع عنه النّاس، و لا يضربوا عنه.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم لا يأتيه أحد من حرّ و لا عبد، و لا أمة و لا مسكين .. إلّا قام معه فى حاجته.

«لا تخيّرونى على موسى، فإنّ النّاس يصعقون يوم القيامة، فأكون أوّل من يفيق فأجد موسى ممسكا بجانب العرش؛ ما أدرى أ كان فيمن صعق فأفاق قبلى، أم كان ممّن استثنى اللّه؟!».

و هذه الأحاديث الثلاثة فى «الصحيحين» أيضا، و هذا من مزيد تواضعه صلّى اللّه عليه و سلم، و قد كان أعظم النّاس تواضعا- كما تقدّم-؛ ذكره المناوى على «الشمائل».

(و الإطراء: هو مجاوزة الحدّ فى المدح) بالكذب.

(و) أخرج الطبرانىّ فى «الكبير» بإسناد حسن؛ عن ابن عبّاس رضى اللّه تعالى عنهما: (كان صلّى اللّه عليه و سلم لا يدفع عنه النّاس، و لا يضربوا عنه) ببناء الفعلين للمفعول؛ و حذف النون للتخفيف، و ذلك لعظم تواضعه؛ و براءته من الكبر و التعاظم الذى هو من شأن الملوك و أتباعهم.

و فيه أنّ أصحاب المقارع بين يدى الحكّام و الأمراء محدثة مكروهة، كما ورد فى خبر:

رأيت المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم على ناقته .. لا ضرب و لا طرد، و لا «إليك ... إليك».

و أخذ منه أن المفتى أو المدرّس ينبغى له أن لا يتخذ نقيبا جافيا غليظا، بل فطنا كيّسا دريّا يرتّب الحاضرين على قدر منازلهم، و ينهى عن ترك ما ينبغى فعله؛ أو فعل ما ينبغى تركه، و يأمر بالإنصات للدرس، و على العالم سماع السؤال من مورده على وجهه؛ و لو صغيرا. انتهى مناوى؛ على «الجامع الصغير».

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و) فی «الإحیاء» و «کشف الغمّة»: (کان) رسول اللّه (صلی اللّه علیه و سلم لا یأتیه أحد)؛ أی: یطلبه فی حاجة (من حرّ و لا عبد، و لا أمة و لا مسکین؛ إلّا قام معه فی حاجته).

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۵۷۴

و کان صلّی اللّه علیه و سلّم لا یستکبر عن إجابة الأمة و المسکین.

روی البخاریّ تعلیقا؛ من حدیث أنس: إن کانت الأمة من إماء أهل المدینة لتأخذ بید رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم فتنطلق به حیث شاءت. و وصله ابن ماجه، و قال:

و ما ینزع یده من یدها حتّی تذهب حیث شاءت من المدینة فی حاجتها.

و سیأتی مع حدیث ابن أبی أوفی: و لا یأنف و لا یستکبر أن یمشی مع الأرملة و المسکین حتی یقضی لهما حاجتهما. انتهی شرح «الإحیاء».

(و) فی «الإحیاء» و «کشف الغمّة»: (کان صلّی اللّه علیه و سلم لا یستکبر عن إجابة الأمة و المسکین)- بکسر المیم؛ لغة جمیع العرب، إلا بنی أسد فبفتحها- من السکون؛ لسکونه إلی النّاس.

قال السیّد محمّد مرتضی الزبیدی فی شرح «الإحیاء»: هکذا فی النسخ!! و فی نسخة العراقی: لا یستکبر أن یمشی مع المسکین.

و قال: رواه النسائی، و الحاکم؛ من حدیث عبد اللّه بن أبی أوفی بسند صحیح.

و رواه الحاکم؛ من حدیث أبی سعید و قال: صحیح علی شرط الشیخین.

انتهی.

قلت: و لفظ النسائیّ: کان لا یأنف أن یمشی مع الأرملة و المسکین.

و بهذا یظهر أن الذی فی سیاق المصنف من ذکر الأمة تحریف من النسّاخ! و الصواب: الأرملة. ثمّ وجدت فی البخاری: إن کانت الأمة لتأخذ بیده صلّی اللّه علیه و سلم فتنطلق به حیث شاءت.

و عند أحمد: فتنطلق به فی حاجتها.

و عنده أیضا: کانت الولیدة من ولائد أهل المدینة لتجیء فتأخذ بید رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، فما ینزع یده من یدها حتّی تذهب حیث شاءت. انتهی کلام السید محمد مرتضی فی شرح «الإحیاء». و ستأتی هذه الأحادیث التی ذکرها قریبا.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۵۷۵

و کان صلّی اللّه علیه و سلّم یکثر الذّکر و یقلّ اللّغو، و یطیل الصّلاة و یقصر الخطبة، و کان لا یأنف و لا یستکبر أن یمشی مع الأرملة و المسکین و العبد حتّی یقضی له حاجته.

(و) أخرج النسائی، و الحاکم؛ عن عبد اللّه بن أبی أوفی، و الحاکم عن أبی سعید الخدری، قال الحاکم: علی شرطهما. و أقرّه الذهبیّ.

و رواه الترمذیّ فی «العلل» عن ابن أبی أوفی، و ذکر أنّه سأل عنه البخاریّ؛ فقال: هو حدیث تفرّد به الحسین بن واقد؛ قاله المناوی. و قال العزیزی: هو حدیث صحیح.

(کان) رسول اللّه (صلی اللّه علیه و سلم یکثر الذّکر) أی: ذکر اللّه تعالی، (و یقلّ اللّغو)؛ أی: لا- یلغو أصلا. قال ابن الأثیر: القلّة تستعمل فی نفی الشیء أصلا، و یجوز أن یرید باللغو الهزل و الدعابة، أی: أنّه کان منه قلیلا. انتهی «مناوی».

و قال الحفنی: «قوله اللغو»؛ أی: المزاح. فالمراد باللغو غیر الذکر من المزاح، فیقع منه قلیلا. و هذا أظهر من حمل اللغو علی حقیقته، فإنّه حینئذ یضیع قوله «یقل» إذ المعنی حینئذ: لا یلغو أصلا. انتهی.

(و یطیل الصّلاة و یقصر الخطبة)، و یقول: «إنّ ذلک من علامة فقه الرّجل».

(و کان لا یأنف و لا یستکبر)، تفسیر لقوله: لا یأنف.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(أن يمشى مع الأرملة)؛ أى: التى لا زوج لها، (و المسكين و العبد)، لأنه سيّد المتواضعين (حتّى يقضى له حاجته) قرب محلّها أو بعد.

و سيأتى حديث مسلم و الترمذى؛ عن أنس: أنه جاءت امرأة إليه صلّى اللّه عليه و سلم، فقالت: إنّ لى إليك حاجة. فقال: «اجلسى فى أىّ طرق المدينة شئت أجلس إليك حتّى أقضى حاجتك».

و فيه بروزه للناس، و قربه منهم ليصل ذو الحقّ إلى حقّه، و يسترشد بأقواله و أفعاله، و صبره على تحمّل المشاقّ لأجل غيره ... و غير ذلك. انتهى «مناوى».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۷۶

و عن أنس رضى اللّه تعالى عنه: كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فتنطلق به حيث شاءت.

و عن أنس أيضا رضى اللّه تعالى عنه: أنّ امرأة ...

و قد نظم الحافظ العراقى معنى هذا الخبر فأجاد؛ حيث قال:

يمشى مع المسكين و الأرملةفى حاجة من غير ما أنفة (و) أخرج البخارىّ فى «باب الكبر؛ من كتاب الأدب» تعليقا، و وصله ابن ماجه: كلاهما (عن أنس رضى اللّه تعالى عنه): إن (كانت الأمة) أىّ أمة كانت (من إماء أهل المدينة) المنوّرة (لتأخذ بيد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فتنطلق به حيث شاءت) من الأمكنة، و لو كانت حاجتها خارج المدينة.

و فى رواية الإمام أحمد؛ عن أنس: فتنطلق به فى حاجتها.

و عند أحمد أيضا إن كانت الوليدة من ولائد أهل المدينة لتجىء؛ فتأخذ بيد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، فما ينزع يده من يدها حتّى تذهب به حيث شاءت، و يجيب إذا دعى. انتهى. و المقصود من الأخذ باليد لازمه، و هو الانقياد.

قال فى «المواهب»: و قد اشتمل الحديث على أنواع من المبالغة فى التواضع، لذكره المرأة دون الرجل، و الأمة دون الحرة، و حيث عمّم بلفظ الإماء. أى أىّ أمة كانت، و بقوله «حيث شاءت» أى: من الأمكنة.

و التعبير «باليد» إشارة إلى غاية التصرّف، حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة؛ و التمست مساعدته فى تلك الحالة لساعدها على ذلك بالخروج معها، و هذا من مزيد تواضعه صلّى اللّه عليه و سلم و براءته من جميع أنواع الكبر. و من ثمّ أورده البخارىّ فى «باب الكبر» إشارة إلى براءته منه. انتهى.

(و) أخرج البخارىّ و مسلم، و الترمذىّ فى «الجامع» و «الشمائل»- و اللفظ لها-: (عن أنس أيضا رضى اللّه تعالى عنه أنّ امرأة). أى: كان فى عقلها شىء؛ كما فى رواية مسلم.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۷۷

جاءت إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم فقالت له: إنّ لى إليك حاجة، فقال: «اجلسى فى أىّ طرق المدينة شئت أجلس إليك».

و عند البخارىّ: امرأة من الأنصار. و فى رواية: و معها صبىّ.

قال الحافظ ابن حجر: لم أقف على اسمها! و فى بعض «الحواشى» أنّها أم زفر ماشطة خديجة أمّ المؤمنين. و نوزع فيه، و تردّد البرهان الحلبى فى «المقتضى» فى أنّها هى أو غيرها؟!! و جزم غيره بأنها هى، لكن نوزع!!.

(جاءت إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم؛ فقالت له: إنّ لى إليك حاجة)؛ أى: أريد أن أخفيها عن غيرك؛ قاله القارى.

(فقال) رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم (: «اجلسى»)- بصيغة المخاطبة-؛ من أمر الحاضر (فى أىّ) طريق من (طرق المدينة) المنوّرة (شئت)، أى: فى أىّ سكّة من سككها و قيل: المعنى فى أىّ جزء من أجزاء طريق المدينة، و ليس المراد أىّ طريق يوصل إلى المدينة؛ و إن كان طريق الشىء: ما يوصل إليه!!

(أجلس)؛ بالجزم جواب الأمر (إليك») أى: معك ف «إلى» بمعنى «عند»، و زاد فى رواية مسلم، «حتّى أقضى حاجتك». قال أنس: فجلست، فجلس النبى صلّى اللّه عليه و سلم إليها حتّى فرغت من حاجتها؛ تواضعا منه صلّى اللّه عليه و سلم، و ملاطفة لسعة حلمه، و

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

براءته من الكبر.

قال بعضهم: و فيه إيماء و إرشاد إلى أنّه لا يخلو أجنبىّ مع أجنبية، بل إذا عرضت حاجة يكون معها بموضع لا يتطرّق فيه تهمة، و لا يظن به ريبة؛ ككونه بطريق المارّة، و أنّه ينبغى للحاكم المبادرة إلى تحصيل أغراض ذوى الحاجات، و لا يتساهل فى ذلك.

و فيه حلّ الجلوس فى الطريق لحاجة.

و محلّ النهى عنه!! إذا لزم عليه الإيذاء للمارّة.

و قد أخرج أبو نعيم فى «الدلائل»؛ عن أنس رضى اللّه تعالى عنه قال:

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۷۸

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا صلّى بالنّاس الغداة أقبل عليهم بوجهه فقال: «هل فيكم مريض أعوده؟»، فإن قالوا: لا ..

قال: «فهل فيكم جنازة أتبعها؟»، فإن قالوا: لا .. قال: «من رأى منكم رؤيا يقصّها علينا».

كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أشدّ النّاس لطفا، و اللّه؛ ما كان يمتنع فى غداة باردة من عبد؛ و لا أمة أن يأتيه بالماء فيغسل صلّى اللّه عليه و سلم وجهه و ذراعيه. و ما سأله سائل قطّ إلّا أصغى إليه؛ فلا ينصرف حتّى يكون هو الّذى ينصرف، و ما تناول أحد يده قطّ إلّا ناوله إيّاها، فلا ينزعها حتّى يكون هو الّذى ينزعها منه.

قال فى «المواهب»: إنّ هذا كلّه من كثرة تواضعه صلّى اللّه عليه و سلم، لبروزه للناس و قربه و صبره على المشاقّ لأجل غيره؛ خصوصا امرأة فى عقلها شىء. انتهى مع شىء من الشرح.

(و) أخرج ابن عساكر فى «تاريخه»؛ عن عبد اللّه بن عمر بن الخطاب رضى اللّه تعالى عنهما قال: (كان صلّى اللّه عليه و سلم إذا صلّى بالنّاس الغداة)؛ أى: الصبح (أقبل عليهم بوجهه؛ فقال: «هل فيكم مريض أعوده؟»، فإن قالوا: لا؛ قال: «فهل فيكم جنازة أتبعها؟»، فإن قالوا: لا؛ قال: «من رأى منكم رؤيا يقصّها علينا!») أى: لنعبّرها له، لأنّه محبّ لأصحابه؛ و سيّد العارفين بالتعبير، و المطلوب قصّ الرؤيا على حبيب عارف بالتعبير.

قال الحكيم الترمذىّ: كان شأن الرؤيا عنده عظيما؛ فلذلك كان يسأل عنها كلّ يوم، و ذلك من إخبار الملكوت من الغيب، و لهم فى ذلك نفع فى أمر دينهم؛ بشرى كانت؛ أو نذارة؛ أو معاتبة. انتهى.

و قال القرطبىّ: إنّما كان يسألهم عن ذلك؟!! لما كانوا عليه من الصلاح و الصدق، و علم أنّ رؤياهم صحيحة؛ يستفاد منها الاطلاع على كثير من علم الغيب، و ليسن لهم الاعتناء بالرؤيا و التشوّق لفوائدها، و يعلّمهم كيفية التعبير، و ليستكثر من الاطلاع على الغيب.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۷۹

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يجلس على الأرض، و يأكل على الأرض،

و قال ابن حجر: فيه أنّه يسنّ قصّ الرؤيا بعد الصبح، و بعد الانصراف من الصلاة.

و أخرج الطبرانىّ و البيهقىّ فى «الدلائل»: كان عليه الصلاة و السلام إذا صلى الصبح قال: «هل رأى أحد منكم شيئا» فإذا قال رجل: أنا؛ قال: «خيرا تلقاه و شرّا توقاه، و خيرا لنا و شرّا لأعدائنا. و الحمد للّه ربّ العالمين؛ اقصص رؤياك ..». الحديث و سنده ضعيف جدّا.

قال ابن حجر: فى الحديث ۱- إشارة إلى ردّ ما أخرجه عبد الرزاق؛ عن معمر؛ عن سعيد بن عبد الرحمن، عن بعض علمائهم: و لا تقصص رؤياك على امرأة، و لا تخبر بها حتّى تطلع الشّمس. ۲- و ردّ على من قال من أهل التعبير:

يستحبّ أن يكون تفسير الرّؤيا بعد طلوع الشمس! إلى الرابعة، و من العصر إلى قبيل المغرب. فإنّ الحديث دلّ على ندب تعبيرها قبل طلوع الشمس! و لا يصحّ قولهم بكراهة تعبيرها فى أوقات كراهة الصلاة.

قال المهلّب: تعبير الرؤيا بعد الصبح أولى من جميع الأوقات؛ لحفظ صاحبها لها، لقرب عهده بها، و قلّ ما يعرض له نسيانها، و لحضور

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

ذهن العابر، و قلّة شغله فيما يفكره فيما يتعلّق بمعاشه؛ ليعرض الرائى ما يعرض له بسبب رؤيا. انتهى «مناوى».

(و) أخرج الطبرانىّ فى «الكبير» بإسناد حسن؛ عن ابن عبّاس رضى اللّه تعالى عنهما:

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم يجلس على الأرض) أى: من غير حائل بل يباشر التراب، (و يأكل على الأرض) أى: من غير مائدة و لا خوان، إشارة إلى طلب التساهل فى أمر الظاهر، و صرف الهمّ إلى عمارة الباطن و تطهير القلوب، و تأسّيا به أكابر صحبه؛ فكانوا يصلّون على الأرض فى المساجد، و يمشون حفاة فى الطرقات، و لا يجعلون غالبا بينهم و بين التراب حاجزا فى مضاجعهم.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۸۰

و يعتقل الشّاة، و يجيب دعوة المملوك على خبز الشّعير.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يعود مرضى المساكين ...

قال الإمام الغزالىّ: و قد انتهت النوبة الآن إلى طائفة يسمّون الرعونة «نظافة»، و يقولون: هى مبنى الدين. فأكثر أوقاتهم فى تزيين الظاهر؛ كفعل الماشطة لعروسها و الباطن خراب، و لا يستنكرون ذلك، و لو مشى أحدهم على الأرض حافيا؛ أو صلّى عليها بغير سجادة مفروشة أقاموا عليه القيامة، و شدّدوا عليه النكير، و لقّبوه ب «القذر» و أخرجوه من زمرتهم، و استنكفوا عن مخالطته؛ فقد صار المعروف منكرا، و المنكر معروفا. انتهى. ذكره المناوى.

و هذا فى زمان الغزالىّ؛ فكيف لو رأى زماننا، و رأى ما فيه من اعتناء الناس بإصلاح الظواهر؟! خصوصا الشباب، فإنّ الواحد منهم يحسّن نفسه و يمشط رأسه و يلبس الملابس الرقيقة الشفّافة؛ أو الملساء البرّاقة، حتّى يصير أشبه بالبنت فى الميوعة و التكسّر، تكاد تكون ذهبت منه الرجولة؟! فلا حول و لا قوّة إلّا باللّه العزيز الحكيم.

(و يعتقل الشّاة) قال المناوى: أى: يجعل رجليه بين قوائمها ليحلبها؛ إرشادا إلى التواضع و ترك الترفّع. (و يجيب دعوة المملوك) يحتمل أنّ المراد إذا أمره سيّده بذلك، لأن المملوك يمتنع عليه الإطعام من مال سيده بغير إذنه (على خبز الشّعير) زاد فى رواية: و الإهالة السنخة: أى الدّهن المتغيّر الريح.

و علمه ذلك؛ إمّا بإخبار الداعى، أو للعلم بفقره و رثاثة حاله، أو مشاهدة غالب مأكوله ... و نحو ذلك من القرائن الحاليّة، فكان لا يمنعه ذلك من إجابته؛ و إن كان حقيرا، و هذا من كمال تواضعه و مزيد براءته من سائر صنوف الكبر و أنواع الترفع. انتهى «مناوى».

(و) «فى كشف الغمّة»: (كان صلّى اللّه عليه و سلم يعود مرضى المساكين)؛ جمع مسكين بكسر الميم و فتحها؛ مأخوذ من السكون، و يكون بمعنى المتذلّل الخاضع، و منه

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۸۱

الّذين لا يؤبه لهم، و يخدمهم بنفسه صلّى اللّه عليه و سلّم، و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يجيب من دعاه؛ من غنىّ أو فقير أو شريف، و لا يحتقر أحدا.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يجيب إلى الوليمة، و يشهد الجنائز.

قوله صلّى اللّه عليه و سلم: «اللّهمّ أحينى مسكينا و أمتنى مسكينا»، و لا يجوز أن يطلق على النبى صلّى اللّه عليه و سلم أنّه «فقير» أو «مسكين»، و إن أطلقه على نفسه الشريفة.

(الّذين لا يؤبه) أى: لا يفطن (لهم، و يخدمهم بنفسه) الشريفة، أى:

يباشر خدمتهم بنفسه (صلى اللّه عليه و سلم)؛ تواضعا منه.

(و كان صلّى اللّه عليه و سلم يجيب من دعاه، من غنىّ أو فقير أو شريف) أو وضيع، جبرا لخاطره و تواضعا مع ربّه.

(و لا يحتقر أحدا)؛ امتثالا لأمره سبحانه بقوله وَ اخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (۲۱۵) [الشعراء].

(و) فى «الإحياء» و «كشف الغمّة»: (كان صلّى اللّه عليه و سلم يجيب إلى الوليمة)؛ و هى طعام العرس، و سيأتى حديث «لو دعيت إلى

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

كراع لأجبت». و فى «الأوسط» للطبرانىّ؛ من حديث ابن عبّاس: كان الرّجل من أهل العوالى ليدعو رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم بنصف الليل على خبز الشعير فيجيب، و إسناده ضعيف.

(و يشهد الجنائز)؛ أى: يحضرها للصلاة عليها، و دفنها؛ هبها لشريف أو وضيع.

روى الترمذى، و ابن ماجه و ضعّفه، و الحاكم و صحّحه؛ من حديث أنس رضى اللّه تعالى عنه قال:

كان يعود المريض و يشهد الجنائز. و رواه الحاكم؛ من حديث سهل بن حنيف. و قال: صحيح الإسناد.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۸۲

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يأتى ضعفاء المسلمين و يزورهم، و يعود مرضاهم، و يشهد جنائزهم.

و عن أنس رضى اللّه تعالى عنه قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يعود المرضى، ...

و فى «الصحيحين» و غيرهما عدّة أحاديث فى عيادته صلّى اللّه عليه و سلم للمرضى و شهوده الجنائز؛

منها حديث جابر: مرضت فأتانى النبى صلّى اللّه عليه و سلم يعودنى و أبو بكر رضى اللّه عنه؛ و هما ماشيان ... الحديث. و قد أخرجه أبو داود. فيتأكّد لأمّته التأسّى به.

و آثر قوم العزلة ففاتهم بها خيرات كثيرة؛ و إن حصل لهم منها خير كثير. و لتشييع الجنازة آداب مبيّنة فى كتب الفروع، و سيأتى ذلك فى حديث «الشمائل»، و غيرها.

(و) أخرج أبو يعلى و الطبرانىّ فى «الكبير»، و الحاكم، عن سهل بن حنيف- بالتصغير- قال فى العزيزى: و هو حديث صحيح (كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم يأتى ضعفاء المسلمين و يزورهم) فى مواطنهم؛ تلطّفا بهم و إيناسا لهم، (و يعود مرضاهم)؛ أىّ مريض كان؛ حرا أو عبدا، شريفا أو وضيعا. و كان يدنو من المريض و يجلس عند رأسه، و يسأله كيف حاله.

و جاء فى فضيلة العيادة أحاديث كثيرة، و لها آداب مبيّنة فى محلّها، و للعلامة ابن حجر الهيتمى كتاب «الإفادة فى ما جاء فى المرضى و العيادة» رسالة مفيدة جدّا، و لم تكن عندى حال الكتابة حتّى أنقل من فوائدها شيئا أتحف به القرّاء.

(و يشهد جنائزهم) أى: للصلاة و الدفن، و هو فرض كفاية، و كان إذا شيّع جنازة علا كربه، و أقلّ الكلام، و أكثر حديث نفسه. رواه الحاكم فى «الكنى»؛ عن عمران بن حصين رضى اللّه تعالى عنهما.

(و) أخرج أبو داود، و البيهقىّ، و الترمذىّ فى «الشمائل»- و اللفظ لها-؛ (عن أنس رضى اللّه تعالى عنه؛ قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يعود المرضى)؛

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۸۳

و يشهد الجنائز و يركب الحمار، ...

الشريف و الوضيع، و الحرّ و العبد؛ حتّى لقد عاد غلاما يهوديا كان يخدمه؛ فقعد عند رأسه؛ فقال له: «أسلم» فنظر إلى أبيه. فقال له: أطع أبا القاسم. فأسلم، فخرج صلّى اللّه عليه و سلم و هو يقول: «الحمد للّه الّذى أنقذه من النّار».

رواه البخارىّ عن أنس رضى اللّه تعالى عنه.

و عاد عمّه أبا طالب؛ و هو مشرك، و عرض عليه الإسلام. و قصّته فى «الصحيحين».

و عدّت العيادة تواضعا؛ مع أنّ فيها رضا اللّه تعالى و حيازة الثواب؛ ففى الترمذىّ و حسّنه مرفوعا: «من عاد مريضا؛ ناداه مناد طبت و طاب ممشاك، و تبوّأت من الجنّة منزلا». و لأبى داود: «من توضّأ فأحسن الوضوء؛ و عاد أخاه المسلم محتسبا بوعد من جهنّم سبعين خريفا ..» إلى غير ذلك!!!

لما فيها من خروج الإنسان عن مقتضى جاهه و تنزّهه عن مرتبته إلى ما دون ذلك.

و كان صلّى اللّه عليه و سلم يدنو من المريض و يجلس عند رأسه و يسأل عن حاله؛ و يقول:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

«كيف تجدك!!» أو «كيف أصبحت»، أو «كيف أمسيت»، أو «كيف هو»، و يقول: «لا- بأس عليك، طهور إن شاء اللّه تعالى»، أو «كفّارة و طهور».

و قد يضع يده على المكان الذى يألم؛ ثم يقول: «باسم اللّه أرقيك من كلّ داء يؤذيك، اللّه يشفيك». انتهى ذكره العلامة ملا على قارى فى «جمع الوسائل».

([و يشهد الجنائز]، و يركب الحمار)؛ بل عريانا أحيانا؛ مع قدرته على غيره من الناقة و الفرس و الجمل، و ربما كان يردف أحدا معه؛ كما سيأتى.

و تأسّى به فى ذلك أكابر السلف ... أخرج ابن عساكر أنّ سالم بن عبد اللّه بن

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۸۴

و يجيب دعوة العبد.

و كان يوم بنى قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف و عليه إكاف.

عمر كان له حمار هرم، فنهاه بنوه عن ركوبه فأبى، فجدعوا أذنه، فأبى أن يدعه و ركبه، فجدعوا الأخرى، فركبه فقطعوا ذنبه؛ فصار يركبه مجدوع الأذنين مقطوع الذنب.

قال الباجورى: و قد كان أكابر العلماء قبل زماننا هذا يركبون الحمير، و اطّردت عادتهم الآن بركوب البغال. انتهى.

و الآن مع ظهور هذه المخترعات الحديثة كالسيارات و الطيارات؛ اكتفى النّاس بها و تركوا ركوب الدّواب إلّا قليلا.

(و يجيب دعوة العبد) و فى رواية: المملوك، فيجيبه لأمر يدعوه له؛ من ضيافة و غيرها. و روى ابن سعد: كان يقعد على الأرض، و يأكل على الأرض، و يجيب دعوة المملوك. و هذا من مزيد تواضعه صلّى اللّه عليه و سلم و براءته من جميع أنواع الكبر، و للّه درّ الحافظ العراقى حيث يقول:

يردف خلفه على الحمارعلى إكاف غير ذى استكبار

يمشى بلا نعل و لا خفّ إلىعيادة المريض حوله الملا (و كان) راكبا (يوم بنى قريظة)، و فى رواية لأبى الشيخ: يوم خيبر و يوم قريظة و النضير، و بنو قريظة- بصيغة التصغير، و القاف و الراء المهملة و الظاء المشالة، ثمّ [تاء التأنيث]-: قوم من اليهود بقرب المدينة، أى: يوم الذهاب إليهم لحربهم، و كان ذلك عقب الخندق (على حمار مخطوم) فى أنفه (بحبل)؛ أى: مجعول له خطام- بكسر الخاء المعجمة- و هو: الزمام (من ليف)- بكسر اللام و الفاء آخره- بشىء يتّخذ من النخل، و يفتل حبالا. (و عليه) أى: الحمار (إكاف)- بكسر الهمزة و كاف و ألف وفاء آخره؛ بزنة كتاب، و [أكاف] بضمّ

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۸۵

و (الخطام): الزّمام. و (الإكاف): البرذعة.

و عن أنس أيضا رضى اللّه تعالى عنه: كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم يدعى إلى خبز الشّعير ...

كغراب، و يقال: و كاف- بالواو- و هو: رحل يوضع على ظهر الحمار للركوب عليه يسمّى فى بعض البلدان ب «البرذعة». و بعضهم يسمّيه «الشّدّ»؛ و هو لذوات الحافر بمنزلة السّرج للفرس.

و هذا نهاية التّواضع، و أىّ تواضع!! و قد ظهر له صلّى اللّه عليه و سلم من نصر اللّه عليهم، و الظفر بهم، و بأموالهم ما هو معروف.

و فيه أنّ ركوب الحمار ممّن له منصب شريف لا يخلّ بمروءته.

و روى النسائىّ، و ابن حبّان؛ عن ابن مسعود: أنّهم كانوا يوم بدر كلّ ثلاثة على بعير، فكان أبو لبابة و علىّ زميلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، فكان إذا جاءت عقبته؛ قالا: نحن نمشى عنك، فيقول: «ما أنتما بأقوى منى، و ما أنا بأغنى عن الآخرة منكما» انتهى مناوى على «الشمائل».

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و الخطام)- بخاء معجمة و طاء مهملة- و هو: (الزّمام) الذى تقاد به الدابّة، (و الإكاف)- بكسر الهمزة و كاف؛ آخره فاء؛ بزنة كتاب- هو (البرذعة)- بالذال و الدال- و هى: حلس تجعل تحت الرّحل، و الجمع البراذع؛ هذا هو الأصل، و فى عرف زماننا: هى للحمار ما يركب عليه؛ بمنزلة السّرج للفرس، و الرحل للبعير، و هذه البرذعة التى يركب عليها يسمّيها بعضهم بهذا الاسم؛ أعنى برذعة، و بعضهم يسمّيها: «الشدّ»- بالشين المعجمة و الدال المهملة-، و يخصّ اسم البرذعة بما تحت الشدّ، فيجتمع على ظهر الحمار شيئين الشدّ؛ و هو ما يركب عليه و البرذعة: و هى ما تحت الشدّ على هذا القول الأخير. و اللّه أعلم.

(و) أخرج الترمذىّ فى «الشمائل»، و ابن ماجه فى «سننه»- و اللفظ ل «الشمائل»-؛ (عن أنس أيضا رضى اللّه تعالى عنه:

كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم يدعى إلى خبز الشّعير.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۸۶

و الإهالة السّنخة، فيجيب، و لقد كان له درع عند يهودىّ فما وجد ما يفكّها حتّى مات.

و الإهالة: السّنخة)- بفتح السين و كسر النون؛ فالخاء المعجمة- أى: الدّهن المتغيّر الريح من طول المكث. و يقال الزّنخة- بالزاى بدل السين-.

و يؤخذ من ذلك جواز أكل المنتن من لحم و غيره؛ حيث لا ضرر.

(فيجيب) دعوة من دعاه، (و لقد كان له درع)- بكسر الدال المهملة- زاد البخارىّ: من حديد. و فى نسخة من «الشمائل»: كانت بالتأنيث و هى أولى، لأن درع الحديد مؤنّثة، لكن أجاز بعضهم فيه التّذكير.

و هذه الدرع هى «ذات الفضول» التى أرسل بها إليه سعد بن عبادة- كما قاله ابن القيّم- رهنها صلّى اللّه عليه و سلم (عند يهودىّ) هو أبو الشحم؛ فى ثلاثين صاعا من شعير؛ كما رواه البخارىّ، و أحمد، و ابن ماجه، و الطبرانىّ و غيرهم.

و فى عشرين صاعا من طعام أخذه لأهله؛ كما قاله الترمذىّ فى «الجامع»، و النسائى فى «سننه».

و جمع بينهما بأنّه أخذ أوّلا عشرين؛ ثم عشرة! أو لعلّها كانت دون ثلاثين و فوق العشرين، فمن قال «ثلاثين» جبر الكسر، و من قال «عشرين» ألغاه.

و هل هذه العشرون اشتراها منه، أو اقترضها منه!؟ قولان فى ذلك، و كان الشراء إلى أجل سنة؛ كما فى البخارى. و إنّما عامل صلّى اللّه عليه و سلم اليهودىّ و رهن عنده؛ دون الصحابة؟! لبيان جواز معاملة اليهود و جواز الرهن بالدّين؛ حتى فى الحضر، و إن كان القرآن مقيّدا بالسّفر!! لكونه الغالب، و لأن الصحابة رضى اللّه تعالى عنهم لا يأخذون منه رهنا، و لا يتقاضون منه ثمنا، فعدل إلى اليهودى لذلك.

(فما وجد ما يفكّها)- بضم الفاء و تشديد الكاف- أى: يخلّصها (حتّى مات) و افتكّها بعده أبو بكر و سلّمها إلى علىّ.

لكن روى ابن سعد؛ عن جابر أنّ أبا بكر قضى عداته، و أنّ عليّا قضى ديونه.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۸۷

و (الإهالة السّنخة) و فى رواية: الزّنخة؛ هى: الدّهن المتغيّر الرّيح من طول المكث.

و عن أنس أيضا رضى اللّه تعالى عنه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «لو أهدى إلىّ كراع .. لقبلت، ...

و فى ذلك بيان ما كان عليه صلّى اللّه عليه و سلم من الزهد و التقلّل من الدنيا و الكرم الذى ألجأه إلى رهن درعه. و حديث «نفس المؤمن مرهونة بدينه حتّى يقضى عنه»!! مقيّد بمن لم يخلّف وفاء، مع أنّه فى غير الأنبياء. انتهى باجورى، و «جمع الوسائل».

(و الإهالة)- بكسر الهمزة و تخفيف الهاء و لام- (: السّنخة)- بفتح السين المهملة و كسر النون و فتح الخاء المعجمة و هاء آخره-.

(- و فى رواية: الزّنخة-) بزاى بدل السّين. قال الزمخشرىّ: سنخ و زنخ إذا تغيّر و فسد، و الأصل السين، و الزّاى بدله.

(هى) أى الإهالة السّنخة (: الدّهن المتغيّر الرّيح من طول المكث) يقال:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

سنخ الدهن و زنخ إذا تغيّر.

(و) أخرج الترمذىّ فى «الشمائل»؛ (عن أنس أيضا رضى اللّه تعالى عنه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: لو أهدى)- بصيغة المجهول- أى: لو أرسل هديّة (إلىّ كراع)- بضم الكاف؛ كغراب: ما دون الكعب من الدوابّ، و قيل: مستدقّ الساق من الغنم و البقر، يذكّر و يؤنّث، و الجمع: أكرع؛ ثم أكارع. و فى المثل «أعطى العبد كراعا؛ فطلب ذراعا»؛ لأنّ الذراع فى اليد و الكراع فى الرجل، و الذّراع خير من الكراع.

(لقبلت)، و لم أردّه على المهدى؛ و إن كان حقيرا، جبرا لخاطره ليحصل التحابب و التالف، فإنّ الردّ يحدث النّفور و العداوة، فيندب قبول الهديّة؛ و لو لشىء قليل.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۸۸

و لو دعيت عليه .. لأجبت».

(و لو دعيت) بصيغة المجهول (عليه) أى: إليه- كما فى نسخة من «الشمائل»- أى: لو دعانى إنسان إلى ضيافة كراع غنم (لأجبت») أى: الداعى و لم أتكبر، لا على داع؛ و لو كان حقيرا، و لا على مدعوّ إليه؛ و لو كان صغيرا، لأن القصد من الإجابة تأليف الداعى؛ و زيادة المحبة. و عدم الإجابة يقتضى النّفرة؛ و عدم المحبّة، فيندب إجابة الدعوة؛ و لو لشىء قليل.

و فيه حسن خلق المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم و حسن تواضعه، و جبره للقلوب بإجابة الداعى، و إن قلّ الطعام المدعوّ إليه جدا، و الحثّ على المواصلة و التّحابب.

و فى «الجامع الصغير» إنّ هذا الحديث بهذا اللفظ رواه الإمام أحمد، و الترمذىّ، و ابن حبان؛ عن أنس.

قال المناوى فى «شرح الجامع»: و رواه البخارىّ؛ عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه فى مواضع من «النكاح» و غيره؛ بلفظ: «لو دعيت إلى كراع لأجبت، و لو أهدى إلىّ ذراع لقبلت».

و قال المناوى فى «شرح الشمائل»: قال الحافظ ابن حجر: زعم بعضهم ١- أنّ المراد بالكراع المكان المعروف ب «كراع الغميم» محلّ بين الحرمين، و ٢- أنّه أطلق ذلك مبالغة فى الإجابة؛ و لو بعد المكان، لكن الإجابة مع حقارة الشىء أبلغ فى المراد.

و ذهب الجمهور إلى أنّ المراد كراع الشاة!! قال: و حديث «الشمائل» يؤيّده. انتهى.

و قال فى «شرح الجامع الصغير»: قال ابن حجر: و أغرب فى «الإحياء» فذكر الحديث بلفظ «كراع الغنم»!! و لا أصل لهذه الزيادة. انتهى.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۸۹

و عنه أيضا قال: حجّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم على رحل رثّ، و عليه قطيفة لا تساوى أربعة دراهم، فقال: «اللّهمّ؛ اجعله حجّا لا رياء فيه و لا سمعة».

(و) أخرج ابن ماجه، و الترمذىّ فى «الشمائل» و اللفظ له- بسند ضعيف، و له شاهد ضعيف؛ ذكره فى «جمع الوسائل»- و كذا أخرجه البيهقىّ: كلهم؛

(عنه) أى: أنس بن مالك (أيضا) رضى اللّه [تعالى] عنه (قال: حجّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم) بعد الهجرة فى حجّة الوداع (على رحل) أى: قتب (رثّ)- بفتح الراء المهملة و تشديد المثلاثة- أى: خلق بال، و الرّحل للجمل كالسّرج للفرس، أى:

حال كونه صلّى اللّه عليه و سلم راكبا على قتب بال، (و عليه) أى: الرّحل، كما هو أنسب بالسياق.

و يؤيده قوله فى رواية أخرى «على رحل و قطيفة» فأفادت أنّ ضمير «عليه» ليس للمصطفى [صلى اللّه عليه و سلم]. (قطيفة) أى: كساء من صوف له خمل، و هو: هدب القطيفة، أى: الخيوط التى بطرفه المرسلة من السّدى من غير لحمة عليها (لا- تساوى) أى: لا يبلغ مقدار ثمنها (أربعة دراهم)، لأنه فى أعظم مواطن التواضع، لا سيّما و الحجّ حالة تجرّد و إقلاع، و خروج عن المواطن سفرا إلى اللّه!! أ

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

لا- ترى ما فيه من الإحرام!! و معناه: إحرام النفس من الملابس؛ تشبيها بالفارّين إلى اللّه، و من الوقوف الذى يتذكّر به الوقوف بين يدى اللّه تعالى، فكان التواضع فى هذا المقام من أعظم المحاسن، لأن الحجّ من أعظم شعائره التواضع و إظهار الافتقار إلى اللّه تعالى، و منع النفس من التلذّذ و الملابس؛

(فقال: «اللّهمّ؛ اجعله) أى: اجعل حجّى هذا (حجّا)- بفتح الحاء و كسرها- (لا رياء فيه) الرياء: العمل لغرض مذموم؛ كأن يعمل ليراه الناس.

(و لا سمعة»)- بضمّ السين، فسكون الميم- و هى: أن يعمل العمل وحده، ثم يتحدّث بذلك ليسمع الناس و يصير مشهورا به؛ فيكرم و يعظم جاهه فى قلوبهم.

و فى الحديث: «من راءى راءى اللّه به، و من سمّع سمّع اللّه به»، فتضرّع صلّى اللّه عليه و سلم إلى

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۹۰

و (القطيفة): كساء له خمل.

هذا .. و قد فتحت عليه الأرض، و أهدى فى حجّه ذلك مائة بدنة.

و لمّا فتحت عليه مكّة ...

اللّه و سأله عدم الرّياء و السمعة مع كمال بعده عنهما؛ تخشّعا، و تذلّلا، و عدّا لنفسه كواحد من الآحاد، و هذا من عظيم تواضعه، إذ لا تتطرّق السمعة إلّا لمن حجّ على المراكب النفيسة، و الملابس الفاخرة، و الأغشية المحبّرة، و الأكواب المفضّضة ... إلى غير ذلك مما هو مكروه كما يفعله أهل زماننا؛ لا سيّما علماؤنا!!.

هذا؛ مع أنّه صلّى اللّه عليه و سلم أهدى فى هذه الحجة مائة بدنة، و أهدى أصحابه ما لا يسمح به أحد، و منهم سيّدنا عمر بن الخطاب أهدى فيما أهدى بعيرا أعطى فيه ثلاثمائة دينار فأبى قبولها. انتهى من المناوى على «الشمائل».

(و القطيفة)- بقاف مفتوحة فطاء مهملة؛ فمثنّاة تحتيّة ففاء فهاء آخره؛ بزنة:

الصّحيفة- (: كساء) من صوف (له خمل)- بفتح الخاء المعجمة و إسكان الميم؛ بزنة فلس- و هو: هدب القطيفة، أى: الخيوط التى بطرفه المرسلة من السّدى من غير لحمة عليها.

(هذا) أى: فعله صلّى اللّه عليه و سلم هذا و اختياره رثّ الثياب و المركب؛ (و) الحال أنّه (قد فتحت عليه الأرض)، و ألقت أفلاذها من ذهب و غيره (و أهدى) كما روى مسلم عنه (فى حجّه ذلك) عام حجة الوداع (مائة بدنة) أى: ناقة تقرّبا إلى اللّه تعالى، و إرشادا لمن يقتدى به، و إيماء إلى أن ترك تكلّفه فى ثوبه و مركوبه لم يكن عن عجز و افتقار به، و قد نقل أنه صلّى اللّه عليه و سلم نحر بيده الكريمة ثلاثا و ستين بقدر سنىّ عمره، و أمر عليّا كرّم اللّه وجهه بنحر البقية فى يومه.

(و لمّا فتحت عليه مكّة) فى شهر رمضان الكريم لتسع عشرة ليلة خلت منه؛

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۹۱

و دخلها بجيوش المسلمين .. طأطأ على رحله رأسه حتّى كاد يمسّ قادمته؛ تواضعا للّه تعالى.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يركب ما يمكنه، فمرّة فرسا، ...

فيما رواه ابن إسحاق و البيهقىّ؛ عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها، و الحاكم، و البيهقىّ، و أبو يعلى؛ عن أنس رضى اللّه تعالى عنه أنّه صلّى اللّه عليه و سلم لمّا فتحت عليه مكّة (و دخلها بجيوش المسلمين) و عددهم!! قيل: ثمانية آلاف، و قيل: عشرة آلاف، و قيل: اثنا عشر ألفا (طأطأ)- بهمزتين أولاهما ساكنة و ثانيهما مفتوحة- أى: خفض و أرخى (على رحله رأسه) مفعول «طأطأ» (حتّى كاد)؛ أى: قارب صلّى اللّه عليه و سلم (يمسّ)- بفتح الميم- كقوله تعالى لا يَمَسُّهُ [۷۹/ الواقعة] أى: يصيب برأسه، أو قارب رأسه أن يمسّ (قادمته)؛ أى: مقدّمة رحله، لأنّ الرحل له مقدّم و مؤخّر مرتفع عن محل الراكب، و فيها لغات: قادم، و قادمة، و مقدّم، و مقدمة؛ بكسر

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

الدال مخففة، و [مقدّمة] فتحها مشدّدة- و كذا آخره الرّحل (تواضعا للّه تعالى)؛ مفعول لأجله، و فيه إيماء إلى ما يشير إليه قوله تعالى وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هـٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً وَ قُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطاياكُمْ وَ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) [البقرة] أى: متواضعين، لا متكبرين؛ كالجبارين.

و من تواضعه صلّى اللّه عليه و سلم أن ركب الجمل؛ دون الفرس و على رأسه مغفر فوقه عمامة سوداء، و أردف خلفه أسامة رضى اللّه تعالى عنه- كما سيأتى-.

(و) فى «الإحياء» و «كشف الغمّة»: (كان صلّى اللّه عليه و سلم يركب ما يمكنه، فمرّة فرسا). روى الشيخان؛ من حديث أنس رضى اللّه تعالى عنه ركوبه صلّى اللّه عليه و سلم فرسا لأبى طلحة؛ و سيأتى.

و لمسلم؛ من حديث سمرة ركوبه الفرس عريا حين انصرف من جنازة ابن الدّحداح،

و لمسلم؛ من حديث سعد: كان للنبى صلّى اللّه عليه و سلم فرس يقال له «اللّحيف».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۹۲

و مرّة بعيرا، و مرّة بغلة، و مرّة حمارا، و مرّة يمشى راجلا حافيا، بلا رداء و لا قلنسوة، ليعود المرضى فى أقصى المدينة.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يركب الحمار عريا، ليس عليه شىء.

و ركب صلّى اللّه عليه و سلّم الفرس مسرجة تارة، و عريانة أخرى،

(و مرّة) يركب (بعيرا). روى الشيخان؛ من حديث البراء، و من حديث ابن عبّاس: طاف النبى صلّى اللّه عليه و سلم فى حجة الوداع على بعير.

(و مرّة) يركب (بغلة). روى الشيخان؛ من حديث البراء: رأيت النبى صلّى اللّه عليه و سلم على بغلته البيضاء يوم حنين.

(و مرّة) يركب (حمارا). روى الشيخان؛ من حديث أسامة أنّه صلّى اللّه عليه و سلم ركب على حمار إكاف ... الحديث.

(و مرّة يمشى راجلا)؛ أى: على قدميه (حافيا): أى: بلا نعل (بلا رداء و لا قلنسوة، ليعود المرضى فى أقصى المدينة).

روى الشيخان؛ من حديث ابن عمر كان يأتى قباء راكبا و ماشيا.

و روى مسلم؛ من حديث ابن عمر فى عيادته صلّى اللّه عليه و سلم لسعد بن عبادة، فقام و قمنا معه؛ و نحن بضعة عشر: ما علينا نعال؛ و لا خفاف؛ و لا قلانس؛ و لا قمص نمشى فى السّباخ.

(و كان صلّى اللّه عليه و سلم) فيما رواه ابن سعد فى «طبقاته»؛ عن حمزة بن عبد اللّه بن عتبة مرسلا (يركب الحمار عريا)- بضمّ العين المهملة، و إسكان الراء- أى: (ليس عليه شىء) مما يشدّ على ظهره: من نحو إكاف و برذعة؛ تواضعا، و هضما لنفسه و تعليما و إرشادا. قال ابن القيم: لكن كان أكثر مراكبه الخيل و الإبل. انتهى «مناوى».

(و ركب صلّى اللّه عليه و سلم الفرس مسرجة تارة)؛ و هو الغالب من أحواله صلّى اللّه عليه و سلم (و عريانة) أى: بلا إكاف تارة (أخرى)؛ و هو قليل، و استعمال عريانة وصفا للفرس! غير

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۹۳

و كان يجرى بها فى بعض الأحيان.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يخرج إلى العيد ماشيا، و يرجع ماشيا.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يتوكّأ إذا مشى.

و عن جابر رضى اللّه تعالى عنه قال: جاءنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ليس براكب بغل و لا برذون.

معروف، فإنّ الذى صرّح به أهل اللغة أنّه لا يقال فرس عريان؛ كما لا يقال رجل عرى.

(و كان يجرى بها فى بعض الأحيان) رواه الشيخان؛ عن أنس رضى اللّه تعالى عنه قال: فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

الصوت فتلقّاهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم راجعا قد سبقهم إلى الصوت، و استبرأ الخبر على فرس لأبى طلحة عرى، و السيف فى عنقه؛ و هو يقول: «لن تراعوا». و فى رواية: فلما رجع؛ قال: «ما رأينا من شىء؛ و إن وجدناه لبحرا». أى: واسع الجرى.

(و) أخرج ابن ماجه؛ عن ابن عمر بن الخطاب رضى اللّه تعالى عنهما قال:

(كان صلّى اللّه عليه و سلم يخرج إلى العيد) أى: صلاته (ماشيا)؛ لا راكبا، (و يرجع ماشيا) فى طريق آخر ليسلّم على أهل الطريقين، و ليتبرّكا به، و ليقضى حاجتهما و ليظهر الشّعار فيهما، و ليغيظ منافقيها، فتخالف الطريق لذلك و لغيره من الحكم التى لا يخلو فعله عنها، و لأنّ الطريقين يشهدان له، ففيه تكثير الشهود، و قد ندب المشى إلى الصلاة؛ تكثيرا للأجر. (و) فى «كنوز الحقائق» للمناوى (كان صلّى اللّه عليه و سلم يتوكّأ إذا مشى) رمز له ابن عساكر.

(و) أخرج أبو داود، و الترمذى فى «الشمائل»؛- و اللفظ لها-.

(عن جابر رضى اللّه تعالى عنه؛ قال: جاءنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم) يعودنى؛ كما فى رواية أبى داود (ليس براكب بغل و لا برذون)، بل كان على رجليه ماشيا، كما

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۹۴

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يردف خلفه عبده أو غيره، ...

صرّحت به رواية البخارىّ و غيره؛ عن جابر رضى اللّه تعالى عنه: أتانى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يعودنى، و أبو بكر و هما ماشيان، فكان صلّى اللّه عليه و سلّم لتواضعه يدور على أصحابه ماشيا.

و المراد أنّ الركوب ليس عادة مستمرّة له، فلا ينافى أنّه ركب فى بعض المرّات.

و البرذون- بكسر الموحدة و سكون الراء و فتح الذال المعجمة- هو: الفرس الأعجمىّ، و هو أصبر من العربىّ، و فى «المغرب»: هو التركىّ من الخيل، و الجمع البراذين و خلافها العراب، و الأنثى برذونة. انتهى «باجورى، و جمع الوسائل».

(و) فى «الإحياء» و «كشف الغمّة»: (كان صلّى اللّه عليه و سلم يردف)- بضمّ التحتية- (خلفه عبده أو غيره)؛ ذكرا كان أو أنثى، صغيرا أو كبيرا.

قال الخفاجى فى «نسيم الرياض؛ شرح شفاء القاضى عياض»: ذكروا أنّ جميع من أردفه النبى صلّى اللّه عليه و سلم على فرس؛ أو غيره فى سفره و حضره بلغ أربعين:

و هم ۱- أبو بكر الصديق فى الهجرة رضى اللّه عنه، و ۲- عثمان بن عفان رضى اللّه عنه؛ راجعا من بدر. و ۳- على كرّم اللّه وجهه؛ فى حجة الوداع، و ۴- أسامة بن زيد رضى اللّه تعالى عنهما؛ مرجعه من عرفة. و ۵- عبد اللّه بن جعفر رضى اللّه تعالى عنهما بين يديه، و أسباطه الثلاثة: ۶- الحسين، و ۷- الحسن، و ۸- على بن أبى العاص؛ مع: ۹/ ۱۰- غلامين من بنى هاشم، و أولاد عبّاس الأربعة: ۱۱- عبد اللّه، و ۱۲- عبيد اللّه، و ۱۳- الفضل، و ۱۴- قثم، و ۱۵- معاوية رضى اللّه عنه، و ۱۶- معاذ بن جبل؛ على عفير.

و ۱۷- أبو ذرّ، على حمار، و ۱۸- زيد بن حارثة رضى اللّه عنه، و ۱۹- ثابت بن الضحاك، و ۲۰- الشريد بن سويد رضى اللّه عنه، و ۲۱- سلمة بن الأكوع،

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۹۵

....

و ۲۲- أبو طلحة الأنصارىّ؛ زوج أم سليم، و ۲۳- سهيل بن بيضاء، و ۲۴- عبد اللّه بن الزّبير، و ۲۵- غلام مطلبىّ، و ۲۶- أسامة بن عمير، و ۲۷- صفية بنت حيىّ؛ مقدمه من خيبر، و ۲۸- أبو الدرداء، و ۲۹- آمنة بنت أبى الصلت، و ۳۰- أبو إياس، و ۳۱- أبو هريرة، و ۳۲- قيس بن سعد بن عبادة، و ۳۳- خوات بن جبير، و ۳۴- زيد بن أرقم، و ۳۵- أم حبيبة الجهنية رضى اللّه عنها، و ۳۶- جابر بن عبد اللّه، و ۳۷- جبريل عليه السلام؛ على البراق فى الإسراء انتهى.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و فى «فتح البارى» للحافظ ابن حجر أنّ الحافظ يحيى بن عبد الوهاب بن الحافظ الكبير أبى عبد اللّه بن منده أفرد أسماء من أردفه النبى صلّى اللّه عليه و سلم فى جزء؛ فبلغوا ثلاثين نفسا، و ذكر غير الحافظ أنّه بلّغهم نحو الخمسين، و ذكر كثيرا منهم العلّامة إبراهيم بن أحمد الخليل الزّبيدى اليمنى فى «المنهج الأعدل شرح مولد الأهدل».

قال الخفاجى فى «نسيم الرياض»: و زاد ابن منده غير هؤلاء، و نظمهم أبو ذرّ بن موفّق الدين؛ فقال:

و أردافه جمّ غفير فمنهمعلىّ و عثمان شريد و جبريل

و أولاد عبّاس ذوو الرّشد و الهدىأسامة و الدّوسىّ؛ و هو نبيل

معاوية قيس بن سعد صفيّةو سبطاه ما ذا عنهم سأقول!؟

معاذ أبو الدّردا صدىّ و عقبةو آمنة إن قام ثمّ دليل

كذلك خوّات الظّريف و سبطهعلىّ و وجه النّقل فيه جميل

أسامة و الصّدّيق ثمّ ابن جعفرو زيد و عبد اللّه ثمّ سهيل

كذا بنت قيس خولة و ابن أكوعو قدرهم فى العالمين جليل

كذلك زيد جابر ثمّ ثابتفعن حبّهم و اللّه لست أحول

ثلاثة غلمان و زد معهم أباإياس و حسبى اللّه و هو وكيل و قد شرح هذا النظم العلّامة شيخ الإسلام مفتى الديار اليمنية السيد: محمد بن

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۹۶

....

أحمد عبد البارى الأهدل المراوعى؛ مؤلف «الكواكب الدريّة شرح متممة الآجرومية» المتوفى سنة: ثمان و تسعين و مائتين و ألف هجرية رحمه اللّه تعالى فى رسالة سماها «إتحاف النّجباء الظّراف بمن ثبت لهم من النبى صلّى اللّه عليه و سلم الإرداف».

و الفقير مؤلّف هذا الكتاب سيعلّق على هذه الأبيات من الشرح المذكور آنفا:

قوله و أردافه- بفتح الهمزة- جمع: رديف؛ أى الذين أردفهم النبى صلّى اللّه عليه و سلم.

و قوله علىّ ذكر حديثه ابن القيّم فى «الهدى النبوى»، و ذكر أبو داود و النسائى فيه حديثا آخر عن رافع بن عمر المزنىّ رضى اللّه عنه.

و قوله شريد؛ أى: ابن سويد الثقفى أبو عمرو، ذكر حديثه البخارىّ فى «الأدب المفرد» عنه.

و قوله و جبريل قال فى «الشرح»: صحّ أنّه حمله على البراق رديفا له، و ذلك فى ليلة الإسراء. و رواه الإمام أحمد بلفظ: على ظهره هو و جبريل حتى انتهيا إلى بيت المقدس. قال ابن حجر المكىّ: و أوّل ذلك بعضهم بما لا حاجة إليه، إذ ركوب جبريل معه لا ينافى كونه فى خدمته. انتهى.

و قوله و أولاد عبّاس، فأمّا عبد اللّه- بالتكبير-!! فروى حديثه الإمام أحمد، و الترمذى؛ عنه رضى اللّه عنه. و أمّا عبيد اللّه- بالتصغير-!! فروى حديثه النسائىّ و غيره. و أمّا الفضل!! فحديثه فى «الصحيح»، و كذا قثم حديثه فى «الصحيح» أيضا.

قوله أسامة: أى ابن زيد بن حارثة حبّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم روى حديثه الإمام أحمد، و البخارىّ، و مسلم.

و قوله و الدوسى؛ يريد أبا هريرة رضى اللّه تعالى عنه، و قصة إردافه ذكرها المحبّ الطبرىّ فى «سيرته». و روى الإمام محمد بن جابر الفقيه فى كتاب «الدلائل» له؛ عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه قال: كنت رديف النبى صلّى اللّه عليه و سلم؛

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۹۷

....

فقال: «يا أبا هريرة؛ هلك الأكثرون، إنّ الأكثرين هم الأقلّون يوم القيامة ...»

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و ذکر الحدیث، و فیه قصّهٔ الجمل الذی کلّمه فی الحائط «١».

قوله معاویهٔ قیس؛ ذکر فی الشرح أحادیثهما بغیر عزو.

و قوله صفیّهٔ روی حدیثهما البخاریّ؛ عن أنس رضی اللّه تعالی عنه.

قوله و سبطاه: الحسن و الحسین؛ ذکر حدیثهما مسلم بن الحجّاج؛ عن سلمهٔ بن الأکوع، و کذلک روی حدیثهما مسلم، و أبو داود، و النسائیّ؛ من طریق مورق العجلی، عن عبد اللّه بن جعفر رضی اللّه تعالی عنهما.

قوله معاذ؛ أی: ابن جبل، روی حدیثه الإمام أحمد و الشیخان، و الترمذیّ عنه؛ و رواه البزّار بسند رجاله ثقات؛ عن أبی هریرهٔ رضی اللّه تعالی عنه.

قوله أبو الدرداء؛ ذکر فی «الشرح» حدیثه بدون عزو.

قوله صدی أی: ابن عجلان أبو أمامهٔ الباهلی رضی اللّه عنه؛ ذکر حدیثه فی «الشرح» غیر معزوّ، ثم قال: و أصله فی أبی داود و الترمذی و غیرهما.

و قوله عقبهٔ؛ یعنی ابن عامر. قال فی «الشرح»: لم أقف علی قصّهٔ إردافه!! قال: و لم یذکر أحد من علماء الحدیث و السّیر: أن النبی صلّی اللّه علیه و سلم أردف عقبهٔ بن عامر الجهنی؛ قاله القسطلانیّ.

قوله و آمنهٔ- بالنون- قیل: أمّه آمنهٔ بنت وهب؛ و قیل غیرها؛ و هو أقرب لکنه لم یبیّنها فی «الشرح». قال: و بعضهم ضبطه أمیّهٔ- بضمّ الهمزهٔ و بالیاء التحتیهٔ المشدّدهٔ- و یظهر لی أنّه و هم!! و قد جری علی ذلک إبراهیم بن أحمد الخلیل فی «شرح مولد الأهدل» فقال: و أمیّهٔ الغفاری. انتهی

قوله کذلک خوّات؛ أی: ابن جبیر الأنصاری رضی اللّه عنه؛ ذکره ابن منده، و قال: کان ردیف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم لمّا خرج إلی بدر، فردّه من الرّوحاء، لأنّه اشتکی.

---

(١) تقدّم، و هو الذی شکا أصحابه لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم حتی منعهم عنه.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج٢،ص:۵٩٨

....

قوله: و سبطه علی أی: ابن أبی العاص بن الربیع؛ أمّه زینب بنت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم؛ ذکر حدیثه الزبیر بن بکّار، و ذکره فی «مختصر الاستیعاب» لابن عبد البر.

قوله أسامهٔ؛ أی: ابن عمیر الهذلی رضی اللّه عنه، روی حدیثه الطبرانیّ برجال الصحیح عنه رضی اللّه عنه.

قوله و الصدیق؛ أی: أبو بکر الصدیق، روی حدیثه الإمام أحمد، و البخاریّ و غیرهما؛ عن أنس رضی اللّه عنه.

قوله ابن جعفر- یعنی: عبد اللّه بن جعفر بن أبی طالب رضی اللّه تعالی عنهما- روی حدیثه الإمام أحمد، و مسلم، و أبو داود و غیرهم عنه. و رواه أیضا مسلم و النّسائی و غیرهما.

قوله و زید؛ أی: ابن حارثهٔ حبّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، روی حدیثه أبو یعلی عنه رضی اللّه عنه.

قوله و عبد اللّه؛ یعنی: ابن الزبیر، روی حدیثه البخاریّ، و مسلم، و الإمام أحمد.

قوله ثم سهیل؛ أی: ابن بیضاء رضی اللّه عنه ابن وهب بن ربیعهٔ بن هلال، توفی علی عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم. روی حدیثه الإمام أحمد و الطبرانیّ فی «الکبیر»، و ابن أبی شیبهٔ و غیرهم عنه رضی اللّه عنه.

قوله کذا بنت قیس خولهٔ؛ و هی بنت قیس بن قهد- بالقاف- الأنصاری؛ تکنّی «أمّ محمد» و هی امرأهٔ سیّدنا حمزهٔ رضی اللّه عنه، روی لها البخاریّ و الترمذی و غیرهما

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

قال فى «الشرح»؛ و لم أقف على قصّة إردافه لها، و لعلّه فى بعض مغازيه!.

قوله و ابن أكوع؛ هو سلمة بن عمرو بن وهب بن سنان، و هو الأكوع الأسلمى

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۵۹۹

....

رضى اللّه عنه، روى حديث إردافه البخارىّ و مسلم عنه.

و رواه أيضا الطبرانىّ بسند رجاله ثقات عنه.

قوله كذلك زيد؛ يعنى: ابن ثابت، أو زيد بن أرقم، أو زيد بن سهل؛ أبو طلحة الأنصارى رضى اللّه عنهم، إذ كلّ من هؤلاء الثلاثة قد عدّ فيمن أردفه النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم!! و لم أقف على قصّة إردافه لكلّ منهم!! غير أنّ ذلك مصرّح به فى كتب السّير.

قوله جابر؛ يعنى: ابن عبد اللّه رضى اللّه تعالى عنهما، روى حديثه إبراهيم الحربىّ فى «غريبه»، و ابن عساكر فى «تاريخه»؛ عن جابر رضى اللّه تعالى عنه.

قوله ثم ثابت؛ يريد: ابن الضحّاك بن خليفة الأنصارى الأشهلى، قال أبو زرعة الرازى: هو من أهل الصّفّة، و ممن بايع تحت الشجرة، و كان رديف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يوم الخندق، و دليله إلى حمراء الأسد.

قوله ثلاثة غلمان روى حديثهم البخارىّ فى «الصحيح».

قوله أبا إياس رضى اللّه عنه، روى حديثه ابن منده و الحارث بن أبى أسامة عنه رضى اللّه عنه. انتهى.

و هذا آخر التعليق من شرح الأبيات للسيد العلّامة محمد بن أحمد عبد البارى الأهدل رحمه اللّه تعالى.

ثم رأيت فى كتاب «دليل الفالحين شرح رياض الصالحين» للعلامة الشيخ محمد بن على بن علّان المكّى رحمه اللّه تعالى ما نصّه:

و قد تتبعت الذين أردفهم النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم معه على دابّته، فبلغت بهم فوق الأربعين، و جمعتهم فى جزء سمّيته «تحفة الأشراف بمعرفة الأرداف»، و قد نظمت اسم جماعة منهم، و أوردته فى آخر ذلك الجزء؛ و ها هو:

لقد أردف المختار طه جماعةفسنّ لنا الإرداف إن طاق مركب

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۰۰

و تارة يردف خلفه و قدّامه، و هو فى الوسط.

و لمّا قدم صلّى اللّه عليه و سلّم مكّة استقبله أغيلمة بنى عبد المطّلب، فحمل واحدا بين يديه، و آخر خلفه.

أبو بكر عثمان علىّ أسامةسهيل سويد جبرائيل المقرّب

صفيّة و السّبطان، ثمّ ابن جعفرمعاذ و قيس و الشّريد المهذّب

و آمنة مع خولة و ابن أكوعو زيد أبو ذرّ سما ذاك جندب

معاوية زيد و خوّات ثابتكذاك أبو الدّرداء فى العدّ يكتب

و أبناء عبّاس و ابن أسامةصدىّ بن عجلان حذيفة صاحب

كذلك جا فيهم أبو هريرة من روىألوفا من الأخبار تروى و تكتب «۱»

و عدّ من الأرداف يا ذا أسامةهو ابن عمير ثمّ عقبة يحسب

و أردف غلمانا ثلاثا كذا أبوإياس و أنثى من غفار تقرّب

و أردف شخصا، ثمّ أردف ثانياو ما سمّيا فيما روى يا مهذّب

أولئك أقوام بقرب نبيّهملقد شرفوا طوبى لهم يا مقرّب (و تارة يردف)- بضمّ أوّله؛ من الإرداف- و الرّدف و الرّديف: الراكب خلف الراكب بإذنه؛ قاله فى «المواهب». (خلفه) أى: من ورائه (و قدّامه) أى:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

أمامه، (و هو) صلى اللّه عليه و سلم يكون (فى الوسط)، و قد بيّن ذلك فى قوله:

(و لمّا قدم صلّى اللّه عليه و سلم مكّة استقبله أغيلمة)- تصغير الغلمة: جمع الغلام- و هو شاذّ، و القياس غليمة؛ قاله الكرمانى. انتهى «زرقانى»

(بنى عبد المطّلب، فحمل واحدا بين يديه و آخر خلفه). رواه البخارىّ؛ عن عبد اللّه بن عبّاس، و قد بيّن فى رواية أخرى هذين المبهمين، ففى البخارىّ: قال ابن عبّاس أتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم مكّة و قد حمل قثم- بضم القاف و فتح المثلاثة الخفيفة- بين يديه، و الفضل خلفه، أو قثم خلفه و الفضل بين يديه؟! شكّ الراوى، ففى هذه الرواية الأخرى بيان المبهمين فى الرواية الأولى.

---

(۱) يستقيم الوزن بإبدال (هريرة) إلى (هرّ).

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۰۱

و عن قيس بن سعد بن عبادة رضى اللّه تعالى عنهما ...

و فيه جواز الإرداف؛ و إن كانوا ثلاثة إذا لم تكن الدابّة ضعيفة لا تطيق ذلك.

و قيل: يكره ما فوق الاثنين؛ قاله الزرقانى على «المواهب».

(و) أخرج أبو داود؛ و غيره و فيه قصّة طويلة (عن) أبى الفضل (قيس بن سعد بن عبادة) بن دليم بن حارثة بن حرام بن حزيمة- بفتح الحاء المهملة و كسر الزاى- ابن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصارى الخزرجى السّاعدى المدنى.

الصحابى بن الصحابى (رضى اللّه تعالى عنهما) الجواد بن الجواد، و هم أربعة مشهورون بالكرم؛ هو، و أبوه سعد، و جدّه عبادة، و جدّ أبيه دليم.

و كان قيس من فضلاء الصحابة، و أحد دهاة العرب؛ و ذوى الرأى الصائب؛ و المكيدة فى الحرب و النّجدة، و كان شريف قومه غير مدافع، و من بيت سيادتهم، و أحد السادات الطّلس- أى: لم يكن فى وجهه لحية؛ و لا شعر- و كانت الأنصار تقول: وددنا أن نشترى لقيس لحية بأموالنا!! و كان جميلا، و كان بين يدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم بمنزلة الشّرطىّ من الأمير- يعنى: يلى أموره. ذكره النووى فى «التهذيب».

قال الزهرى و كان قيس يحمل راية الأنصار مع النبى صلّى اللّه عليه و سلم.

و له فى جوده أخبار كثيرة مشهورة، و رووا أنّه كان فى سريّة فيها أبو بكر و عمر رضى اللّه عنهما، فكان يستدين و يطعم النّاس!! فقالا: إن تركناه أهلك مال أبيه!! فهمّا بمنعه، فسمع سعد؛ فقال للنبى صلّى اللّه عليه و سلم: من يعذرنى منهما؛ يبخّلان علىّ ابنى!!

و صحب قيس بعد ذلك عليّا فى خلافته؛ و كان معه فى حروبه، و استعمله على مصر.

روى عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم ستّة عشر حديثا؛ روى عنه الشعبىّ، و ابن أبى ليلى،

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۰۲

قال: زارنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فلمّا أراد الانصراف ..

قرّب له سعد حمارا وطّأ عليه بقطيفة، فركب صلّى اللّه عليه و سلّم، ثمّ قال سعد: يا قيس؛ اصحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، قال قيس: فقال لى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «اركب»، فأبيت، فقال: «إمّا أن تركب، و إمّا أن تنصرف»، فانصرفت. و فى رواية أخرى: «اركب أمامى؛ فصاحب الدّابّة أولى بمقدّمها».

و عمرو بن شرحبيل و غيرهم. و كانت وفاته سنة: ستين. و قيل: قبلها بسنة رحمة اللّه عليه و رضوانه. آمين.

(قال: زارنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم) على عادته فى تفقّد أصحابه. قيل: كان سعد دعاه رجل ليلا فخرج له، فضربه بسيفه، فعاده صلّى اللّه عليه و سلم (فلمّا أراد الانصراف قرّب له سعد حمارا) ليركبه (وطّأ)- بشدّ المهملة و همزة آخره- (عليه بقطيفة)؛ بزنة

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

صحيفة: كساء له خمل و وبر؛ وضعه على ظهر الحمار.

(فركب صلّى اللّه عليه و سلم ثمّ قال سعد) لابنه (: يا قيس؛ اصحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم) أى: كن معه فى خدمته.

و فى ذا الحديث أنّه صلّى اللّه عليه و سلم جاء على حمار مردفا أسامة خلفه؛ فسعد وهبه الحمار ليركبه وحده؛ و يبقى أسامة على الحمار الذى جاء به.

(قال قيس: فقال لى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «اركب»، فأبيت) أن أركب تأدّبا معه صلّى اللّه عليه و سلم؛ لا مخالفة لأمره.

(فقال: «إمّا أن تركب، و إمّا أن تنصرف»)؛ أى: ترجع و لا تمشى معى، (فانصرفت.

و فى رواية أخرى: «اركب أمامى، فصاحب الدّابّة أولى بمقدّمها»). إذ هو أدرى بسيرها، و سمّاه صاحبا باعتبار ما كان، لأنّه ابن مالكها سعد بن عبادة.

و عند ابن منده: فأرسل ابنه معه ليردّ الحمار، فقال: «أحمله بين يدىّ».

قال: سبحان اللّه؛ أ تحمله بين يديك؟! قال: «نعم، هو أحقّ بصدر حماره».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۰۳

و فى «المواهب»: (عن المحبّ الطّبرىّ: ...

قال: هو لك؛ يا رسول اللّه. قال: «أحمله إذن خلفى».

و فى البخارىّ؛ من حديث أنس بن مالك: أقبلنا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم من خيبر و إنّى لرديف أبى طلحة و هو يسير، و بعض نساء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم رديف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم إذ عثرت الناقة، فقلت: المرأة!! فقال صلّى اللّه عليه و سلم: «إنّها أمّكم».

فشددت الرّحل و ركب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فلما دنا و رأى المدينة؛ قال: «آئبون تائبون عائدون؛ لربّنا حامدون». انتهى.

و المرأة هى صفيّة بنت حيىّ أمّ المؤمنين رضى اللّه تعالى عنها.

(و) ذكر العلّامة الشهاب القسطلانى (فى «المواهب) اللّدنّيّة بالمنح المحمدية»؛ نقلا (عن المحبّ الطّبرىّ) فى «مختصر السيرة» له؛

و هو الإمام الحافظ القدوة المحدّث الفقيه الشافعى، أبو العباس: أحمد بن عبد اللّه بن محمد بن أبى بكر محبّ الدين الطّبرى، ثم المكىّ شيخ الحرم،

فرع دوحة كبيرة من دوحات الشّرف و الرئاسة؛ فى العلم و الحسب، ينتهى نسبهم إلى سيّدنا الحسين السّبط بن علىّ بن أبى طالب رضى اللّه عنه

رسخت أصولهم فى «طبرستان»؛ من بلاد العجم فى الشرق، و امتدت فروعهم إلى أمّ القرى فى بلاد الحجاز، و توارث هو و بنو أعمامه و أبناؤهم و أحفادهم مناصب التدريس و القضاء، و الخطابة و إمامة الحرم المكى نحو ستة قرون.

و كانوا أكثر أصحاب البيوتات بمكّة، حتّى كان الأشراف حكّام مكّة لا يعدلون بهم أحدا فى الشرف و الصهر و النّسب و كان نساء هذه الأسرة يبارين فحول الرجال فى رفع منار العلم و الاستباق إلى غايات المجد.

قال المحبىّ فى «الخلاصة» «۱»: و الطبريّون بيت علم و شرف؛ مشهورون فى

---

(۱) خلاصة الأثر.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۰۴

....

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

مشارق الأرض و مغاربها، و هم أقدم ذوى البيوتات بمكّة، و إنّ أوّل من قدم منهم مكّة الشيخ رضىّ الدين أبو بكر محمّد بن أبى بكر بن على بن فارس الحسينى الطبرى. قيل: سنة سبعين و خمسمائة، أو: فى التى بعدها و انقطع بها، و زار النبى صلّى اللّه عليه و سلم، و سأل اللّه عنده أولادا علماء، هداة مرضيين؛ فولد له سبعة أولاد؛ و هم: محمّد، و أحمد، و على، و إبراهيم، و إسحاق و إسماعيل، و يعقوب.

و كانوا كلّهم فقهاء علماء مدرّسين. انتهى، ذكره فى مواضع متفرقة.

و كان دخول القضاء و إمامة مقام إبراهيم فى بيتهم سنة: ثلاث و سبعين و ستمائة؛ كما ذكره النجم بن فهد فى تاريخه «إتحاف الورى بأخبار أمّ القرى»، و الفاسىّ فى «العقد الثمين».

و كان منصب الخطابة قديما ينتقل بمكّة فى ثلاثة بيوت: الطبريين، و الظهريين، و النّويريين. و بيت الطبرىّ أقدمهم فى ذلك؛ كما يعلم من كتب التواريخ.

و من خطباء الطبريين: المحبّ الطّبرىّ، و البهاء الطبرىّ،

و لبنى الطبرى مزيد التقوى و الورع و الصلاح، و توفّر أسباب الخير و الفلاح؛

و كان مولد صاحب الترجمة سنة: خمس عشرة و ستمائة، أو: ستّ عشرة.

سمع من أبى الحسن بن المقيّر، و ابن الجمّيزى، و شعيب الزعفرانى، و عبد الرحمن بن أبى حرمى، و جماعة. و تفقّه و درّس و أفتى و صنّف.

و كان شيخ الشافعية و محدّث الحجاز، إماما صالحا، زاهدا كبير الشأن، روى عنه البرزالى، و أبو الحسن العطّار، و ولده قاضى مكّة؛ و صنّف التصانيف الجيّدة؛ منها: كتاب «الأحكام» فى الحديث، و له «مختصر فى الحديث» رتّبه على أبواب الفقه، و كتاب «خلاصة سيرة سيّد البشر، صلى اللّه عليه و سلم»، و كتاب «صفوة القرى فى صفة حجة المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم و طوفه بأمّ القرى»، و كتاب «السّمط الثمين فى مناقب أمّهات المؤمنين»، و «القرى

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٦٠٥

أنّه صلّى اللّه عليه و سلّم ركب حمارا عريا إلى قباء، و أبو هريرة معه، قال: «يا أبا هريرة؛ أ أحملك؟»، قال: ما شئت يا رسول اللّه، قال: «اركب»، فوثب أبو هريرة ليركب فلم يقدر، فاستمسك برسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فوقعا [جميعا]، ثمّ ركب صلّى اللّه عليه و سلّم، ثمّ قال: «يا أبا هريرة؛ أ أحملك؟»، قال: ما شئت

لقاصد أمّ القرى»، و «الرياض النّضرة فى مناقب العشرة»، و «ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى».

و من طالع «العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين» للفاسى علم ما لهم من المناقب، و ما اشتملوا عليه من المناصب.

و توفى فى جمادى الأولى سنة: أربع و سبعين و ستمائة، أو: أربع و تسعين و ستمائة. وقع تحريف فى «سبعين»؛ هل هى بتقديم السين!! رحمهم اللّه تعالى رحمة الأبرار. آمين.

(أنّه صلّى اللّه عليه و سلم ركب حمارا عريا)- بضمّ العين و إسكان الرّاء- أى: ليس عليه إكاف، و لا يقال ذلك فى الآدمى، إنّما يقال عريان- كما تقدّم قريبا-.

(إلى قبا)- بالضمّ-: موضع بالمدينة، و فيه لغات جمعها القائل:

حرا و قبا أنّث و ذكّرهما معاو مدّ أو اقصر و اصرفن و امنع الصّرفا و زدت عليها أخذا من «شرح مسلم» قولى:

و أفصحها التّذكير و الصّرف يا فتىمع المدّ فاعلم إنّ ذلك لا يخفى (و أبو هريرة معه، قال: «يا أبا هريرة؛ أ أحملك؟!». قال: ما شئت) افعله (يا رسول اللّه. قال: «اركب»، فوثب أبو هريرة ليركب؛ فلم يقدر، فاستمسك) أى: تمسّك و تعلّق (برسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، فوقعا [جميعا]، ثمّ ركب صلّى اللّه عليه و سلم، ثمّ قال: «يا أبا هريرة؛ أ أحملك؟!»، قال:) افعل (ما شئت؛

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۰۶

يا رسول اللّه، فقال: «اركب»، فلم يقدر أبو هريرة على ذلك، فتعلّق برسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فوقعا جميعا، فقال: «يا أبا هريرة؛ أ أحملك؟»، فقال: لا، و الّذى بعثك بالحقّ لا رميتك ثالثا.

و ذكر الطّبرىّ أيضا: أنّه عليه الصّلاة و السّلام كان فى سفر و أمر أصحابه بإصلاح شاة، فقال رجل: يا رسول اللّه؛ علىّ ذبحها، و قال آخر: يا رسول اللّه؛ علىّ سلخها، و قال آخر: يا رسول اللّه؛ علىّ طبخها، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «علىّ جمع الحطب»، فقالوا: يا رسول اللّه؛ نكفيك العمل، فقال: «قد علمت أنّكم تكفونى، و لكن أكره أن أتميّز عليكم، ...

يا رسول اللّه! فقال: «اركب» فلم يقدر أبو هريرة على ذلك، فتعلّق برسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، فوقعا جميعا، فقال: «يا أبا هريرة؛ أ أحملك؟!» فقال: لا، و الّذى بعثك بالحقّ؛ لا رميتك) أى: لا أرميك (ثالثا). و استعمل الماضى موضع المضارع، لأنّه قوى عنده أنه إذا ركب وقعا جميعا أيضا.

(و ذكر) المحبّ (الطبرىّ أيضا) فى الكتاب المذكور (أنّه عليه الصّلاة و السّلام كان فى سفر و أمر أصحابه) أى: الجنس (بإصلاح شاة) أى: تهيئتها للأكل.

(فقال رجل: يا رسول اللّه؛ علىّ ذبحها. و قال آخر: يا رسول اللّه؛ علىّ سلخها. و قال آخر: يا رسول اللّه؛ علىّ طبخها. فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم «علىّ جمع الحطب») من الوادى.

(فقالوا: يا رسول اللّه؛ نكفيك العمل!! فقال: «قد علمت أنّكم تكفونى)- بحذف إحدى النونين تخفيفا- و الأصل: تكفوننى (و لكن أكره أن أتميّز عليكم،

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۰۷

فإنّ اللّه سبحانه و تعالى يكره من عبده أن يراه متميّزا بين أصحابه»).

و قال فى «الشّفا»: (عن أبى قتادة رضى اللّه تعالى عنه قال:

وفد وفد النّجاشىّ، ...

فإنّ اللّه سبحانه و تعالى يكره من عبده أن يراه متميّزا بين أصحابه»)؛ أى: لا يثنى عليه إذا رآه متميّزا.

و المكروه له تعالى فى الحقيقة هو تميّز العبد؛ لا رؤيته تعالى لذلك.

(و قال) القاضى عياض (فى) كتاب («الشّفا» بتعريف حقوق المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم»):

و أخرجه ابن إسحاق، و البيهقى فى «الدلائل» (؛ عن أبى قتادة) الأنصارىّ السّلمى- بفتحتين-: الحارث؛ و يقال: عمرو- أو النعمان- بن ربعى- بكسر الراء و سكون الموحدة بعدها مهملة-.

شهد أحدا و ما بعدها، و لم يصحّ شهوده بدرا، و كان يقال له «فارس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم».

و مات سنة: أربع و خمسين. و قيل: ثمان و ثلاثين، و الأوّل أصحّ، و أشهر و عمره: سبعون سنة- بتقديم السين المهملة على الموحدة-. روى له أحمد، و أصحاب «السنن» (رضى اللّه تعالى عنه؛ [قال]:

وفد) أى: قدم (وفد)- بسكون الفاء-: اسم جمع بمعنى: وافدين (النّجاشىّ)- بفتح النون و كسرها و تشديد الياء و تخفيفها- و اسمه: أصحمة، و النّجاشىّ اسم لكلّ من ملك الحبشة، و كان رضى اللّه عنه ممن أعان المسلمين لمّا هاجروا إليه، و كاتب النبى صلّى اللّه عليه و سلم، و أهدى له الهدايا، و زوّجه ب «أمّ حبيبة» رضى اللّه تعالى عنها. و كتب له النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام، فأسلم على يد جعفر بن أبى طالب رضى اللّه عنه سنة: ستّ. و كان بينه و بين النبى صلّى اللّه عليه و سلم محبّة عظيمة، فلما توفى فى رجب سنة: تسع من الهجرة نعاه النبى صلّى اللّه عليه و سلم و صلّى على

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۰۸

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

فقام النّبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم يخدمهم، فقال له أصحابه: نكفيك، قال: «إنّهم كانوا لأصحابنا مكرمين، و أنا أحبّ أن أكافئهم».

و لمّا جيء بأخته من الرّضاعة الشّيماء ...

جنازته، و به استدلّ الشافعى رضى اللّه عنه على جواز الصلاة على الغائب، و لما توفىّ خلفه نجاشىّ آخر دعاه النبى صلّى اللّه عليه و سلم للإسلام، فأبى و مات كافرا. انتهى «خفاجى؛ على «الشفاء» و أرسل النّجاشىّ المسلم جماعة من عنده رسلا إليه صلّى اللّه عليه و سلم.

(فقام النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم يخدمهم) بنفسه تواضعا منه و إرشادا لغيره.

(فقال له أصحابه:) نحن (نكفيك) خدمتهم؛ أى: نقوم عنك بذلك.

فأبى، و (قال: «إنّهم كانوا لأصحابنا) الذين هاجروا إلى أرضهم (مكرمين، و أنا أحبّ أن أكافئهم)- بكسر الفاء و بعدها همزة مفتوحة- أى:

أجازيهم على إكرامهم لأصحابنا بإكرامهم، و لا إكرام أعظم من تعاطيه صلّى اللّه عليه و سلم أمورهم بنفسه.

(و لمّا)؛ أى و حين (جىء)- مبنىّ للمفعول- أى: جاء الصحابة رضى اللّه تعالى عنهم (بأخته من الرّضاعة)- بفتح الراء و كسرها- بمعنى الرضاع (الشّيماء)- بفتح الشين المعجمة و سكون المثناة التحتية و الميم و همزة ممدودة- و يقال لها «الشّمّاء»- بتشديد الميم- من غير ياء؛ كما قاله المحبّ الطبرى.

و هى بنت حليمة السعدية التى أرضعت النبى صلّى اللّه عليه و سلم، و قيل: أختها.

و زوج حليمة هو الحارث بن عبد العزّى، و حليمة أسلمت و عدّت من الصحابة و اسمها- يعنى «الشّمّاء»- جدامة- بجيم مضمومة و دال مهملة- و قيل: حذافة- بحاء مهملة و ذال معجمة وفاء-. و قيل: خذافة- بمعجمتين أولاهما مكسورة-.

و اختلف فى زوجها أبو النبى صلّى اللّه عليه و سلم من الرضاع! فلم يذكر أحد من أهل السير إسلامه، و لكن ذكره يونس بن بكير فى روايته؛ فقال حدّثنا ابن إسحاق؛ عن أبيه

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۰۹

فى سبايا هوازن، و تعرّفت له .. بسط لها رداءه، و قال لها: «إن أحببت ...

عن بعض بنى سعد بن بكر:

أن الحارث بن عبد العزّى أبا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم من الرضاع قدم عليه بمكّة بعد بعثته؛ فقالت له قريش: يا حارث؛ ما يقول ابنك هذا!! فقال: ما يقول؟.

قالوا: يزعم أنّ اللّه يبعث الخلق بعد الموت، و أنّ للّه دارين، يعذّب فيهما من عصاه، و يكرم من أطاعه. و قد شتّت أمرنا و فرّق جماعتنا!!

فأتاه فقال: يا بنىّ؛ مالك و لقومك يشكونك، و يزعمون أنّك تقول لهم:

«إنّ النّاس يبعثون بعد الموت، ثمّ يصيرون إلى جنّة، أو نار؟!!». فقال:

«نعم، و لو كان ذلك اليوم يا أبت أخذت بيدك حتّى أعرّفك حديثك اليوم».

فأسلم و حسن إسلامه، و كان يقول حين أسلم: لو أخذ ابنى بيدى فعرّفنى ما قال؛

لم يرسلنى- إن شاء اللّه- حتّى يدخلنى الجنّة. انتهى ذكره الخفاجى.

(فى سبايا) جمع سبية بمعنى: مسبية، أى: مأسورة (هوازن) اسم قبيلة؛ من بنى سعد بن بكر، سمّيت باسم الأب الأعلى كتميم.

و هو هوازن بن نصر بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن نصر.

و المراد بكونها فيهم: أنّها كانت مسبيّة معهم أيضا؛ أى: أسيرة من جملة أسارى قبيلة هوازن المذكورة.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و تعرّفت له) يقال: تعرّف له: إذا أعلمه باسمه و شأنه، فهى أعلمته صلّى اللّه عليه و سلم أنّها أخته رضاعا، فقال لها صلّى اللّه عليه و سلم: «ما علامة ذلك!؟». فقالت: عضّة كنت عضّيتنيها فى ظهرى، فعرف ذلك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و صدّقها.

و جواب «لمّا» قوله (بسط [لها] رداءه) أى: فرشه لها لتجلس عليه؛ إكراما لها و مكافأة لفعلها، لأنها كانت تربّيه مع أمّها حليمة.

(و قال لها) أى: على وجه التّخيير (: «إن أحببت)- أى: الإقامة عندى-

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٦١٠

أقمت عندى مكرمة محبّة، أو متّعتك و رجعت إلى قومك»، فاختارت قومها، فمتّعها.

و قال أبو الطّفيل: ...

(أقمت عندى مكرمة)- بضمّ أوله و سكون ثانية و تخفيف رائه؛ اسم مفعول من أكرمه: إذا فعل به ما يحسبه من الإحسان؛ قولا و فعلا- (محبّة)- بضمّ أوّله و فتح الحاء المهملة، و تشديد الموحّدة- أى: محبوبة و هو اسم مفعول؛ من أحبّه، و يقال «حبّه و أحبّه» بمعنى، و الأفصح الأكثر فى اسم المفعول: أن يكون من الثلاثى؛ فيكثر فيه محبوب، و يقال محبّ، لكنه هنا أحسن لاقترانه ل «مكرمة»! و عليه الاستعمال؛ كقول الشاعر:

و إذا نزلت فلا تظنّى غيرهمنّى بمنزلة المحبّ المكرم (أو متّعتك) أى: إن كنت تريدين الرجوع أعطيتك متاعا حسنا، و زوّدتك، (و رجعت إلى قومك») رجوعا مستحسنا.

(فاختارت قومها، فمتّعها) و زوّدها، و رجعت إلى قومها.

و تفصيله؛ كما قال أصحاب السّير: أنّه لما قدمت أخته الشّماء بنت الحارث بن عبد العزّى، و عرّفته صلّى اللّه عليه و سلم بنفسها فعرفها، و بسط لها رداءه، و أجلسها عليه و خيّرها؛ فاختارت الرجوع لقومها و أرضها، و أن يمتّعها بالإحسان إليها، فأعطاها عبدا له اسمه «مكحول» و جارية، فزوّجت أحدهما من الآخر، فلم يزل فيهم من نسلهما بقيّة. منتهى السؤل، اللحجى ج٢ ٦١٠ الفصل الخامس فى صفة تواضعه صلى الله عليه و سلم و جلوسه و اتكائه ..... ص : ٥٦٧

قال ابن عبد البرّ رحمه اللّه: إنّها أسلمت فأعطاها ثلاثة أعبد و جارية، و نعما و شاء، و هذا منه صلّى اللّه عليه و سلم صلة لرحمه، لأنّ الرضاع له حكم النسب و القرابة. انتهى

خفاجى، و على قارى: كلاهما على «الشفاء» للقاضى عياض.

(و قال أبو الطّفيل)- بضمّ الطاء المهملة، و فتح الفاء- منقول من مصغّر الطّفل، جعل علما لعامر بن واثلة- بالتاء المثلاثة- الكنانى الصحابى آخر من مات

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٦١١

رأيت النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم و أنا غلام، إذ أقبلت امرأة حتّى دنت منه، فبسط لها رداءه، فجلست عليه، فقلت: من هذه؟ قالوا: أمّه الّتى أرضعته.

من الصّحابة على الإطلاق، كان مولده عام واحد من الهجرة، و وفاته سنة مائة من الهجرة، روى أربعة أحاديث. قال بعضهم: آخر من مات من الصّحاب لهأبو الطّفيل عامر بن واثلة و قد روى هذا الحديث أبو داود فى «سننه» بسند حسن؛ كما قال الخفاجىّ، أو صحيح؛ كما قال ملا على قارى؛ كلاهما فى «شرح الشفاء»؛ عن أبى الطّفيل المذكور قال:

(رأيت النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم) أى: و كان جالسا [ذات] يوم بالجعرانة يقسم لحما؛

(و أنا غلام) فى «كفاية المتحفّظ»: الغلام- عند بعض أهل اللغة-: الصبىّ إذا فطم إلى سبع سنين، ثم يصير يافعا إلى عشر حجج. و قد يطلق الغلام على الشابّ التامّ الرجولية. و المراد هنا الأوّل.

(إذ أقبلت امرأة حتّى دنت منه) أى: قربت من مكانه الجالس فيه، (فبسط لها رداءه)؛ تكريما لها. (فجلست عليه) أى: بأمره.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(فقلت [لمن عنده]: من هذه؟ قالوا: أمّه الّتى أرضعته) فقيل: هى حليمة. و قيل: ثويبة. قال الحافظ الدّمياطىّ: لا يعرف لحليمة صحبة؛ و لا إسلام، و زوجها لا نعرف له صحبة؛ و لا إسلاما،

و ما قاله ابن عبد البرّ من «أنّها أتته صلّى اللّه عليه و سلم يوم حنين، و بسط لها رداءه، و روت عنه، و روى عنها عبد اللّه بن جعفر!! لم يصحّ، و ابن جعفر لم يدركها، و إنّما التى جاءته هى بنتها الشّماء.

و أمّا حليمة!! فإنّها جاءته صلّى اللّه عليه و سلم بمكّة قبل النبوة فى زمن خديجة رضى اللّه عنها؛ فأعطاها أربعين شاة و جملا، ثم انصرفت لأهلها.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۱۲

و عن عمرو بن السّائب: أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم كان جالسا يوما، ...

و ما هنا يقتضى مجيئها له صلّى اللّه عليه و سلم بعد النبوة بالجعرانة بعد انقضاء حرب هوازن؛ و مجىء وفدهم!! و ليس كذلك، إنّما هى ابنتها. و جوّز الذهبىّ رحمه اللّه تعالى أن تكون المرأة التى جاءته ثويبة مولاة أبى لهب الآتى ذكرها.

و يردّه أنّها ماتت سنة: سبع؛ قبل هوازن، و لما فتح مكة سأل عنها ابنها مسروحا فأخبره بموتها. و صحّح بعضهم خلافه؛ ذكره ابن الجوزى فى «الوفا».

و صنّف الحافظ مغلطاى جزءا فى إسلامها سمّاه «النعمة الجسيمة فى إثبات إسلام حليمة». و أيّده و ارتضاه علماء عصره، و ممّن أنكره أبو حيّان النحوى.

و اللّه أعلم.

و صحّح ابن حبّان و غيره ما يدلّ على إسلام حليمة. انتهى من «شرح الشفاء».

قلت: و ابن عبد البرّ و ابن حبّان كلّ منهما أجلّ من الحافظ الدمياطى، فالراجح عندى ما قاله ابن عبد البرّ؛ من إثبات إسلامها، و هو الذى اعتمده الحافظ مغلطاى. و أيّده علماء عصره؛ لا سيما و قد ذكرها الحافظ ابن حجر العسقلانى فى «الإصابة» فى الصحابيات أهل القسم الأول. و اللّه أعلم.

(و عن عمرو بن السّائب)؛ كذا فى «الشفاء»: عمرو- بالواو- و هو ابن راشد المصرى «مولى بنى زهرة» تابعىّ. ذكره الحافظ عبد الغنى فى «إكماله» فيمن اسمه عمرو، و وهّمه الحافظ المزّىّ؛ و قال: اسمه عمر- بضم العين-.

قال الحلبى: و هو غلط صريح صوابه عمر بن السائب- بضم العين؛ و حذف الواو-

و هو يروى عن أسامة بن زيد و جماعة، و عنه الليث، و ابن لهيعة، و عمرو بن الحارث و غيرهم؛ ذكره ابن حبّان فى «الثقات».

و الحديث رواه أبو داود مرسلا عنه أنّه بلغه (أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم كان جالسا يوما

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۱۳

فأقبل أبوه من الرّضاعة، فوضع له بعض ثوبه، فقعد عليه. ثمّ أقبلت أمّه، فوضع لها شقّ ثوبه من جانبه الآخر، فجلست عليه. ثمّ أقبل أخوه من الرّضاعة، فقام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فأجلسه بين يديه.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يبعث إلى ثويبة- مولاة أبى لهب- ..

فأقبل أبوه من الرّضاعة)؛ هو: الحارث بن عبد العزّى- و قد تقدّم الكلام فيه و فى إسلامه- (فوضع له) صلى اللّه عليه و سلم (بعض ثوبه) و فرشه له فى الأرض ليجلس عليه، (فقعد عليه، ثمّ أقبلت أمّه)؛ أى: حليمة، (فوضع لها شقّ)- بكسر الشين المعجمة- أى: طرف (ثوبه من جانبه الآخر؛ فجلست عليه؛ ثمّ أقبل أخوه من الرّضاعة) و هو عبد اللّه بن الحارث المذكور، (فقام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فأجلسه بين يديه) يعنى:

أنّه أجلس أباه عن يمينه و فرش له جانبا من ثوبه، و أجلس أمّه حليمة عن يساره و فرش تحتها جانبا من ثوبه؛ إكراما لها، فلما قدم

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

أخوه- و هو عبد اللّه بن الحارث بن عبد العزّى- لم يبق جانب من ثوبه يفرشه، فقام له صلّى اللّه عليه و سلم لئلا يقصّر فى توقيره عن أبويه!!

و فيه دليل على أنّه يجوز القيام تعظيما لمن يستحقّ التعظيم؛ خلافا لمن قال «إنّه مكروه مطلقا»!!

و للنبيّ صلّى اللّه عليه و سلم عدّة مرضعات؛ منها حليمة هذه، و ثويبة مولاة أبى لهب الآتية، و خولة بنت المنذر بن زيد بن لبيد، و أمّ أيمن، و ثلاث نسوة من سليم؛ تسمّى كلّ واحدة منهنّ «عاتكة»، و هو أحد القولين فى قوله صلّى اللّه عليه و سلم: «أنا ابن العواتك» و قيل: إنّهنّ جدّات له.

و معنى عاتكة: متضمّخة بالطيب؛ قاله الخفاجى.

(و كان صلّى اللّه عليه و سلم يبعث) أى: يرسل من المدينة إلى مكة (إلى ثويبة)- بضمّ مثلّثة و فتح واو، فسكون تحتيّة فموحّدة- (: مولاة أبى لهب)- بفتح الهاء- أى: جارية عتيقة لأبى لهب، و هذه كنيته، و اسمه عبد العزّى، و كنّى «أبا لهب»! لتوقّد

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۱۴

مرضعته بصلة و كسوة، فلمّا ماتت .. سأل: «من بقى من قرابتها؟»، فقيل: لا أحد).

لونه، و ذكر بهذه الكنية فى القرآن!! للإشارة إلى أنّه جهنّميّ.

(مرضعته) صلى اللّه عليه و سلم؛ و هو بالجرّ بدل، أو عطف بيان من ثويبة (بصلة)- بكسر الصاد المهملة- أى: نفقة (و كسوة)- بكسر الكاف- أى: ثياب تلبسها.

(فلمّا ماتت) بمكّة بعد هجرته عليه الصلاة و السلام (سأل: «من بقى) أى:

عمن بقى (من قرابتها؟»)؛ فهو منصوب بنزع الخافض، أو تقديره.

و قال: من بقى من قرابتها!! فهى إمّا موصولة؛ أو استفهامية.

(فقيل: لا أحد) أى: ما بقى منهم أحد، و ما ذكر من حسن الوفاء وصلة الرحم. و فيه من مكارم أخلاقه و حسن عهده صلّى اللّه عليه و سلم ما لا يخفى.

و هذا الحديث رواه ابن سعد؛ عن الواقدى؛ عن غير واحد من أهل العلم.

و فى «الروض الأنف» كان يصلها من المدينة، فلما فتح مكّة؛ سأل عنها و عن ابنها «مسروح»؟ فقيل: ماتا.

و أما إرضاع ثويبة له صلّى اللّه عليه و سلم!! فثابت فى «الصحيحين»، و هى أوّل من أرضعته مع ابنها مسروح؛ المتقدّم ذكره قبل حليمة، و أرضعت قبله عمّه حمزة، و أبا سلمة.

و اختلف فى إسلامها! فأثبته بعضهم، و عدّها فى الصحابة، و أنكره أبو نعيم، و كان أبو لهب أعتقها لما بشّرته بولادة النبى صلّى اللّه عليه و سلم و رؤى فى المنام؛ و هو يقول:

خفّف عنّى العذاب بإعتاقى ثويبة لمّا بشرتنى به.

و فى السّير أنّه أعتقها قبل ولادته بدهر طويل. انتهى خفاجى، و ملا على قارى؛ على «الشفاء».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۱۵

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يستفتح و يستنصر بصعاليك المسلمين.

و كان له صلّى اللّه عليه و سلّم عبيد و إماء، و كان لا يرتفع عليهم فى مأكل و لا ملبس.

(و) أخرج ابن أبى شيبة فى «مصنفه»، و الطبرانى فى «الكبير»- قال فى العزيزى: إنّه حديث حسن- عن أميّة بن خالد بن عبد اللّه بن أسد الأموى يرفعه.

و قال المنذرى: رواته رواة الصحيح، و هو مرسل. انتهى.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و قال الحافظ الهیثمی: رواه الطبرانی بإسنادین أحدهما رجاله رجال الصحیح. انتهی، لکن الحدیث مرسل، و أمیّة المذکور لم یخرّج له أحد من الستّة. و رواه عنه أیضا البغوی فی «شرح السنة».

و قال ابن عبد البرّ: لا یصحّ عندی و الحدیث مرسل.

و فی «تاریخ ابن عساکر» أنّ أمیّة هذا تابعیّ ثقة، ولّاه عبد الملک خراسان.

قال الذهبیّ فی «مختصره»: و الحدیث مرسل.

و قال ابن حبان: أمیّة هذا یروی المراسیل، و من زعم أنّ له صحبة!! فقد و هم، و قال فی «الاستیعاب»: لا یصحّ عندی صحبته.

و فی «أسد الغابة»: الصحیح لا صحبة له، و الحدیث مرسل.

و فی «الإصابة»: لیس له صحبة و لا رؤیة. قاله المناوی علی «الجامع الصغیر».

(کان صلّی اللّه علیه و سلم یستفتح و یستنصر) أی: یطلب النصر و الفتح (بصعالیک المسلمین) أی: بدعاء فقرائهم لقربه من الإجابة، بسبب انکسار قلوبهم لخلوّ أیدیهم من الأموال.

(و) فی «کشف الغمّة» ک «الإحیاء»:

(کان له صلّی اللّه علیه و سلم عبید و إماء. و کان لا یرتفع علیهم فی مأکل و لا ملبس).

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶۱۶

و کان صلّی اللّه علیه و سلّم یأکل مع خادمه.

و کان صلّی اللّه علیه و سلّم یجلس مع الفقراء.

روی: محمد بن سعد فی «الطبقات»؛ من حدیث سلمی؛ قالت: کان خدم النبی صلّی اللّه علیه و سلم أنا، و خضرة، و رضوی، و میمونة بنت سعد؛ أعتقهنّ کلّهن. و إسناده ضعیف.

و روی أیضا: أن أبا بکر بن حزم کتب إلی عمر بن عبد العزیز بأسماء خدم النبی صلّی اللّه علیه و سلم فذکر برکة «أم أیمن»، و زید بن حارثة، و أبا کبشة، و آنسة، و شقران، و ثوبان، و سفینة، و رباحا، و یسارا، و أبا رافع، و أبا مویهبة، و رافعا؛ أعتقهم کلّهم، و فضالة، و مدعما، و کرکرة.

و لمسلم من حدیث أبی الیسر: «أطعموهم ممّا تطعمون، و ألبسوهم ممّا تلبسون» ... الحدیث.

(و) أخرج أبو بکر بن الضّحاک فی «الشمائل»؛ من حدیث أبی سعید الخدری بإسناد ضعیف:

(کان صلّی اللّه علیه و سلم یأکل مع خادمه)؛ تواضعا للّه و جبرا لخاطره.

(و) فی «کنوز الحقائق»- و رمز له برمز أبی داود-: (کان صلّی اللّه علیه و سلم یجلس مع الفقراء)، و یجتنب مجالسة الأغنیاء، و یقول: «اتّقوا مجالسة الموتی».

روی أبو داود؛ من حدیث أبی سعید: جلست فی عصابة من ضعفاء المهاجرین، و إنّ بعضهم لیستتر ببعض من العری!! و فیه؛ فجلس رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم وسطنا لیعدل بنفسه فینا ... الحدیث.

و لابن ماجه؛ من حدیث خبّاب: و کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم یجلس معنا ...

الحدیث فی نزول قوله تعالی وَ لا تَطْرُدِ الَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ [۵۲/ الأنعام] ... الآیة و إسنادهما حسن.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶۱۷

و کان صلّی اللّه علیه و سلّم یواکل الفقراء و المساکین، و یفلی ثیابهم.

و کان صلّی اللّه علیه و سلّم یخیط ثوبه، و یخصف نعله، و یعمل ما یعمل الرّجال فی بیوتهم.

(و) فی «کشف الغمّة»: (کان صلّی اللّه علیه و سلم یواکل الفقراء و المساکین) الفرق بین المسکین و الفقیر مشهور فی مبحث الزکاة،

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

إلّا أنّ كلّا منهما يطلق على الآخر من غير فرق فى العرف، و المسكين- بكسر الميم و فتحها- مأخوذ من السكون، و يكون بمعنى المتذلّل الخاضع، و منه قوله صلّى اللّه عليه و سلم: «اللّهمّ؛ أحينى مسكينا، و أمتنى مسكينا».

و لا يجوز أن يطلق على النبى صلّى اللّه عليه و سلم أنّه فقير أو مسكين، و إن أطلقه على نفسه الشريفة؛ قاله العلّامة الشهاب الخفاجى على «الشفاء».

روى البخارىّ؛ من حديث أبى هريرة رضى اللّه عنه قال: و أهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل و لا مال، و لا على أحد؛ إذا أتته صدقة بعث بها إليهم؛ و لم يتناول منها، فإذا أتته هديّة أرسل إليهم و أصاب منها، و أشركهم فيها.

(و يفلى)- بفتح فسكون- مضارع فلى؛ ثلاثيا. (ثيابهم) أى: يزيل منها القمل. و هذه الجملة لم أجدها فى غير «كشف الغمّة»!!.

(و) أخرج الإمام أحمد، و ابن سعد، و أبو الشيخ و صحّحه، و ابن حبّان؛ عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت:

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم يخيط)- بفتح المثناة التحتية و كسر الخاء المعجمة- (ثوبه)، و رواية أبى الشيخ و ابن سعد: و يرقع الثوب، (و يخصف)- بكسر الصاد المهملة- (نعله)؛ أى: يخرز طاقا على طاق.

قال فى «مختصر النهاية»: و خصف النعل خرزها.

(و يعمل ما يعمل الرّجال فى بيوتهم) من الاشتغال بمهنة الأهل و النفس؛ إرشادا للتواضع و ترك التكبّر، لكنه مشرّف بالوحى و النبوة، مكرّم بالمعجزات و الرسالة.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۱۸

و عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها: أنّه قيل لها: ما ذا كان يعمل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى بيته؟ قالت: كان بشرا من البشر، يفلى ثوبه، ...

و فيه أنّ الإمام الأعظم يتولّى أموره بنفسه، و أنّه من دأب الصالحين.

(و) أخرج الإمام أحمد، و الترمذىّ فى «الشمائل»- و اللفظ لها-، و أبو نعيم فى «الحلية»: كلهم؛

(عن عائشة) أمّ المؤمنين (رضى اللّه تعالى عنها؛ أنّه قيل لها)؛ أى: قال لها بعضهم (: ما ذا كان يعمل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فى بيته؟.

قالت: كان بشرا من البشر)، ذكرت ذلك تمهيدا لما تذكره بعد؛ الذى هو محطّ الجواب، و دفعت بذلك ما رأته من اعتقاد الكفّار أنّه لا يليق بمنصبه أن يفعل ما يفعله غيره من العامّة، و إنّما يليق أن يكون كالملوك الذين يترفّعون عن الأفعال العاديّة؛ تكبرا! وَ قالُوا ما لِهذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ وَ يَمْشِي فِي الْأَسْواقِ [۷/ الفرقان] فقالت: إنّه كان خلقا من خلق اللّه تعالى. أى: واحدا من بنى آدم؛ يعتريه ما يعتريهم من الاحتياج إلى المأكل و المشرب، و المشى فى السوق، و المحن و الضرورات.

(يفلى)- بفتح المثناة التحتية و سكون الفاء؛ بعدها لام مكسورة، و آخره ياء تحتية، مضارع «فلى» ثلاثيا؛ كما ضبطه غير واحد، بزنة: رمى يرمى. و يجوز [يفلى] ضمّ أوّله و سكون ثانيه مخفّفا، أو [يفلّى] فتحه مثقّلا-

(ثوبه) أى: يفتّشه ليلتقط ما فيه مما علق فيه من نحو شوك، أو ليرقع ما فيه؛ من نحو خرق، لا نحو قمل، لأن أصل القمل من العفونة؛ و لا عفونة فيه! و أكثره من العرق، و عرقه طيب!! و لذلك ذكر ابن سبع- و تبعه بعض شرّاح «الشفاء» أنّه لم يكن فيه قمل، لأنه نور، و من قال «إنّ فيه قملا»؟! فهو كمن نقصه، و قيل: إنه كان فى ثوبه قمل و لا يؤذيه. و إنّما كان يلتقطه!! استقذارا له؛ كذا قرّره الباجورىّ على «الشمائل».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۱۹

و يحلب شاته، و يخدم نفسه.

و قال المناوى فى شرح «الجامع الصغير»: و من لازم التفلّى وجود شىء يؤذى فى الجملة؛ كبرغوث و قمل، فدعوى أنّه لم يكن القمل

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

يؤذيه؛ و لا الـذباب يعلوه دفعت بـذلك، و محاولة الجمع ب «أن ما علق بثوبه من غيره؛ لا منه»!! ردّت بأنّه نفى أذاه، و أذاه غذاؤه من البدن، و إذا لم يتغذّ لم يعش، انتهى. و من ثمّ قال الزرقانى؛ كالمناوى: ظاهره أنّ القمل يؤذيه. لكن قال ابن سبع ... إلى آخر ما تقدّم عن الباجورى.

(و يحلب)- بضمّ اللّام و يجوز كسرها- (شاته، و يخدم)- بضمّ الدال و تكسر- (نفسه) عطف عامّ على خاصّ. و نكتته الإشارة إلى أنّه كـان يخـدم نفسه عمومـا و خصوصـا، و هـذا يتعيّن حمله على أنّه كـان يفعـل ذلـك فى بعض الأوقات؛ لا دائما، فإنّه ثبت أنّه كان له خدم، فتارة يكون بنفسه، و تارة بغيره، و تارة بالمشاركة.

و فيه نـدب خدمـة الإنسـان نفسه، و أنّه لا يخـلّ بمنصـبه؛ و إن جـلّ. انتهى؛ قـاله الزرقـانى على «المواهب». و ذكر مثله المنـاوىّ على «الجامع الصغير».

و قال ملا على قارى فى «جمع الوسائل»- بعد قوله «يخدم نفسه»-: إنّه فسّر بصبّ الماء فى الوضوء و الغسل على الأعضاء. انتهى.

قال المناوى فى «شرح الشمائل»: و فيه الترغيب فى التواضع، و ترك التكبر، و خدمة الرجل نفسه و أهله. و لذا قال أمير المؤمنين علىّ بن أبى طـالب لأمير المؤمنين عمر بن الخطّـاب: يـا أمير المؤمنين؛ إن سـرّك أن تلحق بصاحبيك؛ فارفع القميص، و أنكس الإزار، و اخصف النعل، و أقصر الأمل، و كل دون الشبع؛ تلحق بهما.

و قد نظم معنى ذلك الحافظ العراقىّ حيث قال:

يخصف نعله يخيط ثوبهيحلب شاته، و لن يعيبه

يخدم فى مهنة أهله كمايقطع بالسّكّين لحما قدما

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۲۰

و عن أنس رضى اللّه تعالى عنه قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أوسع النّاس خلقا، و كان إذا دخل بيته يكون أكثر عمله فيه الخياطة، و كان يصنع كما يصنع آحاد النّاس، يشيل هذا، و يحطّ هذا، و يقمّ البيت، و يقطّع اللّحم، و يعين الخادم.

(و عن أنس رضـى اللّه تعالى عنه؛ قال: كان رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلم أوسع النّاس خلقا)- بضـمّتين- أى: بشرا و طلاقة وجه و إبداء سرور.

(و كان إذا دخل بيته يكون أكثر عمله فيه الخياطة).

روى ابن سعد فى «طبقـاته»؛ عن عائشـة رضـى اللّه تعـالى عنها: أنّه كان يرقع ثوبه و يعمل ما يعمل الرجال فى بيوتهم، و فى روايـة له عنها: يعمل عمل البيت، و أكثر ما يعمل الخياطة. انتهى.

و فيه أنّ الخياطة صنعة لا دناءة فيها، و أنّها لا تخلّ بالمروءة؛ و لا بالمنصب.

(و كان يصنع) فى بيته (كما يصنع آحاد النّاس) فى بيوتهم.

ثم فصّل بعض ما يفعله فى البيت؛ فقال: (يشيل هذا) المتاع المحتاج إليه، (و يحطّ هذا) المتاع الذى انتهت منه الحاجة. (و يقمّ)- بضمّ القاف و كسرها و تشديد الميم- (البيت) أى: يكنسه و يزيل قمامته.

(و يقطع اللّحم). قـال الحافظ العراقى: رواه الإمام أحمـد؛ من حـديث عائشـة رضـى اللّه عنها: أرسل إلينا آل أبى بكر بقائمـة شاة ليلا، فأمسكت و قطع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم. أو قالت: فأمسكه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و قطعنا.

و فى «الصحيحين»؛ من حديث عبد الرحمن بن أبى بكر فى أثناء حديث:

و ايم اللّه؛ ما من الثلاثين و مائة إلّا حزّ له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم من سواد بطنها. انتهى «شرح الإحياء».

(و يعين الخادم)؛ مملوكا أو غيره، و هو يشمل الذكر و الأنثى.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۲۱

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يركب الحمار، و يخصف النّعل، و يرقع القميص، و يلبس الصّوف، و يقول: «من رغب عن سنّتى .. فليس منّى».

(و) أخرج ابن عساكر فى «تاريخه»، و أبو الشيخ فى «كتاب الأخلاق»:

كلاهما؛ عن أبى أيوب الأنصارى، و فى سنده راويان ضعيفان:

(كان صلّى اللّه عليه و سلم يركب الحمار)، زاد ابن سعد فى رواية: عريا؛ ليس عليه شىء.

و ذلك- مع ما فيه من غاية التواضع- إرشاد للعباد، و بيان أنّ ركوبه لا يخلّ بمروءة و لا رفعة، بل فيه غاية التواضع و كسر النّفس.

(و يخصف)- بفتح المثناة التحتية- (النّعل) أى: يصلحها بترقيع و خرز.

(و يرقع)- بالقاف؛ من باب قطع- (القميص) أى: يجعل مكان القطع خرقة من نوعه؛ و من غير نوعه.

(و يلبس)- بفتح الموحّدة- يقال: لبس الثوب يلبس- بفتح الباء الموحّدة؛ فى المضارع، و كسرها فى الماضى-، و يقال لبس يلبس- بفتح الموحّدة فى الماضى، و كسرها فى المضارع؛ بمعنى خلط-.

و قد نظم الفرق بينهما بعضهم؛ فقال:

لعين مضارع فى لبس ثوب أتى فتح، و فى الماضى بكسر

و فى خلط الأمور أتى بعكس لعينهما فخذه بغير عسر (الصّوف)؛ رداء و إزارا و عمامة. (و يقول) منكرا على من ترفّع عن ذلك: «هذه سنّتى، و (من رغب عن سنّتى)- أى: طريقتى و هديى- (فليس منّى)»؛ أى: من العاملين بطريقتى السالكين منهجى، و هذه سنّة الأنبياء قبله أيضا.

روى الحاكم، و البيهقىّ فى «الشعب»؛ عن ابن مسعود: كانت الأنبياء يستحبّون أن يلبسوا الصوف، و يحلبوا الغنم، و يركبوا الحمر.

و قال عيسى عليه الصلاة و السلام: بحقّ أقول: إنّه من طلب الفردوس فغذاء الشعير له، و النوم على المزابل مع الكلاب كثير.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۲۲

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يعقل البعير، و يعلف ناضحه، و يأكل مع الخادم، و يعجن معها، و يحمل بضاعته من السّوق.

و فيه ندب خدمة الرجل نفسه، و أنّه لا دناءة فى ذلك.

(و) فى «الشفاء»: (كان صلّى اللّه عليه و سلم يعقل)- بكسر القاف؛ بوزن يضرب- (البعير)؛ أى: يربطه فى رجله بالعقال؛ و هو ما يعقل به من الحبال.

(و يعلف)- بكسر اللام- (ناضحه)- بنون و ضاد معجمة و حاء مهملة- أى:

بعيره الذى يستقى عليه الماء.

(و يأكل مع الخادم) الخادم: متعاطى الخدمة؛ ذكرا كان أو أنثى، حرّا أو عبدا، و أكل الإنسان مع خادمه سنّة.

قال القاضى زكريا؛ فى «شرح الروض»: السنّة أن يجلس خادمه للأكل معه، و يلبسه من لباسه، فإن أبى فليناوله مما يأكله.

و من الغريب ما نقل عن الشافعى: أنّه واجب للأمر به فى الحديث. و فيه نظر!!

(و يعجن معها) الضمير للخادم، لأنّه يطلق على الأنثى- كما مرّ-، و العجين من عمل النساء غالبا، (و يحمل بضاعته)- بكسر الموحّدة-: ما يشتريه (من السّوق) إلى محلّه فى بعض أوقاته، إذ ثبت أنّه عليه الصلاة و السلام كان له خدم يقومون بما له من المرام.

و فى ذلك دلالة على أنّه صلّى اللّه عليه و سلم كان يدخل السوق، قالوا: و هو عادة الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، قال اللّه تعالى وَ ما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعامَ وَ يَمْشُونَ فِي الْأَسْواقِ [۲۰/ الفرقان] و كذا كان دأب الصحابة رضى اللّه تعالى عنهم.

و لا ينافيه: «أحبّ البقاع إلى اللّه تعالى المساجد، و أبغضها إلى اللّه الأسواق»!! لأن المراد بغض ما فيها، أو النهى عن الجلوس فيها من

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

غیر حاجة.

انتهی «خفاجی، و قاری».

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶۲۳

و (النّاضح): البعیر یستقی علیه، ثمّ استعمل فی کلّ بعیر.

و عن أبی هریرة رضی اللّه تعالی عنه: دخلت السّوق مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، فاشتری سراویل و أخذه، فذهبت لأحمله، فقال: «صاحب الشّیء أحقّ بشیئه أن یحمله».

(و النّاضح)- بالنون و الضاد المعجمة و الحاء المهملة آخره- هو (: البعیر یستقی علیه) الماء، و الأنثی ناضحة؛ بالهاء.

سمّی ناضحا!! لأنّه ینضح العطش. أی: یبله بالماء الذی یحمله؛

هذا أصله، (ثمّ استعمل) الناضح (فی کلّ بعیر)؛ و إن لم یحمل الماء، و جمعه: نواضح.

(و) أخرج الطبرانیّ فی «الأوسط»، و أبو یعلی فی «مسنده»- بسند ضعیف جدّا- (عن أبی هریرة رضی اللّه تعالی عنه) قال:

(دخلت السّوق) یوما؛ (مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم) فجلس إلی البزازین؛ (فاشتری سراویل) بأربعة دراهم. و سراویل فارسی معرب، یذکّر و یؤنّث، و لم یعرف فیه الأصمعیّ إلّا التأنیث. و جمعه سراویلات. و الأشهر عدم صرفه.

و کان لأهل السوق وزّان، فقال له: «زن و أرجح».

(و أخذه) أی: أخذ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم السراویل. قال أبو هریرة:

(فذهبت) أی: قصدت (لأحمله) عنه؛ (فقال) صلی اللّه علیه و سلم لأبی هریرة (: «صاحب الشّیء أحقّ بشیئه)- أصله بالهمزة، قلبت یاء و أدغمت فیها الیاء- أی: بمتاعه المختصّ به (أن یحمله»). أی: أحقّ بحمله، لأنّه أبقی علی تواضعه، و أنفی لکبره و تمام الحدیث- بعد قوله «أن یحمله»-: «إلّا أن یکون ضعیفا؛ فیعجز عنه فیعینه أخوه المسلم». فقلت: یا رسول اللّه؛ إنّک لتلبس السراویل. قال: أجل فی السّفر و الحضر، و باللیل و النهار، فإنّی أمرت بالستر، فلم أجد أستر منه. انتهی.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶۲۴

....

و کذا أخرجه ابن حبّان فی «الضعفاء»؛ عن أبی یعلی، و الدارقطنی فی «الأفراد»، و العقیلی فی «الضعفاء»، و مداره علی یوسف بن زیاد الواسطی؛ و هو و شیخه ضعیفان.

بل بالغ ابن الجوزیّ فذکر الحدیث هذا فی «الموضوعات»!! و تعقّبه السیوطیّ، و اقتصر الحافظ ابن حجر و غیره علی أنّه ضعیف فقط. لکن صحّ شراء النبیّ صلّی اللّه علیه و سلم للسراویل من غیر هذا الطریق، فقد روی الإمام أحمد، و أصحاب «السنن الأربعة»، و صحّحه ابن حبّان؛ عن سوید بن قیس قال: جلبت أنا و مخرمة العبد بزّا من هجر، فأتینا مکّة، فجاءنا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم و نحن بمنی فتساومنا سراویل؛ فبعناه منه فوزن ثمنه، و قال للوزّان: «زن و أرجح».

و روی النّسائیّ، و أحمد؛ عن أبی صفوان: مالک بن عمیرة الأسدی: أنّه باع من النبی صلّی اللّه علیه و سلم قبل أن یهاجر رجل سراویل؛ فلما وزن له أرجح له، و هذه القصّة غیر التی ساقها المصنف، لأنّها بعد الهجرة، إذ أبو هریرة إنما جاء فی خیبر!!.

و اختلف العلماء: هل لبس النبی صلّی اللّه علیه و سلم السراویل؛ أم لا!! فجزم بعض العلماء بأنّه لم یلبسه، و لکن اشتراه، و یستأنس له بما جزم به النّوویّ فی «ترجمة عثمان بن عفان»؛ من کتاب «تهذیب الأسماء و اللغات»: أنه رضی اللّه عنه لم یلبس السراویل فی جاهلیة و لا إسلام إلّا یوم قتله؛ مخافة أن تظهر عورته، فإنّ الصحابة رضی اللّه عنهم کانوا أحرص شیء علی اتباعه صلّی اللّه علیه و سلم.

و فی «الهدی النبوی» لابن القیّم: الظاهر أنّه إنما اشتراه لیلبسه.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

قال الحافظ ابن حجر: و ما كان ليشتريه عبثا، و إن كان غالب لبسه الإزار!! و يحتمل أنّه اشتراه لغيره! و فيه بعد. و كانوا يلبسونه فى زمانه، و بإذنه، بل قال الشامىّ: يؤيّد ابن القيّم أن البيهقى فى «الشعب»، و ابن الجوزى فى «الوفاء» و غيرهما من العلماء أوردوا الحديث فى «باب ما كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يلبسه».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۲۵

و عن أنس رضى اللّه تعالى عنه قال: لم يكن شخص أحبّ إليهم من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، قال: و كانوا إذا رأوه .. لم يقوموا؛ لما يعلمون ...

و قد ترجم البخارى فى «كتاب اللباس»؛ من «صحيحه» باب السراويل، و أورد فيه حديث المحرم: «لا تلبسوا القمص و لا السّراويل ...» الحديث، لكونه لم يرد فيه شىء على شرطه، فاكتفى بما دلّ عليه الحديث: أنّ الحلال يجوز له لبس السراويل.

و روى أبو نعيم؛ عن أبى هريرة مرفوعا: «أوّل من لبس السّراويل إبراهيم الخليل». قيل: و لذا كان أوّل من يكسى يوم القيامة؛ كما فى «الصحيحين».

و روى الترمذىّ؛ و قال غريب، عن ابن مسعود رفعه: «كان على موسى يوم كلّمه ربّه كساء صوف، و كمّة صوف، و جبّة صوف، و سراويل صوف، و كانت نعلاه من جلد حمار ميت». و الكمّة- بالضمّ-: القلنسوة الصغيرة. صحّحه الحاكم و ردّه المنذرىّ. انتهى من «شرح المواهب» و «شرح الشفاء». و قد تقدّم الكلام على السراويل فى «اللباس».

(و) أخرج الترمذىّ فى «الشمائل» بسنده (عن أنس) بن مالك (رضى اللّه تعالى عنه؛ قال: لم يكن شخص أحبّ) أى: أكثر محبوبيّة (إليهم) أى: إلى الصحابة (من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم)، لأنّه أنقذهم من الضلالة، و هداهم إلى السعادة، حتى قال عمر: يا رسول اللّه؛ أنت أحبّ إلىّ من كلّ شىء إلّا من نفسى.

فقال صلّى اللّه عليه و سلم: لا يكمل إيمانك حتّى أكون أحبّ إليك من نفسك». فسكت ساعة، ثم قال: حتّى من نفسى. فقال: «الآن تمّ إيمانك يا عمر».

و قاتلوا معه آباءهم و أبناءهم، فقتل أبو عبيدة أباه، لإيذائه للمصطفى صلّى اللّه عليه و سلم.

و تعرّض أبو بكر لقتل ولده عبد الرحمن يوم بدر ... إلى غير ذلك مما هو مبيّن فى كتب السّير.

(قال) أى أنس (: و كانوا إذا رأوه) أى: مقبلا (لم يقوموا) له (لما يعلمون

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۲۶

من كراهته لذلك.

و أمّا جلوس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم:

فعن خارجة بن زيد رضى اللّه [تعالى] عنه قال: ...

من كراهته لذلك!)، أى: لأجل المعلوم المستقرّ عندهم، و هو كراهته لذلك القيام؛ تواضعا و شفقة عليهم، و خوفا عليهم من الفتنة؛ إذا أفرطوا فى تعظيمه، و إسقاطا لبعض حقوقه المعيّنة عليهم، فاختاروا إرادته على إرادتهم، لكن كان لا يكره قيام بعضهم لبعض، و لذلك قال: «قوموا لسيّدكم» يعنى: سعد بن معاذ سيّد الأوس. فأمرهم بفعله؛ لأنه حقّ لغيره فوفّاه حقّه، و كره قيامهم له! لأنّه حقّه فتركه تواضعا.

و هذا دليل لما عليه محرّر المذهب الإمام محيى الدين النووىّ؛ من ندب القيام لأهل الفضل. و قد قام صلّى اللّه عليه و سلم لعكرمة بن أبى جهل لمّا قدم عليه، و كان يقوم لعدىّ بن حاتم كلما دخل عليه؛ كما جاء ذلك فى خبرين، و هما؛ و إن كانا ضعيفين؛ يعمل بهما فى الفضائل. فزعم سقوط الاستدلال بهما و هم.

و قد ورد أنّهم قاموا لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم!! فيناقض ما هنا.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

إلا أن يقال فی التوفيق: إنّهم إذا رأوه من بعد غير قاصد لهم لم يقوموا له. أو أنه إذا تكرّر قيامه و عوده إليهم لم يقوموا؟! فلا ينافی أنّه إذا قدم عليهم أوّلا قاموا، و إذا انصرف عنهم قاموا. انتهی «باجوری».

(و أمّا جلوس رسول اللّه صلّی اللّه عليه و سلم ف) قد ذكره فی قوله:

(عن خارجة بن زيد) بن ثابت الأنصاریّ المدنی التابعی، أحد فقهاء المدينة السبعة، و قد سبقت ترجمته (رضی اللّه [تعالی] عنه)، فيكون حديثه مرسلا، و هو من «مراسيل أبی داود»؛ كما قال الخفاجی فی «شرح الشفاء».

و ذكره القاضی عياض فی «الشفاء» بسنده من طريق أبی داود صاحب «السنن»؛ (قال): حدّثنا عبد الرحمن بن سلّام؛ قال: حدّثنا حجاج بن

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶۲۷

كان النّبیّ صلّی اللّه عليه و سلّم أوقر النّاس فی مجلسه؛ لا يكاد يخرج شيئا من أطرافه.

و كان مجلسه صلّی اللّه عليه و سلّم مجلس حلم و حياء، و أمانة

محمد بن عبد الرحمن بن أبی الزّناد؛ عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب؛ قال:

سمعت خارجة بن زيد يقول:

(كان النّبیّ صلّی اللّه عليه و سلم أوقر النّاس فی مجلسه) أی: أعظمهم وقارا إذا برز للناس و جلس معهم، بخلاف ما إذا خلا مع أهله، أو مع خاصّته، فإنّه ينبسط معهم و يلاطفهم؛ يعنی: أنّ هذا كان عادته و دأبه صلّی اللّه عليه و سلم بحيث لا يصدر عنه خلافه.

و «كان»؛ و إن كانت بحسب الأصل فعلا ماضيا؛ لكنّها قد تستعمل ۱- للاستمرار نحو وَ كانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِيماً (۹۶) [النساء]، و ۲- للتكرار نحو: كان حاتم يقری الضيف، لقرينة؛ و هو استعمال شائع، و لكثرته عدّه بعض الأصوليين معنی لها، و لم يحقّقه أحد كابن جنی فی كتاب «الخصائص»! فإن أردته؛ فانظره. انتهی «خفاجی».

(لا يكاد يخرج)- بضمّ أوّله مضارع: أخرج- و (شيئا) مفعول، (من أطرافه) أی: أطراف بدنه كرجليه، و لا يكاد يخرج فيه مبالغة، أی: لا يخرج و لا يقرب من الخروج، و لذا عدل عن «لا يخرج» و هو أخصر.

(و) أخرج الترمذیّ فی «الشمائل» من حديث علیّ الطويل:

(كان مجلسه صلّی اللّه عليه و سلم مجلس حلم)- بكسر الحاء، و سكون اللام- و هو: ملكة تورث التّؤدة و عدم العجلة عند حركة الغضب و داعية العقوبة.

(و) مجلس (حياء)- بالمدّ- أی: منهم، فكانوا يجلسون معه علی غاية من الأدب، فكأنّما علی رءوسهم الطير!

(و) مجلس (أمانة)؛ أی: يأمن المتكلّمون فيه علی أسرارهم، فلا ينقل منه ما لا يحبّون إفشاءه؛ كما فی الحديث: «المجالس بالأمانة».

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶۲۸

و صيانة، و صبر و سكينة، لا ترفع فيه الأصوات، و لا تؤبن فيه الحرم، ...

و ورد: «لا إيمان لمن لا أمانة له». رواه الإمام أحمد، و ابن حبّان فی «صحيحه»؛ عن أنس رضی اللّه عنه.

(و) مجلس (صيانة)؛ غير موجود فی «الشمائل»!

(و) مجلس (صبر) منه علی جفائهم (و سكينة)؛ غير موجود فی «الشمائل الترمذية»!

و المراد أنّه مجلس أعمال هذه الأمور، أو مجلس اكتسابها، و ذلک لأنّ مجلسه مجلس تذكير باللّه، و ترغيب فيما عنده من الثواب، و ترهيب مما عنده من العقاب، فترقّ قلوبهم فيزهدون فی الدنيا، و يرغبون فی الآخرة.

(لا ترفع)- بالبناء للمفعول- (فيه) أی: فی مجلسه (الأصوات)؛ أی:

لا يرفع أحد من أصحابه صوته فی مجلسه صلّی اللّه عليه و سلم إلّا بمجادلة معاند، أو إرهاب عدوّ .. و ما أشبه ذلک، لكونه محرّما

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

عليهم؛ لقوله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِي [۲/ الحجرات].

فكانوا رضى اللّه عنهم على غاية من الأدب فى مجلسه صلّى اللّه عليه و سلم.

و أمّا كونه وقع رفع الصوت بحضرته فى قصة الإفك!! فنادر لا يعتدّ به.

(و لا تؤبن)- بضمّ المثناة الفوقيّة، فهمزة ساكنة و تبدل واوا، ففتح الموحّدة المخفّفة، و قد تشدّد مع فتح الهمزة فنون آخره؛ من الأبن- بفتح الهمزة- و هو العيب، يقال أبنه يأبنه- بكسر الباء و ضمّها- أبنا: إذا عابه. أى لا تعاب

(فيه) أى: فى مجلسه (الحرم)- بضمّ الحاء و فتح الراء- جمع حرمة؛ و هى: كلّ ما يحرم هتكه. و أما استعماله بمعنى المرأة!! فعاميّة، و إن كان لها وجه؛ قاله الخفاجى.

و المعنى: لا تعاب فيه حرم الناس بقذف، و لا غيبة و نحوهما، بل مجلسه مصون عن كلّ قبيح.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۲۹

يتعاطفون فيه بالتّقوى، و يتواضعون، و يوقّر الكبار، و يرحم الصّغار، و يؤثرون المحتاج، و يحفظون الغريب، و يخرجون أدلّة على الخير.

قوله: (لا تؤبن فيه الحرم) ...

(يتعاطفون فيه) أى: يعطف بعضهم على بعض، و يشفق عليه و يرحمه (بالتّقوى)؛ أى: بسبب تقوى اللّه لا رياء؛ و لا سمعة، و لا خوفا، و اتقاء شرّ.

فالباء سببيّة، كقوله تعالى رُحَماءُ بَيْنَهُمْ [۲۹/ الفتح].

(و يتواضعون) أى: يتواضع بعضهم لبعض، و لا يتكبر أحد على أحد؛ فيخدمه و يخفض جناحه له، كما قال تعالى أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ [۵۴/ المائدة] و كما قال تعالى أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ [۲۹/ الفتح]

(و يوقّر) فيه (الكبار) عمرا؛ أو قدرا.

(و يرحم) فيه (الصّغار) بمقتضى الشفقة، روى الترمذى فى «جامعه»؛ عن أنس: «ليس منّا من لم يرحم صغيرنا و لم يوقّر كبيرنا».

(و يؤثرون المحتاج) أى: يقدّمونه على أنفسهم فى تقريبه للنّبى صلّى اللّه عليه و سلم ليقضى حاجته منه. (و يحفظون الغريب) من الناس، أى: يراعونه و يكرمونه، و يحفظون حقّه؛ لبعده عن بلاده و أصحابه، و مفارقة أولاده و أحبابه.

(و يخرجون) من عنده (أدلّة)- بالدال المهملة- أى: علماء هداة يدلون الناس (على الخير).

قال المصنّف: (قوله: لا تؤبن)- بضمّ المثناة الفوقية و همزة ساكنة و تبدل واوا؛ من الأبن- بفتح الهمزة- يقال: أبنه يأبنه- بكسر الباء و ضمّها- أبنا: إذا عابه و رماه بقبيح، و أصل الأبن: العقدة فى القسىّ تفسدها و تعاب بها.

(فيه الحرم)- بضمّ الحاء المهملة و فتح الراء المهملة- جمع الحرمة؛ و هى:

ما لا يحلّ انتهاكه و روى بضمّتين بمعنى النساء من الأهل، و ما يحميه الرّجل.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۳۰

أى: لا تذكر فيه النّساء بقبيح، و يصان مجلسه عن الرّفث، و ما يقبح ذكره.

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يجلس بين أصحابه كأنّه أحدهم، فيأتى الغريب فلا يدرى أيّهم هو حتّى يسأل عنه. فطلب أصحابه منه أن يجلس مجلسا رفيعا ليعرفه الغريب فقال: «افعلوا ما بدا لكم»، فبنوا له دكّانا من طين، فكان يجلس عليها.

(أى: لا تذكر فيه النّساء بقبيح) من القول. (و) منه حديث النّهى عن شعر تؤبن فيه النساء، و كذا حديث الإفك «أشيروا علىّ فى أناس أبنوا أهلى». بل كان (يصان مجلسه عن الرّفث) أى: القول الفاحش. (و) عن (ما يقبح)- بضمّ الموحّدة- (ذكره) من لغو القول، و ما لا يليق بمقام الكرام. انتهى ملا على قارى؛ فى «شرح الشفاء» و غيره.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و) فى «كشف الغمّة» و «الإحياء»: (كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يجلس بين أصحابه)؛ مختلطا بهم (كأنّه أحدهم، فيأتى الغريب) من الخارج (فلا يدرى أيّهم هو) صلى اللّه عليه و سلم (حتّى يسأل عنه) الحاضرين؛ فيقول: أيّكم ابن عبد المطلب؟

أو: أيّكم رسول اللّه!؟ فكانوا يقولون: هذا الأبيض المتّكئ.

(فطلب أصحابه منه أن يجلس مجلسا رفيعا) أى: مرتفعا (ليعرفه الغريب) حال دخوله لما يرى من تميّزه فى المجلس؛

(فقال: «افعلوا ما بدا لكم») ممّا يجريه الحقّ على أيديكم.

(فبنوا له دكّانا)- بضمّ الدال المهملة و تشديد الكاف- أى: دكة مرتفعة (من طين، فكان يجلس عليها) صلى اللّه عليه و سلم.

قال العراقى: رواه أبو داود، و النّسائىّ، من حديث أبى هريرة؛ و أبى ذرّ

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۳۱

و (الدّكّان)- كالدّكّة-: المكان المرتفع يجلس عليه، و هو المسطبة «۱».

رضى اللّه تعالى عنهما. انتهى شرح «الإحياء».

(و الدّكّان)- بزنة رمّان- (: كالدّكّة)- بفتح الدّال المهملة؛ فى المعنى- و كلاهما معناهما: (المكان المرتفع) عن الأرض (يجلس عليه).

و فى «المصباح»: الدّكّان يطلق على الحانوت، و على الدّكّة التى يقعد عليها.

قال الأصمعى: إذا مالت النخلة بنى تحتها من قبل الميل بناء كالدّكان فتمسكها بإذن اللّه تعالى أى دكّة مرتفعة.

و قال الفارابى: الطّلل ما شخص من آثار الدار؛ كالدّكان و نحوه.

و أما وزنه!! فقال السّرقسطى: النون زائدة؛ عند سيبويه، و كذلك قال الأخفش. و هى: مأخوذة من قولهم «أكمة دكّاء» أى: منبسطة.

و قال ابن القطّاع و جماعة: هى أصليّة؛ مأخوذة من دكنت المتاع: إذا نضدته. و وزنه على الزيادة فعلان، و على الأصالة فعال؛ حكى القولين الأزهرىّ و غيره.

فإن جعلت الدّكّان بمعنى الحانوت؛ ففيه التذكير و التأنيث. انتهى

(و هو) أى: المكان المرتفع ([المسطبة])- بفتح الميم و تكسر- أى:

يسمّى بذلك عرفا.

(و) أخرج البزّار فى «مسنده»؛ عن قرّة بن إياس- و هو حديث ضعيف؛ كما فى العزيزى-:

---

(۱) فى «وسائل الوصول»: المصطبة. و كلاهما جائز.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۳۲

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا جلس .. جلس إليه أصحابه حلقا حلقا.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم لا يتنخّم نخامة إلّا وقعت فى كفّ رجل من أصحابه، فيدلك بها وجهه و جلده. و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا توضّأ .. كادوا يقتتلون على وضوئه؛ أى: الماء الّذى يتوضّأ به.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا تكلّموا عنده .. يخفضون أصواتهم، و إذا ...

(كان صلّى اللّه عليه و سلم إذا جلس) يتحدّث (جلس إليه أصحابه حلقا حلقا) قال العزيزى:

بكسر الحاء و فتح اللام. و قال المناوى: [حلقا] بفتحتين؛ على غير قياس، واحدته: حلقة- بالسكون-. و الحلقة: القوم الذين يجتمعون متدبّرين، و ذلك لاستفادة ما يلقيه من العلوم و ينشره من الأحكام الشرعية.

(و) أخرج البخارىّ فى «صحيحه»؛ عن مروان بن الحكم، و المسور بن مخرمة فى حديث صلح الحديبية الطويل؛ من كلام عروة بن

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

مسعود الثقفی رضی اللّه عنه:

(کان صلّی اللّه علیه و سلم لا یتنخّم نخامة)- بضمّ النون-: ما یصعد من الصدر إلی الفم (إلّا وقعت فی کفّ رجل) منهم، أی (من أصحابه فیدلک بها) أی: بالنّخامة (وجهه و جلده)؛ تبرّکا بفضلاته. زاد ابن إسحاق: و لا یسقط من شعره شیء إلّا أخذوه.

و فی البخاریّ: و إذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره.

(و کان صلّی اللّه علیه و سلم إذا توضّأ) الأولی حذف «کان، و ما بعدها»، لأنّه من جملة کلام عروة بن مسعود؛ إذ قال: و إذا توضّأ (کادوا یقتتلون علی وضوئه)- بفتح الواو- (أی) فضلة (الماء الّذی یتوضّأ به)، أو علی ما یجتمع من القطرات، و ما یسیل من الماء الذی باشر أعضاءه الشریفة عند الوضوء.

(و کان صلّی اللّه علیه و سلم إذا تکلّموا عنده یخفضون أصواتهم)، إجلالا له و توقیرا. (و إذا

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶۳۳

نظروا إلیه .. لا یحدّون النّظر؛ تعظیما له صلّی اللّه علیه و سلّم.

و کان صلّی اللّه علیه و سلّم یتخوّل أصحابه بالموعظة.

و عن أبی سعید الخدریّ رضی اللّه تعالی عنه قال: ...

نظروا إلیه) صلی اللّه علیه و سلم (لا یحدّون)- بضمّ الیاء المثناة و کسر الحاء المهملة- من الإحداد؛ و هو: شدّة النظر انتهی؛ من «شرح العینی، و زکریا الأنصاری:

کلاهما علی البخاریّ»:

أی: لا یتأمّلونه و لا یدیمون (النّظر) إلیه (تعظیما له صلّی اللّه علیه و سلم).

و هذا من جملة کلام عروة بن مسعود الثقفی رضی اللّه عنه، ثم قال- أی عروة- بعده حین رجع إلی أصحابه؛ مخبرا لهم بما رأی من الصحابة؛ من محبّتهم لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم و إجلالهم و تعظیمهم؛ قال: أی قوم؛ و اللّه لقد وفدت علی الملوک، و وفدت علی کسری و قیصر و النّجاشی، و اللّه إن رأیت ملکا قطّ یعظّمه أصحابه ما یعظّم أصحاب محمّد محمّدا، و اللّه؛ إن تنخّم نخامة إلّا وقعت فی کفّ رجل منهم؛ فدلک بها وجهه و جلده، و إذا أمرهم ابتدروا أمره، و إذا توضّأ کادوا یقتتلون علی وضوئه، و إذا تکلّموا خفضوا أصواتهم عنده، و ما یحدّون إلیه النظر؛ تعظیما له، و إنّه قد عرض علیکم خطّة رشد!! فاقبلوها ... الحدیث.

(و کان صلّی اللّه علیه و سلم یتخوّل)- بفتح المثناة التحتیة و فتح التاء الفوقیة، و الخاء المعجمة و الواو المشدّدة المفتوحة و اللام- أی: یتعهّد (أصحابه بالموعظة) أی: بالنصائح المفیدة؛ مخافة السامة، أی: الملالة علیهم. رواه الشیخان؛ من حدیث عبد اللّه بن مسعود رضی اللّه تعالی عنه قال: کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم یتخوّلنا بالموعظة؛ مخافة السامة علینا.

(و) أخرج أبو داود، و الترمذیّ فی «الشمائل»- و اللفظ لها-، و البزار، و البیهقیّ و إسناده ضعیف: کلهم؛ (عن أبی سعید الخدریّ): سعد بن مالک بن سنان (رضی اللّه تعالی عنه) و عن والده؛ (قال:

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶۳۴

کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم إذا جلس فی المسجد .. احتبی بیدیه. قوله: (احتبی) الاحتباء: أن یجلس علی ألییه و یضمّ رجلیه إلی بطنه بنحو عمامة یشدّها علیهما و علی ظهره.

و (الیدان) بدل عمّا یحتبی به؛ من نحو عمامة.

کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم إذا جلس فی المسجد احتبی بیدیه)

و فی روایة: بثوبه. زاد البزّار: و نصب رکبتیه.

و أخرج البزار أیضا؛ من حدیث أبی هریرة رضی اللّه تعالی عنه بلفظ: جلس عند الکعبة فضمّ رجلیه و أقامها، و احتبی بیدیه. ذکره

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

ملا على قارى.

قال الباجورى؛ كالمناوى: هذا مخصوص بما عدا ما بعد صلاة الفجر، لخبر أبى داود بسند صحيح؛ عن جابر بن سمرة أنّه صلّى اللّه عليه و سلم كان إذا صلّى الفجر تربّع فى مجلسه حتّى تطلع الشمس حسناء. أى: بيضاء نقيّة.

و مخصوص أيضا بما عدا يوم الجمعة و الإمام يخطب، للنهى عنه فى حديث جابر ابن سمرة: «الاحتباء مجلبة للنّوم»، فيفوته سماع الخطيب. و ربما ينتقض وضوءه.

(قوله: احتبى)؛ قال الباجورىّ: (الاحتباء)- بالحاء المهملة- (أن يجلس على ألييه)- بفتح الهمزة- تثنية: ألية؛ و هى: العجيزة، و الجمع أليات مثل سجدة و سجدات، و لا تكسر الهمزة؛ كما قاله ابن السّكّيت و جماعة.

(و يضمّ رجليه إلى بطنه بنحو عمامة يشدّها) أى: العمامة (عليهما)، أى:

على رجليه (و على ظهره). هذا معنى الاحتباء، و هذه كيفيته بحسب الاستعمال الكثير المعروف المألوف؛ و يقال: الحبوة جدار العرب.

(و اليدان) أى: و الاحتباء باليدين (بدل عمّا يحتبى به؛ من نحو عمامة).

قال الحافظ ابن حجر: و الاحتباء جلسة الأعراب، و منه: الاحتباء حيطان العرب. أى: كالحيطان لهم فى الاستناد، فإذا أراد أحدهم الاستناد احتبى، لأنّه لا حيطان فى البرارى، فيكون الاحتباء بمنزلة الحيطان لهم.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٦٣٥

و كان أكثر جلوسه: أن ينصب ساقيه جميعا، و يمسك بيديه عليهما شبه الحبوة. و كان لا يعرف مجلسه صلّى اللّه عليه و سلّم من مجالس أصحابه؛ لأنّه كان حيث انتهى به المجلس جلس.

و ما رئى صلّى اللّه عليه و سلّم قطّ مادّا رجليه يضيّق بهما على أصحابه؛ إلّا أن يكون المكان واسعا.

و كان أكثر جلوسه صلّى اللّه عليه و سلّم إلى القبلة.

(و) فى «كشف الغمّة» ك «الإحياء»: (كان أكثر جلوسه) أى: هيئات جلوسه و حالات قعوده (: أن ينصب ساقيه جميعا، و يمسك بيديه عليهما شبه الحبوة)- بضمّ الحاء و كسرها-، و العامة تقول «حبية».

روى البخارىّ؛ من حديث ابن عمر رضى اللّه تعالى عنهما: رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بفناء الكعبة محتبيا بيديه؛ قاله العراقىّ.

(و كان لا يعرف مجلسه صلّى اللّه عليه و سلم من مجالس أصحابه)؛ لكثرة تواضعه و عدم تميّزه عليهم. روى أبو داود، و النّسائىّ، من حديث أبى هريرة؛ و أبى ذر رضى اللّه تعالى عنهما: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يجلس بين ظهرانى أصحابه؛ فيجىء الغريب؛ فلا يدرى أيّهم هو حتى يسأل ... الحديث. (لأنّه كان حيث انتهى به المجلس جلس). رواه الترمذى فى «الشمائل»؛ من حديث علىّ الطّويل.

(و ما رئى صلّى اللّه عليه و سلم قطّ مادّا رجليه) بين أصحابه (يضيّق بهما على) أحد من (أصحابه؛ إلّا أن يكون المكان واسعا) لا ضيق فيه. قال العراقىّ: رواه الدّارقطنىّ فى «غرائب مالك»؛ من حديث أنس و قال: باطل. و روى الترمذىّ، و ابن ماجه:

لم ير مقدّما ركبتيه بين يدى جليس له. زاد ابن ماجه: «قطّ». و سنده ضعيف.

(و كان أكثر جلوسه صلّى اللّه عليه و سلم إلى القبلة)، و كان يحثّ أصحابه بذلك؛ و يقول:

«أكرم المجالس ما استقبل به القبلة» كما رواه الطبرانىّ فى «الأوسط»، و ابن عدىّ، من حديث ابن عمر رضى اللّه عنهما. انتهى؛ جميعه من «شرح الإحياء».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٦٣٦

و عن قيلة بنت مخرمة رضى اللّه تعالى عنها: أنّها رأت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى المسجد، و هو قاعد القرفصاء، قالت:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

فلمّا رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم المتخشّع ...

(و) أخرج أبو داود، و الترمذى فى «الجامع» و «الشمائل»- و هذا لفظها- و البخارىّ فى «التاريخ»: كلهم؛

(عن قيلة)- بفتح القاف و سكون التحتيّة و لام- (بنت مخرمة)- بفتح الميم و إسكان المعجمة-.

قال فى «الإصابة»: قيلة بنت مخرمة التميمية، ثمّ من بنى العنبر، و منهم من نسبها غنوية؛ فصحّف.

هاجرت إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلم مع حريث بن حسان «وافد بنى بكر بن وائل».

روى حديثها عبد اللّه بن حسّان العنبرى، عن جدّتيه: صفية و دحيبة؛ ابنتى عليبة. و كانتا ربيبتى قيلة، و كانت قيلة جدّة أبيها. أنّها قالت: قدمت على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ... الحديث بطوله أخرجه الطبرانىّ مطوّلا.

و أخرج البخارىّ فى «الأدب المفرد» طرفا منه، و أبو داود طرفا منه أيضا، و الترمذىّ؛ من أول المرفوع إلى قوله «يتعاونان». قال: فذكر الحديث بطوله و قال: لا نعرفه إلّا من حديث عبد اللّه بن حسّان. قال أبو عمر: هو حديث طويل فصيح. و قد شرح حديثها أهل العلم بالحديث؛ فهو حديث حسن. انتهى.

(رضى اللّه تعالى عنها؛ أنّها رأت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فى المسجد) بعد صلاة الصبح. (و هو قاعد القرفصاء)- مثلاثة القاف، و الفاء؛ مقصورة- و القرفصاء بالضمّ ممدودة، و القرفصاء- بضمّ القاف و الراء على الإتباع؛ و هى منصوب مفعول مطلق؛ أى: قعودا مخصوصا. و سيأتى معنى القرفصاء فى كلام المصنّف.

(قالت) أى قيلة (: فلمّا رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم المتخشّع)- بالتشديد- أى:

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۳۷

فى الجلسة «۱» .. أرعدت من الفرق.

قوله: (القرفصاء) ...

الخاشع خشوعا تامّا (فى الجلسة) أى: فى هيئة جلسته تلك و كيفية قعدته المتضمّنة إظهار عبوديّته؛ فهو خافض الطرف و الصوت، ساكن الجوارح؛ لا- على هيئة جلوس الجبّارين المتكبّرين؛ من التربّع، و التمدّد، و الاتكاء، و رفع الرأس، و شماخة الأنف؛ و عدم الالتفات إلى المساكين، و الاحتجاب عن المحتاجين.

و التفعّل ليس للتكلّف؛ بل لزيادة المبالغة فى الخشوع.

(أرعدت)- بضمّ تاء المتكلم؛ مبنيّا للمجهول- أى: حصلت لى رعدة (من الفرق)- بفاء وراء مفتوحتين، و قاف- أى: الخوف و الفزع الناشىء مما علاه صلّى اللّه عليه و سلم من عظم المهابة و الجلالة، أو للتّأسّى به، لأنّه إذا كان مع كمال قربه من ربّه غشيه من جلاله ما صيّره كذلك فغيره؛ يجب أن يرعد فرقا و هذا نهاية المهابة. و دليل على أنّ مهابته لأمر سماوىّ ليس بالتصنّع.

و الظاهر من سياق قصّة قيلة أنّه أوّل ملاقاتها للنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، و لذلك هابته.

و وقع فى قصّتها- بعد قولها: أرعدت من الفرق-: فقال له جليسه:

يا رسول اللّه؛ أرعدت المسكينة!! فقال صلّى اللّه عليه و سلم- و لم ينظر إلىّ و أنا عند ظهره-:

«يا مسكينة عليك السّكينة». فلما قاله أذهب اللّه ما كان دخل قلبى من الرّعب انتهى. و قد تقدّم فى «اللباس» بعض من قصّتها.

(قوله: القرفصاء)- بضمّ القاف و إسكان الراء و ضمّ الفاء و صاد مهملة؛ مع المدّ- و هذه اللغة هى الفصحى، و القرفصى- مثلث القاف و الفاء مع القصر- و زاد ابن جنى: القرفصاء- بضمّ القاف و الراء مع المدّ- و قال: هو على الإتباع ضرب من القعود. قال الجوهرى: فإذا قلت قعد فلان القرفصاء. فكأنّك قلت: قعد قعودا مخصوصا.

(۱) فى «وسائل الوصول»: جلسته.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶۳۸

هی: أن یجلس علی ألییه، و یلصق فخذیه ببطنه، و یضع یدیه علی ساقیه، و هی: جلسهٔ المحتبی. و قیل: أن یجلس علی رکبتیه منکبّا، و یلصق بطنه بفخذیه، و یتأبّط کفّیه.

و (الفرق): الخوف.

و عن أنس رضی اللّه تعالی عنه: ...

و (هی: أن یجلس علی ألییه، و یلصق فخذیه ببطنه، و یضع یدیه علی ساقیه)؛ کما یحتبی بالثوب؛ فتکون یداه مکان الثوب، (و هی: «جلسهٔ المحتبی».

و قیل)- کما نقله الجوهری؛ عن أبی المهدی- هی (: أن یجلس علی رکبتیه منکبّا)- بالنون بعد المیم و باء آخره- (و یلصق بطنه بفخذیه، و یتأبّط کفّیه)، و هی «جلسهٔ الأعراب».

(و الفرق)- بفاء وراء مفتوحتین- (: الخوف) و الفزع.

(و عن أنس رضی اللّه تعالی عنه)؛ کذا فی النسخ التی بأیدینا من هذا الکتاب «وسائل الوصول».

و الحدیث بتمامه مذکور فی «المواهب»!! قال شارحها الزّرقانی:

أخرجه ابن ماجه، و الحاکم؛ من حدیث أبی مسعود البدریّ، و الحاکم أیضا؛ من حدیث جریر.

و ذکر فی «الإحیاء» قطعهٔ منه إلی قوله «تأکل القدید». و عزاه الزّبیدیّ شارح «الإحیاء» إلی الحاکم؛ من حدیث جریر. و قال: صحیح علی شرط الشیخین.

و کذا ذکر هذه القطعهٔ فی «الشفاء» للقاضی عیاض، و عزاها شرّاحه إلی الحاکم؛ من حدیث أبی مسعود البدری أیضا.

و راجعت «مستدرک الحاکم» فوجدته ذکر القطعهٔ الّتی فی «الإحیاء» فی

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶۳۹

....

موضعین: الموضع الأول فی «التفسیر»؛ من حدیث جریر بن عبد اللّه البجلی.

و الموضع الثانی: فی «المغازی»؛ من حدیث أبی مسعود البدری.

کما راجعت ابن ماجه؛ فوجدته ذاکرا القطعهٔ الّتی فی «الإحیاء»؛ من حدیث أبی مسعود البدری.

و ذکر النّوویّ فی «ریاض الصالحین» القطعهٔ الأخیرهٔ من الحدیث معزوّهٔ إلی مسلم؛ من حدیث عیاض بن حمار. قال شارحه ابن علّان: و رواه أبو داود، و ابن ماجه؛ من حدیث عیاض أیضا، و کذا ذکره فی «الجامع الصغیر» بلفظ «ریاض الصالحین»، و رمز له برمز مسلم و أبی داود و ابن ماجه؛ عن عیاض بن حمار.

و راجعت مسلما و أبا داود و ابن ماجه؛ فوجدتهم ذکروا الحدیث کما قال النووی، و جعلوه من مسند عیاض بن حمار.

و لم أر أحدا من هؤلاء ذکر الحدیث من مسند أنس بن مالک؛ کما قال المصنف!! إلّا الإمام الشّعرانی فی «کشف الغمّهٔ»!! فإنّه ذکر القطعهٔ الّتی ذکرها فی «الإحیاء»؛ فقال: قال أنس رضی اللّه عنه و أتی صلّی اللّه علیه و سلم برجل ... الخ فتبعه المصنّف.

نعم؛ رأیت فی «سنن ابن ماجه» فی «کتاب الزهد» من مسند أنس بن مالک القطعهٔ الأخیرهٔ من الحدیث، و هی قوله: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم: «إنّ اللّه أوحی إلیّ أن تواضعوا، و لا یبغی بعضکم علی بعض».

و الظاهر أنّ نسخهٔ «کشف الغمّهٔ» فیها تحریف، و أنّ قوله «قال أنس بن مالک» صوابه: «قاله أنس بن مالک». و الضمیر فی «قاله أنس» یعود علی الکلام قبله، لأنّه المرویّ عن أنس بن مالک. و لفظه: کان صلّی اللّه علیه و سلم إذا مرّ علی الصبیان سلّم علیهم، ثمّ باسطهم ... فهذا الحدیث هو الّذی رواه أنس بن مالک. أخرجه الإمام الترمذیّ عنه؛ کما ذکره فی شرح «الإحیاء».

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶۴۰

أتی صلّی اللّه علیه و سلّم برجل فأرعد من هیبته صلّی اللّه علیه و سلّم، فقال له صلّی اللّه علیه و سلّم: «هوّن علیک، فلست بملک، إنّما أنا ابن امرأة من قریش تأکل القدید»، فنطق الرّجل بحاجته، فقام صلّی اللّه علیه و سلّم فقال: «یا أیّها النّاس؛ إنّی أوحی إلیّ ...

و قد تقدّم ذلک فی الباب الرابع. فراجعه. و اللّه أعلم.

(أتی صلّی اللّه علیه و سلم برجل) یوم الفتح، (فأرعد من هیبته) أی: انتفض جسمه من مهابته (صلی اللّه علیه و سلم) عند وقوع بصره علیه، إذ قد تقدّم من وصفه: أنّه من رآه بدیهة هابه.

و ما ساقه المصنّف هو لفظ «کشف الغمّة» و «الإحیاء»!!

و فی «المواهب»: و لقد جاء إلیه صلّی اللّه علیه و سلم رجل فقام بین یدیه؛ فأخذته رعدة شدیدة و مهابة، (فقال له صلّی اللّه علیه و سلم: «هوّن علیک)- أی: خفّف عن نفسک هذا الخوف و أزله منک، و لا- تجزع منّی-، (ف)- إنی- (لست بملک) أی: متصوّر بصورة ملوک الأرض یهاب منهم! (إنّما أنا ابن امرأة من قریش تأکل القدید»)؛ أی: اللحم الیابس، و کانت قریش تقدّد اللحم و ترفعه لوقت الحاجة. (فنطق الرّجل بحاجته) التی جاء لها، فسکّن علیه الصلاة و السلام روعه؛ شفقة، لأنّه بالمؤمنین رءوف رحیم، و سلب عن نفسه الملوکیة؛ بقوله «فإنّی لست بملک» لما یلزمها من الجبروتیة، و قال «أنا ابن امرأة» فنسب نفسه إلیها، و لم یقل «رجل»!! زیادة فی شدّة التواضع؛ و تسکین الروع، لما علم من ضعف النّساء، و وصفها بأنها تأکل القدید!! تواضعا، لأن القدید مفضول، و هو مأکول المتمسکنة، و کأنّه قال «أنا ابن امرأة مسکینة تأکل مفضول الأکل؛ فکیف تخاف منی!!».

(فقام صلّی اللّه علیه و سلم)؛ إذ رأی تواضع نفسه مع الرجل سکّن روعه فتمکّن من عرض حاجته علیه؛ آمرا لهم بالتواضع و بیّن أنه بالوحی؛

(فقال: «یا أیّها النّاس؛ إنّی أوحی إلیّ) وحی إرسال، و زعم أنّه وحی

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶۴۱

أن تواضعوا، ألا فتواضعوا حتّی لا یبغی أحد علی أحد، و لا یفخر أحد علی أحد، ...

إلهام!! خلاف الأصل؛ و خلاف الظاهر بغیر دلیل، و الوحی: إعلام فی خفاء.

(أن تواضعوا) أی: تواضعکم، أی: آمرکم به (ألا- فتواضعوا) بخفض الجناح ولین الجانب (حتّی لا یبغی) أی: لا یجور و لا یعتدی؛ (أحد) منکم (علی أحد) و لو ذمّیّا؛ أو معاهدا؛ أو مؤمّنا. و البغی: مجاوزة الحدّ فی الظلم.

و ذلک لأنّ من انکسر و تذلّل امتثالا لأمر اللّه عزّ و جلّ حال ذلک بینه و بین الفساد و الوقوع فی الظلم و الاعتداء و العناد، ف «حتّی» هنا بمعنی «کی»؛ کما قال الطیبی، فهو علّة للتواضع، فیکون طریقا لترک البغی و التعدّی.

(و لا یفخر)- بفتح الخاء المعجمة- و الفخر: هو المباهاة بالمکارم و المناقب؛ من حسب و نسب .. و غیر ذلک، سواء کان فیه، أو فی آبائه. أی: لا یباهی (أحد) بتعداد محاسنه؛ کبرا، و رفع قدره علی الناس؛ تیها و عجبا مستعلیا بفخره (علی أحد) لیس کذلک، فالخلق من أصل واحد، و النظر إلی العرض الحاضر الزائل لیس من شأن العاقل.

قال المجد ابن تیمیة: نهی اللّه علی لسان رسوله صلّی اللّه علیه و سلم عن نوعی الاستطالة علی الخلق، و هما: البغی و الفخر، لأن المستطیل إن استطال بحقّ؛ فقد افتخر، أو بغیر حق فقد بغی. فلا یحلّ هذا و لا هذا، فإن کان الإنسان من طائفة فاضلة؛ کبنی هاشم!! فلا یکن حظّه استشعار فضل نفسه، و النظر إلیها، فإنّه مخطئ، إذ فضل الجنس لا یستلزم فضل الشخص، فربّ حبشیّ أفضل عند اللّه من جمهور قریش.

ثم هذا النظر یوجب بغضه و خروجه عن الفضل؛ فضلا عن استعلائه بهذا.

و استطالته به.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و أخذ منه أنّه يتأكّد للشيخ التواضع مع طلبته، وَ اخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (۲۱۵) [الشعراء] و إذا طلب التواضع لمطلق النّاس؛ فكيف لمن له حقّ

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶۴۲

و كونوا عباد اللّه إخوانا».

و عن عبد اللّه بن زيد ...

الصحبة و حرمة التودّد و صدق المحبّة؟!! لكن لا يتواضع معهم مع اعتقاد أنّهم دونه! فقد قال ابن عطاء اللّه السّكندری رحمه اللّه تعالى: من أثبت لنفسه تواضعا؛ فهو المتكبر حقّا، فالتواضع لا يكون إلّا عن رفعة مع عظمة و اقتدار؛ ليس المتواضع الذی إذا تواضع رأى أنّه فوق ما صنع، بل الذی إذا تواضع رأى أنّه دون ما صنع. انتهى ذكره المناوی على «الجامع الصغير».

(و كونوا) يا (عباد اللّه) فهو منادى بحذف الأداة، و الخبر قوله (إخوانا»)، لا قوله «عباد اللّه» إذ هم عباده، فالقصد كونهم إخوانا. انتهى «زرقانی».

(و) أخرج البخاریّ، و مسلم، و أبو داود، و الترمذیّ، و النسائیّ، و «الموطأ»، و «الشمائل»؛ (عن) أبی محمد (عبد اللّه بن زيد) بن عاصم بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن غنم بن مازن بن النّجّار الأنصاری المازنی؛ يعرف ب «ابن أمّ عمارة» و اسمها نسيبة- بفتح النون و ضمها- و هو راوی ۱- حديث: صفة الوضوء، و ۲- حديث: الرجل يشكّ فی الحدث؛ فلا ينصرف حتى يسمع صوتا، و ۳- حديث: صلاة الاستسقاء.

و هو غير صاحب الأذان. لأنّ هذا اسمه عبد اللّه بن زيد بن عبد ربه، و ليس له إلّا حديث الأذان فقط، و توفی فی خلافة عثمان رضی اللّه عنه سنة: اثنتين و ثلاثين هجرية. بخلاف عبد اللّه بن زيد بن عاصم صاحب الترجمة؛ فإنّ له عدّة أحاديث، و شهد أحدا؛ و ما بعدها من المشاهد،

و اختلفوا فی شهوده بدرا!! فقال ابن منده، و أبو نعيم الأصبهانی: شهدها.

و قال ابن عبد البرّ؛ لم يشهدها. و يقال: هو قاتل مسيلمة الكذّاب. شارك وحشيا فی قتله؛ رماه وحشی بالحربة، و قتله عبد اللّه بن زيد بسيفه.

خرّج له الجماعة أهل الكتب الستة. و روى عنه ابن أخيه عبّاد بن تميم،

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶۴۳

رضی اللّه تعالى عنهما: أنّه رأى النّبیّ صلّى اللّه عليه و سلّم مستلقيا فی المسجد، واضعا إحدى رجليه على الأخرى.

و يحيى بن عمارة، و واسع بن حبان و غيرهم.

و استشهد يوم الحرّة بالمدينة المنورة سنة: ثلاث و ستين، و هو: ابن سبعين سنة، و كان أبوه زيد صحابيا (رضی اللّه تعالى عنهما)؛ ذكره النووی فی «التهذيب».

(أنّه) أی: عبد اللّه بن زيد (رأى النّبیّ صلّى اللّه عليه و سلم مستلقيا)؛ أی: مضطجعا على قفاه (فی المسجد)، و لا يلزم منه نوم، و لا يخفى أنّه إذا حلّ الاستلقاء فی المسجد حلّ الجلوس فيه بالأولى، فلهذا ذكر هذا الحديث فی فصل جلوس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، فاندفع ما يقال «الاستلقاء ليس من الجلوس، فلا وجه لذكر هذا الحديث فی هذا الباب».

(واضعا) حال من النبی صلّى اللّه عليه و سلم، و كذا قوله «مستلقيا فی المسجد» حال من النبی؛ فيكون حالا مترادفة، أو «واضعا» حال من ضمير «مستلقيا»؛ فتكون حالا متداخلة، أی: حال كونه واضعا (إحدى رجليه على الأخرى)، و هذا يدلّ على حلّ وضع الرّجل على الأخرى حال الاستلقاء، مع مدّ الأخرى؛ أو رفعها.

لكن يعارض ذلك رواية مسلم؛ عن جابر: أن النبیّ صلّى اللّه عليه و سلم قال: «لا يستلقينّ أحدكم ثمّ يضع إحدى رجليه على

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

الأخرى».

و جمع بأن الجواز لمن لم يخف انكشاف عورته بذلك، كالمتسرول مثلا، و النهى خاصّ بمن خاف انكشاف عورته بذلك؛ كالمؤتزر.

و إنما اطلق النهى!! لأن الغالب فيهم الاتزار.

نعم؛ الأولى خلافه فى مجامع الناس، و بحضرة من يحتشمه، و إن لم يخف الانكشاف؛ لا كخدمه و أصاغر جماعته، و الظاهر من حال المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم أنّه إنّما فعله عند خلوّه ممن يحتشم منه.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۴۴

و روى أبو داود بسند صحيح: أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم كان إذا صلّى الفجر .. تربّع فى مجلسه حتّى تطلع الشّمس حسناء؛ أى: بيضاء نقيّة.

و هذا الجمع- كما قال الحافظ ابن حجر- أولى من ادّعاء النسخ، لأنه لا يصار إليه بالاحتمال، و أولى من زعم أنّه من خصائصه، لأنه لا يثبت بالاحتمال أيضا، و لأن بعض الصّحب كانوا يفعلونه بعد المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم بالمسجد؛ و لم ينكره!! انتهى مناوى، و باجورى على «الشمائل».

(و روى أبو داود) فى «كتاب الأدب» (بسند صحيح)، و كذا رواه الإمام أحمد، و مسلم، و الترمذى، و النسائى بتغيير فى الألفاظ؛ كلهم عن جابر بن سمرة رضى اللّه تعالى عنه

(أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم كان إذا صلّى الفجر تربّع فى مجلسه) أى: يذكر اللّه تعالى- كما فى رواية الطبرانى- (حتّى تطلع الشّمس حسناء؛ أى: بيضاء نقيّة)؛ أى:

زائلة عنها الصفرة التى تتخيل فيها عند الطلوع بسبب ما يعترض دونها على الأفق من الأبخرة و الأدخنة. و المعنى أنّه كان يجلس متربّعا فى مجلسه مستقبل القبلة يذكر اللّه تعالى إلى ارتفاع الشمس.

و فيه استحباب الجلوس فى المصلّى بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس، مع الاشتغال بذكر اللّه تعالى فى هذه الجلسة، فإنّ ثواب ذلك عظيم جدّا.

فقد ورد عنه صلّى اللّه عليه و سلم- فيما رواه أبو داود، و أبو يعلى؛ عن أنس رضى اللّه تعالى عنه بإسناد حسن- أنّه قال: «لأن أقعد مع قوم يذكرون اللّه تعالى من صلاة الغداة حتّى تطلع الشّمس أحبّ إلىّ من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل؛ دية كلّ واحد منهم اثنا عشر ألفا، و لأن أقعد مع قوم يذكرون اللّه تعالى من صلاة العصر إلى أن تغرب الشّمس أحبّ إلىّ من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل؛ دية كلّ واحد منهم اثنا عشر ألفا».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۴۵

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم لا يقوم من مجلس إلّا قال:

«سبحانك اللّهمّ و بحمدك، لا إله إلّا أنت، أستغفرك و أتوب إليك»، و قال: «لا يقولهنّ أحد حيث يقوم من مجلسه .. إلّا غفر له ما كان منه فى ذلك المجلس».

و أخرج الترمذىّ- و قال: حسن غريب-؛ عن أنس بن مالك رضى اللّه تعالى عنه؛ عن النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم قال: «من صلّى الفجر فى جماعة ثمّ قعد يذكر اللّه تعالى حتّى تطلع الشّمس، ثمّ صلّى ركعتين؛ كانت له كأجر حجّة و عمرة تامّة ... تامّة ... تامّة».

قال فى «الحرز»: قوله «ثمّ قعد يذكر اللّه تعالى» أى: استمرّ على حال ذكره؛ سواء كان قائما، أو قاعدا، أو مضطجعا. و الجلوس أفضل إلّا إذا عارضه أمر؛ كالقيام لطواف، أو صلاة جنازة، أو لحضور درس و نحوها. انتهى.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و ما ذكره من القيام للطواف!! جرى على مثله المحقّق الشهاب الرّمليّ.

و فى «التحفة» لابن حجر: و أفتى بعضهم بأن الطواف بعد الصبح أفضل من الجلوس ذاكرا إلى طلوع الشمس و صلاة ركعتين، و فيه نظر ظاهر!! بل الصواب أنّ الثانى أفضل، لأنّه صحّ فى الأخبار الصحيحة ما يقارب ذلك، و لأن بعض الأئمة كره الطواف بعد الصبح؛ و لم يكره أحد تلك الجلسة، بل أجمعوا على ندبها و عظيم فضلها. انتهى «شرح الأذكار».

(و) أخرج الحاكم فى «المستدرك»- قال العزيزى: و هو حديث صحيح- عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت: (كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم لا يقوم من مجلس)؛ أى: لا يفارقه (إلّا قال)- أى: قبل قيامه أو عقبه-

(: «سبحانك اللّهمّ)- ربى، و فى رواية: ربّنا- (و بحمدك) أى: سبّحتك (لا إله إلّا أنت، أستغفرك و أتوب إليك»، و قال: «لا يقولهنّ)؛ أى: هذه الكلمات (أحد حيث يقوم من مجلسه إلّا غفر له ما كان منه فى ذلك المجلس»).

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:۶۴۶

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا جلس مجلسا، فأراد أن يقوم ..

استغفر عشرا إلى خمس عشرة، ...

أى: الذنوب الواقعة فيه مطلقا، أو خصوص الصغائر عند الجمهور إلّا حقوق الخلق؛ من نحو غيبة، أو أخذ مال، فلا بدّ من ردّه، أو استحلاله؛ قاله الحفنى.

قال المناوى: فى رواية «أنه كان يقول ذلك ثلاثا».

قال الحليمى: كان يكثر أن يقول ذلك بعد نزول سورة الفتح الصغرى «١» عليه، و ذلك لأن نفسه نعيت إليه بها.

فينبغى لكلّ من ظنّ أنّه لا يعيش مثل ما عاش؛ أو قام من مجلس فظنّ أنّه لا يعود إليه أن يستعمل هذا الذكر. إلى هنا كلامه!.

و قال الطّيّبىّ: فيه ندب الذكر المذكور عند القيام، و أنّه لا يقوم حتّى يقوله، إلّا لعذر.

قال القاضى عياض: و كان السّلف يواظبون عليه، و يسمّى ذلك «كفّارة المجلس».

(و) أخرج ابن السّنّىّ فى «عمل اليوم و الليلة»؛ عن أبى أمامة الباهلىّ؛- و هو حديث حسن لغيره؛ كما قال العزيزى-:

(كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم إذا جلس مجلسا)؛ أى: قعد مع أصحابه يتحدّث، (فأراد أن يقوم) منه (استغفر) اللّه تعالى (عشرا) من المرّات، و زاد (إلى خمس عشرة) مرّة، بأن يقول «أستغفر اللّه الّذى لا إله إلّا هو الحىّ القيّوم و أتوب إليه» كما ورد تعيينه فى خبر آخر، فتارة يكرّرها عشرا، و تارة يزيد إلى خمس عشرة مرّة.

---

(١) هى السورة التى ذكر فيها النصر: إِذا جاءَ نَصْرُ اللّهِ .... و أما الكبرى فهو التى ذكر فيها إِنّا فَتَحْنا لَكَ ....

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:۶۴۷

و روى ابن السّنّىّ: عشرين مرّة.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا انصرف .. انحرف بجانبه.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا قام ...

و هذه تسمّى «كفارة المجلس» أى: أنّها ماحية لما يقع فيه من اللّغط، و كان عليه الصلاة و السلام يقولها تعليما للأمة، و تشريعا، و حاشا مجلسه من وقوع اللّغط!!.

(و) قد (روى ابن السّنّىّ) أيضا؛ عن عبد اللّه الحضرمى أنّه صلّى اللّه عليه و سلم كان إذا قام من المجلس استغفر اللّه (عشرين مرّة)؛ فأعلن بالاستغفار. أى: نطق به جهرا؛ لا سرّا، ليسمعه القوم فيقتدوا به.

و أخرج النسائى فى «اليوم و الليلة»؛ عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

ما جلس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم مجلسا، و لا تلا قرآنا، و لا صلّى إلّا ختم ذلك بكلمات فقلت يا رسول اللّه أراك ما تجلس مجلسا، و لا تتلو قرآنا و لا تصلّى صلاة إلا ختمت بهؤلاء الكلمات؟! قال: «نعم؛ من قال خيرا كنّ طابعا له على ذلك الخير، و من قال شرّا كانت كفّارة له: سبحانك اللّهمّ [و] بحمدك، لا إله إلّا أنت أستغفرك، و أتوب إليك». انتهى. ذكره المناوى فى «الشرح الكبير على الجامع الصغير».

(و) أخرج أبو داود بسند حسن؛ عن يزيد بن الأسود العامرى السوائى رضى اللّه تعالى عنه قال: (كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم إذا انصرف)؛ أى: من صلاته بالسّلام (انحرف بجانبه)، بأن يدخل يمينه فى المحراب و يساره إلى الناس- على ما عليه الحنفية-، أو عكسه- على ما عليه الشافعية-؛ فيندب ذلك للإمام إلّا إذا كان فى مسجد المدينة فالأفضل موافقة الحنفية، لئلا يصير مستدبرا لقبره صلّى اللّه عليه و سلم.

انتهى «عزيزى».

(و) أخرج الطبرانى فى «الكبير»؛ عن وائل بن حجر الحضرمى رضى اللّه تعالى عنه قال:

(كان صلّى اللّه عليه و سلم إذا قام)؛ أى: من جلسة الاستراحة فى الصلاة؛ كما فى

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۴۸

اتّكأ على إحدى يديه.

و أمّا اتّكاء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم:

فعن جابر بن سمرة رضى اللّه تعالى عنه قال: رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم متّكئا على وسادة على يساره.

و عن أبى بكرة ...

المناوى. قال العزيزى: و ظاهر الحديث الإطلاق، و هو المنقول فى كتب الفقه (اتّكأ)- بالهمزة-، (على إحدى يديه) كالعاجن- بالنون-، فيندب ذلك لكلّ مصلّ من إمام أو غيره؛ و لو ذكرا قويّا، لأنه أعون و أشبه بالتواضع.

و قوله «إحدى يديه» هو ما وقع فى هذا الخبر، و فى بعض الأخبار «يديه» بدون «إحدى»، و عليه الشافعية؛ فقالوا لا تتأدّى السنّة بوضع إحداهما مع وجود الأخرى و سلامتها؛ قاله المناوى فى «شرحه الكبير على الجامع الصغير».

(و أمّا اتّكاء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم)؛ و هو الاعتماد على الشىء من وسادة و نحوها.

(ف) قد ورد فيما أخرجه أبو داود فى «اللباس»، و الترمذى فى «الجامع» فى «الاستئذان»، و قال: حديث حسن غريب. و فى «الشمائل»- و اللفظ لها-؛

(عن جابر بن سمرة رضى اللّه تعالى عنه؛ قال: رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم) أى:

أبصرته حال كونه (متّكئا على وسادة)- بكسر الواو- بوزن: إفادة- بمهملات- متعلّق ب «متّكئا». و هى المخدّة- بكسر الميم و فتح الخاء المعجمة- و قد يقال: «وساد» بلا تاء، و «أساد» بالهمزة بدل الواو (على يساره)؛ أى: حال كونها موضوعة على يساره، أى: جانبه الأيسر، و هو لبيان الواقع، و إلّا! فيحلّ الاتكاء يمينا أيضا.

و قد بيّن الراوى فى هذا الخبر ما اتكأ عليه النبى صلّى اللّه عليه و سلم و كيفية اتكائه.

(و) أخرج البخارىّ، و مسلم، و الترمذىّ فى «الجامع» و «الشمائل» و اللفظ لها؛ كلهم

(عن أبى بكرة)- بالهاء فى آخره- كنّى بذلك!! لأنه تدلّى من حصن بالطائف

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۴۹

رضى اللّه تعالى عنه و أرضاه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «أ لا أحدّثكم ...

إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلم ببكرة، و كان أسلم و عجز عن الخروج من الطائف إلّا هكذا.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و هو صحابى مشهور بكنيته، و اسمه نفيع- بضم النون و فتح الفاء؛ بعدها مثناة تحتية؛ مصغّر- ابن الحارث بن كلدة- بكاف و لام مفتوحتين- ابن عمرو بن علاج بن أبى سلمة، و هو عبد العزّى بن غيرة- بكسر الغين المعجمة- ابن عوف بن قسى- بفتح القاف و كسر السين المهملة- و هو ثقيف بن منبه الثقفى البصرى.

و أمّه سميّة أمة للحارث بن كلال؛ و هى أيضا أمّ زياد بن أبيه، فهو أخوه من الأم.

و كان أبو بكرة من الفضلاء الصالحين، و لم يزل على كثرة العبادة حتى توفّى، و كان أولاده أشرافا بالبصرة فى كثرة العلم و المال و الولايات.

قال الحسن البصرى: لم يكن بالبصرة من الصحابة أفضل من عمران بن حصين؛ و أبى بكرة. و اعتزل أبو بكرة يوم الجمل فلم يقاتل مع أحد من الفريقين.

و روى له عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم مائة حديث و اثنان و ثلاثون حديثا؛ اتفق البخاريّ و مسلم منها على ثمانية أحاديث، و انفرد البخاريّ بخمسة، و انفرد مسلم بحديث.

روى عنه ابناه: عبد الرحمن و مسلم، و ربعىّ بن حراش، و الحسن البصرى، و الأحنف.

و كانت وفاته بالبصرة سنة: إحدى و خمسين، و قيل سنة: اثنتين و خمسين هجرية (رضى اللّه تعالى عنه) و أرضاه. (قال:

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «أ لا أحدّثكم) و فى رواية: أ لا أخبركم» و فى أخرى:

«أ لا أنبّئكم» و معنى الكلّ واحد.

قال الزين العراقى: و يؤخذ من ذلك أنّه ينبغى للعالم أن يعرض على أصحابه ما يريد أن يخبرهم به، و كثيرا ما كان يقع ذلك من المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم،

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص: ٦٥٠

بأكبر الكبائر؟»، ...

و يحتمل ذلك أمورا؛ منها: أن لا يجد عندهم قابليّة لما يريد إخبارهم به، لاحتمال كونهم مشغولين بشىء آخر.

و منها: حثّهم على التفرّغ و الاستماع لما يريد إخبارهم به.

و منها: أن يكون وجد هناك سببا يقتضى التحذير بما يحذّرهم، أو الحضّ على الإتيان بما فيه صلاحهم.

(بأكبر الكبائر»)- و فى رواية: «أ لا أنبّئكم بأكبر الكبائر؟!! «ثلاثا».

و المراد: أن المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم أعاد هذه الكلمة ثلاث مرّات؛ على عادته فى تكرير كلامه المفيد؛ تأكيدا ليتبه السامع على احضار قلبه و فهمه للخبر الذى يذكره- كما يأتى فى وصف كلامه-.

و الكبائر؛ جمع كبيرة، و اختلف فى تعريفها!! فقيل: ما توعّد عليه بخصوصه بنحو غضب، أو لعن فى الكتاب أو السنة. و اختاره فى «شرح اللّبّ» للقاضى زكريا الأنصارى. و قيل: ما يوجب حدّا.

و اعترض على الأوّل: بالظهار، و أكل الخنزير، و الإضرار فى الوصية؛ و نحو ذلك مما عدّ كبيرة؛ و لم يتوعّد عليه بشىء من ذلك.

و اعترض على الثانى: بالفرار من الزحف، و العقوق، و شهادة الزور، و نحوها من كلّ ما لا يوجب حدّا؛ و هو كبيرة.

و قيل: كلّ جريمة تؤذن بقلّة اكتراث مرتكبها بالدّين و رقّة الدّيانة؛ و عليه إمام الحرمين. و هو أشمل التعاريف.

لكن اعترض عليه بأنه يشمل صغائر الخسّة؛ كسرقة لقمة، و تطفيف حبّة.

و الإمام إنّما ضبط به ما يبطل العدالة من المعاصى.

قال بعض الشافعية: و التحقيق: أنّ كلّ واحد من الأوجه اقتصر على بعض أنواعها. و بمجموع الأوجه يحصل ضابطها. و قد عدّوا منها جملة مستكثرة، حتّى

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶۵۱

قالوا: بلی یا رسول اللّه، قال: «الإشراک باللّه، و عقوق الوالدین»،

قال الأذرعی فی «التوسّط»: رأیت للحافظ الذهبی جزءا جمع فیه من الکبائر أربعمائة. انتهی.

أقول: قد وقفت علی ذلک الجزء، فلم أجده عدّ فیه إلّا نحو ثمانین!! انتهی (مناوی)

و قد استوعب المحقّق ابن حجر الهیتمیّ فی «الزواجر» کلّ ما قیل فیه «إنّه کبیرة»، أو انطبق علیه تعاریف الکبیرة. و قد عدّ منها أربعمائة و نیّفا و ستین؛ فی مجلدین ضخمین و هو مطبوع متداول!! فلینظره من أراده

(قالوا: بلی)، أی: حدّثنا (یا رسول اللّه)

فائدة النداء مع عدم الاحتیاج إلیه!! الإشارة إلی عظیم الإذعان لرسالته المصطفویة، و ما ینشأ عنها من بیان الشریعة و استجلاب ما عنده من الکمالات و العلوم التی أوتیها بعد رسالته؛ کذا قیل. ذکره المناوی علی «الشمائل»

(قال: «الإشراک باللّه) یعنی الکفر به، و إنما عبّر بالإشراک!! لأنه أغلب أنواع الکفر؛ لا لإخراج غیره (و عقوق)- بضمّ العین المهملة- (الوالدین»)؛ أو أحدهما. و جمعهما!! لأن عقوق أحدهما یستلزم عقوق الآخر غالبا، أو یجرّ إلیه، لأن من تجرّأ علی أحدهما تجرّأ علی الآخر، لأن المعصیة عقوبة المعصیة قبلها، و الطاعة تعجیل لبعض ثواب الطاعة قبلها، فالطاعات تتسلسل، کما أن المعاصی و الذنوب تتسلسل بعضها یلی بعض، فالمتأخّرة من بعض ثمرات المتقدّمة

و المراد من العقوق: أن یصدر من الولد فی حقّهما ما من شأنه أن یؤذیهما من قول؛ أو فعل مما لا یحتمل عادة.

و المراد بالوالدین: الأصلان؛ و إن علیا. و مال الزرکشیّ الشافعی إلی إلحاق العمّ و الخال بهما، و لم یتابع علیه!.

و قرن العقوق بالشرک!! لمشارکته له من حیث أنّ الأب سبب وجوده ظاهرا؛

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶۵۲

قال: و جلس رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم- و کان متّکئا- قال:

«و شهادة الزّور»؛ أو: «قول الزّور» ...

و هو یربّیه، و لذلک ذکرهما تعالی فی سلک واحد، فقال. وَ قَضی رَبُّکَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِیَّاهُ وَ بِالْوالِدَیْنِ إِحْساناً [۲۳/ الإسراء].

(قال) أی: أبو بکرة (و جلس رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم)؛ تنبیها علی عظم إثم شهادة الزور و تأکید تحریمها و عظیم قبحها. (و کان متّکئا) قبل جلوسه.

و هذا وجه مناسبة الحدیث للترجمة، لأن فیه الاتّکاء.

(قال)؛ أی: النبیّ صلّی اللّه علیه و سلم استئناف بیانیّ، فکأنّ سائلا قال: ما فعل بعد ما جلس!! فقال: قال (و شهادة الزّور)؛ عطف علی ما سبق، أی: و أکبر الکبائر شهادة الزور.

و خصّها!! ۱- لما یترتّب علیها من نحو قتل وزنا، و ۲- لغلبة وقوع الناس فیها و استهانتهم بها، فإنّ الشّرک ینبو عنه قلب المسلم، و العقوق یضرب عنه الطبع. و أما الزور!! فالحامل علیه کثیر؛ من نحو عداوة، و حسد، فاحتیج للاهتمام بتعظیمه، و لیس ذلک لکونه فوق الإشراک؛ أو مثله، بل لتعدّی مفسدته إلی الغیر، فکانت أبلغ ضررا من هذا الوجه.

قال القرطبی: شهادة الزور هی الشهادة بالکذب لیتوصّل بها إلی الباطل؛ من إتلاف نفس، أو أخذ مال، أو تحلیل حرام؛ أو تحریم حلال، فلا شیء أعظم ضررا منه، و لا أکثر فسادا بعد الشرک باللّه. انتهی؛ ذکره العلامة ملا علی قاری.

قال المطرّزیّ: و أصل الزّور تحسین الشیء، و وصفه بخلاف صفته حتّی یخیّل لمن سمعه بخلاف ما هو. و قیل للکذب «زور»!! لأنه مائل عن جهته.

(أو «قول الزّور») شکّ من الراوی، لا من الصحابی، إذ یبعد نسیانه مع المبالغة و کثرة التکرار. و روایة البخاری لا شکّ فیها؛ و هی

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

«ألا و قول الزّور، و شهادة الزّور» فما زال يكرّرها حتّى قلنا: أ لا سكت!!.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۵۳

قال: فما زال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقولها حتّى قلنا: ليته سكت.

قال ابن دقيق العيد: يحتمل أن يكون عطف تفسير، فإنّا لو حملنا القول على الإطلاق؛ لزم أن الكذبة الواحدة كبيرة!! و ليس كذلك.

و جزم غيره بأنّه عطف خاصّ على عامّ، و أنّ كلّ شهادة زور قول زور، و لا ينعكس.

و فيه أنّه ينبغى للواعظ و المفيد فعل ما يفيد كثرة توجّه الحاضرين من تغيير الوضع و التكرار و المبالغة و إجهاد النفس فى الإفادة؛ حتّى يرحمه السامعون، كما يدلّ له قوله (قال) أى: أبو بكرة

(: فما زال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يقولها) أى: هذه الكلمة؛ و هى «شهادة الزّور، أو قول الزّور» (حتّى قلنا: ليته سكت) تمنّوا سكوته!! شفقة عليه و كراهة لما يزعجه، أو خوفا أن يجرى على لسانه ما يوجب نزول البلاء عليهم. و فيه ما كانوا عليه من كثرة الأدب و المحبّة و الشفقة عليه صلّى اللّه عليه و سلم.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۵۴

[الفصل السّادس فى صفة كرمه صلّى اللّه عليه و سلّم و شجاعته]

الفصل السّادس فى صفة كرمه صلّى اللّه عليه و سلّم و شجاعته (الفصل السّادس) من الباب الخامس (فى) بيان ما ورد فى (صفة كرمه)- بفتحتين- (صلى اللّه عليه و سلم).

اعلم أنّ الجود و الكرم و السخاء معانيها متقاربة، و بعضهم جعل بينها فرقا؛ فقال: الكرم- بفتحتين-: الإنفاق بطيب نفس فيما يعظم خطره.

و فى «القاموس»: الكرم- محرّكة-: ضدّ اللؤم، كرم- بضمّ الراء- كرامة و كرما؛ فهو كريم. و فى «القاموس» أيضا: اللؤم: ضدّ الكرم. انتهى

و السخاء: صفة غريزية؛ و هى سهولة الإنفاق و تجنّب اكتساب ما لا يحمد من الصنائع المذمومة؛ كالحجامة، و أكل ما لا يحلّ؛ مأخوذ من الأرض السّخاوية و هى الرّخوة اللينة، و لذا وصف اللّه تعالى ب «جواد» دون «سخى»، لأنه أوسع فى معنى العطاء، و أدخل فى صفة العلا. فعلى هذا هو أخصّ، و فى مقابلة السخاء: الشحّ، و هو أشدّ البخل. و الشحّ من لوازم صفة النفس، قال اللّه تعالى وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ- أى: حرصها على المال- فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۹) [الحشر] فحكم بالفلاح لمن وقى الشحّ، و حكم بالفلاح لمن أنفق و بذل؛ فقال وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ (۳) وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۵) [۳- ۵/ البقرة]

و الفلاح أجمع اسم لسعادة الدارين، و ليس الشحّ من الآدمى بعجيب، لأنّه جبلّى فيه، و إنما العجب وجود السخاء فى الغريزة.

و السخاء أتمّ و أكمل من الجود؛ بناء على تغايرهما. و الأصحّ أن السخاء أدنى

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۵۵

....

منه، و لذا لم يوصف اللّه به- كما مرّ- و فى مقابلة الجود البخل، و فى مقابلة السخاء الشحّ ...

و الجود: إعطاء ما ينبغى شرعا لمن ينبغى أن يعطى لاستحقاقه، لأجل الصفة القائمة به؛ كالفقر. و قيل: الجود تجنّب اكتساب ما لا يحمد، و هو ضدّ التقتير.

و الجواد الذى يتفضّل على من يستحقّ، و يعطى من لا يسأل، و يعطى الكثير؛ و لا يخاف الفقر. و السخىّ: اللّين عند الحاجة.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

قال الأستاذ القشيریّ: قال القوم: من أعطی البعض فهو سخی، و من أعطی الأكثر؛ و أبقی لنفسه شیئا فهو جواد، و من قاسی الضّرّ و آثر غیره بالبلغة فهو مؤثر.

انتهی.

و الجود و البخل یتطرّق إلیهما الاكتساب بطریق العادة، بخلاف الشحّ و السّخاء، إذ كان ذلك من ضرورة الغریزة؛ فلا یمكن اكتسابهما، و بناء علی التفرقة یقال: كلّ سخیّ جواد، و لیس كلّ جواد سخیّا.

و الجود یتطرّق إلیه الریاء، و یأتی به الإنسان متطلّعا إلی غرض من الخلق؛ أو الحقّ بمقابلة من الثناء، أو غیره من الخلق و الثواب من اللّه تعالی.

و لا یتطرّق الریاء إلی السخاء، لأنه غریزة لا صنع فیه، فلا یقصد به غرض، إذ هو ینبع من النفس الزكیّة المرتفعة عن الأغراض. أشار إلیه العارف السّهروردی فی «عوارف المعارف». انتهی؛ ذكره فی «المواهب» و شرحها.

(و) فی بیان ما ورد فی صفة (شجاعته)- مثلّث الشین المعجمة- قال الشامی: الشجاعة: انقیاد النفس مع قوّة غضبیّة، و ملكة یصدر عنها انقیادها فی إقدامها متدرّبة علی ما ینبغی؛ فی زمن ینبغی؛ و حال ینبغی. انتهی

و هی مصدر شجع- بالضمّ- شجاعة، فهو شجیع و شجاع- بضمّ الشین-،

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶۵۶

عن جابر بن عبد اللّه رضی اللّه تعالی عنهما أنّه قال: ما سئل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم شیئا قطّ فقال: (لا).

و بنو عقیل بفتحها؛ حملا علی نقیضه و هو جبان، و بعضهم كسرها للتخفیف؛ فرارا من توالی حركات متوالیة من جنس واحد، و هو: الشدید القلب عند البأس المستهین بالحروب. انتهی من «شرح المواهب» للزرقانی.

(عن جابر بن عبد اللّه) بن عمرو بن حرام (رضی اللّه تعالی عنهما؛ أنّه قال)؛ فیما رواه البخاریّ، و مسلم، و الترمذی فی «الشمائل»- و هذا لفظها-:

حدّثنا محمد بن بشّار؛ قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدی؛ قال: حدّثنا سفیان، عن محمد بن المنكدر؛ قال: سمعت جابر بن عبد اللّه یقول:

(ما سئل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم)؛ أی: ما طلب منه أحد (شیئا) یقدر علیه من أمور الدنیا الخیریة (قطّ) أبدا، (فقال «لا» أعطیك» ردّا له، بل إمّا أن یعطیه؛ إن كان عنده المسئول، أو یقول له میسورا من القول بأن یعده، أو یدعو له، فكان إن وجد جاد، و إلّا وعد؛ و لم یخلف المیعاد. و لذلك قال الفرزدق:

ما قال «لا» قطّ إلّا فی تشهّدهلو لا التّشهّد كانت لاؤه «نعم» قال الحافظ ابن حجر فی «فتح الباری»: لیس المراد بقول جابر «فقال: «لا»»: أنّه یعطی ما یطلب منه جزما، بل المراد أنّه لا ینطق بالردّ، بل إن كان عنده شیء أعطاه؛ إن كان الإعطاء سائغا، و إلّا! سكت، أو اعتذر. قال:

و قد ورد بیان ذلك فی حدیث مرسل لابن الحنفیة؛ عند ابن سعد- و لفظه-:

كان إذا سئل فأراد أن یفعل؛ قال «نعم». و إن لم یرد أن یفعل سكت. و هو قریب من حدیث أبی هریرة رضی اللّه عنه السابق: ما عاب طعاما قطّ إن اشتهاه أكله، و إلا تركه.

و بهذا لا یخالف ما ورد «أنّ من سأله حاجة لا یردّه إلّا بها؛ أو بمیسور من القول» ذكره فی «المواهب».

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶۵۷

و كان صلّی اللّه علیه و سلّم لا یسأل شیئا إلّا أعطاه، ثمّ یعود علی قوت عامه فیؤثر منه، حتّی لربّما احتاج قبل انقضاء العام إن لم یأته شیء.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

قال الباجورى: و المراد أنّه لم يقل «لا»؛ منعا للإعطاء، فلا ينافى أنّه قاله ١- اعتذارا؛ إن لاق الاعتذار، كما فى قوله «لا أجد ما أحملكم عليه»، أو ٢- تأديبا للسائل؛ إن لم يلق به الاعتذار، كما فى قوله للأشعريين «و اللّه لا أحملكم»، فهو تأديب لهم لسؤالهم ما ليس عنده؛ مع تحقّقهم ذلك، و من ثمّ حلف حسما لطمعهم فى تكليفه التحصيل مع عدم الاضطرار إلى ذلك. انتهى.

(و) فى «الإحياء»: (كان صلّى اللّه عليه و سلم لا يسأل شيئا إلّا أعطاه).

قال العراقى: رواه الطيالسىّ، و الدارمىّ؛ من حديث سهل بن سعد.

و للبخارىّ من حديثه: أنّ الرّجل الذى سأله الشملة؛ فقال له القوم: سألته إيّاها؛ و قد علمت أنّه لا يردّ سائلا!! الحديث.

و لمسلم من حديث أنس: ما سئل على الإسلام شيئا إلّا أعطاه.

و فى «الصحيحين»؛ من حديث جابر: ما سئل شيئا قطّ؛ فقال «لا». انتهى.

قلت: و رواه الحاكم؛ من حديث أنس بلفظ: لا يسأل شيئا إلّا أعطاه. أو سكت.

و روى الإمام أحمد؛ من حديث أبى أسيد السّاعدى: كان لا يمنع شيئا يسأله.

و كان صلّى اللّه عليه و سلم يؤثر على نفسه و أولاده، فيعطى عطاء تعجز عنه الملوك؛ كما سيأتى للمصنّف تفصيله.

و من ذلك مما لم يذكره: جاءته امرأة يوم حنين أنشدته شعرا تذكّره أيّام رضاعته فى هوازن، فردّ عليهم ما قيمته خمسمائة ألف ألف.

قال ابن دحية: و هذا نهاية الجود الذى لم يسمع بمثله. انتهى «إتحاف».

(ثمّ يعود على قوت عامه) الّذى ادّخره لعياله، (فيؤثر منه) على نفسه و عياله (حتّى لربّما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شىء).

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۵۸

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم لا يكاد يسأل شيئا إلّا فعله.

قال العراقى: هذا معلوم. و يدلّ عليه ما رواه الترمذىّ، و ابن ماجه، و النسائى؛ من حديث ابن عبّاس رضى اللّه تعالى عنهما:

توفّى و درعه مرهونة بعشرين صاعا من طعام أخذه لأهله.

و قال ابن ماجه: بثلاثين صاعا من شعير. و إسناده جيد.

و للبخارى؛ من حديث عائشة: توفى و درعه مرهونة عند يهودى. انتهى

قلت: اليهودى هو أبو الشحم. و الجمع بين الروايتين أنّه أخذ منه أوّلا- عشرين؛ ثم عشرة، ثم رهنه إيّاها على الجميع، فمن روى العشرين لم يحفظ العشرة الأخرى، و من روى الثلاثين حفظها، على أنّ روايتها أصحّ و أشهر، فكانت أولى بالاعتبار.

و هذا يدلّ على غاية تواضعه صلّى اللّه عليه و سلم، إذ لو سأل مياسير «۱» أصحابه فى رهن درعه لرهنوها على أكثر من ذلك، فإذا ترك سؤالهم و سأل يهوديا؛ و لم يبال بأنّ منصبه الشريف يأبى أن يسأل مثل يهودى فى ذلك؛ فدلّ على غاية تواضعه و عدم نظره لحقوق مرتبته.

و فيه دليل على ضيق عيشه صلّى اللّه عليه و سلم، لكن عن اختيار؛ لا عن اضطرار، لأن اللّه فتح عليه فى أواخر عمره من الأموال ما لا يحصى، و أخرجها كلّها فى سبيل اللّه، و صبر هو و أهل بيته على مرّ الفقر و الضيق و الحاجة التامّة. انتهى؛ ذكره فى شرح «الإحياء» المسمّى «إتحاف السادة المتقين».

(و) أخرج الطبرانى فى «الكبير»؛ عن طلحة رضى اللّه تعالى عنه:

(كان صلّى اللّه عليه و سلم لا يكاد يسأل)- بالبناء للمفعول- أى: لا يطلبه أحد (شيئا) من متاع الدنيا (إلّا فعله). أى: جاد به على طالبه، لما طبع عليه من الجود، فإن لم

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(۱) جمع موسر، أو ميسور. أی أصحاب اليسار فی النفقة أو السعة فی الرزق.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۵۹

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم لا يكاد يقول لشیء: (لا)، فإذا هو سئل فأراد أن يفعل .. قال: (نعم). و إن لم يرد أن يفعل .. سكت.

و عن ابن عبّاس رضى اللّه تعالى عنهما قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أجود النّاس بالخير، ...

يكن عنده شیء؟! وعد، أو سكت. و لا يصرّح بالردّ- كما تقدّم-.

(و) أخرج ابن سعد فی «طبقاته» عن محمد [ابن الحنفية] بن علی بن أبی طالب مرسلا: منتهى السؤل، اللحجى ج۲ ۶۵۹ الفصل السادس فی صفة كرمه صلى الله عليه و سلم و شجاعته ..... ص : ۶۵۴

(كان صلّى اللّه عليه و سلم لا يكاد يقول لشیء لا) أی: لا أعطيه، أو لا أفعل.

(فإذا هو سئل فأراد أن يفعل) المسئول فيه (قال: نعم، و إن لم يرد أن يفعل سكت)، و لا يصرّح بالردّ، لما مرّ.

و فی «مسند الطيالسی و الدارمی»؛ من حديث سهل بن سعد: كان لا يسأل شيئا إلّا أعطاه انتهى «مناوی».

(و) أخرج البخاریّ، و مسلم، و النّسائیّ، و الترمذی فی «الشمائل»- و اللفظ لها-:

(عن ابن عبّاس رضى اللّه تعالى عنهما قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم)- أی: فی حدّ ذاته؛ بقطع النظر عن أوقاته و أحواله الكريمة- (أجود النّاس) أی: أشدّهم جودا (بالخير)، أی بكلّ خير من خيری الدنيا و الآخرة، للّه و فی اللّه؛ من بذل العلم و المال، و بذل نفسه لإظهار الدين و هداية العباد، و إيصال النّفع إليهم بكلّ طريق، و قضاء حوائجهم، و تحمّل أثقالهم، فكان يسمح بالموجود، لكونه مطبوعا على الجود؛ مستغنيا عن الفانيات بالباقيات الصالحات، فكان إذا وجد جاد، و إذا أحسن أعاد، و إن لم يجد وعد؛ و لم يخلف الميعاد، و يجود على كلّ أحد بما يسدّ خلّته.

ف «أجود»: أفعل تفضيل؛ من الجود، و هو: إعطاء ما ينبغی؛ لمن

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۶۰

و كان أجود ما يكون فی شهر رمضان حتّى ينسلخ فيأتيه جبريل فيعرض عليه القرآن، ...

ينبغی؛ على ما ينبغی. و لما كانت نفسه أشرف النّفوس؛ كانت أخلاقه أفضل أخلاق الخلائق؛ فيكون أجود النّاس.

و بالجملة: فكان يعطی عطاء الملوك؛ و يعيش عيش الفقراء. فكان يربط على بطنه الحجر من الجوع، و كان يمرّ عليه الشهر و الشهران؛ لا يوقد فی بيته نار

(و كان أجود ما يكون) برفع «أجود»؛ على أنه اسم «كان»، و «ما» مصدرية، و الخبر محذوف، و التقدير: كان أجود أكوانه حاصلا إذا كان مستقرّا (فی شهر رمضان)، و بنصب «أجود»؛ على أنّه خبر «كان»، و اسمها ضمير يعود على النبی صلّى اللّه عليه و سلم.

و المعنى: و كان النبی صلّى اللّه عليه و سلم مدّة كونه فی شهر رمضان أجود من نفسه فی غيره، لكن الرفع هو الذی فی أكثر الروايات فهو الأشهر، و النصب أظهر.

(حتّى ينسلخ) غاية فی أجوديّته.

و المعنى أنّ غاية جوده كانت تستمرّ فی جميع رمضان إلى أن يفرغ، ثمّ يرجع إلى أصل جوده الذی جبل عليه الزائد عن جود الناس جميعا.

و إنّما كان صلّى اللّه عليه و سلم أجود ما يكون فی رمضان، لأنّه موسم الخيرات، و تزايد البركات، فإنّ اللّه تعالى يتفضّل على عباده فی هذا الشهر ما لا يتفضّل عليهم فی غيره. و كان صلّى اللّه عليه و سلم متخلّقا بأخلاق ربّه؛ (فيأتيه جبريل) عند ملاقاته و مدارسته القرآن، كما يدلّ عليه قوله الآتی: «فإذا لقيه جبريل كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم أجود بالخير من الرّيح المرسلة»

(فيعرض)- بفتح التحتية و كسر الرّاء- لأنّه من «باب ضرب»، أی: فيعرض النبیّ صلّى اللّه عليه و سلم (عليه) أی: على جبريل (القرآن)،

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

كما يدلّ عليه رواية «الصحيحين»: كان جبريل يلقاه كلّ ليلة فى رمضان يعرض عليه النبى صلّى اللّه عليه و سلم القرآن،

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۶۱

فإذا لقيه جبريل .. كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أجود بالخير من الرّيح المرسلة.

أى: يقرؤه عليه عن ظهر قلب.

أى: يعرض عليه بعضه؛ أو معظمه، لأنّ أوّل رمضان من البعثة لم يكن نزل من القرآن إلّا بعضه، ثمّ كذلك كلّ رمضان بعده إلى الأخير، فكان نزل كلّه إلّا ما تأخر نزوله بعد رمضان المذكور، و كانت فى سنة عشر إلى أن توفّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و ممّا نزل فى تلك المدّة قوله تعالى الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ [۳/ المائدة] .. الآية، فإنّها نزلت فى يوم عرفة بالاتفاق، ففيه إطلاق القرآن على بعضه؛ و على معظمه!!.

و قد روى الإمام أحمد، و أبو داود، و الطبرانىّ أنّ الذى جمع عليه عثمان الناس يوافق العرضة الأخيرة

(فإذا لقيه جبريل) لا سيّما عند قراءة التنزيل (كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم أجود بالخير) أى: أسخى ببذل الخير للخير (من الرّيح المرسلة)- بفتح السين- بالمطر، فإنّها ينشأ عنها جود كثير، لأنها تنشر السحاب و تملؤه ماء، ثم تبسطها لتعمّ الأرض فينصبّ ماؤها عليها، فيحيا به الموات، و يخرج به النبات.

و تعبيره ب «أفعل» التفضيل نصّ فى كونه أعظم جودا منها، لأن الغالب عليها أن تأتى بالمطر، و ربّما خلت عنه؛ و هو لا ينفكّ عن العطاء و الجود.

و بالجملة؛ فقد فضل جوده على جود الناس، ثمّ فضل جوده فى رمضان على جوده فى غيره، ثم جوده فى ليالى رمضان عند لقاء جبريل على جوده فى غيره، ثم شبّهه بالريح المرسلة فى التعميم و السرعة.

فإن قيل: ما الحكمة فى تخصيص الليل المذكور فى رواية «الصحيحين» بمعارضة القرآن؛ دون النهار!!؟

فالجواب: هو أن المقصود من التلاوة الحضور و الفهم، و مظنّة ذلك الليل،

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۶۲

و عن عمر بن الخطّاب رضى اللّه تعالى عنه: أنّ رجلا جاء إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم فسأله أن يعطيه، فقال النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم: «ما عندى شىء، و لكن ابتع علىّ؛ ...

بخلاف النهار؛ فإنّ فيه من الشواغل و العوارض ما لا يخفى، و لعلّه صلّى اللّه عليه و سلم كان يقسم ما نزل من القرآن فى كلّ سنة أجزاء على ليالى رمضان؛ فيقرأ كلّ ليلة جزءا منه فى جزء من الليلة، و يترك بقيّة ليلته لما سوى ذلك من تهجّد و راحة و تعهّد أهله!!.

و يحتمل أنّه كان يعيد ذلك الجزء مرارا بحسب تعدّد الحروف المنزّل بها القرآن. انتهى؛ ذكره فى «زاد المسلم».

و هذا حديث عظيم لاشتماله على ذكر أفضل الملائكة، إلى أفضل الخلق، بأفضل كلام، من أفضل متكلّم، فى أفضل وقت.

و يؤخذ منه ندب إكثار الجود فى رمضان، و مزيد الإنفاق على المحتاجين فيه، و التوسعة على عياله و أقاربه و محبّيه، و خصوصا عند ملاقاة الصالحين، و عقب مفارقتهم؛ شكرا لنعمة الاجتماع بهم، و ندب مدارسته القرآن.

و فيه أنّ صحبة الصالحين مؤثّرة فى دين الرجل و علمه، و لذلك قالوا: لقاء أهل الخير عمارة القلوب. انتهى «مناوى، و باجورى، و غيرهما».

(و) أخرج الترمذىّ فى «الشمائل» بسنده (عن عمر بن الخطّاب رضى اللّه تعالى عنه: أنّ رجلا) لم يسمّ؛ (جاء إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم فسأله أن يعطيه) أى: شيئا من الدنيا؛ (فقال النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم: «ما عندى شىء) موجود أعطيه لك، (و لكن ابتع)- روى بموحّدة ساكنة بعد همزة الوصل، ففوقية مفتوحة و عين مهملة- أى: اشتر ما تحتاجه بدين يكون علىّ أداؤه، فالابتياع بمعنى

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

الاشتراء.

و روى «أتبع عليّ»- بتقديم التاء الفوقية على الموحّدة- أى: أحل (عليّ)- بتشديد المثناة-، قال الزمخشرى: أتبعت فلانا على فلان: أحلته، و منه خبر:

«إذا أتبع أحدكم على ملئ فليتبع» انتهى.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۶۳

فإذا جاءنى شىء .. قضيته». فقال عمر: يا رسول اللّه؛ [قد أعطيته]، فما كلّفك اللّه ما لا تقدر عليه. فكره صلّى اللّه عليه و سلّم قول عمر.

و فى رواية البزّار؛ عن عمر: فقال: «ما عندى شىء أعطيك، و لكن استقرض حتّى يأتينا شىء فنعطيك». فلا مانع من تفسير «ابتع» أو «اتبع»:

ب «استقرض» تجوّزا؛ لرواية البزار، إذ الحديث واحد.

و ليس بضمان! بل وعد منه. و وعده ملتزم الوفاء، إذ وعد الكريم دين.

و لذا صحّ أنّه لما توفّى نادى الصدّيق لما جاءه مال البحرين: من كان له عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم عدة؛ أو دين فليأتنا. فجاء جابر؛ و قال: إنّه وعدنى كذا. فأعطاه له ... الحديث فى «الصحيح».

(فإذا جاءنى شىء) من باب اللّه كفىء و غنيمة (قضيته») عنك.

و هذا غاية الكرم و نهاية الجود.

(فقال) الرّاوى (عمر) و كان الظاهر أن يقول: «فقلت»، إلّا أن يقال «إنّه من قبيل الالتفات على مذهب بعضهم»! (: يا رسول اللّه؛ قد أعطيته) أى: هذا السائل قبل هذا!! فلا حاجة إلى أن تعده بالإعطاء بعد ذلك؟! أو: قد أعطيته الميسور من القول؛ و هو قولك «ما عندى شىء»؛ فلا حاجة إلى أن تلتزم له شيئا فى ذمّتك.

و قوله (فما كلّفك اللّه) الفاء للتعليل؛ لما يستفاد من قوله «قد أعطيته»، فكأنّه قال: لا تفعل ذلك، لأنّ اللّه ما كلّفك (ما لا تقدر عليه)؛ من أمره بالشّراء و وعده بالقضاء.

(فكره صلّى اللّه عليه و سلم قول عمر)، أى: بدا فى وجهه الشريف أثر عدم رضاه به، لأنّ فيه كسر خاطر السائل، و لأنّ مثله لا يعدّ تكليفا لما لا يقدر عليه، لما عوّده اللّه من فيض نعمه.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۶۴

فقال رجل من الأنصار: يا رسول اللّه؛ أنفق و لا تخف من ذى العرش إقلالا.

فتبسّم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و عرف فى وجهه البشر لقول الأنصارىّ، ثمّ قال: «بهذا أمرت».

(فقال رجل من الأنصار) كان حاضرا حين رأى كراهة المصطفى لذلك (: يا رسول اللّه؛ أنفق)- بفتح الهمزة-: أمر من الإنفاق، (و لا تخف من ذى العرش إقلالا)؛ أى: افتقارا من «أقلّ» بمعنى: افتقر. و إن كان فى الأصل بمعنى: صار ذا قلة.

و ما أحسن من «ذى العرش» فى هذا المقام!! أى: لا تخف؛ أى: يضيّع مثلك من هو مدبّر الأمر من السماء إلى الأرض!!.

قال البرهان فى «المقتفى»: هذا الرّجل لا- أعرفه. و فى حفظى أنّه بلال، لكنه مهاجرى؛ لا- أنصارى، فيكون قد قال ذلك بلال و الأنصاريّ، أو الذى فيه ذكر بلال قصّة أخرى؛ المأمور فيها بالإنفاق بلال!!

روى الطبرانيّ، و البزّار؛ عن ابن مسعود: دخل النبى صلّى اللّه عليه و سلم على بلال و عنده صبرة من تمر؛ فقال: «ما هذا يا بلال». قال: يا رسول اللّه؛ ذخرته لك و لضيفانك. قال: «أ ما تخشى أن يفور لها بخار من جهنّم؛ أنفق يا بلال، و لا تخش من ذى العرش إقلالا».

انتهى. فما فى حفظه إنما هو فى هذه القصة؛ فلا يصحّ تفسير المبهم ب «بلال» لوجهين.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(فتبسّم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم) فرحا بقول الأنصارى، (و عرف فى وجهه البشر)- بكسر الباء- أى: الطلاقة و البشاشة (لقول الأنصاريّ) المارّ

(ثمّ قال) أى: صلى اللّه عليه و سلم («بهذا) أى: الإنفاق من غير مخافة فقر (أمرت») بنحو وَ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ [۳۹/ سبأ] لا بقول عمر!! فقدّم الظرف! ليفيد قصر القلب ردّا لاعتماد عمر.

و إنّما فعل ذلك!! للمصلحة الداعية لذلك كالاستئلاف و نحوه.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۶۵

....

و فيه أنّ الانفاق مأمور به فى كلّ حال دعت المصلحة إليه، و لو بنحو استدانة، فإن عجز فبعدة. و العدة: إنفاق لأنها التزام النفقة؛ عند بعض الأئمة.

و قد استشكل هذا الحديث بأنّ اللّه تعالى قال وَ لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ [۲۹/ الإسراء] الآية.

و أجاب القاضى أبو يعلى بأن المراد بهذا الخطاب غيره صلّى اللّه عليه و سلم؛ و غير خلّص المؤمنين الذين كانوا ينفقون جميع ما عندهم عن طيب قلب لتوكّلهم و ثقتهم بما عند اللّه، أمّا من كان ليس كذلك يتحسّر على ما ذهب منه!! فالمحمود منهم التوسّط؛ و هم الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا، لأنهم لا صبر لهم على الفاقة، و لذا صعب عليه صلّى اللّه عليه و سلم كلام عمر لمّا راعى ظاهر الحال، و أمره بصيانة المال؛ شفقة على النبى صلّى اللّه عليه و سلم لعلمه بكثرة السائلين له و تهافتهم عليه. و الأنصاريّ راعى حاله صلّى اللّه عليه و سلم، فلذا سرّه كلامه. فقوله «بهذا أمرت» إشارة إلى أنّه أمر خاصّ به و بمن يمشى على قدمه انتهى. من «شرح الشفاء» للخفاجى، و من شرح الزرقانى على «المواهب».

قال ابن القيّم رحمه اللّه تعالى: و مما ينبغى التنبه له أنّ كلّ خصلة من خصال الفضل قد أحلّ اللّه نبيّه فى أعلاها و خصّه بذروة سنامها، ثم تقاسمت الفرق فضائله، فكلّ احتجّ على مطلوبه بشىء منها؛

فإذا احتجّ الغزاة بهديه فى الجهاد على أنّهم أفضل؛ احتجّ الفقهاء على مثل ما احتجّ به أولئك.

و إذا احتجّ الزّهاد به على فضلهم؛ احتجّ به ولاة الأمور على طولهم. و إذا احتجّ به الفقير الصابر؛ احتجّ به الغنى الشاكر.

و إذا احتجّ به العبّاد على فضل نفلهم؛ احتجّ به العارفون على فضل المعرفة.

و إذا احتجّ به المتواضعون و أهل الحلم؛ احتجّ به أرباب العزّ و القهر للمبطلين و الغلظة عليهم و البطش بهم.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۶۶

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم إذا جاءه مال .. لم يبيّته، و لم يقيّله؛ أى: إذا جاءه آخر النّهار .. لم يمسكه إلى اللّيل، أو أوّل النّهار .. لم يمسكه إلى وقت القيلولة، بل يعجّل قسمته.

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم أسخى النّاس، ...

و إذا احتج به أرباب الوقار و الهيبة؛ احتجّ به أرباب حسن الخلق و المزاح المباح ... و هكذا.

و سرّ ذلك أنّه بعث لصلاح الدنيا و الدين. انتهى. نقله المناوى على «الشمائل» و هو كلام نفيس.

(و) أخرج البيهقىّ فى «سننه»، و الخطيب؛ عن أبى محمد الحسن بن محمد بن على مرسلا، و هو حديث حسن- كما قال العزيزى- (كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم إذا جاءه مال)؛ من نحو فىء أو غنيمة (لم يبيّته) عنده، (و لم يقيّله)- بالتشديد فيهما- قال العزيزى: (أى: إذا جاءه آخر النّهار لم يمسكه إلى اللّيل، أو) جاءه (أوّل النّهار لم يمسكه إلى وقت القيلولة): نصف النهار (بل يعجّل قسمته) تعجيلا للخير، إذ كان هديه يدعو إلى تعجيل الإحسان و الصدقة و المعروف، و لذلك كان أشرح الخلق صدرا، و أطيبهم نفسا، و أنعمهم قلبا، فإنّ للصدقة و البذل تأثيرا عجيبا فى شرح الصدر. انتهى «مناوى».

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و) فى «الإحياء» و «كشف الغمة»: (كان صلّى اللّه عليه و سلم أسخى النّاس): أى أكثرهم سخاء.

قال الحافظ العراقى: رواه الطبرانىّ فى «الأوسط»؛ من حديث أنس:

«فضّلت على النّاس بأربع: بالسّخاء و الشّجاعة ... الحديث. و رجاله ثقات.

و قال صاحب «الميزان»: إنّه منكر.

و فى «الصحيحين»؛ من حديثه: كان صلّى اللّه عليه و سلم أجود الناس. و اتفقا عليه؛ من حديث ابن عبّاس. انتهى.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۶۷

لا يبيت عنده دينار و لا درهم، و إن فضل شىء و لم يجد من يعطيه له، و فجأه اللّيل .. لم يأو إلى منزله حتّى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه.

قلت: و فى حديث آخر سنده ضعيف: «أنا أجود بنى آدم» و هو بلا ريب أجودهم مطلقا، كما أنّه أكملهم فى سائر الأوصاف، و لأن جوده للّه تعالى فى إظهار دينه، بل كان بجميع أنواع الجود؛ من بذل العلم، و المال، و بذل نفسه للّه تعالى فى إظهار دينه، و هداية عباده، و إيصال النفع إليهم بكلّ طريق؛ من إطعام جائعهم، و وعظ جاهلهم، و قضاء حوائجهم، و تحمّل أثقالهم، و كان جوده صلّى اللّه عليه و سلم كلّه للّه تعالى، و فى ابتغاء مرضاته.

(لا يبيت عنده دينار و لا درهم، و إن فضل) أى: بقى (شىء و لم يجد من يعطيه له، و فجأه اللّيل) أى: أتاه فجأة (لم يأو إلى منزله حتّى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه).

قال الحافظ العراقىّ: رواه أبو داود؛ من حديث بلال فى حديث طويل فيه:

أهدى صاحب فدك لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم أربع قلائص، و كانت عليهنّ كسوة و طعام، و باع بلال ذلک و وفّى دينه، و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قاعد فى المسجد وحده، و فيه قال: «فضل شىء؟». قلت: نعم، ديناران. قال: «انظر أن تريحنى منهما، فلست بداخل على أحد من أهلى حتّى تريحنى منهما».

فلم يأتنا أحد، فبات فى المسجد حتّى أصبح، و ظلّ فى المسجد اليوم الثانى حتّى إذا كان فى آخر النهار جاء راكبان؛ فانطلقت بهما فكسوتهما و أطعمتهما، حتّى إذا صلّى العتمة؛ دعانى، فقال: «ما فعل الّذى قبلک»؟.

فقلت: قد أراحک اللّه منه، فكبر و حمد اللّه؛ شفقة من أن يدركه الموت؛ و عنده ذلک، ثم اتبعه حتّى جاء أزواجه ... الحديث.

و للبخارىّ من حديث عقبة بن الحارث: «ذكرت؛ و أنا فى الصّلاة تبرا

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۶۸

و أتاه صلّى اللّه عليه و سلّم رجل فسأله، فأعطاه غنما سدّت ما بين جبلين، فرجع إلى قومه و قال: أسلموا، فإنّ محمّدا يعطى عطاء من لا يخشى الفقر.

و أعطى غير واحد مائة من الإبل.

فكرهت أن يمسى و يبيت عندنا فأمرت بقسمته».

و لأبى عبيد فى «غريبه»؛ من حديث الحسن بن محمد مرسلا: كان لا يقيّل مالا عنده؛ و لا يبيّته. انتهى شرح «الإحياء».

(و أتاه صلّى اللّه عليه و سلم رجل)، هو: صفوان بن أمية- كما قال غير واحد- (فسأله) شيئا من العطاء، (فأعطاه غنما) كثيرة، و لكثرتها (سدّت ما بين جبلين) لسعة جوده و سماحة نفسه، (فرجع إلى قومه)؛ و هم قريش، (و قال:) يا قوم (أسلموا، فإنّ محمّدا يعطى عطاء من لا يخشى الفقر). و ذلک آية نبوّته. و فى رواية: من لا يخشى الفاقة. و هى: الفقر، أو: أشدّ الفقر. رواه مسلم؛ من حديث أنس رضى اللّه عنه. و يرحم اللّه أبا عبد اللّه محمد بن جابر حيث قال:

هذا الّذى لا يتّقى فقرا إذاأعطى و لو كثر الأنام و داموا

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

واد من الأنعام أعطى آملافتحيّرت لعطائه الأوهام (و أعطى غير واحد) أى: كثيرا من المؤلّفة (مائة من الإبل)؛ كأبى سفيان بن حرب، و ابنيه: معاوية و يزيد، و مع كلّ واحد منهم أربعين أوقية، و كحكيم بن حزام، و الحارث بن هشام و غيرهم ... و الذين أعطاهم صلّى اللّه عليه و سلم مائة من الإبل ناس كثير؛ قد عدّهم البرهان الحلبى، و قال: إنّهم يبلغون ستّين من المؤلّفة قلوبهم، و كذا ذكر الشيخ قاسم فى «تخريج أحاديث الشفاء» ذكر ذلك الخفاجى فى «نسيم الرياض».

قال شيخنا الشيخ حسن المشّاط عافاه اللّه تعالى فى «إنارة الدجى» ما نصّه:

أعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل، ثم سأله مائة أخرى؛ فأعطاه.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۶۹

....

و أعطى النضر بن الحارث بن كلدة مائة من الإبل.

و أعطى أسيد بن جارية الثقفى مائة من الإبل.

و أعطى العلاء بن جارية الثقفى خمسين بعيرا.

و أعطى مخرمة بن نوفل خمسين بعيرا.

و أعطى الحارث بن هشام مائة من الإبل.

و أعطى سعيد بن يربوع خمسين من الإبل.

و أعطى صفوان بن أميّة مائة من الإبل.

و أعطى قيس بن عدى مائة من الإبل.

و أعطى عثمان بن وهب خمسين من الإبل.

و أعطى سهيل بن عمرو مائة من الإبل.

و أعطى حويطب بن عبد العزّى مائة من الإبل.

و أعطى هشام بن عمرو العامرىّ خمسين من الإبل.

و أعطى الأقرع بن حابس التميمى مائة من الإبل.

و أعطى عيينة بن حصن مائة من الإبل.

و أعطى مالك بن عوف مائة من الإبل.

و أعطى العباس بن مرداس أربعين من الإبل؛ فقال فى ذلك شعرا؛ فأعطاه مائة من الإبل، و يقال: خمسين. انتهى.

و قد أشار إلى ذلك العلامة أحمد بن محمد البدوى الشنقيطى، فى «نظم المغازى» حيث قال:

أعطى عطايا شهدت بالكرميومئذ له و لم تجمجم

و كيف لا و مستمدّ سيبهمن سيب ربّ ذى عناية به

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۷۰

و أعطى صفوان مائة ثمّ مائة ثمّ مائة.

أعطى عطايا أخجلت دلح الدّيمإذ ملأت رحب الفضا من النّعم

زهاء ألفى ناقة منها و ماملأ بين جبلين غنما (و أعطى صفوان) بن أميّة بن خلف بن وهب بن قدامة بن جمح القرشى الجمحى المكىّ، صحابىّ من المؤلّفة.

أسلم يوم الفتح، و شهد حنينا و الطائف؛ و هو مشرك، فلما أعطاه صلّى اللّه عليه و سلم ما ذكر قال: أشهد باللّه؛ ما طابت بهذا إلّا

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

نفس نبیّ، فأسلم و حسن إسلامه.

روی له مسلم، و أصحاب «السنن»، و علّق له البخاریّ. و مات أیّام قتل عثمان، و قیل سنهٔ: إحدی- أو اثنتین- و أربعین.

(مائهٔ) من الإبل (ثمّ مائهٔ ثمّ مائهٔ). کذا قال ملا علی قاری.

و قال فی «شرح الإحیاء»: أعطی صفوان بن أمیّهٔ یوم حنین مائهٔ من الغنم؛ ثمّ مائهٔ، ثمّ مائهٔ حتی صار أحبّ الناس إلیه بعد ما کان أبغضهم إلیه، فکان ذلک سببا لحسن إسلامه. لکن فی شرح الخفاجی علی «الشفاء»، و شرح الزرقانی علی «المواهب» ترک هذه المئات الثلاث بدون تفسیر؛ هل هی من الإبل، أو الغنم؟! فلیحرر.

قال الزرقانی: و الحکمهٔ فی کونه صلّی اللّه علیه و سلم لم یعطها دفعهٔ واحدهٔ: أنّ هذا العطاء دواء لدائه، و الحکیم لا یعطی الدواء دفعهٔ واحدهٔ، لأنه أقرب للشفاء. انتهی.

قال فی «شرح الإحیاء»: روی مسلم، و الترمذی؛ من طریق سعید بن المسیّب؛ عن صفوان بن أمیهٔ قال: و اللّه؛ لقد أعطانی النبی صلّی اللّه علیه و سلم و إنّه لأبغض الناس إلیّ، فما زال یعطینی حتّی إنّه لأحبّ الناس إلیّ!! انتهی.

و لقد أحسن ابن جابر حیث قال:

یروی حدیث النّدی و البشر عن یده‌و وجهه بین منهلّ و منسجم

من وجه أحمد لی بدر، و من یده‌بحر، و من فمه درّ لمنتظم

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶۷۱

و هذه کانت حاله صلّی اللّه علیه و سلّم قبل أن یبعث، و قد قال له ورقهٔ بن نوفل: ...

یمّم نبیّا یباری الرّیح أنمله‌و المزن من کلّ هامی الودق مرتکم

لو عامت الفلک فیما فاض من یده‌لم تلق أعظم بحر منه إن تعم

یحیط کفّاه بالبحر المحیط فلذبه‌ودع کلّ طامی الموج ملتطم

لو لم تحط کفّه بالبحر ما شملت‌کلّ الأنام و روّت قلب کلّ ظمی فسبحان من أطلع أنوار الجمال من أفق جبینه، و أنشأ أمطار السحائب من غمائم یمینه.

قال القاضی عیاض فی «الشفاء»: (و هذه)، أی: الخصلهٔ و السجیّهٔ فی الکرم و العطاء (کانت حاله صلّی اللّه علیه و سلم قبل أن یبعث) نبیّا؛ أو یرسل. (و قد قال له ورقهٔ)- بواو وراء مهملهٔ مفتوحتین و قاف آخره تاء مربوطهٔ- (بن نوفل) بن أسد بن عبد العزّی.

و کان من أعقل أهل زمانه و أعلمهم، شاعر بلیغ متألّه، و کان یقرأ و یکتب الکتب القدیمهٔ بالعربیهٔ و العبرانیهٔ، و یتألّه و یتعبّد؛ و لذا سمّی «القسّ»، و تهوّد فی أوّل أمره؛ ثم تنصّر، و هو ابن عمّ خدیجهٔ أمّ المؤمنین رضی اللّه تعالی عنها.

و له أشعار کثیرهٔ فی التوحید و لترهّبه لم یکن له عقب، و ورد فی الحدیث:

«لا تسبّوا ورقهٔ، فإنّی رأیت له جبّهٔ أو جبّتین»- یعنی بذلک- ما ورد من طریق آخر أنّه صلّی اللّه علیه و سلم رآه فی منامه فی الجنّهٔ و علیه حلّهٔ خضراء؛ أو بیضاء، أو نحوه کثیاب من حریر و حلّهٔ من سندس.

و کان حیّا فی ابتداء الوحی إلی أن تنبّأ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم و اجتمع بالنبی صلّی اللّه علیه و سلم و آمن به؛ کما فی أوّل البخاری، و قال: لئن أدرکت زمانک لأنصرنّک نصرا مؤزّرا و کان صلّی اللّه علیه و سلم إذ ذاک نبیّا؛ و لم یؤمر بالدّعوهٔ.

و مات ورقهٔ بعد نبوّته صلّی اللّه علیه و سلم و قبل رسالته، و لذا قالوا: إنّه أوّل من آمن بالنبی صلّی اللّه علیه و سلم من الرجال، و هو ثان بالنسبهٔ لخدیجهٔ رضی اللّه تعالی عنها و صحابی، و لذا عرّفوا الصحابی بأنّه: من اجتمع بالنبی صلّی اللّه علیه و سلم مؤمنا به. و لم یقولوا «بالرّسول»، و هذا ممّا

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶۷۲

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

إنّک تحمل الکلّ و تکسب المعدوم، ...

ینبغی التنبّه له. و فی «نظم السیرة» للحافظ العراقی فی ذکر ورقة:

فهو الّذی آمن بعد ثانیاو کان برّا صادقا مواتیا

و الصّادق المصدوق قال: إنّهرأی له تخطّطا فی الجنّه و هذا المذکور من أنّه صحابیّ هو الصحیح. و قیل: إنه لیس بصحابی، لأنه لم یر النبی صلّی اللّه علیه و سلم؛ و لم یؤمن به بعد بعثته، و علیه جماعة محقّقون، و الأکثر من أصحابنا علی أنه صحابیّ. انتهی «خفاجی».

(إنّک تحمل الکلّ)- بفتح الکاف و تشدید اللام- أی: الثقیل؛ من العیال و الیتیم و من لا قدرة له من ضعیف الحال، أی: فیما بین قومه، و فی التنزیل وَ هُوَ کَلٌّ عَلی مَوْلاهُ [۷۶/ النحل] أی: ثقیل فی المؤنة ضعیف فی الصنعة؛ قاله ملا علی قاری.

(و تکسب)- بفتح التاء و کسر السین المهملة- و هی أکثر الروایات و أصحّها.

قال النّووی: فتح التاء هو الصحیح المشهور، و روی بضمّها.

(المعدوم)- بالواو فی النسخ المعتبرة- و هو: الشیء الذی لا وجود له.

و المراد أنّک تعطی الناس الفقراء ما لا یجدونه عند غیرک، لما فیک من مکارم الأخلاق.

و ما ذکره المصنف؛ من أنّ هذا من کلام ورقة هو ما فی «الشفاء» للقاضی عیاض، و اعترضه شرّاحه؛ فقال الخفاجی؛ نقلا عن السیوطی: إنّ القائل له صلّی اللّه علیه و سلم هذا إنّما هو خدیجة رضی اللّه تعالی عنها؛ فی قصة مکالمتها لورقة فی شأن النبی صلّی اللّه علیه و سلم، لمّا رأی جبریل علیه الصلاة و السلام فی أوّل أمره و خاف علی نفسه منه، و کذا اعترض علیه الشیخ قاسم فی «تخریجه» أیضا؛ فقال: لا أعلم هذا من قول ورقة رضی اللّه عنه.

و الذی فی «صحیح البخاری» و غیره: أنّه من قول خدیجة رضی اللّه تعالی عنها.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶۷۳

و قالت له خدیجة رضی اللّه تعالی عنها: أبشر؛ فو اللّه لا یخزیک اللّه أبدا، إنّک لتصل الرّحم، و تحمل الکلّ، ...

و ما قیل: من «أنّ القاضی (۱) جلیل القدر؛ لا یخفی علیه مثله، و لا یبعد صدوره من ورقة!!» لا یجدی نفعا مع نقل «الصحیحین» خلافه، و لیس مثله محلّ بحث، و لکلّ صارم نبوة، و لکلّ جواد کبوة. انتهی.

(و) المصنّف رحمه اللّه تعالی نقل ما فی «الشفاء» و أردفه بما فی «الصحیحین»؛ و هو:

(قالت له خدیجة) أمّ المؤمنین (رضی اللّه تعالی عنها) حین قال لها صلّی اللّه علیه و سلم لمّا رأی جبریل علیه الصلاة و السلام: «لقد خشیت علی نفسی» أی: الهلاک من شدّة الرّعب!! أو تعییرهم إیّاه، فأرادت خدیجة رضی اللّه عنها دفع ذلک الذی خشیه؛ فقالت له: (أبشر؛ فو اللّه لا- یخزیک اللّه أبدا) یخزیک- بضمّ أوّله و الخاء المعجمة و الزای المکسورة، ثم الیاء السّاکنة- من الخزی؛ و هو: الفضیحة و الهوان، و فی روایة: یحزنک- بالحاء المهملة و النون، و یجوز فتح الیاء فی أوّله و ضمّها- و کلاهما صحیح.

ثمّ استدلّت خدیجة علی ما أقسمت علیه من نفی ذلک أبدا بأمر استقرائی، و وصفته بأصول مکارم الأخلاق، لأن الإحسان إمّا إلی الأقارب، أو إلی الأجانب، و إمّا بالبدن، أو بالمال، و إمّا علی من یستقلّ بأمره، أو من لا یستقلّ.

و ذلک کلّه مجموع فیما و صفته به فی قولها:

(إنّک لتصل الرّحم) صلة الرحم: هی الإحسان إلی الأقارب علی حسب حال الواصل و الموصول، فتارة تکون بالمال، و تارة بالخدمة، و تارة بالزیارة و السّلام .. و غیر ذلک.

(و تحمل الکلّ)- بفتح الکاف و تشدید اللّام- مصدر بمعنی الکلال؛ و هو:

---

(۱) أی: عیاض رحمه اللّه تعالی.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶۷۴

و تکسب المعدوم، و تقری الضّیف، و تعین علی نوائب الحقّ.

الإعیاء، و فسّر بالثّقل، فقیل: إنه لازم معناه، و هو المناسب للحمل، لأنّه لا یقال «حمل الإعیاء». و حمل الکلّ هو کقول العرب فی المدح: هو حمّال أثقال. أی: یحمل ثقل غیره من الضعفاء و العیال، و إعانة الخلق بالإنفاق علیهم و إطعامهم و إعطائهم کلّ ما یحتاجون إلیه، و کفالة الأیتام و غیره من وجوه البر.

(و تکسب)- بفتح أوله و یضمّ، و بکسر السین المهملة- (المعدوم)- بالواو، و المعنی: تکسب غیرک المال المعدوم؛ أی تعطیه، و اختاره النوویّ.

و قیل: تعطی الناس ما لا یجدونه عند غیرک من مکارم الأخلاق. انتهی «ملا علی قاری».

(و تقری)- بفتح التاء المثنّاة الفوقیة- (الضّیف) أی: تحسن إلیه، یقال قریت الضیف أقریه قری- بکسر القاف- مقصور. و قراء بفتح القاف و المدّ، و یقال للطعام الذی یضیفه به قری مقصور، و یقال لفاعله: قار مثل قضی؛ فهو قاض انتهی «نووی».

(و تعین علی نوائب الحقّ) النوائب: جمع نائبة؛ و هی الحادثة، و إنّما قالت نوائب الحق!! لأن النائبة قد تکون فی الخیر، و قد تکون فی الشرّ، قال لبید:

نوائب من خیر و شرّ کلاهمافلا الخیر ممدود؛ و لا الشّرّ لازب قال العلماء رحمهم اللّه تعالی: معنی کلام خدیجة رضی اللّه تعالی عنها: أنّک لا یصیبک مکروه، لما جعل اللّه فیک من مکارم الأخلاق؛ و کرم الشمائل. و ذکرت ضروبا من ذلک.

و فی هذا دلالة علی أن مکارم الأخلاق و خصال الخیر سبب السلامة من مصارع السوء.

و قد روی أبو نعیم ما یؤیّده و هو قوله صلّی اللّه علیه و سلم: «صنائع المعروف تقی مصارع السّوء».

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶۷۵

و (الکلّ) هنا: الثّقل من کلّ ما یتکلّف؛ کما فی «لسان العرب».

و أعطی العبّاس رضی اللّه تعالی عنه ما لم یطق حمله.

و فیه مدح الإنسان فی وجهه فی بعض الأحوال لمصلحة.

و فیه تأنیس من حصلت له مخافة من أمر، و تبشیره، و ذکر أسباب السلامة له.

و فیه أعظم دلیل و أبلغ حجّة علی کمال خدیجة رضی اللّه تعالی عنها، و جزالة رأیها، و قوّة نفسها، و ثبات قلبها، و عظم فقهها. و اللّه أعلم. انتهی «شرح مسلم» مع زیادة.

(و الکلّ)- بفتح الکاف و تشدید اللام- له معان کثیرة، لکن المراد (هنا) فی حدیث خدیجة: (الثّقل من کلّ ما یتکلّف) یعنی: مما فیه کلفة (کما) ذکره ابن منظور (فی «لسان العرب»)، و ابن الأثیر فی «النهایة»، و الزّبیدیّ فی «شرح القاموس»؛ و هو من الکلال و هو الإعیاء. قال الإمام النّووی: و یدخل فی حمل الکلّ الإنفاق علی الضعیف و الیتیم و العیال و غیر ذلک. انتهی.

(و أعطی) عمّه (العبّاس) بن عبد المطلب (رضی اللّه تعالی عنه، ما) أی:

شیئا (لم یطق حمله) من الإطاقة، أی: ما لم یقدر علی حمله وحده مع قوّته.

روی البخاریّ فی مواضع؛ من حدیث أنس رضی اللّه تعالی عنه: أنّه صلّی اللّه علیه و سلم أتی بمال من البحرین؛ فقال: «انثروه» یعنی: صبّوه فی المسجد، و کان أکثر مال أتی به صلّی اللّه علیه و سلم، فخرج إلی المسجد؛ و لم یلتفت إلیه، فلما قضی الصلاة جاء فجلس إلیه، فما کان یری أحدا إلّا أعطاه منه، إذ جاء العبّاس؛ فقال: یا رسول اللّه؛ أعطنی، فإنّی فادیت نفسی و فادیت عقیلا. فقال له: «خذ».

فحثا فی ثوبه، ثم ذهب یقلّه؛ فلم یستطع. فقال یا رسول اللّه؛ مر بعضهم یرفعه علیّ؟ قال:

«لا». قال: فارفعه أنت علیّ. فقال: «لا». فنثر منه، ثمّ ذهب یقلّه فلم یستطع؛ فقال: یا رسول اللّه؛ مر بعضهم یرفعه علیّ. قال: «لا». قال:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

فارفعه أنت عليّ. قال: «لا» فنثر منه، ثمّ احتمله فألقاه على كاهله فانطلق، فما

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۷۶

و حمل إليه تسعون ألف درهم، فوضعت على حصير، ثمّ قام إليها يقسمها، فما ردّ سائلا حتّى فرغ منها.

و لمّا قفل من حنين ...

زال صلّى اللّه عليه و سلم يتبعه بصره حتى خفى علينا!! عجبا من حرصه، فما قام عليه الصلاة و السلام و ثمّ منها درهم!! و فى رواية: ثم انطلق؛ و هو يقول: «إنّما أخذت ما وعد اللّه، فقد أنجز»! يشير إلى قوله تعالى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ [۷۰/ الأنفال].

قال ابن كثير: كان العبّاس شديدا طويلا نبيلا، قلّما احتمل شيئا يقارب أربعين ألفا.

(و) روى الترمذىّ أنّه صلّى اللّه عليه و سلم (حمل)- بصيغة المجهول- أى: أتى (إليه تسعون)- بمثناة فوقية قبل السين- و فى رواية أبى الحسن بن الضحاك فى «شمائله»؛ من حديث الحسن مرسلا: ثمانون (ألف درهم).

و أخرجه ابن الجوزى فى «الوفاء»؛ و قال: سبعون ألفا- بتقديم السين على الموحدة- و يوافقه قول الصرصرى فى مديحه؛ حيث قال:

سبعون ألفا فضّها فى مجلس‌لم يبق منها عنده فلسان (فوضعت)- بصيغة المجهول- أى: سكبت و نثرت (على حصير) أى:

خصفة (ثمّ قام إليها)، لعل المراد: شرع (يقسمها)، أو أخذ يقسمها؛ بأن أمر به؛ و إن لم يقم بالفعل، و لا باشر القسم بيده.

(فما ردّ سائلا)، لا يؤخذ منه أنّه لم يعط إلّا من سأله! بل يصدق بذلك، و بإعطاء من علم حاجته فيدفع له إن كان عنده بلا سؤال، أو يبعث إليه (حتّى فرغ منها) غاية لقوله «يقسمها».

(و) فى «الإحياء»: أنّه (لمّا قفل) صلى اللّه عليه و سلم؛ أى: رجع (من) غزوة (حنين)- بضم الحاء المهملة فنونين بينهما مثّاة تحتية مصغّرا-: واد بين مكّة و الطائف،

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۷۷

و جاءت الأعراب ...

و هو مذكّر منصرف، و قد يؤنّث على معنى البقعة؛ قاله فى «المصباح».

و قال ابن بليهد النّجدى فى كتابه «صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار»: حنين موضع قد أعيانا الوقوف على حقيقته.

و من كتّاب هذا العصر من قال: إنّه عين الشرائع؛ يعنى الموضع المسمّى ب «الشرائع» أنّها هى عين حنين، و هذا قريب من الصواب، فإن لم تكن عين حنين؛ فهى قريبة منها فى الوادى الذى يقع عن «الشرائع» جنوبا، لأنّه قريب من «ذى المجاز» الذى ذكر فى آخر رواية السّهيلى «يعنى الكلام الذى نقله ابن بليهد المذكور نفسه عنه حيث قال»: و حنين قريب من مكّة. و قيل: هو واد بالطائف.

و قيل: واد بجنب «ذى المجاز». انتهى كلام ابن بليهد.

قال فى «المصباح»: و قصّة حنين أنّ النبى صلّى اللّه عليه و سلم فتح مكّة فى رمضان سنة ثمان، ثمّ خرج منها لقتال هوازن و ثقيف، و قد بقيت أيّام من رمضان؛ فسار إلى حنين، فلما التقى الجمعان انكشف المسلمون، ثمّ أمدّهم اللّه بنصره فعطفوا، و قاتلوا المشركين فهزموهم، و غنموا أموالهم و عيالهم، ثم سار المشركون إلى أوطاس؛ فمنهم من سار على نخلة اليمانية، و منهم من سلك الثنايا و تبعت خيل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم من سلك نخلة!.

و يقال: إنه عليه الصلاة و السلام أقام عليها يوما و ليلة، ثمّ سار إلى أوطاس فقاتلهم بقيّة شوّال، فلما أهلّ ذو القعدة ترك القتال، لأنّه شهر حرام، و رحل راجعا فنزل الجعرانة و قسم بها غنائم أوطاس و حنين، و يقال: كانت ستّة آلاف سبى- كما سيأتى- انتهى.

(و جاءت الأعراب)- بفتح الهمزة- هم: أهل البدو، الواحد أعرابىّ بالفتح أيضا، و هو: الذى يكون صاحب نجعة و ارتياد للكلإ.

قال الأزهرى: سواء كان من العرب أم من مواليهم. قال: فمن نزل البادية و جاور البادين و ظعن بظعنهم؛ فهم أعراب، و من نزل بلاد

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

الريف؛ و استوطن

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۷۸

يسألونه حتّى اضطرّوه إلى شجرة فخطفت رداءه، فوقف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و قال: «أعطونى ردائى؛ لو كان لى عدد هذه العضاه نعما .. لقسمته بينكم، ثمّ لا تجدونى بخيلا، و لا كذّابا، و لا جبانا».

و (العضاه): شجر له شوك، واحدها: عضاهة.

المدن و القرى العربية و غيرها ممن ينتمى إلى العرب فهم عرب؛ و إن لم يكونوا فصحاء؛ كذا فى «المصباح».

(يسألونه) أى: يطلبون منه أن يعطيهم الغنائم و كثروا حوله صلّى اللّه عليه و سلم و ازدحموا (حتّى اضطرّوه إلى شجرة فخطفت)- بكسر الطاء المهملة- من باب فهم، و فيه لغة من باب ضرب. و الخطف: الاستلاب بسرعة (رداءه.

فوقف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم) حينئذ. (و قال: «أعطونى ردائى؛ لو كان لى عدد هذه العضاه)- هى: من أشجار البادية- (نعما) أى: إبلا (لقسمته بينكم، ثمّ لا تجدونى بخيلا، و لا كذّابا؛ و لا جبانا») الجبان: ضعيف القلب.

قال الحافظ العراقىّ: رواه البخارىّ؛ من حديث جبير بن مطعم.

قلت: و لفظه: بينما أنا مع النبى صلّى اللّه عليه و سلم؛ و معه الناس مقبلا من حنين علقت برسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم الأعراب يسألونه حتّى اضطروه إلى سمرة ... فذكره. و فيه:

«و لا كذوبا» بدل «كذّابا».

و رواه البيهقى فى «الدلائل»؛ من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه؛ بلفظ المصنف. انتهى «شرح الإحياء».

(و العضاه)- بالعين المهملة و الضاد المعجمة فألف فهاء آخره؛ بزنة كتاب، و الهاء أصلية- و هو (شجر له شوك) كالطلح و العوسج. و استثنى بعضهم القتاد و السّدر، فلم يجعله من العضاه، (واحدها عضاهة) و عضهة و عضة بحذف الهاء الأصلية كما حذفت من الشفة.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۷۹

و ردّ على هوازن سباياها، و كانوا ستّة آلاف.

و فى «المواهب»: (ذكر ابن فارس

(و) فى «الشفاء»: أنه صلّى اللّه عليه و سلم (ردّ على هوازن): اسم قبيلة منسوبة لهوازن بن أسلم، و كان يسكن حنينا؛ و هو موضع سمّى بحنين بن نابه بن مهلاييل، و غزوته تسمّى «غزوة حنين»، و «غزوة هوازن»، و كانت فى شوال؛ أو فى رمضان.

و أمرها معروف مفصّل فى السّير.

و لما غزاهم و حاز غنائمهم قدم وفدهم على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم؛ و هم أربعة عشر رجلا؛ رئيسهم زهير بن صرفة، و فيهم أبو برقان عمّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم من الرّضاع، فسألوه أن يمنّ عليهم بما أخذه منهم؛ لما بينهم و بينه من مناسبة الرضاعة، فقال لهم: «أبناؤكم و نساؤكم أحبّ إليكم أم أموالكم؟!». قالوا: ما كنّا نعدل بالأحساب شيئا!!.

فردّ على هوازن (سباياها) بعد مفاوضة جرت، إذ قال صلّى اللّه عليه و سلم: «أمّا ما كان لى و لبنى عبد المطّلب؛ فهو لكم، و ما للنّاس يسأل منهم». فقال: المهاجرون و الأنصار: ما كان لنا؛ فهو لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم. و قال جماعة من المؤلّفة: أمّا ما لنا!! فلا، فأخذه صلّى اللّه عليه و سلم منهم قرضا على أن يعوّضهم عنه من أوّل مال يجىء، فسلّموهم جميعا (و كانوا ستّة آلاف) نفس من النّساء و الذرّيّة غير الأموال التى من غنائمهم، و كانت أربعة و عشرين ألفا من الإبل، و أكثر من أربعين ألف شاة من الغنم، و أربعة آلاف أوقيّة من الفضّة. و الأوقيّة: أربعون درهما.

(و) قال العلّامة شهاب الدين القسطلانى شكر اللّه مسعاه؛ (فى) كتابه («المواهب) اللّدنّيّة بالمنح المحمديّة»: (ذكر) العلّامة الإمام أبو الحسين:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

أحمد (بن فارس) بن زكريا بن محمّد بن حبيب الرازى اللّغوىّ.

كان إماما فى علوم شتى؛ و خصوصا اللغة فإنّه أتقنها، و ألّف كتابه «المجمل»، و هو على اختصاره جمع شيئا كثيرا.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۸۰

فى كتابه فى «أسماء النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم»: أنّه فى يوم حنين جاءته امرأة؛ فأنشدت شعرا تذكّره أيّام رضاعته فى هوازن، فردّ عليهم ما أخذ و أعطاهم عطاء كثيرا حتّى قوّم ما أعطاهم ذلك اليوم، فكان خمس مائة ألف ألف.

و أصله من قزوين و أقام مدّة فى همذان، ثم انتقل إلى الرّى، و إليها نسبته، و أخذ عنه البديع الهمذانى، و الصاحب ابن عبّاد و غيرهما من أعيان البيان.

و له مؤلّفات عديدة؛ منها «مقاييس اللغة» طبع فى ستّة أجزاء، و «الصاحبى فى علم العربية» طبع، ألّف لخزانة الصاحب بن عباد، و «الفصيح»، و «تمام الفصيح»، و «فقه اللغة»، و «النيروز» خطّ، و «الإتباع و المزاوجة» طبع، و «الحماسة المحدثة»، و «متخيّر الألفاظ»، و «ذمّ الخطأ فى الشعر» خط، و «اللامات» خط، و «كتاب الثلاثة» خط؛ فى الكلمات المكوّنة من ثلاث حروف متماثلة. و كتاب «أسماء النبى صلّى اللّه عليه و سلم»، و كتاب «أوجز السّير لخير البشر» طبع فى ثمان صفحات، و «جامع التأويل فى تفسير القرآن» أربع مجلدات، و له كتاب «حلية الفقهاء»، و له شعر حسن.

و كانت ولادته سنة: تسع و عشرين و ثلاثمائة هجرية، و وفاته سنة: خمس و تسعين و ثلاثمائة. و اللّه أعلم رحمه اللّه تعالى.

(فى كتابه) المؤلّف (فى «أسماء النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم»؛ أنّه فى يوم حنين جاءته امرأة فأنشدت شعرا تذكّره أيّام رضاعته فى هوازن، فردّ عليهم ما أخذ) من النساء و البنين. و نسب إليه!! لأنه الأمير.

(و أعطاهم) عطف تفسير؛ أى: كان المردود (عطاء كثيرا)، لأنّه لم يكن معه مال غير المأخوذ من الغنيمة، و سمّى المردود عطاء!! لملك الغانمين له (حتّى قوّم)- بالبناء للمفعول- (ما) أى: الذى (أعطاهم ذلك اليوم؛ فكان خمسمائة ألف ألف) من السبايا بتكرير لفظ «ألف» «مرتين»، و هو عبارة عن خمسمائة

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۸۱

قال ابن دحية: ...

مليون؛ بالتعبير العصرى.

و أما أموالهم فلم يردّها عليهم، لأنّه كان قسم الجميع، فلما جاءوا مسلمين خيّرهم بين ردّ المال أو السبايا. فاختاروا السبايا فردّهم كما مرّ مفصّلا.

(قال) العلّامة الإمام الحافظ أبو الخطّاب عمر بن الحسن بن على بن محمد الجميّل بن فرح بن خلف بن قومس بن مزلال بن ملّال بن بدر بن أحمد (بن دحية)- بكسر الدال المهملة و فتحها، و سكون الحاء المهملة، و بعدها ياء مثنّاة من تحت- و هو: دحية بن خليفة الكلبى «صاحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم». و صاحب الترجمة ينسب إليه، و يعرف ب «ذى النسبين»: دحية؛ و الحسين السّبط، لأنّه كان يذكر أنّ أمّه من ذرية الحسين رضى اللّه تعالى عنهما.

كان أبو الخطّاب؛ من أعيان العلماء و مشاهير الفضلاء، متقنا لعلم الحديث النبوى، و ما يتعلّق به، عارفا بالنحو و اللغة و أيام العرب و أشعارها.

و اشتغل بطلب الحديث فى أكثر بلاد الأندلس الإسلامية، و لقى بها علماءها و مشايخها، ثم رحل منها إلى بر العدوة، و دخل مراكش، و اجتمع بفضلائها.

ثم ارتحل إلى إفريقيا، و منها إلى الديار المصريّة، ثمّ إلى الشام و الشرق و العراق، و دخل إلى عراق العجم، و خراسان، و ما والاها، و مازندران، كلّ ذلك فى طلب الحديث و الاجتماع بأئمّته و الأخذ عنهم، و هو فى تلك الحال يؤخذ عنه و يستفاد منه و ولّى قضاء

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

دانیة.

و من تصانیفه «المطرب من أشعار أهل المغرب» خط «۱»، و «الآیات البینات» خطّ و «نهایة السول فی خصائص الرسول» خط، و «النبراس فی تاریخ خلفاء بنی العباس» طبع، و «التنویر فی مولد السراج المنیر»، و «علم النّصر المبین فی المفاضلة بین أهل صفین».

(۱) بل طبع.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶۸۲

و هذا نهایة الجود الّذی لم یسمع بمثله فی الوجود).

و عن عائشة رضی اللّه [تعالی] عنها: أنّ النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم کان یقبل الهدیّة و یثیب علیها.

و کانت ولادته سنة: أربع و أربعین و خمسمائة، و وفاته سنة: ثلاث و ثلاثین و ستمائة بالقاهرة؛ و عمره قارب التسعین، و دفن بسفح المقطّم رحمه اللّه تعالی.

(و هذا نهایة الجود الّذی لم یسمع بمثله فی الوجود.

و) أخرج الإمام أحمد، و البخاریّ فی «الهبة» و أبو داود فی «البیوع»، و الترمذیّ فی «الجامع» فی «البر» و فی «الشمائل»؛

(عن عائشة) أمّ المؤمنین (رضی اللّه تعالی عنها: أنّ النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم کان یقبل الهدیّة)؛ طلبا للتحابب و التواصل، و فرارا من التباغض و التقاطع، إلّا لعذر؛ کما ردّ علی الصعب بن جثّامة الحمار الوحشیّ؛ و قال: «إنّا لم نردّه علیک إلّا أنّا حرم».

(و یثیب) أی: یجازی، و الأصل فی الإثابة: أن یکون فی الخیر و الشرّ، لکن العرف خصّها بالخیر (علیها)؛ بأن یعطی المهدی بدلها، و أقلّه قیمة ما یساوی الهدیّة، فیسنّ التأسّی به فی ذلک، لکن محلّ ندب القبول حیث لا شبهة قویّة فیها، و حیث لم یظنّ المهدی إلیه أنّ المهدی أهداه حیاء، و إلّا! لم یجز القبول.

قال الغزالی: مثال من یهدی حیاء: من یقدم من سفر و یفرّق الهدایا؛ خوفا من العار، فلا یجوز قبول هدیّته؛ إجماعا، لأنه: «لا یحلّ مال امرئ مسلم إلّا عن طیب نفس».

و کذا إذا ظنّ المهدی إلیه أنّ المهدی إنّما أهدی له هدیّته لطلب المقابل، فلا یجوز له قبولها؛ إلّا إذا أعطاه ما فی ظنّه بالقرائن.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶۸۳

و أتته صلّی اللّه علیه و سلّم امرأة ببردة، فقالت: یا رسول اللّه؛ أکسوک هذه؟ فأخذها صلّی اللّه علیه و سلّم محتاجا إلیها، فلبسها،

قال المناوی: و أخذ بعض المالکیة بظاهر الخبر، فأوجب الثواب عند الإطلاق؛ إذا کان ممن یطلب مثله الثواب، أی: کالهدیّة من الأدنی للأعلی.

قال: و إنّما قبل الهدیة؛ دون الصدقة!! لأنّ المراد بها ثواب الدنیا، و بالإثابة تزول المنّة. و القصد بالصدقة ثواب الآخرة، فهی من الأوساخ.

و ظاهر الإطلاق: أنّه کان یقبلها من المؤمن و الکافر.

و فی السّیر أنّه قبل هدیة المقوقس و غیره من الملوک. انتهی.

(و أتته صلّی اللّه علیه و سلم امرأة) قال الحافظ ابن حجر: لم أقف علی اسمها (ببردة) منسوجة؛ فیها حاشیتها- کما فی البخاریّ مرفوعا بمنسوجة، لأن اسم المفعول یعمل عمل فعله؛ کاسم الفاعل.

و قال الداودی: یعنی أنّها لم تقطع من ثوب، فتکون بلا حاشیة.

و قال غیره: حاشیة الثوب هدبه. و کأنه أراد أنها جدیدة لم یقطع هدبها و لم تلبس.

و قال القزّاز: حاشیتا الثوب ناحیتاه اللّتان فی طرفیهما الهدب.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و لفظ البخاریّ فی «الأدب»: جاءت امرأة ببردة؛ فقال سهل للقوم: أ تدرون ما البردة؟! قالوا: الشّملة. قال سهل: هی شملة منسوجة فیها حاشیتها.

(فقالت: یا رسول اللّه: أکسوک هذه)؟! و فی روایة «الجنائز»: قال:

«نعم». قالت: قد نسجتها بیدی؛ فجئت لأکسوکها.

قال الحافظ: و تفسیر البردة بالشّملة تجوّز، لأن البردة کساء، و الشّملة:

ما اشتمل به. فهی أعمّ، لکن لمّا کان أکثر اشتمالهم بها أطلقوا علیها اسمها.

(فأخذها) النبیّ (صلی اللّه علیه و سلم محتاجا إلیها)، کأنّهم عرفوا ذلک بقرینة حال، أو تقدّم قول صریح؛ (فلبسها) لفظ «الأدب»: و فی روایة «الجنائز»: فخرج إلینا، و إنّها إزاره.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶۸۴

فرآها علیه رجل من الصّحابة فقال: یا رسول اللّه؛ ما أحسن هذه! فاکسنیها، ...

و لابن ماجه: فخرج إلینا فیها، و للطبرانیّ فاتّزر بها؛ ثمّ خرج (فرآها علیه رجل من الصّحابة). أفاد المحبّ الطبریّ فی «الأحکام» أنّه عبد الرحمن بن عوف، و عزاه للطبرانیّ، و لم أره فی «المعجم الکبیر»، لا فی مسند سهل؛ و لا فی مسند عبد الرحمن!!

و قد أخرج الطبرانیّ الحدیث، و قال فی آخره: قال قتیبة: هو سعد بن أبی وقّاص.

و أخرجه البخاریّ فی «اللباس»، و النسائی فی «الزینة» عن قتیبة؛ و لم یذکرا عنه ذلک!!

و رواه ابن ماجه؛ و قال فیه: فجاء رجل سمّاه یومئذ، و هو دالّ علی أنّ الراوی ربّما سمّاه. و فی روایة أخری للطبرانی؛ من طریق زمعة بن صالح؛ عن أبی حازم؛ عن سهل أنّ السائل المذکور أعرابیّ، فلو لم یکن زمعة ضعیفا لانتفی أن یکون هو عبد الرحمن بن عوف، أو سعد بن أبی وقّاص!! أو یقال: تعدّدت القصّة علی ما فیه من بعد.

و قول شیخنا ابن الملقّن «إنّه سهل بن سعد» غلط، التبس علیه اسم القائل باسم الراوی؛ قاله الحافظ ابن حجر رحمه اللّه تعالی.

(فقال: یا رسول اللّه؛ ما أحسن)- بنصبه؛ تعجبا- (هذه) البردة (فاکسنیها). لفظ «الأدب»؛ و لفظ الجنائز عقب أنّها إزاره: فحسّنها فلان؛ فقال: أکسنیها؛ ما أحسنها!!

قال الحافظ: فحسّنها؛ کذا فی جمیع الروایات هنا؛ أی: فی «الجنائز»- بمهملتین من التحسین-.

و للبخاریّ فی «اللباس» فجسّها- بجیم بلا نون-.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶۸۵

فقال: «نعم»، فلمّا قام علیه الصّلاة و السّلام .. لامه أصحابه، و قالوا: ما أحسنت حین رأیت النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم أخذها محتاجا إلیها، ثمّ سألته إیّاها، و قد عرفت أنّه لا یسأل شیئا فیمنعه.

رواه البخاریّ.

و کذا للطبرانیّ و الإسماعیلیّ؛ من طریق آخر (فقال)؛ أی: النبی صلّی اللّه علیه و سلم (: «نعم») أکسوکها.

و للبخاریّ فی «اللباس»: فجلس ما شاء اللّه فی المجلس، ثم رجع فطواها، فأرسل بها إلیه.

(فلمّا قام علیه الصّلاة و السّلام لامه) أی: السائل (أصحابه، و قالوا: ما)- نافیة- (أحسنت حین رأیت النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم أخذها)، و فی روایة: لبسها (محتاجا إلیها، ثمّ سألته إیّاها؛ و قد عرفت أنّه لا یسأل شیئا فیمنعه!!).

و فی روایة: لا یردّ سائلا. بقیّته فی البخاری: فقال: رجوت برکتها حین لبسها النبی صلّی اللّه علیه و سلم لعلّی أکفّن فیها.

و فی روایة للبخاریّ أیضا: فقال الرّجل: و اللّه؛ ما سألتها إلّا لتکون کفنی یوم أموت. قال سهل: فکانت کفنه.

و بیّن فی روایة الطّبرانیّ المعاتب له من الصحابة؛ و لفظه: قال سهل: فقلت للرجل: لم سألته و قد رأیت حاجته إلیها؟! فقال: رأیت ما

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

رأيتم، و لكنّى أردت أن أخبّئها حتّى أكفّن فيها. و فى رواية البخارى فى «الجنائز»: قال: و اللّه؛ إنّى ما سألته لألبسها، إنّما سألته لتكون كفنى. قال سهل: فكانت كفنه.

(رواه البخاريّ) فى «الجنائز» و «البيوع» و «الأدب» و «اللباس»؛ من حديث سهل بن سعد السّاعديّ رضى اللّه عنه.

قال فى «المواهب»: و فى هذا الحديث من الفوائد: حسن خلقه صلّى اللّه عليه و سلم، وسعة جوده، و قبوله الهدية، و غير ذلك.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۸۶

....

و استنبط منه السّادة الصوفيّة جواز استدعاء المريد خرقة التصوّف من المشايخ تبرّكا بهم، و بلباسهم، كما استدلوا لإلباس الشيخ للمريد بحديث أنّه صلّى اللّه عليه و سلم ألبس أمّ خالد خميصة سوداء ذات علم. رواه البخارى.

لكن قال شيخنا- يعنى السخاويّ- رحمه اللّه تعالى: ما يذكرونه- أى الصوفية- من أنّ الحسن البصريّ لبسها من على بن أبى طالب رضى اللّه عنه!!

فقال ابن دحية و ابن الصلاح: إنّه باطل.

و قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر: ليس فى شىء من طرقها ما يثبت، و لم يرد فى خبر صحيح؛ و لا حسن؛ و لا ضعيف أنّه صلّى اللّه عليه و سلم ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لأحد من أصحابه، و لا أمر أحدا من أصحابه بفعلها، و كلّ ما يروى صريحا فى ذلك!! فباطل.

قال الحافظ ابن حجر: ثمّ إنّ من الكذب المفترى قول من قال «إنّ عليا ألبس الخرقة الحسن البصرى»، فإنّ أئمّة الحديث لم يثبتوا للحسن من على سماعا؛ فضلا عن أن يلبسه الخرقة.

قال السّخاوى: و لم ينفرد شيخنا- يعنى: الحافظ ابن حجر- بذلك، بل سبقه إليه جماعة حتّى ممن لبسها و ألبسها؛ كالدمياطى، و الذهبى، و العلائى، و مغلطاى، و العراقى، و الأبناسى، و الحلبى، و الهكارى، و ابن الملقّن، و ابن ناصر الدين؛ و تكلّم عليها فى جزء مفرد.

و للحافظ السيوطى مؤلّف سمّاه «إتحاف الفرقة برفو الخرقة» ذكر فيه أنّ جمعا من الحفاظ أثبتوا سماع الحسن من على بن أبى طالب.

و الحافظ ضياء الدين فى «المختارة» رجّحه، و تبعه الحافظ فى «أطرافها»، و هو الراجح عندى لقاعدة الأصول: أن المثبت مقدّم على النافى، لأن معه زيادة علم و لأن الحسن ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، و كانت أمّه خيرة مولاة أمّ سلمة، فكانت أمّ سلمة تخرجه إلى الصحابة فيباركون عليه، و أخرجته إلى عمر؛ فدعا له، فقال: «اللهمّ؛ فقّهه فى

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۸۷

....

الدين، و حبّبه إلى النّاس.» أخرجه العسكرى بسنده.

و ذكر المزّيّ أنّه حضر يوم الدار؛ و له أربع عشرة سنة، و معلوم أنّه من حين بلغ سبع سنين أمر بالصلاة، فكان يحضر الجماعة و يصلّى خلف عثمان حتّى قتل، و لم يخرج علىّ إلى الكوفة إلّا بعد قتله؛ فكيف ينكر سماع الحسن منه؛ و هو كل يوم يجتمع به خمس مرّات من حين ميّز إلى أن بلغ أربع عشرة سنة!؟!

و قد كان علىّ يزور أمّهات المؤمنين، و منهنّ أمّ سلمة؛ و الحسن البصرى فى بيتها هو و أمّه!!

و قد ورد عن الحسن ما يدلّ على سماعه منه!

و روى المزّيّ؛ من طريق أبى نعيم أنّ يونس بن عبيد؛ قال للحسن: إنّك تقول «قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم؛ و لم تدركه»؟! قال: يا ابن أخى؛ لقد سألتنى عن شىء ما سألنى عنه أحد قبلك، و لو لا منزلتك منى ما أخبرتك!! إنّى فى زمان كما ترى! و كان فى

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

عمل الحجّاج! كلّ شيء سمعتنى أقول «قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم»؛ فهو عن علىّ، غير أنّى لا أستطيع أن أذكر عليّا.

ثم ذكر ما أخرجه الحفّاظ من رواية الحسن عن على، فبلغ عشرة أحاديث ساقها و ذكر خلالها قول ابن المدينى «الحسن رأى عليا بالمدينة المنوّرة و هو غلام».

و قال أبو زرعة: كان الحسن البصرى يوم بويع على ابن أربع عشرة سنة. و رأى عليّا بالمدينة، و قال: رأيت الزّبير يبايع عليّا! ثم خرج إلى الكوفة و البصرة؛ و لم يلقه الحسن بعد ذلك، ففى هذا القدر كفاية.

و يحمل قول النافى على ما بعد خروج علىّ من المدينة المنورة.

و روى أبو يعلى: حدّثنا جويرية بن أشرس قال: أخبرنا عقبة بن أبى الصهباء الباهلى، قال: سمعت الحسن يقول: سمعت عليّا يقول: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم:

«فمثل أمّتى مثل المطر ...». الحديث.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۸۸

و كان صلّى اللّه عليه و سلّم رحيما، ...

قال الحافظ فى «تهذيب التهذيب»: قال محمد بن الحسن الصيرفى «شيخ شيوخنا»: هذا نصّ فى سماع الحسن من على. و رجاله ثقات. انتهى ملخصا.

و ليس فى ذا الرفع كلّه إثبات الدعوى أنّ عليّا ألبس الحسن الخرقة على متعارف الصوفية.

و كذا قول المصنف- يعنى القسطلانىّ-: «نعم ورد لبسهم لها مع الصحبة المتصلة إلى كهيل «۱» بن زياد النخعى؛ و هو صحب عليا من غير خلف فى صحبته له بين أئمة الجرح و التعديل»! لا دلالة فيه على الدعوى؛ «و هو أنّ عليا ألبسها كهيلا» إنّما هو احتمال، و لا تقوم به حجّة.

و فى بعض الطرق للخرقة اتصالها بأويس القرنى، و هو اجتمع بعمر بن الخطّاب و علىّ بن أبى طالب، و هذه صحبة لا مطعن فيها. لكن لا تدلّ على الدعوى نصّا!! إنما هو احتمال، و كثير من السادة الصوفية يكتفى بمجرّد الصحبة؛ كالشاذلى إمام الطريقة، و شيخنا أبى إسحاق إبراهيم المتبولى، و كان يوسف العجمى يجمع بين تلقين الذكر و أخذ العهود و اللبس، و له فى ذلك رسالته «ريحان القلوب». و للشيخ قطب الدين القسطلانى «ارتقاء الرتبة فى اللباس و الصحبة» انتهى كلام «المواهب» مع شرح الزرقانى، رحمهما اللّه تعالى.

(و) أخرج البخارىّ فى «الأدب المفرد» بسند حسن- كما فى العزيزى- عن أنس بن مالك رضى اللّه تعالى عنه قال: (كان) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم رحيما)، حذف المعمول!! ليفيد العموم؛ فهو رحيم حتّى بأعدائه، لما دخل يوم الفتح مكّة على قريش؛ و قال: «اجلسوا بالمسجد الحرام» و صحبه ينتظرون أمره فيهم .. من قتل أو غيره! قال: «ما تظنّون أنّى فاعل بكم؟». قال: خيرا؛ أخ كريم، و ابن أخ كريم .. فقال: «أقول كما قال أخى يوسف «لا تثريب عليكم اليوم» اذهبوا فأنتم الطّلقاء».

---

(۱) فى نسخة: كميل.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۸۹

و كان لا يأتيه أحد إلّا وعده و أنجز له؛ إن كان عنده.

و أمّا شجاعة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم:

فقد كان صلّى اللّه عليه و سلّم أنجد النّاس ...

قال ابن عربى: فلا ملك أوسع من ملك سيّدنا محمّد، فإنّ له الإحاطة بالمحاسن و المعارف، و التودّد و الرحمة و الرفق، و كان

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

بالمؤمنين رحيما.

و ما أظهر فى وقت غلظة على أحد إلّا عن أمر إلهىّ حين قال له جاهِدِ الْكُفّارَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ [٧٣/ التوبة] فأمر بما لم يقتض طبعه ذلك، و إن كان بشرا يغضب لنفسه و يرضى لها!!.

(و كان لا يأتيه أحد) يسأله شيئا (إلّا وعده و أنجز له؛ إن كان عنده)، و إلّا أمر بالاستدانة عليه. انتهى مناوى؛ على «الشمائل».

(و أمّا شجاعة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم):

الشجاعة- بفتح الشين- قال القاضى عياض: هى فضيلة قوّة الغضب، و انقياد تلك القوّة للعقل؛ على وفق الشرع. أى: لتقع على ما ينبغى من النعوت الآدمية، و لتكون من الصفات البهيّة.

و النّجدة- بفتح النون فسكون الجيم فدال مهملة- بمعنى الشجاعة؛ فى قول، و قال بعضهم: هى شدّة البأس، يقال: هم أنجاد أمجاد؛ أى: أشدّاء شجعان، و الواحد نجد؛ ككتف و أكتاف.

و قال القاضى عياض: النّجدة: ثقة النفس؛ أى: وثوقها بربّها عند استرسالها إلى الموت حيث يحمد فعلها؛ دون خوف.

(فقد) كان صلّى اللّه عليه و سلم منها بالمحلّ الذى لا يجهل،! قد حضر المواقف الصعبة، و فرّ الكماة و الأبطال عنه غير مرّة؛ و هو ثابت لا يبرح، و مقبل لا يدبر، و لا يتزحزح و ما شجاع إلّا و قد أحصيت له فرّة و حفظت عنه جولة؛ سواه صلّى اللّه عليه و سلم.

و فى «الإحياء»: (كان صلّى اللّه عليه و سلم أنجد النّاس) أى: أكثرهم نجدة،

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص: ۶۹۰

و أشجعهم.

قال علىّ رضى اللّه تعالى عنه: لقد رأيتنى يوم بدر و نحن نلوذ بالنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم، ...

(و أشجعهم)؛ أى: أقواهم قلبا فى حال البأس، فكان الشجاع منهم الذى يلوذ بجانبه عند التحام الحرب، و ما ولّى قطّ؛ و لا تحدّث أحد بفراره.

و قد ثبتت أشجعيّته بالتواتر النقلى؛ بل أخذه بعضهم من النص القرآنى، لقوله تعالى يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفّارَ وَ الْمُنافِقِينَ [٧٣/ التوبة] فكلّفه؛ و هو فرد؛ جهاد الكلّ، و لا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاّ وُسْعَها [٢٨۶/ البقرة]!! و لا ضير فى كون المراد:

هو و من معه، إذ غايته أنّه قوبل بالجميع؛ و ذلك مفيد للمقصود.

قال العراقى: روى الدارمىّ؛ من حديث ابن عمر بسند صحيح: ما رأيت أجلد، و لا أجود، و لا أشجع، و لا أرضى من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم. انتهى

و قال ابن عمر رضى اللّه تعالى عنهما: ما رأيت أشجع، و لا أنجد، و لا أجود، و لا أرضى من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم. رواه الإمام أحمد، و النّسائىّ، و الطبرانىّ، و البيهقىّ.

و عطف «أجود» على «أنجد»؟! للمناسبة بينهما، إذ الجواد لا يخاف الفقر، و الشجاع لا يخاف الموت، و لأن الأوّل بذل النفس، و الثانى: بذل المال.

و الجود بالنفس أقصى غاية الجود!

انتهى من «شرح الزرقانى»، و «شرح الإحياء» و «شرح الشفاء».

(قال) الإمام (علىّ) بن أبى طالب أمير المؤمنين (رضى اللّه تعالى عنه) و كرّم اللّه وجهه فى الجنّة (: لقد رأيتنى)- بضمّ التّاء- و هذا من خصائص أفعال القلوب و ما ألحق بها؛ من «رأى» البصريّة و الحلميّة: أن يكون فاعلها و مفعولها ضميرين متّصلين لشىء واحد، و «رأى» هذه بصريّة؛ أى: و اللّه لقد أبصرت نفسى (يوم بدر و نحن نلوذ) أى: نلتجئ و نستتر (بالنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم)، و كان الظاهر أن

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و هو أقرب إلى العدوّ. و كان من أشدّ النّاس يومئذ بأسا.

و قال أيضا: كنّا إذا حمى «۱» البأس و لقى القوم القوم ...

يقول: و لقد رأيتنا. و كأنه عدل عنه إشارة إلى أنّ كلّ أحد مشغول بنفسه؛ لا يرى غيره. (و هو) أى: رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ([أقرب] إلى العدوّ) منا لشدّة شجاعته صلّى اللّه عليه و سلم، و المراد بالعدوّ الكفّار

(و كان من أشدّ النّاس يومئذ بأسا) أى: نكاية فى العدو، كقوله تعالى وَ اللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَ أَشَدُّ تَنْكِيلًا (۸۴) [النساء] كما قاله الرّاغب.

و إذا كان حاله هذا فى مثل هذا الوقت؛ ففى سائر الأوقات بالأولى، و ما أحسن قول من قال من أرباب الحال:

له وجه الهلال لنصف شهرو أجفان مكحّلة بسحر

فعند الابتسام كليل بدرو عند الانتقام كيوم بدر و هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد، و النّسائى، و البيهقىّ فى «الدّلائل»؛ من طرق؛ عن على رضى اللّه تعالى عنه، و رواه أبو الشيخ فى «الأخلاق» بسند جيّد. انتهى «شرح الشفاء». و «شرح الإحياء».

(و قال أيضا)؛ أى: علىّ رضى اللّه تعالى عنه كما فى «الإحياء» و «الشفاء» قال فى «شرحه»: رواه الإمام أحمد، و النسائىّ، و الطبرانىّ، و البيهقىّ.

(كنّا إذا [حمى])- بزنة: علم- (البأس)- بموحّدة، و بهمزة، أو ألف- و هو الشدّة. و المراد به الخوف؛ أو الحرب، أى: اشتدّ القتال، و هو معنى ما وقع فى الرواية الأخرى «حمى الوطيس»، فإنّ الوطيس التّنور، (و لقى القوم)- بالرفع فاعل- (القوم)- بالنصب مفعول-.

---

(۱) فى «وسائل الوصول»: احمرّ. و كلاهما جائز.

اتّقينا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فما يكون أحد أقرب إلى العدوّ منه.

و قيل: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قليل الكلام، قليل الحديث، فإذا أمر النّاس بالقتال .. تشمّر.

و كان من أشدّ النّاس بأسا، و كان الشّجاع هو الّذى يقرب منه فى الحرب؛ لقربه من العدوّ.

و فى «الشفاء» بدل قوله: «و لقى القوم القوم» «و احمرّت الحدق»- (اتّقينا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم). أى: جعلناه وقاية من العدو، بأن يتقدّم علينا؛ فيدفع العدوّ؛ و نحن خلفه، كما يشير إليه قوله (فما يكون أحد أقرب إلى العدوّ منه)، و لذا أمسوا بغلته صلّى اللّه عليه و سلم يوم حنين؛ كما مرّ، و لم ينكر عليهم!!

(و) فى «الإحياء»: (قيل كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قليل الكلام، قليل الحديث، فإذا أمر النّاس بالقتال تشمّر)

قال العراقى: رواه أبو الشيخ؛ من حديث سعد بن عياض الثّمالى مرسلا.

قلت: و روى الإمام أحمد؛ من طريق سماك؛ قال: قلت لجابر بن سمرة:

أ كنت تجالس النبى صلّى اللّه عليه و سلم؟! قال: نعم، و كان طويل الصّمت قليل الضّحك. رجاله رجال الصّحيح؛ غير شريك، و هو ثقة. و سعد بن عياض المذكور تابعىّ يروى عن ابن مسعود، و عنه أبو إسحاق السّبيعى وثّق. روى له أبو داود، و النسائى؛ كذا فى «الكاشف». انتهى شرح «الإحياء».

(و كان) صلى اللّه عليه و سلم (من أشدّ النّاس بأسا). رواه الإمام أحمد، و النّسائىّ، و غيرهما؛ من حديث علىّ فى قصّة بدر- و قد تقدم قريبا-

(و كان الشّجاع) منّا (هو الّذى يقرب منه) صلى اللّه عليه و سلم (فى الحرب؛ لقربه من العدوّ).

قال العراقى: رواه مسلم؛ من حديث البراء: كنّا و اللّه؛ إذا حمى البأس نتّقى

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۹۳

و قال عمران بن حصين ...

به، و إنّ الشجاع الذى يحاذى به. انتهى شرح «الإحياء».

(و) أخرج أبو الشيخ فى «الأخلاق» بسند فيه مجهول؛ (قال) أبو نجيد- بضم النون و فتح الجيم- (عمران)- بكسر العين المهملة و سكون الميم وراء مهملة- (ابن حصين)- بضمّ الحاء و فتح الصاد المهملتين؛ كتصغير حصن- ابن عبيد بن خلف بن عبد شهم بن سالم الخزاعىّ البصرى؛

كان من فضلاء الصحابة و فقهائهم.

أسلم هو و أبو هريرة عام خيبر سنة: سبع من الهجرة.

روى له عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم مائة و ثمانون حديثا؛ اتفقا منها على ثمانية، و انفرد البخارىّ بأربعة و مسلم بتسعة.

روى عنه أبو رجاء العطاردى؛ و اسمه: تيم، و مطرّف بن عبد اللّه، و زرارة ابن أوفى، و زهدم، و عبد اللّه بن بريدة، و ابن سيرين، و الحسن، و الشعبى، و أبو الأسود الدّؤلى، و آخرون.

نزل البصرة؛ و كان قاضيها؛ استقضاه عبد اللّه بن عامر أيّاما، ثم استعفاه فأعفاه.

توفى بها سنة: ثنتين و خمسين هجرية، و كان الحسن البصرى يحلف باللّه تعالى: ما قدم البصرة راكب خير لهم من عمران.

و غزا مع النبى صلّى اللّه عليه و سلم غزوات و بعثه عمر بن الخطّاب رضى اللّه تعالى عنه إلى البصرة ليفقه أهلها، و كان مجاب الدّعوة؛ و لم يشهد تلك الحروب

و كان أبيض الرأس و اللحية، و له عقب بالبصرة.

و فى «صحيح مسلم»؛ عن عمران قال: قد كان يسلّم علىّ حتّى اكتويت «۱»

---

(۱) من البواسير.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۹۴

رضى اللّه تعالى عنهما: ما لقى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم كتيبة إلّا كان أوّل من يضرب.

و قالوا: و كان قوىّ البطش. و لمّا غشيه المشركون .. نزل عن بغلته، فجعل يقول: ...

فتركت. ثم تركت الكىّ فعاد. يعنى كانت الملائكة تسلم عليه و يراهم عيانا كما جاء مصرّحا به فى غير «صحيح مسلم».

و مات عمران سنة: اثنتين و خمسين. و قيل: سنة ثلاث و خمسين هجرية.

و اختلف العلماء فى حصين «والد عمران»: هل أسلم، و له صحبة؛ أم لا؟!

قال ابن الجوزى فى «التلقيح»: الصحيح أنّه أسلم (رضى اللّه تعالى عنهما:

ما لقى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم كتيبة)- بفتح الكاف و كسر المثناة الفوقية، و بالمثناة التحتية، و باء موحّدة، أى: طائفة من الجيش مجتمعة- (إلّا كان أوّل من يضرب) بسيفه، و يقاتل.

(و) فى «الإحياء»: (قالوا: و كان) صلى اللّه عليه و سلم (قوىّ البطش).

قال العراقى: رواه أبو الشيخ؛ من رواية أبى جعفر معضلا. انتهى

قلت: و رواه ابن سعد؛ عن محمد بن على مرسلا؛ بلفظ: كان شديد البطش. قال الشارح: فلم تكن الرّحمة منزوعة عن بطشه لتخلّقه بأخلاق اللّه تعالى، و هو سبحانه ليس له وعيد و بطش شديد؛ ليس فيه شىء من الرحمة و اللّطف.

و قال الحافظ العراقىّ: و للطبرانىّ من حديث عبد اللّه بن عمرو: «و أعطيت قوّة أربعين فى البطش و الجماع». و سنده ضعيف.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

(و لمّا غشيه المشركون) يوم حنين (نزل عن بغلته، فجعل يقول:

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۹۵

«أنا النّبيّ لا كذب، أنا ابن عبد المطّلب»، فما رئى يومئذ أحد أشدّ منه.

«أنا النّبىّ لا كذب أنا ابن عبد المطّلب» قال الحافظ العراقىّ: متّفق عليه؛ من حديث البراء. انتهى.

و سيأتى فى الحديث بعده التفصيل. و معنى قوله «أنا النّبىّ لا كذب»؛ أى:

حقا فلا أفرق و لا أزول، أى: صفة النبوة يستحيل معها الكذب، فكأنّه قال أنا النبىّ؛ و النبىّ لا يكذب. لست بكاذب فيما أقول حتّى أنهزم بل أنا متيقن أن ما وعدنى اللّه من النصر حق فلا يجوز على الفرار أنا ابن عبد المطلب.

فيه دليل لجواز قول الإنسان فى الحرب «أنا فلان بن فلان». و منه قول الإمام على بن أبى طالب رضى اللّه عنه: أنا الّذى سمّتنى أمّى حيدره.

و قول سلمة: أنا ابن الأكوع.

و المنهىّ عنه قول ذلك على وجه الافتخار؛ كما كانت الجاهلية تفعله.

و انتسب لجدّه عبد المطلب؛ دون أبيه عبد اللّه!! لأنه توفّى شابّا فى حياة أبيه عبد المطلب؛ فلم يشتهر كاشتهار أبيه.

و كان عبد المطلب سيّد قريش و سيّد أهل مكّة، و من ثمّ نسب إليه صلّى اللّه عليه و سلم فى نحو قول ضمام: أيّكم ابن عبد المطلب. انتهى شرح «الإحياء».

(فما رئى يومئذ أحد أشدّ منه) صلى اللّه عليه و سلم، لأنّه لمّا استقبلهم من هوازن ما لم يروا مثله قطّ؛ من السواد و الكثرة، و ذلك فى غبش الصبح و خرجت الكتائب من مضيق الوادى؛ فحملوا حملة واحدة؛ فانكشفت خيل بنى سليم مولّية؛ و تبعهم أهل مكّة و النّاس، و لم يثبت معه صلّى اللّه عليه و سلم إلّا عمّه العبّاس، و أبو سفيان بن الحارث، و أبو بكر، و أسامة فى أناس من أهل بيته و أصحابه.

قال العبّاس: و أنا آخذ بلجام بغلته أكفّها؛ مخافة أن تصل إلى العدو، لأنّه كان يتقدّم نحوهم، و أبو سفيان آخذ بركابه. انتهى شرح «الإحياء»، و سيأتى

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۶۹۶

و سأل رجل البراء ...

مزيد الكلام على الحديث الذى بعد هذا.

(و) أخرج البخارىّ فى «الجهاد»، و مسلم فى «المغازى»، و النسائى فى «السّير» بإختلاف فى بعض ألفاظه أنّه (سأل رجل) من قيس. قال الحافظ ابن حجر: لم أقف على اسمه!!

(البراء)- بفتح الموحّدة و تخفيف الرّاء و بالمدّ- هذا هو الصحيح المشهور عند طوائف العلماء.

و هو: أبو عمارة، و يقال: أبو الطفيل البراء بن عازب- بالزاى- ابن الحارث بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصارى الأوسىّ الحارثىّ المدنى.

أمّه أمّ حبيبة بنت أبى حبيبة. و قيل: أم خالد بنت ثابت.

و أبوه عازب صحابى، ذكر محمد بن سعد فى «الطبقات» أنّه أسلم.

روى للبراء عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم ثلاثمائة حديث و خمسة أحاديث؛ اتفق البخارىّ و مسلم منها على اثنين و عشرين، و انفرد البخارى بخمسة عشر، و مسلم بستّة.

روى عنه عبد اللّه بن يزيد الخطمى، و أبو جحيفة الصحابيان، و جماعة من التابعين؛ منهم: الشعبى، و ابن أبى ليلى، و السبيعى، و معاوية بن سويد، و أبو المنهال سيّار بن سلامة، و غيرهم.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

نزل الكوفة و ابتنى بها دارا، و توفى بها زمن مصعب بن الزبير، و أرّخه ابن حبان سنة: اثنتين و سبعين.

استصغره النبى صلّى اللّه عليه و سلم يوم بدر، و أوّل مشاهده أحد.

و فى البخارى؛ عن البراء قال: غزوت مع النبى صلّى اللّه عليه و سلم خمس عشرة غزوة، و شهد البراء مع أبى موسى غزوة تستر، و شهد مع علىّ رضى اللّه عنه وقعة الجمل و صفّين و النهروان، هو و أخوه عبيد بن عازب.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٦٩٧

رضى اللّه تعالى عنه: أ فررتم يوم حنين عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم؟! قال: نعم، لكنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم لم يفرّ، و كان للبراء ابنان: يزيد و سويد (رضى اللّه تعالى عنه: أ فررتم) معاشر الصحابة (يوم حنين) معرضين (عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم؛ قال: نعم، لكنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم لم يفرّ) استدراك على ما قد يتوهّم من فراره صلى اللّه عليه و سلم حين فرّوا عنه، الواقع عند السائل؛ أخذا من عموم ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (٢٥) [التوبة] فبيّن له أنّه من العموم الذى أريد به الخصوص، و التقدير: نعم فررنا، و لكنه صلّى اللّه عليه و سلم ثبت و ثبت معه علىّ، و العبّاس، و أبو سفيان بن الحارث، و ابن مسعود. رواه ابن أبى شيبة مرسلا.

و للترمذى بإسناد حسن؛ عن ابن عمر: لقد رأيتنا يوم حنين، و إنّ الناس لمولّون، و ما مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم مائة رجل.

و لأحمد، و الحاكم؛ عن ابن مسعود: فولّى الناس عنه، و بقى معه ثمانون رجلا من المهاجرين و الأنصار.

و فى شعر العبّاس: أنّ الذين ثبتوا عشرة فقط.

قال الحافظ ابن حجر: و لعلّه العدد الذى ثبت، و من زاد عليهم عجّل الرجوع! فعدّ فيمن لم يفرّ. انتهى زرقانى؛ على «المواهب».

قال فى «نظم المغازى» للعلّامة أحمد بن محمد البدوى الشنقيطى رحمه اللّه تعالى:

و ثبتت مع النّبىّ طائفهمن أهل بيته و ممّن ألفه

حيدرة و العمران و أبوسفيان جعفر ابنه المنتخب

و عمّه ربيعة، العبّاسو فضله أسامة الأكياس

و أيمن ابن أمّه و العبدرىشيبة رام غدر خير مضر

فصدّه عمّا نوى فضربهنبيّنا فى صدره فجذبه قال الخفاجى فى «نسيم الرياض»؛ شرح «شفاء» القاضى عياض رحمه اللّه

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٦٩٨

كان هوازن رماة، و إنّا لمّا حملنا عليهم انكشفوا؛ فأكبنا على الغنائم، فاستقبلتنا بالسّهام.

تعالى: و لم يجىء أنّه صلّى اللّه عليه و سلم انهزم قطّ و لم ينقله أحد، و قد نقل الإجماع على أنّه لا يجوز أن يعتقد أنّه صلّى اللّه عليه و سلم انهزم. و لا يجوز ذلك عليه.

قال الزّرقانى على «المواهب»: و قد تقدّم للمصنّف فى حنين، و قبله فى أحد: أنّ من زعم أنّه صلّى اللّه عليه و سلم هزم يستتاب، فإن تاب؛ و إلّا! قتل عند الشافعية، و وافقهم ابن المرابط من المالكية. و أنّ مذهب مالك يقتل بلا استتابة، و فرّقوا بينه و بين من قال «جرح. أو: أوذى»: بأن الإخبار عن الأذى نقص فى المؤذى؛ لا عليه، و الإخبار بالانهزام نقص له صلّى اللّه عليه و سلم، لأنّه فعله؛ لو وقع، كما أن الأذى فعل المؤذى.

قال ابن دحية: و أما تغيّبه فى الغار!! فكان قبل الإذن فى القتال.

و أما مظاهرته بين درعين يوم أحد!! فهو من الاستعداد للإقدام، و ليقتدى به أصحابه. و المنهزم خارج عن الإقدام جملة، بخلاف المستعدّ له. انتهى.

ثمّ بيّن سبب التولّى؛ فقال (كان هوازن رماة، و إنّا لمّا حملنا عليهم انكشفوا): انهزموا؛ كما هو لفظ رواية البخارى فى «الجهاد»: (فأكبنا)- بفتح الموحّدة الأولى و إسكان الثانية و نون- أى: وقعنا (على الغنائم)، و فى «الجهاد»؛ فأقبل الناس على الغنائم (فاستقبلتنا)

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

أی: هوازن.

و فی «الجهاد»: فاستقبلونا (بالسّهام)؛ أی: فولّینا.

و فی مسلم: فرموهم برشق من نبل كأنّها رجل جراد.

و فیه أیضا؛ عن أنس: جاء المشركون بأحسن صفوف رأیت؛ [فصفّت] الخیل، ثم المقاتلة، ثمّ النّساء من وراء ذلک، ثم الغنم، ثم النّعم و نحن بشر كثیر، و علی خیلنا خالد بن الولید؛ فجعلت خیلنا تلوذ خلف ظهورنا، فلم نلبث أن انكشفت خیلنا و فرّت الأعراب و من تعلم من الناس.

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۶۹۹

ثمّ قال: و لقد رأیته علی بغلته البیضاء- و أبو سفیان بن الحارث آخذ بلجامها ...

(ثمّ قال)؛ أی: البراء (: و لقد رأیته علی بغلته البیضاء) التی أهداها له فروة بن نفاثة الجذامی؛ كما فی مسلم؛ عن العبّاس. و عند ابن سعد و أتباعه:

علی بغلته دلدل.

قال الحافظ ابن حجر: و فیه نظر، لأن دلدل أهداها له المقوقس.

قال القطب الحلبی: فیحتمل أنّه ركب یومئذ كلّا من البغلتین؛ إن ثبت أنّ دلدل كانت معه، و إلّا! فما فی «الصحیح» أصحّ

(و أبو سفیان بن الحارث) بن عبد المطلب، هو ابن عمّ النبی صلّی اللّه علیه و سلم

و اسمه المغیرة، أو اسمه كنیته. و كان أخاه من الرّضاع، و آلف الناس به قبل النبوة، و كان یشبهه صلّی اللّه علیه و سلم أیضا.

و كان شاعرا مطبوعا، فلما ظهر الإسلام أظهر العداوة، و هجا النبی صلّی اللّه علیه و سلم، و أجابه حسّان رضی اللّه تعالی عنه بما هو مذكور فی السّیر، ثم أسلم؛ و حسن إسلامه، و أبلی بلاء حسنا یوم حنین.

و توفی: سنة عشرین، و صلّی علیه عمر بن الخطاب رضی اللّه تعالی عنه، و هو أحد من ثبت یوم حنین رضی اللّه تعالی عنه.

(آخذ بلجامها) أوّلا، فلما ركضها صلّی اللّه علیه و سلم إلی جهة المشركین خشی علیه العبّاس؛ فأخذ زمامها، و أخذ أبو سفیان بالرّكاب.

فلا یخالف هذا ما فی «مسلم»: أنّ العبّاس كان آخذا بزمامها.

و للبخاری فی «الجهاد»: فنزل؛ أی عن البغلة فاستنصر.

و فی «مسلم»: فقال «اللّهمّ؛ أنزل نصرک».

و إنّما أمسكا باللّجام!! لئلا یسرع للاتصال بالعدو!! لما رأیا من إقدامه صلی اللّه علیه و سلم

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۷۰۰

- و هو یقول: «أنا النّبیّ لا كذب، أنا ابن عبد المطّلب»، فما رئی یومئذ أحد كان أشدّ منه.

و مسارعته، و أشفقا علیه بمقتضی المحبّة الإسلامیة و الرحم.

(و هو یقول: «أنا النّبیّ) حقّا (لا كذب) فی ذلک، أو و النبی لا یكذب، فلست بكاذب حتّی أنهزم، (أنا ابن عبد المطّلب»)

قال الخطّابی: خصّه بالذّكر!! تثبیتا لنبوّته و إزالة للشکّ، لما اشتهر من رؤیا عبد المطّلب المبشّرة به صلّی اللّه علیه و سلم، و لما أنبأت به الأحبار و الكهان، فكأنه یقول: أنا ذاک، فلا بدّ مما وعدت به؛ لئلا ینهزموا عنه، أو یظنّوا أنّه مغلوب، أو مقتول.

فلیس من الفخر بالآباء فی شیء، و لیس بشعر؛ و إن كان موزونا، لأنه لم یقصده، و لا أراده، و هما من شرط كونه شعرا، و هذا أعدل الأجوبة.

و لا یجوز فتح الباء الأولی [كذب]، و كسر الثانیة [المطّلب]، لیخرج عن الوزن، لأنّه تغییر للروایة بمجرّد خیال یقوم فی النفس، و لأنّه

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

وقع فی إشکال أصعب مما فرّ منه، لأن فیه نسبة اللّحن إلی أفصح الفصحاء، فالعرب لا تقف علی متحرّک. انتهی «زرقانی».

و هذا یعدّ فی غایة ما یکون من الشجاعة التامّة، لأنّه فی مثل هذا الیوم فی حومة الوغی، و قد انکشف عنه جیشه، و هو مع هذا علی بغلة؛ لیست بسریعة، و لا تصلح لکرّ و لا فرّ و لا هرب، فرکوبها و رکضها إلی وجوههم مع التنویه باسمه لیعرفه من لیس یعرفه: کلّ ذلک دلیل النهایة فی الشجاعة و الثبات و عدم المبالاة بالعدوّ، و أنّ الحرب عنده کالسّلم، صلوات اللّه و سلامه علیه، کما قال:

(فما رئی یومئذ أحد کان أشدّ منه)، أی: لم یر فی حرب هوازن أقوی؛ و أشجع من النبی صلّی اللّه علیه و سلم، و قد رکب بغلته؛ و قد ظاهر علیها درعا و مغفرا، و طاف علی الصفوف یحضّهم علی القتال و یبشّرهم بالفتح؛ إن صدقوا و صبروا، و کانوا

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۷۰۱

و عن العبّاس ...

برزوا للقتال فی کتائب لم یر المسلمون مثلها عدّة و عدّة، و حملوا حملة واحدة، و کانوا أرمی الناس بالسّهام، و أعرفهم بالقتال؛ فانهزم الناس، و النبیّ صلّی اللّه علیه و سلم ثابت یلتفت یمنة و یسرة لمن فرّ منهم و هو یقول: «یا أنصار اللّه؛ و أنصار رسوله صلّی اللّه علیه و سلم أنا عبد اللّه و رسوله» ثمّ تقدّم بحربته أمام الناس، فلم یمض قلیل حتّی هزمهم اللّه تعالی. انتهی «خفاجی».

قال فی «شرح الإحیاء»: و مما یدلّ علی شجاعته صلّی اللّه علیه و سلم، و کونه أشدّهم بأسا رکوبه یومئذ علی بغلته البیضاء؛ و هی دلدل. کما فی روایة مسلم مع عدم صلاحیّتها للحرب کرّا و فرّا، و من ثمّ لم یسهم لها. و مع العادة إنّما هی من مراکب الطمأنینة، و مع أنّ الملائکة الذین قاتلوا معه فی ذلک الیوم لم یکونوا إلّا علی الخیل لا غیر!! و مع أنّه کانت له أفراس متعدّدة فی مواطن الحرب.

و هذا هو النهایة القصوی فی الشجاعة و الثبات، و فیه إعلام بأن سبب نصرته مدده السّماوی و التأیید الإلهی الخارق للعادة، و بأنّه ظاهر المکانة و المکان؛ لیرجع إلیه المسلمون و تطمئنّ قلوبهم بمشاهدة جمیل ذاته، و جلیل آیاته؛

کرکضه بها فی نحر العدو مع فرار الناس عنه، و لم یبق معه إلا أکابر أصحابه.

و کنزوله عنها إلی الأرض مبالغة فی الثبات و الشجاعة و مساواة فی مثل هذا المقام للماشین من أصحابه. و اللّه أعلم. انتهی.

(و) ذکر مسلم فی «صحیحه» روایة (عن) أبی الفضل (العبّاس) بن عبد المطّلب الهاشمی «عمّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم»، و کان أسنّ من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم بسنتین؛ أو ثلاث.

و کان العبّاس رئیسا جلیلا فی قریش قبل الإسلام، و کان إلیه عمارة المسجد الحرام و السقایة.

و حضر لیلة العقبة مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم حین بایعته الأنصار قبل أن یسلم الأنصار،

منتهی السؤل، اللحجی ،ج۲،ص:۷۰۲

رضی اللّه تعالی عنه قال: لمّا التقی المسلمون و الکفّار .. ولّی المسلمون مدبرین، فطفق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم یرکّض بغلته نحو الکفّار، ...

فشدّد العقد مع الأنصار و أکّده.

و خرج مع المشرکین إلی بدر مکرها و أسر، و فدی نفسه و ابنی أخویه عقیلا و نوفل بن الحارث. و أسلم عقب ذلک.

و قیل: أسلم قبل الهجرة، و کان یکتم إسلامه؛ مقیما بمکّة یکتب بأخبار المشرکین إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، و کان عونا للمسلمین المستضعفین بمکّة.

قالوا: و أراد القدوم إلی المدینة؛ فقال له النبی صلّی اللّه علیه و سلم: «مقامک بمکّة خیر».

و کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم یعظّمه و یکرمه و یبجّله، و کان وصولا لأرحام قریش؛ محسنا إلیهم، ذا رأی و کمال و عقل، جوادا؛ أعتق سبعین عبدا.

و کانت الصحابة تکرّمه و تعظّمه و تقدّمه، و تشاوره و تأخذ برأیه، و هو معتدل القامة. روی له عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

خمسة و ثلاثون حديثا؛ اتفقا على حديث، و انفرد البخاریّ بحديث، و انفرد مسلم بثلاثة. روى عنه ابناه: عبد اللّه و كثير، و جابر، و الأحنف بن قيس، و عبد اللّه بن الحارث، و آخرون.

و كانت وفاة العبّاس بالمدينة المنوّرة يوم الجمعة لثنتى عشرة ليلة خلت من رجب. و قيل: من رمضان سنة؛ اثنتين و ثلاثين. و قيل: أربع و ثلاثين؛ و هو ابن ثمان و ثمانين سنة. تقريبا. و قبره مشهور بالبقيع (رضى اللّه تعالى عنه) و أرضاه.

(قال: لمّا التقى المسلمون و الكفّار ولّى المسلمون) أى: رجعوا و انهزموا (مدبرين) حال مؤكّدة منهم، (فطفق)- بكسر الفاء- أى: جعل (رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يركّض بغلته) أى: يسوقها و يسرع بها (نحو الكفّار).

و أصل الرّكض: الضرب بالرّجل، فمتى نسب إلى الراكب فهو إعداء مركوبه، نحو ركضت الفرس، و متى نسب إلى الماشى؛ فهو وطىء بالأرض، نحو قوله ارْكُضْ بِرِجْلِكَ [۴۲/ ص] انتهى «خفاجى».

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۷۰۳

و أنا آخذ بلجامها أكفّها إرادة ألّا تسرع، و أبو سفيان آخذ بركابه.

و قد كان أبىّ بن خلف يقول للنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم حين افتدى يوم بدر: عندى فرس أعلفها ...

(و أنا آخذ بلجامها) أى: ممسكه، و الجملة حالية.

(أكفّها) أى: أمنعها من السرعة، و الجملة حال أخرى.

(إرادة ألّا تسرع)- بنصب «الإرادة» على العلّة «۱» للجملة السابقة، أى:

أمنعها من أجل ألّا تعجل إلى جهة العدوّ (و أبو سفيان) بن الحارث: ابن عمّه صلّى اللّه عليه و سلم (آخذ) أى: ممسك (بركابه) صلى اللّه عليه و سلم.

هذه رواية، و فى أخرى: أنّ أبا سفيان كان يقود بغلته صلّى اللّه عليه و سلم آخذ بلجامها؛ من أحد جانبيها، فلعلّه تارة كان يفعل كذا، و تارة كان يفعل كذا، فلا تعارض بين الروايات. انتهى «خفاجى».

(و قد كان أبىّ بن خلف) بن وهب بن حذافة بن جمح الكافر المشهور؛ و ذلك فيما رواه ابن سعد فى «طبقاته»، و البيهقىّ فى «دلائل النبوة»، و عبد الرزاق فى «مصنّفه» مرسلا، و الواقدىّ فى «مغازيه» موصولا، و هو حديث صحيح أنّه كان (يقول للنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم حين افتدى) أسيرا له، و هو ابنه عبد اللّه، أى: أعطى الفدية لافتكاك الأسير (يوم بدر) ظرف لمحذوف يدلّ عليه «افتدى» أى: افتدى أسيره يوم بدر، فهو متعلّق بأسيره، أى من أسر يوم بدر؛ و هو ابنه، فالأسر وقع ببدر؛ و الافتداء بالمدينة المنوّرة؛ كذا قال الخفاجى رحمه اللّه تعالى.

و مقول القول قوله (: عندى فرس) عظيمة اسمها العود- بعين و دال مهملتين- بوزن الضرب، (أعلفها)- بفتح الهمزة و كسر اللام- أى: أطعمها من العلف،

---

(۱) أى للتعليل، و المراد مفعول لأجله.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۷۰۴

كلّ يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها، فقال له النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم: «أنا أقتلك إن شاء اللّه تعالى». فلمّا رآه يوم أحد شدّ أبىّ على فرسه على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فاعترضه رجال من المسلمين، فقال النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم هكذا؛ أى: خلّوا طريقه، ...

و الفرس يقع على الذكر و الأنثى. و أنّثها هنا!! لأنها كانت أنثى، و قد ورد فى الحديث تذكيرها و تأنيثها بحسب المراد و القرائن

(كلّ يوم فرقا)- بفتح الفاء و الراء المهملة و يجوز تسكينها. و قيل:

لا يجوز- و هو مكيال يسع ستة عشر رطلا، و تحريكه و تسكينه بمعنى، و قيل:

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

المسكّن مائة و عشرون رطلا، و المحرّك ستة عشر رطلا.

(من ذرة) بيان للفرق- بضمّ الذال المعجمة و فتح الراء المهملة المخففة- و هى: نوع من الحبوب معروف (أقتلك عليها) أى: أريد أن أقتلك عليها.

(فقال النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم: «أنا أقتلك إن شاء اللّه تعالى»)، فحقّق ما أوعده، و كأنه إنّما علف فرسه لتسوقه لهلاكه سريعا؛ كالباحث عن حتفه بظلفه، و لكلّ باغ مصرع.

(فلمّا رآه) أى: رأى أبىّ بن خلف النبى صلّى اللّه عليه و سلم (يوم أحد شدّ أبىّ) بن خلف الشقى أى: عدا و أسرع (على فرسه على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم) الجارّان متعلّقان ب «شدّ». أو الأوّل مستقرّ حال، أى: راكبا على فرسه، و الثانى لغو، و «شدّ» جواب «لمّا» الثانى دالا على جواب «لمّا» الأول

(فاعترضه رجال من المسلمين) أى: حالوا بين أبىّ و بين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ليدفعوه و يصدّوه عنه. (فقال النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم) لأصحابه (.. هكذا)؛ أى: مشيرا إلى جانب أبىّ، (أى: خلّوا طريقه). و المعنى تنحّوا عنه و لا تحولوا بينى و بينه.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۷۰۵

و تناول الحربة من الحارث بن الصّمّة؛ فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشّعراء ...

(و تناول) صلى اللّه عليه و سلم (الحربة)- بفتح الحاء و إسكان الراء المهملتين؛ بوزن الضّربة- و هى واحدة الحراب بوزن رجال، و هى: قناة صغيرة؛ أى: أخذها (من الحارث بن الصّمّة)- بكسر الصاد المهملة، و فتح الميم المشدّدة و هاء التأنيث-، و هو- أعنى: الحارث- ابن الصّمّة بن عمرو بن عتيك الأنصارى الخزرجى الصحابى.

شهد مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم بدرا و غيرها من المشاهد، و قتل ببئر معونة.

و ذكر ابن الأثير: أنّ الذى ناول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم الحربة كعب بن مالك.

و بين الروايتين مخالفة؛ و جمع بينهما بأنّه تناولها من أحدهما؛ فسقطت منه، فناولها له الآخر. أو أنّ أحدهما و هو الذى معه الحربة كان بعيدا منه؛ فناولها آخر قريبا منه، فسلّمها له بيده. و لا بدّ من التوفيق، فإنّ الروايتين صحيحتان، و القصّة واحدة. انتهى من شرح الخفاجى على «الشفاء».

(فانتفض بها) أى: الحربة (انتفاضة) أى: قام بها قومة مسرعة.

و الأبلغ الأحسن أن يقال: إنه استعارة تمثيلية؛ يلزمها تشبيههم بأنهم كالذباب المؤذى الواقع المتهافت، فيفيد هجومهم عليه و تشبيه نهوضه لهم بفحل اهتزّ ليزيل ذبابا وقع عليه،

لقوله (تطايروا)؛ أى: تفرّقوا فارّين بسرعة؛ كالطيور (عنه) صلى اللّه عليه و سلم.

و المتفرّقون!! إمّا المسلمون، و اقتصر عليه بعضهم!! و إمّا المشركون الذين هجموا مع أبىّ!! و هو أبلغ و أنسب بقوله:

(تطاير الشّعراء)- بفتح الشين المعجمة، و سكون العين المهملة، وراء بعدها همزة ممدودة- أى: كتطاير ذباب أحمر- أو أزرق- يقع على الحيوان فيؤذيه أذى شديدا. و فى رواية: تطاير العشارير.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۷۰۶

عن ظهر البعير إذا انتفض. ثمّ استقبله النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا- و قيل: بل كسر ضلعا من أضلاعه- فرجع إلى قريش يقول: قتلنى محمّد. و هم يقولون:

لا بأس بك.

(عن ظهر البعير إذا انتفض) أى: تحرّك البعير تحرّكا شديدا

(ثمّ استقبله النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم) أى: قام إليه و مشى إليه بالحربة. (فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ)- بمثنّاة فوقيّة و دالين مهملتين، و

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

همزتين- أى: تدحرج و سقط (منها) أى: الطعنة (عن فرسه مرارا)، لما غشيه من مرارة الألم.

(و قيل): لم يطعنه صلّى اللّه عليه و سلم فى عنقه (بل كسر) بقوّة ضربته (ضلعا)- بكسر الضاد المعجمة و فتح اللام- أى: واحدا (من أضلاعه): عظام أحد جوانبه.

قال الأخفش: فى الجنب الأيمن تسع أضلاع، و فى الأيسر ثمان، و ما نقص منه تامّ فى النساء «١»؛ و هو الذى خلقت منه حواء. و لذا روى عن الإمام أبى حنيفة فى الخنثى المشكل: أنّه يحكم فيه بأنّه أنثى بتمام أضلاعه و عكسه.

و قال التلمسانى: رواية طعنه أقوى، لأن المعروف الطعن بالرمح.

و فيه نظر. و قيل: إنّه صلّى اللّه عليه و سلم طعنه فوقع عن فرسه؛ فكسر ضلعه. و فيه جمع بين الروايتين، و هو حسن. انتهى «خفاجى».

(فرجع) أى: أبىّ (إلى قريش) و هو (يقول: قتلنى محمّد!!)، جملة «يقول» حاليّة؛ أى: قائلا. و عبّر بالماضى! لتحقّقه الموت.

(و هم يقولون: لا- بأس بك) البأس- بهمزة ساكنة و تبدل ألفا- و هو اسم «لا» مبنىّ على الفتح، و البأس: الشدّة و الموت و الألم، و هذا هو المناسب.

---

(١) تحتاج لتأمّل.

فقال: لو كان ما بى بجميع النّاس لقتلهم، أ ليس قد قال: «أنا أقتلك»؟! و اللّه لو بصق علىّ .. لقتلنى. فمات بسرف فى قفولهم إلى مكّة.

و (الفرق): مكيال يسع [ستّة عشر] رطلا؛ كلّ رطل مائة و ثلاثون درهما.

يقال: لا بأس بك، و لا بأس عليك. للتسلية؛ أو الدعاء له بأن لا يصيبه شىء من البأس.

(فقال) أى: أبىّ (: لو كان ما بى) من الألم و الشدّة التى أجدها فى نفسى موزّعا و حالّا (بجميع النّاس لقتلهم)، فكيف أتحمّل أنا وحدى هذا و أسلم منه!؟

(أ ليس قد قال) أى: النبى صلّى اللّه عليه و سلم حين توعّده (: «أنا أقتلك») أى: لا أنت تقتلنى، فهو قصر قلب (و اللّه؛ لو بصق علىّ لقتلنى!)؛ إبرارا لكلامه.

و إنّما قال ذلك!! لتحقّق صدقه صلّى اللّه عليه و سلم فيما قاله

(فمات) الملعون من تلك الطعنة (بسرف)- بفتح السّين المهملة، و كسر الرّاء المهملة؛ وفاء آخره، ممنوعا من الصرف، و يجوز صرفه-. و هو: اسم موضع على ستّة أميال من مكّة، كان فيه زواج ميمونة زوج النبى صلّى اللّه عليه و سلم فى عمرة القضاء. و اتفق أنّها ماتت فيه بعد النبى صلّى اللّه عليه و سلم و فيه قبرها، و بنى مسجد عليها (فى قفولهم)- بقاف ففاء- أى: رجوع الكفار من أحد (إلى مكّة) و هو معهم.

(و الفرق)- بالفاء و الراء المفتوحتين- (: مكيال يسع) ثلاثة آصع؛ كلّ صاع أربعة أمداد، فهى اثنا عشر مدّا، و المدّ رطل و ثلث، و الصاع خمسة أرطال و ثلث رطل بغدادى، فيكون مجموع الثلاثة الآصع بالأرطال ([ستّة عشر] رطلا) بغداديا (كلّ رطل مائة و ثلاثون درهما) فيما جزم به الرّافعى. قال ابن الرّفعة: و هو الذى يقوى فى النفس صحّته بحسب التجربة، لكن الأصحّ عند الإمام النّووىّ: أنّ رطل

و (الشّعراء): ذباب أحمر- و قيل: أزرق- يقع على الإبل فيؤذيها أذى شديدا.

و عن أنس رضى اللّه تعالى عنه قال: كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم أحسن النّاس، ...

بغداد مائة و ثمانية و عشرون درهما و أربعة أسباع درهم. هذا معنى الفرق- بالتّحريك-.

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

و أما الفرق- بسكون الراء-! فمائة و عشرون رطلا.

(و الشّعراء)- بفتح الشين المعجمة، و سكون العين المهملة، وراء مهملة؛ بعدها همزة ممدودة- (: ذباب أحمر- و قيل: أزرق- يقع على الإبل) و الحمر و الكلاب، (فيؤذيها أذى شديدا). و عبارة الصّحاح: «الشّعراء» ذبابة؛ يقال هى التى لها إبرة. انتهى. و قيل الشّعراء: ذباب يلسع الحمار؛ فيدور.

و قال أبو حنيفة [الدينورى]: الشّعراء نوعان: للكلب شعراء معروفة، و للإبل شعراء.

فأما شعراء الكلب! فإنّها إلى الدّقّة و الحمرة، و لا تمسّ شيئا غير الكلب.

و أمّا شعراء الإبل: فتضرب إلى الصّفرة؛ و هى أضخم من شعراء الكلب؛ و لها أجنحة، و هى زغباء تحت الأجنحة. قال: و ربّما كثرت فى النعم حتّى لا يقدر أهل الإبل على أن يحتلبوا بالنهار، و لا أن يركبوا منها شيئا معها؛ فيتركونها إلى الليل و هى تلسع الإبل فى مراق الضروع و ما حولها، و ما تحت الذنب، و البطن و الإبطين، و ليس يتّقونها بشىء إذا كان ذلك إلّا بالقطران، و هى تطير على الإبل حتى تسمع لصوتها دويا. انتهى شرح «القاموس».

(و) فى «المصابيح»- و هو حديث رواه الشيخان و غيرهما- (عن أنس رضى اللّه تعالى عنه؛ قال:

كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم أحسن النّاس) صورة و سيرة، لأنّ اللّه تعالى أعطاه كلّ الحسن.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٧٠٩

و أجود النّاس، و أشجع النّاس. و لقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق النّاس قبل الصّوت، ...

(و أجود النّاس) لتخلّقه بصفات اللّه تعالى التى منها الجود و الكرم. و «أجود» أفعل تفضيل؛ من الجود، و هو: إعطاء ما ينبغى لمن ينبغى أن يعطى. و معناه:

هو أسخى النّاس بكلّ ما ينفع، فحذف للتعميم، أو لفوات إحصائه كثرة، لأنّ من كان أعظمهم شرفا و أيقظهم قلبا، و ألطفهم طبعا و أعدلهم مزاجا جدير بأن يكون أسمحهم صورة، و أنداهم يدا، و لأنّه مستغن عن الفانيات بالباقيات الصالحات.

(و أشجع النّاس) أقواهم قلبا فى حال البأس، فكان الشجاع منهم الّذى يلوذ بجانبه عند التحام الحرب، و ما ولّى قطّ، و لا تحدّث أحد بفراره. و قد ثبتت أشجعيّته بالتواتر النقلى.

و اقتصار أنس على هذه الأوصاف الثلاثة!! من جوامع الكلم، فإنّها أمّهات «١» الأخلاق. فإنّ فى كل إنسان ثلاث قوى:

أحدها: الغضبية؛ و كمالها الشجاعة. ثانيها: الشهوانيّة؛ و كمالها الجود. منتهى السؤل، اللحجى ج٢ ٧٠٩ الفصل السادس فى صفة كرمه صلى الله عليه و سلم و شجاعته ..... ص : ٦٥٤

لثها: العقلية؛ و كمالها النطق بالحكمة. انتهى من «المواهب».

و فى «الفتح»: جمع أنس صفات القوى الثلاثة على العقلية، و الغضبية، و الشهوانية؛ فالشجاعة تدلّ على الغضبية، و الجود يدلّ على الشهوة، و الحسن تابع لاعتدال المزاج المستتبع لصفاء النفس الذى به جودة القريحة الدالّ على العقل، فوصف بالأحسنيّة فى الجميع. انتهى

(و لقد فزع)- بكسر الزاى-: خاف (أهل المدينة ذات ليلة) من صوت سمعوه فى ناحية من نواحى المدينة؛ كما أفاده بقوله

(فانطلق النّاس) أى: ذهبوا (قبل)- بكسر القاف و فتح الباء الموحّدة-:

جهة (الصّوت) ليعرفوا خبره لظنّهم أنّه عدو.

---

(١) الصواب فى غير العاقل: أمّات!!

منتهى السؤل، اللحجى ،ج٢،ص:٧١٠

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

فاستقبلهم النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم قد سبق النّاس إلى الصّوت، و هو يقول: «لن تراعوا .. لن تراعوا»، و هو على فرس لأبى طلحة عرى، ما عليه سرج، و السّيف فى عنقه، فقال: «لقد وجدته بحرا».

و هذا الفرس اسمه: (المندوب).

(فاستقبلهم النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم) راجعا (قد سبق النّاس إلى الصّوت) أى: المكان الذى سمع الصوت من جهته؛ أى: منفردا قد استبرأ الخبر؛ (و هو يقول) للمقبلين: («لن تراعوا)- بضم التاء المثناة فوق، و بضمّ العين المهملة- (لن تراعوا») تكرير الجملتين، و «لن» هنا بمعنى «لم» بدليل الرواية الأخرى، و المراد نفى سبب الرّوع؛ أى: الخوف، أى: ليس هناك شىء تخافونه

(و هو) أى صلّى اللّه عليه و سلم راكب (على فرس لأبى طلحة) المسمّى: زيد بن سهل «زوج أمّ سليم» والدة أنس بن مالك، استعاره منه (عرى)- بضمّ العين المهملة، و سكون الراء- مجرور صفة فرس. (ما) أى: ليس (عليه سرج) للاستعجال فى ركوبه، و لا يقال فى الآدمى عرى، و إنّما يقال عريان؛ كما تقدّم التنبيه عليه غير مرة.

(و السّيف فى عنقه) أى: حمائله معلّقة فى عنقه الشريف؛ متقلّدا به.

و هذا هو السنّة فى حمل السيف؛ كما قاله ابن الجوزى، لأشدّه فى وسطه؛ كما هو المعروف الآن!!.

(فقال: «لقد وجدته)- أى: الفرس- (بحرا»). أى: واسع الجرى، و منه سمّى البحر «بحرا» لسعته، و تبحّر فلان فى العلم: إذا اتّسع فيه.

و قيل: شبّهه بالبحر ..! لأن جريه لا ينفد؛ كما لا ينفد ماء البحر.

(و هذا الفرس اسمه «المندوب») قيل: سمّى بذلك!! من النّدب، و هو الرّهن عند السباق. و قيل: لندب كان فى جسمه، و هو أثر الجرح.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۷۱۱

و فى رواية للبخارىّ: إنّ أهل المدينة فزعوا مرّة، فركب النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم فرسا لأبى طلحة كان يقطف، فلمّا رجع ..

قال: «وجدنا فرسكم هذا بحرا»، فكان بعد لا يجارى.

قوله (بحرا) البحر: الفرس الجواد الواسع الجرى.

و قال عياض: يحتمل أنّه لقب، أو اسم لغير معنى كسائر الأسماء، و قد كان فى أفراسه صلّى اللّه عليه و سلم فرس اسمه «المندوب»، لكن صرّحت الرواية الأخرى فى «الصحيحين» بأنّه لأبى طلحة. و لفظها: كان فزع بالمدينة، فاستعار النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم فرسا من أبى طلحة؛ يقال له «المندوب»، فركبه عليه الصلاة و السلام، فلما رجع قال: «ما رأينا من شىء، و إن وجدناه لبحرا» أو إنّه لبحر. قال: و كان فرسا يبطئ. انتهى.

فلعله صار إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم بعد أبى طلحة بهبة؛ أو بيع منه له؟!.

و قال النّووىّ: يحتمل أنهما فرسان؛ اتفقا فى الاسم!! و هذا أولى.

(و فى رواية للبخارىّ) فى «الجهاد»؛ عن أنس:

(إنّ أهل المدينة فزعوا مرّة) ليلا، (فركب النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم فرسا لأبى طلحة):

زيد بن سهل- تقدّمت ترجمته-؛ (كان يقطف)- بكسر الطاء، و تضمّ- و المراد أنّه بطىء المشى. و عند البخارىّ فى باب آخر: فركب فرسا لأبى طلحة بطيئا.

(فلمّا رجع) بعد أن استبرأ الخبر؛ (قال: «وجدنا فرسكم هذا بحرا») لسرعة جريه. (فكان بعد)- بضمّ الدال- (لا يجارى)- بضمّ أوّله و فتح الرّاء؛ مبنىّ للمجهول- أى: لا يسابق فى الجرى، و لا يطيق فرس الجرى معه ببركته صلّى اللّه عليه و سلم؛ قاله القسطلانى و غيره. و قال بعضهم: أى: لا يسابق، لعلمهم بأنّه لا يسبقه فرس غيره.

(قوله «بحرا»)؛ قال المصنف: (البحر) هو: (الفرس الجواد الواسع الجرى)، و هو مجاز. قال نفطويه: إنّما شبّه الفرس ب «البحر»!! لأنّه

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

أراد أنّ

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۷۱۲

و (يقطف): يقال قطف الفرس فى مشيه: إذا تضايق خطوه.

و (القطوف من الدّوابّ و غيرها): البطىء.

جريه كجرى ماء البحر، أو لأنّه يسبح فى جريه؛ كالبحر إذا ماج فعلا بعض مائه على بعض.

و فى «الخصائص» لابن جنى: الحقيقة: ما أقرّ فى الاستعمال على أصل وضعه فى اللغة، و المجاز: ما كان بضدّ ذلك.

و إنّما يقع المجاز، و يعدل إليه عن الحقيقة!! لمعان ثلاثة؛ و هى ۱- الاتساع، و ۲- التوكيد، و ۳- التشبيه، فإن عدمت الثلاثة؟! تعيّنت الحقيقة،

فمن ذلك قوله صلّى اللّه عليه و سلم «هو بحر» فالمعانى الثلاثة موجودة فيه؛

أمّا الاتساع!! فلأنّه زاد فى أسماء الفرس التى هى فرس و طرف و جواد، و نحوها البحر، حتّى إنه إن احتيج إليه فى شعر؛ أو سجع، أو اتساع؛ استعمل استعمال بقية تلك الأسماء، لكن لا يفضى إلى ذلك إلّا بقرينة تسقط الشبهة، و ذلك كأن يقول الساجع: فرسك إن سما بغرّته كان فجرا، و إن جرى إلى غايته كان بحرا. فإن عرى عن دليل؟! فلا، لئلا يكون إلباسا و إلغازا.

و أمّا التشبيه!! فلأنّ جريه يجرى فى الكثرة مثل مائه.

و أمّا التوكيد!! فلأنّه شبّه العرض بالجوهر، و هو أثبت فى النفوس منه.

انتهى شرح «القاموس».

(و «يقطف»)- بكسر الطاء و ضمّها؛ أى من بابى «قتل» و «ضرب»: أى يضيق خطوه عند المشى. و دليله أنّه (يقال: قطف الفرس فى مشيه: إذا تضايق خطوه) و أسرع مشيه.

(و) فى «المصباح»: قال الفارابىّ: (القطوف)- بزنة رسول-: (من الدّوابّ و غيرها: البطىء). و قال ابن القطّاع: قطف الدابّة: أعجل سيرها مع

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۷۱۳

....

تقارب الخطو، و فى «التوشيح»: القطوف المتقارب الخطو، و قيل: الضيق المشى. انتهى زرقانى، و «مصباح».

و فى الحديث بيان شجاعته صلّى اللّه عليه و سلم من شدّة عجلته فى الخروج إلى العدوّ قبل النّاس كلّهم، بحيث كشف الحال؛ و رجع قبل وصول الناس.

و فيه بيان عظيم بركته و معجزته فى انقلاب الفرس سريعا؛ بعد أن كان بطيئا، و هو معنى قوله عليه الصلاة و السلام «وجدناه بحرا» أى: واسع الجرى.

و فيه جواز سبق الإنسان وحده فى كشف أخبار العدوّ ما لم يتحقّق الهلاك.

و فيه جواز العارية، و جواز الغزو على الفرس المستعار لذلك.

و فيه استحباب تقلّد السيف فى العنق، و استحباب تبشير الناس بعدم الخوف إذا ذهب. انتهى؛ قاله الإمام النّووىّ فى «شرح مسلم» رحمهما اللّه تعالى. آمين.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۷۱۴

....

و هاهنا انتهى الجزء الثانى من كتاب «منتهى السّول»؛ شرح «وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلّى اللّه عليه و سلم» على يد مؤلّفه

downloaded from: lib.ommolketab.ir

downloaded from: lib.ommolketab.ir

الفقير إلى عفو اللّه عزّ و جلّ:

عبد اللّه بن سعيد محمد عبادى اللّحجى الحضرمى الشحارى، المدرّس بالمدرسة الصولتية، و بالمسجد الحرام بمكّة المكرّمة،

و كان ذلك فى مجالس آخرها عصر يوم الثلاثاء الموافى ۱۴/ ۱/ ۱۳۹۷: أربع عشرة، شهر محرم الحرام سنة: سبع و تسعين و ثلاثمائة و ألف هجرية.

كتبه مؤلفه لنفسه، و لمن شاء اللّه من بعده؛ عبد اللّه سعيد اللّحجى المدرّس بالمسجد الحرام المكّى، و بالمدرسة الصولتية، عفا اللّه عنه و وفّقه لما يرضاه، و جعله ممن يخافه و يخشاه، و بلغه مراده و أحسن ختامه بفضله و منّه، إنّه ذو الفضل العظيم،

و صلّى اللّه على سيّدنا محمّد و آله و صحبه، و سلّم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، و الحمد للّه ربّ العالمين، و لا حول و لا قوّة إلّا باللّه العلىّ العظيم. آمين.

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۲،ص:۷۱۵

[فهرسة الجزء الثانى من كتاب منتهى السّول إلى شمائل الرسول صلّى اللّه عليه و سلم]

الباب الرابع: فى صفة أكل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و شربه و نومه، و فيه ستة فصول. ۵

الفصل الأول: فى صفة عيشه صلّى اللّه عليه و سلم و خبزه. ۷

الفصل الثانى: فى صفة أكله صلّى اللّه عليه و سلم و إدامه. ۸۸

الفصل الثالث: فيما كان يقوله صلّى اللّه عليه و سلم قبل الطعام و بعده. ۱۹۸

الفصل الرابع: فى صفة فاكهته صلّى اللّه عليه و سلم. ۲۲۲

الفصل الخامس: فى صفة شرابه صلّى اللّه عليه و سلم و قدحه. ۲۴۱

الفصل السادس: فى صفة نومه صلّى اللّه عليه و سلم. ۲۸۳

الباب الخامس: فى صفة خلق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و حلمه، و عشرته مع نسائه، ۳۰۴ و أمانته، و صدقه، و حيائه، و مزاحه، و تواضعه، و جلوسه، و كرمه، و شجاعته. و فيه ستة فصول.

الفصل الأول: فى صفة خلقه صلّى اللّه عليه و سلم و حلمه. ۳۰۶

الفصل الثانى: فى صفة عشرته صلّى اللّه عليه و سلم مع نسائه رضى اللّه تعالى عنهنّ. ۵۰۸

الفصل الثالث: فى صفة أمانته صلّى اللّه عليه و سلم و صدقه. ۵۲۹

الفصل الرابع: فى صفة حيائه صلّى اللّه عليه و سلم و مزاحه. ۵۳۷

الفصل الخامس: فى صفة تواضعه صلّى اللّه عليه و سلم و جلوسه و اتكائه. ۵۶۷

الفصل السادس: فى صفة كرمه صلّى اللّه عليه و سلم و شجاعته. ۶۵۴

منتهى السؤل، اللحجى ،ج۳،ص:۵

downloaded from: lib.ommolketab.ir